كامل كيلاني

في

مرآة التاريخ

أنور الجندي

كامل كيلاني

في مرآة التاريخ

أنور الجندي

تحية العلم

الكيلانى.. وقصته مع المعرفة(١)

بقلم : أحمد نجيب هاشم

وزير التربية والتعليم السابق

هذه هى الذكرى الأولى لـ «كامل كيلانى». هذه هى الذكرى الأولى لكاتب عربى. كاتب عاش للقلم ووقف حياته على العلم، وأثرى المكتبة العربية بعشرات الكتب فى الأدب والتاريخ والنقد والتحقيق العلمى، ثم هو الرائد الأول فى «أدب الطفل».

وحياة هذا الكاتب الألمعى هى فى ذاتها قصة جديرة بأن يقرأها الشباب، ويستهدى بها فى تكوين نفسه، وإعداداها لتلقى رسالة الحياة.

هى قصة حب المعرفة، واكتساب المعرفة، ونشر المعرفة .. ثم الوفاء للمعرفة فى مراحلها، من البدء إلى النهاية.

هى قصة متعددة الجوانب، كثيرة الألوان. قصة يطالعنا فيها الأديب الشاعر، والناقد المؤرخ المحقق، والصحفى البا[illegible] والمعلم القدير، والقصصى الموهوب.

[illegible]إذا [illegible]ب القلم يميز نفسه فى ميدان واحد؛ فإن [illegible] كامل كيلانى» [illegible]ه — قد جال بقلمه فى كل هذه الميادين، وحقق فيها أستاذية،

---

(١) [illegible] ١٠/١٩٦٠ بمناسبة الذكرى الأولى.

وامتيازا ملحوظا . . وهذا قلما يتأتى إلا للقلائل الموهوبين من أرباب الفكر والبيان .

ومرحلة التكوين ممثلة فى دراسته وتعلمه ، تدل على أنه كان يعدّ نفسه — منذ البدء — إعدادا واعيا لرسالة المعرفة التى اضطلع بها طوال حياته .

لم يكتف من العلم بما أتيح له فى دراسته الثانوية ، وإنما انطلق بعد ذلك يكمل نفسه ويغذى طموحه ، ولهذا توفر على دراسة اللغة الإنجليزية وآدابها حتى أجادها ، كما تعلم الفرنسية ، وانتسب إلى الجامعة المصرية سنين طويلة ، وحضر دروسا فى الأزهر أعانته على إجادة علوم اللغة والمنطق .

وهكذا مزج بين الثقافتين : العربية والغربية ، وأفاد من ذلك إفادة كبرى فى كل ما كتب وألف ، وحقق وترجم .

وإذا كانت أعماله العلمية التى أخرجها للناس قد جعلت منه حجة فى اللغة والأدب والنقد والشعر ، فإنه — بحق — أول من مهد الطريق لفن جديد من فنون الأدب العربى ، هو « أدب الطفل » .

ولا أظن أحدا غيره قد أعطى الطفل بمقدار ما أعطى هو من وقته ، وثمرات قلبه ، ومطالعاته فى الأدب العربى والآداب العالمية .

لقد أدرك كاتبنا العربى الكبير بثاقب فطنته وبصيرته ، حاجة الطفل العربى إلى أدب جديد : أدب يحببه فى لغته ، ويتدرج به تبعا لسنه ، ويوقظ مواهبه واستعداداته ، ويغذى ميوله وطموحه ، وينتهى به إلى حب القراءة والمثابرة عليها .

ولهذا توفر على إنشاء « مكتبة الطفل » ثلاثين عاما ، كتب فيها ألف قصة ، نشر منها حتى الآن نحو ربعها .

وكم من أجيال وأجيال داخل المدارس وخارجها تأدبت بأدبه ، وتثقفت على يديه . وكأنى به إذ أنفق نصف عمره فى إنشاء « مكتبة الطفل » قد أنشأ جامعة كبرى . وكأنى به إذ أخرج للأطفال والشباب هذا الأدب السائغ الشائق قد أدرك أن ذلك العمل هو أجل عمل تخدم به لغتنا العربية .

وإذا كانت قصص « كامل كيلانى » — ما بين مؤلفة ومترجمة — قد حظيت بإقبال الأطفال عليها ؛ فما ذاك إلا لأن الكاتب كان يحسن اختيار موضوعاتها ، وينتزعها من صميم واقع الأطفال فى مراحلهم المختلفة ، ثم يظهرها فى أسلوب قصصى سهل ، محبب إلى النفوس .

كذلك تمتاز قصصه بتنوّع مغازيها ، من وطنية واجتماعية وعلمية وخلقية ودينية ، ومن قصص تستثير خيال الأطفال وتوقظ ملكاتهم ، وتحبب المخاطرة إلى قلوبهم ، وتعوّدهم خير العادات وأحسن الصفات .

ثم لا ينتهى فضل « كامل كيلانى » فى أدب الطفل عند هذا الحد ؛ فقد أثر فى كثير من الأدباء والمربين ، وأغراهم نجاحه إلى معالجة أدب الطفل والإنتاج فيه ؛ حتى صار للطفل - بفضل ريادته - مكتبة كبيرة ، يساهم فى بنائها وتغذيتها كثيرون من الكتاب والمربين .

* * *

وإن الدولة التى ترعى العلم فى هذا العهد رعاية جادة ، لا تدخر وسعا كل عام فى اقتناء المئات من كتب الأطفال والشباب لمكتبات المدارس .

وفى طليعة هذه الكتب : كتب « كامل كيلانى » ، اعترافا بقيمتها ونفعها .

وإنى لأهيب بأسرته فى هذه الذكرى أن تثابر مشكورة على نشر ما لم ينشر بعد من مئات القصص التى خلفها للأطفال والدهم الكبير ، وفاء بحق هذا الراحل الذى أفنى عمره من أجل العلم وإشاعته بين الناس ، وخدمة للطفل واللغة اللذين أحبهما والدهم أقصى غاية الحب .

وبعد ، فإن مكتبات مدارسنا وكثيرا من مكتبات بيوتنا تحفل بكتب « كامل كيلانى » للأطفال ، والأطفال يقبلون على قراءتها بشغف ، ويفيدون منها .

ولعل فى هذا أحسن تحية ، وخير باقة من الأزهار ، يقدمها الجميع : رجالا وأطفالا إلى رائد أدب الأطفال فى ذكراه الأولى .

رحم الله « كامل كيلانى » ، وطيب ثراه ، وأثابه بمقدار ما أسدى إلى العلم والأدب والطفل العربى فى كل مكان .

« كامل كيلانى » فى هذا الكتاب

تصدير : بقلم أنور الجندى

عاش « كامل كيلانى » حياة عريضة — وإن لم تكن طويلة — فإنه لم يكد يستهل العقد السابع ، حتى كان قد كشف له المرض عن خصومة عنيفة ، صبر لها « الكيلانى » كما صبر - من قبل - على عشرات الخصومات التى واجهته فى حياته الفكرية .

غير أن المرض لم يلبث أن اشتد عليه فى عامه الأخير ، وهو يغالبه بالعمل المتصل والصبر الجميل ، ويخفيه عن أحب الناس إليه !. فلما بلغ به مبلغه ، وعرف أنها النهاية ، كان ينتهز فرصة إفاقته من نوبات الألم ، فيقصد إلى بيوت أحبائه وأصفيائه ، يودّعهم .. ويراهم .. للمرة الأخيرة .

* وذات مساء : وقفت عربة أنيقة أمام منزلنا ، ودعيت إلى لقاء صاحبها .. وإذ بى أجده : هو ، ذلك الرجل الذى أحببته وعشت السنوات الثلاث الأخيرة - من حياته - قريبا منه ، أحدثه فى خلواته وندواته ، ويطول الاتصال فى المساء - عن طريق الهاتف - فيحدثنى والورق أمامى نخوض فى عشرات المسائل والأبحاث وزوايا التاريخ ، وأنا أدوّن الملاحظات .

ولقد دهشت لهذه الزيارة المفاجئة ، وأحببت أن يشرف منزلى ، غير أنه أصرّ على أن أركب بجواره ، وانطلقنا نشقّ طريقنا فى شارع الهرم ، حتى بلغنا جدار هرم « خوفو » فانتظرنا - عنده - لحظات فى غروب الشمس .. يحدثنى .. ويكشف لى عن ذات نفسه !

وقد بادرنى بقوله : ها أنا قد جئت لألقاك ، ما أدرى إن كنت سألقاك بعد اليوم ، فاسألنى ما بدا لك من أمر حياتى لبحثك الذى تعده » .

وهزّنى ما فاجأنى به ، كأنما يقول لى : هذا هو آخر لقـــاء . . لما كنت قد أمضيت ساعات فى الصباح فى « دار الكتب » فى ذلك اليوم أبحث فى مؤلفاته القديمة ، فقد ذكرت له كيف أن له (أرشيفا) كاملا أنيقا فى صواوين دار الكتب يضم كل قصصه ومؤلفاته .

هنالك بدا عليه ، السرور وتمنى أن يتاح له كتابة قصص أخرى أعـــدّ هياكلها ، قبل أن يفارق الحياة .

وكشف لى حديث الوداع عن حقـائق كثيرة نفعتنى ـ ولا تزال ـ فى دراساتى عن « الأدب العربى المعاصر » . إنها « الوديعة » التى يسرّ بها الأب إلى أحب أبنائه إليه .

ولقد كان ـ رحمه الله ـ حفيا بأن لا يخوض فى أمر أحد من الأدباء ، إنمـا كان يدلنى على مراجع من كتب وأحياء ، أستطيع أن أجد عندها ما أريد أن أصححه من تاريخ الفكر الحديث .

ولم يلبث « كامل كيلانى » أن غادر دنيـانا وعبر إلى العـالم الآخر وفجع جميع أحبائه باختصار الرحلة ؛ ولكنه كان فى الحق قد قدّم أعمالا ضخمة فى عالم القصة والنقد والشعر والصحافة والتحقيق العلمى . وكأنما كان ينهب الأرض مسرعا حتى يحقق أكبر قسط من الإنتـاج قبل أن يطويه الردى ، أو أنه كان يعلم من أمر عمره القصير فأراد أن يعوّضه .

ومات « الإنسان » وعاش « المفكر » ...

وترك تراثا ضخما !

وفيما أنا أفكر فى دراستى لرائد « أدب الطفـــل » ، إذ دق جرس الهاتف وكان المتحـــدث : « رشاد كامل كيلانى » الذى دعانى إلى تسلم « تراث » ضخم ، كان ذلك هو جذاذات وقصاصات وملفات وظروف مليئة بألوف الأوراق التى عشت وعاش معى « رشـــاد » عاما كاملا . . نقرأها . . ونرتبها . . ونراجعها لنخرج ذلك المجـــلد الضخم :

« كامل كيلانى فى مرآة التاريخ » .

* * *

لقد أردنا أن نقدّم صورة حية صادقة لـ « كامل كيلانى » من خلال تاريخ الجيـل كله ، صورة تضم النقـد والمدح على حد ســواء ، لم نمح حرفا واحداً ممـــا كتبه الـكتـاب فى قلب المعركة ، وقد كان هدفنـا أن لا تـكون الصورة مصطنعة ولا مزيفة .

وقد وجدنا عشرات الدراسات والأبحـاث لأعـلام الفـكر فى الجيل الذى عاشه « الـكيلانى » من أمثال : « محمد فريد وجدى » و « أمير بقطر » و « زكى مبارك » و « عبد المجيد نافع » و « محمد الهراوى » و « صادق عنبر » و « محمد على علوبة » و « ونجيب الهـلالى » و « محمود أبو العيـون » و « سيد إبراهيم » و « طه حسـين » و « خليل مطران » و « أنستاس الـكرملى » و « وإبراهيم دسوقى أباظة » و « حقى العظم » و « محمد الأسمر » و « صـديق شيبوب » و « محمد على غريب » و « وســـلامة موسى » و « المازنى » و « طاهر الطناحى » و « مختار الوكيل » و « وديع فلسطين » و « محمد مندور » و « بيرم التونسى » و « فارس الخورى » و « سامى العظم » و « أحمد سامح الخالدى » و « شكيب أرسلان » و « مصطفى عبد الرازق » و « محمد العشماوى » و « عبد الـكريم جرمانوس » و « محمد البشير الإبراهيمى » و « كارل نالينو » و « محمد خالد » و « محمد كامل حسين » و « أحمد الشرباصى »

و « طاهر أبو فاشا » و « عباس خضر » و « طه سرور » و « محمود الشرقاوى » و « أحمد حسين » و « يوسف الشارونى » و « شوقى أمين » و « ناصر الدين الأسد » و « العوضى الوكيل » و « أنيس منصور » و « ثروت أباظة » .

ومن الشعراء أمثال : « حليم دموس » و « أبو شادى » و « أحمد شوقى » و « محمود غنيم » و « محمود جبر » و « أبو الإقبال اليعقوبى » و « أحمد الزين » و « محمود أبو الوفا » و « حسن القاياتى » و « الماحى » و « نجيب هواوينى » .

وقد طالعنا مئات الرسائل التى كانت تصل إليه من جميع أنحاء البلاد التى تتكلم لغة الضاد ، وعشرات المقالات التى كتبتها صحف العالم العربى : الأهرام والسياسة والكشكول والمجلة الجديدة والوادى والبلاغ والإسلام والمقتطف ومنبر الشرق والبصير والمعرفة والحال والأسبوع والنيل ودمياط ومصر الفتاة والهلال والرسالة والزمان والرسالة الجديدة والاثنين والدنيا (ببيروت) وبيروت المساء (ببيروت) وصوت الشرق والإذاعة وجريدة نيويورك العربية ومجلة الجامعة الشعبية والإنذار والنداء والتربية الحديثة والعالم العربى والصباح والأخبار وصرخة العرب والجمهورية والمدينة المنورة ومجلة الأدب .

ومن بين المقالات والأبحاث العديدة ، اخترنا (١٦٥ بحثا) قسمناها على أبواب ستة ، هى :

(١) نقد الكتب .
(٢) دراسات أدبية .
(٣) آراء وأحاديث .
(٤) مكتبة الأطفال .
(٥) ندوة الكيلانى .
(٦) من رسائل أقطاب البيان .

كما اخترنا (٢١ قطعة) شعرية .

ثم ضممنا إلى ذلك باب (ما بعـــد الوفاة) ويضم المراثى وحفلات التأبين .

وهكذا يبدو كتاب « كامل كيلانى فى مرآة التاريخ » صورة صادقة للحياة الأدبية من خلال فترة بدأت بأقدم مقـــال فى (٥ / ٩ / ١٩٢٩) حتى وفاته فى (٩ / ٩ / ١٩٥٩) .. ثلاثون عاما كاملة ، عاش الرجل فيها حياة المفكر والناقد والصحفى والشاعر والقصصى ، وقدّم فيها إنتاجه الضخم .

ولايزال لدينا من « الحصاد » آثار أخرى لـ « كامل كيلانى » ستظهر فى مواسم ذكراه فى ميدان المقالة والشعر .. وهناك بحثه الضخم الرائع « المقابلات بين الأدبين : العربى والغربى » .

وهكذا يبدو كتابنا هذا فى صورة أخرى تختلف عن الكتب التى نشرت عن بعض الكتاب ، وحرصت على أن تصوّر جوانب المديح والتقريظ ، وتحاول أن ترسم صوراً فيها كثير من الافتعال ، وحجب بعض الحقائق والوقائع ؛ حتى تبدو الصورة بارعة . .

أما نحن فلدينا الجرأة أن نبرز الصورة كاملة ، مقدرين أمانة التاريخ الأدبى ؛ ذلك لأن جوانب حياة الرجل الضخمة لا يضيرها ولاينقص من قدرها أن وجهت إليه نقدات ، أو سجلت على أراءه ملاحظات .

فهذه صورة خالصة خالية من الافتعال لـ « كامل كيلانى » فى جيله ، يبدو من خلالها عملاقا ، فى خلقه وحياته وأدبه .

فهو الرجل الذى آمن بالعمل وعاش له ، وتنكب الدروب المطروقة ، وخلص إلى الطريق الطويل ، والعمل الأشقّ ؛ فأبدع لنا فنا جديداً غير مسبوق فيه ، له الآن عشرات من الرواد .

وهو الرجل الذى عمل صامتا ثلاثين عاما ، ويَعْدُ عن معارك السياسة والحزبية التى كانت ترفع وتؤلق وتعلى من أقدار دعاتها ، وعكف على عمله ، مؤمنا بقيمة العمل الخالص لله والوطن ، المبرإ من الهوى والغرض ؛ فلم ينصفه جيله ، وظلمه ظلما بينا .. فلم يثنه ذلك عن مواصلة العمل والجهد ، حتى قضى وهو يعمل ، وهو واثق من أن التاريخ سيضعه فى المكان الحق . .

واليوم يقوم على تراثه ابنه « رشاد » فيحمل اللواء ويسير فى الطريق ؛ ليكمل الرسالة ، ويحمى التراث وينشره ويذيعه ، مؤمنا برسالة والده العظيم .

وهنالك رجال أبرار أحاطوا رسالة « الكيلانى » وعمله بالوفاء ، أذكر منهم فى هذا المجال : الأستاذ « محمد شوقى أمين » .

وبعد : فهذا « كامل كيلانى » فى إهاب صورة صادقة أمينة ، نقدمها إلى أهل الفكر ، ونحن نتطلع إلى الغد ..

إلى يوم قريب ، نوفى فيه لـ « كامل كيلانى » حقه كاملا ، ونكتب عنه دراسات خصبة ، تصوّر مكانه الحق فى أدبنا المعاصر ، وننشر إنتاجه الذى مازال مطويا ومخطوطا يترقب الفرصة ، ويتطلع إلى الضياء .

رحمه الله رحمة واسعة ، جزاء ما قدم للفكر العربى من عمل خالد ؟

الهرم فى ١٩ ربيع الأول ١٣٨١
٢٤ سبتمبر ١٩٦١

أنور الجندى

أبى كما عرفته[1]

بقلم : رشاد كيلانى

سادتى :

فيم دعوتمونى إلى هذه المنصة الرفيعة التى تعاقب عليها منكم أمراء فى دولة البيان ؟

أتراكم دعوتمونى طوعا للعرف المتبوع فى حفلات التأبين ، إذ يختمها خاتم بكلمة يعرب فيها عن واجب الشكر لمن سعى ليقول ؛ ومن سعى ليسمع ؟

يقينى أن هذا المعنى ما دار لأحد منكم بخلد ، ولا وقع منه ببال . فأنتم فى حصافة عقولكم ، وسمو مداركم ، أذكى من أن ترضوا لأنفسكم إسداء جوهر من الوفاء النبيل ، لكى تتقاضوا لقاءه قشورا من شكر زهيد !

وما كنت ليسوغ لى أن أعمد إلى ذلك الإشراق الروحانى الذى تجلى فى حفلكم النيّر ، فأشوب صفاءه أو أطمس بهاءه ، بشكر ينزل بفكرته السامية إلى ذلك المستوى الذى يتبادل فيه الناس مجاملاتهم المألوفة ، من ثناء جميل ، يقابل بالشكر الجزيل !

وفى معتقدى أنكم ما تفضلتم بدعوتى ، إلا بوحى من عاطفة عميقة وشعور رهيف ، إذ تلتمسون أن تأنسوا فى شخصى وفى صوتى نسمة ترطب حنينكم إلى من عزّ عليكم أن يغيب عنكم شخصه ، ويسكت بينكم صوته : إلى والدى « كامل كيلانى » الذى اجتمعتم اليوم ، لتناجوا ذكراه ، بأكرم ما يناجى به الأحياء من رحل عنهم من الأعزاء .

(١) كلمة ألقاها نجل الفقيد فى إحدى حفلات التأبين .

إن « كامل كيلانى » الذى لم يكن مفتونا بنفسه ، ولم يكن مزهواً بمدح يقال فيه ، ليرى فى حفلكم هذا ، وفيما زخر به من روائع البيان ، رمزا تقرّ به عينه ، ومظهراً تطمئن إليه روحه ، فأنتم نخبة من الأدباء تلاقيتم اليوم ، وقد استشرفت نفوسكم لهدف إنسانى كريم ، ووحد بين مشاعركم مثل خلقى رفيع .

وقد كان أقصى أمانى « كامل كيلانى » أن يترابط الأدباء ، وأن تتلاقى كلمتهم على الأهداف الكريمة والمثل العليا . فمنذ ثلاثين عاما دعا إلى إنشاء « رابطة الأدب الجديد » فى القاهرة ، وعمل على أن تنمو وتزدهر ، دون أن يدخر فى ذلك غاية الوسع . وقد كان حريصا كل الحرص على أن يقتطع من أمسياته أطيب أوقاته ، لتلك الندوة التى عرفت باسمه ، إذ يلتقى فيها بإخوانه الأدباء ، ليحيي بهم مجالس الأدب التى تغنى بها تاريخ الحضارة العربية فى أزهى العصور .

وما إخاله اليوم — فى رحاب ربه — إلا سعيداً أيما سعادة بأن ذكراه فى هذه الدنيا ، قد مدّت خيوطا متينة ، يترابط بها الأدباء ، ويتلاقون ، على خير ، ما يكون الإخاء ، والوفاء والصفاء .

أيها السادة :

صدقونى إذا جاهرتكم بأنه كان يطيب لى فى بعض الفترات أن أنظر إلى « كامل كيلانى » على أنه أديب من الأدباء ، لا تصلنى به قرابة الابن من أبيه ؛ إذ بهرتنى الأضواء المنبعثة من شخصيته ، فخشيت أن يكون لذلك الانتساب البنوى إليه أثر فيما بهرنى من تلك الأضواء .

قلت لنفسى : إن « كامل كيلانى » خليق أن يحار فى شأنه التاريخ ، فما يدرى : أمؤلف هو أم مترجم ؟ أمؤرخ هو أم أديب ؟ أباحث محقق هو أم فنان منشئ ؟ أكاتب هو أم قصاص ؟ أمحافظ هو أم متحرر ؟ أجديد هو أم قديم ؟ أواحد هو من أولئك ؛ أم هو كل أولئك جميعاً ؟

لقد ترجم صفوة من قصص الغرب ، ولقد صوّر جملة من مصارع الخلفاء والأعيان ، ولقد درس تاريخ الأدب الأندلسى ، ولقد حقق ديوان ابن الرومى ،وابن زيدون ، كما حقق درة « أبي العلاء » : رسالة الغفران » ، إلى طائفة من غرر رسائله ، ولقد كتب البحوث الضافية والدراسات المستفيضة فى مختلف ألوان الأدب ، ولقد خصّ الناشئين بمكتبة قصصية كانت فتحاً جديداً فى لغة الضاد .

أيكون « كامل كيلانى » قد أسرف على نفسه ، إذ شتت جهده ، ولم يختص بفن يتفرغ له ، فلا يعدوه إلى غيره ؟

أما أنه أسرف على نفسه ، فحق .

وأما أنه شتت جهده ، فمسألة — كما يقولون — فيها نظر !

إن فكرة واحدة استبدت بـ « كامل كيلانى » منذ حمل القلم ، فبعثته هذه الفكرة على أن يتعدد جهده ويتشعب ، بين تأليف وتحقيق ، وتأريخ وترجمة وإنشاء .

مفتاح هذه الفكرة يتوضح فى كلمة مضى على كتابته إياها ، قرابة أربعين سنة ، إذ قال فى إهداء « رسالة الغفران » :

« إلى الشباب المفكر الذى أدرك حقيقة الأدب الحىّ ؛ وعرف قيمته وأثره فى إحياء النفوس وإنهاض الشعوب .

إلى الشباب المفكر الذى اطلع على الآداب الغربية ، فسحرته أنغامها العديدة ، وهاله خضمها الزاخر ، الجياش بشتى إحساسات الحياة ، وخوالجها ومثلها الرفيعة .. وعطف على الآداب العربية ؛ فأحرج صدره ما فيها من الخلط وسوء الاختيار ، فعزف عنها ، مزدريا ناقما - وله بعض العذر - واندفع متهافتا على الأدب الغربى ، الذى وجد فيه لكل خالجة وتراً تشجيه أنغامه ، وتملأ فراغ نفسه ، وتحلق به فى أسمى ملكوت تطمح إليه .

إلى هذه الفئة من الشباب أقدم هذا الكتاب الذى أرى فيه فنا من الأدب العالى ، أجرؤ فأزعم - لا متحمسا للغتنا ، ولا متعصبا لآدابنا ، ولا مجازفا فى زعمى - أنه لا يقلّ عن أجلّ أثر أخرجه أكبر رأس غربى مفكر ... »

لقد آمن « كامل كيلانى » بحقيقة الأدب الحى ، واتسع أفقه لهذا الإيمان فى أدب الشرق والغرب على السواء ، وهاله أن ينكر المنكرون فضل الأدب العربى وما فيه من حيوية وروعة ، فألزم نفسه التبشير بما آمن به ، وبذل جهده فى الدعوة إليه ، وتفنن فى اتخاذ وسائل التقريب والتيسير لذلك التراث العربى الذى غمطه المحدثون فضله ، وجحدوه حقه ، وازوروا عنه أشد الازورار !

عالج « كامل كيلانى » أن يحبب إلى المحدثين تاريخنا العربى ، فجلاه فى صور أخاذة . وعالج أن يحبب إليهم أدبنا العربى ، فعنى بتحقيق ما حقق من بدائع الشعر والنثر ، وأبى إلا أن يمد اللغة العربية بلون جديد ، فترجم ما راقه من قصص غربى شائق .

وإذا هو يتبين علة الانكماش عن الثقافة العربية ، والضيق بما فيها من نفائس ، وما تلك العلة إلا أن النشء لم يؤهل فى مراحل تعليمه الأولى بما يمكنه من الاستمتاع بتلك النفائس التى تحتويها ثقافة العرب ،

وهنا سمت همة « كامل كيلانى » إلى إنشاء تلك المكتبة القصصية التى خصّ بها الناشئين ، وأودعها روائع القصص والأساطير من قطوف الشرق والغرب ، وأراد بها أن تكون أسسا قويمة لبناء جيل جديد لا يستعصى عليه فى مستقبله أن يستمرئ ألوان الأدب العربى الرفيع ، وفنون الثقافة العربية الأصيلة .

وهكذا نرى « كامل كيلانى » : الباحث ، المترجم ، المحقق ، المؤلف ، صاحب المكتبة الخاصة بتنشئة الطفل ، تصدر جهوده كلها عن فكرة واحدة ، هى تقويم نهضتنا الثقافية بإحياء الأدب العربى ، وإعداد الجيل الجديد للاستمتاع بما فى هذا الأدب من ذخائر وكنوز .. وما تلك الجهود إلا أسلحة متعددة كان يبغى بها كسب المعركة ، لكى يتحقق له ذلك الأمل الكبير .

أيها السادة :

لقد غاب عنا « كامل كيلانى » .. ولست أرضى إلا كلمة « الغياب » أعبر بها عما حدث ، فإن « كامل كيلانى » يحيا فى كتبه المتداولة حياة نافعة موصولة ، وإنه كذلك يحيا فى نفوس عارفيه حياة معنوية كريمة .

سلام عليه من غائب لن يعود ...

بل سلام عليه من حيّ لن يفوته الخلود ! !

كامل كيلانى

«وقائع حياته»

* ولد فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٩٧ بحى القلعة بالقاهرة فى منزل يطل على جبل المقطم . أبوه الشيخ كيلانى إبراهيم كيلانى ، يتصل نسبة بالشيخ عبد القادر الكيلانى (الجيلانى) . وكان والده أشهر مهندس فى عصره .

* حفظ القرآن الكريم فى المكتب ، ثم اتجه إلى المدرسة فدخل مدرسة أم عباس ١٩٠٧ . أدمن حفظ الشعر ، ثم انتقل إلى مدرسة القاهرة الثانوية ونال شهادة البكالوريا وعكف على دراسة الأدب الإنجليزى ، ثم تعلم الفرنسية وانتسب إلى الجامعة المصرية القديمة من ١٩١٧ إلى ١٩٣٠ كما حضر دروسا فى الأزهر الشريف حيث أجاد النحو والصرف والمنطق .

* اشتغل بالتدريس فى المدرسة التحضيرية حيث كان يعلم الإنجليزية والترجمة

* نقل مدرسا فى مدرسة الأقباط الثانوية بدمنهور سنه ١٩٢٠ . ثم وظف فى وزارة الأوقاف ١٩٢٢ فبقى بها حتى يناير ١٩٥٤ وكان آخر مناصبه سكرتير مجلس الأوقاف الأعلى .

* عمل بالصحافة ، فاشتغل رئيسا لتحرير جريدة الرجاء سنة ١٩٢٢ ورئيسا لنادى التمثيل الحديث سنة ١٩١٨ وسكرتيراً لرابطة الأدب العربى من ١٩٢٩ إلى ١٩٣٢ .

* بدأ حياته بأربعة أعمال كبرى : النقد الأدبى ، وتأديب التاريخ ، والترجمة ، وتحقيق الأعمال الأدبية الكبرى ؛ فكتب مصارع الخلفاء ومصارع الأعيان ، وحقق رسالة الغفران وشرح ديوان ابن الرومى . وترجم الأدب الأندلسى ، ونظرات فى تاريخ الإسلام ، وروائع من قصص الغرب وفن الكتابة وموازين النقـــد الأدبى ، وكتب فى الرحلة : ذكريات الأقطار الشقيقة .

* التفت إلى فن « أدب الطفل » ، فكان رائد قصة الطفل من أول تعليمه الابتدائى إلى الدراسة الجامعية ، فى حلقات متوالية تتناسب مع سنه وتدرجه . فكتب (ألف قصة) طبع منها فى حياته (مائتى قصة) ، ونشر خليفته وحامل لواء تراثه ابنه : الأستاذ « رشاد كيلانى » أكثر من (خمسين قصة) . . ومازال يواصل النشر . . .

* عاش كامل كيلانى ٦٢ عاما وترك ذرية من الأبنـــاء هم : مصطفى وكمال ورشاد وأمين وسيدة كريمة .

* توفى فى ٩ من أكتوبر ١٩٥٩ ،وشيعت جنازته يوم ١٠ أكتوبر فى مشهد رهيب سار فيه عشرات من أهل العلم والفكر ، وكتب عنه أكثر من خمسين بحثا ودراسة ، وأقيمت له حفلة تأبين كبرى .

نقد الكتب

« من حق الناس أن ينقدونى . . . »
كامل كيلانى



عاش كامل كيلانى حياة فكرية خصبة منوعة . وكانت آثاره الفكرية موضع التقدير والنقد والجدل . وكان النقاد فى هذه الفترة يواجهون الآثار الأدبية التى تصدر بأقلام مستعدة للنزال والعراك .

وكان كامل كيلانى يؤمن بالعمل الإيجابى للبناء وحده ؛ فكان يصرف وقته كله فى الإنتاج ، ثم يدفع إلى المطبعة بكتبه الواحد بعد الآخر ويدعها تحيا كأنها شخوص حقيقية ؛ ولذلك كان هذا الفصل — فى مجموعه — يمثل المقالات النقدية التى كتبها الأدباء عن آثاره فى هذه الفترة ؛ وقد رأينا إيرادها كاملة لنجعلها مرجعا صادقا لدراسة الكاتب من خلالها ، ودراسة أدب الفترة كله على الوجه الصحيح ، دون تزييف أو افتعال .

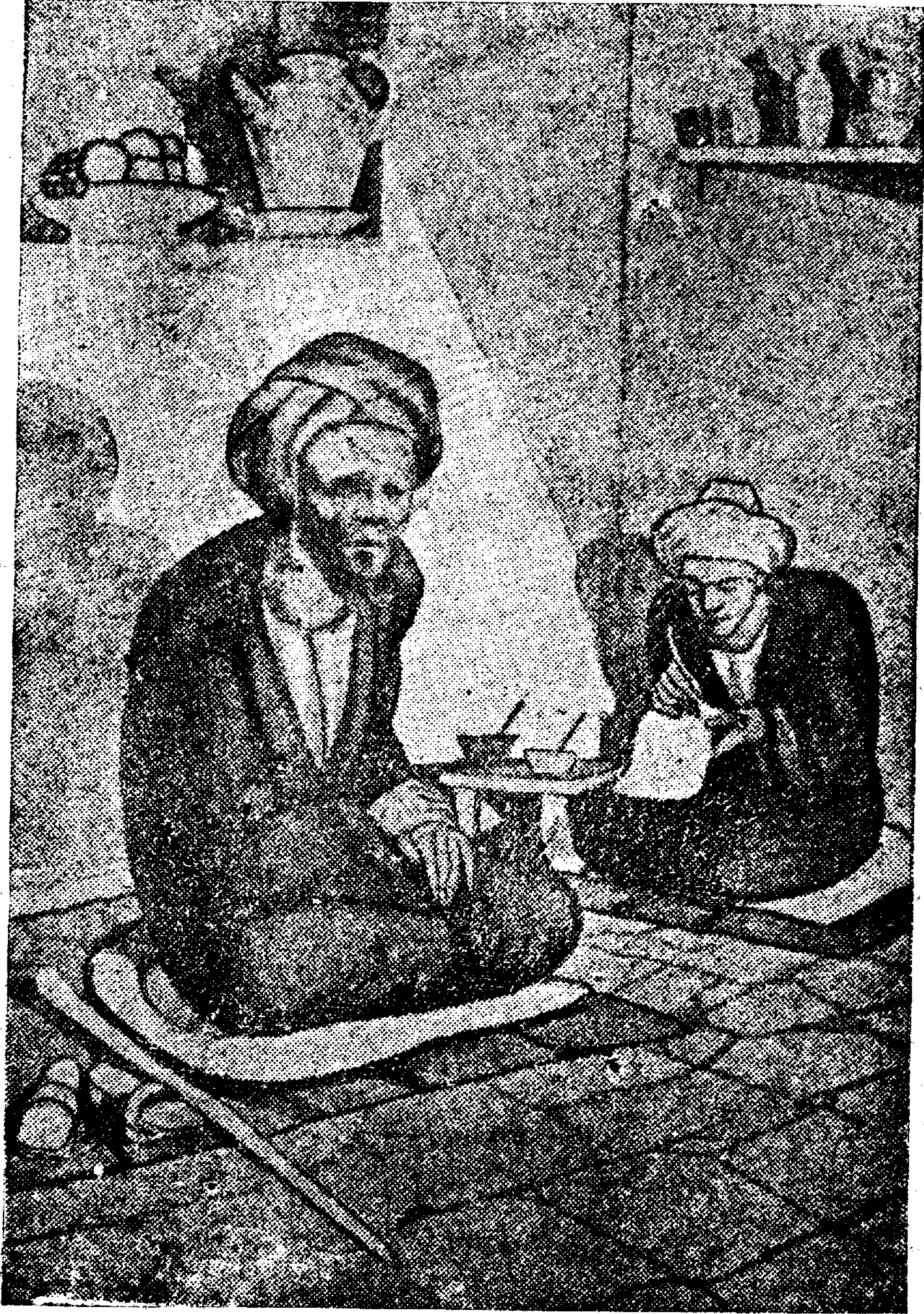
وقد أصدر كامل كيلانى فى الفترة بين عام ١٩٢٨ وعام ١٩٤٦ عدداً من المؤلفات ، تناول الكتاب منها بالنقد :

« مصارع الخلفاء » و « مختار القصص » و « روائع من قصص الغرب » و « ملوك الطوائف » و « فن الكتابة » و « حديقة أبى العلاء » .

وكذلك « رسالة الغفران » وديوانى : « ابن الرومى » و « ابن زيدون » .

وهذه هى الفصول كاملة مرقمة بتاريخ ظهورها والصحف التى ظهرت بها .

* بين الكيلانى وأبى العلاء : طه حسين
* لماذا اختصر الكيلانى رسالة الغفران : محمد فريد وجدى
* مصارع الخلفاء : « جريدة السياسة » ٣/١٠/١٩٢٩
* مختار القصص : الأستاذ محمد أمين هلال ١٩٣٠
* « « : محمد أحمد البحراوى «العصور» ٥/٩/١٩٢٩
* ديوان ابن الرومى : الراديو (١ و ٢) ٣١/٦/١٩٣١
* ديوان ابن زيدون : محمد خالد الأهرام ٢٩/٨/١٩٣٢
* روائع من قصص الغرب : محمود عصمت (السياسة) ١٦/٣/١٩٣٤
: عطية فهمى شاهين (الحال) ١٩/٣/١٩٣٤
: على أحمد عامر (الكشكول) ٨/٦/١٩٣٤
* ملوك الطوائف : محمود عصمت (السياسة) ١٥/٦/١٩٣٤
: سيد قطب (الأهرام) ٢٧/٦/١٩٣٤
: محمد كامل حسين (الوادى) ٢/٧/١٩٣٤
: عباس حسان خضر (البلاغ) ٨/٧/١٩٣٤
: طه عبد الباقى سرور (كوكب الشرق) ١٩٣٤
: محمد أمين هلال (البلاغ) ٢٥/٩/١٩٣٤
: طه سرور (الإسلام) ٢٠/٩/١٩٣٤
: محرر المقتطف أكتوبر ١٩٣٤
: محمد عبد السلام القبانى (البلاغ) ١٣/١٠/١٩٣٤
: محمود الشرقاوى (البلاغ) ٢١/١٠/١٩٣٤
* فن الكتابة : محمود عصمت (الحال) ٢٨/٥/١٩٣٤
* رسالة الغفران : « جريدة الأهرام » ١١/٧/١٩٣٨
* حديقة أبى العلاء : وديع فلسطين «منبر الشرق» ١١/١/١٩٤٦



«أبو العلاء المعرى» كما تخيله «كامل كيلانى»

كامل كيلانى وأبو العلاء

بقلم الدكتور طه حسين

حقق كامل كيلانى «رسالة الغفران»، فشرح كلماتها وضبط ألفاظها، وعلق على كثير من هوامشها بما يجعلها قريبة التناول، وكان ذلك عام ١٩٢٣ . وقد لقيت رواجاً عجيباً، مما حمله على إعادة طبعها عام ١٩٢٥ مزيدة ومنقحة، كما أعاد طبعها عام ١٩٣٦ .

وقد نشرت كلمة الدكتور طه حسين فى الطبعة الثانية والثالثة .

أعود اليوم إلى الكتابة عن «أبى العلاء» بعد عشر سنين مضت على درسى له، وكتابتى عنه .

وأشعر بأن ذلك الدرس وتلك الكتابة محتاجان إلى شىء كثير جداً من الإصلاح والتنقيح، ومن الإضافة والتفصيل : ولكنى أعترف أيضاً بأن رأيى فى الرجل لم يتغير، بل بأنى كلما قرأت «أبا العلاء» ازددت يقيناً برأيى فيه وحكمى عليه، وتحققت أن كثيراً من نواحيه الأدبية والفلسفية قد فاتتنى، أو عميت علىّ، حين كنت أقرؤه منذ عشر سنين . وإن رجلا واحداً مهما يكن قوياً، ماهراً فى البحث، متقناً له، لن يستطيع أن يتفهم وحده «أبا العلاء» ويظهر الناس على دخيلة نفسه، وعلى وجوه مذاهبه فى الأدب والفلسفة، وغيرهما من فروع الحياة المختلفة للعقل والشعور .

ليس ذلك بالشىء اليسير لرجل واحد، بل لابد من أن يتعاون عليه رجال مختلفون، كلهم قوىّ فى مادة من مواد العلم، وكلهم ماهر فى منهج من مناهج البحث .

يجب أن يفرغ الأدباء المجودون لأدب «أبى العلاء»، ويجب أن يفرغ الفلاسفة المتقنون لفلسفة أبى العلاء، ويجب أن يتقسم الأدباء — فيما بينهم —

---

(١) مقدمة رسالة الغفران : طبعة ١٩٢٥

أدب « أبى العلاء » ؛ فيفرغ قوم لشعره العادى ، وآخرون لشعره الفلسفى ، ويفرغ قوم لنثره العادى ، وآخرون لنثره الفلسفى .

ويجب أن يتقسم الفلاسفة فلسفة « أبى العلاء » ، فيفرغ قوم لفلسفته الدينية ، وآخرون لفلسفته النفسية والخلقية والاجتماعية ، وآخرون لفلسفته الطبيعية .. وهلم جرا ...

ثم يجب أن يفرغ علماء النحو واللغة لعلم « أبى العلاء » بالنحو واللغة وما يتصل بهما . وعلى هذه القاعدة يستطيع كل هؤلاء الباحثين أن يخلصوا من درس « أبى العلاء » إلى نتائج — إن لم تكن مقنعة مزيلة للشك — فهى مرضية مشجعة على الأمل .

ولست أدرى: أيتاح لـ « أبى العلاء » نفر من الأدباء والعلماء والفلاسفة يفرغون لدرس أدبه وعلمه وفلسفته على هذا الوجه الذى أشرت إليه ؟

ولكنى أعلم أن هناك شيئا أغتبط به ، وأظن أن الذين يحبون « أبا العلاء » سيغتبطون به أيضاً ، وهو أن الناس قد بدءوا يعنون بأدب « أبى العلاء » عناية جديدة قيمة ، لم يكن لهم بها عهد قبل هذا العصر الذى نحن فيه : بدءوا يقرءونه ، ويتفهمونه ويتساءلون عن آرائه وأغراضه ووجه الصواب فى فلسفته ، وبدءوا يستبقون إلى كل ما يكتب عنه ويقال فيه ، فهم ظامئون حقا إلى درس «أبى العلاء» وفهمه .

وإذا أحس الجمهور حاجة من الحاجات العقلية ، فهو واجد — اليوم أو غداً أو بعد غد — من الباحثين من يرضى هذه الحاجة ويشفيها ، وقد بدأ الجمهور الظمىء إلى فهم «أبى العلاء» يجد من ينقع غلته ، ويرضى حاجته ويعينه على فهم « أبى العلاء » ؛ فأخذ كتاب يدرسون الرجل ، وينشرون آراءه ، ويتفقهون فى تفسيره وتحليله ، والخير كل الخير أن بعض الكتاب والباحثين أخذوا يدرسونه على الوجه المنتج النافع ؛ فلا يتناولونه من كل وجه ولا يعمدون إليه من كل ناحية ، ولا يطمعون فى أن يدرسوه كله أو يفسروه

كله ، وإنما يتناولون وجها واحدا من وجوهه ، ونحوا واحدا من أنحائه ؛ فيدرسونه الدرس المفصل الجديد ، ويخرجون نتيجة هذا الدرس للناس سهلة سائغة ، بل محببة لذيذة .

* * *

أكتب هذا وبين يدى طبعة لـ « رسالة الغفران » أذاعها « كامل كيلانى » منذ حين ، أكتبه وأنا أعلم أن هذه الطبعة قد ذاعت واستبق إليها الناس استباقا لم يكن منتظرا ولا مرجوا ، فأغتبط للطبعة نفسها وعناية « كامل » بها ، ثم أغتبط لما ظفر به من التشجيع على هذا الجد وهذه العناية ، ثم أغتبط لأن روح « أبى العلاء » وفلسفته ومناهجه فى الفهم والتفكير ، قد أخذت تتغلغل فى طبقات المستنيرين من أهل الشرق العربى ، وليس هذا بالشىء القليل ، وما أشك فى أنه سينتج آثاره الحسنة بعد حين ، وسيعرف الناس — بعد حين — « أبا العلاء » ، وسيتعاونون على فهمه ، وستنشأ فى هذا الشرق العربى — حول اسم « أبى العلاء » وآثاره — الجماعات الأدبية والفلسفية ، على نحو هذه الجماعات التى تنشأ فى « أوروبا » حول أسماء النابغين وآثارهم .

أغتبط بهذا كله ، وأنتظر آثاره ونتائجه .

* * *

على أنى لم أتعود الإسراف فى المدح ، ولا أريد أن أعود الناس منى هذه الخصلة ، وإنما تعودت القسوة فى النقد ، وتعودها الناس منى ، ولست أخالف هذه العادة فى هذه الكلمة .

فأنا أثنى على هذه الطبعة التى قرأتها ، ولكنى لا أطلق الثناء إطلاقا ولا أرسله إلى غير حد ، وإنما أريد أن أعرف لصديق « كامل » عمله وعنايته — دون مبالغة ولا إسراف — وأحسبه لا يطمع منى فى مبالغة ولا إسراف ، فهو لم يذع من « رسالة الغفران » طبعة علمية نقدية ، على نحو ما يذيع العلماء الأوربيون من آثار القدماء — وإن كان قد مهد لذلك تمهيداً حسنا بما تراه فى الجزء الثانى — وإنما قصد إلى شىء آخر يخالفه كل المخالفة .

* * *

أراد أن يخدم «أبا العلاء» فيذيع آراءه، وأراد أن يخدم هذا الجيل فيظهره على آراء «أبي العلاء». وليس هذا بالشيء الهين، فليس فهم «أبي العلاء» مقدوراً لمن أحسن القراءة والكتابة، وليس فهم «أبي العلاء» مقدوراً لمن ألم بأطراف من النحو والأدب والفلسفة، وإنما فهم «أبي العلاء» مقدور — في عسر وشدة — لمن أتقنوا أدب العرب وفلسفتهم، وألموا بمناهج البحث الحديث.

وهؤلاء ليسوا كثيرين في الشرق العربي، ولعل إحصاءهم أيسر شيء: قليلون هم جداً، لا يستحقون أن تعنى بهم عناية تكلفك الوقت والقوة والمال، فأنت واثق بأن عملك — على نفعه وجلال خطره — لن ينتهي إلى ما تريد من خير. ولو أنك أردت أن تعنى بهؤلاء فتدرس لهم درسا علميا دقيقاً صحيحا، لكان من الحق عليك أن تتجنب الطبعات المستقلة التي تكلفك مالا — لن يردّ إليك — وأن تكتفي بالمحاضرات، يشهدها نفر قليل، أو بمقالات تنشرها — فيما يسمونه — المجلات والصحف الدورية، وأنت تثق بأن قراءها لن يتجاوزوا عدد أصابع اليد.

* * *

لم يعن «كامل» بهؤلاء، وإنما عنى بغيرهم من المستنيرين في الشرق العربي، وهم كثيرون، تختلف حظوظهم من العلم وإتقانه؛ ولكنهم يشتركون جميعاً في العجز عن فهم «أبي العلاء»، إذا لم يسهل لهم تسهيلا وييسر لهم تيسيراً، ولا سيما «رسالة الغفران» هذه: فلست أعرف في الآداب العربية كلها (لا أستثني من ذلك شيئاً) أثراً يعدلها ثروة وخصباً وفلسفة، كما أني لست أعرف في الآداب العربية كلها أثراً يعدلها صعوبة وعسراً وغموضاً.

هي كنز نفيس، ولكن قامت دونه ألوان الصعوبات وضروب المشاق التي لاحد لها، وأنا أزعم أن الذين يستطيعون أن يبدءوا قراءة هذا الكتاب ثم يستطيعون أن يمضوا فيه إلى ثلثه أو نصفه قليلون جداً.

ذلك أن «أبا العلاء» كان — كما تعلم — من أشد الناس إيثاراً للغريب

وتهالكا عليه . ثم كان «أبو العلاء» إلى هذا — فيما أعتقد أنا — يتكلف الغريب ويتعمده ، ليصدّ عامة الناس وجهالهم (سواء فى ذلك العلماء وغير العلماء) عن قراءته ، والظهور على ما فيه .

وكأن « أبا العلاء » كان لا يكتب لعصره ، وكأنه كان يحس أن عصره خليق ألا يكتب له ، وكأنه كان يكتب لهذا العصر الحديث الذى نحن فيه وللعصور التى ستليه ، وكأنه كان يخشى على آثاره الأدبية أن يفهمها أهل زمانه فيفسدوها ويشوهوها ويحولوا بيننا وبين فهمها ، وكأنه إنما أقام من الغريب وقواعد النحو والصرف والعروض والقافية طلاسم وأرصادا ، شغل بها أهل عصره عن هذا الكنز : حتى لا يصلوا إليه ، وحتى تسلم لنا — نحن — خلاصته ، فنترك للقدماء نحوهم وصرفهم وغريبهم وعروضهم وقوافيهم ، ونفرغ لخلاصة هذا الكنز من فلسفة فى الخلق والجماعة والدين .

* * *

وإلا فكيف تستطيع أن تفسر هذا الإغراب الذى لم يكن يدعو إليه شىء إلا خصلة واحدة — «أبو العلاء» أبعد الناس عنها وأقلهم منها حظًّا — وهى خصلة الغرور والإعجاب بالنفس ! نعم ، الرجل المغرور وحده ، الرجل الذى يريد أن يظهر الناس على أنه أعلمهم باللغة ، وأرواهم للغريب ، وأحفظهم للنادرة ، وأفقههم بضروب العلم ، هذا الرجل وحده يتكلف ما تكلفه « أبو العلاء » من الإغراب ، والإسراف فى الإغراب ، ونحن نعلم علماً — لا شك فيه — أن أبا العلاء كان أشد الناس تواضعاً ، وأعظمهم زهداً فى ثناء ، وأقلهم حظاً من غرور .

* * *

فهو إذن لم يرد أن يثنى عليه ابن القارح ، ولا أمثال ابن القارح ، بما فى هذه الرسالة من علم وأدب ومن غريب ودرة . و أحسب (أستغفر الله) بل أثق بأن أبا العلاء إنما أراد أن يسخر من ابن القارح وأمثال ابن القارح ، وأن يلهيهم عن نفسه ورأيه وفلسفته بما كانوا يتهالكون عليه من نحو وصرف

وعروض وقافية وغريب ونادرة ودين ، فحشا لهم الرسالة حشواً من هذا كله ، ولكن دون هذا كله مالم يفقهه القوم ولم يفطنوا له ، ولو فقهوه وفطنوا له لكان لـ « أبي العلاء » شأن غير شأنه ، ولكان لهم شأن غير شأنهم أيضاً .

* * *

نعم ، مر « أبو العلاء » فى عصره ولم يفهم الناس منه شيئاً ، فهموا قشره وجهلوا لبه ، فهموا منه ماكانوا يفهمون من « ابن خالويه » و « أبى على الفارسى » وغيرهما من الرواة والنحويين ، فهموا منه اللغة والأدب والنحو وما يتصل بذلك ، ولم يفهموا شيئاً آخر .

أليس عجيباً أن الذين كانوا يقرءون « اللزوميات » ويروونها ، إنما كان يعجبهم منها ما فيها من غريب وإغراب ! ولولا أبيات فيها صريحة لا تحتاج إلى تأويل ، لما التفت أحد إلى أن للرجل آراء فى الفلسفة أو فى الدين !

أليس غريباً أن كتاباً كـ (رسالة الغفران) ينشر أيام « أبى العلاء » ، فلا يحدث ثورة فى الرأى ولا اضطراباً فى العقيدة ، بل ولا حركة فى الأدب ! وإنما يتلقاه الناس على أنه أثر من هذه الآثار اللفظية ، فيه غريب وسجع ورواية وما يشبه ذلك مما كانوا يحبون ويألفون !

* * *

قلت ، ومازلت أقول ، إن « أبا العلاء » لم يكتب لعصره ، وإنما سخر من عصره وازدراه ، وإن عصره لم يفهمه ولم يشعر به ، وإنما رأى فيه عالماً من العلماء ، وأستاذاً من الأساتذة ، لا أكثر ولا أقل .

فأما الذين كتب لهم أن يفهموا « أبا العلاء » ويقدروه ، فهم أهل هذا الجيل ، والذين سيأتون من بعدهم .

* * *

وكيف يستطيع أهل هذا الجيل أن يفهموا أبا العلاء ، إذا لم يعمد القادرون إلى هذه الطلاسم والأرصاد ؛ فيزيلوها : كلها أو بعضها ! فأهل هذا الجيل ، مع الأسف الشديد ، لم يدرسوا « رؤبة » ولا « العجاج »

ولا أمثالها ، وهم ضعاف كل الضعف إذا عرضت لهم هذه الألفاظ التى اعتادها « أبو العلاء » ، فكيف إذا عرضت لهم هذه الألفاظ التى تكلفها !

لم يكن بد من أن تنشر عليهم رسالة الغفران صورة سهلة سائغة ، وهى التى نشرها « كامل » ، فلم يكره أن ينالها بشىء من الحذف والاقتضاب لا يغير أغراضها ولا يؤثر فى أصلها ولا فى صورتها ، وإنما يزيل عنها بعض هذه الطلاسم والأرصاد التى أشرت إليها !

وهو إن ساء طائفة النقاد الإخصائيين فى البحث اللغوى والأدبى ، فلا أشك فى أنه يسرّ غيرهم من جمهور المتأدبين والمستنيرين .

ولكن ما « رسالة الغفران » هذه ؟

لقد حدثتك عنها كثيراً — دون أن ألم بها إلماماً — وكيف أستطيع أن ألم بها ، وهى فى حاجة إلى كتاب خاص يفرد لها إفراداً .

« رسالة الغفران » هى آية الأدب العربى المنثور ، لا من حيث أنها آية فى البلاغة أو الفصاحة اللفظية ، ولا من حيث أنها مثل ينبغى أن يحتذيه الكتاب ويتأثره المقلدون . ليس حظها من هذا كله عظيما : بل أنا أكره أن يكتب الناس اليوم كما كتب « أبو العلاء » فى « رسالة الغفران » ، وهى — مع ذلك كله — آية الأدب العربى ، لا أستثنى منه شيئا ، لا أستثنى منه شعراً ولا نثراً ، ولا أستثنى منه قديما ولا حديثا ، لا أستثنى منه شيئاً ما .

هى آية الأدب العــــربى ، كما أن صاحبها آية كتاب العرب . هى آية التفكير العربى ، هى آية الخيال العربى ، هى آية السخرية العربية ، هى آية الحرية العربية ، هى آية العرب فى هذا كله .

لا أغلو فى ذلك ولا أسرف ، بل أعترف بأنى دون ما أريد .

* * *

شبهها قوم بحديث « دانت » ، وربما وفقوا فى هذا التشبيه . وزعم قوم أن « دانت » تأثر بها فى حديثه ، ولعلهم قاربوا الصواب فى هذا الزعم : ولكن

هذا كله لا يعنيني الآن ، وإنما يعنيني حين أضع كتابا خاصاً لدرس هذه الرسالة درسا علميا . كل هذا لا يعنيني الآن، وإنما الذى يعنيني أن أحدا من كتاب العرب وشعرائهم لم يسبق « أبا العلاء » إلى هذا الفن من الكتابة والفهم والخيال ولم يلحقه فيه ، وإنما انفرد به «أبو العلاء» انفرادا فى كل هذه الآداب وفى كل هذه الحضارات التى عاشت هذه القرون المتصلة ، وأزهرت فيها هـــذا الإزهار الغريب .

نعم ، «رسالة الغفران » هى آية الأدب العربى من هذه الجهات كلها : قصة غريبة لا تقع فى الأرض وإنما تقع فى السماء ، وليس الغرض منها الفكاهة وحدها ولا النقد وحده . وليس الغرض منها كفراً ولا إيمانا ، وإنما هذا كله هو الغرض من هذه الرسالة .

* * *

أراد « أبو العلاء » أن يتفكه ، وأراد « أبو العلاء » أن ينقد ، وأراد أن يكفر وأراد أن يؤمن ، ولست أحتاط فى لفظ ولا أتحرج من معنى ، وإنما أريد أن أكون حراً فيما أفهم وفيما أقول . فالحرية وحدها هى السبيل إلى فهم « أبى العلاء » . وقد أراد « أبو العلاء » هذا كله : أراد أن يتفكه ، فتفكه إلى غير حد ، وأراد أن ينقد فنقد فى غير رحمة ، وأراد أن يكفر فكفر بغير حساب ، وأراد أن يؤمن فآمن فى غير شك .

أراد هذا كله ، ووفق إلى هذا كله أحسن توفيق ، ويكفى أن تقرأ من هذه الرسالة شيئاً وتفهمه لتؤمن بصدق ما أقول .

كفر « أبو العلاء » وآمن فى هذه الرسالة ، كفر بما أجمع الناس عليه من سنة ودين ، وآمن بما وقف عليه حياته كلها من عقل ونقد .

* * *

هذه الرسالة هى آية السخرية العربية ، وأحسبها آية من آيات السخرية الإنسانية كلها ، فليس من السهل ولا من اليسير أن تحلل — من السخرية — هذا الفن الدقيق المعجز الذى تجده فى هذا الكتاب .

تقرأ الكتاب فلا تشك فى أن صاحبه من أشد الناس إيمانا بالله ، واقتناعا بالإسلام ، وتصديقا لما روى علماؤه من الأخبار والآثار .

ولكن اقرأه فى بصيرة وفهم ، وكن حرًّا حين تقرؤه — كما كان حرًّا حين كتبه — تجده أشد الناس سخرية بالدين ، وأعظمهم استهزاء بما آمن الناس به واطمأنوا إليه من الحياة الأخرى .

لايذكر الرجل من حياة الجنة والنار شيئا إلا استدل عليه بآية من القرآن وأثر من الحديث ؛ ولكن مارأيك فى أنك لاتستطيع أن تمنع نفسك من الضحك والإغراق فى الضحك ، عند ما تقرأ هذا الاستدلال نفسه ، عند ما تقرأ هذه الآية الكريمة التى يوردها أو هذا الحديث الشريف الذى يستدل به .

لا تستطيع أن تقرأ هذا دون أن تضحك ، وتغرق فى الضحك !

* * *

أفتظن أن هذا الكاتب الذى يضحكك حين يتلو عليك آيات الكتاب الكريم ، أو يروى لك نصوص الحديث الشريف ، قد كان جادا فيما كتب أو مؤمنا فيما كان يقصّ عليك ؟

كلا ، لم يكن جادا ولم يكن مؤمنا ، وإنما كان مازحا ، وقد كان منكرا ، وكان مستهزئا ، وكان ساخراً من صاحبه « ابن القارح » وأمثاله ؛ ولكنه كان ماهرا . وكان على حظ من الفن لا حدّ له ولا شبيه ؛ فاستطاع أن يهزأ وأن يمزح ، دون أن يأخذه الناس بشىء من هزئه ومزحه .

وهل التفت الناس ؟ وهل التفت « ابن القارح » نفسه إلى ما فى هذا الكتاب من هزؤ ومزح ؟ وما فائدة الأرصاد والطلاسم ، إذا لم تشغل عامة الناس عن سخريته ومزحه ؟

* * *

أريد أن ألتمس مشبها لـ « أبى العلاء » فى هذا العصر الحديث ، وأن يكون الشبه بينه وبين « أبى العلاء » صادقا قويا لايحتمل الشك ولا الجدال .

أريد ذلك ، فلا أجد فيه مشقة ولا عسرا ، وإنما أجده يسيراً لذيذاً ، يعين على فهم « أبى العلاء » وتشخيصه من الوجهة الأدبية الفنية .

أتدرى من هو هذا الذى أشبه به « أبا العلاء » ؟

هو الكاتب الفرنسى المعروف « أناتول فرانس » ، الذى احتفل الناس منذ ـ حين فى الأرض كلها ـ ببلوغه الثمانين من عمره ، هو الذى يشبهه « أبو العلاء » شبها لا يحتمل الشك ، هو الذى يفسر شخصية « أبى العلاء » الأدبية : ولكن شخصيته فى « رساله الغفران » لا فى « اللزوميات » .

فلـ « أبى العلاء » (يجب أن نعترف بذلك) شخصيتان متناقضتان تناقضاً منكراً ، إحداهما باسمة وديعة رقيقة رفيقة ، تعطف على الناس ، وتسخر منهم . . فى رفق ولين ، تسخر منهم لأنها تحبهم ، وتهزأ بهم لأنها تعطف عليهم ، لا تلومهم ولا تؤذيهم ، وإنما تبسم لهم وتضحك منهم ، وهى فى الوقت نفسه تمسحهم وتتلطف لهم .

هذه هى شخصية « أبى العلاء » فى « رسالة الغفران » .

وله شخصية أخرى مظلمة : هذه عابسة مغضبة تتطاير شرراً . وتضطرم غيظاً وحقداً ، تسخر من الناس .. ولكن سخرية مرة قاسية ، لا حدّ لمرارتها ولا لقسوتها (١) ، هذه هى شخصية « أبى العلاء » فى أكثر شعره فى « اللزوميات » .

فأما شخصيته الأولى ، فتشبه شخصية « أناتول فرانس » .

وأما شخصيته الثانية فتستطيع أن تقيسها إلى ما شئت من شخصيات المتشائمين فى العصر القديم ، وفى العصر الحديث أيضاً .

* * *

فلنقف عند هذه الشخصية الباسمة الوديعة ولنحللها إلى أصولها ودقائقها .

---

(١) لعل أصدق وأوجز ما يمثل تلك الشخصية العابسة المغضبة قوله :
« وجوهكم كلف وأفواهكم عدى .. وأكبادكم سود ، وأعينكم زرق ! »

فما هى هذه الشخصية ؟ وبم تمتاز ؟ بشيئين اثنين : الشك من جهة ، والرحمة من جهة أخرى . نعم ، الشك فى أديان الناس وعاداتهم وقواعدهم الخلقية والاجتماعية والسياسية . الشك فى كل هذا وازدرائه واطراحه ، ثم الرحمة التى لاحدّ لها والرفق بالناس ، والإيمان بأنهم مضطرون بحكم طبائعهم الضعيفة ، وبحكم تضليل المضللين وشعوذة المشعوذين ، وبحكم الظروف الأخرى ، التى ليس لهم عليها سلطان ، مضطرون إلى أن يخضعوا لكل هذه الأشياء ، ويتأثروا بها فى حياتهم العامة والخاصة ، على اختلاف فروعها .

هم مضطرون لا متعمدون ؛ فهم إذن مظلومون لا آثمون .. ومتى كان المظلوم خليقاً باللوم ؟ ومتى كان المضطر خليقاً بالتعنيف ؟ ولم تلومهم ؟ ولم تعنفهم ؟ وأنت واثق بأنك لن تغيرهم ولن تصلح من أمرهم ، وكل ماتستطيع أن تطمع فيه هو أن تهدى منهم نفراً قليلين، لهم حظ من ذكاء وفطنة . وأنت لاتستطيع أن تهدى هؤلاء النفر القليلين بالشدة ولا بالعنف ، وإنما اللين وحده سبيلك إلى هذا .

الابتسامة والدعة ورقة الحاشية والافتنان فى الحديث المبتسم الوديع ، كما كان يفعل « سقراط » فى حواره .

* * *

الشك والرحمة هما العنصران اللذان يكوّنان شخصية « أبى العلاء » فى « رسالة الغفران » ، وهما اللذان يكونان شخصية « أناتول فرانس » .

فإذا أردت أن تتمم هاتين الشخصيتين ، فأضف إليهما عنصرين آخرين : أحدهما العلم الواسع بفنون اللغة والأدب ودقائقهما ، واتخاذ هذا العلم وسيلة إلى ما تريد ، وستاراً لما تريد ، والثانى الفن الأدبى والتفوق فى تصريف الكلام على وجوهه المختلفة .

* * *

هذه الخلال الأربع هى التى تكون شخصية هذين الرجلين .

ولقد أودّ أن تقرأ لـ « أناتول فرانس » : « ثورة الملائكة » ، « وجريمة سلفتر بونار » ، و« الآلهة عطشى » و « جنة أبيقور » وغيرها من آثاره المختلفة لتصل إلى هذه النتيجة ، وهى أن « أناتول فرانس» رجل شاكّ رحيم عالم نابغ فى فن الكتابة ، ولتشعر بأنه فى شكه ورحمته ، وفى استهزائه وسخريته ، يذهب مذهب « أبى العلاء » نفسه ، فهو دائماً عالم من علماء اللغة والآثار ، ماهر فى فن الكتب وتصحيح النسخ الخطية القديمة وما يتصل بذلك ، وهو يحدثك بهذه الفنون كما يحدثك « أبو العلاء » فى النحو والصرف والعروض والقافية والغريب ؛ ولكنه يحدثك بهذه الأشياء ليحدثك بأشياء أخرى .. هى الاستهزاء بالناس وما تواضعوا عليه ، والسخر من الناس وما آمنوا به ، والرحمة للناس والعطف عليهم ، وكذلك يفعل « أبو العلاء » حين يتحدث إليك بما يتحدث به إليك فى « رسالة الغفران » من نحو ولغة وأدب ودين ، لا يريد من ذلك شيئاً ، وإنما يريد شيئاً آخر ، هو أن يذكر حمق الناس وغرورهم ، وانخداعهم وجهلهم ، ثم يضحك منهم ، راثياً لهم ، مشفقاً عليهم من هذا كله .

أتريد أن أضرب لك الأمثال ! ولكن أتظن أن المقدمات تتسع لضرب الأمثال ! ولم أضرب لك المثل وأنا أقدم لك الكتاب كله . فانظر إليه تقتنع بما أقول . وانظر إلى الملاحاة بين « الأعشى » و « نابغة بنى جعدة » ، إذ يزعم أحدهما لصاحبه أن دخوله الجنة يوشك أن يكون غلطاً ، لولا أن الله لا يغلط . وانظر إلى قصة « ابن القارح » يوم القيامة ، وما يكون بينه وبين « رضوان » و « زفر » من حراس الجنة ، ثم ما يكون بينه وبين « حمزة » و « على » و « فاطمة » ، ثم إلى قصته وهو يعبر الصراط . وانظر إلى أحاديث الشيخ مع أهل النار ومع « إبليس » و « بشار » و « الأخطل » بنوع خاص .

وانظر إلى الحور وأخباره مع الحور ومداعبته للحور . وانظر إلى الحيات وإلحاح الحيات عليه فى أن يمكث عندهن حينا . وانظر إلى قصص الجن وأحاديثهم . وانظر إلى قصص الصيد وشأنه مع هذه الحيوانات التى أدخلت الجنة لأسباب مضحكة ، ثم انظر إلى هذه الصورة التى تدور عليها هذه القصة كلها : وهى هذه التى تمثل الله — عز وجل — تمثيلا لا يرضاه مؤمن حقاً ، ولكنها لا تخالف الظاهر من نصوص الدين ، فالله لا عمل له فى هذه القصة إلا أن يقدم لأهل الجنة ما يشتهون ! وماذا يشتهون ؟ إنهم ليشتهون أشياء لا تخلق بهم ، ولا تخلق بالله — عز وجل — ولكن الظاهر من نصوص الدين لا يخالف الظاهر من قصة « أبى العلاء » .

وفى هذا مقنع للذين لا يتأولون ولا يتحرجون ، ولكن ليس فى هذا مقنع للذين يفهمون ويفقهون .

ثم إنى لم أحدثك إلا عن جزء من أجزاء الرسالة . لم أحدثك عن الجزء العلمى ، ولن أحدثك عن هذا الجزء العلمى . كما أنى لم أحدثك — كما كنت أحب — عن القسم الخيالى من هذه الرسالة ، وإنما ألممت إلماماً وأشرت إشارات موجزة . والخير كل الخير أن تحدثك الرسالة عن نفسها فاقرأها ، وأنا واثق بأنك سترى رأيى فيها ، وفى « أبى العلاء » ...

لماذا اختصر الكيلانى « رسالة الغفران[1] »

بقلم محمد فريد وجدى (بك)

الفكر الإنسانى بصيص من النور الإلهى الفائض على الوجود ، والمفكرون مصابيحه : ينعكس منهم على من دونهم ، فيهتدون به فى سلوك دياجير هذه الحياة ؛ فلولاهم لخبط السارون فى متاهاتها لا يهتدون إلى غاية ، ولا ينتهون من وجودهم إلى نهاية . لذلك ألقى فى روع الناس — حتى وهم فى أحط دركات التعقل — إكبار المفكرين وتعظيمهم ، وتلقف أقوالهم وآرائهم ، ورُبَّ أمّة رزقت واحداً منهم ، فنقلها من الظلمات إلى النور ، بعد أن عاشت — قبله — أجيالا تتقلب فى كسف من دونها كسف ، لا تعرف الوجود ، ولا يعرفها الوجود .

☆ ☆ ☆

« أبو العلاء المعرى » واحد من أولئك المفكرين ، عرفه صاغة الكلام شاعرا من المبرزين ، وعده نقدة الأفهام حكيما من المقدمين ، فوجد هؤلاء وهؤلاء منه ما يبلغ أقصى ما تتطلع إليه نفس من تصوير وإبداع ، وخيـــال واختراع ، وسريان فى سرائر الكائنات ، واستجلاء لحقائق الموجودات .

إلا أن فضل « أبى العلاء » لم يظهر فى عصر من العصور أجلى وأكمل مما ظهر فى عصرنا هذا : عهد الأبحاث والشكوك ، عهد المذاهب والمقالات ، حيث اشتجرت العقول ، وتناحرت الآراء ، وثارت أعاصير الريب ، فاكتسحت أمامها أصولا راسخة من عقائد صحبت الإنسان منذ عهده الأقدم : فكان لظهور فضل « أبى العلاء » فى هذا المضطرب الهائل للمذاهب ، والمزدحم الرائع للفلسفات — بعد ما كابدت من حرارة

(١) مقدمة رسالة الغفران — طبعة ١٩٢٣

الكفاح ما كابدت — أثر عميق فى نفوس المعاصرين ، ارتفع الرجل به إلى المكانة التى يجب أن تكون له بين السابقين الأولين .

نعم ، لقى « أبو العلاء » من الذين تصدهم ظواهر الألفاظ دون بواطنها ، مايلقاه كل مفكر خلص من أغلال التقليد . فاتهمه من لايفهمه بالإلحاد والزندقة ، وقوّلوه مالم يقله من الشعر المزرى بالأديان ، الحاطّ من كرامة مؤسسيها ، وتصدى كثير من أئمة المتأدبين لتبرئته مما نسب إليه ؛ فكان من أثر ذلك أن تكوّن حول اسمه جوّ غريب حمل الكثيرين من أهل الورع على كراهية شعره ؛ حتى إن مصحح المطبعة الأميرية تحرّج — منذ أربعين سنة — من تصحيح « لزوميات أبى العلاء » . وكان ناشرها يطبعها هناك ، فجاءت كثيرة الأخطاء من جرّاء ذلك !

أين هذا من تزاحم الأدباء والمفكرين فى « أوربا » على ورود مناهل رجالاتهم الأعلام ، وعنايتهم بجمع كل شاردة وآبدة من أقوالهم وآرائهم !

لم يعن الغربيون بنبغائهم من أهل العبقرية هذه العناية ، باعتبار أنهم لا يخطئون ولا يخلطون ، أو أنهم ملهمون ومحدثون ، بل باعتبار أنهم مفكرون أحرار ، لايتقيدون بالمذاهب ، ولم يخضعوا عقولهم لغاصب ، فحلقوا — من عالم المعانى — فى جو خلص من شوائب الحيوانية ، فقطفوا من حقائقه أزاهر أودعوها نظمهم ونثرهم ، مختلطة بهنات مما يلازم الطبيعة الأرضية .

فالمكبون على رشحات أقلامهم إنما يتنسمون من خلال أسطرها نسمات تلك الأزاهر ؛ فتفعمهم برياها الشذى ، وتحيي أنفسهم بروحها العلوى .

فلو أراد ناقد معاصر أن يجمع سخافات أمثال « شكسبير » و « دانتى » و « فولتير » و « فيكتور هوجو » لملأ منها أسفاراً ؛ ولكن ليس هذا من العدل فى شىء ، إذ يكون هذا الناقد قد قصر نظره على ظاهر الكلام .. ولم يتنوّر الروح المودعة فيه ، فحرم نفسه أحوج ما يكون إليه .

بهذه العين يجب أن ينظر للنابغين والعبقريين ، وبهذه الهمة يجب أن يعنى بما دوّنوه فى الطروس من منثورهم ومنظومهم .

و « أبو العلاء » واحد من هؤلاء ، بل من أبعدهم غوراً ، وأملئهم سجلا وأعذبهم مورداً ، وأعجبهم حالا . لسنا بسبيل إيراد تاريخ صاحب « رسالة الغفران » ، غير أننا نقول : إنه كان كفيف البصر — ككثيرين قبله وبعده من النوابغ — وكان مع عراقته فى الشعر ، وتصرفه فى فنونه ، لم يقله مكتسبا ، فلم يقبل جائزة عليه قط .

وكان مكتفيا بغلة وقف له تبلغ ثلاثين ديناراً ، كان يعطى خادمه منها نصفها ، ويقنع بنصفها الآخر طول سنته .

أعجب من هذا كله وأدل على فضله ونزوعه عن قذر هذا العالم ومظالمه ، تقزز نفسه عن أكل اللحم ، وتأثمه من قتل الحيوان بعد الأربعين من عمره ، فعاش بعدها نيفاً وأربعين سنة لم تمس شفتاه جثة كائن حىّ ؛ حتى إنه لما مرض المرضة التى مات فيها ، نصحه طبيبه بأكل فرّوج للتقوّى به ، فى زعمه . فأبى « أبو العلاء » أن يستبقى حياته بإزهاق روح ، فعمد أهله إلى فروج فذبحوه — دون أن يعلم هو ذلك — ثم قدموه إليه .

فلما تناوله أدركه نفور منه وألقاه من يده . فأخبروه بأنهم إنما فعلوا ذلك طلباً لشفائه . فمد يده ثانية وأمسك الفروج وقال كأنه يخاطبه :

« مسكين أيها الفروج ، أمنوا شرك فذبحوك ، ولو كانوا خافوا بأسك لهابوك[1] » ، ثم رمى به ولم يتناول منه شيئاً .

---

(١) يروون أنه مرض ، فوصفوا له الدجاج ؛ فامتنع ، وألحوا عليه حتى أظهر الرضى . فلما قدم إليه ولمسه بيده جزع وقال : « استضعفوك فوصفوك ... هلا وصفوا لى شبل الأسد ! » ، ثم أبى أن يطعمه .

عطف « أبى العلاء » على الحيوان

وزهد « أبى العلاء » ، وعطفه على الحيوان وعزوفه عن أكل اللحم وصرامته فى اتباع هذا القانون مما لا يحتاج إلى تنبيه إليه ، فقد اكتظت أشعاره بالرحمة =

مثل هذه النفس لاتحرم نوراً علوياً ، ولا تمنع عروجا سماويا ! فلا عجب أن عثرنا فى شعر « أبى العلاء » ونثره على لطائف وجدانية لاتتنزل على سواه من عبيد بطونهم ، أو أسرى مشاعرهم ، ولا غرو بعد هذا أن حصل له من الشهرة والإقبال فى العصر الأخير — عصر النقد والتحليل —

= والشفقة حتى إنه رثى لقتل البرغوث — كما ترى ذلك فى بعض مواضيع الكتاب القادمة ، ولعل أجمل ما خاطب به الحيوان قوله :

فيا طائر : اثمنى ، ويا ظبى : لا تخف
شذاى — فما بينى وبينكما فرق

وقوله فى التوجع والأسف على ما يصيب الحيوان الضعيف من ا ذى :

وابك على طائر رماه فتى ... لاهٍ ، فأوهى بفهره الكتفا
أو صادفته حبالة نصبت ... فظلّ فيها كأنما كتفا
بكر يبغى المعاش — مجتهداً — ... فقص عند الشروق ، أو تتفا
كأنه فى الحياة ما فرع الغص ... ن ، فغنى عليه أو هتفا

ومن أجمل ما قاله فى العطف على الحمامة ، قوله :

قل للحمامة : « قد أصبحت شادية ... فهجت للذاكر المحزون تشويقاً
كساك ربك ريشا ، تدفعين به ... قرّ الشتاء ، وحلىّ الجيد تطويقا
فهل تراعين من باز — على شرف — ... يهدى إليك ـ عن الفرخين ـ تعويقا
أما ترين قسى الدهر ، وترها ... رام مصيب ، أعار النبل تفويقا ؟
يغنيك وكرك عن بيت يزينه ... غاو من القوم . إذهابا وتزويقا ! »

وانظر إلى نقمته على الإنس لإيذائهم الحيوان ، وحضه الغراب الذى ينسبون إلى طبعه اللؤم والميل إلى الأذى ، على مقابلتهم بالمثل فى قوله :

جر يا غراب ! وأظلم ، لا أرى أحداً
إلا مسيئا ، وأى الناس لم يجر ؟

فخذ من الزرع ما يكفيك عن عرض ... وحاول الرزق فى العالى من الشجر
وما ألومك ، بل أوليك معذرة ... إذا خطفت ذبال القوم فى الحجر
فآل حواء راعوا الأسد مخدرة ... ولم يغادوا بسلم ربة الوجر
هم المعاشر ضاموا كل من صحبوا ... من جنسهم ، وأباحوا كل محتجر =

أكثر مما كان له وهو بين ظهرانى معاصريه ، والمحيطين به لالتقاط الدرر من فيه .

* * *

وإن أجمل ما كتبه ، وأجمعه لآرائه فى الدين والعلم والأخلاق

═ وما أبدع ما ختم به هذه الأبيات الجميلة ، وما أسدّ حجته فى نصرة مذهبه إذ يقول :

لو كنت حافظ أثمار لهم ينعت　　ثم اقتربت ، لما أخلوك من حجر !

وإذا تساوى العرف والنكر عند الناس ، وكان لابد لهم من الإيذاء ، فأجدر بالشر أن يدفع بالشر ، وبالإساءة أن تقابل بمثلها !

وما أجمل قوله فى قصيدة أخرى :

ولا تأخذ ودائع ذات ريش　　فما لك أيها الإنسان بضنه

ولعل أبرع ما قرأناه لـ « أبى العلاء » — فى حوار الحيوان — ميميته الرائعة التى قالها فى حوار الديك ، وافتتحها بقوله :

أيا ديك ! عدت من أياديك صيحة

بعثت بها ميت الكرى وهو نائم

إلى أن يقول :

ونعم أذين المعشر ابن حمامة　　إذا سجعت للذاكرين الحمائم

وما أحسن قوله فى هذه القصيدة :

وفيك — إذا ماضيع النكس — غيرة　　تصان بها المستصحبات الكرائم

وجود — بموجود النوال — على التى　　حميت ، وإن لم تستهل الغمائم

يزان لديك الطعن فى حومة الوغى　　إذا زينت — للعاجزين — الهزائم

إلى أن يقول :

وتؤثر بالقوت الحليلة — شيمة　　كريمة ما استعملتها الأرائم

وهكذا يفتنّ « أبو العلاء » فى وصفه إلى أن يقول ، وقد أفعم قلبه بالرحمة والحنان على الديك :

ولو كنت لى — ما أرهفت لك مدية　　ولا رام إفطاراً بأكلك صائم ═

وفى أساليب الشعر وفنونه ، ورجاله وعيونه ، آيته الموسومة بـ « رسالة الغفران » ؛ فقد صوّرت من نفسه مالم يصوّره شعره للدهماء . فى الشعر حوائل من الأوزان والقوافى ولزوم مالا يلزم تجعل معانيه بعيدة المنال وتنوّر الروح المودعة فيه من أشق المحاولات ؛ ولكن النثر — لخلوّه من هذه الحوائل — تتجلى فيه روح صاحبه بأجلى مظاهرها ، وتتبين أغراضه بأقل كلفة ، وإن كان دون الشعر من حيث التأثير فى النفس ، والسطوة بالعواطف .

فـ « رسالة الغفران » من هذه الوجهة طلبة كل محب لاستشراف روح « أبى العلاء » . ولكن يحول دون هذه الفائدة العظمى أنه أكثر من غريب

= ولم يغل ماء ، كى تمزق حـــلة حبتك بأسناها العصور القدائم
ولا عمت فى الخمر التى حال طعمها كأنك فى غمر من السيل عائم
ولاقيت عندى الخير تحسب عيلا ينافيك قول سيىء وشتائم
فإن كتب الله الجرائم ساخطاً على الخلق لم تكتب عليك الجرائم

والقصيدة طويلة لا يتسع المقام لأكثر مما ذكرناه منها ، فليرجع إليها من شاء فى الجزء الثانى من كتاب « اللزوميات » (من ص ٢٢٣ إلى ص ٢٢٦)

ولا يفوتنا — قبل أن نختم هذه الكلمة — أن نوصى القارئ بالاطلاع على رسائل « أبى العلاء » التى كتبها رداً على « داعى الدعاة » فى « مصر » ، وأظهر فيها الأسباب الرئيسية التى دعته إلى تحريم أكل اللحم ، وهى فى معجم ياقوت (ج ١ من ص ١٩٥ — ص ٢١٤) .

ونذكر بهذه المناسبة أن الأستاذ « فريد وجدى » نباتى لا يأكل لحم الحيوان ، فهو يشرك « أبا العلاء » فى هذه الخلة ؛ ولعل هذا الاتفاق هو السر فى إعجاب الأستاذ بهذه الحكاية إلى هذا الحد .

ونحن نشارك الأستاذ فى إعجابه بنبل « أبى العلاء » وزهده ؛ ولكن هذا الإعجاب لن يكون — فى لحظة من اللحظات — مغرياً لنا بالعزوف عن أكل لحم الحيوان !

اللغة ، وأطال فى سرد عبارات غامضة ، أو ضرب أمثال شاردة ، أو ذكر مالا يعنى إلا العربى القحّ فى ذلك العهد . ونحن نعطى قارئنا مثلا من ذلك . قال :

« قد علم الحبر الذى نسب إليه جبريل ، وهو إلى كل الخيرات سبيل ، أن فى مسكنى حماطة ، ما كانت قط أفانية ، ولا الناكزة بها غانية » !

وقال :

« وأن فى طمرىّ لحضبا وكل بأذاتى ، لو نطق لذكر شذاتى ، ما هو بساكن فى الشقاب ، ولا بمتشرف على النقاب ، ما ظهر فى شتاء ولا صيف ، ولا مرّ بجبل ولا خيف إلخ إلخ » :

* * *

فالرسالة فى مثل هذا المعرض يصعب على الأكثرين قراءتها ومزاولتها والاستفادة بما حوته من آراء مسددة ، وأحكام عادلة ، ونظرات ثاقبة .

ولو أحصينا عدد من قرأ هذه الرسالة من جملة المتأدبين لما ألفيناهم يجاوزون العشرة فى المئة ، وهذا حرمان يألم منه طلاب الأدب العالى . فبتوفيق من الله . ألهم الفاضل الألمعى « كامل كيلانى » أن يلخص هذه الرسالة على أسلوب تبرز به أغراض « أبى العلاء » كاملة ، دون أن يحول بينها وبين القارئ ما أحيطت به من المترادفات الغامضة والشئون المحلية الخاصة ، مما جعل الرسالة عبئا ثقيـــلا على المعاصرين ، يكد أذهانهم ويكلّ عزائمهم ، ويقف بهم عند حدّ منها لا يتعدونه .

ومن محاسن هذا العمل المشكور الذى نسجله لأديبنا الشاب بالإعجاب ، أنه جاء من حسن الاتساق ، وتناسب الأجزاء ، وتوافر الأغراض ، بحيث يخيل للقارئ أنه يقرأ رسالة « أبى العلاء » قبل أن تتناولها يد التلخيص . وأعجب من هذا أنه لم يزد فيها حرفا ، ولم ينقص من أغراضها غرضا ، فهى من هذه الوجهة أحسن ما رأينا فى هذا الباب !

٭ ٭ ٭

أما فوائد هذا العمل فلا نخالها تخفى على أحد، فمنها سهولة تداول هذه الرسالة ، وعموم الانتفاع بها ، وتيسر تكرارها. وهى فوائد لا أستطيع أن أحدّ مداها من النفع العام ، ولا أن أوفى مسببها الشكر على جليل خدمته ، فالله يتولى مثوبته ، ويجزل مكافأته ، وينفع بعمله هذا طلاب العربية ، وعشاق الفنون الأدبية.. إنه أكرم مسئول ...

مصارع الخلفاء(١)

« أهدانا الأستاذ كامل كيلانى نسخة من كتابه الأخير (مصارع الخلفاء) وهو عبارة عن مشاهد رائعة منقولة من التاريخ .

وإذا كان لنا أن نتكلم عن ذلك الكتاب النفيس ؛ فإن أفضل ما يقال عنه هو تلك الإلمامة التى جاءت فى مقدمته إذ يقول مؤلفه :

« ليس أروع للنفس من تمثل مصارع الناس ، والاستماع إليهم فى ساعاتهم الأخيرة ، وتعرّف ماقالوه وقت حلول الأجل ، وآخر ماتفوّهوا به من الكلم ، قبل أن يفارقوا هذا العالم — خيره وشره — فراقا أبديا لا عودة لهم بعده .

وإذا كان هذا هو شعورنا بجلال الموت وروعته ، فلا جرم أنه يعظم ويزداد إلى أقصى حد ، حين يقترن بعظمة الملك وأبهته . وليس أشجى للنفس من تمثل مصرع خليفة أو قائد كبير أو شاعر عظيم ، من أولئك الذين تركوا فى هذا العالم أكبر أثر ، ونقشوا فى تاريخه صفحات لا يمحوها الزمن .

ولعل خير ساعة يستعرض فيها المتأمل تاريخ حياة إنسان هى ساعة احتضاره : فإنه يرى — حينئذ — أمام كل صورة من صور الضعف صورة أخرى من صور القوة ، ويلمح بجانب تلك الصور المشجية الحزينة مايقابلها من الصور الماضية البسامة المشرقة .

ألا ترى إلى « الوليد الثانى » مثلا فى موقفيه : أمام المصحف ، يخرقه بالنشاب ، وهو فى جبروته وطغيانه ، ثم يقرؤه معتبراً ، والناس يحاصرونه وليس بينه وبين الموت إلا دقائق معدودة !

ألا ترى إلى « عثمان » ـ وهو الشيخ الوقور ـ كيف يصرع ويأبى عليه

---

(١) جريدة السياسة : العدد الصادر فى ١٩٢٩/١٠/٣ .

الثائرون أن يدفن ، وتظل جثته كذلك ثلاثة أيام ، ثم يدفن خلسة ـ بعد أن يحمل على باب ـ ويسرع الناس به خوفا من الثائرين فيقرع رأسه الباب ؟(١)

ألا ترى إلى « الأمين » — وهو محاصر مهموم — يطلب الخلاص أو النجدة ، فلا يجد إلى ذلك سبيلا بعد أن ضيق عليه « طاهر » سبيل النجاة ، وقد علمت ما كان له من عز ، وسلطان وبطش !

ألا ترى إليه يجيئه ـ من قبل ـ نبأ هزيمة قائده « على بن عيسى » وقتله ، و « الأمين » حينئذ على الشط يصيد السمك ، فيقول لمحدثه :

« ويلك . دعنى ؛ فإن « كوثرا » قد اصطاد سمكتين ، وأنا ما اصطدت شيئاً بعد ! »

فانظر إلى تلك الخاتمة المروعة التى انتهت بها حياة هذا المستهتر الباطش العزيز ، وهو يستغيث فلا يغاث ، ويطلب النجدة فلا يأبه له أحد ، ثم يذبح من قفاه ؛ فيذكرنا بقول شاعر المعرة :

وما أجل عظيم من رجالهم ـ إذا تؤمل ـ إلا ماعز ذبحاً

وتمثله — فى صورة أخرى — باطشا ولاهيا ، ومترنح الأعطاف زهوا ، ومصعرا خده تيها ، وقابضاً على ناصية الخلق ، متصرفا فى أرزاقهم وأعمارهم ، تعنو له الجباه ، وتنحنى أمامه الرءوس . وينشده «أبو نواس» قوله :

« قد كنت خفتك ثم أمننى من أن أخافك ، خوفك الله » .

فسبحان المعز المذل :

هو الموت ، مثر عنده مثل مكثر
وراكب نهج مثل آخر ناكب
ودرع الفتى — فى حكمه — درع غادة
وأبيات كسرى من بيوت العناكب !

---

(١) قال أحد حملته : « حملناه على باب ، وإن رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به ، وإن بنا من الخوف لأمراً عظيما ، حتى واريناه فى قبره . »

هذه التأملات هى الباعث الأول الذى حدانى لإخراج هذا الكتاب : « مصارع الخلفاء » ، والكتاب الذى يليه : « مصارع الأعيان » ، وقد حاولت أن أدون فيهما طائفة من أروع المشاهد التى ذكرها لنا التاريخ ، كما حاولت أن أرسم فى ذهن القارئ صوراً واضحة مشرقة بالحياة : ولعلى وفقت فى هذه المحاولة بعض التوفيق » .

فمن هذا نجد أن لذلك الكتاب قيمته الكبيرة فى عالم التاريخ الإسلامى والأدب العربى . ونعتقد أن كثيرين من محبى التاريخ والأدب يفضلون الاطلاع على ما جاء به ، على أن يقلبوا فى بطون الكتب التاريخية التى اعتمد عليها الأستاذ « كيلانى » فى تأليف كتابه .

(٢)

مصارع الخلفاء

بقلم الأستاذ الشاعر محمود أبو الوفا

قل يا أرق الكاتبين فأنت من   يلفى بكل طريفة مشغولا
صوّر لنا الماضى تزد أعماره   عمراً ، وتشعرنا الحياة الأولى

كذلك يخاطب الشاعر الدكتور أبو شادى صديقه الأستاذ « كامل كيلانى » ، وأنا أضم صوتى الضعيف إلى صوت الشاعر الموفق وأطلب من الأستاذ « كامل كيلانى » أن يصوّر لنا كل المشاهد التاريخية بهذه الريشة التى صورت « مصارع الخلفاء » .

ويمينا لو أن لى قدرة ، لأقلت الأستاذ « كاملا » من وظيفته ، ثم لحبسته ـ على هذا النوع من التأليف ـ حبساً لا يستطيع الانفلات منه ، إلا إذا صور تاريخ الإسلام كله بهذا القلم التصويرى البديع .

لم أعهد نفسى إلا نافرة من الكتب التاريخية ، وبهذه الوحشة استقبلت كتاب « مصارع الخلفاء » ، وفىّ شىء كثير من النفور . بدأت الصفحة ، ولكن لم أكد أنتهى من مصرع « عمر » حتى اندفعت إلى مشاهدة مصرع « عثمان » .

وهكذا أتيت إلى نهايته ، فإذا بى أعشق التاريخ عشقاً ، وإذا بى أشد ما أكون سخطاً على المؤلفين الذين يرجع إليهم سبب نفورى من ذلك الفن الجميل .

الحق أن المؤرخين الإسلاميين - إلا نفراً قليلا منهم - كانت تعوزهم الملكة القصصية . هذه الملكة التى تقوم فى ذهن القصصى مقام العدسة من آلة التصوير . ولا جدال فى أن توافر هذه الملكة فى ذهن الأستاذ « كامل » يرجع إليه فضل إبداعه فى مؤلفه التاريخى الجديد .

أجل . بهذه الملكة استطاع « الكيلانى » أن يفهم الشخصيات والحوادث فهما صحيحاً ؛ حتى إذا شاء أن يكتب عنها لم يجد عليه إلا أن يسكب عليها قليلا من شاعريته الصادقة ؛ فإذا بالقارئ يرى الصورة التى تمثل موضوعها أصدق وأدق تمثيل .. يقول الأستاذ « كيلانى » فى مقدمة كتابه : « ليس أروع للنفس من تمثل مصارع الناس والاستماع إليهم فى ساعاتهم الأخيرة » . ويقول : « ولعل خير ساعة يستعرض فيها المتأمل تاريخ حياة إنسان هى ساعة احتضاره » . ثم يقول فى آخر هذه الإلمامة : « هذه التأملات هى الباعث الأول الذى حدانى لإخراج هذا الكتاب : « مصارع الخلفاء » . والكتاب الذى يليه : « مصارع الأعيان » ...

إذن ألست ترى معى — أيها القارئ — أن الملكة القصصية فى حقيقة الأمر هى التى وجهت ذهن الأستاذ « كيلانى » إلى هذه التأملات ، ففهم وصوّر أروع الساعات ، لا جرم أن هذه الفوتوغرافية الذهنية لازمة جد اللزوم للمؤرخين ، ولا جرم أن الأستاذ « الكيلانى » بإخراج كتابيه : « مصارع الخلفاء » و « مصارع الأعيان » قد وفق فى توجيه ملكته النادرة إلى أسمى وأنفع ما خلقت له ، وأنه بذلك أدى أعظم خدمة للتاريخ الذى يجب على كل شرقى أن يطلع عليه .

مختار القصص (١)

بقلم الدكتور محمد أمين هلال

قامت فى السنوات الأخيرة حركة قوية فى التأليف والتعريب ترمى إلى تزويد الجيل الحاضر بكثير من الثقافة والتهذيب اللذين يتمشيان مع سنن التقدم والارتقاء، ويتفقان مع مزاج الأمة وتقاليدها وعواطفها.

نهضة مباركة يدفع إليها فى الغالب، الإخلاص للوطن حتى يتخلص من قيوده وأغلاله، وإسار جهالة أبنائه. وذهب كثير من الكتاب ينضون كل راحلة، ويبلون كل قتاد؛ فى سبيل الوقوف على أدواء الأمة ومواطن الضعف فيها، ليتخيروا أنجع دواء، ويؤدوا ما رموا إليه خير أداء.

غير أننا ويا للأسف لم نعثر على الصالح الذى يتناسب مع كثرة هؤلاء الذين قبضوا على أقلامهم، ووقفوها على هداية الأمة والإهابة بها عن مواطن الزلل. ولعلهم وقد عرفوا أثارة من اللغات الأجنبية، فاتجهوا شطر التعريب ينقلون إلى أبناء الشعب ماتخطه أقلام أبناء الغرب لأبناء جنسهم مما لا يلائم — فى كثير — أذواقنا، ولا يغنى فتيلا عن تذوق أبنائنا الحلو الرضاب من ثمرات الأقلام، ومقومات الأحلام.

ونظرة يسيرة إلى ماتخرجه المطابع كل يوم من تلك الأقاصيص المعربة، وماتقذفه منها بعض المكاتب — كما يقذف الأبخر اللماظة من فمه — تريك مافيها من خطر على الأخلاق، وسخرية من الأدب: فضلا عن ضعف التركيب وتقلص المعنى ومرذول الكلام.

رأى صديقنا «الكيلانى» هذه الحركات الهدامة المفسدة فى اللغة والأدب والأخلاق، فشمر عن ساعد الجد للقضاء عليها، وأخذ يتحف أبناء الأمة بروائع يراعته، فتكشفت الرغوة عن الصريح، ورأينا أن فى السويداء رجالا، وفى العرين أشبالا، وها هو بعد أن أخرج لنا — من عهد قريب — «قصص الأطفال»، أتبعها فى هذه الأيام بـ«مختار القصص»، مراعيا فى ذلك أن القصة إذا روعى فى اختيارها حسن موضوعها وبديع مغزاها، كانت أقدر على إفادة الناشئين، وأوفى بالقصد للمتأدبين.

---

(١) نشرت عام ١٩٢٩

وهو وإن كان على غرار غيره ـ من بعض مؤلفى العصر ـ غير أنه محفوف فى التفوق بأفانين شتى اكتسبها من سعة اطلاعه، وهذبها ذهنه الجبار: فكانت مختاراته ـ بحق ـ أبلغ فى إظهار الحقائق مجردة، وأبين فى توضيح مواطن النقص أو الكمال فيها. ولو أنا ذهبنا نستعرض شيئاً من تلك القصص، ونبين فضل تلك العصارة المختارة من ذلك الفكر الخصب، وتوضح الفرق بينها وبين ماسبقها، لطال بنا المقام. وحسبنا أن نحيل القارىء الكريم إلى الاطلاع عليها، ليرى أنه إذا صفا الذوق وصقل الذهن وصار العقل مسنونا بالعلم والأدب، استطاع صاحبه أن يخوض غمرات هذا الميدان؛ لأن له من ذهنه المصقول مزايا تريه مواضع الحسن والقبح من الطبائع والعادات، والألفاظ والأساليب، تسير بالقارىء سير الربان الماهر بالسفينة، هاج بها البحر واشتدت الأنواء.

واشد ما يأخذنى الطرب عندما أقلب صفحات هذه المختارات فأرى أديبنا «الكيلانى» قد انتقى من ثمار أقلام الغربيين، وقربها إلى أذهان الناشئين، وحذا فى القصص الشرقية حذو كتاب الغرب فى أوضاعهم الغربية، فأخرج بعمله هذا مجموعة، يسيل على الرغبة فى الوصول إلى مثلها لعاب القصصيين، وتترنح بمذاقها لهاة المتأدبين. فأعجب لأديب لم تشغله مشاق أعماله الرسمية ـ على كثرتها ـ عن عنايته بالثقافتين العربية والإفرنجية، وجمعه بين الحسنيين من أفكار أدباء الغرب، وإساغتها لتذوق أبناء العرب، فيسدد المرمى من براعته ويصيب المحز، لنفع أبناء جنسه. كل هذا فى بيان جزل ومنطق فصل، وفصول كأنها متون الرياض.

ولمثل هذا فليعمل العاملون ويتنافس المتنافسون!

وفى الحق أن المختارات فى مجموعها ضميمة من الزهر العاطر، فياحة الشذا، لاتدرى من أى أنواعها وألوانها يستقبلك عبيرها، برهن بها أديبنا «كامل» على أن له من اسمه أوفى نصيب وضرب لهؤلاء الأدباء المتقاعدين مثلا بأن النفس القوية لا يصدها عن خدمة الوطن صاد، وسرعان ما تتذلل أمامها العقبات، وتذهب قدماً فى طريق السموات. فليتقبل الأستاذ تهنئتنا. وإن قصرت فذاك مقام الإيجاز فيه إطناب والعجز ليس بعاب.

الأدب القصصى المصرى[1]

بقلم على محمد البحراوى

سنظل نشكو قلة القصص فى الأدب المصرى مع وفرة ماتنشره الصحف وتخرجه المطابع ؛ وسنظل نشكو هذه القلة أبدا حتى نخلص منها إلى شكوى التخمة القصصية ، يوم تجتاح القصص كل فنون الأدب المصرى ، وتسد علينا كل منافذه . وفى الحق إن فن القصص المصرى قد أخرج لنا إلى الآن عدداً لابأس به من الأقاصيص العصرية المؤلفة .

ولو أن الروح القومية روعيت فيها كلها لأصبح صرح هذا الأدب الجديد فى مصر متين الأساس ، ولكن الواقع أننا متأثرون — حتى فى أدبنا القومى — بالبيئة الغربية والوسط الغربى والروح الغربية الروائية فى معظم ما يظهر من القصص فى الأدب المصرى . فهى كلها لا تمثل من الحياة المصرية ، إلا النواحى الوصفية وكفى . أما تصوير البيئة المصرية والروح المصرية ، أو بمعنى آخر تصوير العاطفة المصرية الصحيحة ، فلن تعثر عليه فيما يتفق لك من قصص مصرية ، ولن تجد كاتباً مصرياً يعنى بتصوير هذه الناحية . وقلة عنايته هذه لا ترجع إلى عدم اهتمام بها ، ولكنها ترجع أكثر إلى القصور ، أو بعبارة أصرح ؛ إلى الجهل والعجز . لا أقول إن كاتباً لم يحاول تصوير العاطفة المصرية فى الأدب القصصى المصرى الجديد ؛ ولكننى أقول إن معظمهم — إن لم يكونوا كلهم — قد أخفقوا فى ذلك ! وكلهم متأثر فى تصويره بالمجتمع والبيئة الغربية ، أو بمطالعاته فى الأدب القصصى الغربى .

وقد يكون صحيحاً أن الحياة المصرية والمجتمع المصرى بتقاليده الحالية وفى موقفه الشاذ الحاضر ، لا يمكن أن يلهم المؤلف مصدراً لقصة طريفة ! قد يكون هذا ، ولكن العاطفة موجودة فى الحياة المصرية

---

(١) مجلة العصور سبتمبر ١٩٢٩

— على كل حال — وتصويرها على حقيقتها الراهنة الآن هو الأساس المطلوب للأدب القصصى القومى فى مصر .

ولذلك كله سرنى كثيراً أن يظهر (مختار القصص) ، وأن أعثر فيه على سبع قصص مصرية تصور الحياة المصرية فى البيئة المصرية بروح مصرية ، أو بالحرى تصور العاطفة المصرية سبع قصص يمكن أن نعتبرها نواة صالحة لحياة أدبية قصصية جديدة ، وهى كلها تصور أيضاً الحياة القومية المصرية البسيطة ؛ بل الساذجة ، وأقصد تلك التى لم يعقدها امتزاجها بالحياة الغربية والشرقية الأخرى امتزاجا مشوشاً تركها خليطا مضحكا من عادات وتقاليد لا اتساق لها ولا رابطة بينها ،

أقول أعجبنى من الأستاذ « كامل كيلانى » أن يعمد إلى تصوير هذه الحياة المصرية البريئة التى لم تعكرها اللوثة الدخيلة ، وأن يؤثر تصوير البيئة المتوسطة ويفضلها عن الحياة العصرية الراقية المتكلفة التى لم يستقر لها قرار بعد ، والتى تتبدل كل يوم فى شكل جديد !

(٢)

و (مختار القصص) كتاب حسن المظهر أنيق الطبع . وحسبك أن أذكر أن (دار العصور) هى التى تولت طبعه ، وأن (مكتبة الوفد) هى التى عنيت بنشره ، لتتصور الشكل الذى يصدر به كتاب أدبى اجتمعت له هذه الأسباب . ويواجهك من الكتاب تصدير للناشر يقدم لك فيه الأستاذ « كامل كيلانى » بدراساته الجديدة فى الأدب العربى ، وعنايته بالأدب القديم . والكتاب مصدر أيضاً بقصيدة رائعة للدكتور « أبى شادى » فى (الأدب القصصى) .

ولعلها الأولى من نوعها فى أن تحلل هذا الأدب الجديد . وهى وإن كانت موجهة للأستاذ « كامل كيلانى » ؛ إلا أنه يمكنك أن تعتبرها مثلا توجهه للكاتب القصصى المصرى المنتظر .

وأنت إن أقبلت عليها فلن يسعك إلا أن تعجب بمطلعها :

إن الحياة — إذا اعتبرت — رواية　　فاستوح من قصص الحياة جمالا

ولن يسعك إلا أن تزداد إعجاباً عند هذا المعنى المبتكر :

فترى التأنق فى حياة سطوره　　وترى الحياة بها تفيض جلالا

ولا أظنك تمر على هذا المعنى دون أن تستعيد البيت ، ليتم استمتاعك به :

وترى التصرف بالخوالد زادها　　خلدا ، وزاد مآلها آمالا

ثم تفرغ من هذا كله إلى مقدمة للأستاذ العلامة الجليل « إسماعيل مظهر » (بك) فى القصة ونشأتها وتطور فكرتها ، ولا أحسبك تطمع أن تروى غلتك فى مثل هذا البحث من غير الأستاذ « مظهر » (بك) ، فإنه ينتقل بك من تحليل بارع من صورها الأولى وأثرها فى حياة الإنسان الأول إلى تطورها الدينى ، وتكييفها لمعتقدات البشر ، أو تكييف المعتقدات لها ، ثم إلى ازدهارها واتساع أخيلتها لما جاء القرن الحادى عشر ولم يتغير الكون ؛ مع أنهم كانوا يعتقدونه نهاية العالم . وهو يبحث معك كل هذا فى أسلوبه العلمى الاستقرائى الطريف .

والكتاب مع ذلك مقتطفات من كتب ثلاثة :

الأول : كتاب (مختار قصص السينما) .

والثانى : كتاب (قصص بوكاتشو) .

والثالث : كتاب (قصص مصرية) .

ولن نعرض هنا إلا للنوع الأخير أى القصص المصرية ، وسندرسها وننقدها معا ، مؤملين أن تكون لنا عودة للنوعين الآخرين فى فرصة أخرى ، ذاكرين أن الأدب القصصى الجديد (ونقصد ذلك الذى يصور العاطفة المصرية كما أسلفنا) لم يبرح أطواق الحداثة بعد ، وأن الأستاذ « كامل كيلانى » هو أول كاتب قصصى مصرى ، أمكنه أن يصور العاطفة المصرية فى بيئة مصرية خالصة ومجتمع مصرى بحت . أما ما قد يكون لدراستنا من ملحوظات نقدية ، فهى ما لابد منه فى مستهل مثل هذا الأدب الجديد .

(٣)

وأولى القصص التى سندرسها معاهى (سنية) . وأنت تشعر إذ تقرؤها أنها تسير سيراً حسنا معقولا إلى أن يستحكم الحب بينها وبين « محمد » . والأستاذ « كامل كيلانى » حريص — فى كل قصصه تقريباً — على أن يفجأك باستحكام أواصر المحبة بين أبطاله رأسا ، وهو لايريد أن يرهقك أو يشجى عواطفك بشرح أدوار الغرام التى أدت إلى استحكامه . ثم إن أباه الشيخ «إبراهيم»(الرجل الصالح التقى الورع) نهج نهجاً مدهشاً ، فقد غضب و (خرج عن طور الرزانة والحلم اللذين اتصف بهما) لما فاتحه ابنه «محمد» بأمر زواجه من حبيبته « سنية » ومانع بشدة . ولـكن ذلك لم يزد «محمداً» إلا تعلقاً بفتاته؛ فخاف عليه الجنون، ووعده بذلك ؛ ولـكنه يعمد بعد ذلك إلى خطة غريبة حقاً . فإنه يعلم مبلغ حب « محمد » للفتاة ، الحب الذى خشى أن يسبب له الجنون إن حرمه . وهو مع ذلك يرسله إلى الريف فى مهمة خاصة ، ويوهم «سنية» أنه هجرها وأنه لا يحبها ، (فتبعث إليه بخطاب قاس تعاتبه فيه وتقاطعه وتعلنه بزواجها من ابن عمها) . . ودائما ابن العم فى كل قصة وعند كل كاتب قصصى — يصعق الشاب لهذا النبإ ويسقط مغمى عليه ويعود للقاهرة فى نفس اليوم ويعيش مسلوب اللب فيهجر مدرسته ودراساته الأخرى وينصرف إلى (تأملاته الحزينة ويأسه المميت) ، ويظل هكذا ستة شهور يسمع بعدها عرضاً أن حبيبته قد زفت إلى زوجها العنيد منذ يومين فقط وتتقرح فى نفسه جراحات القلب التى كادت تندمل فلايحتمل آلامها ، ويظل يتململ حتى يخلصه منها ماء البحر !

والقصة بهذه الخاتمة لا تخلو من بعض تصرفات شاذة ، فإن الشيخ « إبراهيم » الذى كبح جماح نفسه أولا ، ووعد ابنه (محمداً) بزواجه من حبيبته « سنية » ، لأنه لما حاول الاعتراض رآه (يهذى فى نومه وفى يقظته) ، ولأنه (كان وحيد أبويه) ، ولأنه (خشى أن يصيبه مس من الجنون) — الشيخ «إبراهيم» الذى يقدر كل هذا ، ويخشى عواقبه فى أول

الأمر، فيعد وحيده بالزواج من حبيبته ، لما لم يجد من ذلك مخرجا ، لا يعقل أن ينقلب على ابنه فجأة ، فيدبر له هذا الأمر الذى يسلبه لبه ويفقده الوعى؛ ثم إنه يراه وقد هجر مدرسته وانصرف إلى (تأملاته الحزينة ويأسه المميت) ولا يحرك مع ذلك ساكنا ، لا تلوح له بارقة أمل ؛ وهو يعلم أن الفتاة لم تتزوج بعد ، ولو أن له تلك النفس الأولى التى تجزع إذ ترى وحيدها مهدداً بالجنون فتعده بأمنيته : لو أن له تلك النفس لما أمكن أن تطمئن إلى تركه مشرداً تائه الفكر واللب مصعوقا ، مع أن الحل بسيط ، فقد مكثت الفتاة ستة أشهر لم تتزوج خلالها ، كما أوهم ابنه .

ثم إن والد الفتاة وإن كان وضيع المركز إلا أنه (عالى النفس ، تزينه الأمانة والاستقامة ، ويحليه الصدق والإخلاص والنزاهة) ، يشهد بذلك الشيخ « إبراهيم » نفسه الذى (رأى من أمانته واستقامته مازاد ثقته به) !

اسم القصة (سنية) ؛ ولكن محورها كان يدور حول (محمد) وحده ، فقد تتبعه المؤلف وحلل شخصيته بإسهاب ، واستقرأ خواطره وآراءه فى شتى الحالات ، وقد شرح لنا فعل الحب به ، ولكن لم يشرح فعله بـ « سنية » . والفتـــاة كانت تحمل للفتى مثل حبه ، ولكنها مع ذلك استقوت على الحب ، وعلى مقاطعة الحبيب ، وعلى الزواج من غير الحبيب دون أن تحدثها نفسها بشىء ، بينما نفس « محمد » تحدثه بأشياء لم يخلصه منها سوى الانتحار !

ويكاد يبدو الإقدام على الانتحار غريباً ، ويكاد يكون من ذلك النوع الذى ننعاه على القصص المصرية المنتشرة الآن ، والمتشبعة بالروح الأجنبية والبيئة الأجنبية ، والتى نود أن نخلص منها إلى القومية المصرية البحتة التى يجب أن تصبغ كل مظاهر قصص الأدب المصرى القومى المنشود .

وإذا كان المحب الغنى الحسيب قد انتحر لأنه لم يتزوج من فتاة فقيرة وضيعة الحسب تبادله الحب ؛ فقد كان الأولى أن يسبق إليها هى خاطر الانتحار ، إن لم تسبق هى إليه .

(٤)

ونفرغ من (سنية)أ ولى القصص المصرية بأمرين :

أولهما : أن الأستاذ « كيلانى » قد وفق إلى أبعد حد فى تصوير العاطفة المصرية فى بيئة قومية ، فكان بذلك أول كاتب قصصى بارع استطاع أن يصوغ لنا قصة قومية مصرية بحتة .

ثانيهما : أن الأستاذ « كيلانى » — رغم دقة تصويره ، ورغم توفيقه فى هذا التصوير — يتعجل انتهاء قصته قبل مناسبتها ، فيضطر إلى الالتجاء إلى الروح الغربية ، والفكرة القصصية الأجنبية التى لاتصلح أساساً لقصص قومية لبعد الاختلاف بين الحياتين والبيئتين .

وسنرى معاً كيف أن الأستاذ « كيلانى » سار فى توفيقه الأول سيراً حسناً سريعاً ، وكيف أنه ـ وإن لم يتخلص تماماً من الأمر الثانى ـ حاول أن يلازم الروح المصرية جهده .

والقصة الثانية التى ندرسها الآن هى (التهمة) . وأنت ترى فى مستهلها « حسن » (أفندى) ضابط الجيش مطمئناً إلى جلسته فى قهوة بـ « بورسعيد » : وأنت ترى الشاب الآخر الممتلئ الجسم القوى العضلات يقترب منه وعلى وجهه آثار الاضطراب والذعر ، وأنت تجد « حسن » (أفندى) يضطره حياؤه أخيراً إلى مجالسة الشاب الغريب الذى بدأه بالتحية ، ويبدأ الشاب قصته بصوته المتهدج المضطرب ، فيروى لـ « حسن » (أفندى) كيف أنه وزوجه نزلا إلى هذا البلد منذ شهرين ، وأنهما قضياهما فى صفاء ، إلى أن تعرفت إلى زوجه عجوز خبيثة أفسدت عليه أمرها ، وكيف انتهى أمرهما اليوم إلى شجار كلامى عنيف ، صممت الزوجة بعده على مغادرته ، وهددته بالهرب إذا لم يطلقها ، وكيف أنه أحكم عليها قفل الباب وانصرف يبحث عن وسيلة تقنعها بالعدول عن فكرتها . . وليس له فى البلد قريب ولا صديق ، ثم كيف سار أخيراً حتى وقع نظره على «حسن» (أفندى) فشعر (بجاذبية عجيبة) له ، ويختم حديثه إليه بقوله :

« وكأن هاتفاً خفياً يهتف بى أن خلاص كربتى على يديك » !

وينتهى الأمر بهما إلى قبول «حسن» (أفندى) القيام مع الشاب الغريب إلى منزله ، ليصلح بينه وبين زوجه ! وأنت ترى أن « حسن » (أفندى) ضابط الجيش كان ساذجاً إلى حد بعيد — إن لم يكن أبله — فقد كان يجب أن يقدر — أن محدثه شاب مصرى ، هو فى الوقت نفسه زوج شابة مصرية اختلف معها لأسباب خاصة ، يظن هو أنها بمفسدة لها ؛ فمن غير المعقول أن يوسط فى الصلح بينه وبين زوجته الشابة — التى يغار عليها والتى كانت الغيرة السبب الوحيد فى اختلافهما — لا يعقل أن يوسط بينه وبينها شاباً مصرياً غريباً عنه وعنها ، ولا يمكن أن تطمئن هى إليه اطمئناناً بريئاً !

كان على « حسن » (أفندى) أن يقدر هذا كله ، أو يدرك ن فى الأمر سراً آخر ؛ فقد أقدم الشاب الغريب على أمر قد يعد جرأة غريبة من رجل أوربى فى بلد مثل « باريس » أو غيرها من بلدان الإباحية المتطرفة ؛ فما بالك به فى « مصر » التى لاتزال ترسف فى أغلال الحريم والحجاب ، وما إلى الحريم والحجاب من تقاليد وقيود ! ثم إنها قد تبدو مدهشة لو صدرت من صديق خبر أحوال صديق ، وسبر غوره ، وبادله الإخلاص الأكيد والثقة المطلقة ؛ فما بالك بها من شاب غريب فى بلد كـ « بور سعيد » ، لآخر غريب عنه وعن البلد ، ولم يريا بعضهما قبل الآن ، ولا جمعت بينهما غير ظروف خاصة غريبة ؟

وأغرب من كل هذا أن يذهب « حسن » (أفندى) مع الشاب إلى منزله ؛ فيدخله غرفة قاصية ، ويطلب إليه أن ينتظر ريثما يحضر إليه زوجته ، ليصلح بينهما !

ولو أننى رأيت هذا التصرف فى رواية سينمائية أوروبية إباحية ، لما أعجبت من مؤلفها بمثل هذه الفكرة الغريبة الجريئة ، فهل ترانى أطمئن إليها من مؤلف مصرى يصور الحياة المصرية فى بيئة مصرية خالصة !

وينتظر «حسن» (أفندى) مايشاء له صبره الطويل ، وهو لا يسمع حركة .. ثم يحس وحشة فى المنزل ، فيخرج من حجرته بحذر يتفقد المكان الذى ساقه إليـه قلبه الطيب ، بل طيشه وعدم تبصره ؛ ولـكنه لا يجد أحداً . . ووصل إلى غرفة رآها مظلمة ، أضاءها فوجدها حجرة نوم فخمة ، نعم لقد (وجد سريراً من أفخم الأسرة) فدنا منه ، ورفع اللحاف قليلا ، فرأى وجهها رائع الحسن . بسم ، وظن الرجل قد تركه فى الشقة ، ليصل به إلى هذه النتيجة ، وحسب الفتاة تتصنع النوم . لمس كفها فوجدها باردة ، وتحقق من وجهها فرأى سمات الموت بادية عليه قليلا . . . رفع الغطاء كله ، فماذا رأى ؟

ياللهول ! أمعاؤها خارجة ، ولا تزال المدية التى بقرت بطنها فى صدرها غارقة فى دماء الفتاة !

نعم. لقد وجدها قتيلة ، وليس فى الحجرة معها غيره !

ولا يكاد « حسن » (أفندى) يستفيق من دهشته وذهوله إلا وهو بين أيدى رجال التحقيق، وينكر «حسن» (أفندى) طبعاً جريمة القتل التى ألصقتها به الظروف القاسية، ولـكنهم يسخرون منه، وينصحونه أن يعترف بالحقيقة، فقد اتفقت على إدانته أدلة قوية ، لا يأتيها النقض من جهة من جهاتها ... ثم هو يستطيع بمشقة أن يثبت لهم براءته بشهادة الـكشف الطبي ، وبشهادة غلام القهوة التى كان جالساً عليها ، حين جاءه الزوج لأول مرة .

ويقبض على الزوج الجانى ، فيعترف بجريمته ، وينال جزاءه .

* * *

(٥)

ونفرغ من هذه (التهمة) بأمرين أيضاً :

أولهما — أن الأستاذ «كامل كيلانى» استمر موفقا فى تصوير العاطفة المصرية فى بيئة مصرية قومية تصويراً جديراً بكل إعجاب .

ثانيهما — أن الأستاذ «كامل كيلانى» لم يتعجل — هذه المرة — نهاية القصة ، ولكنه تعجل تكوين (العقدة) القصصية ، ثم استمر هادئا موفقا — فى دقة تصوير بارعة — وجاء ختام القصة نتيجة طبيعية (للعقدة) القصصية ، فكان من أسباب تبرير التعجيل الذى لجأ الأستاذ «كيلانى» إليه فى تكوينها .

ونترك (التهمة) لندرس معا القصة الثالثة (عزيزة) ، وهى أبرع قصة صورت العاطفة المصرية تصويراً صادقا مفصلا ، وحللت الحب فى البيئة المصرية المحجبة ، ورقبت أطواره فى نجاح وتوفيق . فأنت ترى «عزيزة» فى بداية القصة تنصرف عن إتقان هندامها ، وسائر ما يشغل الفتيات من سنها ، ترى تلك الفتاة النحاسية النحيفة التى تكاد ، مع ذلك ، تدانى الرجل فى جرأته وقوة بطشه ، لايشغلها إلا أمر توطيد مركزها ومركز أسرتها المتوسطة الحال : فى ذلك الحى الفقير الآهل بالعمال والمساكين ، وإلا أمر آخر يدرّ على أمها بعض أخلاف الرزق ، ذلك هو قيامها ببعض أعمال تجارية بين «القاهرة» وبعض قرى المنوفية ، تحمل إليها الأثواب والأنسجة ، لتبيعها للقرويين ، أو لتبادلهم بها السمن والغلال وسائر مايطمع منها فى الحصول عليه من المحصولات القروية .

وتصادف «عزيزة» فى تنقلاتها — شابا فلاحا قوى الجسم مفتول الساعدين — فيحبها وتحبه ، وينمو بينهما الحب سريعا ، فيؤرقها ويقض مضجعها ويشغل عليها كل أوقاتها ؛ فتكثر من التردد على ذلك البلد بمناسبة ، وبغير مناسبة ، وتلجأ إلى جار لها حوذى ، مشهور فى الحى بالحذق واللباقة ، فتستودعه أسرارها ، وتتخذه وسيطا فى إرسال وتسلم رسائل الغرام بينها وبين معشوقها ،

مقابل بضع قروش ، أو علبة سجائر تجود بها عليه بين حين وآخر . وغيّر الحب أحوالها فانقلبت من فتاة (شرسة لا تتطرق الرحمة إلى قلبها) ولا تعرف هوادة فى إنفاذ انتقامها المروع ، إلى فتاة أخرى مستكينة هادئة ،قد هذب الحب قلبها ، وأذلها ، وكسر شكيمتها . وأقض مضجعها ، وألجأها إلى حوذى ما كانت تفكر لحظة فيه ، لولا هيامها بعشيقها الذى لا تحلو لها الحياة إلا به !

وأنا أريد أن أقف بك هنا لحظة ، تستعيد فيها ما قرأت وتترك العنان لإعجابك بهذا القصصى الذى يوفق إلى التسلسل الطبيعى الظريف ، فى ذلك التصوير الرائع للطائفة المصرية الخالصة فى البيئة المصرية البحتة ! وليس أدل على ذلك من أن نعود بك إلى محور القصة ، لترى كيف تكاد تلهب نيران الغرام أحشاء «عزيزة» ، وكيف تنتحل الأعذار ، لتكثر من التردد عليه فى بلده ، وكيف ينتهى ولع الشباب بها بالنتيجة الطبيعية التى ينتهى إليها حب مثله إذا نال وطره . استمر معها نحو عامين تلاهما زهد فيها ، وانصرافه عنها ، وإن بقيت هى تكنّ له الحب ، وترى فيه (المثل الأعلى الذى تصبو إليه نفسها) .

ويتمادى العشيق فى فتوره ، وعبثاً تحاول اجتذابه إليها ؛ فقد ملها وتاقت نفسه إلى متعة أخرى .. تيأس «عزيزة» من حبها : فيضنيها هجره ، ويمضها فراقه ، وتكاتبه فلا تحظى منه برد .

وتحاول مقابلته فيتهرب منها ، فتنصرف عن هذا كله إلى ما تنصرف إليه المرأة المقهورة المغلوبة على أمرها : تلجأ إلى الدموع فى مذلة ومسكنة ، وتصبح وديعة حزينة ، وتسرى عدوى حزنها إلى أمها فتكفان عن أذى الناس ، ولا يمر زمن طويل ؛ حتى تنكب هذه الأسرة فى أملها الوحيد فى الحياة ، إذ يقع الابن الفرد تحت عجلات القطار ، فتقطع ساقه اليمنى ، وتصاب اليسرى بضرر جسيم .

تولول « عزيزة » ، وتلطم أمها الخدود ، وتشق الجيوب ، وينخلع قلبيهما

الزوج ، وتقضى العائلة بقية أيامها فى أسى صامت تثيره تلك الساق التى وضع الأطباء بدلها ساقا صناعية .

وتنشب الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩ وتكثر الاضطرابات .. وتسمع « عزيزة » وهى تتناول عشاءها — صوت طلق نارى ، تعقبه صيحة يخيل إليها أنها صادرة من شقيقها ، فتترك عشاءها وتهرول فى الظلام ، حتى تصل إلى ذلك الشخص الصريع . ولا تكاد تميزه ، حتى ينهال عليها وابل الرصاص ، فتخر صريعة لا تنبس بلفظة !

* * *

(٦)

ونخرج من (عزيزة) أشد اعتقاداً فى توفيق المؤلف فى تصوير العاطفة المصرية فى البيئة المصرية ، وأكثر إعجابا بدقته فى التصوير ، وبراعته فى ترتيب القصة المنطق .

وترى أنه لم يتعجل هذه المرة (العقدة) القصصية : ولكنه كان يساير المنطق القصصى فى هدوء . ولم يتعجل الخاتمة كذلك ، وإن دس ثورة سنة ١٩١٩ لينتهى بها من « عزيزة » ويفرغ معها من القصة ! ولكنه مع ذلك تخلص معقول : بل تخلص بارع بالنسبة لما يلجأ إليه غيره من القصصيين المصريين .

ونفرغ من (عزيزة) لنعالج دراسة (الهتيكة) . ولعلها أحسن وأمتع ما يحويه (مختار القصص) من القصص المصرية . ولو أنها تميل إلى ذلك النوع الوصفى الذى انصرف إليه كل كتابنا القصصيين ، ولكنها مع ذلك ممتعة بارعة التصوير : فأنت ترى « الحاج على » — فى بدايتها — يدأب على تكوين وتنمية ثروته المحصورة من طريق التجارة ، وأنت تراه أيضا بعد مضى خمسة عشر عاما ، يستطيع أن يبنى له بيتاً قريباً من محل تجارته ، وينشىء فى أسفله دكانا خيراً من الدكان الذى كان يستأجره فى الزمن الأول .

ويظل « الحاج على » يعيش مع زوجه « خديجة » الريفية فى دور أرضى حقير يرزقان فيه بابنة وثلاثة أبناء ذكور . فلما تحسنت حالتهم المادية ، انتقلوا جميعهم إلى المنزل الجديد .

وتدأب الأسرة كلها على تحصيل الثروة : الولدان الكبيران يساعدان أباهما بالعمل أجيرين ، والأب ينصرف إلى توسيع تجارته ، والتحبب إلى عملائه ؛ فيقبل عليه الناس .

بيد أن الابن الثالث كسول يميل إلى البطالة ، ولا تنفع معه شدة أبيه وصرامته والجهود العظيمة التى يبذلها فى إصلاحه ، ولكنه وضع لفساده حداً معقولا .

ولكن « خديجة » الزوجة الريفية التى قاست مع « الحاج على » شظف العيش ، تطلعت إلى البطر ، ورأت من حرص زوجها عقبة لم تذللها إلا بالسرقة منه ؛ فاتفقت مع جارة لها فقيرة على نهب زوجها وتغفله ، تسرق لها ما تصل إليه يدها من مخازن زوجها ، وتبيعه لها الجارة وتشترى لها به ملابس وجوارب ومناديل ، وذاك أقصى ماتطمع فيه !

وكانت « خديجة » لا تتحرج فى تكليف ابنتها « سميرة » بالقيام بهذه المهمة ، تضع لها الجبن أو الصابون فى إناء قذر ، وتخرج به أمام والدها على أنه يحوى أقذارا تريد إلقاءها فى الخارج ، ويموت « الحاج على » ، تاركا لأسرته ثروة لا بأس بها ، بل هى كبيرة بالنسبة إليهم إذا أضفت إليها المنزل الذى بناه حديثا : ولكن الأعمال لا تلبث أن تختل ؛ إذ يندفع أصغر الأولاد إلى تيار الملاذ الجارف ، بعد أن زال الكابوس الذى كان مصدر مضايقته المستمرة .

يغلق محل التجارة بعد مدة ، ويباع أكثر البيت ، ويفلس القائمون بأعمال التجارة بعد وفاة عميد الأسرة !

ويعود الولدان الكبيران إلى مزاولة عملها الأول ، وهو — على حقارته ومشقته — لا يكاد يسد الرمق . ويتمادى الأصغر فى ملاهيه ، حتى إذا نضب معين نقوده عمد إلى السرقة ، فيصادفه النجاح أول أمره ، ولكنه لا يلبث أن يضبط ويزج به فى السجن .

وما تزال المرأة والفتاة تعانيان شظف العيش ، وتقاسيان مرارة البؤس (منحدرتين من سيء إلى أسوأ حتى بلغتا أقصى حدود الشقاء) .

وتسف الأم بابنتها ، وتقذف بها فى الهاوية السحيقة : فتتردى فيها الفتاة وقد فقدت أثمن ما تملكه الفتاة الشريفة !

وتدور الأيام وتتزوج الفتاة من شاب فقير ، سليم الطوية ، كثير التغاضى ، يميل إلى الدعة ، ويرى فى حسنها ما ينسيه كل اعتبار آخر .

وتمر السنون متتابعة .. وتنتقل « سميرة » مع زوجها الهادئ المسكين إلى سكن أرضى ضيق مظلم ، يستأجرانه من شيخ محسن بأجر ضئيل يتنازل عنه بعد أن يتبين له فقرهما المدقع . . هذا والسيدة « خديجة » لا تفتأ تتردد على منزل ابنتها ، مزينة لها الانسياق فى تيار الرذيلة ، تغريها حتى بسرقة الحيوانات الضالة فى الطريق . وكم وقعت لها بطة سمينة أو إوزة تشبع نهمها حينا ، وكان الزوج يودع زوجته كل مايربحه ، وهى تدبر له أمر معاشه ، وكم كان معجبا بها ، وبتدبيرها الحسن ، عندما يجلس إلى طعامه ، فتقدم له البطة أو الإوزة ، يستمتع بها وهو لا يكلف نفسه مشقة التحرى عن مصدرها .

وزارت الأم فتاتها ذات يوم ، فرأت — عند بابها — ما أفعم قلبها سروراً وبهجة : عنزة سمينة تأتى إلى باب منزلها بقدميها ، يا للغنيمة !

كانت العنزة ملكا لصاحب مقهى مجاور للمنزل . وكان يقضى نهاره فى مراقبتها ، أو تكليف أحد غلمانه بذلك . وكان واقفا يلحظها وهى تتلكأ أمام منزل « سميرة » . وحدث أنه غاب عنها داخل القهوة لحظة قصيرة لأمر ما : لحظة قصيرة جداً . ولكنه لما خرج لم يجد عنزته المحبوبة .. ووجد باب المنزل مغلقاً . طار عقل الرجل ، وهرول كالمجنون : حتى وقف أمام المنزل ، ونظر إليه فى تردد .

ومرت إذ ذاك إحدى نساء الحى وكانت ماكرة لئيمة ، ويظهر أنها كانت ترقب أفعال المرأتين ، وتضمر الشر لهما . وانتهزت هذه الفرصة : فدنت من صاحب المقهى ، وهمست فى أذنه . وحدث أن مرت أخت الرجل ، ويظهر أنها كانت — كأخيها — معروفة فى (الحارة) بالحول والجبروت .

فإنها ماكادت تعلم بقصة أخيها حتى هاجت وماجت ، وصارت تهجم على الباب تقرعه بعنف ، ولكن ما من مجيب !

ويسمع الجيران بالأمر ، ويتزاحمون على بيت « سميرة » .

ويتقدم جار لها ، يثق فيها ، ويتعهد للحاضرين بإثبات براءتها ، بعد أن يؤكد لهم بعدها عن كل شين ، ويدق الباب ، وينادى على الفتاة بصوته فيسمع جوابا خافتا فاترا كأنما هو صادر من شخص يستيقظ من النوم . يُسمع صوتا يمهله قليلا ، حتى ترتدى صاحبته ثيابها ، ويفتح الباب بعد برهة ، ويندفع إليه الناس يفتشونه . وتنسل السيدة « خديجة » والدة الفتاة بين الجموع المحتشدة بالباب ، ولا يترك صاحب العنزة جزءا من البيت إلا يبحث فيه بدقة ؛ ولكنه لا يعثر على شيء !

فيخرج آسفاً على سوء ظنه بالناس ، ويعلو البشر أسارير « سميرة » وتندفع تندد بصاحب المقهى وبأخته ، وتسبهما على سوء ظنهما بها ، وهى الفتاة الطاهرة الشريفة .

وتسمع أخت صاحب المقهى هذا ، فتستشيط غضبا وتهجم على البيت كأنها تحقق هاجسا خفيا فى نفسها ، وتذهب إلى مكان خاص فيه زير ، وتنظر فى ذلك الزير فلا تجد شيئا ، وبينا هى تهم بالعودة ، كاسفة البال إذ بالزير يهوى إلى الأرض ، فيسيل الماء ، ويسقط معه جسم العنزة وقد شطر شطرين !

يهلل الناس ، ويصفق الأولاد ، ويشتد الزحام ، وتساق الفتاة بين سخرية الجموع إلى مركز الشرطة ، وقد حملت الماعز التى ذبحتها فى آنية من أوانيها . ويرق لها قلب خصمها صاحب المقهى ، لما تقترب من مركز الشرطة ، فيعفو عنها ، بعد أن يتعهد له أحد المحسنين بدفع نصف ثمن العنزة ، وإن عجزت هى عن سداده .

وتتوب « سميرة » عن السرقة بعد هذه (المتيكة) وتنصرف إلى الصلاة والنسك !

* * *

(٧)

وأنت ترى أننى لم أكن مبالغاً حين ذكرت لك أن (المتيكة) من أقوى وأبرع القصص التى تناولت الحياة المصرية ، وإن انصرفت كل العناية إلى الناحية الوصفية .

وأنا أريد أن أترك لك أمر دراستها (فى مختار القصص) . فلم أذكر لك إلا ملخصاً أبتر ، ولست أؤكد لك أن تلخيصى هذا لم يشوه القصة ولم يمسخها ؛ لأنها — كما ذكرت لك — من النوع الوصفى ، أو هى (صورة) يجب أن تلم بكل أركانها . وتتمعن فيها ، قبل أن تجازف برأيك .

ولأجل هذا لا أود أن أستخلص معك شيئاً من هذه القصة ، بل أتركها لدراستك الشخصية ، وإن كنت واثقاً أن النتيجة — فى الحالين — لا يتناولها تغيير كبير .

وهناك من القصص المصرية — غير (المتيكة) — ثلاث قصص أخرى ، لم نعرض لها هنا . وكنا نظن أن فى المجال متسعاً لبحثها ودراستها ، وهى (المصادفات) و (المتردية) و (المفاجأة) .

ولن أشير عليك بأكثر من الرجوع إليها وقراءتها ، لتؤمن معى بأن الأستاذ « كامل كيلانى » كان موفقاً فيها كلها ، إلى حد كبير ، فقد استطاع أن يصور لك — كما قلت — الحياة المصرية الصحيحة فى البيئة المصرية البحتة ، أو بمعنى آخر : كان أول قصصى مصرى صور العاطفة المصرية فى أدب قومى جديد .

* * *

تعمدت ألا أتناول فى هذا البحث إلا نوعاً واحداً من القصص التى حواها (مختار القصص) . ومع ذلك لم يتسع المقام لدراسة هذا النوع الواحد ، وإن كنت ألممت بالفكرة إلماماً .

وأنا أعتذر للقارئ عن هذا التقصير الذى لا يد لى فيه ، وإن فاتنى

أن أدرس معه (قصص بوكاتشو) — التى تعد الضوء العالمى الذى قبس منه كل كتاب الغرب — إن فاتتنى هذه الدراسة الطريفة ، فلن يفوتنى أن أوجه نظره إلى (إوز إفلورنسا) و (الهرم) و (تقويمه السنوى) و (قسوة زوج غيور) و (تغفل مزدوج) وغيرها .

والأستاذ « كامل كيلانى » — كما يقرر ناشر الكتاب ، وكما نعرف — أديب كبير ، معروف بدراسته الجديدة للأدب العربى ، فضلا عن صيته الذائع كأعظم حجة بيننا فى أدب « المتنبى » و « المعرى » و « ابن الرومى » .

وقد شهدت آثار مجهوده العظيم فيما درسناه له معاً من قصص مصرية . ولعلك لا تتردد فى تصديق إذا قلت لك إن الأستاذ « كيلانى » — سكرتير رابطة الأدب الجديد بالقاهرة — لا يجد الغرور إليه سبيلا ؛ فما زال بعض ما ظهر من إنتاجه ومجهوده مقدمات لما سيظهر ، ولا زال يسعى وراء النقد الحر ، بينما غيره يجرى وراء المادحين المتملقين ، وأذكر هنا أن الأستاذ « كيلانى » لما بلغه أنى أكتب عن (مختار القصص) كتب إلى ما أثبته هنا حرفياً :

« .. ولعلك تعرف ياسيدى الأخ أنى أرحب ، أو — على الحقيقة — من أرحب الناس صدراً لسماع عبارات النقد ، لأنتفع بها فى القصص التالية .. »

هل قرأت ؟ وهل شعرت بالفرق بين زعماء الأدب الجديد المتواضعين ، الداعين إلى الإخاء والسلام الأدبى ، وبين المتألهين المتعجرفين الداعين إلى التنابذ والفردية الأدبية الممقوتة ؟

ولقد اجتهدت أن أتسقط مواطن النقد فى (مختار القصص) ، ولكننى أعترف أنى لم أوفق ، وإن أضعف ما فى هـــذا البحث هى مآخذ النقد ، فقد يكفى للرد عليها أن الأستاذ « كامل كيلانى » أقدم على أدب مصرى قومى جديد ، ولم يسبقه قصصى آخر إلى تصوير العاطفة المصرية ، بمثل هذا التوفيق .

« ديوان ابن الرومى »(١)

— ١ —

بالرغم من أن الشارح الفهامة ، والعالم العلامة الأستاذ « كامل كيلانى » ، لم يتناول من أبيات الديوان ما يتجاوز عدد الأصابع ، فقد كانت أخطاؤه فى عددها أيضاً ، بينما أن المفروض فى الكاتب أنه لا يتناول بالشرح إلا ما يفهمه ويستسيغ معناه . خصوصاً إذا مال إلى الاختصار (وتصغير الكمية) ، وفى هذه الحالة قد لا نقبل شرحه ، إلا بكبح فضولنا ، وتساؤلنا عن سر هذا الاختصار ، أو (الانكماش) : أعن جهالة هو أم سآمة ؟

ونمسك الديوان ونترك المقطوعتين ، فيفجؤنا فى القصيدة الأولى (يافتاح ياعليم) قوله فى هذين البيتين :

يؤرقنى سقف كأنى تحته   من الوكف تحت المدجنات الهواضب
تراه إذا ما الطين أثقل متنه   تصر نواحيه صرير الجنادب

يقول لنا الشارح إن صرير الجنادب المشبه به صرير السقف هو « صوت الجراد » . ويكاد يغلبنى الضحك ، ويمنعنى الكتابة ، فمن ذا الذى سمع للجراد صوتاً ، أو نأمة ، بله الصرير . ليأتنا الشارح بعدل واحد سمع صوته ، أو بقول عالم من « علماء الجراد » المنقطعين لدراسته . ولو سلمنا بذلك جدلا ، فليس الجندب فى اللغة الجراد ، بل هو باتفاق المعاجم حيوان صغير يشبه الجراد . وبديهى أن المشبه به غير المشبه . فإذا قلت إن هذا الشيء يشبه شيئاً آخر ، فليس المعنى أن هذا هو ذاك . والجندب هو « صرصور الليل » الذى نسمع موسيقاه عند هدأة الناس موقعاً لها ، ومن صوته اشتق اسمه . وما أشبه صوته بصوت السقف حينما يسبح ليسجد .

(١) مجلة الراديو ١٩٣١/٦/٣١

ولولا أمانة العلم، لتجاوزنا عن هذا الخطإ، ولو كان المتكلم عامياً، لغفرنا له هذه الزلة؛ ولكن ماذا نفعل مع رجل يدعى الأدب ويحترفه ... وإن كان على شكل شبيه بالشعوذة أو هو هى!

ومثل هذه الزلة فى «بساطتها» قوله ص٢٨١ فى شرح بيتى «ابن الرومى»:

غيداء فى سن الغلا   م ونبت شاربه شكير
تزهى فإن هى ضاحكت   ضحكت كما ضحك الصبير

الصبير «الحمام الأبيض». ولا أدرى كيف يضحك الحمام سواء كان أبيض أو أسود أو ماشاء الشارح أن يلوّنه. وإذن كيف فهم الشارح قول «ابن الرومى» ص ٣٨٨، يصف ثغر امرأة:

تبسم عنه فى الدجى فكأنما   يضىء الدجى منه بروق «صبير»

أللحمام بروق أيضاً أم للشارح معاجم أخرى غير ما فى أيدى الناس. إن كان ذلك كذلك فهو المصيب وكلماته (المصيبة)!

أما الصبير فهو السحاب. وبإيماض بروقه يشبه لمعان الثغر بأسنانه اللؤلؤية، سواء كان ذلك عند الضحك أو أثناء الكلام.

والشواهد على ذلك كثيرة من شعر العرب لا نطيل البحث بإيرادها.

ويقول الشارح ص ١٢١ فى هذا البيت الذى يعاتب به الشاعر أحد أصدقائه:

لا يرانى أهلا لملك الظهارى   ولا موضع العطايا الرغاب

الظهارى «الجميل». فيصير المعنى كما حدس الشارح (لا يرانى أهلا لملك الجميل). ويصير الكلام من بعد مفتقراً إلى شرح جديد، إذ لا معنى له إلا فى ذهن (أديب الأطفال) وراوى القصص والخرافات.

أما الظهارى، فإنه جمع ظهرى. وهو البعير الذى لا يركب ولا يحمل عليه فى السفر، بل يكون عدة للحاجة.

«وابن الرومى» يتكلم بلغة العرب، فهو يستعمل تعابيرها، وإن كان لا يقصد هذه الأباعر بعينها، بل يريد الأشياء الثمينة عموما.

ويقول ص ١٣٣ فى شرح هذين البيتين :

لعمرك ما الحياة لكل حىّ   إذا فقد الشباب سوى عذاب
فقل لبنات دهرى : فلتصبنى   إذا ولى بأسهمها الصيـــاب

الصياب (الصميم) .. واغوثاه ! تعلموا اللغة أيها الأدباء وانتصحوا لأجدادكم حين قالوا « تعلموا العربية ، فإنها تزيد فى العقل » .

أسمعت — أيها العالم العلامة — عربيا يصف السهام بقوله (أسهم صميم) . لقد هزلت والله حتى سامها كل مفلس فارغ الوطاب . إن الصياب فى هذا البيت مخففة الياء وهى جمع صائب . والمعنى أن الحىّ إذا فقد شبابه ، صارت حياته عذابا ، فقل للمصائب (بنات دهرى) فلتصبنى بسهامها الصائبة إذا ولى (الشباب) وهو الفاعل المحذوف . . .

ولا أدرى كيف غفل الشارح هذه الغفلة ، وقد تقدمت للشاعر هذه اللفظة ، مكرراً لها ، كأنما يريد تنبيه كل المغفلين لا مغفلا واحداً ، فقال ص ٦٥ :

خـذها جواب مفوّه   مازال يفحم من أجابه
جم (الصياب) إذا امرؤ   كثرت خواطئه (صيابه)

وفى ص ٢٢٥ ترى الجهل المركب ، والغفلة المتناهية ، والادعاء والسخف والهذر ..

قال ابن الرومى يرثى « يحيي العلو » ويذكر أهل بيته . .

مضى ومضى الفراط من أهل بيته   يؤم بهم ورد المنية منهج
فأصبحت لاهم (أبسؤونى) بذكره   كما قال قبلى فى البسوء (مؤرج)
ولا هو نسانى أساى عليهم   بلى ! هاجه والشجو للشجو أهيج

قال نابغة الشراح الحبر الفهامة الشيخ « الكيلانى » : أبسؤونى (أنسونى بذكره) . ومؤرج « مغر » يعنى من الإغراء . وإلى هنا انتهى الشرح

فهل فهمت شيئاً أيها القارئ .. ربما ! ولكنى أؤكد أن القارئ العادى لم يفهم ولن يفهم وإن بحث . ولن يتجاوز فهمه — أو ربما تجاوز — فهم هذا الأستاذ الرقيع الذى يستفخم الكتب ، ثم يضع عليها اسمه الهزيل ، مقنعاً نفسه أنه أوجدها من العدم ، فيمتنّ بها على دولة القلم ، وينعى بهاً على أهل القدم ، بينما تخرج تلك الكتب وعليها ميسم الجمود وطابع الموت ..

وإليك الشرح لا ما يكتبه زعماء الجهل والشعوذة : البسوء الأنس بالشيء والتعود عليه ، حتى لا يكترث به الإنسان ، فهو عدم الاكتراث . وهذه كلمة بكلمتين يجب أن تحيا مع ألفاظنا الحية . فتقول أبسأت فلانا جعلته لا يكترث وأبسأنى الشيء جعلنى لا أكترث . وعبارة اللسان « بسأ بذلك الأمر بسأ وبسوء ، مرن عليه فلم يكترث » .

ومؤرج هو مؤرج السدوسى من شعراء الحماسة ، وابن الرومى يشير إلى بيته :

روعت بالبين « حتى ما أراع له » وبالمصائب فى أهلى وجيرانى
لم يترك الدهر لى علقاً أضن به إلا اصطفاه بنأى أو بهجران

ومعنى أبيات ابن الرومى : مضى هذا المتوفى ، لاحقاً بمن سبقه من أهل بيته ؛ فأصبحت بإزاء ذلك فى موقف عجيب : لا هم جعلونى لا أكترث بذكره . وهذا معنى أبسؤونى ، كما قال قبلى — فى عدم الاكتراث — مؤرج السدوسى ، معبراً عن ذلك بقوله « حتى ما أراع له » ، ولا هو أنسانى حزنى عليهم . بل هاجه علىّ ، فحزنى مضاعف : حزن عليه ، وحزن على السابقين من أهل بيته .

وشرحه لكلمة « مؤرج » يشبه شرح قول الراجز :

جاء الشتاء وقميصى أخــــلاق
شراذم يضحك منهـــا التواق

إذ قال : التواق الشديد التوق والرغبة ، بينما التواق اسم لابن الراجز كما قال ابن السيد البطليوسى .

« يتبع » حسين منصور

ديوان ابن الرومى

— ٢ —

من الأشياء المؤلمة حقا ، ومن فوضى الأدب فى هذا العصر المستعجم الرطون ، أن يتعرض كاتب كـ « كامل كيلانى » يطالعنا الضعف والسخف من كل جملة يشرحها أو موضوع يقرره لشرح آيات الأئمة من أدباء العرب وهم هم وهو هو .

فكأنه فى شرحه لكلامهم ... قزم على رجلين من خشب
يمشى العرضنى نانخاً أوداجه ... متظاهرا للناس بالعجب
مما يراه من القماءة فيهم ... مستخبرا منهم عن السبب
حتى سرى فى الناس شك ظاهر ... لتباين الأعضاء فى النسب
فتعاورته أكفهم فهوى ولم ... تحمله زائفتان من حطب
وكذاك « كيلانى » إذا حللته ... صفر بلا عقل ولا أدب

وهكذا الأقزام ، فما عهدناهم إلا مهرجين على موائد الملوك .

وهكذا أقزام الأدب ، ماعرفناهم إلا مهرجين بملابس الأعراب ، ومتطفلين على موائد الآداب .

وإن تعجب لشيء فلجماعة الأدباء المصريين الذين تمثل بين ظهرانيهم هذه المهازل والمساخر ، فلا تحرك لهم ساكنا ، ولا يرفع واحد منهم يده ، كما يرفعها شرطى المرور ، ليوقف هذا الطائش الجامح الذى أهمل ميقفه (الفرملة) ، فألقى القول على عواهنه كأنه فى مباذله ..

ولكن لا عجب ، فالأدب كما نشاهده الآن أدب جرائدى — لا ينتظر منه أكثر من ذلك — متجه اتجاها ماديا ، غايته تسويد الصحائف بأى كلام كان ، مع وضع العناوين الضخمة ، واستعمال الألفاظ الجوفاء . ولا يمكن أن يعيش الأدب فى هذه الفوضى ، أو يزدهر

على هذه الأيدى التى لاتعرف من الكتابة إلا « رصف الألفاظ فى أكبر فراغ ممكن » ، ولسلب أكبر مبلغ ممكن . وهو سلب من أخطر الأنواع ، إذا علمنا أن القارئ لم يستفد شيئا مما قرأ مع إضاعة وقته ، وإنهاك جسده وإضعاف بصره .

نريد بهذه المقدمة البسيطة أن نلفت نظر المشتغلين بالأدب فى مصر وغيرها من البلدان العربية إلى فظاعة الجريمة التى يرتكبها نفر منهم ، بتعرضهم لما لايحسنون ، وتهجمهم على مالا يفقهون ، لغرض الكسب من ناحية ، والشهرة من أخرى ؛ عارفين — أو غير عارفين — بأن بضاعتهم مدخولة مغشوشة : فيجنون بذلك على الأدب وعلى القراء جناية لا تغتفر بتشويههم للكتب ، وتشويشهم على العقول .

إن ترتيب الدواوين الشعرية عندنا على حروف المعجم هو نتيجة طبيعية لمجيء الشعر العربى على قافية واحدة . وهو — فى الحقيقة — نوع من الفهارس ، كثيراً ما يعين الباحث ويريح القارئ .

وما جعلت الفهارس إلا لتنظيم البحث وتسهيل الاطلاع . يعرف ذلك كل من عرف اهتمام أدباء الغرب بها ، وإنفاقهم الوقت الطويل فى تبويبها .

وقد كان ديوان ابن الرومى موضوعا فى ذلك الشكل الفهرسى الجميل ؛ فأبت فلسفة « المخالفة للتعريف » إلا أن يبعثر الأستاذ « الكيلانى » قصائد الديوان ، ويفكك أوصاله . ولا ندرى لماذا ؟ ولا يدرى هو لماذا ؟

ثم أخذ بعد ذلك يضع العناوين ، كأن القصيدة لا تكون لها قيمة إذا لم تعنون . . ! ولكنا مع التجاوز نقول : إن عمله لا يذم ولا يمدح ، ولا نتعرض له لا بهذا ولا بذاك ، اللهم إلا حين يبلغ به السخف مبلغه ، فيجعل عنوان هذين البيتين :

أين من يشترى حماراً ضليعا ليس فى مشيه ونية ريث
يحمل الدين والأمانة والمن اضطلاعا أويحمل ابن حريث

« ألا من يشترى حماراً » . ويرفع صوته كما يرفعه الدلال فى ساحة

المزاد ، أو السمسار فى المشوار . بينما الأبيات تحمل عنوانها معها ، ولو كلف باستخراجه أى قارئ لقال « حمار ضليع » ! ذلك الذى يحمل «ابن حريث» الثقيل . . . وقس على ذلك كثيرا مما جاء بالديوان .

أما عن التصحيف فحدث ولا حرج ، ولولا توقع الملل ، لأتينا بنماذج كثيرة . ولذلك نتركها لمن يتاح له طبع هذا الديوان مرة أخرى ، فهى سهلة التصحيح ، سواء بالمقابلة مع الكتب الأخرى أو بإمعان النظر واستعمال الذوق الشعرى .

نلتفت بعد هذا إلى الشرح ، فنرى أن عدم الدقة والإهمال والتلاعب طابع خاص مسجل لهذا الرجل العابث عبث الأطفال بالمخلفات الأدبية الثمينة ، غير واجد من يضربه على يديه أو يخزهما بإبرة حادة ، ترجعه باكيا لاحسا دموعه ، لاجئا إلى ركن يغنى فيه ، فيرتاح الناس من عبثه .

وتتجلى عدم الدقة فى شرحه لهذا البيت :

قل للعلاء أبى عيسى الذى نصلت   به الدواهى نصول الأل فى رجب

فقد فسر الأل بالسلاح ، وهذا توسع شديد لا يحتمل . فالأل ومفرده ألة يطلق على أسنة الرماح والحراب ، والزجاج خاصة . وقد يتوسع فيطلق على نفس الرماح والحراب التى تحمل تلك الأسنة ، لا على السلاح كله . ويفهم ذلك من تصريف الكلمة فيقول « أذنان مؤللتان » أى محددتان كالسنان ، ومن المترادف قولهم فى رجب « منصل الأسنة » و « منصل الأل » . وكلمة نصول الواردة فى البيت دليل — إن كان الأمر محتاجا إلى دليل — على أن المراد هو الأسنة ، فهى التى تنصل من أعوادها .

ويقول ص ١٤٩ فى هذا البيت :

فحكت هذه وتلك يمينيـ   ـك إذا ما تبارتا إعطاء

« تبارتا : بلا انقطاع » وتبارتا تسابقتا . فأين هذا من قوله بلا انقطاع

وفى ص ٢٨٢ فى وصف الخمر :

حمراء فى يد أحمر الـ   وجنات ! ملثمه مهير

« مهير : لقبلته مهر » وينوب عن هذين الكلمتين كلمة « غالى » ويقول بعد ذلك وهو مأخوذ من قولهم « امرأة مهيرة أو غالية المهر » ولا حاجة به إلى ذلك التعبير السخيف .

وفى الديوان كثير من هذا النوع ليس بذى خطر على القارئ الباحث ، إذ يمكنه تصحيح ذلك ، إلى أن يمسك القوس باريها ، فيريح « ابن الرومى » ، ويريح القراء .

ومن إهماله أو من زوغانه ، أنه بينما تراه معلقا على الأسماء الشهيرة التى لا تحتاج إلى تعليق ولا تنبيه . تراه يهمل الغامض منها كقول ابن الرومى :

أنا من سمعت به وحسبك خبرة ... بأخيك ذاك المبرم النقاض
فمتى حلمت لقيت أحنف دهره ... ومتى جهلت منيت « بالبراض »

فلا يذكر شيئاً عن البراض قاتل « عروة » ، وهو المضروب به المثل « أفتك من البراض » ؛ حتى يكشف القارئ المعنى ، ويقابل بين حلم الأحنف وفتك البراض . ومما يدل على غفلته الشديدة إهماله تقويس هذا البيت ص ١٣٦ :

إن جنبى عن الفراش لنابى ... ...

فقد ظنه من أبيات القصيدة ، بينما البيت مضمن ، وهو مطلع قصيدة لمعديكرب ، يرثى أخاه شرحبيل فى يوم الكلاب الأول .

ومن الأبيات المصحفة ، التى لا يصحّ السكوت عليها — وإن سكت « كامل كيلانى » — قول الشاعر يصف تلاحم جيشين :

تدانوا فما للنقع فيهم خصاصة ... تنفسه عن خيلهم حين توهج
فلو حصبتهم « بالفضاء » سحابة ... لظل عليهم حصبها يتدحرج

فالصواب « بالسقيط » وهو البرد ، أما « بالفضاء » فلا معنى له .

ولا يغنى عن ذلك قوله « حصبها » إذ المعروف أن حصب السحابة
هو نقط المـاء لا البرد، إلا إذا ذكر . قال صاحب الاقتضاب :
كان الناس يعلمون بيت « قيس بن الحطيم » الذى يقول فيه :

لوانك تلق حنظلا فوق بيضنا — تدحرج عن ذى سامه المتقارب

من الإغراق والمحال الذى لايمكن ، حتى قال « ابن الرومى » :

فلو حصبتهم بالسقيط سحابة — لظل على هاماتهم يتدحرج

ثم قال « أبو الطيب » :

يمنعها أن يصيبهـا مطر — شـدة ما قد تضايق الأسـل

فزاد فى الإغراق والمحال .

« متبوع » — حسين منصور

الراديو — وصلتنا هـذه المقالات من صديقنا « حسين منصور » فوجدناها لا تتفق والمناظرة الأدبية ، ولا تمت بصلة إلى النقد النزيه ؛ بل هى سلسلة شتائم لا أكثر ولا أقل .

وكان الواجب على أديب كـ « حسين منصور » أن يترفع عنها .

وقد رأينا أن نهملها ، وكان ذلك فعلا . . .

ولما كان الأستاذ « كامل » على اتصال بنا ، لم يوافقنا على ذلك ، وعارض معارضة حادة ؛ فرضوخاً لإرادته نشرنا القسم الأول منها ، على أنه لون جديد فى « الشتائم العصرية » وعلى أن نهمل بقية المقال .

ولكن الأستاذ « كامل » غضب للمرة الثانية ، وجاءنا محتداً قائلا : أين حرية الرأى ؟ أين حرية النشر ؟

وألح علينا فى نشر بقية المقال .

وهانحن أولاء ننشره .

وقد أعطانا الأستاذ « كامل » درساً فى سعة الصدر للنقد ، حتى ولو كان بذيئاً ، فى الوقت الذى يغضب فيه أحدهم إن قلنا له : ذبابة على أنفك .

فليعذرنا القارئ إن أزعجناه بهذه « الشتائم الحديثة » وارد الصديق « حسين منصور » .

ديوان ابن زيدون [1]

بقلم : خلدون

أخرج الأستاذ « كامل كيلانى » وزميله الأستاذ « عبد الرحمن خليفة » ديوان « ابن زيدون » مشروحاً مضبوطاً مصنفاً فى سمت حسن ومظهر لائق ، وشكل أنيق . ثم قدم أولهما — بين يدى الديوان — فذلكة تاريخية عن « ملوك الطوائف » بالأندلس ، وحياة « ابن زيدون » وما أحاط بها من مسائل واتصل بها من شؤون ، وجعل على ساقه رسائل « ابن زيدون » وشيئاً من شعر « ملوك الطوائف » ومعارضات الشعراء للشاعر ودراسات الأدباء العصريين له ، وهكذا جاء الديوان سفراً نفيساً وسفارة ناجحة بين القراء وبين « ابن زيدون » وعصره .

وأول شىء تلمسه حين تتصفح الديوان هو الجهد البارع ، والعناية الفائقة ، برد ما حرّفه النساخ فى العهود الغابرة من الأبيات إلى أصولها وتفليته الديوان من الأوراق التى تراكمت عليه ، ثم شرح كل معضل الفهم من ألفاظه ، وتحشيته بتراجم مختصرة مفيدة للأشخاص ، وفذالك وجيزة للوقائع تنير السبيل أمام القارىء ، وتجعله غير غريب عن الشعر وقائله ، والعهد الذى قيل فيه ، والوقائع التى أوحت به : وهكذا يحدث الاتصال الروحى بين الشاعر والقراء .

هذا رأيى فى الجهد الذى انصب على الديوان ذاته وما اتصل به . فأما رأيى فى المقدمة التى كتبها الأستاذ « كامل كيلانى » للديوان : فإنى أدلى به ، ولا أظن صديقى « كاملا » حائلا عن عهده ، إذا قرأ بعض ما أنقده عليه ، وأراجعه فيه ، فإن ذلك لا ينقص من قدره ، ولا يبخسه حقه فى إخراج الديوان .

---

(١) الأهرام — ١٩٣٢/٨/٢٩

على أنى سألقى بعض المآخذ فى المقدمة على العجلة البادية فيها، ولو أن الأستاذ وجد — من وقته — ما يساعده على المراجعة، لما فاته أن يمحو الشيات وينسخ الهنات .

شتت الأستاذ فصول مقدمته من جهات مختلفة، نقل بعض فصولها عن بعض كتاب الغرب، واستعار لها بعض فصول كتبها هو لغير هذا المقام، ثم جعل من ذلك كله مقدمة تاريخية أدبية لـ «ابن زيدون» وعصره . وقد فاته فيها حسن الترتيب . ألا تراه يبدأ بنقل فصل للعلامة «دوزى» عن «ملوك الطوائف» تناول الكلام فيه قيام «بنى جهور» و «بنى عبّاد»، و «ابن زيدون» شديد العلاقة بالأولين، فهم الذين استوزروه، ثم نقموا منه فحبسوه ؛ لكن الفصل ينتهى من غير ذكر لذلك .

ويعقبه فصل بعنوان وهو منقول من رسالة لصاحب المقدمة عن «ابن زيدون»، وفى هذا الفصل يعرض الأستاذ للجامدين والمجددين من الأدباء، وتمضى فصول أخرى عن نشأة «ابن زيدون» وتشبيهه «بالبحترى» .

ويأتى الفصل الذى كان ينبغى أن يربط بالفصل الأول، لأنه تكملة له ونتيجة لمقدماته، وهو الفصل المعقود على أسباب سجن «ابن زيدون» .

هذه مسائل شكلية تتعلق بالوضع والترتيب أكثر مما تتعلق بالموضوع ذاته ؛ وأخشى أن يطول بى الكلام، إذا ناقشت الرأى الذى دسّه الأستاذ — على استحياء — فى مقدمته، ثم أخذ يجترئ شيئاً فشيئاً، حتى قذف به جملة، وأعنى بذلك رأيه فى المفاضلة بين «ابن زيدون» و «البحترى» وترجيح الأول على الثانى فى الأبيات أو الصورة — كما يقول الأستاذ — التى استشهد بها . ولست أريد أن أقول شيئاً أكثر من أن أنبه الأستاذ إلى ما عابه — فى مقدمته التى بين أيدينا — على بعض الأدباء من الغلو والإسراف والعصبية العمياء، لبعض الشعراء والأدباء : فإن «البحترى» شىء و «ابن زيدون» شىء آخر، وقد يحسن أحدهما ما لا يحسن الآخر ؛ فيحسن «ابن زيدون» أن يصف تباريح

الجوى ، ومواقف الغرام ؛ لأنه كان عاشقاً حقاً ، ولكن « البحترى » فى غزله كان رجل صناعة فحسب . ولكنه يحسن من الشعر ما لا يلحق « ابن زيدون » — على فضله — غباره ، أو يتعلق بآثاره .

وإنما قالوا عن « ابن زيدون » : « بحترى الغرب » تدليلا له ، وتشريفاً لقدره . وهذا التعبير لا يعدو أن يكون فى لغة البيان صورة من صور التشبيه والتمثيل ، والأمر كذلك حقيقة لا مجاز .. وإنى لا أرى المقام صالحاً للتوسع فى هذا الموضوع .

فأختم كلمتى بشكر الأستاذ على مجهوداته الأدبية القيمة ، وأقترح عليه المزيد .

روائع من قصص الغرب[1]

بقلم : عطية فهمي شاهين

لقد أصبحت القصة وسيلة من وسائل التربية ، بل قل إنها أقواها أثرا ، وأعظمها شأنا ، بما تثيره فى النفس من معان نبيلة سامية ، بفضل أسلوبها الخيالى الرائع ، وطريقة القصص .

ولقد اتخذت القصة اليوم مكانا ممتازاً فى الآداب كلها ، وأصبحت تعالج بها موضوعات الاجتماع ، وبعض موضوعات النفس والفلسفة ، وأصبح يكتبها علماء الاجتماع والتشريح والنفس ؛ بل أكثر من ذلك ، أصبح عماد القصة لا سرد الحوادث ، ولا تنميق اللفظ ، ولا السمو بالخيال فحسب ؛ وإنما فى دقة تصوير أشخاصها ، ودقة تحليل نفوسهم ، وما تنطوى عليه من خير وشر ، وحب وبغض ، وأثرة وإيثار ، ودقة إظهار العبرة والمعنى السامى من مواقفهم وأقوالهم .

وجملة القول أن القصة أصبحت تقوم على أساس قوى من علم النفس التحليلى. وعندى أن حظ أى أثر أدبى من الجودة وعدمها ، بمقدار ما يثير فى النفس من معان ، وبمقدار ما تترك هذه المعانى من أثر فيها . .

لقد أحسست بمعان تزخر بها نفسى وأنا أقرأ كتاب « روائع من قصص الغرب » الذى أنا بصدد الكتابة عنه . وكنت أحس أن هذه المعانى تزداد وتمعن فى التأثير ، كلما أمعنت فى القراءة ؛ حتى إذا أتيت على الكتاب ، أحسست أن ذاتى الباطنة ، تريدنى على إظهار ما أثارها من معان فى عالمى المحسوس . . هكذا بقيت أعيش تحت سلطان هذا الكتاب وقتا طويلا . .

فى الواقع أن حظ الكاتب الذى يترجم عن لغة أجنبية — من النجاح وعدمه — يتوقف على قدرته فى إظهار الأثر المترجم فى روعة وجمال ،

(١) الحال ١٩/٢/١٩٣٤

لا يقل — إن لم يكثر — عن تلك الروعة وذلك الجمال الذى له فى اللغة التى كتبه بها مؤلفه. فالكاتب الذى يترجم كالرسام الذى يرسم من صورة أمامه، فإذا كان قديراً رسمها، وكان لرسمه جمال الرسم الأصلى، بل قد يكون أكثر منه جمالا وفناً.

فإذا عرفنا — فوق ذلك — أن مهمة الكاتب هى فى إبراز المعانى وتصوير الأشخاص بلغة العرب فى دقة تدعو إلى الإعجاب والتقدير، فلاشك أن إعجاب القارئ يزداد إذا عرف أن الأستاذ «كيلانى» ليس لديه الوقت الكافى لمراجعة ما يكتب، والنظر فيه، بل هو قد يكتب وعامل المطبعة واقف ينظره حتى ينتهى.

ليس يتسع لى المقام لأتكلم عن كل قصة، وأبين العبرة التى فيها، والمعنى النبيل الذى تضمنته، كما أنى أشعر بالحيرة، إذا أردت أن أعرض قصة منها أو فصلا من قصة، إذ لا أدرى أيها آخذ وأيها أدع، وكلها تغرينى؟ فما قرأت قصة إلا أحسست معانى تكاد أن تتخلق بها نفسى، وما عاودت قراءة قصة إلا أحسست لذة ومعانى أخرى؛ فهى قصص لا سبيل إلى التفاضل بينها، بل هى — كما يقول الأستاذ «كيلانى» — تجمع إلى عمق الفكرة، دقة التحليل، وسمو الغاية، وبراعة الأداء، ثم هى فوق ذلك إنسانية عامة غير محلية، تتفق مع كل عصر، وتصلح لكل أمة.

إذن فلتلق من إعجاب القراء ما هو جدير بها.

وليلق الأستاذ «كيلانى» من التقدير والإعجاب ما هو جدير به.

روائع من قصص الغرب[1]

بقلم: على أحمد عامر

تناولت ما أنتجه «الجاحظ» فى حياته الأدبية، وأخذتنى هذه الوفرة الغالبة على أرقام كتبه، فمن المحقق أن الدهشة الصريحة ستبلغ بك إلى دخائلها، حين تعلم أن هذا الرجل الموهوب قد خلف مما خلف مائة وستين كتاباً، تبنى له فى باحة الخلد صرحاً ما أعتقد إلا أنه أبقى من الزمن. وهذه الكتب التى لا حصر لصفحاتها كما ترى، قد صوّر فيها «الجاحظ» كل ما يتصل بأساليب الحياة، سواء منها ماتدركه الرواية، أو مايدركه القصص، أو مايدركه البحث الأصيل: حتى التهكم الفارغ قد لقى فى هذا القلم الجبار مداداً يلعب على أديم الصفحات البيضاء، فينتج لذعاً كاوياً، ودعابة مريرة، فيها ما يأخذ الطريق على الأشياء والناس أخذاً خفيفاً ظريفاً، حقيقاً بالإعجاب، كما هو حقيق بالبقاء.

وكنت أعجب ا «لجاحظ» يمشى وعن جوانبه تلك الأضابير، أعجب له فى أى وقت أرشد خطواته، أو أرشدته هذه الخطوات إلى كفالة الحياة الأدبية بهذا الميراث الضخم؛ ولكن حياة «الجاحظ» نفسه قد أجهدت هذا العجب إجهاداً، حين أتاحت لى أن أعلم عنه، أنه كان يحيا فى دكاكين الورّاقين أياماً طوالا وليالى ساهرة، وأنه كان يجنب نفسه أعباء الحياة من جانبها الرسمى، فلا يستشعر الهدوء فى ديوان الرسائل، وهو كل شىء فى الدولة حينذاك، قدر مايملؤه الهدوء بعيداً عنه ملحاً عليه قلمه فى أن يستغل أيامه فى هذه الوظيفة، لا ليحمد إليها ماهيأت له من ذيوع، وإنما ليكتب عنها رسالة رائعة كلها معان فى التهكم على الموظفين. وتلك هى ميزة الأديب الموهوب يخضع كل شىء لرأسه، ويخضع كل خالجة تمضى إلى رأسه لقلمه القاهر المقتدر.

---

(١) الكشكول ١٩٣٤/٦/٨

وبقى « الجاحظ » من هذه الناحية يسود عقلى كله ، وأخذت أتناول الأدباء فى أشتات الحقب التى أعقبته ؛ حتى أستوعب نتاجهم من وجهة كمّه ، كما أستوعبه من وجهة مقداره ، وكان أن اهتديت إلى « فولتير » سيد الكتاب فى القرن التاسع عشر ، وكان أن علمت بأنه تابع طراز « الجاحظ » متابعة فيها كل ضروب خصائصه ، ذلك أن « فولتير » قد أنتج هو الآخر عشرات من الكتب : فيها الأقصوصة ، وفيها البحث الفلسفى العميق ، وفيها التهكم المرّ على ما يطوف به من أوضاع المجتمع ، وفيها إلى جانب ذلك ضروب من الابتكارات لاحصر لها ولا ضابط ...

ولكنى حين اهتديت إلى « فولتير » رأيتنى أنطلق عنه فى سهولة ويسر . ذلك أنى لم أستوعب نتاجه فى لغته ، وما على الجاهل فى هذا المضمار إلا أن يلتمس المثال المنشود فى جانب آخر ، يدرك منه غناء الروح التى تجابهه ، وتطل عليه من نوافذ الكتب التى اشترك فى تحريرها قلم واحد ، على الرغم من أنها ذات صور وألوان .

هنا ، وقفت أتأمل . ترى أيكون العالم العربى قد أصابه العقم ، بعد أن توفى « الجاحظ » ، فأسلم إليه هذا النتاج الوافى فى كمه ومقداره ؟

ولقد أشهدت نفسى على عينى ، حتى تستقرى هذه الأسماء التى تقودنا إلى مواطن الثقافة ، لتطلع على جملة ما أنتجوا للأدب ، فكانت العين حائرة بين هذا وذاك ، وكانت اليد لاتصيب فى جانب التعداد إلا الحظ الأقل الضئيل .. إلى أن تلقفتنى موجة من الفوز ، وأنا أتابع السعى فى هذا الميدان الوسيع .

كان الأستاذ كامل كيلانى إذن هو الموجة التى قذفت بى إلى الشاطئ بعد جلاد ؛ فقد أدركت حين أحصيت عليه نتاجه أننى أشهد « الجاحظ » قد استوى على سرحة الدنيا من جديد ، ولكنه مع ذلك قد فقد طابع الدمامة الذى ألم به فى حياته الأولى ....

ومن يدرى ...؟ ربما كان تقمص الأرواح قد وكل إلىّ هذا الصاحب

الذى تألف مجلسه إذا أطل الصبح بضوئه ... والذى تنصرف عن مجلسه إذا انصرف الليل إلى الأحياء يلبسهم إهابه ... ربما كان تقمص الأرواح قد وكل إلى هذا الصاحب « كامل كيلانى » روح « الجاحظ » : بخصائصها جميعاً ؛ فهو يعيش بيننا باسم مستعار ، ونحن نعيش إلى جانبه كهؤلاء الذين كانوا يملأون ندوة « الجاحظ » فى المسجد ، أو فى مسالك «العراق»...؟

ومن يدرى ؟ أينا لبس ثوب « النظام » ولا أينا اتشح إهاب « ابن المقفع » ، ولا أينا لابسته شخصية واحد من أولئك الذين استراحت الحياة إلى إنتاجهم على حافة اللجة التى تبدع كل يوم أرجة طريفة لايلم منها على الباحة الأدبية جو عاصف ، إلا أن يكون القصف فيه أحب ما ينشدء الدارجون على هذه الباحة ، وأعمق مابه يهتفون !

ودعنى أصدقك القول أنى تمثلت « الجاحظ » كله فى « كامل كيلانى » تمثلت فيه أسلوبه اليقظ المسماح النفاح القوى ، وتمثلت فيه عقليته التى لاتنصرف عن شىء إلا أن تحدث فيه حدثاً ، يشوق المتأدب ويأخذ عليه لبه ، وتمثلت فيه وجدانه الذى يعيش به كأديب موهوب يعرف أقدار الضاربين من حوله ، فلا ينزل واحد منهم إلى غير مستواه ، وتمثلت فيه روحه التى لا يدق عليها شىء ، حتى ولو كان دبيب النملة كما يقولون ...

هذه الخصائص «الجاحظية» كلها قد تمثلتها فى« كامل كيلانى» الذى يعيش فى القرن العشرين عيشة لاتعرف حمر النعم ، ولا تعرفها رحابة البيد ، ولا خشونة الحياة المطلة على أصحابها من نوافذ جهنم .

وعجيب جداً أن أملأ فمى بالحديث عن « كامل كيلانى » فى « روائع من قصص الغرب » ، وهى بضع روايات أشرق عليها الضوء العربى الباهر ، بعد أن وقفتها أقلام مبدعيها فى مواطن لايعرفها الناطقون بالضاد .

عجيب جداً أن أحدثك عن « صياد الخيال » أو عن « جان » فى « صياد الخيال » ، وأن أحدثك عن « بوكاتشو » أو « كوبيه » ، أو عن أضرابهم من أولئك الذين اتسعت لهم شواطئ السيرة ، ومن أولئك الذين اتسعت لهم شواطئ « البريتون » .

عجيب جداً أن أتحدث عنه فى هـذه القصص ، وأن أترك « مكتبة الأطفال » أو هـذه الطرائف العربية التى استحدث بها أروع الدرامات الواعية لمصارع الأعيان والخلفاء .

ولكنى على ذلك أحببت الحديث عن هذه الأقاصيص ، لأنى أحب ابتكار الأديب من وجهة تقديره للأدباء ، أيستطيع حقاً أن يبلغ الشأو فى تقديمهم إلى قرائه ، أيستطيع حقاً أن يصيب النجاح فى كشف النقاب عن نتاجهم ، فيزجى إلى قرائه أروع ما فى هذا النتاج من روائع ؟

يقول الذين درسوا « جان سرمان » دراسة استقصاء وبحث عميق : إن مسرحية « صياد الخيـــال » هى أخلد ما فى زمرة إنتاجه الأدبى ، وأنا بدورى أقول لأولئك السادة إن « كامل كيلانى » قد أخضع هـذه المسرحية لمواهبه إخضاعاً كفل له أوج التوفيق ، وما هذه المغامرات الكلامية الخفيفة ، البعيدة الغور ، فى موطن المرح ، إلا طيفاً من ذلك الشعاع « الكيلانى » الذى يضىء حيالك كل صحيفة تطلع عليها من كتبه جميعاً .

ويقول الذين درسوا « بوكاتشو » دراسة استقصاء وبحث طويلين عميقين : إن هذا التقصى عسير على أذهان الإيطاليين ، لأنه يحض على الخير والمثل الأعلى ؛ ولكن وسائله فى ذلك ليست فى شىء من وسائل الرجل المفهوم .

هو يتهكم ليصل إلى الجانب الساحق من فكرته الحبيسة ، أو فكرته المنطلقة ، وهو يداعب . ولكن يبكى أولئك الذين طالما ملأوا أشداقهم بالضحك ، وهو يهلهل المجتمع ، حتى يغرقه فى خضم من سوءاته ، لتكون النتيجة المحتومة هى هـذه السوءات ، وكبحها كبحاً عنيفاً ، فأقاصيصه إذن مزاج مختلف بين الفلسفة والأفاكيه ، حتى تكون سائغة ، ليستقر أثرها فى النفوس ...

و « كامل كيلانى » الذى كابد « أبا العلاء المعرى » حتى ليستشهد بشعره

على كل شىء ، قد فهم « بوكاتشو » حقاً ، وارتفع فى فهمه على ذلك المستوى الذى يقف عنده قارئو الأقاصيص ، وإذا كان لهذا الوعى نتيجة محتومة ، فأجدر بها أن تكون توفيقاً جماً ، حين يمر ببراعته العربية على هذا التراث الإيطالى العريق ...

وإنه ليخيل لى أن الأستاذ « كامل كيلانى » قد أزهق أنفاس الذين ترجم لهم تلك الروائع ، أعنى أنه عاملهم ـ بلغة السياسيين ـ معاملة الند للند ، فلم يخرجهم فى لغة الضاد إخراجاً عقيماً يذهب بروائعهم إلى القاع ، وإنما مهد لهم من سنام المجد بين الشرفين جميعاً ، حين توفر على إنتاجهم ، فأفرغه فى قالب من الحياة الطاوية لكل دخائل السداد .

ثمة أسلوب قاهر عنيد بعض الشىء ، لأنك تريد أن تلهمه روحاً جديدة فلا يواتيك التوفيق ، لأنه حافل بكل ما تلهمنا الحياة من نفحاتها الرائعة ، وثمة فتنة آسرة تلتمسها فى كل جانب من الروائع ، فتراها موزّعة بين سطورها جميعاً . وهذه الفتنة قد انتهبتها الألفاظ والأخيلة والتراجيع الموسيقية الجياشة بالسهولة والبساطة والصدق ، ثم هذه السيمات الطويلة فى أهواء تستهوى الرجل المثقف ، وتستهوى الرجل الذى لم تدركه الثقافة بوجوهها جميعاً ، هذه الفتنة الشائعة فى « روائع من قصص الغرب » حقيقة أن تثير فى نفسك أعمق بواعث الغبطة ، لأن الأديب الذى لا قدرة له على مجابهة الجمهور فى معترك هذه الفروق التى تباعد ما بين جموعه لا يستطيع أن يكون أديباً كاملا قميناً بالخلود ...

لقد هدتنا هذه الروائع إلى جانب جديد من أدبنا الفذ .

وخير لى أن أقول لك إنها أنستنى ما أردت أن أذهب إلى تحقيقه فى مستهل هذا الفصل من ملاحقة الأستاذ « كامل كيلانى » بصاحبه « الجاحظ » ، فكلاهما قد أغرق قراءه فى سيل من نتاجه ، وإنى لموفور الثقة بأن هذا الفصل سيشهد الضوء ، بينما يعلن المعلنون مولد كتاب كيلانى جديد .

فليبارك الله !؟

ملوك الطوائف

للأستاذ كامل كيلانى

بقلم : محمود عصمت

(١)

لم يدع لنا الأستاذ النابغة الكبير « كامل كيلانى » فسحة من الوقت نرجع فيها إلى كتب فحول الأقدمين ، أو نقع على الطيب النادر مما تخرجه المطابع ، فقد أخذ على أهل الأدب كل وقتهم ، وأبى إلا أن يطرفهم الفينة بعد الفينة ، متتابعتين متلاحقتين ، بما يمتعهم وما يستمتعون به من أدب طريف يخلع عليه كل يوم حلة جديدة ، ويلوّنه من عبقريته الفـــذة ، فأهل الأدب هؤلاء لا يكادون ينتهون من مطالعة كتاب رائع يخرجه لهم ، حتى يطالعهم بجديد رائع مثله . وأنت إذا لم تعرف هذه الشخصية الكيلانية البارزة ، فلك أن تعجب كيف أن الله قد خصه بموهبة لا يدانيه فيها إلا من اجتباهم ربهم ، وجعل فى أدمغتهم وقلوبهم وعيونهم ، بل وأيديهم ، كنوزا حوت كل نادرة . وقد امتاز « كيلانى » بأن الله قد وهبه علماً وأدبا وحصافة وأسلوبا ساحراً فى روعته . هذا الأسلوب البديع فى الكتابة والترجمة مما يجثو له الكتاب والمترجمون ركعا ، كأنه آيات بينات ، .

يقولون إن الإنسان فى هذا الكون ذرة متناهية فى الصغر ، لا تراها المجاهر المكبرة ، ولم توجد بعد لتراها ، ولكن هذا الـ « كامل الكيلانى » يرى بالعين المجردة لمن يراه ولمن يقرؤه أو يسمع عنه ، فهو ملء العيون والأسماع ، وهو شائع فى العوالم العربية والشرقية والغربية ، وله فيها جميعاً الذكر الجميل . أرأيت إلى عنصر « الراديوم » النادر ، والقدر الذى اكتشف

منه فى العالم ، وأن ذرة غاية فى الصغر منه ، قد أجدت على العالم والاختراعات والطب ، بل والإنسانية ، وهى ذرة لا تبلى إلا بعد أمد طويل ؟

ذلكم هو الأستاذ « كامل كيلانى » ، فهو ذرة « الراديوم » العلمية الأدبية ، المشعة فى كل النواحى نورا يهتدى به ، وهو من نور رب العالمين .

و « كامل كيلانى » وهو « الراديوم » ـ العلمى الأدبى ـ متواضع ماشاء التواضع ، يريد أن يبقى هذا الجوهر مكنونا فى زجاجة رأسه ، يخلق منه فى الأدب كل يوم جديداً فى غير زهو ولا خيلاء ، ولا يقرع الأجراس ، إيذانا بما صدر له من طرفة رائعة ، بل هذه هى التى يزفها البرق والهواء والبخار إلى العوالم العربية ، وإلى كل مكان يكون له فيه أطيب الذكر .

فهذا الذى ملأ عالم الطفولة وعالم الأدب وعالم التاريخ ، وما يمتّ إلى هذه العوالم ، ألا تراه صغيراً حين يتحدث إلى الطفل كطفل معه ، ثم يسير به فى قصص أولية ، يتدرج فيها بما هو أرقى منها أسلوبا فى اللغة وفى التفكير ، حتى يكوّن عند الصغير هاتين الميزتين الثمينتين : الحرص على اللغة العربية الفصحى ، ثم خلق الفكرة النبيلة فيه . ثم لا يفتأ يتعهد الطفل بما يرقى مداركه ، إلى أن يجعله يجوب الآفاق ، ويضرب فى بطن الأرض ، ويقتنص المعارف ، كل هذا فى أسلوب طريف جذاب ، لم يجئ بمثله الأولون ، ولا الآخرون .

ثم تعال بنا نرَ سيّد الكتاب والمترجمين « كامل كيلانى » ، يطلع علينا أخيراً بدرر مؤلفاته الثمينة الرائعة ، بكتاب « ملوك الطوائف » للمستشرق الهولندى الشهير « دوزى » . وقد نقله عنه نقلا صادقا ، ولم يفته شىء من الهنات التى يقع فيها بعض المستشرقين غالباً .

يقع هذا الكتاب فى نحو أربعمائة وخمسين صفحة ، يكاد يجمع بعضه ما أخذه المترجم الأستاذ « كيلانى » عن المستشرق « دوزى » ، ولكنك لو رجعت إلى الأصل لأخذك العجب .

هنا نقطتان نميز فيهما الأستاذ «كامل كيلانى» : نقطة الترجمة مع حسن الأداء ورونق الأسلوب . ثم نقطة الشروح التى فسرت كل غامض ، أو ما هو من الهنات والمآخذ ، فقد جلا جملة أو كلمة من قول المستشرق بصفحات من الشروح الفياضة التى لا غناء عنها ، حتى سد الفراغ الذى كان هناك .

وترجمة الأستاذ «كامل كيلانى» لـ «ملوك الطوائف» لها ميزة أخرى ، فأنت إذا قرأت ترجمته — وما كنت تعرف «دوزى» — حكمت بأنه مؤرخ صنع ، وكاتب لبق ، وما هذا إلا لأنه يضع المعنى موضعه ، ويحسن أداءه . وهذا هو أسلوب «كيلانى» الذى ينهجه فيما يذهب إليه من وضع ؛ بحيث يتسق الأصل والأداء تماما .

وأقسم لو أن «دوزى» يقرأ اليوم كتابه الذى أخرجه «الكيلانى» ، إذن لسجد له ورفعه مكانا عليا .

وكأنى بـ «دوزى» الآن يصفق بيديه ويرفرف بروحه ، إذ وجد من أكمل له نقصا ، وشرح ما غمض عليه فى حواشيه التى هى جلّ الكتاب ، ولو قدرناها لخرجنا بها كتابا آخر .

وهذا ديدن «الكيلانى» فى أبحاثه وكتبه ، يفيض مما رزقه الله من علم على من يعلمون ومن لا يعلمون .

والآن يصحّ أن يقال : إن كتاب «ملوك الطوائف» - فى أصله - لـ «دوزى» : ولكنه فى جوهره لـ «كامل كيلانى» .

عرفت الأستاذ «كامل كيلانى» فى لغته العربية ، وتعمقه فيها ، فإذا هو الحجة غير مدافع . وعرفته فى الترجمة ، وأنا من أهلها : فإذا هو لا يتعسر عليه شىء منها ، ويخرج بالقول إلى القول مع ما يزيده أناقة ولا يبعد عنه قيد شعرة . بل يكاد صاحب القول نفسه يتمنى له أنه واضع هذا الكتاب الذى تعهده فإذا هو يتناول جزءا من سطر ، فيشرحه فى صفحات ليبين للمستشرقين كيف يضعون كتبهم . ..

وبعد ! فماذا عسانى أقول فى الأستاذ « كامل كيلانى » ، وهو مجموعة إنسانية حيّة علمية . فبينا هو مع الأطفال - فيما وضع لهم من قصص - إذ بك تراه يمرح فى نواحى الأدب والقصص الرائعة .

وقد بشرنا الكاتب الشاعر الكبير الأستاذ « عبد الله عفيفى » — فى كلمته الرائعة التى كتبها عن « ملوك الطوائف » فى « البلاغ » الأغر — بأن الأستاذ « كيلانى » سيخرج علينا قريباً بمفاجأة جديدة .

وليس هذا عجيبا ، فـ « كامل كيلانى » كله فى الأدب مفاجآت ؛ وهو فيه الحركة الدائمة ، وقد عوّدنا دائما أن يفاجئنا بطرفه ونفائسه وأساليبه المعجزة وآرائه السديدة ، وأدائه السليم ؛ هذا إلى حسن ذوق ودقة اختيار .

ولا أحسبنى فى هذه الكلمة وفيت « ملوك الطوائف » حقه : فلعل الفرصة تسنح للعودة إليه ؛ ولا يسعنى إلا أن أختم هذه الكلمة الوجيزة بتهنئة صديقى الأستاذ الكبير « كامل كيلانى » بما أصاب من فوز مبين فى ميدان الأدب الذى هو خليق فيه بإكليل الغار .

(٢)

ألممت (١) فى مقالى السابق إلمامة وجيزة بهذا الكتاب (ملوك الطوائف) الذى أخرجه إلى عالم الأدب الأستاذ الكبير « كامل الكيلانى » ، وهذا كتاب يندر أن تخرج مثله المطابع ، ومخرجه نادرة فذ من الذين لا تأتى بهم القرون إلا على ونى .

وقد يقول بعض الكاشحين : وما لـ « كامل » و « ملوك الطوائف » ، وهو جزء من تاريخ الأيام الأخيرة التى فقد فيها الفردوس الإسلامى مما هو مدوّن فى أسفار أخرى ؟

وهذه الظنة السيئة لم تكن لتمرّ بزعيم الأدب ، وحامل لوائه فى « مصر » الأستاذ « كيلانى » الذى عهدناه محققا باحثاً ، لا يصدر إلا عن اطمئنان

---

(١) السياسة ٨/٧/١٩٣٤

من نفسه ، واطمئنان لنفوس قارئيه ، فهو عليم — بالطبع — بأن تاريخ الأندلس مدوّن فيه ذكر « ملوك الطوائف » ، وأن « دوزى » المستشرق الهولندى قصر كتابه عليهم فحسب .

ففضل الأستاذ الألمعى الكبير « كامل كيلانى » يجاوز من سبقوه فضلا ، لأنه ترجم « دوزى » ، وجمع شتات ماهو مبعثر فى مختلف الأسفار ، والتوفيق بينها ، وإصلاح أخطائها ، مع مازاد من شرح وإيضاح لما غمض على « دوزى » ، ولما التبس على غيره : مما لا يقع عليه إلا ذو الرأى الثاقب ، والذهن المتوقد ، والعبقرية المشعّة ، والمزاج السمح . وقلّ أن تتوفر هذه الخصائص جميعاً فى كثير مثل الأديب الكبير « كيلانى » .

إذن فقد أخرج كتابه جديدا فريداً فى بابه ، جمع فأوعى .

موضوعه

كلما ذكرنا اسم « الأندلس » ، خيل لنا أننا ما نزال ننشق طيب رياحينه ، وكأن نسائم لاتفتأ تهبّ علينا عليلة ، ونسمع الصادح والباغم بين أفنانها الزاهرة ، ودوحاتها الساحرة ، ثم تتجلى أمامنا مجالس ملوكها ، وحولهم خلاصة أهل العلم والفضل ، وفحول الشعراء الموهوبين ، وهنا نرى جلال الملك وجلال الأدب يجتمعان : لأن ملوك تلك الدولة كانوا يمتون للأدب بأوثق صلة .

وإذا نحن فى نشوة ، تعاوننا تلكم الذكريات ، وإذا ببادر الكمد يتسرب إلينا مما كان من أمر المنافسات والانقسامات ؛ بين ملوك الطوائف ، وإيثار كل واحد نفسه وولده .

وكان هذا التقاطع مدعاة لتطرق بربر « إفريقية » إلى « الأندلس » وسبيلا ممهدا للغرب الذى أراد أن يخضد شوكة الإسلام الزاهر فى « الأندلس » ، فما أتيح له ذلك وهو فى أوج مجده ، ولكن قدّر أن يكون فى عهد « ملوك الطوائف » .

ولا نكران فى أن عهد بعض « ملوك الطوائف » فى « الأندلس » كان

عهداً مزدهراً ، تضوع نفحاته الطيبة ، ولكن الدسائس والأطماع ، نعم ! كانت المعاول التى دكت صرح ذلك المجد الشامخ ، ونفذ الغرب من خلال غبار هذه الانقسامات لأداء المهمة المعهودة إليه : فأدى رسالته ، ودالت دولة « الأندلس » الإسلامية الفيحاء ، وقامت على أنقاضها دول ... وهكذا أصاب الله تلك الدولة بما كتب لها .

فأنت ترى تاريخ « الأندلس » الزاهر الذى لانزال نقرؤه بزهو ونخار ؛ ولكن أعقبه تاريخ « ملوك الطوائف » ، فكان مضطربا قلقا ، تغلبت فيه عناصر الدسائس والانقسامات ، وكانت كلها إلبا واحدا ، ذهبت بريح تلك الدولة العظيمة .

هنا نرى أنفسنا موزعة بين عوامل كثيرة متناقضة ، قامت على سوقها ، فدكّت ذلك البناء المتهدم بمعاول أهله .

إن تاريخ « ملوك الطوائف » درس نظرىّ للأمم ، وليس من الحسن أن يغفل جمع أطراف هذا الدرس وأوصاله ، فيخرج صورة نافعة للأمة .

قلنا إن ذكر « ملوك الطوائف » كان مبعثرا فى شتى مؤلفات ، جاء بعضها بشىء من الصحة عن ذلك العهد . وبعضها كان نصيبه الخطأ ، إذ هو استسقى معلوماته من مصادر مختلفة ، لاتخلو بعضها من الجهل بالوقائع ، أو تعمد تغيير حقائقها طواعية لنزعاته .

لهذا كان تاريخ « ملوك الطوائف » — فى مجموعه — مظلما مفكك الأوصال ، يعيي الباحث فى إرضاء حاجته منه .

وجاء العلامة « دوزى » فجمع الكثير من هذه الأشتات ، واقتبس ما رآه صالحا لكتابه من بعض مستشرقين آخرين ، ومن بعض مؤرخى العرب ، ومع هذا فقد جاء كتابه ناقصا لم يسدّ الفراغ الذى فيه .

وكان لابد لكتاب (ملوك الطوائف) هذا ، من يخرجه إلى العربية ، حتى تكمل مكتبة تاريخ « الأندلس » بحذافيرها .

وما نشكّ فى أن كثيرين من أهل الفضل والعلم الباحثين قد وقفوا على كتاب « دوزى » هذا ، ونجدنا فى حيرة : كيف لم يقدّر لواحد من هؤلاء الفحول أن يخرج هذا الكتاب للناس ؟

أكان يرضيهم أن يبقى تاريخ «الأندلس» ناقصا ، حتى من ذكر الضعف والانقسام والاضمحلال والتلاشى ؛ مع أن هذا كله هو الدرس الذى يجب أن يتلوه المسلمون بكرة وأصيلا ؟

أم هم عجزوا عن ترجمة هذا الكتاب وهم من جلة المترجمين ؟

إن هذا الظن إثم لو أننا أخذنا به . ونحن نبرأ إلى الله منه .

ولكن أكبر ظننا ، هو أن أولئك الفحول قد غمض عليهم ما سبق أن غمض على « دوزى » من هذه السير.

وشاء الله أن يتيح لكتاب « ملوك الطوائف » من يخرجه فى أحسن تقويم : ذلكم هو نقيب الأدباء الأستاذ « كامل كيلانى » .

ولقد يدهش القارئ كيف أنى لقبته « نقيب الأدباء » ، ولم يسبق أن يطلق عليه هذا اللقب عندنا ، وهل يعدنى مازحا ، أم أنا الذى خلعت عليه هذه المنحة ؟

وأنا أقول لسيدى القارئ الكريم : إن لقب « نقيب الأدباء » إنما منح للأستاذ « كيلانى » من دولة شرقية ، أكبرت أدبه ، وأشادت بذكره ، هى دولة الأدب فى العراق .

أذكر إذ جاء مصر زائراً الأستاذ العراقى الصحفى الأديب الكبير « روفائيل بطّى » ، وقصد إلى لقاء الأستاذ « كامل كيلانى » .

ولما أن أنس به ، قال لنا ونحن فى جلسة : إننا فى « العراق » نلقبك « نقيب الأدباء » فى مصر .

فإذا كانت دولة الأدب فى العراق العريق فى الأدب منحت هذا اللقب لمن ندعوه نحن بحق ، عبقريا وكبيرا موهوبا وزعيما ، أفلا ترى أن الأستاذ

« النقيب » كامل كيلانى ، الذى حظى بألقاب الأدب جميعاً ، هو الذى كان فى لوحة القدر أن يخرج (ملوك الطوائف) ، ويضمه إلى مجموعة التاريخ الأندلسى الرائع ، وكانت هذه صورا وأقوالا مبتورة ، بل تـكاد تـكون منسية ، فرمى « النقيب » عليها أشعة كشفت عنها كل ظلمة وغموض ، وجال فيها بحق ، ما شاء له الحق والتاريخ .

لهذا أخرج الأستاذ « الـكبير » ، بل الأستاذ النقيب ، هذا الـكتاب ـ فى إيفاء تام ـ من جميع نواحيه .

وإذا سألتنى عن الترجمة ، فلا أغالى إذا قلت — وقد خبرت الأستاذ « كيلانى » — إنه مترجم صنع ، دقيق التصور ، حسن الآراء ، سمح الخاطر . وما رأيت عقبة وقفت دونه فى الترجمة إلا ذللها بحسن التفكير والآراء : حتى لاتخرج على الأصل فى شيء ، بل هى تـكون الأصل نفسه حيث يجب أن يكون !

ومن يقرأ كتاب الزعيم الأدبى « كامل كيلانى » « ملوك الطوائف » يخرج منه أولا بدرس رائع فى الترجمة ، ثم كيف حسن الأداء فى الأسلوب السمح الذى يصوغ لك الرصاص سبيكة ذهبية ، فهو فى الأدب كيمائى !

وإلى هذا لم أف بعد ما علىّ من حقّ لـكتابه « ملوك الطوائف » ، ولا يسعنى إلا أن أجهر بالقول بأن الأستاذ الـكبير « كامل كيلانى » ، هو المجلى فى الحلبة ، وفى كل الأشواط التى قطعها فى تربية الطفل بالقصص فى متنوع أدواره ، إلى البحث عن تربية الشباب ، إلى النهوض بالأدب العربى .

لقد شاء الله أن فجّر للوطنية الشابة المغفور له « مصطفى كامل » (باشا) ، وفجّر للنهضة الحديثة المغفور له « سعد زغلول » (باشا) . واليوم شاء أن تفجر عيون الأدب — فى مصر والأقطار الشرقية — الأستاذ « كامل كيلانى » ، إلى عمر طويل ، حتى تتم رسالته ؟

حسن الاختيار[1] ، وحسن الأداء ، ميزتان خصّ بهما الأستاذ الكبير «كامل كيلانى» فى كل ما كتب ، وكل ما ترجم .

ولا بد أن يعاون هاتين الميزتين ، سلامة الذوق ، ودقة الإحساس . وكل هذه جميعا عناصر فن توفرت فى هذا الأديب الفذ .

كم تخرج المطابع من ثمرات ذات قيمة ، وأصحابها من الأفاضل النابهين : فيقابلها القراء بأمزجة مختلفة ؛ فبعضهم يمرّ عليها ويلقى ضوءا من عنده ، لما يعتورها من غموض ، والبعض الآخر يمرّ بها لماما ، آسفا لنصف المجهود الذى بذله المؤلف أو المترجم ، وما ذلك إلا أن عناصر الفن التى أبديناها غير مستقرة فى دائرة ذهنه ، ويجب لها الكثير من التغذية والضوء ، حتى تخرج جنيا طيبا .

ولقد أضاع هؤلاء المؤلفون والمترجمون أوقاتهم جميعا ، أضاعوا على أنفسهم ، أن يكونوا على ثقة بها . وأضاعوا على أهل الثقافة ربع وقتهم ، وهم يمرون بهذه الثمرات مر الكرام .

انظر إلى الطهاة الذين يغذون الأجسام ، تجد بعضهم — مع توفر مهارته — إذا قدم لك لونا من الطعام ، لا تستطيع أن تستسيغه النفس : بل تتقزز منه ، ولا تلبث أن تلفظه ، لأنه ثقيل على المعدة ، عسير هضمه .

ثم أنت واجد طاهيا يقدم لك لونا تشمه أنفك من بعيد ، ويسيل له لعابك ، وتهوى عليه التهاما ، ترجو مزيدا !

هذا الطاهى الثانى هو الذى يقولون إن له (نفَسا) ، حتى ولو لم يكن ماهرا فى صناعته !

فحبذا لو كان لبعض من يخرجون للناس كتبا ، مثل هذا « النفَس » ، فتكون غذاء للعقول باقية الأثر .

---

(١) السياسة ١٥/٦/١٩٣٤

ولعمدة الكتاب والمترجمين الأستاذ الكبير « كامل كيلانى » هذا « النفس » الروحانى؛ فقد توفرت لديه جميع العناصر اللازمة لتغذية العقول وإنماء المدارك؛ فهو يقدم للطفل ما يشتهيه فى قصص، مما يسيل لها لعابه، وهى فى صورة تستهوى نظره وفؤاده: ثم هو يقدم للأدباء والمفكرين غذاء آخر شهيا، يسوغ لهم، ويملأ مدار أذهانهم نورا دائم الإشعاع.

هذا كتاب « ملوك الطوائف » ترجمه إمام المترجمين وعمدة الكاتبين — غير مدافع — الأستاذ « كامل كيلانى »: بلسان عربى مبين، فلا يكاد الإنسان يتم قراءته مرة، حتى يدفعه الشغف إلى معاودة تلاوته مرة بل مرات، إذ هو فى كل مرة يقع على غذاء روحىّ عقلى؛ كمن تستطيب نفسه دائماً غذاء شهياً.

ولا غرابة فى ذلك، فإن الأستاذ « كيلانى » عرف كيف يهيئ هذه المائدة، فكان من رائحتها الشهية ما يجذب العقول إلى طيب هذا الغذاء: فأنت فى هذا الكتاب ترى المستشرق « دوزى » يسرد لك سير « ملوك الطوائف » على القدر الذى اهتدى إليه، مع ما خالط بعض هذه السير من الغموض والإبهام.

فجاء الأستاذ الكبير « كيلانى » وأخرج « دوزى » فى صورة فنية جميلة، كستها سلامة العربية الأنيقة أنسجة ذات بهاء وروعة، فأنت هنا لا تقرأ المستشرق الهولندى « دوزى »، ولكنك تقرأ العلامة المصرى الفحل « كيلانى ».

وزاد « ملوك الطوائف » روعة، وجعل له قيمة، ما وشّى به من شروح مستفيضة، تدلك على أن الأستاذ النابغة الـ « كيلانى »، أخرج طرفة حقيقية، لا نقص فيها ولا غموض ولا إبهام.

يطلعنا كتاب « ملوك الطوائف » هذا على ما وقع فى الأندلس بعد أن اضمحلت الخلافة الأموية، واستبد بالأمر « المنصور بن أبى عامر »

وأعقابه ، وأسسوا الدولة العامرية ، وحالفوا بربر (صنهاجة) ، واستعانوا بهم من دون العرب . ثم ثارت الفتنة فانقرضت دولة العامريين ، وعاد السلطان لبنى أمية ثانية ، ثم تدهور بنو حمود ، ومن إليهم من الأمراء والموالى والوزراء وكبار العرب وأعيان البربر ، وقام كل واحد منهم بأمر فى ناحية ، وما زال حبل الأمن فى اضطرابه ، حتى ولى الأمر « أبو محمد جهور بن محمد بن جهور » فى قرطبة ، ودالت دولة الأمويين ، وصار الأمر إلى رؤساء البلاد ، وولى بنو عباد « إشبيلية » وغرب « الأندلس » .

هذه كانت نشأة (ملوك الطوائف) ، وكان من همهم أن شغلوا بالتغلب على بعضهم ، حتى لقد كان بعضهم يستنصر بملوك الفرنجة على إخوانهم فى الجوار : حتى استتب الأمر لـ « يوسف بن تاشفين » ، وأقام فى « الأندلس » دولة « المرابطين » .

هذا مجمل نشأة (ملوك الطوائف) ، تتبين منها مبلغ ما كانوا عليه من تفرق الكلمة ، والرغبة منهم فى تغلب البعض على البعض : حتى بالاستنصار بملوك الفرنجة . . وكان هذا مما مهد لغير العرب سبيل التغلب على الأندلس جميعها .

ثم لابد لك من أن تدرك أن ذلك العهد كان قد جمع بين العلم والعظمة ، واللهو والترف ، والدماء تجرى على الغبراء كما يجرى النبيذ فى الأجواف ، وبين رنات الأعواد وغناء القينات ، ورقص الراقصات : كانت ترقص جثث القتلى والجرحى الذين شربوا من أيدى مضطهديهم كأس المنية مترعة .

وكانت هنـــالك دسائس دلّت على سفه خطة « ملوك الطوائف » ومكر رجالهم .

وكان للأدب مجال أيضاً فى عهد « ملوك الطوائف » .

وقد أفاضت حواشى الأستاذ « كيلانى » فى مناسبات شتى على ما وضع « دوزى » الكثير من هذا الأدب فى مواضعه : من نظيم رائع ، ونثير بديع ، وطرف قيمة من أقلام أهل الأدب فى ذلك العصر الزاهر .

فكتاب « ملوك الطوائف » يعد مجموعة كاملة شملت تاريخاً وتعقيباً صحيحاً عليه ، وأدباً متيناً فى سلاسة وجزالة ، وذكر اللهو والطرب والخمر فى قصور الملوك ، وما يحيط بها من الدساسين الماكرين .

وإذا كان لكل شىء رونق يزهو به ، فقد زها كتاب « ملوك الطوائف » بترجمة إمام المترجمين ، وعمدة الكاتبين ، الأستاذ « كيلانى » ، فقد خلع عليه ثوباً أنيقا من الترجمة العربية وحسن الأداء : ثوبا لا يبهت لونه ، بل يظل متألقاً دواماً ؛ لأن هذا اللون الذى لا يطفأ صادر من شفافية الروح ، ومن أعمق منازل الإحساس .

فلتهنأ المكتبة العربية بهذه الطرفة من روائع الأستاذ الكبير « كامل كيلانى » . نفع الله به الأدب ، وأفاض عليه بما يخرج به كل يوم جديد ؟

ملوك الطوائف

ونظرات فى تاريخ الإسلام (1)

بقلم : سيد قطب

« الأندلس » ، أو « الفردوس المفقود » : اسم ساحر فى نفس كل شرقى ، له صداه حين يذكر ، وله ذكرياته ، التى يحتفظ بها « عقلنا الباطن » جيلا بعد جيل ، وما أدرى أى حنين دافق هـــذا الذى يخالجنا حين تذكر « الأندلس » أو يذكر « الفردوس المفقود » ؟ ولا أية ذكريات متشابكة ، تلك التى تربط كل شرقى بهذا الاسم المحبوب ؟

إنها — ولا ريب — ذكريات الفخر ، تمازجها ذكريات الخجل ، وإنه الحنين إلى الآمال المرجوّة ، والآلام الدامية . إنه ذلك المزيج الغريب الذى ألفت عناصره أجيال ومصارع ، وأقدار وصروف !

ولعل عهد « ملوك الطوائف » بالأندلس هو أشد عهودها تمثيلا لذلك الصراع بين الرجاء واليأس ، وبين النجاح والخيبة ، وبين الآمال والآلام ، ذلك العهد الذى تفرقت فيه قوى الإسلام — أو قوى الشرق — فى الأندلس ، والذى تحللت تلك العظمة التى نافست فيها « قرطبة » يوماً ما « بغداد » عاصمة الدنيا ، والذى أصبح فيه « ملوك الطوائف » أشبه بحكام الأقاليم : فمهدوا « للغرب » أن يقصى « الشرق » عن جنباته ، وعبدوا طريق الفقدان لذلك « الفردوس المفقود » .

هذا العهد العجيب ، مجهول التاريخ أو شبه مجهول ، ذلك أنه مظلم الجوانب ، أو ذلك أنه مشتت الحوادث ، أو ذلك أنه كثير الأحداث ، سريع التقلبات ، شديد الاضطراب .

---

(1) الأهرام ٢٧/٦/١٩٣٤

وأنا أعلم أن هنـاك كتباً شتى مؤلفة فى تاريخ الأندلس منها : « نفح الطيب »، ومنها كتاب « المعجب »، وكتاب « عقد الجمان »، وكتاب « البيان المغرب »، وكتاب « ابن بسام »، وكتاب « الإحاطة »، وسواها .

ولـكنى أعـلم أن عهد « ملوك الطوائف » لا يزال برغم هذه الـكتب ، مشتتاً مشرداً ، غير واضح ولا معلوم ، وأعلم أن كثيراً من طلبة المدارس الذين يدرسون تلك الفترة — وأخص بالذكر طلاب دار العلوم — يقاسون كثيراً من المشاق فى تحقيق أخباره ، أو ملاحقة أحداثه وتصورها .

واليوم يتقدم الأستاذ « كامل كيلانى » للعربية بترجمة لـكتاب العلامة « دوزى » عن « ملوك الطوائف »، ويزيد عليـه « حواشى » تؤلف هى الأخرى كتابا !

وما نريد أن نقول عن هذا الـكتاب إنه حل المشكلة ، ولا أنه عبّـد الطريق ، فما تزال المشكلة قائمة — والحق يقال — وما تزال الطريق شائكة ، ولـكن نريد أن نقول : إن هذا الـكتاب — مع حواشيه — قد صنع شيئاً كثيراً ، وقدم للتاريخ العربى خدمة كبيرة ، وألقى على هذا الغموض كثيراً من الأشعة ، قد يأمن معها الباحث عثرات الطريق .

ولعل أهم ما قدمه هـذا الكاتب ، هو « المادة الخام »، هو الحوادث التاريخية . ولعل الأهم من ذلك فيه ، طريقة سرد الحوادث التاريخية ، والأسلوب الذى اختاره لأدائها ، والذى استطاع به أن يضمن انتباه القارئ وتركيزه ، رغم تشتت الحوادث وإملالها .

ثم تبقى بعد ذلك ملاحظتان : إحداهما على العلامة « دوزى » ، والثانية على الأستاذ « كامل كيلانى » !

ذلك أن « دوزى » يصيب حين يسرد الحوادث ، ولـكنه كثيراً ما يخطئ عندما يتعرض للحكم ، ولا سيما حينما تـكون المسألة نزاعا بين « الإسلام والمسيحية »، أو بتعبير آخر هنا يساويه : « بين الشرق والغرب » !

هنا يخون الرجل التوفيق ، وتبرز الرغبات الباطنة ، التى إن لم تكن تحيزاً مقصوداً فهى تحيز « العقل الباطن » فى نفوس الغربيين فيما يختص بالشرقيين !

وذلك أن « كامل كيلانى » كان باستطاعته أن يستغنى عن بعض هذه « الحواشى » التى صارت كتابا فى داخل الكتاب . ولعله صانع ذلك فى الطبعة الثانية ، فينقص حجمه ما يقارب العشرين صفحة ، حين يكون فى كلام « المؤلف » ، ما يغنى عن حاشية « المعرب » !

* * *

أما « نظرات فى تاريخ الإسلام » فهو القسم الثانى من المجلد الذى بين أيدينا ، وهو مقتطفات من كتاب كبير للعلامة المستشرق « دوزى » ، تناولت موضوعات شتى ، منها : ديانة العرب فى الجاهلية . ديانة العرب الأولى . العرب والجن . عبادة العرب للأصنام . زندقة سادات قريش . الإسلام . أسباب انتشار الإسلام .

ووددنا لو يتسع المقام لاستعراض هذه المباحث ومناقشتها ، ولكن هذا لا يستطاع ، وخلاصة القول فيها ، هى ما لاحظناه على « دوزى » فى كتاب « ملوك الطوائف » ، ولكنها هنا بشكل أوضح ، لأنها تتعلق صراحة « بالإسلام » !

وعلى شدة ما حاول الرجل أن يكون منصفا ، فإنه لم يستطع أن يرى من أسباب انتشار الإسلام إلا « المنافع » التى كانت تعود على أهل البلاد المفتتحة إذا أسلموا . أما روح الإسلام العلوية ، وقواه الروحية التى اجتذبت الناس يوم أن لم يكن الدين « منافع » ، بل يوم أن كان فيه عذاب وإهانة وهلاك ، فإن الرجل لم ينفذ إليها حسه ، وهو جدّ معذور ، وكل المستشرقين معذورون معه إذا لم ينفذوا إليها ، كما هم معذورون إذا لم يفهموا الدوافع النفسية العميقة فى حياة الشرقيين ، لأن العقل وحده — الذى يعتمدون عليه — لا يكفى لفهم مثل هذه الدوافع والميول !..

على هذا الأساس يجب أن نقدر كلام المستشرقين .

أما الأستاذ « كامل كيلانى » فله الشكر على ما أتاح لقراء العربية مثل هذا الحديث المفيد .

ملوك الطوائف[1]

للدكتور : محمد كامل حسين

هم ملوك حكموا ولايات فى «الأندلس» بعد أن ضعفت الخلافة الأموية بها ، وصار الأمر كله بأيدى حكام هذه الولايات : فاستبدوا بها . بل نجد كثيراً من هذه الولايات تلغى الخلافة ، وتكل أمورها إلى حكامها . وطبيعى أن تقوم منازعات عنيفة شاقة بين هذه الولايات ، وتقوم الفتن والدسائس بين رجال البلاط ، ولهذا كله كان أغمض عصر فى التاريخ هو العصر المملوء بهذه الأنواع من المشاحنات والحروب ، ويصعب على المؤرخ أن يلم بكل شىء فيه ، وأن يصف هذا العصر وصفاً جامعاً كاملا كما يقولون . ولهذا نجد القدماء الذين أرخوا هذا العصر ، يتخبطون ويتورطون فى أخطاء تاريخية ، تضطر الباحث الحديث أن يحتاط فى قبول هذه الروايات المختلفة .

من هذا تدرك مقدار هذه الصعوبة التى يجدها رجل كالمستشرق « دوزى » وهو يؤرخ هذا العصر ـ عصر ملوك الطوائف ـ ولكنك إذا قرأت كتابه الذى وضعه بالإنجليزية ، عرفت بسهولة مقدار تضلع هذا المستشرق فى تاريخ الأندلس ، وسعة اطلاعه على كل شاردة وواردة فى هذا التاريخ الغامض المجهول ؛ فلا شك أن الأستاذ « دوزى » قد أجهد نفسه فى البحث عن آثار الأندلسيين : الأدبية والتاريخية ، وناقش هذه كلها مناقشة عليم خبير ؛ حتى إذا وضح له ما كان خافيا ، وأنير له الطريق ، أخذ يكتب كتابه هذا « ملوك الطوائف » على ضوء البحث الحر الحديث ، فاستطاع أن يصل إلى هذه الحقائق التى سردها فى « ملوك الطوائف » ، والتى وجد فيها الأستاذ « كامل كيلانى » ثروة علمية لا تقدر ، فنقلها إلى العربية ، محافظاً ـ قدر طاقته ـ على الروح التى كتب بها « دوزى » هذا الكتاب .

لست أشك أن تاريخ الأندلس ، وأدب الأندلس ، ما زالا غامضين ؛

---

(١) الوادى ١٩٣٤/٧/٢

مهما عمل المؤرخون والأدباء على الكشف عنهما ، لأن تاريخ هـذه البلاد وأدبها ليسا من السهولة بمكان ،حتى يكشف عنه فرد أو أفراد قلائل . والواقع الذى لاشك فيه أننا محتاجون إلى جهود جبارة ، وعقول خصبة منتجة ، تتجه جميعاً إلى دراسة تاريخ الأندلس ، والأدب الأندلسى ، على ضوء طرق البحث الحديثة . وبذلك فقط نستطيع أن نوفق إلى معرفة الأندلسيين معرفة صحيحة، أما هـذه المجهودات الفردية التى يذيعها بعض المؤرخين والأدباء من حين لآخر ، فهذه لا قيمة لها ، وإن أعطتنا فكرة عن حياة « الأندلس » .

* * *

وإنى أعجب كيف لا يدرس تاريخ الأندلس والأدب الأندلسى بالمدارس المصرية دراسة واسعة ، كدراستنا لتاريخ العرب والأدب العربى فى الأقطار الشرقية ؛ مع أن المؤرخين يجمعون على أن حضارة « الأندلس » لم تنقص شيئا عن حضارة أهل المشرق ، ومع ذلك اتجه الأدباء والمؤرخون إلى العراق والشام والحجاز ، وأهملوا مصر والمغرب والأندلس .

وإذا عرفنا أن تاريخ « الأندلس » غامض مجهول إلى الآن ، استطعنا أن ندرك قيمة كتاب الأستاذ « دوزى » الذى نقله إلى العربية الأستاذ « كامل كيلانى » ، وكيف سدّ هذا الكتاب ثغرة واسعة كانت فى التاريخ الإسلامى ، وكيف أضاء هذا الكتاب شيئا من حلكة تاريخ الأندلس .

وقد وفق الأستاذ « كامل كيلانى » توفيقاً يهنأ عليه ، باختياره هذا الكتاب أولا ، ثم لدقته فى نقل هذا الكتاب إلى العربية بهذا الأسلوب العربى البسيط ، الذى يخلو من التكلف والغموض .

ولكن يخيل إلىّ أن الأستاذ « كامل كيلانى » كان مترجماً فقط ، أى أنه لم يشأ أن يبذل أى مجهود آخر فى سبيل هـذا الكتاب ، أكثر من نقل ما كتبه الأستاذ « دوزى » بالإنجليزية .

فالذى يقرأ الكتب الأخرى التى كتبها الأستاذ « كامل كيلانى »

كبحثه فى «رسالة الغفران» ، أو «شرح ابن زيدون» ، أو غيرهما ، ثم يقرأ كتاب «ملوك الطوائف» ، لا يشك أن «ملوك الطوائف» لكاتب آخر غير «كامل كيلانى» .

لا أقول ذلك لأن أسلوب الكتابة فى «رسالة الغفران» أو شرح «ابن زيدون» يختلف عن أسلوب كتابه : «ملوك الطوائف» ؛ بل هى الدقة العلمية ، والبحث فى «ملوك الطوائف» يختلف اختلافا كبيراً عن دقة الأستاذ «كامل كيلانى» المعهودة .

وأرجو ألا يغضب الأستاذ «كامل كيلانى» من هذا القول ؛ فإن شاء أن أدله على البرهان على قولى هذا فليقرأ الكتاب كله ، فسيتضح له أنه ترجم فقط : فإن الأستاذ أراح نفسه من تعب البحث عن النصوص والأشعار التى ترجمها الأستاذ «دوزى» من العربية إلى الإنجليزية ، فاكتفى بنقلها لنا من الإنجليزية إلى العربية : دون أن يبحث عن الأصل العربى الذى أخذه «دوزى» . وهذا عيب كبير فى الترجمة ؛ سيما إذا أراد المترجم أن تكون ترجمته صحيحة لا غبار عليها .

فكان يجدر بالأستاذ «كامل» أن يأتى بالأشعار العربية بدلا من أن يقول ما معناه أو ما مضمونه ، أو غير ذلك من الألفاظ التى أتى بها الأستاذ «كامل» فى كتابه .

على أن هناك شيئا آخر كان يجدر بالأستاذ المترجم أن يتداركه ، ذلك أن الأستاذ «دوزى» ذكر فى ص ١١٦ أن «المعتضد» كان يشبه «المهدى» ، وأراد المترجم أن يعلق على ذلك فأرجعنا إلى (كتاب المعجب) ، وفيه أن «المعتضد» يشبه «المنصور» ، وأبى المترجم أن يدلنا على رأيه القاطع فى هذا الموضوع ، بل ترك الأمر كأنه متشكك فى قول «دوزى» ، وقول «المراكشى» صاحب (المعجب) . . .

وفى ص ٣٢٨ فى حديث الأستاذ « دوزى » عن « الثنوية » أراد الأستاذ « كيلانى » أن يشرح « الثنوية » ، فنجد الأستاذ يقول : إن إله النور بالفارسية (يزدان) ، ولكن الحقيقة أنه « مزدا » ولم نسمع عن اسم « يزدان » إلا من « أبى العلاء المعرى » فقط ، حين يقول : « فكر يزدان على عزه » .

ثم تبعه بعض الكتاب فى ذلك .

ثم نراه يقول : « هذا رأى من يدينون بـ « الثنوية » و « المانوية » . » كأنه جعل الثنوية دينا غير « المانوية » .

والحقيقة أن « المانوية » دين « ثنوى » أيضاً . أما الدين الذى يقصده الأستاذ « كيلانى » بقوله « ثنوية » فهو الديانة « الزرادشتية » التى وجدت قبل المسيح بنحو ستة أو سبعة قرون .

هذا ما خطر ببالى حين قراءتى لهذا السفر الجليل الذى أتحفنا به الأستاذ « كامل كيلانى » ، وأضاف به إلى المكتبة العربية ذخرا ثمينا ، وزاده قيمة هذه التعليقات العديدة التى تدلنا على اطلاع الأستاذ « كيلانى » فى التاريخ والأدب .

ونحن نكرر شكرنا للأستاذ « كيلانى » ، ونهنئه على هذا المجهود الذى بذله فى إظهار هذا الكتاب . ونرجو أن يوفق إلى إخراج كثير من أمثاله ، وأن يقبل قراء العربية على اقتناء هذا الكتاب الثمين .

كتاب «دوزى» والفرق الإسلامية[1]

للأستاذ : عباس حسان خضر

حمل المستشرق «دوزى» فى كتاب «ملوك الطوائف» و «نظرات فى تاريخ الإسلام» على ما كتبه العلماء المسلمون فى موضوع الشيع ، والفرق الإسلامية ، فلم يأت بأكثر من إثارة غبار : لو أنك اتقيت مثاره بيدك ريثما ينجلى ، ثم نظرت فيما انجلى عنه لا تجد إلا كلاماً يستند على هاوية الخطإ المبين . .

قال «دوزى» فى موضوع «الشيع والنحل فى الإسلام» : «وقد كتب المؤلفون المسلمون فى هذا الصدد ، مدفوعين باعتبارات دينية عن الإسلام ، وقرروا عكس ما نقرره . فإذا قامت الشبهة قوية فى الإسلام لجأوا إلى اختراع تقليدى - ولا جرم أنه تقليدى - من مقتضاه أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال : «تنقسم أمتى إلى ثلاث وسبعين شعبة ، اثنتان وسبعون منها هالكة ، وواحدة ناجية» .

واست أدرى ما هى الشبهة التى يزعم أنها قامت قوية فى الإسلام ؟

وأكبر الظن أنه أقحم هذه العبارة فى كلامه إقحاما : إذ كل ما هنالك وما تعرض له ؛ هو أن المؤلفين المسلمين أخذوا بحرفية الرقم (٧٣) ووصلوا بالفرق الإسلامية إليه ، وأما هو فلا يأخذ بهذا الرقم ، فيلبس ثوب الباحث المدقق ، ويقول إن أصل ذلك يرجع إلى الفلك ، فعدد سبعين هو خُمس أيام السنة القمرية القديمة ، وعدد اثنين وسبعين هو خُمس أيام السنة الشمسية ، وإن هذه الفكرة أخذت من الديانة المجوسية ، ثم تسربت إلى اليهود ، ثم انتقلت من اليهود إلى المسلمين ، ثم أصبحت عدداً أكبر من (٧٢) : يعنى أنها ولدت عند المسلمين واحداً فصار الرقم (٧٣)» — وأظن أن هذا كلام يكفى فى رده — إن كان يحتاج إلى رد — الضحك منه !

---

(١) البلاغ ٨ / ٧ / ١٩٣٤

على أننى لا أفهم غرض « دوزى » من هذه الفكرة الفلكية . . أيقصد أن هذا الرقم المقـــدس الذى تعاقب فى تلك الديانات لا مدلول له ولا تحديد ؟ ! وما معنى هذا ؟ وهل يفهم كلام يقال فيه إن النبي (صلى الله عليه وسلم) أخذ عن اليهود رقم (٧٢) وزاد عليه واحداً ، ثم عدّ به فرق أمته ؟ !

ثم ننظر فيما كتبه المؤلفون المسلمون ، قالوا : إن الفرق الإسلامية ترجع فى أصولها التى بينها مخالفة يعتد بها إلى ثلاث وسبعين فرقة ، وكل فرقة منها تتفرع إلى فرق كثيرة ، وهذا هو — إلى أن يثبت خلافه على الأقل — عين الصواب وكبد الحقيقة ، ولو كره « دوزى » الذى يخطئه بقوله :

« على أن لحظة من لحظات التفكير والروية . كانت جديرة أن تقفهم على خطل هذا الرأى وإفكه .

ولنأخذ « الشهرستانى » — مثلا للتدليل صحة على ما نقول ، وهو من رجال القرن الثانى عشر — فقد تأثر بهذا الرقم (٧٣) . وما كان أجدره أن يتريث ، ويمعن الفكر ، ويطيل الروية : ليعلم أن هذا العدد عرضة للزيادة والنقص — كما أثبتت الحوادث صحة هذه النظرية فى المستقبل — ولكنه آثر التشبث بهذا الرقم .

وقد جرّه ذلك إلى نتيجة تافهة قليلة الخطر ، ولم يصل به تمسكه بهذا الرقم (٧٣ لا أكثر ولا أقل) إلى غاية محمودة موفقة . »

☆ ☆ ☆

أما الطريقة التى اتبعها « الشهرستانى » فى كتابه « الملل والنحل » فهى أنه كتب عن الطرق الإسلامية : أصولها وفروعها ، وشرح آراء كل منها دون تعصب لفرقة ، أو حمل على أخرى ، ووصل بأصول هذه الفرق إلى ثلاث وسبعين فرقة . فما الخطل والأفن فى هذا ؟ وما ضرّ « الشهرستانى » من تمسكه بهذا الرقم ؟ وماهى النتيجة التافهة القليلة الخطر التى جرّه إليها ، ونحن نعلم أن مؤلف « الشهرستانى » عرض الملل والنحل فى الإسلام وغيره ؟

إنى لا أجد لـ « دوزى » فى نقض رأى علماء المسلمين دليلا يستند عليه ، أو مبرراً لوصفه بالخطل والأفن ، وإنما هو كما قلت غبار أثاره ، رأيت من واجبى الذى أخذت على عاتقى القيام به أن أجلوه عن الحقيقة الناصعة .

وبعد ذلك أسوق أصل الحديث كما رواه الترمذى : قال النبى (صلى الله عليه وسلم): ستفترق أمتى ثلاثاً وسبعين فرقة ، كلها فى النار إلا واحدة .

قيل : ومن هم ؟ قال : الذين هم على ما أنا عليه وأصحابى » .

وما كان أجدر مترجم الكتاب الأستاذ « كامل كيلانى » أن يأتى بهذا الأصل ، لا سيما أن الحديث الذى ترجمه عن « دوزى » مبتور .

وقد رأينا الأستاذ فى تاريخ « ملوك الطوائف » يأتى بقصائد الشعر كما كانت فى العربية ، فلم لم يتبع هذه الطريقة فى الأحاديث النبوية ؟

وإذا كان هو — من حيث إنه أديب متوفر على الأدب — أجنبى النظر فى الحديث والشئون الدينية : فلماذا لم يستعن بمن له إلمام بهذه الشئون ؟

ويلوح لى أن الأستاذ « كامل كيلانى » مقصر فى ترجمة الفصول التى اختارها من كتاب « تاريخ الإسلام » لـ « دوزى » ، وألحقها بكتاب « ملوك الطوائف » ، وسمى الكتاب «ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الإسلام» ووجه التقصير أنه لم يوف تلك الفصول حقها من العناية التى بذلها فى تاريخ « ملوك الطوائف » ، فبينما تجده فى « ملوك الطوائف » ، يسابق « دوزى » فى البحث والتحقيق ، ويثبت أصول الشعر فى مواضعه ، ويكتب فى الهامش تعليقات وشروحا واستطرادات جاءت مؤلفاً آخر بجانب المترجم عن « دوزى » ، تراه متقاصراً فى فصول « تاريخ الإسلام » ، فيكتفى بترجمة الأحاديث المبتورة ، ولا يكلف نفسه مؤونة البحث عن أصولها ، وفى الهامش لا يكاد يفيض ذلك الفيض الذى يزخر به تاريخ « ملوك الطوائف » .

وأرجح أنه ترك أجزاء من تلك الفصول ولم يترجمها ، فمن ذلك أن « دوزى » قال فى كتابه عن الفرق الإسلامية إنه لا يتعرض لجميع هذه الفرق ، بل سيشير إلى أعظمها خطراً ، وأكبرها أثراً . ولم ترد بعد ذلك إشارة إلى فرقة ...

« دوزى » والإسلام[1]

للأستاذ : طه عبد الباقى سرور

تعرض كثير من المستشرقين وغيرهم من قادة الفكر فى أوربا للإسلام فى مناسبات عدة . واختلفوا من حيث الحرية الفكرية ، وتباينوا تبايناً كبيراً ، فرأينا منهم المنصف والمجحف . إلا أنهم امتازوا بميزة يلتقون جميعاً عندها ، تلك هى التناقض : فبينما يسمون بالتعاليم الإسلامية فى ناحية ما إلى السماكين : إذ بهم يهبطون فى تلك الناحية نفسها إلى الحضيض .. ! وكأنما الكاتب يراجع نفسه ، أو يأخذه الحنين إلى عقيدته ، أو تؤثر فيه المبادئ التى تلقاها فى صغره من محيطه ، وجلها لا ينظر إلى الاسلام إلا بمنظار قد تشوّش زجاجه ، فلم تستقم له المناظر .. !

ومن هذا القبيل العلامة « دوزى » الذى ترجم لنا الأستاذ « كامل كيلانى » كتابه (ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الإسلام) . وليس يعنينا الآن ما كتبه عن « ملوك الطوائف » ، فلهذا مكان آخر . وإنما يعنينا ويهمنا ما كتبه عن تاريخ الإسلام .

ولقد أبدع « دوزى » فى تصوير الحوادث ، وافتنّ فى تنسيقها وتهيئتها للقارئ . إلا أنه سقط عدة سقطات فاحشة ، كنا نرجو من الأستاذ « كامل » ألا يتركها بدون تعليق وتنقيب : حتى لا يترك القارئ وحيداً أمام تلك المعلومات المغلوطة . . وإن كان قد تخلص بكل لباقة فوضع لنا فى الهامش : (هكذا يرى « دوزى ») ، وإن كان هذا التخلص لا يرضى الحقيقة ولا القارئ تماماً ؛ إذ أن تلك النقط التى تعرض لها «دوزى» بذلك المنظار

---

(١) كوكب الشرق ١٩٣٤

المشوّش تمسّ أدق ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية . وبمعنى آخر تتعلق بإحساس كل من يدين بتلك العقيدة .

واست أريد أن أقول إن كل ما كتبه «دوزى» على هذا النحو من الخطأ ؛ بل ل « دوزى » نقط وصل فيها إلى القمة من الإعجاز ودقة التحرى : إلا أنه قد عكر محيطه بتلك السقطات التى غمط فيها الحقيقة حقها .

وها نحن نضع أمام القارئ صوراً سريعة مما نأخذه على « دوزى » :

١ — تكلم « دوزى » عن انتخاب الخليفة الأول ، ثم تعرض لحروب الردّة فقال : بعث « أبو بكر » إلى «خالد» يأمره بقوله (عليك بإبادة الكفرة بالحديد والنار ، ولا تأخذنك فيهم رحمة قط) . . !

ثم يقول : ولم يكد يتم انتصار « أبى بكر » : حتى وجّه هؤلاء البدو الظامئين إلى الدماء إلى مهاجمة فارس والإمبراطورية الرومانية ...) .

ثم يأخذ فى وصف الفتوحات الإسلامية : فيقرر أنها لم تكن إلا وسيلة لإرواء تلك النفوس المتعطشة للدماء ، التوّاقة إلى النهب والسلب . !

وإن من له أدنى إلمام بتاريخ الإسلام ، ليلمس — فى صورة واضحة — وصايا الخلفاء إلى قوادهم ، المملوءة بالرحمة ، الفياضة بالشفقة والحنان ، الآمرة بالرحمة بالجريح . والكف عن المستسلم ، والعفو عن النساء والأطفال ، الناهية عن الغدر والقسوة والتعنت والإرهاق . وأين كل هذا من تلك الرسالة التى وضعها « دوزى » على لسان الخليفة الأول . التى يأمر فيها قائده بإبادة الكفرة بالحديد والنار ؟

إنها لرسالة يكذبها الواقع ، وتنكرها الصياغة العربية ...

وإن المتتبع لتاريخ الفتح الإســــلامى ، ليرى أن العرب إنما خرجوا من ديارهم لأجل عقيدة تملكتهم : عقيدة تفيض رحمة وحناناً ، وتحمل — فى طياتها — هدى ونوراً . . خرجوا لنشرها فى العالمين ، وليرفعوا علم الإخاء والمساواة والحرية ، ولينشروا دين التوحيد : لأنهم حملوا رسالته ، وكلفوا بإذاعتها .

ولو أنهم خرجوا لنهب أو سلب أو قتل لانهاروا أمام أول صدمة صدموا بها ، وما كان لهم وهم الضعاف فى العدد والعدة أن يسحقوا تلك الممالك الضخمة ، وإنما هى العقيدة : العقيدة الصحيحة التى اشترت من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة تملكت أرواحهم ، واستأثرت بلبهم ، فلم يبالوا : أقتلوا دون المجد أم عاشوا ؛ لأنهم وثقوا بالنصر ، فلم يتقهقروا .

انظر إلى « عبادة بن الصامت » وقد دخل على « المقوقس » للمفاوضة ، فأخذ « المقوقس » يوعده ويهدده ، ثم يغريه ويمنيه قائلا : « لم يكن لدينا أحقر منكم ولا أضعف ، حتى بعث فيكم هذا الرجل ، فأتيتم إلى ديارنا فى هـذا العدد الضئيل والعدة التى لا تغنى أمامنا فتيلا » .

ثم أخذ يذكر له قوة جيشه وعظمة عدته ، ثم قال : « وعلى كل فإننا لا ننتهز فرصة وقوعكم بين أيدينا ، ونبطش بكم ؛ بل سنعطى كل فرد منكم ثوباً وفرساً وديناراً ، ولقائدكم عشرة أمثال ذلك ، ثم نترككم لتفارقوا ديارنا » . فضحك « عبادة » وقال : وربى لقد زدتنى رغبة فى قتالكم .

فقال المقوقس : عجباً أرعبتك أم رغبتك ؟

قال : بل رغبتنى لأنك ذكرت لى قوة جيشك ووفرة عدته . فإن انتصرنا كان كل هذا غنيمة لنا ، وإن قتلنا كان هذا عذراً لنا عند ربنا ، بعد بذل الجهد منا ، فنذهب إلى جنات عرضها السموات والأرض ، وهى لعمرى أحب الحسنيين إلينا . فنحن الفائزون دنيا وأخرى .

تلك العظمة النفسية وهذا الإيمان العميق ، والثقة التى لا تحد ، لم تكن — يا « دوزى » — نفسية قاتل ولا سالب ولا ناهب ، بل كانت لمؤمن صادق مطمئن إلى ما يقول ويفعل !

٢ — ولقد كان نصيب بنى أمية من «دوزى» عظيما وخطيراً ، بل نهاية فى التعصب والإجحاف .

فلقد صورهم « دوزى » فى صورة الوثنيين الذين يطأون الإسلام بأقدامهم ، ويعبثون بشرائعه ، ويعترضون سيره وتقـــدمه . . !

فيصف انتصار «معاوية» بقوله: وكان انتصاره حينئذ هو انتصار جمهرة المعادين للإسلام ، الذين كانوا يناوئونه من صميم قلوبهم .. ثم يقول : ولم يكن عهد الأمويين إلا عهداً تتمثل فيه الرجعية والانتصار للوثنية ..؟

ثم يصف خلفاء بنى أمية بأنهم لم يرضوا بإسلام الشعوب الجديدة ؛ لأنهم رأوا فى ذلك شراً مستطيراً على خزانة الدولة . فقد كان القانون يفرض الضرائب على غير المسلمين الذين يعيشون فى ظل الحكم الإسلامى ؛ فإذا أسلموا سقطت عنهم الجزية .

ويسرف «دوزى» فى خياله فيذكر أن عاملا لـ « عمر بن عبد العزيز » كتب إليه حينما رأى إقبال الناس على الإسلام بقوله : (ولو دامت الحال على هذا المنوال ، لدان بالإسلام كل مسيحى ، ولم يشذ منهم أحد . . . وبذلك تفقد الدولة كل دخلها ...) .

أما أن انتصار معاوية انتصار للوثنية ، وانتصار للفئة المناوئة للإسلام فهذا مالم يقله التاريخ . فلقد كان فى جيش معاوية فئة كبيرة من أجلاء الصحابة الذين كانت اسيوفهم الفضل الأكبر فى تشييد الإمبراطورية الإسلامية فضلا عن « معاوية » كاتب الوحى والصحابى الجليل . »

ولم يكن الأمر أكثر من اختلاف وجهتى نظر كل من الفريقين . .

ولم يكن النزاع فى أصل من أصول الإسلام ، ولا فى قاعدة من قواعده ، وإنما كان اختلافاً فى الحكم والرئاسة .

وأما أن عهد بنى أمية عهد وثنية وتعطيل لشعائر الإسلام ، فهذا خيال أى خيال . ولعمرى إن عهد الأمويين ليأتى فى الدرجة الثانية بعد عصر الخلفاء الراشدين .. شريعة قائمة ، وقانون إسلامى نافذ ، وجيوش للفتح معبأة ومهيأة والانتصارات تتوالى ، وكلمة الله هى العليا ، والراية المحمدية عالية خفاقة لا تطاول ولا تدانى : وأى فرية أعظم من أن خلفاء « بنى أمية » وولاتهم صدفوا عن الدعاية الإسلامية ، ورغبوا فى الحيلولة بين الشعوب المغلوبة

والإسلام .. الإسلام الذى استمدوا منه قوتهم وبأسهم وعظمتهم ، وعملوا وفنوا فى سبيله .

والتاريخ أكبر شاهد : فهو يحدثنا عن فتوحات بنى أمية الذين توغلت جيوشهم فى قلب القارات الثلاث : آسيا وأفريقيا وأوربا .

وما تكاد أقدامهم تطأ الأرض حتى يشرق نور الإسلام ، وتهفو النفوس إليه . وما هى إلا برهة : فإذا به «دين» الأكثرية العظمى ، دين البلاد القائم .

إذاً فـ «دوزى» فى واد ، والتاريخ فى واد آخر لا يلتقيان : لأن هذا خيال ، وهذا حقيقة واضحة !

٣ — ويصف «دوزى» إقبال الناس على الإسلام بقوله : إن الحكم الإسلامى كان يتوخى التيسير والخير العام والبر بالشعوب المحكومة . . ويقول إن الإسلام لم يفرض إلا جزية معتدلة لا ترهق أحداً ، ولا تقاس إلى تلك الضرائب الفادحة التى فرضها الإمبراطور الرومانى .

ثم ينسى هذا القول المنصف ويتخيل ويغرق فى الخيال فيقول : إن «عمر ابن الخطاب» سن قانوناً للمسيحيين يحوى إذلالهم ومهانتهم بين طياته ، فلم يسمح بإنشاء الكنائس والمعابد ، بل حرمهم حتى بناء الأديرة الصغيرة ، وحظر عليهم تجديد بناء الكنائس التى تهدم ، وأن يرفعوا الصلبان على كنائسهم ، كما حظر عليهم إقامة الصلاة ، وترتيل الأناشيد الدينية ، وأن يوقدوا الشموع أمام موتاهم ، أو يبيعوا الكتب الدينية ، وفرض عليهم احترام المسلم ، فإذا جلس المسلم وجب على المسيحى أن يقوم . . وحرم عليهم أن يتحدثوا بالعربية أو ينقشوها على أختامهم . . . ولم يبح لهم أن يتخذوا لخيولهم سروجاً ويتقلدوا سلاحاً ...

ملوك الطوائف (١)

للأستاذ : محمد أمين هلال

— ١ —

كنا فى عهد الدراسة الأولى نعنى بحفظ مرثية « أبى البقاء » فى فقد الأندلس ونحزن حين يرد علينا أسماء فحول الأئمة فى اللغة والتاريخ والأدب ، ونجد مساقط رؤوسهم قد اقتطعت من قلب الإسلام بعد أن ازدانت به دهراً طويلا ، ونجد مثوى علوم « الشاطبى » و « ابن حيان » و « ابن مالك » و « ابن زيدون » و « ابن عبد ربه » إلى غير هؤلاء من عدد لا يحصى ، قد تبدل تاريخها وانقلبت آيتها رأساً على عقب ، ولم يعد هناك أدنى صلة تربطنا بهذه البلاد إلا (كما حكى عن خيال الطيف وسنان) ، وكنا نستنزف عصىّ الدمع على ذلك الفردوس المفقود ، وندهش كيف مكن هؤلاء المسلمون السالفون لأعدائهم حتى ذهب ريحهم ، وجلوا عن بلادهم شر جلاء .

فتح العرب « أسبانيا » فى أواخر القرن الأول للهجرة ، فتقدمت حال البلاد وزالت الفوارق بين الطبقات ، وعم العدل حتى فضل المسيحيون حكم المسلمين على حكم « القوط » المسيحيين ، ولم تزل دولتهم فى صعود حتى دب بينهم الخلاف وظهر «بنو عباد» فى «إشبيلية» وبنو «ذى النون» فى «طليطلة». وتوزعت هذه الرقعة الجميلة إلى أكثر من عشر ممالك فى كل منها أمير يدعى أن له وحده حق السيادة على الآخرين ، فلا يفتأ كل منهم يغير على الآخر ، حتى حل بهم جميعاً الدمار ، ولم يغن عن فقد هذه البلاد قوة دولة «المرابطين». ولا إخلاص دولة «الموحدين» ولا استعانة «بنى الأحمر» بالمسلمين ، وقد تآزر كل من « فرديناند » و « إيزابلا » على طرد العرب من الأندلس حتى سقطت « غرناطة » آخر معقل إسلامى سنة ١٤٩٢ م وطويت تلك

---

(١) البلاغ — ١٩٣٤/٧/٢٠

الصحيفة الناصعة على يد « أبى عبد الله » ، بعد أن ظلت ثمانية قرون تشع بنورها على أرجاء « أوروبا » فيسير فى بهائها المدلجون ، ويترشف من عذب علومها الظامئون .

مأساة عظيمة فى التاريخ الإسلامى ، يقول فى رثائها « أبو عبد الله عاثر الحظ » : « عزاء حسنا وصبرا جميلا ، عن أرض ورثها من شاء من عباده معقبا لهم ومديلا ، وسادلا عليهم من ستور الإملاء الطويلة سدولا ، سنة الله قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا : فليطر الطائر الوسواس المرفرف مطيرا ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا ، لم يستطع غير مورده صدورا ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً » .

ويقول :

كنا ملوكا لنا فى أرضنا دول نمنا بها تحت أفنان من النغم

فأيقظتنا سهام للردى نزلت يرمى بأفجع حتف من بهن رمى

كان من الطبيعى أن يوجد الكتاب والباحثون فى هذه القطعة من تاريخ الإسلام مرتعا خصيبا لما يكتبون وينقبون ، وظفر هذا الجزء العظيم الواقع فى الجنوب الغربى من أوربا بما لا يكاد يظفر به سواه من البحث واشتجار الأقلام .

وقد طرق المستشرق « دوزى » ناحية من تاريخ دول الإسلام فى هذا الجزء ، وتكلم عن ملوك الطوائف ، وسجل مرحلة من أشق المراحل التى واجهها الإسلام فى الأندلس ، وكانت مبدأ لطريق الانحلال بعد أن انهار صرح الدولة الأموية .

ولهذا المستشرق عناية خاصة بتاريخ الإسلام ودوله ، وقد رأيناه كذلك يعنى مع جماعة من المستشرقين بتحقيق كتاب « نفح الطيب » الذى يعتبر من أهم المراجع لتاريخ الأندلس .

ونحن إذا حمدنا له هذه العناية فلا نعفيه من الأخطاء الفاحشة التى وقع فيها ؛ خصوصا فيما يمس تاريخ الإسلام .

وقد عرض لى وأنا أقرأ هذا الكتاب الذى ترجمه الأستاذ «كامل كيلانى» هذا الحوار الذى وقع فى السنة الماضية بين كاتبين فاضلين ، وكان محوره «ضرر المستشرقين ونفعهم» ، فقد لاحظت أن «دوزى» يتبع أثر «مرجليوث» «وفنسنك» وأضرابهما ، حين تكلم عن رجال الصدر الأول فى الإسلام ، واتهمهم بأنهم كانوا منافقين ، فلم تخالط بشاشة الدين قلوبهم ، وأن حقدهم على الإسلام تجلى فى وقعة «الجمل» و «صفين» . وأن الإسلام وإن لم يلق معارضة قوية فى أثناء فتوحاته المتوالية المظفرة ، فإن سراة «مكة» وطبقة الأرستقراطية العربية لم يغفروا لأصحاب هذا الدين ومؤسسيه هذا الفوز الذى أحرزوه ، ولم يرضوا عن ذلك السلطان الذى أراد الموحدون أن يبسطوا ظله عليهم .

فنرى فى هذا الكلام موضع دس من دسائس المستشرقين ، وأن التعصب وروح التحامل يقذف بهما «العقل الباطن» قذفا لا ترضى به روح المؤرخ المنصف ، ولا يستسيغه ذوق الأبحاث العلمية الخالصة من الشوائب العنصرية والعواطف الدينية .

وهذه الدعاوى التى يقذف بها «دوزى» فى وجه التاريخ الإسلامى تذكرنا بكذبة «مرجليوث» فى أن سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ليس هو ابن عبد الله ، وعبد الله يطلق على الوالد المجهول ! وافتراء «فنسنك» رئيس تحرير دائرة المعارف الإسلامية ، حين يزعم أن سور القرآن المكية خلو من ذكر «إبراهيم» بصفة أنه واضع البيت ورافع قواعده مع «إسماعيل» وأنه أول المسلمين : على العكس من السور المدنية فى ذلك ، ويستخلص من ذلك أن الرسول كان قد اعتمد على اليهود فى «مكة» فما لبثوا أن اتخذوا حياله خطة عداء . فلم يكن بد من أن يلتمس غيرهم ناصرا هناك ، وهداه ذكاء مسدد إلى شأن جديد لأبى العرب «إبراهيم» .

وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية «إبراهيم» ، تلك اليهودية التى كانت ممهدة للإسلام . ولما أخذت مكة تشغل جل تفكير النبي أصبح «إبراهيم» أيضا المشيد لبيت هذه «المدينة» المقدس !

ومن المضحك أنه يزعم أن القرآن فى أول عهده وفى سوره المكية لم يصرح بصلة إبراهيم وإسماعيل ، مع أنه قد ذكرها تصريحاً فى «سورة إبراهيم» المكية ، ولا يمكن أن يكون نظر هذا المستشرق لم يقع على هذه السورة أو غفل عن إجماع عرب الجاهلية على نسبة هذه الكعبة المقدسة إلى إبراهيم وإسماعيل ، أو لم يطلع على التوراة وفيها هذه النسبة ، أو جهل ذلك العداء الذى أعلنه الإسلام منذ استهلاله على اليهود .

لقد جرنا الكلام عن كتاب « دوزى » إلى الاستطراد إلى من ذكرنا ، لنبرهن على أن هؤلاء المستشرقين يفرضون الفروض ، ويتلمسون الدليل ، ويوهمون القراء أنهم يعتمدون على المستندات التى لم يتركوا منها شيئاً إلا أحصوه ؛ فإذا وجدوا ما يهدم نظريتهم حذفوه . فهم يستقون من معين واحد ، وينزعون عن قوس واحدة . وإن أحدهم مهما تظاهر بحرصه على كشف الحقائق وشرح الغوامض ، فإنه لا يلبث أن يعثر فيلج به العثار ، لاسيما إذا تعرض للإسلام وتاريخه ؛ فهناك يتجلى روح التحامل والتنفير والانسياق مع العواطف الموروثة .

ومن الأسف أن بيننا كثيراً ممن استهوتهم تلك الزخارف البراقة التى يسبغها المستشرقون على أبحاثهم ، وذهبوا يزعمون أن لهم الفضل فى طبع كل ما يتصل بالقرآن والحديث من جيد المؤلفات ، وأنهم خدموا الدين (كذا) بنشر آثاره فى الأقطار الأوربية والأمريكية : كأن طبع كتاب لغاية استعمارية وبحث كتاب لتجريحه ، وخلق شبه التفنيد من حوله ، من الخدمات الدينية للإسلام . وكأن الإسلام لم يطرق للآن آذان سكان المعمورة ويدين به الكثير من سكان القارات الخمس ؛ حتى يحتاج إلى هؤلاء الأعداء ، لتعرف الناس به على غير حقيقته ، نكاية فيه وفى أهله .

إن خيرا للإسلام أن يعرفه الناس أصلا على أن يعرف على يد قوم لهم مآرب سيئة . يقدمونه للناس فى غير بهائه وجماله الذى أرسل الله به رسوله ، دين الهدى ودين الحق .

وهاهو المسيو (دوزى) يشكك الناس فى عقائد رجالات الصدر الأول ويتهمهم بأشنع التهم وأسوإ المعتقدات . وإذا كان خير القرون على ضلال فى الدين وزيغ عن الإسلام ، فكيف حال من يلونهم إلى الآن ؟ ألا يقف قصير النظر من كلام «دوزى» هذا موقف الريبة والشك، حيال هذا الدين وأهله، ويهجس فى نفسه بأن ما وصل إليه من تعاليم، واهتدى به من إرشاد مصدره قوم لم يقر سلطان الدين فى قلوبهم ، فيضعف وازعه ، وتلتبس عليه طرائقه ؟

هذه عجالة أجملنا فيها الكلام عن بعض المستشرقين ، وعن هذا الكتاب « ملوك الطوائف » ، وسنتبعها بالرد على ما ورد فيه مما يخالف التاريخ الحق ، ويأباه الإنصاف ، مستندين إلى المصادر المجمع على صحتها . والله المستعان .

(٢)

كتبنا قبل هذا كلمة عن هذا الكتاب ، ووعدنا أن نعود إليه . وها نحن(١) نبين بصورة واضحة صدق نظرنا فى هؤلاء المستشرقين من أنهم يلبسون الحق بالباطل ، متظاهرين بأنهم يبحثون وراء الحق وينقبون عن الحقائق التاريخية لا يبغون إلا خدمة العلم ولا يرمون إلا للمصلحة العامة ، من غير إرضاء نزوة دينية ، أو التأثر بعاطفة وراثية .

وسيظهر من كلماتنا هذه ، مبلغ أحدهم من الصدق والحرص على ما فى ثنايا التاريخ .

١ — بعد أن ذكر « دوزى » حصار القشتاليين « بلنسية » سنة ١٠٦١ واستيلاءهم على قلعة « باريسبرو » واعترف بأن « غليوم دى منترى » قتل حاميتها على بكرة أبيهم ، بعد أن سلموا على شريطة الإبقاء على حياتهم ، قال : « ومن أشد ما كان يفعله هؤلاء المغيرون من النكاية بالمسلمين أنهم كانوا يهتكون أعراض الزوجات والبنات أمام أزواجهن وإخوتهن ، وعلى مرأى منهم ، وهم موثقون بالسلاسل والأغلال ، ليكرهونهم

---

(١) البلاغ ٢٣/٨/١٩٣٤

على شهود هذه المناظر الفاضحة المخزية ، وكان أولئك الأسرى المساكين لا يملكون — بإزاء هذه الحال المخزية المحزنة — غير صياحهم وإسبال دموعهم الغزيرة ، هلعاً وتأثراً من تلك المناظر التى كانت تتحطم بإزائها قلوبهم ، وتنشق مرائرهم .

بعد هذه الحادثة الفظيعة التى لها الكثير من نظائرها فى غالب الحروب التى شنها المسيحيون على المسلمين ، والتى لم يستطع أن ينكرها ، نراه ينساق تحت تأثير ، لا ندرى هويته إلى القول بأن « فرديناند » (أحد المغتصبين لمدن الأندلس) مات ميتة مملوءة إيماناً ويقيناً وطمأنينة ، وأعقبتها وفاة أخرى ، هى بطبيعة الحال أقل شأناً من الأولى (كذا) هى موت « المعتضد » حاكم إشبيلية وقرمونة .

ولا ندرى لم تكون ميتة « المعتضد » الحاكم المسلم المدافع عن بلاده ، أقل شأناً من ميتة « فرديناند » الذى اقترف جنوده وجنود حلفائه ما ذكر « دوزى » بعضاً منه .

٢ — فى القرآن الكريم من معجزات « سليمان » عليه السلام وتسخيره الجن والهواء والطير فى غير صورة واحدة : « ولسليمان الريح غدوّها شهر ورواحها شهر ، وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات » (سورة سبأ) « وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون » إلى قوله تعالى : « قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين . قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوىّ أمين . قال الذى عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك . فلما رآه مستقراً عنده قال : هذا من فضل ربى ؛ ليبلونى أأشكر أم أكفر » (سورة النمل) « فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين فى الأصفاد » (سورة ص)

هذا بعض ما قص القرآن الكريم من أخبار « سليمان » (عليه السلام) .
ومن العجيب المؤسف أن يسمى صديقنا الفاضل « كامل كيلانى » هذه الأخبار أساطير أى أكاذيب .

فيقول تحت عنوان « أساطير الجن وسليمان النبى » : شاعت أخبار سليمان والجن فنسب إليه من الخوارق القدرة المطلقة على تسخير الجن ومعرفة لغاتهم المختلفة . وقد كادت تجمع تلك الأخبار على عدة أمور ، أنضجها الخيال ونسقها التواتر : فمن ذلك أنه كان يهيمن على الجان ويتطلب منهم خدمات شتى تتفاوت صعوبة ويسراً ، وقد يعن له أمر هام لا يستطيع إنفاذه إلا جنى بعينه يكون مشهوراً بقدرته الخارقة ، فيرسل إليه ؛ فإذا لبى دعوته فذاك ، وإلا نكل به . وقد ذاع من تلك الأساطير (كذا) شىء كثير . ولهذه الأساطير مصادر عدة نخص بالذكر منها أساطير ألف ليلة ، وألف يوم ، وأسطورة « سيف بن ذى يزن »

ولعل الأستاذ « كيلانى » يصلح هذه السقطة الجسيمة فى الطبعة الثانية لهذا الكتاب ، بعد أن أوردنا بعض آيات الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وكلها تنطق بأن أخبار « سليمان » معجزات من عند الله .

وحسبها من الصدق أن يكون مصدرها القرآن والكتب السماوية (لا الأقاصيص) . ولا ينكرها العلم الذى يبين لنا كل يوم من آياته عجبا .

٣ — بنى « إبراهيم » (عليه السلام) الكعبة على شكل مربع زواياه إلى الجهات الأربع ، حتى تتكسر عليها تيارات الهواء لكيلا يؤثر ضغط الريح فى كتلتها — وهذه القاعدة بعينها التى بنيت عليها أهرام مصر — وقد جدد بناؤها مراراً ، حتى جاء « ابن الزبير » فهدمها وأدخل الحجر فى البيت ، وألصق الباب بالأرض وجعل قبالته إلى الغرب بابا آخر ليخرج الناس منه ، وجعل ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعا ، وعلى ذلك تكون الكعبة الآن على

بناء ابن الزبير من جوانبها الشرقى والغربى والجنوبى ، وبناء الحجاج من جانبها الشمالى ، ولم يطرأ عليها بعد ذلك إلا العمارة التى تغير فيها سقفها فى زمن السلطان سليمان سنة ٩٦٠ ، ثم العمارة الترميمية التى حصلت فى زمن السلطان أحمد سنة ١٠٢١ ، ثم العمارة التى قام بها مراد الرابع على أثر السيل الهائل الذى حصل سنة ١٠٣١ هـ

ولقد تكلم العلامة « دوزى » عن مكة والكعبة بما لا يخرج كثيراً عما كتبه المؤرخون إلا أنه ذكر عن ارتفاعها أنه لا يزيد عن ارتفاع الرجل ، وهذا خطأ ظاهر . ولعله غاب عن هذا الباحث أن كثيراً من المسلمين يصلون فى جوف الكعبة وفيهم الطويل والقصير . وغير معقول مع هذا الارتفاع أن تكون بداخلها صلاة إلا إذا كانت غير مسقوفة « ولم يقل به أحد » ، كما أن احترام الكعبة لم يكن قاصراً على العرب القدامى كما يوهم كلامه ؛ بل كان اليهود والمصريون والفرس وسواهم مجمعين على احترامها والحج إليها والتعبد فيها ، كل على حسب دينه أو مذهبه . وفى ذلك يقول شاعر الفرس بعد الإسلام :

« وما زلنا نحج البيت قدما ونلقى بالأباطح آمنينا
وساسان بن بابك سار حتى إلى البيت العتيق يطوف دينا
فطاف به وزمزم عند بئر لإسماعيل تروى الشاربينا »

٤ — يقول البحاثة « سنكس » : « ظهر محمد (صلى الله عليه وسلم) . بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة ، وكانت مهمته هو أيضاً ترفيه العقول البشرية بإتيانها بالأصول الأولية للأخلاق ، وإيصالها للاعتقاد بإله واحد وبحياة بعد هذه الحياة ، فأحدث فى أفريقيا وفى الشرق بأسره انقلاباً دينياً يشبه الانقلاب الذى أحدثته تعاليم « عيسى » فى أوربا ، ولكن ذلك الانقلاب لم يتم بمجرد الكلام والأمثلة الحسنة واحتمال الأذى والجد ، بل حدث بحديد المقاتلة الذين تحمسوا لعقائد الإسلام وآدابه التى حملها إلى النبي الملك « جبريل » .

والبحاثة أخطأ فى الحكم على الإسلام بأنه لم ينتشر بقوة الإقناع وحدها ، وإنما هى قوة السيف أخضعت له هذه الأمم العظيمة .

ولم يلاحظ أن السيف لا تظهر قيمته إلا بمقاتلة أولى بأس شديد ، وهؤلاء دخلوا فى دين الله طوعا ، وأن السيف لم يشرع إلا لدفع العدوان وحماية الدعوة : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » .

لكنه على كل حال أدنى إلى الإنصاف ومجانبة الهوى من المستشرق « دوزى » الذى كاد يسوى بين المرتدين وصادقى الإيمان من المؤمنين — فى المبدأ والغاية — فقد قال : إن هؤلاء الثائرين فى (حروب الردة) ، لو كان لهم إيمان وثيق متوشج فى قلوبهم كإيمانهم القديم الذى كانوا عليه قبل البعثة لما كان ثمة شك فى انتصارهم الحاسم !

وقد فاته أن هناك فرقاً شاسعاً بين قوم يحفزهم إيمان صادق مؤيد بروح من عند الله ، وبين عصبة مدفوعين بسخافات رؤسائهم ، متخبطين فى وساوس شياطينهم .

٥ — وضحنا فى المقالة السابقة ما اتهم به « دوزى » بعض عظماء المسلمين ، وأنهم تظاهروا بالإسلام رغباً أو رهباً ، ولا نحب أن نرجع إليه ، غير أنه وقف نظرنا بنوع خاص قوله : أما العرب الذين استوطنوا أفريقيا فقد ظلوا حتى بعد مضى قرن من الهجرة ، لا يعرفون من الإسلام أكثر من أنه دين أتى بتحريم الخمر ! وأما الذين استوطنوا مصر فإنهم ما تحدثوا عن الإسلام أو شغلوا به أنفسهم قط ، وكانوا لا يذكرون إلا أيام الوثنية وعهودها الطيبة بالثناء والحنين (كذا) . فإذا عرفت أن أفريقيا فتحها «عبدالله بن أبى سرح» ومصر فتحها «عمرو بن العاص» فى زمن الخليفة العظيم العادل «عمر بن الخطاب» ، وأن الخلفاء — وفى مقدمتهم أمير المؤمنين «عمر» — كان همهم من الفتح إعلاء كلمة الإسلام ، ونشر هدايته ، وتعاليمه بين سائر البشر . ولهذا كانوا يرسلون مع الجيوش الفقهاء والقراء ليعلموا الناس أمور الدين ، وأن أولئك كانوا من الصحابة والتابعين وذرياتهم ؛ عجبت من رواية

« دوزى » هذه التى انفرد بها دون المؤرخين ، وما نظنه يقصد بذلك إلا رمى خلفاء المسلمين بالتغافل عن حكمة الجهاد ، ورمى الصحابة والتابعين وتابعيهم ، أولئك الذين توطنوا فى البلاد التى دخلت فى حوزة الإسلام ، بالجهل المطبق ، أو صدّ الناس عن هذا الدين القويم .

٦ — نوّه العلامة « دوزى » بأمر الخلاف بين « على » و « معاية » ، وتغلب « معاوية » الذى كان فوزه فى رأيه انتصار جمهرة المعادين للإسلام الذين يناوئونه من صميم قلوبهم .

والحق أن هذه الحروب كانت سياسية . وأن كلا من المتقاتلين كان يرمى الآخر بالخروج عن أمر الله ، ويطلب الرجوع إلى كتاب الله ، وأن جيش « معاوية » كان به كثير من الصحابة ، وأن « عليا » كان ممن حاربه . أو على الأقل تخلف عن نصرته مؤمنون صادقون لا يشك أحد فى عقيدتهم وخدمتهم للدين . أمثال أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير (ابن عمة الرسول) وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وسعد بن أبى وقاص (فاتح بلاد الفرس) ومحمد بن مسلمة ، وغير هؤلاء ممن هاجروا مع رسول الله ونصروه وعززوه .

ولقد أخطأ العلامة « دوزى » فى قوله : « إن الحسين هو الابن الأصغر لـ « على » ، والواقع أن لـ « على » أبناء كثيرين أصغر من « الحسين » من زوجات غير السيدة « فاطمة » (التى لم يتزوج عليها فى حياتها) ، ومن هؤلاء الأولاد محمد بن الحنفية ، والعباس ، وعمر ، ومحمد الأصغر .

(٣)

وقعة[1] الحرّة — التى غزت فيها جيوش « يزيد بن معاوية » مدينة الرسول وقتل فيها من الصحابة ثمانون ، ومن قريش والأنصار سبعمائة ، ومن سائر الناس نحو عشرة آلاف — من الوقائع الدامية فى صدر الإسلام ، التى ضاعفت

---

(١) البلاغ ١٩٣٤/٩/٥

فى سخط المسلمين بحق على «يزيد» . ولو أن بعض المؤرخين يلتمس له بعض العذر فى أن هؤلاء المدنيين تهوروا فى قيامهم وحدهم بخلع خليفة بايعوه وفى إمكانه أن يجرد عليهم من الجيوش مالا يمكنهم أن يقفوا فى وجهه ، وأنهم فتقوا فتقاً وارتكبوا جرماً ، وعليهم جزء عظيم من تبعة انتهاك حرمة « المدينة » .

ولقد انتهت هذه الثورة بقتل سادتهم ، وإباحة « مسلم بن عقبة » المدينة ثلاثاً لجنوده ، يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال ، ثم أخذ البيعة ليزيد على أنهم خول له يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم :

حادثة شنيعة يذكرها المسلمون بالأسف والحزن ، ويتداولها المؤرخون بالزيادة والنقصان ، وعلى كثرة مابيدنا من كتبهم لم نعثر على رواية « دوزى » من أن فرسان سوريا لما لم يجدوا مكاناً يربطون فيه خيولهم ربطوها فى مسجد المدينة بين قبر النبى ومنبره — أى فى نفس المكان الذى طالما سماه النبى نفسه جنة من جنان الفردوس .

ولعل هذه الرواية التى انفرد بها «دوزى» أتت له من تخيله أن أهل الشام أعداء مناصبون العداوة للدين ونبيه : كما كرر هذا مرات ، وأنهم وجدوها فرصة لشفاء صدورهم ، فربطوا خيلهم فى المكان الذى يعده المسلمون أشرف بقعة فى الأرض والسماء ، وغاب عن بال هذه الرواية أن هذا الجيش السورى كان يحارب فى سبيل نصرة خليفة ، انعقدت بيعته — طوعاً أو كرهاً — فى عنق بعض أجلاء الصحابة مثل ابن عباس وابن عمر ، وأن هذا الجيش لم يقتحم المدينة إلا بعد أن خلع أهلها هذه البيعة ، وأنه دعاهم إلى الطاعة ثلاثاً قبل أن يبيحها ثلاثاً . وسواء أكان هذا الخليفة فاسقاً أم عادلا ، لقد وجبت طاعته مادام لم يرتكب مايخرجه عن الإسلام ، ومادام الخروج عليه ينكث من عقدة المسلمين ويوهن من وحدتهم . والقاعدة فى الدين هى « أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » .

فلا يعقل أن يكون شأن هذا الجيش ما ذكرنا ، ويقدم على هذه الفعلة الشنيعة ، كما أن من المضحك قوله : إنهم لم يجدوا مكاناً فى المدينة على سعتها لربط خيلهم غير هذا المكان المقدس .

إن هذا المستشرق أخطأ فى هذه الرواية ؛ كما أنه أخطأ فى عدد من قتل من الصحابة ؛ فهو ثمانون لا أربعة وعشرون ، كما روى ، وأن الإسلام لم تنقرض معالمه بإذلال مكة والمدينة وإحراق الكعبة كما يدعى ، بل إنه خرج من هذه الثورات بارئاً من مرض الانحلال ، فبسط سلطانه فى ظل هؤلاء الأمويين (الذين يتهمهم بالكيد للإسلام) على غالب سكان المعمورة وقتئذ ؛ فما غزوا بقعة إلا باسم الدين ، ولا فتحوا مدينة إلا لنصرته وإعلاء كلمة الحق ، فكيف بعد هذا ينتصرون للوثنية وهم خلفاء الإسلام : ومنهم عبد الملك الذى كان لا ينى عن تلاوة القرآن ، وابنه الوليد الذى بعث إلى ملك الروم يعلمه أنه أمر بعمارة مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ويطلب منه أن يعينه فيه ، فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهب ، ومائة عامل ، وبعث إليه من الفسيفسا بأربعين جملا ، فابتدأ بعمارته وأدخل فيه جميع الحجر التى كانت لأزواج الرسول، ولم يبق إلا حجرة عائشة التى فيها القبور الثلاثة . وكان من رأى بعض أهل المدينة ألا تكون فى المسجد حذر أن يستقبلها بعض المسلمين فى صلاتهم؛ يشبهونها بالكعبة ، ففكر فى ذلك والى المدينة « عمر بن عبد العزيز » ، وهداه الفكر أن يثلث جهتها الشمالية ، حتى تنتهى بزاوية لا يمكن استقبالها ، فصار شكل الحجرة مخمساً .

أما جامع دمشق وهو المعروف بالجامع الأموى فإن الوليد احتفل له احتفالا عظيما حتى خرج مناسباً لعظمة المملكة الإسلامية . ولا يزال شىء من آثاره شاهداً على تلك العظمة . ومن خلفاء بنى أمية « عمر بن عبدالعزيز » : وعدله وزهده ويقينه أشهر من أن يتحدث عنها .

ومن قضاتهم «ثوبة بن نمر» ذلك المسلم الذى كان لا يملك شيئاً إلا وهبه ووصل به إخوانه ، وعمل للأوقاف ديواناً لصونها من التبذير واغتيال

الأوصياء ، و « عبد الرحمن بن معاوية بن خديج » أول قاض راقب أموال اليتامى ، وضمن عريف كل قوم أموال يتامى تلك القبيلة حسبما أمر به الدين الحنيف .

ونحن وإن سلمنا بأن بعض هؤلاء الخلفاء كان به نزق وطيش وإسفاف كما روى عن «الوليد الثانى» ، فلا نوافق على أنه لم يحجم عن تمزيق كتاب الله بالنشاب ، وأنه لم يكن راضياً عن إسلام هذه الشعوب الجديدة التى دخلت فى هذا الدين أفواجاً من سوريين وأقباط وفرس وبربر شمالى أفريقيا ؛ بحجة أنه كان يرى فى ذلك شراً مستطيراً على خزانة الدولة بسبب سقوط الجزية عمن أسلم ، وإعفائه من تلك الضريبة اليسيرة ، ولا نرى أية علاقة بين تمزيق الكتاب بالنشاب ، وبين عدم رضاه عمن أسلم إشفاقاً من إفلاس بيت المال .

والحق أن بنى أمية لما آذنت شمس دولتهم بالمغيب ، تنازعوا الخلافة فيما بينهم ، فقد أراد « هشام » أن يخلع « الوليد الثانى » هذا من ولاية العهد ليوليها ابنه « مسلمة » ، وكان كثير من كبار القواد وذوى الكلمة المسموعة فى الدولة صرحوا بممالأة « هشام » على رأيه ، ولكنه مات قبل أن ينفذ مارأى ، فجاء «الوليد» مشمراً عن ساعد الجد فى الانتقام من أولئك الخصوم الذين عليهم المعول فى تشييد الدولة ، ومنهم بنو عمه وكبار أهل بيته ، فكان ذلك نذير الخراب ؛ فإن البيت انشق وتجزأت القوى وصاروا يشيعون عن « الوليد » القبائح ويرمونه بالكفر انتقاماً منه وتطاعاً لما فى يده ، بذلك نفرت من الوليد القلوب ، وقام «يزيد» ابن عمه يحمل علم الثورة ، حتى قتلوا الوليد وأمامه المصحف يتلو فيه القرآن ويقول : «يوم كيوم عثمان» .

وإذا تركنا هذا إلى قول « دوزى » إن العرب وخلفاءهم لم يبذلوا إلا جهداً قليلا فى نشر هذا الدين للتغلب على عادتهم فى محاربة انتشاره ، وإذاعته بدلا من الترويج له ، نجد عصر الدولة الأموية ، بله عصر الخلفاء الراشدين ، والدولة عربية فى نظمها وقيادتها وسياستها ، كان عصر الفتوح الإسلامية ، ففيه اتسعت حدود المملكة الإسلامية من الجهة الشرقية فى السند

والصغد وبلاد الترك ومن الجهة الشمالية فى أذربيجان وأرمينيا ومن الجهة الغربية فى أفريقيا والأندلس ، وكان القواد أمثـــال محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم وموسى بن نصير ومسلمة بن عبد الملك لايغزون بلداً إلا بنوا به مسجداً تقام فيه شعائر الدين كما فعل القاسم بالديبل والرور وكما فعل قتيبة بسمرقند وموسى بالأندلس ومسلمة ببلاد الروم ، ونعجب كيف يكون العرب بعد هـذا كله لم يبذلوا جهداً فى نشر الدين بل عملوا على محاربة انتشاره ! !

أفلا نكون معذورين إذا فهمنا أن العلامة « دوزى » يريد أن يعرفنا أن العرب وهم أدرى الناس بهذا الدين وأولاهم باتباعه وأكثرهم حرصاً على رفعته لم يدينوا به وأن أولئك الأجانب لم يسلموا إلا فراراً من الجزية أو طمعاً فى الجاه والسيادة وأين ذهب عنه مع ماتقدم خطب القواد فى الجنود قبيل كل معركة يقتحمونها وكيف كانوا يذكرونهم بوعد الله ويلهبون فيهم الحماسة الدينية ويعدونهم إحدى الحسنيين : موت وشهادة أو حياة وانتصار .

ولقد اعترف العلامة « دوزى » للإسلام بأنه كان يتوخى التيسير والخير العام والبر بالشعوب المحكومة لاسيما النصارى ، فقدكان سواد المسيحيين فى الشرق ينتمى إلى مذاهب لقيت من اضطهاد حكومة القسطنطينية وإعناتها ما أرهق أصحابها إرهاقاً ، فلما جاء الإسلام — ومن طبيعته التسامح والإنصاف — ترك لهم الحرية التامة فى البقاء على دينهم ماداموا يؤثرونه على غيره من الأديان وظللهم بحمايته وسوى بينهم فى الحقوق على اختلاف مذاهبهم ونحلهم . ثم يقول : « ولا تنس أنهم كانوا مضطرين إلى دفع ضرائب فادحة للإمبراطور الرومانى ، فلما جاء الإسلام أعفاهم منها ولم يفرض عليهم إلا جزية معتدلة لا ترهق أحداً . ومتى عرفت هـذه الأسباب زالت دهشتك وعجبك من إيثارهم حكم المسلمين على حكم الرومان ، واندفاعهم إلى مساعدة العرب فى فتوحاتهم بكل قواهم بدلا من مناوأتهم والتألب عليهم »

غير أن هذا العلامة المستشرق — بعد ذلك — يدركه شعور نفسى ،

فينسى ما اعترف به من هذه المحامد التى أجمع عليها المؤرخون ، إذ نراه فى مكان آخر ، يتهم الخليفة العادل «عمر بن الخطاب» بأنه سن قانوناً لإذلال المسيحيين ، وقد سن خلفاء بعده ما هو شر من ذلك ، ثم أخذ يعدد تلك القوانين ويهدم بذكرها ما بناه باعترافه السابق من مزايا تتفق وروح الإسلام .

ولا نتعب أنفسنا فى تفنيد هذه المزاعم ، وحسبنا ما سجله التاريخ واعترف به « دوزى » نفسه ، ونطق به أحد كبار فلاسفة الغرب فى قوله :

« إن التاريخ لم ير فاتحاً أعدل من العرب » .

ولو سلمنا أن هنـاك أشياء قليلة لم يسو فيها بين المسلم وغيره ، فهذا حق طبيعى تسلـكه الأمم الفاتحة حتى فى هذه الأيام بين رعاياها إظهاراً لشريعتها وإرهاباً لسلطانها فى النفوس حتى لا تتعثر دعوتها ، ولا يجد ذوو المـآرب فرصة لإثارة الفتن والسعى بالفساد — هذا فى غير إعنات ولا إذلال .

ولقد أراد العلامة « دوزى » أن يجعل مركز المسيحيين عند المسلمين مماثلا لمركز اليهود فى « أوروبا » إبان القرون الوسطى .

وإنا نسوق بعض ما كان يفعله المسيحيون الأوربيون فى أسبانيا مع المسلمين واليهود ، وفيه أبلغ رد .

فلقد صدر الأمر فى ٣٠ مارس سـنة ١٤٩٢ بأن كل يهودى لم يقبل المعمودية فى أى سن كان ، وعلى أى حال كان ، يجب أن يترك بلاد أسبانيا قبل شهر يوليو ، ومن رجع منهم إلى هذه البلاد عوقب بالقتل . وأبيح لهم أن يبيعوا ما يملـكون من عقار ومنقول بشرط ألا يأخذوا فى الثمن ذهباً ولا فضة ، وإنما يأخذون الأثمان عروضاً وحوالات !

ومن ذا الذى يشترى اليوم بثمن ما يأخذه بعد ثلاثة أشهر بلا ثمن ؟ (يعنى أن أموال اليهود تـكون مباحة بعد جلائهم الذى يتم فى يوليو) .

وصدر أمر « ثور كمادو » ألا يساعدهم أحد من سكان إسبانيا فى أمر

من أمورهم . وهكذا خرج اليهود تاركين كل ما يملكون ناجين بأرواحهم على أنه لانجاة لكثير منها ، فقد اغتالها الجوع ومشقة السفر مع العدم والفقر .

وفى فبراير سنة ١٥٠٢ صدر الأمر بطرد « المسلمين » من أشبيلية وما حولها — من لم يقبل المعمودية منهم يترك أسبانيا قبل شهر إبريل، وأبيح لهم أن يبيعوا مايملكون على الشرط الذى وضع لليهود ، ولكن وضع للمسلمين شرط آخر وهو ألا يذهبوا فى طريق يؤدى إلى بلاد إسلامية ، ومن خالف فجزاؤه القتل . فهؤلاء المساكين لقوا جميعا القتل ؛ إن لم يكن قتل الجزاء على الرجوع فالموت يلاقيهم بالتعب مع العرى والجوع .

هذا بعض ما يحاول « دوزى » أن يقارن بينه وبين عمل المسلمين .

ولعلنا فى المقال الأخير لهذه المراجعات نوفق إلى ذكر شيء من معاملة المسلمين لرعاياهم مما ازدان به التاريخ ، وكان أسوة حسنة لطلاب الإصلاح وائتلاف القلوب .

(٤)

مراجعات عامة[1]

يظهر أن اتهام رجال العرب الفاتحين — خصوصاً فى الدولة الأموية — بالوثنية والحنين إلى عهودها كان صدى لما كان يشيعه أعداء الإسلام من أنه دين وثنى ، وأن المسلمين جماعة من الوثنيين تغلبوا على الأرض المقدسة ونفوا منها كل فضيلة وإخلاص ، ولقد رأينا هذه الأقوال الكاذبة ينشرها دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة إبان الحروب الصليبية ، فلما قفل

(١) البلاغ ١٩٣٤/٩/١١

الغزاة إلى ديارهم قصـــوا على قومهم أن أعداءهم كانوا أهل دين وتوحيد ومروءة ومجاملة .

ونحن إذا تخيرنا من بين خلفاء الأمويين الذين يتهمهم العلامة « دوزى » ببغض الاسلام أبغض هؤلاء الخلفاء وأبعدهم عن قلوب المسلمين وهو « يزيد ابن معاوية » مثلا نجده كان يعمل للإسلام ويأمر قواده بذلك ، فقد حدثنا التاريخ أن « عقبة بن نافع » عامل « يزيد » لما فتح بلاد البربر وسار إلى السوس الأقصى حتى وصل إلى بحر الظلمات (المحيط الأطلانطى) ، قال : « يارب : لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد مجاهداً فى سبيلك » .

وأنه لما سار إلى (تهوذا) ورآه الروم فى قلة طمعوا فيه فأغلقوا باب الحصن وشتموه وقاتلوه وهو يدعوهم إلى الإسلام ، ثم تكاثروا عليه وقتلوه .

ورأينا قتيبة بن مسلم عامل الحجاج بن يوسف « المشهور بغطرسته وقسوته » يخطب فى الناس ويقول لهم : « إن الله قد أحلكم هذا المحل ليعز دينه ويذب بكم عن الحرمات ويزيد لكم المال استفاضة والعدو قمعاً ، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر بحديث صادق وكتاب ناطق فقال : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » ووعد المجاهدين فى سبيله أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده فقال : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون » . ثم أخبر عمن قتل فى سبيله أنه حى يرزق فقال : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » . فتنجزوا موعود ربكم ، ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمض ألم . وإياى والهوينا ! »

وقتيبة هذا هو الذى تلقاه ملك الصفانيان بهدايا ومفتاح من ذهب ودعاه إلى بلاده ، وكذلك فعل ملك كفتان ، وأنصفه من ملوك آخرين وكتب إليه « الحجاج » يقول : « إذا غزوت فكن مقدم الناس ، وإذا قفلت فكن فى أخرياتهم وساقتهم » ، حتى فتح بلاداً واسعة نشر فيها الإسلام ، فأخرجت العظماء من كتاب المسلمين وفقهائهم ومحدثيهم وعلمائهم .

وهذا « أشرس بن عبد الله السلمى » عامل « هشام بن عبد الملك » على خراسان أرسل لأول عهده إلى أهل سمرقند ، وما وراء النهرين يدعوهم إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية ، فسارع الناس هناك إلى الإسلام ، وحين كتب إليه أمير سمرقند أنهم لم يسلموا إلا تعوذاً من الجزية ، قال له : من اختتن وأقام الفرائض وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجه .

وقد روى عن « يوسف بن عمر » عامل « هشام » على العراق ، أنه مع إسرافه فى العقوبة — كان طويل الصلاة ، ملازماً للمسجد ، ضابطاً لحشمه وأهله — وكان يصلى الصبح ولا يكلم أحداً حتى يصلى الضحى .

ولقد كتب « عمر بن عبدالعزيز » إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام ، وقد كانت سيرته بلغتهم ، فأسلموا وتسموا بأسماء العرب .

هذا قل من كثر من موقف خلفاء الأمويين وعمالهم إزاء الإسلام ، وعملهم على نشره ، والترويج له فى غير عنف ولا شطط ، أفعبد هذا يقول عنهم قائل : « إن تلك الأقلية العربية ، التى اضطرت إلى الإسلام اضطراراً وأكرهت على الدخول فى هذا الدين إكراهاً ، عرفت كيف تثأر لنفسها حين سنحت لها فرصة الانتقام ، فتقاضت ثمن ذلك الفوز مضاعفاً ، وشفت به غلة صدرها المكلوم !!

ولقد زعم « دوزى » « أن سادة المسلمين كانوا ينظرون إلى المسيحيين باحتقار ، ويعدونهم من الأنجاس ، فلا يتحدث مسلم إلى مسيحى أو قسيس — على الأخص — إلا عن بعد ، حذراً من ملامسته كيلا يدنس ثوبه .

وهذه الدعوة الجريئة ، ولو أن مدعيها ناقض نفسه مراراً ، لا نجد نقضاً لها إلا أن نعرض أمام أنظار القارئ قليلا من موقف رؤساء المسلمين فى مختلف العصور حيال مخالفيهم ، خصوصاً المسيحيين ؛ مما يفند هذه الدعوى ، ليرى إلى أى حد بلغ تسامحهم مع مخالفيهم تمشياً مع مبادئ الدين وبعداً عن عمل الجاهلية ؛ ويعرف أن أوربا لم تعرف هذه المساواة مع غير أبناء عقائدها ؛ حتى فى هذا العصر (ولدينا من الشواهد على ذلك الكثير) .

كان كاتب الخراج لمعاوية — أو الخلفاء الأمويين — سرجون الرومى ، وكان مع ذلك صاحب أمره ومدبره ومشيره ، وأعلى المنصور مكانة « جيورجيس » طبيبه حتى على وزرائه ، ولما مرض أمر بحمله إلى دار العامة وخرج ماشياً يسأل عن حاله ، فاستأذنه الحكيم فى الرجوع إلى بلده ليدفن مع آبائه ، فأمر بتجهيزه ، ووصله بعشرة آلاف دينار (مع شدة حرص المنصور على المال) ، وأوصى من معه بحمله إذا مات فى الطريق إلى مدافن آبائه ، كما طلب . ثم سأله عمن يخلفه عنده ، فأشار إلى عيسى بن شهلاثا أحد تلامذته ، فأخذه المنصور مكان « جيورجيس » ، فطفق يؤذى القسوس والبطارقة ويهددهم بمكانته عند الخليفة ، لينال منهم رغائبه . فشعر الخليفة بذلك فطرده .

وممن ارتفع شأنه عند الرشيد « بختيشوع » الطبيب ، وولده « يوحنا ابن ماسويه » النصرانى ، وممن حظى بالمكانة العليا عند الخليفة المهدى « تيوفيل بن توما » النصرانى المنجم ، وكان على مذهب الموارنة من سكان لبنان ، وقد أقام المأمون « يوحنا البطريق » أميناً على ترجمة الكتب ، وقربه إليه ، كما قرب « سهل بن سابور » و « ابنه سابور » .

وكان « سلمويه » النصرانى طبيباً عند المعتصم ، ولما مات جزع عليه جزعا شديداً ، وأمر بأن يدفن بالبخور والشموع على طريقة النصارى .

وفى أيام المتوكل ، اشتهر « حنين بن إسحاق » ، وأقطعه الخليفة إقطاعات واسعة ، وكان بينه وبين الطيفورى النصرانى محاسدة أفضت إلى طلب الحكم

على حنين فى مجلس الأساقفة بالحرمان من الكنيسة ، فمات غماً لاضطهاد أهل طائفته له ، مع عزته وعلو قدره عند الخليفة .

وكان « العزيز بالله » الخليفة الفاطمى ، شديد التسامح مع المسيحيين ، وجدّد لهم كنيسة « أبى سيفين » خارج الفسطاط ، بعد أن كانت مستترة فى شكل مخزن للبضائع . ومن تسامحه أن كان أكبر وزرائه يعقوب بن كلس وعيسى بن نسطورس . وأولهما إسرائيلى أسلم ، والآخر مسيحى .. إلى غير ذلك مما جاشت به كتب التاريخ ، وكلها تنطق بأن المسلمين عملوا بوصايا نبيهم فى شأن مخالفيهم ، وفهموا من هذه الوصايا غير ما رواه « دوزى » من أنهم (كانوا ينظرون إلى غير المسلمين باحتقار ، ولا يتحدثون معهم إلا عن بعد ، حذراً من النجاسة) !!

ولعل « دوزى » تمثل بعض حوادث نادرة تافهة وقعت من بعض العمال زمن « هشام » أو غيره ، بشأن الجزية وتهرب المسيحيين منها على بساطتها ، وما كان سبب هذه الحوادث نظاماً عاماً تواضع المسلمون عليه ، بل (كما قال الأستاذ الإمام) إما سياسة خرقاء ، أو تأريث بعض السفهاء ، أو جهالة عمياء .

هذا ، ويغنينا ما ذكرنا من بلاء رجال العرب (معقل الدين الأشب وحماته الذادة) فى نشر الدين ـ خصوصاً فى القرن الأول من الهجرة ـ عن الرد على قول «دوزى» . ولقد كان تاريخ الإسلام أعنى تاريخ نشأته ونموه مماثلا تاريخ البوذية والمسيحية . فقد نشأت البوذية فى الهند ، وماتت فى مهدها وصرعتها البرهمية . ولم تطق البوذية أن تصمد لها فى نضالها : ولكنها مع ذلك انتشرت فى بلاد أخرى ، كالصين وسيلان والتتر واليابان وما وراء الخليج . كذلك نرى المسيحية لم تظفر بالحياة فى مهدها ، فقد أنكرها اليهود ولجوا فى مناوأتها ، مع أنها وليدة الموسوية : ولكنها على ذلك قد ذاعت خارج موطنها ، ودان بها الرومان ، وإن كان تدينهم اسمياً ، وفتن بها شعب ثالث هو الشعب الجرمانى حتى لقيت بين ظهرانيه كل إقبال وترحيب .

والواقع أن هذا الدين الإسلامى ، تراه من مطلع فجره يزيد كل يوم أنصاراً وأعواناً يؤيدون حجته ، وينضحون عنه ، باشتراك كل من دان به من عرب وغيرهم فى تدعيم أمره ، وكان مهده فى شبه الجزيرة المصباح الثاقب ، يرسل من لألائه وبهائه ما يملأ العالم نوراً وضياء . فمحاولة مقارنته بغيره من الأديان من هذه الناحية ، لا تقل تجافياً عن الصدق عن مساواة حال المسيحيين فى بلاد الإسلام بحال اليهود فى بلاد المسيحيين فى القرون الوسطى .

وإذا كان إسلام الفارسيين عظيم الخطر ، جليل النفع على الدين الإسلامى ـ وأن أغلب الحفاظ الذين استظهروا الحديث والدين وأعودهم نفعاً على الإسلام كانوا من الفرس ، وقد نقلوها إلى الفارسية وتوفروا على درس القرآن وبرعوا فى تفسيره والتفقه فيه ـ فلا نسلم بأنه أصبح بفضلهم وحدهم قوة عظيمة الخطر فى العالم ، وأنه لم يكن ليتاح له أن يصل إلى هذه الذروة بفضل جهود العرب وحدهم ، وقد فتح العرب هذه البلاد وغيرها بمجهودهم وحدهم ، ونشروا الدين فى ربوعها وضحوا فيها بالشىء الكثير ، فما وهنوا ولا استكانوا ، وبسطوا سلطانهم فى مدى ثمانين عاماً على بلاد لم يستطع الرومان أن يفتحوا مثلها فى ثمانية قرون .

وقد أفضت سماحة دينهم إلى أن أخذوا فى دراسة العلوم والفنون والصنائع ، واكتشفوا فيها وزادوا ، وكانوا ـ على حد قول « جوستاف لوبون » : « إن العرب أول من علمّ العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين » . فالتمدح بعمل الفرس على حساب الغضّ من العرب لا يسيغه الإنصاف ، ولا يقره التاريخ .

— ٥ —

بعدأن(١) أثار العلامة « دوزى » سحباً من الشك والريب فى عقيدة العرب الفاتحين ، ورماهم بأن البعض منهم لم يعرف عن الدين — حتى نهاية القرن الأول للهجرة — إلا أنه دين حرم الخمر ، والبعض الآخر كان يحن إلى عهد الوثنية ويذكر أيامها بكل خير .. أراد أن يخلص من هذا إلى الحكم على من دان من المسلمين من سواهم ، أنه لم يكن مخلصاً فى اعتقاده ، وثمة رئى كثير منهم يطرق أبواب الكنائس ويأوون إليها ، وهم غير معتقدين بالإسلام ، وإن تظاهروا رغبة فيما يلقون من كرم الوفادة وحسن الضيافة !

ولم يرشدنا المؤلف عن حادثة واحدة يؤيد بها مارواه ، إلا أنه نسب لعمر بن عبد العزيز أنه لم يكن صارماً فى تطبيق الشريعة ، ولم يكن يجهل أن أكثر من دانوا بالإسلام كان ينقصهم الإخلاص والصدق ، ولكنه مع ذلك كان يرى أن أبناء هؤلاء المتظاهرين بالإسلام وأحفادهم سينشأون فى ظل الإسلام،ويشبون فى أحضان هذا الدين ،وتشربه دماؤهم ، فيصبحون مسلمين يخدمون الإسلام وينصرون كلمته ، وربما ظهر منهم من هو خير من المسلمين أنفسهم .

فهل رأيت أعجب من هذا الزعم ؟ !

«عمر بن عبد العزيز» الذى يرى المسلمون أنه هو الذى بعث على رأس المائة الثانية ، ليجدد للأمة أمر دينها ، كما جاء فى الحديث :

« إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها » . والذى قال للناس فى خطبة : « من صحبنا فليصحبنا بخير وإلا فلا يقربنا : يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير جهده ، ويدلنا من الخير على مانهتدى إليه ، ولا يغتابن أحداً ولا يعترض فيما لا يعنيه» . والذى كان مصروفه كل يوم درهمين ، فكان كجده عمر بن الخطاب فى الزهد والتقشف ، والذى أبطل مغارم كثيرة كانت استحدثت فى زمن الحجاج ،

(١) البلاغ ١٩٣٤/٩/٢٥

وأخذ من أهله ما بأيديهم ، وسمى ذلك مظالم ، وقبض على «يزيد بن المهلب» بشبهة وجود مال عنده من حقوق المسلمين .. كان مع ذلك كله فى نظر العلامة « دوزى » غير صارم فى تطبيق الشريعة !

وفاز فى التوفيق بين هذه الدعوى وبين تظاهر الناس بالإسلام فى عهده تظاهراً عرفه عمر وسكت عليه على مضض !

إن المنطق يقضى أنه لا معنى أصلا لأن يتظاهر الناس بالإسلام مع وجود خليفة غير صارم فى تطبيق الشريعة ، بالمعنى الذى يريده ذلك العلامة ، كما أن المعلوم أن كل من دان بالإسلام كان عن عقيدة وإخلاص .

قال تعالى فى سورة البقرة : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغىّ ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ، لا انفصام لها والله سميع عليم » وفى سورة الكهف : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

على أن العلامة « دوزى » أغنانا عن دفع هذه الدعوى — دعوى التظاهر بالإسلام — فى مكان آخر إذ يقول : أى معجزة أروع وأعجب من أن ترى شعباً كان إلى زمن قليل فى غيابة من الخمول ، ثم ظهر إلى الدنيا فجأة ، وظل يتقدم بسرعة لا مثيل لها وهو يغزو الأرجاء الفسيحة وينتصر على قطر بعد قطر ؛ فتدين له البلاد بالطاعة والولاء وتقبل على دينه من كل حدب وصوب راضية غير مكرهة — ثم يقول : « لو أننا عزونا إقبال المسيحيين على الإسلام إلى الفائدة الشخصية أو الرغبة فى التخلص من الذل والضعة ، فنحن جديرون أن نقرر أن من الثابت أن كثيراً من المسيحيين دانوا بالإسلام عن عقيدة وإيمان » .

ولقد أبى « دوزى » مع اعترافه بخطر الإسلام واستقامة مبادئه ونفعها إلا أن يتهمه بأنه يحوى على ذلك ضرراً جسيما ! ولم يبين لنا ماهية هذا الضرر الجسيم حتى نستطيع أن نوافقه أو نخالفه ، ولعل هذا التسامح

فى مبادئه وموافقته للفطرة الإنسانية وامتزاجه بروح كل عصر ومصر ، وتساهله مع أهل العلم والنظر فى كل أمة ، هو ذلك الضرر الجسيم الذى تخيله ، وكان من آثاره دخول الناس فيه أفواجاً أفواجاً !!

ننتقل بعد ذلك إلى القول بأن الإسلام اقتبس كثيراً من أصول المسيحية اقتباساً مباشراً أو غير مباشر ، فنجد هناك تبايناً تاماً بين أصول كلتا الديانتين (مع ملاحظة أن كلا منهما يدعو إلى الله بالعمل الصالح) . وبحسبنا هذه القواعد الإسلامية الخمس التى نقلها المؤلف . والتعريف عن الإيمان والإحسان ، فنرى هذا الدين مألوفاً سائغاً ، ترك للعقل النظر لتحصيل الإيمان ، وإذا تعارض العقل والنقل ، أخذ بما دل عليه العقل وتأويل النقل بما يتفق مع ما أثبته العقل ، ثم الاعتبار بسنن الله فى الخلق : وهو ألا يعول بعد الأنبياء فى الدعوة على غير الدليل ، فلا ينظر إلى العجائب والغرائب وخوارق العادات .. يضاف إلى ذلك أن الإسلام لم يدع لأحد بعد الله سلطاناً على عقيدة أحد ، ولا سيطرة على إيمانه .

فالرسول (صلى الله عليه وسلم) كان مبلغاً ومذكراً ، لا مهيمناً ولا مسيطراً : « فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » . فليس للمسلم مهما علا كعبه فى الإسلام على آخر مهما انحطت منزلته فيه إلا حق النصيحة والإرشاد . وخليفة المسلمين نفسه ليس بمعصوم ولا هو مهبط الوحى ، ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة ، وإن الإسلام حثّ على مودّة المخالفين فى العقيدة ، وأباح للمسلم التزوج من المسيحية ، وحقوقها كالمسلمة سواء ، وحثّ على الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة .

هذا من أصول الإسلام التى كان من نتائجها اشتغال معتنقيه السالفين بالعلوم الأدبية والعقلية ، وإكثارهم من المدارس ، وكشفهم من العلوم والمخترعات ، مما سجل لهم على مرّ الدهور . وفتح طريقاً معبداً لمن أتى بعد من أولى العلم والنظر — على تغاير نحلهم وأمزجتهم — حتى قال بعض فلاسفة المسيحيين فى ذلك : « لا أدرى كيف أعطانى الإسلام فى مدة قرنين عدداً من الفلكيين يطول سرد أفراده ، وإن الكنيسة تسلطت على المسيحيين اثنى عشر قرناً فى أوربا ، ولم تمنحنا فلكياً واحداً » .

فهل بعد هذا الذى أوردناه ـ بكل إيجاز ، خوفا من الإطالة ـ يقال إن الإسلام اقتبس كثيراً من أصول المسيحية التى نحن فى غنى عن أن نقول إنها قامت على الخوارق للعادات ، ومنحت الرؤساء سلطة التحكم فى عقائد المرؤوسين ، وحثت على ترك الدنيا والتبرؤ منها ، والانقطاع للآخرة ، وأجمعت مذاهبها على أن الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها ، إلى غير ذلك مما يباين ـ على خط مستقيم ـ الأصول الإسلامية ، التى لم تكن كذلك نقط اتصال كثيرة ، تلتقى مع نحل الملحدين وشيعهم ، كما يريد أن ينسبه إليها المسيو « دوزى » ليعطل بذلك سرعة انتشار الدين الإسلامى فى بلاد « الفرس » مهبط مذاهب « مانى » و « مزدك » وغيرهما .

لسنا بصدد التفاضل بين المسيحية والإسلامية فى هذه المراجعات ، ولكنا حيال تقرير أمر ، هو أن الدين المحمدى نزل به الروح الأمين على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأن الذى يظن أن أصوله مقتبسة من غيره من الديانات أبعد فيها وأكثر شططاً ممن يظن أن الشرق والغرب على سواء ، أو من يطمع فى بناء قصر فى الهواء . .

ولقد أجهدنا الفكر لنفهم ما ذهب إليه المؤلف فى تقسيم الداخلين إلى الإسلام إلى فريقين : فريق يرى أن الإسلام أيسر مما يطلبون ، وفريق يرى أنه أصعب مما يطمعون ، وأن الفرس كانوا من الفريق الأول فرأوا فى تعاليمه جفافاً بعيداً عما ألفوه من خيال خصب بهيج ، وأن سواد المفكرين الأحرار كانوا من الفريق الثانى ، فرأوه شاقاً شديد العسر ، فلم يرضوا عن الإسلام ، ولا عن غيره من الديانات ! وإننا والحق يقال لم نهتد إلى ما يقصده المؤلف : أيريد أن يجرد الكل من الدين حتى أولئك الذين طالما وصف إسلامهم بأنه كان جليل الحظ عظيم النفع على الدين الإسلامى؟ أم يقصد أنهم غيروا نصوص أحكامه وفق رغباتهم ، وسموا ذلك إسلاما ؟ أم أن ذلك التقلقل نشأ من ضعف فى الترجمة ؟ ولعل ذلك الإبهام يكشفه صديقنا المترجم ، فنعنده من الأصل الخبر اليقين .

ومهما يكن من الأمر فالمسلمون على اختلاف نزعاتهم ومذاهبهم ،

يدينون بدستور قائم إلى يوم الدين ، وهو قرآنهم المجيد ، وينظرون من خلاله إلى آرائهم فى الدين ، ولم يصل (والحمد لله) بهم الخلف إلى التناحر والتباين ، وإذا كانت هناك أقليات شذّت عن تعاليمه وخالفت ظاهر الكتاب وانتسبت إليه زورا ، فلا يقدح ذلك فى مستوى أبنائه واحترام تعاليمه ، حتى مع من لم يقم بفرائضه تكاسلا .

(أما بعد) فلئن بقيت بعض ملحوظات على كتاب « ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الإسلام » فقد يضيق وقتنا الآن عن استيعابها ، ولربما عدنا إليها متى اتسع لها الوقت ، ولا بأس من أن نشير هنا إلى بعض أخطاء لعلها سبق قلم مثل ماورد فى هامش ص ٣٢٨ من نسبة قصيدة المتنبي التى فيها :

وكم لظلام الليل عندى من يد
تحدث أن « المانوية » تكذب

إلى أنه يمدح بها « سيف الدولة » ، والصحيح أنه يمدح بها « كافورا الأخشيدى » . ومنها :

وأخلاق « كافور » إذا شئت مدحه
وإن لم أشأ تملى علىّ وأكتب

ومثل ما ورد فى ص ٣٧٥ ، فى الكلام عن المرتدين ، أن طلحة الذى كان بطلا من قبل ، بدأ يهاجم أبا بكر ويدعى النبوة ، والصواب أنه طليحة (بالتصغير) بن خويلد الأسدى ، وقد تاب وأبلى بعد توبته فى الإسلام بلاء حسناً ، خصوصاً فى فتح القادسية فى عهد عمر رضى الله عنه ، إذ كان له ولقومه بنى أسد أعظم فخار .

وإننا على كل حال لا نغمط المستشرق « دوزى » حقه من الشكر والثناء ، لما ورد فى خلال كتابه من الاعتراف للإسلام وأهله بالعدالة والتسامح ، كما نقدم شكرنا وإعجابنا للأديب الألمعى « كامل كيلانى » ، الذى أتاح لنا الاطلاع على آراء هؤلاء المستشرقين ، وقدم للأدب العربى ورجال التعليم مُثلا صالحة تدل على علم غزير ، ونشاط دائب ، وإخلاص مكين ؟

ملوك الطوائف[1]

بقلم : طه عبد الباقى سرور

(١)

الأستاذ « الكيلانى » من أولئك القلائل ، الذين يقرن تاريخ النهضة الأدبية باسمهم ، ويتسم الفكر بسماتهم .

حركة دائبة ، أو روح سارية ، كما يقول أمير الشعراء ، وكوكبة من النور ، مترجحة كالزئبق ، تأبى أن ينعم بنورها مكان واحد ، فهى تشرق فى كل مكان ، وينعم بضوئها كل إنسان .

قام وحده بمكتبة الأطفال ، وحمل عبء تهذيبهم منفرداً ، وفتح أعينهم على أمواج من مباهج القصص ، وثمرات ناضجة من روائع الأدب الحى ، ويكفى أن تعلم بأن « كاملا » قد ذلل « شكسبير » للأطفال ، وقدم إليهم تلك الأفكار الجبارة والآراء القوية العنيفة ، فى أسلوب سهل جذاب ، وفكرة لينة براقة .

ثم أبى أن يترك الطفل بعد أن نضجت مواهبه ، واستقام عوده ، ففكر فى إعداد مكتبة للشباب . وتفكير « كامل » لابد وأن يعقبه الأثر ، فسرعان ما شاهدنا بأعيننا اللبـــنة الأولى توضع : وإذ بأيدينا أساطير « ألف يوم » التى ابتدأ بها « الكيلانى » مكتبة الشباب .

وليس « الكيلانى » كاتباً فحسب ، بل هو رجل فكرة يرمى إليها ، وغاية يسعى ويفنى فى سبيلها .

فهو يؤمن بأن الدين الإسلامى لا سبيل إلى فهمه ، واسترجاع قوته ومجده ، ورفع لواء مدنيته فى العالمين إلا بقوة اللغة العربية ، وذيوع الأدب العربى .

---

(١) مجلة الإسلام ١٩٣٤/٩/٢٠

فبقوتنا اللغوية، نفهم القرآن وأسراره، وبقوتنا فى الأدب العربى نعرف جماله وبهاءه .

وإذا فهم المسلم القرآن حقا، ولمس جماله صدقا، وعرف أسراره، وآمن بها إيمان الواثق الدارس، لا المقلد الواهى المعتقَد، فليس فى العالم قوة تحول بينه وبين النصر والمجد .

وتنتظم تلك الفكرة كتب « الكيلانى » بأسرها، وتهيمن على تفكيره تلك الغاية المقدسة النبيلة، فتلمسها جلية فى مكتبة الأطفال التى رمى بها إلى إنشاء الطفل، نشأة أدبية عربية، يفتح عينيه على جمال الأدب العربى، وحلاوة ثمره، فينشأ مؤمنا بالعربية، متفانياً فى أدبها .

كما تلمسها فى تلك الجهود الجبارة، وحسبك « رسالة الغفران »، و « ابن زيدون »، و « ابن الرومى »، و « نظرات فى تاريخ الأندلس »، و « صور جديدة من الأدب العربى »، « ومصارع الخلفاء »... الخ تلك الكنوز الأدبية، لتعلم أى خدمة وأى يد أسداها « الكيلانى » للأدب والتاريخ والعربية .

واليوم يساهم الأستاذ « كامل » فى ميدان جديد، فيقدم لقراء العربية تحفة جديدة، وكنزاً ثميناً كنا فى أشد الحاجة إليه، ذلك هو « ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الإسلام » لكاتب من أكبر كتاب الغرب : العلامة « دوزى » .

ولست أحدثك عن أسلوب « الكيلانى » الساحر، ولا عن دقته وحرصه فى الترجمة، فهذا أمر عرف به، فليس فى حاجة إلى دليل جديد .

والكتاب كما ترى من عنوانه يشتمل على قسمين، حيويين خطيرين، أولهما تاريخ « ملوك الطوائف » فى الأندلس، تلك الفترة المملوءة بالإحن والسخائم والأحقاد والحروب، والتى كانت مقدمة لتلك الفاجعة الكبرى فاجعة انتحار « الأندلس »، وانتزاعها من حظيرة العالم الإسلامى، تلك

الفاجعة التى تدمى لها قلوب المسلمين إلى اليوم ، بل إلى قيام الساعة .

« الأندلس » ذلك الاسم الساحر ، والخيال الباسم ، والأمل المفقود .

تلك القطعة المقدسة التى انتزعت من قلب الإسلام ليحتويها الغرب بين جوانبه ، بعد أن سود صفحة الإنسانية ، بتلك المجازر والمخازى ، التى أوقعها بمسلمى « الأندلس » .

ومن الغريب المدهش ، أن تظل مكاتب العروبة خالية من سفر صادق دقيق ، عن حياة « الأندلس » فى عهد « ملوك الطوائف » ، ذلك العهد الخطير ، الذى يحدثنا عن أسرار الحياة ؛ بل أسرار الفشل والنجاح : بل يروى لنا مصير كل أمة أهملت دينها ، ولهت عن شريعتها !

وسفر « الكيلانى » ليس كتاب تاريخ فحسب ، بل كتاب اجتماع وأدب وفلسفة ، وتحليل صادق لأمراض الأمم . ووصف شامل لدقائق الحوادث . ومصور أمين لظلال الأمور ، ودسائس الملوك ، وأسرار القواد والساسة .

يحدثنا سفر « الكيلانى » عن الخلافة فى الأندلس ، وكيف انفرط عقدها ، وكيف تمزقت الوحدة الإسلامية !!

والإسلام قام على الوحدة : وحدة العقيدة والأخلاق والعمل . . .

والوحدة للأمة بمثابة الروح من الجسد ، ولذلك كانت مكانة الخلافة من الإسلام جليلة وخطيرة .

تمزقت الوحدة الإسلامية فى الأندلس ، فقام على كل ربع أمير وجيش ، فاستعرت نيران الحروب الأهلية ، وقامت المنازعات الخفية ، والدسائس السرية . . .

وبلغ من الذل والمهانة أن استعان أمراء المسلمين بعضهم على بعض بدول الغرب ، فكانت الطامة الكبرى ، وكانت فجيعة الأندلس .

كانت الأندلس الإسلامية أمة واحدة، وقلباً واحداً، وفكراً واحداً. فازدهرت وملكت أعنة أوربا، وحملت لواء الفكر فيها، وشيدت حضارة لم يحدث عن مثلها الزمن إلا مرة واحدة، وخفق لواء العدل، وشيدت صروح الإخاء. وهرع المسيحيون إلى الإسلام، ينعمون بعدله وحريته وإخائه، وينهلون من مناهله العذبة، ويمرحون فى مروجه الناضرة.

رحمة وعدل. صفاء وإخاء. إيمان وحرية.

قلوب طاهرة، وأفكار بريئة، وعقول تتجه إلى الخير العام.

لا ظلم ولا جبروت. لا أمير ولا حقير.

الكل سواسية أمام العدل المحمدى.

ثم استبدل بالجهاد اللهو، وبالعدل المحاباة، وبالوحدة الانقسام، وقام مقام قانون السماء ألف قانون وقانون.

واستبدل الملوك بسيف الجهاد كاس الخمر. وبميادين الجلاد حدائق الظباء: فضعف نفوذهم، وقل خطرهم، ونزع الله الملك من أيديهم، فانتثر ذلك العقد المقدس، واستبدل بالأمن الرعب!!

وقامت مملكة فى «قرطبة». وأخرى فى «إشبيلية». وثالثة فى «طليطلة»، ورابعة هنالك، إلى آخر تلك الممالك المعروفة فى التاريخ بـ«*ملوك الطوائف*».

عظم نفوذ اليهود فى «الأندلس»، وضعفت العاطفة الدينية، ولعب الوزراء بملوكهم وبلادهم، فعقدوا شروط الخيانة مع ملوك الإفرنج ضد بلادهم، مقابل نضار ذاهب، ومجد خادع!!

وتقدم المسيحيون شيئاً فشيئاً. وتخاذل المسلمون شيئاً فشيئاً ... اتحد هؤلاء، وتفرق الذين كتب عليهم الشقاء!!

ظهرت فى الأفق طلائع الجيوش المسيحية، وسيوف مسلمى الأندلس، ترفع لتغمد فى صدور إسلامية.

الحرب الأهلية قائمة ، والعزائم خائرة . وكتاب الله قد نبذ ظهريا ، فسقطت البلدان الإسلامية ، واحدة تلو الأخرى ، حتى كانت الفاجعة !

وصار ماكان من مُلك ومن مَلك
كما حكى عن خيال الطيف وسنان !

صورة هائلة : أطفال تذبح ، وأعراض تهتك ، ورجال حصدهم السيف ، أو ضمهم العدو إلى حظيرته :

يامن لذلة قوم بعد عزهم
أحال حالهم جور وطغيان

بالأمس كانوا ملوكا فى منازلهم
واليوم هم فى بلاد الكفر عبدان !

قامت النواقيس مقام المآذن ، والصلبان مقام المنابر ، وأسبانيا مقام الأندلس !!

وكل هذا جناية « ملوك الطوائف » . مهدت له تلك الفترة الصاخبة ، المملوءة بالأسرار والأحقاد ، والمؤامرات السرية .

تلك الفترة الهائلة هى التى يشرحها ويرسمها أمامنا كتاب « ملوك الطوائف » ! أما قسمه الآخر (نظرات فى تاريخ الإسلام) فهذا ما سنتحدث عنه فى مقال آخر إن شاء الله تعالى ؟

ملوك الطوائف

ونظرات فى تاريخ الإسلام[1]

بقلم: محرر المقتطف

« دوزى » — مستشرق معدود فى الطبقة الأولى من الأعاجم الذين صرفوا قلوبهم إلى دراسة العربية ومافيها من الكتب ... « وبعد » فقد كتبنا فى مقتطف مارس سنة ١٩٣٣ أن الأمة العربية ابتليت ببليّتين :

أولاهما : أنه لم ينتدب أحد من أهل هذه اللغة إلى التنقيب عن آثار الأمة العربية التى طويت فى أرضها بين يمنها وشامها ، وحجازها وعراقها ، ومصرها ومغربها ، وما سوى ذلك .

والأخرى : أنه لم يخف أحد إلى دراسة كتب العرب ولمّ شتاتها واستخراج ماخفى من أساليب العرب وأحوالها وعاداتها فى الاجتماع والأدب واللغة ، حتى جاءنا فى هذا العصر أصحاب الألسنة الأعجمية من دول أوربا بأقوالهم فى تاريخنا وأدبنا وديننا ، بالكلام الجيد تارة ، والفهم الملتوى والتعليل الفاسد تارة أخرى .

فهذا الكتاب الذى ترجمه الأستاذ «كامل كيلانى» وتنصل من الإثم فيه بقوله «إذا كان العلامة فخر الدين الرازى يقول فى مقدمته لشرح «الإشارات» لابن سينا : « إن التقرير غير الرد ، والتفسير غير النقد » .

فما أجدرنا أن نقول « والترجمة غير النقد » .

نقول هذا الكتاب قسمان :

الأول ما كتبه « دوزى » عن ملوك الطوائف ، والآخر فصول من كلام «دوزى» فى تاريخ الإسلام . والأول أهونهما خطراً ، وأقلهما خطأ ، والآخر

---

(١) المقتطف – أكتوبر ١٩٣٤

ماهو إلا تركيب فاسد قد اجتمع لهذا المستشرق من (استخراج) فاسد من كتب التاريخ الإسلامى وغيرها ، وترقى فيها بالخديعة الكتابية إلى تأليف كلام يشبه التحقيق العلمى وماهو منه فى شىء . وهذه عادة هذه الفئة من المستشرقين الذين يتعرضون لتاريخ الإسلام ورجاله ، لايتورعون عن عرض آرائهم فى أسواق الكتب ، ثم لا يبالون إلا بالنسج الذى نسجوه غير ناظرين إلى الحقيقة العلمية .

ولقد قرأت هذا الكتاب ووقفت على مافيه من مواضع الخطأ وأحصيت عليه الآراء التى ترفق فى عرضها وأخذ يلوكها مرة ثم مرة مجمجماً غير مصرح . وكنت على عزيمة تبيانها للقارئ ، ولكنى رأيت أن ذلك مما يستنفد معنا فى هذا الباب من المجلة صفحات كثيرة ، ثم وجدت أن الأستاذ « محمد أمين هلال » قد سبقنى وكتب فى جريدة البلاغ مقالات دقيقة اطلعت على الرابعة والخامسة منها ، وقد وقف فيها عندما وقفت عليه ، ودافع كلام هذا المستشرق بالحجة الصحيحة ، وأوثر أن أنقل إلى القارىء هنا جزءاً من كلمة الأستاذ « محمد أمين هلال » التى نشرت فى بلاغ (الثلاثاء : جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣ — ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٤) لما فيها من الفائدة .

« يظهر أن اتهام رجال العرب الفاتحين ، خصوصاً فى الدولة الأموية ، بالوثنية والحنين إلى عودها كان صدى لما كان يشيعه أعداء الإسلام من أنه دين وثنى وأن المسلمين جماعة من الوثنيين تغلبوا على الأرض المقدسة ونفوا منها كل فضيلة وإخلاص .

ولقد رأينا هذه الأقوال الكاذبة ينشرها دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة إبّان الحروب الصليبية :

فلما قفل الغزاة إلى ديارهم قصّوا على قومهم أن أعداءهم كانوا أهل دين وتوحيد ومروءة ومجاملة .

« ونحن إذا تخيرنا من بين خلفاء الأمويين - الذين يتهمهم العلامة « دوزى » ببغض الإسلام - أبغض هؤلاء الخلفاء وأبعدهم عن قلوب المسلمين وهو « يزيد بن معاوية » مثلا نجده كان يعمل للإسلام ويأمر قواده بذلك ؛ فقد حدثنا

التاريخ أن «عقبة بن نافع» عامل يزيد لما فتح بلاد البربر وسار إلى السوس الأقصى حتى وصل إلى بحر الظلمات (المحيط الأطلانطى) قال : « يارب لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد مجاهداً فى سبيلك » وأنه لما سار إلى (تهوذا) ورآه الروم فى قلة طمعوا فيه فأغلقوا باب الحصن وشتموه وقاتلوه وهو يدعوهم إلى الإسلام ، ثم تكاثروا عليه وقتلوه .

ورأينا « قتيبة بن مسلم » عامل الحجاج بن يوسف « المشهور بغطر سته وقسوته » يخطب فى الناس ويقول لهم : إن الله قد أحلكم هذا المحل ليعز دينه ويذب بكم عن الحرمات ويزيد لكم المال استفاضة والعدو قمعاً ، ووعد نبيه (صلى الله عليه وسلم) النصر بحديث صادق وكتاب ناطق فقال : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ووعد المجاهدين فى سبيله أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده فقال : (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوّ نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون) . ثم أخبر عمن قتل فى سبيله أنه حيّ يرزق فقال (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) . فتنجزوا موعود ربكم ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمض ألم وإياى والهوينا !

وقتيبة هذا هو الذى تلقاه ملك الصفانيان بهدايا ومفتاح من ذهب ودعاه إلى بلاده ، وكذلك فعل ملك كفتان وأنصفه من ملوك آخرين وكتب إليه الحجاج يقول : « إذا غزوت فكن مقدم الناس وإذا قفلت فكن فى أخرياتهم وساقتهم » . حتى فتح بلاداً واسعة نشر فيها الإسلام فأخرجت العظماء من كتاب المسلمين وفقهائهم ومحدثيهم وعلمائهم .

وهذا أشرس بن عبد الله السلمى عامل هشام بن عبد الملك على « خراسان » أرسل لأول عهده إلى « سمرقند » وما وراء النهر ، يدعوهم

إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية ، فسارع الناس هناك إلى الإسلام ، وحين كتب إليه أمير سمرقند أنهم لم يسلموا إلا نفوراً من الجزية ، قال له : (من اختتن وأقام الفرائض وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجه) .

وقد روى عن «يوسف بن عمر» عامل هشام على العراق أنه — مع إسرافه فى العقوبة — كان طويل الصلاة ، ملازماً للمسجد ، ضابطاً لحشمه وأهله ، وكان يصلى الصبح ولا يكلم أحداً حتى يصلى الضحى .

« ولقد كتب «عمر بن عبد العزيز» إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام . وقد كانت سيرته بلغتهم فأسلموا وتسموا بأسماء العرب .

« هذا قل من كثر من موقف خلفاء الأمويين وعمالهم إزاء الإسلام ، وعملهم على نشره والترويج له فى غير عنف ولا شطط .. أفبعد هذا يقول عنهم قائل : « إن تلك الأقلية العربية التى اضطرت إلى الإسلام اضطراراً ، وأكرهت على الدخول فى هذا الدين إكراهاً ، عرفت كيف تثأر لنفسها حين سنحت لها فرصة الانتقام ، فتقاضت ثمن ذلك الفوز مضاعفاً ، وشفت غلة صدورها المكلومة » ؟ .

هذا وكنا نراه لزاماً على مترجم الكتاب الأستاذ «كيلانى» أن يتعرض لهذه المواضع ولا يتنصل منها ، نعم . نحن نقول معه إن الترجمة غير النقد ، ولكن ذلك صحيح حين يترجم للعلماء دون غيرهم ، أما حين يظن فى كتاب مترجم أنه مما يقع فى أيدى الناشئين فلا ... إن أبناءنا فى المدارس المصرية من ثانوية وعالية لا يعرفون عن مثل «عمرو بن العاص» إلا أنه فتح مصر ، و «عمر بن عبد العزيز» إلا أنه كان خليفة ، وعن فلان وفلان إلا مثل هذا أو أقل ، فكيف نترك مثل هذه الآراء الفاسدة غذاء ألباب الذين يريدون من أبنائنا أن يقرءوا كتاباً سهلاً دانى الثمرة . وهم لا يعلمون من التاريخ دقائقه ، ولا من الإسلام إلا كلمات حفظوها لا تبلغ بهم درجة من العلم فيه .

والمترجم الذى يقول — فى مقدمة كتابه — للقراء : « إنى قد آثرت نقل هذه الفصول عن « دوزى(١)» ؛ لتبيان وجهة تفكير عالم أوربى كبير .. وهى — وإن خالفت آراءنا أحياناً فى بعض مناحيها — جديرة أن تقرأ بعناية فائقة » . الذى يقول هذا يجب عليه أن ينقد المغالطات والمفاسد بعناية فائقة كذلك ، فى زمن قد اجتمعت فيه على التاريخ الإسلامى عناصر الفساد والإفساد من كل ناحية . بل فى زمن نحن نتهيأ فيه لإعادة المجد الضائع ، والحق المغتصب ، بفقه ما كان عليه أسلافنا ، فقهاً صحيحاً لا يميل إلى الخرافة ، ولا يشط مع التقليد والتورط والفساد .

* * *

أقول هذا وأنا أشكر المترجم على ما أضافه إلى قليل علمنا عن آراء هذه الفئة المستشرقة ؛ التى نفعت العربية نفعاً كبيراً بحفظ كتبها ونشرها حين أضاعها أبناؤها ، وعموا وصموا ، ثم عموا وصموا .

ولولا رحمة الله بمن نشأ فينا وأحيا بعض مجد العربية ، لغمرتنا الموجة الطاغية التى وقانا الله بعض شرها ؟

---

(١) لقد أجاب الأستاذ الكيلانى على اعتراض الناقد بنفس العبارات التى نقلها الكاتب عن وجهة نظره فى ذلك — ومجمل القول فى هذا — أن مصلحتنا الثقافيـة والفكرية تقتضى أن تعرف آراء الكتاب الغربيين فى تاريخنـا . وليس من المعقول أن تكون هذه الآراء مرجعاً لنا ، وعندنا الأصل ، ولكنها تنفعنا فى معرفة تيار التفكير الغربى إزاء تاريخنا ، فضلا عن أنها مكتوبة للمثقفين الذين وصلوا إلى مرحلة العصمة من الانحراف .

رشاد كامل كيلانى

« نظرات فى تاريخ الإسلام[1] »

للمستشرق (دوزى)

للأستاذ : محمد عبد السلام القبانى

الأستاذ « كامل كيلانى » كاتب وأديب قدير ، امتاز بالنشاط والدأب فى التأليف والترجمة ، فلا يكاد يمر وقت حتى تسمع عن كتاب له نافع ، أو ترجمة لكتاب نافع : حتى ليعجب العاجب متى ألف ومتى ترجم .

ولكنه النشاط والدأب فى الخير ، لا يزال مثمراً ثمراً طيباً !

من ذلك : تلك الفصول التى ترجمها لنا بعنوان « نظرات فى تاريخ الإسلام » عن المستشرق « دوزى » الهولندى : ليطلع المسلمون على مايقال عن الإسلام ، فى شعوب غير شعوبهم ، وبين أيدى قراء لا يعرفون العربية ولا يعرفون الإسلام إلا من مثل هذا المستشرق ، الذى يزعم لقومه أنه درس الإسلام دراسة جيدة ، تخالف كل الدراسات التى درسها المستشرقون قبله ، وأنه أتى بنتائج هو أول المدهوشين لها ، إلى غير ذلك من تلك الأساليب الإعلانية ، التى يراد منها التأثير فى جمهور القراء ، قبل أن يتأثروا من نفس الحجة والبرهان اللذين يزعمهما جليين فى كتابه .

ولولا الأستاذ « الكيلانى » وأمثاله من هؤلاء السفراء البررة ، ما عرفنا ما يقوله هؤلاء المستشرقون على الإسلام والمسلمين ، فى غيبة الإسلام والمسلمين ، حينما يخلون إلى قومهم . وعندى أن كل عارف بلغة من تلك اللغات الأوربية قادر على الترجمة ، يقف على كتاب أو نبذة فى الإسلام من أمثال هؤلاء المستشرقين ، ولا يترجمها ويقدمها إلى رجال العلم والدين

---

(١) البلاغ ١٣/١٠/١٩٣٤

من المسلمين يكون آثماً ، مقصراً فى واجبه الدينى والعلمى معاً ، ومقصراً — مع ذلك — فى واجبه الوطنى نحو أمته .

كما أن من أحب الأشياء إلى نفوس رجال الدين وعلماء الإسلام - فى كل قطر - أن يتاح لهم الاطلاع على ما يقال عن الإسلام فى أوربا وأمريكا ، وأن يناقشوا ذلك ، ويجادلوا أهله بالتى هى أحسن ؛ لأن الإسلام إنما جاء بالحجة والبرهان ، فهو دين حجاج يخاطب العقل ، وليس هو من قبيل الأديان الأخرى القائمة على وجه الأرض - الآن - فى صورتها الحاضرة بين أيدى رجالها ، ولولا ذلك لما كان خاتمة الأديان ، ولما كان رسوله خاتم الرسل .

وإذا كان هذا هو أساس الإسلام فى عامة نصوصه ، فما كان أجدر بالمستشرقين إذا أرادوا دراسة الإسلام أن يستعينوا على دراسته بأهله إن أرادوا الوصول إلى الحقائق الصحيحة ،ليجتنبوا بذلك التورط فى الخطأ ؛ فقد مضى الزمن الذى كان الكتاب فيه يستبدون بشعوبهم ، فيصورون لهم ما شاءوا من المعلومات الضعيفة ، والتخيلات الفاسدة عن الشرق والإسلام ؛ غير حاسبين لأمثال « الكيلانى » حساباً ممن سيفضحون أمرهم ، ويبلغون أخبارهم ، ويترجمون أقوالهم ، حتى يكونوا هزأة الشرق عندما تظهر قيمة تلك المعلومات ، وأنها أغاليط خاطئة قدموها إلى أممهم فى صورة حقائق حافلة .

وما مثل هؤلاء المستشرقين فى نقلهم تلك المشوهات التى يسمونها معلومات وحقائق عن الإسلام - بينما الإسلام منها برىء - إلا مثل رجل نمام ، يسعى بين الناس بالسوء والفساد ، فيظل ينقل الأخبار المشوهة ، ويستنتج النتائج الفاسدة من قوم إلى قوم ؛ حتى إذا ما تلاقى الطرفان ، وبان سوء صنيعه ، كان الموقف حرجا ، واستوجب المقت منهما جميعاً . كذلك هؤلاء المستشرقون الذين يزيدون مسافة الخلف بين الشرق والغرب .

وخير لأمثال هؤلاء المستشرقين الذين لا يذعنون لأخذ العلم عن مصادره الحية أن لو كانوا اشتغلوا بالطبيعيات والرياضيات ، ليخرجوا بنتائج حقة ، تنتفع بها أممهم والإنسانية جميعاً .

خير لهم ذلك من هذه الأبحاث التى لا بقاء لها بين أممهم ، إلا ريثما يتاح لها أمثال « الكيلانى » ، فيترجمها إلى أهلها . . وهناك يتكشف عوار هؤلاء الكتاب ، ويضيع مجهودهم سدى ، ويظهر عملهم خلفاً .

ولقد أدى العلماء الرياضيون رسالتهم ، وقاموا بمهمتهم لأممهم وللإنسانية جمعاء ، أما هؤلاء المستشرقون فلم يقوموا بمهمتهم ، ولم يؤدوا رسالتهم ، حيث لم يزيدوا الهوة بين الشرق والغرب إلا بغضاً ؛ لأن بحثهم عن الإسلام والشرقيات عامة بحث عدائى ، لأنهم إما مسيحيون متعصبون ، أو استعماريون مغالون ، أو قوم ينظرون إلى الشرق بغير العين التى يرون بها الغرب ، وكل هؤلاء لا يبين لهم الحق فيما يحاولون مهما قالوا عن أنفسهم ، وادعوا فى أبحاثهم ؛ كما ادّعى المستشرق « دوزى » لقومه ، أنه أتى بأبحاث هو أول المدهوشين لنتائجها الباهرة ، وأخص تلك النتائج الباهرة قوله : إن ارتفاع الكعبة لا يزيد عن ارتفاع الرجل ! بينما ارتفاعها خمسة عشر متراً !

فكاتب هذا مبلغ جهده فيما كتب عن الإسلام فى وصف بناء معلوم المساحة عند الكافة ، كيف تكون آراؤه فيما وراء ذلك من الشئون الاستنتاجية عن الإسلام ، أو الأخبار التاريخية .

الحق أن المستشرقين ـ إلا قليلا ـ قد أساءوا إلى الإسلام ، وإلى الشرق ، وإلى العلم ، وإلى أممهم : لأن مجهودهم لم يرتكز على منهج حق ، ولا مصدر صدق ، فهذه مصر وهى أحفل العالم الإسلامى بأخباره وحقائقه ، وفيها الأزهر الشريف أكبر المعاهد العلمية الإسلامية ، ما سمعنا ولا رأينا مستشرقاً عنى بأن يرجع إلى هذا المصدر الإسلامى الصحيح فى تحقيق مسألة إسلامية ينشرها على قومه من محض رأيه الفرد أو رأيه ورأى أمثاله ،

هذه ملاحظة جديرة بالاعتبار ، فى شأن مجهود هؤلاء المستشرقين

حيث لم يرجعوا فيها إلى مصادرها الحيـة القائمة ، كما يرجع الناس فى كل فن إلى أهله وذويه . ولقد كنت بالمشيخة ـ بحيث أعلم ذلك ردحاً من الزمن ـ ولم أر خطاباً واحداً من مستشرق . وكم بين علماء الفرس وفلاسفتهم — حينما درسوا الإسلام — وبين علماء أوربا اليوم ، الذين يدرسون الإسلام ؛ فقد بلغ من هؤلاء أنهم درسوا وفقهوا وبرعوا ، حتى أصبحوا أئمة ؛ فأفادوا أممهم ، وغذوا حضارتهم ، وانتفعوا بالإسلام أيما انتفاع !

وأما علماء أوربا ، فلم يزالوا عند الموقف الذى وقفوا من الإسلام قبل درسه ، بل لم يدرسوه إلا دراسة عداء ، متأثرين بعصبيتهم وأنانيتهم ضد الشرق والشرقيين ؟

ملوك الطوائف[1]

ونظرات فى تاريخ الإسلام

للأستاذ : محمود الشرقاوى

حديث « الأندلس » والكتابة عنها ، والقول فيها وفى مجد العرب الذى اقتلعه منها الكيد ، والدس ، والتفرقة ؛ حديث حبيب للنفس ، رغم ما فيه من وجيعة وحسرة .

وآخر ما صدر من كتب عن هذا الفردوس ، هذا الكتاب الجميل الذى نقله الأستاذ « كامل كيلانى » عن المستشرق الهولندى « دوزى » .

وهو كتاب مفصل واضح التبويب ، يؤرخ نشوء الدولة الأموية فى الجزيرة ، ويفصل أحداثها ، ويؤرخ رجالها .

ولست أهتم بنقد هذا الكتاب ، أو ذكر شىء مما وجدت فيه ، على قدر ما يهمنى نقد النظرات فى تاريخ الإسلام ، التى ألحقها المترجم بكتابه هذا عن نفس المؤلف .

وقبل أن أترك « ملوك الطوائف » بعد هذه الإشارة أذكر ـ للفائدة ـ أن البيتين اللذين قال الأستاذ المترجم ، إنه لم يجدهما فى كتب الأدب فاضطر إلى ترجمتهما شعراً هما ليسا بيتين بل شطرين .

وقد ذكرهما «المقّرى» فى نفح الطيب ، وذكر عنهما قصة « نزهة طيبة نهرية » كانت هى ونباهة « الرميكية » سبباً فى زواج المعتمد من هذه الجارية « الغسالة » .

---

(١) البلاغ ٢١/١٠/١٩٣٤

والشطر الأول الذى طلب المعتمد من « أبى بكر بن عمار » إجازته هو :
« صنع الريح من المـاء زرد » .
فلما طال تفكير « ابن عمار » أسرعت جارية إلى إجازته بهذه الشطرة :
« أى درع لقتال لو جمد » .
فأعجب بها المعتمد وتزوجها . وتجد هذه القصة فى الجزء الثانى (نفح الطيب ص ٤٥١) .

وقد ذكرها الأستاذ « لبيب بك البتانونى » فى كتابه « رحلة الأندلس » ونسب الإجازة فيها إلى « على بن رباح » . لا إلى « الرميكية » ولم أره لغيره . ومعنى « الإجازة » فى الشعر العربى ، يحتم أن يكون الشعر الذى ترجمه الأستاذ المعرب ؛ أشطراً لا أبياتا كما نقل .

وأما « نظرات فى تاريخ الإسلام » فقد قرأتها بعناية المتدبر المعنى . وأول ما أذكره عنها هذا الروح الطيب ـ فى جملته ـ الذى كتب به المستشرق « دوزى » عن الإسلام وميزاته وممیزاته ، ونشأته ، وتاريخه الأول .

ولكن فى هذه النظرات مع ذلك ـ فى تفصيلها ـ أشياء تستحق الرد والنقد والتوضيح ، فمن ذلك ما يقوله المؤلف فى (ص ٣٩٠ — ٣٩٢) عن الجزية والإسلام . إذ يقول فى إسـلام القبط من المصريين : « وفريق آخر ارتضاه دينا له هربا من دفع الجزية المفروضة عليه ، وثمة رأى الخلفاء ألا يعفوهم من تلك الضريبة ، متعللين بأنهم لم يدخلوا حظيرة هذا الدين ، إلا طمعاً فى إعفائهم منها » .

وهذا الكلام ـ على إطلاقه ـ يوهم أن الخلفاء جميعاً إلى ذلك الحين كانوا يصدون عن سبيل الله ، حتى يفيض الخراج من الجزية على بيت المال . وليس هذا حقاً . وقد ذكر المؤلف نفسه بعد ذلك إجابة أحد الخلفاء عامله الذى اشتكى له قلة الخراج من كثرة الذين يدخلون فى دين الله .

وكذلك يقول المؤلف فى (ص ٣٩٨) :

« وكان المسلمون فى عهد بنى أمية ـ كثير منهم ـ يؤمن بالله ولكنه ينكر الوحى » .

وهذه دعوى غريبة ليس عليها دليل . والآية التى أوردها المؤلف دلالة على ذلك ليست من هذا السبيل . وهى : « قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم » .

والخطأ فى الاستدلال بهذه الآية ، آت من ناحيتين : الأولى صرف الإيمان المنفى عند الأعراب إلى إنكار الوحى . وهذا يتضح بالرجوع إلى التفاسير . والثانية الاستدلال بهذه الآية على كفر « كثير » من المسلمين فى عهد « بنى أمية » ، على حين جاءت هى فى قوم معينين ، أمر النبى أن يخاطب ذواتهم بها ، فهى لا تدل على غير من نزلت فيهم .

ويقول المؤلف فى وصف معاملة المسلمين للمسيحيين : « وقد كان سادتهم أى المسلمون ينظرون إليهم باشمئزاز واحتقار ، ويعدونهم من الأنجاس . فلا يتحدث مسلم إلى مسيحى أو قسيس — على الأخص — إلا عن بعد ، حذراً من ملامسته كيلا يدنسه » .

وهذا الوصف ينقصه التسامح الشريف الذى كان يجده اليهود والمجوس والصابئة فى رعاية الخلافة الإسلامية .

فكيف بالنصارى الذين جاءت فى مودتهم المسلمين آية شريفة :

« لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى » .

ويستطيع المؤلف أن يجد رجالا من اليهود ، والمجوس ، والنصارى ، كانت لهم كرامة ومنزلة عند الخلفاء فى الصدر الأول : بلغت عند كثيرين منزلة الوزارة والطبابة الخاصة والحجابة .

وقد ذكر المؤلف نفسه فى كتابه الأول مثلا شريفاً من هذا التسامح هو وزارة « صموئيل هاليت » اليهودى لجيوش ملك غرناطة ،

وبلوغه رتبة رئاسة الوزارة . وقد قدمه إلى الملك وزير مسلم ، كشف قدرته فى الكتابة والأدب ، وهذا المثل وحده كاف لبيان التناقض وخطأ القول الأخير عن كراهية « السادة » من المسلمين للمسيحيين .

وكذلك يقول المؤلف (ص ٤١٢) عن أثر الفرس فى الإسلام ، وقيمة الذين أسلموا منهم : « ومن ثم نرى أن الإسلام قد أصبح — بفضل الفرس — قوة عظيمة الخطر فى العالم . ولم يكن ليتاح له أن يصل إلى هذه الذروة بفضل جهود العرب وحدهم » .

وهو يؤيد رأيه هذا بفقرة من مقدمة « ابن خلدون » هى : « إن أغلب الحافظين الذين استظهروا الحديث والدين ، وأعودهم نفعاً على الإسلام كانوا من الفرس ، وقد نقلوهما إلى الفارسية ، وتوفروا على درس القرآن ، وبرعوا فى تفسيره والتفقه فيه » .

وليس ينكر أن طائفة كبيرة من العلماء والباحثين ، وأهل الفقه والرأى ، كانت فارسية الأصل . ولكن التعميم الذى جاء فى كلام المؤلف هو موضع الرد ، فهو - على ظاهره وإجماله - يشمل جميع النواحى فى تاريخ الإسلام : الثقافى والمدنى والحربى . وهذا ما لا يسلم به ؛ فقد أصبح الإسلام قوة عظيمة الخطر فى العالم ، بفضل الرجال الأوَل ، والسيوف الأول والهمم الكبار ، فى صدر الإسلام وعهد الدولتين الأموية والعباسية .

والكلام الذى نقله عن « ابن خلدون » ، هو خاص بالناحية الذهنية من التاريخ الإسلامى : بل هو خاص ببعض هذه الناحية الذهنية ، وهى : الحفظ والحديث ودرس القرآن والتفقه فيه . فكلام « ابن خلدون » هو عن ناحية خاصة ، ودعوى المستشرق « دوزى » دعوى عامة .

والدليل الخاص لا يفيد العموم ، وهذا كله بعد التسليم بما قال « ابن خلدون » ؟

فن الكتابة [1]

أو كيف ندرس فن الإنشاء

الأستاذ : محمود عصمت

« ليست الصعوبة التى تعترض الكاتب أو الشاعر أن يكتب أو ينظم فى أى موضوع شاء ؛ بل الصعوبة كلها فى أن يحدد ما يعنيه بالضبط فى هذا الموضوع » .

« كامل كيلانى »

هذا كتيب صغير يقع فى ثلاث وأربعين صفحة ، حوى ستة مباحث كلها متماسكة الأوصال ، وهى دائرة حول: فن الكتابة ، أو كيف نتعلم فن الإنشاء .

وإذا علمت أن مؤلف هذا الكتاب ، هو عمدة الكتاب فى هذا العصر غير مدافع ، الأستاذ العبقرى الكبير «كامل كيلانى» ، ساغ لك أن تقدر قيمة هذا الكتاب الصغير ، بموضوعه الذى انطوى عليه .

ومما لا يرتاب فيه أحد ، أن الكتابة فن والإنشاء فن ، وكلاهما فن جميل رائع ، له رونقه وله زهوه ، فالقلم فى يد الكاتب كالريشة فى يد المصور .

فإذا كان المصور صنعاً ، عرف كيف يجرى ريشته على لوحته أو رقعته بلباقة وإتقان ، ليخرج صورة ؛ لا ليزهو هو بها ويعجب ، ولكن ليدع الناس بها معجبين .

كذلك الكاتب يجرى بقلمه على القرطاس ، ويستلهم وحى فكرته ، ويخرج من عصارة ذهنه الناضج خلاصة طيبة هى التى يضع فيها قلمه ، فتخرج للناس آيات بينات ، ومعجزات من القلم وما يسطرون !

---

(١) الحال ١٩٣٤/٥/٢٨

وقد صرنا فى هذه الأيام إلى عهد كل من أمسك بالقلم عد نفسه كاتباً لبقاً ، فإذا تلوت ما كتب استعذت بالله من مثل هذا الدعىّ الذى زجّ بنفسه بين زمرة الكتاب الموهوبين ، ويأخذ يغامر بقلمه المفلول وفكره السقيم ، فيطلع على الناس من المفكرين بما لا يستسيغون ، ويودّ كل واحد منهم لو رأى هذا الكويتب ، فيشد على أذنه ، وينصحه بتحطيم قلمه ، وسد مستنقع فكره ، فلا يؤذى الأنظار والألباب بما يتفشى منه من ميكروبات .

بل هو إذا أراد به الخير كل الخير · هداه إلى كتاب « فن الكتابة أو كيف ندرس فن الإنشاء » للأستاذ اللوذعى الأريب « كامل كيلانى » ليقف على أسرار هذه الصناعة الدقيقة ، وهذا الفن الجميل : حتى إذا ما توفر عليهما واضطلع بهما ، جرى فى المضمار دون أن يخشى كبوة ، ودون أن تكون لقلمه نبوة .

رأى الأستاذ « كيلانى » عيوب الكتابة والإنشاء فاشية فى هذا الجيل ، فأبى إلا أن يصون هذا الفن الجميل مما يشوبه ، فهو كالموسيقى تقع فى الأذن والقلب فتروعهما .

إن كل من أمسك بالقلم استطاع أن يكتب ، ولكنه لن يكون الكاتب المنتظر بالتحقيق ، ومثله مثل من ركب جواداً ، فإنه لا يعد فارساً . ومن السهل على كل إنسان أن يكتب أو ينظم ؛ ولكنك إذا قرأت له - فى الحالين - وقعت على غثّ تتأذى منه ، وتبذل جهدك فى البحث عن مطهر فعال ، ليطهر هذا الفن الجميل من هذا الدعىّ الدخيل الثقيل .

وقد أوجز الأستاذ « كيلانى » فن الكتابة والإنشاء فى كلمته المأثورة ، التى يجب أن يحفظها عن ظهر قلب ، من يطمع فى ممارسة هذا الفن والتبريز فيه ، وهى :

« ليست الصعوبة التى تعترض الكاتب أو الشاعر ، أن يكتب أو ينظم فى أى موضوع شاء ؛ بل الصعوبة كلها فى أن يحدد ما يعنيه بالضبط فى هذا الموضوع » .

هذا هو قوام هذا الفن ودستوره ونظامه ، هو تحديد ما يعنى الكاتب أو الشاعر بالضبط ، فى كتابته أو نظمه فى الموضوع الذى يعالجه ويتصدى له .

فإن خالف كاتب أو شاعر هذا النظام المسنون ؛ فمن المحقق أنه لا يأمن الزيغ ، بل ولا يتحامى أن يكون لوكة فى أفواه القارئين ، مهما بلغ به الغرور والإعجاب بالنفس .

وكتاب « فن الكتابة ، أو كيف ندرس فن الإنشاء » درس للناشئين ، بل ولمحترفى الأدب ، بل ولكثيرين من الكتاب المعاصرين ، الذين يزين لهم الوهم أنهم أصبحوا فى زمرة الكتاب المعدودين .

وإذا كانت الكتابة — كما يقولون — صورة من نفس الكاتب ، فعلى هذا الذى يتصدى للقلم أن يجمل نفسه ، حتى تطلع صورته على الناس جميلة ، تكاد تنهبها العيون ، وتشربها القلوب .

وسبيل التجميل هذا ، هو تلاوة كتاب « فن الكتابة أو كيف ندرس فن الإنشاء » . فلا مندوحة لمن يطمع فى ممارسة هذا الفن من اكتناه ما تضمنه هذا الكتاب الصغير ، والأخذ بإرشاداته الثمينة . ....

وإنى لا يسعنى إلا أن أثنى على الأستاذ الألمعى الكبير « كامل كيلانى » أطيب الثناء ؛ لإخراجه هذا الكتاب فى وقت ، الأقلام أحوج ما تكون فيه إليه .

« رسالة الغفران[1] »

لأبى العلاء المعرى

« صدرت للأستاذ كامل كيلانى عام ١٩٣٨ طبعة جديدة من « رسالة الغفران » التى حققها عام ١٩٢٦ .

وقد نشرت جريدة الأهرام فى صفحتها الأدبية نبأ صدور هذه الطبعة الجديدة ، وكذلك نشرت مقدمة الرسالة . قالت:

ظهرت الطبعة الثالثة من « رسالة الغفران » للفيلسوف العربى العظيم : « أبى العلاء المعرى » ، وقد قرنت بطائفة من رسائله فى الحكمة واللغة والأدب ، شرحها وعلق عليها الأستاذ « كامل كيلانى » .

وقد صدرها بهذه المقدمة :

« أكتب هذا ، وبين يدى طبعة لـ« رسالة الغفران » ، أذاعها « كامل كيلانى » — منذ حين — أكتبه ، وأنا أعلم أن هذه الطبعة قد ذاعت ، واستبق إليها الناس استباقا لم يكن منتظراً ولا مرجوًّا ؛ فأغتبط للطبعة نفسها ، وعناية « كامل » بها ، ثم أغتبط لما ظفر به من التشجيع على هذا الجد ، وهذه العناية ، ثم أغتبط لأن روح « أبى العلاء » وفلسفته ، ومناهجه — فى الفهم والتفكير — قد أخذت تتغلغل فى طبقات المستنيرين من أهل الشرق العربى . وليس هذا بالشىء القليل .

وما أشك فى أنه سينتج آثاره الحسنة بعد حين » .

تلك هى نبوءة الأستاذ العميد الدكتور طه حسين (بك) — منذ خمس عشرة سنة ، وقد صدق الزمن نبوءته التى أوحاها إليه رواج الطبعة الأولى ، من هذا السفر النفيس ، فقد نفدت الطبعة الثانية ، كما نفدت الطبعة الأولى فى زمن يسير ، ومضت نسخهما تطوف فى الآفاق ؛ فأصبحت كل نسخة منها مدداً فى مكتبة لأديب أو متأدب ، وحقق الشباب المفكر تأميلنا فيه ، ورأى فى هذا السفر الخالد مصداق ما حدثناه : فناً من الأدب العالى يفخر به الفكر

(١) الأهرام ١٩٣٨/٧/١١

الإنسانى ، ويزهى بروعته الخيال العالى : فأقبل على هذه اللذائذ الفكرية المرتقيات — كما يقول شيخ المعرة — ونفدت الطبعة الثانية منذ عشر سنوات ، أو تزيد .. ثم شغلتنى «مكتبة الأطفال» عن إظهار هذه الطبعة إثر نفاد سابقتها ؛ حتى أتاح الله هذه الفرصة ، وقدّر لها الظهور فى هذا الثوب الأنيق .

ولا يدهشن القارئ إذا حدثته بأن إقبال الشباب العربى على هذه الرسالة ، قد أحيا فى نفسى ميت الآمال ، وحفزنى ذلك النجاح إلى إنشاء « مكتبة الأطفال » : فقد تحقق لى : أن الطفل العربى ، إذا تعهدناه فى أول نشأته بالتثقيف العربى ، ويسرنا له سبيل البيان العربى ، حَسُنَ رأيه فى أدبنا ، وصفا تفكيره ، واستقامت فطرته . وقد أثبتت الأيام صدق ما رأيناه ، ثم بدت — فى هذه الأيام — بشائر طيبة ، فرأينا طائفة من كرام المربين يقتفون أثرنا فى هذه الطريق ، وينتهجون ما رسمناه من خطط ومناهج : فحمدنا لهم تلك المحاولات المشكورة ، ودعونا لهم بالسداد والتوفيق .

وما زال أملنا معقوداً بنجاحهم القريب ؛ متى ضاعفوا من عزماتهم ، وأخلصوا نياتهم ، وتصدّى كل منهم لما يحسنه ، واقتصر الميدان على أهله .

ولئن كانت « رسالة الغفران » حافزة لنا إلى إظهار « مكتبة الأطفال » ، لقد كانت تلك المكتبة معوّقة لنا عن المبادرة بإظهار هذه الرسالة إثر نفادها .

ولقد آثرت الروية واخترت التريث ، ولم أدفع بالكتاب إلى المطبعة إلا بعد أن احتفلت له وحشدت — لتجويده — كل ما أملك ، حتى قرّبته — ما وسعنى الجهد — من الكمال الفنى المنشود ، رغبة فى أن أجزى بالشكر أبناء العروبة ، على ما بذلوه من تقدير وتشجيع . وإن إقبال شبابنا على الآثار العلائية المبدعة ، وتزودهم من هذا المنهل الفكرى الصافى ، لدليل أى دليل ، على أصالة النهضة الأدبية التى يرفع أعلامها أعلام هذا العصر

ومفكروه ، وإن فى نفاد الطبعات المتعاقبة من آثار المعرى لفألا صادقاً ، — كما قلت فى مقدمة الطبعة الثالثة من (اللزوميات) — يبشر بخير النتائج ، وينبىء بأحمد الغايات .

* * *

ولقد جلونا هذه الطبعة الجديدة ، وقد أنستْ بالنص الكامل لرسالة « ابن القارح » وهى الرسالة التى بعث بها صاحبها إلى « أبى العلاء » ، فأجابه عليها « برسالة الغفران » .

وقد أضفنا إليها طائفة صالحة من رسائل « المعرى » فى فقه اللغة وفنون الأدب ، وضروب شائقة من طريف الحكمة وجميل المودة .

ثم ذيلنا ذلك بترجمة وسيطة لـ « جحيم دانتى » ؛ إذ كان الباحثون قد أفاضوا — لهذا العهد — فى صلتها بغفران « أبى العلاء » .

وقد أخذنا أنفسنا — فى إخراج هذه المجموعة من الرسائل المبدعة — بأن نقيد نصوصها بالشكل الكامل .

وإن بيان « أبى العلاء » لجدير أن يضبط كله ، إذ كان ذلك الكاتب المتفرد مغرباً فى لفظه وأسلوبه ، على عمق أغراضه ومعانيه .

وما أحوج القارئْ — لآثار هذا الفيلسوف الأديب — إلى أن يضاعف يقظته لتفهم معناه البعيد ، ويحبس انتباهه لتقصى مرماه الخفى ، ويجلو فطنته لاكتناه مغزاه المستسر ، ويحشد قواه الفكرية كلها ، فلا يتوزعها الصواب فى إعراب كلمة أو تصريفها ، أو وجه سياقها .

وقد يكون ذلك أجمع سهل المقادة ميسور التأتى ، هين الدرك ، للأديب المتمكن ؛ ولكنه — على ذلك — شدّ ما يكون حجر عثرة فى طريق الشداة من المتأدبين . فسرعان ما يدركهم الملل ويقعد بهم العجز ، ولا يلبثون أن يضجروا بمتابعة القراءة ، وبذلك يفوتهم — على الرغم منهم —

أن يستمتعوا بهذه الكنوز الأدبية الجديرة بالجد والمعاناة.
واستتبع هذا العمل أن نشرح الألفاظ شرحاً دقيقاً، ينكشف به المقصود من معانيها فى عرض الكلام.

ويسير غاية اليسر هذا العمل، لو أن الكاتب غير «أبى العلاء» من كتاب الغريب المنصوص عليه صراحة فى المعجمات، فإن امتلاك «أبى العلاء» لناصية اللغة ونوادرها، وسعة محفوظه من جزل النظم والنثر فيها، وتمرسه بمختلف أساليبها، وغوصه على فرائدها، وتهديه لأبكار المعانى وعيون الكلام، وتوفقه فى ابتداع الصورة الفنية الرائعة، وحشده أفانين مختلفة من معجب التصاوير وبارع الصيغ، وتبحره فى التاريخ إلى حد أن قال، وصدق:

ما مر فى هذه الدنيا بنو زمن
إلا وعندى — من أخبارهم — طرف

كل أولئك قد أجرى لسانه بالكثير الأكثر من صور ألفاظ تدل — بعد الروية ومدّ البحث — على غير المعروف الظاهر من معانيها، مما توسعت به اللغة، وتشعب التصريف، فصار واجباً أن نحدّ المراد من اللفظ فى سياق الجملة حداً دقيقاً، وأن نفسره بما يقتضيه ذلك السياق، معتمدين — فى ذلك — على ما يقع لأيدينا من أجلاد اللغة وكتب الألفاظ، باذلين الوسع فى التحرز والتخير والتحقيق.

* * *

وقد توخينا — على ذلك — أن نترجم لمن وردت أسماؤهم فى هذه المجموعة من الكتاب والشعراء وكل ذى فن.

وضاعف الجهد فى هذا الصنيع أن «أبا العلاء» كان بعلمه مدلا، ولوفرة معارفه مستخدماً؛ فكان يشير إلى الكاتب أو الشاعر أو العالم باسمه، وهو معروف بلقبه، أو ينعته بكنيته، وهو معروف بنسبته، مما أثبت له

فى صدور معاصريه عظيم المنزلة وشديد الإعجاب ؛ فلقينا فى كشف هذه المعميات — بالصدر الرحب — بعض العناء .

ومما رسمناه لأنفسنا فى الترجمة ، أن تكون شرحاً لما أشار إليه «أبو العلاء» ، حين عرض لأولئك الأعلام ؛ حتى يغنى القارئ عن المراجعة ، والاستعانة بغير الكتاب الذى بين يديه ، فيجد كفايته من توضيح الإشارات ، بأدنى نظر ، وأيسر جهد .

ورأينا ألا نخلى هذه المجموعة من دراسة لفلسفة « أبى العلاء » وتفصيل لآرائه فى الحياة والناس وما وراء الكون ؛ فألزمنا أنفسنا ألا يعرض « أبو العلاء » لمعنى فلسفى ، أو يلمع إلى فكرة من خواص فكره ، إلا ألحقنا بها ما يماثلها فيما نقل عنه .

ولا جرم أن شعر « أبى العلاء » ونثره يفسر بعضه بعضاً ، فهو يلمع إلى الفكرة فى بيت ، ويوضحها فى بيت آخر ، ويزيدها إبانة وتوضيحاً فى متناثر أبيات أخر . فلا متندح لمن يتناول بالبحث إحدى نواحى « أبى العلاء » من أن يستقرى شعره ونثره ، ويتفطن إلى النظائر والأشباه ، وما يتداخل من أفكاره ، وما يرجع من بعضها على بعض ؛ حتى تنفسح أمامه سبل الموازنة والمقابلة والترجيح . وفى أضعاف هذه المجموعة حمل لبعض العبء عن الباحثين . فلقد فصلنا فيها أبواباً من فلسفة « أبى العلاء » ، وعمرناها بمختلف أقواله فى كل منها ، وكشفنا الغطاء عن مستورها ، وجلوناها مواد مهيأة للفائدة والانتفاع ، آملين أن يكون الباحثون بها فى أمن من الخطأ فى الحكم ، والخطل فى الاستشهاد .

وثمة جانب من العمل فى هذه المجموعة ، ما كان أحرانا أن نمسك عن القول فيه ، إذ كان القول — أيا كان — لا يصف على الحقيقة ما عانيناه منه . ذلك هو جانب التصحيح لنصوص الرسائل التى حفلت هذه المجموعة بها . ويشهد الله لقد تفشاها التحريف والتصحيف ، بل المسخ والتشويه ؛ فأحال

الكثير من جملها أعقد من ذنب الضب ، سواء فى ذلك الرسائل التى سبق طبعها ، والرسائل التى ظلت مخطوطة ، حتى إعداد هذه المجموعة للطبع .

وقد آلينا على أنفسنا ألا ندخر فى تصحيحها من جهد ولا كد ، فصبرنا للجامح حتى سلس ، وتأنينا المستعصى حتى انقاد ، وتوسلنا إلى ذلك بما اتسع له الإمكان ، من وسائل المراجعة للكتب والتقليب للرأى والإذكاء للفطنة والحد للذهن ، والتوطين للنفس — مهما بعدت الشقة — على بلوغ الغاية .

وقد انقسمت هذه المجموعة من الرسائل — لذلك الجانب من التصحيح — إلى قسمين : قسم حوى مباحث من فقه اللغة ، ورواية الشعر ، وعلم الأدب ؛ فكان من همنا فى هذه المباحث أن نتصيدها فى مظانها . ثم نعارض ما فى المظان بما أثر عن « أبى العلاء » ، مستأنسين بما نجد من هذه المباحث ، فى استقامة الجمل وسلامة الألفاظ وصحة السياق .

فأما القسم الثانى ، فهو نثر « أبى العلاء » الذى أملاه إنشاء ، لا مرجع عنه إلا إليه ، ولا بديل منه إلا مرآته .

فكنا نقف منه موقف الأناة والتروى ، لا نقنع فى تصويبه بعفو الخاطر ، ولا نرضى — فيما يظهر لنا من وجوه التصويب — بأن يسير الكلام على وجه الصحة ، مؤدياً حق الإفهام . ولكننا كنا نستعين بما خبرنا من أساليب « أبى العلاء » ، وما استظهرنا من ألفاظه الدائرة ، وما عرفنا من ديباجته وطابعه فى نسج العبارات ...

وما نزال فى بحث وتقص ووزن وتفضيل ، حتى تنقشع سحائب التحريف عن لفظ لائق بالنسق ، جار من ألفاظ « أبى العلاء » على عرق : فيأخذ اللفظ مكانه بين ما قبله من الألفاظ وما بعد ، مأخذ الدرة من العقد . . لا اجتلاب ثم ولا تكلف ، ولا استكراه ولا تعسف .

وما نحب أن نفيض القول فى تفصيل ما بذلنا من جهد فى إخراج هذه المجموعة الحافلة ، فها هى ذى بين يدى القارئين تصف نفسها بنفسها ، وتدل بيومها على أمسها .

وفى مكنة المنصفين أن يتمثلوا لأنفسهم — وهم يقلبون من أوراقها المثين — أننا وقفنا من كل كلمة ، فى كل سطر ، فى كل صفحة منها ، وقفة التحقيق والتفتيش والتحرى ، فى غير ضنانة بالجهد ولا إيثار للدعة : مجتهدين ألا نخرج من فصل إلى فصل قبل إيفائه حقه من العناية والتعهد ، محاذرين فى مباحث التاريخ وعلوم العربية المقتضبة فى مطاوى الرسائل ، أن ندعها متعبة للراغبين فى البحث ، مضيعة لوقتهم فى الرجوع إلى المصادر : عامدين فى أمثال هذه المباحث إلى إضاءة ما حولها ، والإفاضة فى بيانها ، والاستطراد إلى لبابها ، تمكيناً للدارس المستقصى من آرابه فى دراسته واستقصائه ، واضعين نصب أعيننا ألا يشعر القارئ بحاجة إلى شرح غريب ، أو تفسير غامض ، أو تجلية إشارة ، أو تفصيل مجمل ، إلا وجد قضاءها على حبل الذراع .

أما بعد ، فهذا جهد ، بل جهاد ، بذلناه ، لا نريد به إلا وجه الأدب وحده ، وهو — كما قلنا فى مقدمة ديوان « ابن زيدون » — زكاة الأديب . وإنما امتثلنا مثل الأسلاف الذين بذلوا من ذوات أنفسهم ، لتظل حياة الأدب موصولة على الزمن عصراً بعد عصر ، وجيلا بعد جيل .

وما رأينا كالأدب : على صاحبه الغرم إذا أخذ ، وعليه مثل ذلك الغرم إذا أعطى : فالأديب يشقى : تعلما ، كما يشقى : تعليما ، والأدب يضنى صاحبه فى حاليه ، فهو يبلى من يخدمه كما يبلى من يستخدمه !

على أننا قد رضينا — من قبل ، ومن بعد — بالشقاء والضنا ، فهل رضى الأدب عما أدينا ونؤدى ؟ ذلك غاية ما نأمله ، فلا والله مايعنينا من شىء إلا أن نجيب تلك النزعة الفنية الصادقة ، التى نزلت منا منزلة الشغاف ، منذ نعومة الظفر ، فحببت إلينا الأدب ، وحفزتنا إلى التفانى له ، وفيه .

فإن بلغنا — بهذا الصنيع — غاية من الرضا ، فهى حسبنا ، وعند الله ثواب المحسنين !

حديقة أبى العلاء[1]

للأستاذ : وديع فلسطين

شيخ المعرة علم بارز فى تاريخ الأدب العربى ، يخفق عالياً رغم انقضاء عشرة قرون ، أو نحوها ، على ظهوره . فقد كان مغمض العينين ، مفتح البصيرة ، ذا ذهن حاضر ، وذاكرة قوية تستوعب المعجمات والشروح ، دون أن يتسرب إليها كلال أو يتطرق إليها وهن . وكان خصب الخيال ، يصف المرئيات وصفا لا يشك من يقرؤه فى أن «أبا العلاء» رأى الموصوف رأى العين ، وتفرس فيه حتى أدرك ثناياه ، وما خفى منه ، ولاحظ حركاته الدقيقة وسكناته . فقد كان — وهوَ الضرير — أقدر بنى عصره على التصوير ، وأبرعهم فى الوقوف على جوانب اللغة العربية ، واستخدامها فيما يروم من المعانى .

ولما كان عسيراً على شباب القرن العشرين أن يفهموا « أبا العلاء المعرى » فهما جيداً ، ويلموا بأدبه إلماما شاملا ، رأى الأستاذ « كامل كيلانى » أن يجمع الطرف من مدوّناته ، ويشرحها ، وينشرها على الملإ طعاما مستساغا ، وإن أعوزته معدة قوية . وما ذلك إلا لأن « المعرى » كان لا يخطّ كلمة ، أو يملى شيئاً إلا بعد أن يتخير — من الكلام الممتنع على العامة ، والدقيق التعبير — حتى يوفى المعنى حقه من اللفظ ، ويكسوه الثوب اللغوى اللائق به .

و « حديقة أبى العلاء » كتاب مشروح شرحا وافياً ، فيه مختارات من الأدب العلائى ، توفّر الأستاذ « كيلانى » على قطفها من بستان « المعرى » الفياح .

---

(١) منبر الشرق ١٩٤٦/١/١١

ويكاد الكتاب يكون قاصراً على وصف ناحية عزيزة على شيخ المعرة، الذى كان يشفق على الحيوان ويأبى الاعتراف بذبحه أو قتله ، أيا كان نوع هذا الحيوان ؛ حتى إنه عطف على البرغوث، وبسط له كفه يمتص من دمها ليستطيع الحياة .

فهو يصف الفنان - أى الحمار الوحشى - وكيف يتيه بقدّه وبِزّته ، يقدم ساقا ويؤخر أخرى، ويختال على السندس الأخضر بجانب الغدير ، ولكن الصائد يترصد له بغدارته ، ويصوبها إليه بعد ما يتخير ناحية يصيب منها مقتلا ، ثم يطلق عليه السهم المارق، فينفذ إلى منبع الحياة ، ويسلبه إياه .

هذا الوصف الشائق أعاده « أبو العلاء » مرات عدة ، ولكنه كان - فى كل مرة - يرسم لنا صورة مخالفة لسابقتها .. وهى مقدرة قلما نجد من يستطيع مجاراة « المعرى » فيها .

ويجدر أن أذكر أن كتاب « حديقة أبى العلاء » كان - رغم شروحه الوافيات - عسير الفهم على القارئ العادى : لأن مؤلفه تفنن فيه أيما تفنن ، وانتقى له من اللفظ بعض المجفو غير المطروق ، مما قضى عليه الزمان ، أو كاد .

ولا نظن أن البلاغة فى الإعجاز الكثير التعقيد ، حتى تخفى المعانى على القراء أو السامعين .

وإنما البلاغة فى ظنى أن يؤدى المعنى فى الثوب اللفظى الذى يستطيع القارئ أن يفهمه دون كبير مشقة ؟

دراسات أدبية

« حرص « كامل كيلانى » أن يغرس
فى نفوس قرائه حب الفضيلة فى أروع صورها ،
وحب اللغة العربية فى أصفى ينابيعها » .
عبد المجيد نافع



هذا باب الدراسات الأدبية ، التي تناول فيها الكتّاب شخصية « كامل كيلاني » ، وأثره في الأدب العربي المعاصر ، بالتحليل والبحث .

كانوا يبحثون عن أثر البيئة في نشأة هذا الرائد الذي خلق مدرسة جديدة ، امتدت فروعها ، وحققت رسالتها . الرجل الذي كان صديقاً لـ « أبي العلاء » . الكاتب الذي أنشأ « مكتبة الطفل » . الإنسان الذي وهب حياته لفنه وعاش له .

وقد كتب أول هذه الدراسات عام ١٩٣٢ وآخرها عام ١٩٥٧ ... وهي — في خلال ربع قرن كامل — تمثل صورة واضحة ، لم تزدها الأيام إلا قوة ، وتألق فيها الإجماع الصادق على شمائل الرجل من خلق ونبالة ، وصمود على العمل ، وإيمان باللغة العربية والقومية العربية .

وآية ذلك أن يذهب الذاهبون إلى « المعرة » فيذكروا هناك « كامل كيلاني » ، لأن اسمه قد ارتبط مع « أبي العلاء » في نفوسهم ، وأعماق قلوبهم .

وهذه هى فصول هذا الباب :

كامل كيلانى	: محمود أبو الوفا (المعرفة)	١٩٣٢
كامل كيلانى : مؤلفاً	: على أحمد عامر (الحال)	١٢ /٧/ ١٩٣٤
« « فى عالم التأليف	: على طاهر (الحال)	٢٤ /٥/ ١٩٣٤
« « تحت المصباح	: إسماعيل كامل (الأسبوع)	١٩٣٤
مهذب الجيل	: سامى العظم	ديسمبر ١٩٣٤
كامل كيلانى المحب	: عبد الله الدشلوطى	١٩٣٤
نابغة بنى كيلان	: (مجلة النيل المصور)	١٦ /٥/ ١٩٣٥
فتى العروبة وشاعرها	: محمد عبد الوارث الصوفى	١٩٣٩
مقدمة كتاب صور جديدة	: لطه حسين	١٩٣٩
رائد الأدب العلائى	: (دمياط)	١٢ /٣/ ١٩٤٥
فى قاعدة سيف الدولة	: أحمد حسين (مصر الفتاة)	٢٦ /١٢/ ١٩٤٥
اكتبوا للأطفال	: محمد سيد كيلانى (الرسالة)	٣ /٢/ ١٩٤٧
شخصيات لا تتكرر	: محمد على غريب (الزمان)	يناير ١٩٥١
درس فى الوفاء	: دكتور أمير بقطر (التربية الحديثة)	فبراير ١٩٥٢
بُناة الرجال	: عبد المجيد نافع (منبر الشرق)	٢٢ /٢/ ١٩٥٢
شخصية كامل كيلانى	: أنور الجندى (كتاب أضواء)	١٩٥٥
الكيلانى بانى الأجيال	: محمد البشير الإبراهيمى (الأيام)	١٩٥٦
ثلاثون عاما فى خدمة الثقافة	: يوسف الشارونى (الرسالة الجديدة)	١٩٥٧

كامل كيلانى (1)

للأستاذ: محمود أبو الوفا

اسم يملأ كل مكان ، وجسم لايشغل أكثر من مساحة الكرسى الخيزران ، الذى يجلس فيه أى موظف فى ديوان .

لا تكاد الصحف العربية ، تخلو يوما واحداً من الانتقاد ، أو التنويه عن كتاب جديد ظهر بقلم « كامل كيلانى » . ولا تكاد أيها القارئ تمرّ على مكتبة ، إلا وتجد وجهتها الأمامية ، رصعت ترصيعاً ، بل احتلت احتلالا ، بكتب هذا المؤلف : « كامل كيلانى » .. وهكذا ظل يتردد هذا الاسم بين الثناء والهجاء ، ويتكرر بين الألسن والشفاه ، فى أندية الأدباء ، وفى أنهر الصحف ، حتى اجتازت شهرته حدود الوطن .

والشهرة إذا اجتازت حدود أوطانها ، فليس فى قدرة أحد أن يردّها عن غاية ، أو يقف بها عند نهاية . بل ليس يملك أحد أن يلقاها فى سرعتها ، ليسألها : إلى أين ؟

وقديماً وقف الشاعر ينشد النبي (صلى الله عليه وسلم) قصيدته : حتى بلغ إلى قوله :

« بلغنا السماء مجدنا وثناؤنا وإنا لنبغى فوق ذلك مظهراً » !

فوقف النبي سروراً وقال له : إلى أين ، يا « أبا مالك » ؟

فلم يملك الشاعر أن يجيب أكثر من أن قال : إلى الجنة بك ، إن شاء الله ، يا رسول الله .

فقال : لا فض فوك .

وقد حسب بعض فقهاء الأدب ، أن هذا الجواب من أجوبة البديهة

(1) مجلة المعرفة العدد (٦) — ١٩٣٢

الحاضرة ، وسرعة الخاطر النادرة . ولكن الحق الذى لا مراء فيه أن جواب الشاعر ليس فيه أكثر من أنه قال الحقيقة ، ونجا من الإفحام .

فقد كان الشاعر يعرف — كما يعرف غيره من عامة الناس — أن شهرة الإسلام جاوزت حدود وطنه الأول .

وكذلك كان يعرف الشاعر ببداهة الفطرة المفروضة فيه كشاعر أن الشهرة متى جاوزت هذه الحدود فقد تغلبت على عناصر التثبيط ، ولا بد لها أن تسير إلى آخر المدى الذى يشاء الله .

على هذه القاعدة التى لا يمكن أن تشذ ، من أقدم عصور التاريخ إلى الآن ، لم تكد شهرة الأستاذ « كامل كيلانى » تصل إلى حدود « مصر الشرقية » حتى طارت ، فإذا بها ملء المشرقين .

لن أنسى يوم كنا فى حفلة سنوية لإحدى مدارس « مصر » الأهلية وكان الأستاذ « كامل كيلانى » أحد المدعوين . وقد انتهى خطباء الحفلة من خطاباتهم . وقام صاحب الدعوة يشكر الذين لبّوا دعوته عامة ؛ وأبى أن يخصّ بالذكر إلا الأستاذ « كيلانى » خاصة .

وكنا نتأهب للانصراف : لأن كلمة الشكر لا تكون — كما هو العرف فى هذه الحفلات — إلا بمثابة جرس الانصراف .

لن أنسى أن صاحب الحفلة لم يكد يذكر اسم الأستاذ « كامل كيلانى » : حتى رأينا شابا يندفع كالقذيفة إلى جهة المنبر ، وإذا به فوقه ! فاشرأبت الأعناق إلى المنبر ، وانحبس الناس عن الانصراف ، واندهشوا . واندهش صاحب الحفلة معهم : ولكنه ماذا يصنع فى حماسة هذا الشاب ، وفى اندفاعه سوى أن يسأله : ماذا يريد أن يقول ؟

لقد تهامس الناس وقتئذ ، أن الشاب ليس مصرياً ، ولقد ظهر حقيقة أنه من «جاوة» . وأنه لم يهبط « مصر » إلا منذ أسابيع ، ولم يحضر هذه الحفلة إلا تبعاً لرصفائه الذين سبقوه إلى «مصر» من طلبة البعثة « الجاوية » .

ويحك أيها الشاب « الجاوى » ، لقد حبست الناس ليعرفوا ما خطبك ،

أو ليستمعوا رأيك ، لأنك غريب ، والناس — فى هذا البلد — يهتمون كثيراً لرأى كل غريب .

أراهنكم أيها القراء جميعاً ، واثقاً أن أحداً لن يستطيع أن يربح الرهان لأنه لن يستطيع أحد أن يعرف ماذا أراد هذا الشاب أن يقول ، وأى المعانى قام بنفسه ، فأحس أنه سيختنق إن لم يفض به إلى الناس !

قل أنت أيها الشاب : ماذا تريد ؟

لقد تكلم ولكنه لم يبن ، لأن لهجته لا تزال « جاوية » صرفة !

إذن ليقف أحد زملائه ليفصح لنا عن رأيه !

فإذا بهذا المترجم يقول : إن مواطنى الشاب سمع صاحب الدعوة يذكر اسم الأستاذ « كامل كيلانى » : المؤلف المصرى العظيم .

وإنه كان فى « جاوة » يقرأ مؤلفات هذا العالم الأديب ، وطالما كان يمنّى نفسه برؤيته . وإنه لا يمكنه — وقد عرف أنه أحد الحاضرين فى هذه الحفلة — أن يترك هذه الفرصة المنشودة تمر من غير أن ينتهزها ، ليعلن تحيته وإعجابه العظيمين لهذا الأستاذ النابغة العظيم .

* * *

لكم أيها القراء أن تصفوا — كما شئتم — مبلغ الفخر القومى ، الذى شعر به المصريون الحاضرون فى هذه الحفلة .

ولكنى أؤكد لكم أن هذه الهزة الفخرية التى شعرت بها — ليلتئذ — كمصرى ينتسب إلى وطن هذا المؤلف ، وإلى صداقته المشرفة ، لا تزال تعاودنى كلما دعيت إلى حفلة من هذا القبيل ، بل كلما لقيت « جاوياً » فى الطريق .. على حين أن مضى على تلك الذكرى بضع سنوات .

وأستطيع أن أصرح الآن بأن كلمة هذا الشاب وقعت عندى موضع البرهان من النظرية . فإنى منذ لقيت « كامل كيلانى » أول مرة كنت أقدر أن أدبه من نوع الأدب الخالد . وكنت كلما ازددت به معرفة ، ازددت بهذا الرأى إيماناً . ولكنى كنت أخشى أن أصرّح بنظريتى هذه ، حتى لـ « كامل » نفسه ؛ لأنى لم أخرج — وقتئذ — عن كونى واحداً من الناس الذين لا يؤمنون بالعظمة الأدبية إلا إذا غلفت بمثلها من العظمة الحسية ، ولم يرزق « كامل »

هذا النوع الأخير لأنه لم يرزق بسطة فى الجسم ولا بسطة فى المال .

لذلك فقد كان الإيمان بعظمة أدب « كامل » محتاجاً إلى فراسة المؤمن الذى ينظر بنور الله ، أو إلى مثل هذا البرهان الذى جاءنا به هذا الشاب « الجاوى » النجيب .

إن أدب « كيلانى » حرىّ بإحراز الشهرة التى نالها باستحقاق فى الشرق كله ، لأنه أدب أسس ـ من المواهب والكفايات ـ على ما يشبه الأسمنت المسلح . فأنت — من أى النواحى — تجئ إلى « كامل » تجده من أمتن ما بنى الله من الأدباء .

عرفنا أدب « كامل » أيام كان يشرف على تحرير جريدة (الرجاء) ؛ فإذا بنا نراه يتولى هذه الجريدة ، وهى إحدى الوريقات . فما هى إلا جولة من جولات قلمه الساحر ، كأنما حرك بها الفلك . فإذا به يدور بهذه الجريدة دورته ، وإذا بها — فى عشية وضحاها — جريدة النهضة الفكرية فى مصر ، يكتب فيها الأساتذة : وجدى — والمنفلوطى — والعقاد — والمازنى — وشكرى — وصدقى ... وغير هؤلاء جميعاً من كبار قادة الكتاب المصريين .

فبرهن الأستاذ « كامل » على أنه من أقدر الكتاب رؤساء تحرير الصحف . وإذا بالناس يحسبونه لا يحسن من أنواع الأدب إلا هـذا الأدب الصحفى الرائع الذى يرونه فى (الرجاء) ، وتناقل الناس ثناءه على أنه أديب صحفى ممتاز ، لا أكثر ولا أقل . وظن الناس أنهم لن يجدوا فى أدبه أكثر من هذا الجانب من الأدب . وإذا هم فى صيحة كأنما نفخ فى الصور . وإذا بأدباء العصر جميعاً يطالعون لـ « كامل » « رسالة الغفران » وديوان « ابن الرومى » ، و « نظرات فى تاريخ الأدب الأندلسى » .

عجب الناس يومئذ — وحقّ لهم — من جهد هذا الشاب الذى لا يعرفونه إلا صحفياً يومئذ . ودهشوا كيف يستطيع وحده أن يبعث أدب « المعرى » و « ابن الرومى » من هذه الأرماس المطمورة ، والقبور المهجورة ؛ فيهيئ بذلك لهذا العصر الناهض سبيل فقه الأدب الصحيح .

وكأنما هذه القيامة الأدبية التى بعثت فيها « رسالة الغفران » ، وقد أنست

الناس حكمهم السابق فى « كامل » ، فعادوا لا يصدقون أنه الأديب الصحفى الممتاز ، وإنما هو الأديب الأصولى الذى لا يحسن من أنواع الأدب إلا هذا الذى يصفه فى عهد صديقيه القــديمين : « ابن الرومى » و « أبى العلاء » . وظل « كامل » مستمتعاً بزعامته فى هذا الأدب الأصولى ، فكان كأنه فى أعين معاصريه من المصريين « أناتول فرانس » فى منزلته من عيون معاصريه الفرنسيين ، إلى أن ظن الناس أنه لا يحسن إلا هذا النوع من الأدب القديم . وإذ به يفاجئهم مرة أخرى بأقوى وأشد وأعنف مما فاجأهم به فى المرة السابقة ، إذ به ينقلهم دفعة واحـدة من الغاية العليا إلى ما يقابلها من الغاية الأخرى . وبعبارة ثانية ينقلهم من النقيض إلى النقيض ، وإذا بهؤلاء الذين تعودوا ألا يجدوا اسم « كامل كيلانى » ، إلا على رسائل وكتب الأدب ، ينظرون لجأة إلى ذلك الاسم موضوعا على كتب للأطفال ، وفى شهور لا تعدو العام تمتلئ مكتبات « مصر » و « فلسطين » و « سوريا » والشرق كله بكتب الأطفال ، تأليف : « كامل كيلانى » .

بل ها هى بعض الجمعيات الأجنبية فى مصر تسرع وتقرر على أطفال مدارسها ، هذه الكتب دون سواها .

وكذلك فعلت بعض البلدان القريبة ، وأظن أن « فلسطين » أرسلت فى طلب كميات كبيرة من كتب الأستاذ « كامل كيلانى » التى أخرجتها المطبعة أخيرا للأطفال .

وها هى المكاتب العربيـة الكبرى تتسابق إلى شراء حقوق طبع كتب الأطفال ، تأليف الأستاذ « كامل كيلانى » .

وهاهم الناس — على عاداتهم فى نسيان أحكامهم السابقة — ينسون أو يكادون ينسون ؛ أنهم إلى الأمس القريب أطلقوا عليه لقب : صديق « ابن الرومى » ، وصديق « أبى العلاء » .

ويعودون يحكمون عليه من جديد ، بأنه صديق « مكتبة الأطفال » .

ولسنا ندرى بعد شهور أخرى ، ماهو الجانب الأدبى الذى سوف يختاره « كامل كيلانى » ، ليكشف للناس عن مقدار نبوغه فيه .

يظهر لى أن السبب فى تأليف « كامل كيلانى » للكبار جداً ، ثم عودته إلى التأليف للصغار وللصغار جداً .

يظهر لى أن هذا السبب لا يرجع إلا إلى اللذة التى لا يلتذّ « كامل » بشىء ألذ منها وهى الجمع بين النقيضين ، والإتيان بما يقول الناس عنه إنه مستحيل . ولا أتردد فى القول بأن لهواء الجبل الذى لا يبعد سوى بضع دقائق عن البيت الذى ولد وترعرع فيه الأستاذ « كامل » أكبر الأثر فى نشأته على هذه الإرادة الحديدية التى تذلل له المستحيل . كما أستطيع أن أؤكد أن لهذا الهواء الجبلى أيضاً أكبر الأثر فيما يراه بعض الناس — لأول وهلة — فى وجه الأستاذ « كامل » ، فيظنونه كبرا أو صلفا ، وما هو بشىء من ذلك .

وإذا كان لابد للناس من معرفته ، فإننا نؤكد أنه هو هذا الهواء الجبلى مضافاً إلى ما فى الأستاذ من خيال الشعر المكبوح ، فإن « كاملا » لو ترك — كما خلقه الله — لكان شاعراً عبقرياً .

ولكن ما زال يطلع على الكتب ، ويستوعبها حتى غلب عليه العلم .

ولعل استعداده الشاعرى إلى جهاده العلمى ، هما اللذان طبعا أسلوبه الكتابى هذا الطابع الذى أسميته « الأسلوب البرقى » : وأعنى به أنه الأسلوب الذى لا أثر فيه للفضول ولا للثرثرة اللذين هما الداء المتفشى فى أدب أكابر الكتاب العصريين .

إن لهذا الهواء الجبلى الذى يقع فيه الأستاذ « كامل كيلانى » ، ولهذه الفطرة الشاعرة التى خلقت فيه ، على أكمل ما تكون الفطرة صفاء ونقاء ، يرجع ما فى طبع الأستاذ من رقة ووفاء ، وإيثار ورحمة للضعفاء ، والأقرباء والأصدقاء والمعارف . كما يرجع ما فيه من عنف وشدة وبطش وجبروت ، على الذين يناوئونه باللدد والخصومة — كانت ما كانت مراكزهم — وعلى المتكبرين والأدعياء .

« كامل كيلانى » مؤلفاً [1]

الأستاذ : على أحمد عامر

أكانت هذه الحياة ترضيك ؟

قلت : أى حياة تعنى ؟

قال صاحبى : أنسيت حديثنا أمس ؟

ألم نتحدث عن « الجاحظ » طويلا ؟. ألم نأخذ الرجل من مسالكه جميعاً ، فتناولناه حين كان ولا شئ من حوله ، إلا الضيق والعسر، والإملاق والكلال ؟ ينتهب حوانيت الوراقين ، ويشاء بعدئذ أن يزجى إلى الناس نتاجا آمن به واطمأن إليه . فلا يستشعر فى نفسه القوة تدفعه إلى الناس ، وإنما يمضى صحبة الطابع الذى تلون به عصره السحيق ، فيكتب ويؤلف ويخرج للناس كتباً لا تحمل اسمه المغمور ، وإنما تحمل أسماء أخرى مشى بها الزمن فى طرائق الأوج ... ؟ ... ثم ألم نذكر « الجاحظ » كاتباً ذائع الصوت . يتلفت المتلفتون إليه من كل جانب ، فلا يقعون منه إلا على الصورة التى أبدع الله على صفحتها أطياف الخلد كله ... ؟

قلت : نعم ياصاحبى . وقد ذكرنا « الجاحظ » الذى بارك الله له فى قلمه .. فأخرجه — دون الأقلام — مطواعاً ، يساير كل شئ ، ويكشف الستور عن كل شئ ؟

قال صاحبى : فنى أى جديد ـ إذن ـ يكون السحر ، وفى أى طريف نعمل ألسنتنا الماضية ، التى هيأتها المقادير اتقطع وشائج الأعلام جميعاً ؟ أرجو ألا يغلق عليك فهم ما أريد ، فأنا وأنت ومن حوالينا من الصحب ، قلما بحنا لألسنتنا الطويلة أن تمزق وشائج الأعلام ، من ناحيتها التى تتصل بالدنيا ، حتى أشباه الأعلام وحتى دعاة التشبه بالأعلام ، قد أطلقناهم إلى بعيد ، فلا تجرى على حياتهم من ألسنتنا أنفاس قصيرة أو طويلة فائرة أو فاترة ...

(١) جريدة الحال ١٢/٧/١٩٣٤

وإنما تحن ألسنتنا إلى وشائج الأدب كافة ، فإذا نحن ممزقوها .

ومن يدرى لعل فى هذا غناء لنا عن تناول الأعلام من نواح لا ترضى عنها أفهامنا ، ولا تطمئن إليها اطمئنانا ...

قلت : وبعد ! فهلا عدت بنا إلى ما كنا نسمر فيه أمسيتنا الدابرة : من حديث « جاحظىّ » تناولنا أطرافه ، ولم نسلم ألسنتنا إلى صدره ؟ تريد الحق . . ؟ نعم تريد الحق ولا ريب ؟ فلتلق أذنك الواعية إلى ما أقص عليك من نبإ جديد !

قال صاحبى : كأنك تحفزنى إلى أن أهدى أذنى إليك . هل أعجبتك ؟ فى يقينى أنى وشيك العمل على خلعها ، وإزجائها إلى حديثك الطريف . . . فهل ترضى أن أكون بهيكلى وجوارحى أذنا تسمع . . . ؟

قلت : أما فكاهتك فإنها لن تنسينى دءوب « الجاحظ » على ملاحقة الأجيال بتراث ، لعله أوفر تراث أدبى عرفه التاريخ لكاتب ، مشى إلى الدنيا موزّعة خطواته بين التفكير فى نفسه ، وبين التفكير فى حسّه . .

هل علمت أن « الجاحظ » كان يشبه معمل النسيج . . . ؟

قال صاحبى : « معمل النسيج » ! أى غريب من القول ما أسمع !

قلت : بل الأغرب من ذلك أنك لم تفهم ما أعنى ؟ لقد أخرج « الجاحظ » ياصاحبى مائة وستين كتاباً ، كل كتاب منها يشهد أن الرجل لم يتناول الحياة من جانبها الضيق ، ولا من نواحيها الملتوية . وإنما كانت الحياة حياله كأنها كتاب ناصع الصفحات ، لا يطلع فيه إلا على ضروب من المعرفة ، ثم تنقل عنه . أجل ! تنقل عنه تلك الصور البارعة وهذه الأفكار الرائعة ، ثم يقدم بها إلى العالم تراثاً ما أخلده وأبقاه !

قال صاحبى : كأنما وفدت عليك عاصفة من المزح الثقيل . . !

هل كان « الجاحظ » مائة رجل يفكرون بمائة رأس ، ويكتبون بمائة قلم ، ويتحدثون بمائة لسان ؟

قلت : لقد كنت كثير الثقة بك . أدفع إليك آرائى فى الثقافة على ضروبها ، وأنا كثير اليقين بأنك مُلاق — فيما أدفعه إليك — صدى تفكيرك . أما الآن فيا شرّ ما ألقى فيك من رجل كل وعيه منتهٍ إلى قشر الدراسات ..؟

قال : يا أخى . لا تكن جمّ القسوة ، أفادك الله . وما بك من حاجة إلى أن تقسو علىّ وأنا أتطلع إلى حديثك ، وألتمس فيه أسباباً تصلنى بأجوائك البعيدة الشأو ! ولكن قل لى بالله : أيكون « الجاحظ » وحده هو الذى تفرد بهذا المثال ؟ أعنى هل عقمت الدنيا بعد « الجاحظ » : فلم تخرج رجلا آخر يزجى إلى الناس نتاجاً كنتاجه ، فى وفرته وقوته ؟

قلت : حدثنا : أتريد أن تفلت الليلة دون أن تشغل ألبابنا بحديث ؟

قال صاحبى : إنك تلمس فى دراساتى صلة بالثقافة من جانبها الغربى . ولعلك ترى معى أن « فولتير » قد اتخذ له أريكة « الجاحظ » واستوى عليها ، ثم تناول قلمه ، فكان كصاحبه : كأن له مائة رأس ، ومائة قلم ، ومائة لسان ! هل قرأت أفكار « فولتير » ؟ وهل أحصيت نتاجه ، واستوعبت هذا النتاج كله ؟

قلت : يالك من شيطان ، يستقر فى قاع العىّ ، حين يريد أن يفهمه الناس بليداً . فقد كنت إلى ساعة قريبة تكشف لى عن سوأة عِيّك . وها أنت الآن تقذف هذه البلادة بعيداً ، لتحدثنى عن « فولتير » وعن نتاج « فولتير » . ولكن ، ما أجزل الضيق الذى يحتوى رأسك الفارغ !

فقاطعنى صاحبى قائلا : هل تدخل الشتائم فى حساب الدراسات ؟ لئن مشينا فى ظل هذه الموجة ، فما أعتقد أننا منصرفون إلى فتح جديد يزيح الأحجار عن مسالك ثقافتنا الواسعة ؟

قلت : لعلك لم تدرك ما أريد أن أنتهى بك إليه من هدف . . . أنت تحدثنى عن « فولتير » ، وأنا قد حدثتك عن « الجاحظ » .

ولم يكن « فولتير » بالكاتب العربى الطابع ، ولم يكن على ما ألفه الجاحظيون فى الشرق من بلاء يتناولهم به كيد الكائدين ، وحسد الحاسدين ، وموجدة الواجدين ؛ وإنما كان رجلا إذا أنهكته غضبة الإمبراطور فى « بوتسدام » راح يقضى لياليه فى « باريس » قضاء يؤمن بقوته وعنفه آلاف وآلاف .

أما « الجاحظ » فهمك به من رجلا لم تسبح على هاماته أضواء الخير ؛ إلا بمقدار ما تفتح عينه على مشهد جديد من مشاهد الحياة : ليخضع حقائقه بقلمه المقتدر . فهلا تناولت المثل ياصاحبى من ذلك الجو الشرقى ، الذى لا يتنكر لأنداد « الجاحظ » فى كل يوم . والذى لا يدفع بهم إلا فيما بين الجيل البعيد والجيل البعيد . . !

قال صاحبى : كأنك تكرهنى على الكذب الصراح . . .

إننى يا أخى الكثير القسم فى وعى هذا المثل الذى تريد !

قلت : إذن فلتخلع أذنك حتى تسمع . . ؟ . . . هل سمعت ؟

قال : أى شئ ؟

قلت : إن هذه الروح ، التى فطرها الله على الرحابة فى كل شئ : فى أنفاسها . وفى خلجاتها . وفى سوانحها . هذه الروح التى هدتنا إلى ملابسة المثل العليا ، وإلى متابعة الحقائق الضاربة فى أعماق الأرض ، وفى أجواء السماء ، والتى ازدحمت على نتاجها مواكب الناطقين بالضاد ، يرى فيه كل إنسان مايشغله ومايصرفه إليه . ولا يصرفه عنه هذه الروح «الجاحظية» التى ألهمت « الجاحظ » أسلوبه الآسر ، وتفكيره القاهر ، وتصويره الباهر . . .

وقد انتهت إلينا فى غير إعسار . وإنها لتعيش الآن بيننا كما تعيش سبائك الذهب ؛ كلما نفذت إلى النار ، صدرت عنها كاملة الزينة .. ؟

قال صاحبى : « الجاحظ » ! روح « الجاحظ » تعيش الآن بيننا ؟

قلت : لا عجب . ولا غرابة . هل استوعبت « كامل كيلانى » . . ؟

قال : أجل . أليس هو مؤلف « مكتبة الأطفال » . . . ؟

قلت : و « مكتبة الأطفال » . . ماذا تلقى فى روعك . . ألا ترى أنها فى هذه الكلمة الخاطفة ، أشبه ماتكون بلفظة « المليون جنيه » ، يقذفها فم المتحدث . حتى إذا ماشاء الله أن يعد أرقامها رقماً رقماً ، إذا به ينشر الزمن مرحلة من مراحله الطوال .. هكذا « مكتبة الأطفال » ياصاحبي .. ولكن ألا تدرى ما وراءها !

قال : الكثير ! .. عشرات من الكتب : مصارع الأعيان ، مصارع الخلفاء ، رسالة الغفران ، ابن زيدون ، ملوك الطوائف ، روائع من قصص الغرب ، مختار القصص ، صور جديدة من الأدب العربى ، ثم ...

قلت : ثم ياصاحبي : أى عجب يطوف بك ، ويستقر فى دخائلك ، حين تعلم أن « الجاحظ » الجديد قد استهل بداءة مراحله فى « مكتبة الشباب » !

قال : « مكتبة الشباب » . ! . كأنما الرجل يريد أن يعلن الناس بأنه من أولئك الذين ادخرهم « عبد الملك بن مروان » لقيادة رعاياه . لأنه يمضى طول اليوم ولاينام إلا غراراً .

قلت : وما ذلك — على خطره — إلا بعض أمره . فلو قد قدر « للجاحظ » أن ينقل عمن لا ينطق الضاد ، لوقف به السعى فى مرحلة قصيرة الأمد . ولكن « كامل كيلانى » يتناول رأسه حينا ، فيأخذ عنه ما وسعته من آراء ، ثم يزجيها إلى المتأدبين ، حديثاً من أحاديث الخلود .. حتى إذا ما اطمأن إلى نتاجه من ذلك الجانب العبقرى ، تلفت إلى ما فى روائع الغرب من وجوه : فأجرى عليها قلمه المقتدر ، ليسوقها بعدئذ إلى الناطقين بالضاد حديثاً من أحاديث الخلود .

قال صاحبي : والرجل على هذا كله يمشى على قدمين . . !

قلت : ويأكل ويشرب وينام . إنها ياصاحبي فلتات الدهر ! وما فى كل جيل يجود القدر بواحدة من هذه المنح !

قال صاحبي : فنحن منه — إذن — حيال مائة رجل ، ومائة قلم ، ومائة لسان !

قلت : صدقت . وليبارك له الله فى هذه الثروة النفاحة !

كامل كيلانى[1]

فى عالم التأليف والترجمة

للأستاذ: على طاهر

(١)

بين المؤلفات التى تفتح عنها ربيع هذا العام كتاب « ملوك الطوائف » نقله عن الإنجليزية أديب العربية الأستاذ « كامل كيلانى »، وهو كتاب يضم فى صفحاته الخالدة آثاراً غزيرة من حضارة « الأندلس »، ويجمع جملا ضافية الفصول من تاريخ الإسلام، وما أحوجنا — فى تعرف تاريخنا وتفهم آثارنا — إلى استجماع تلك الحقائق التى سطرها الغربيون بلغاتهم، فهى تهدينا إلى كنه عقولهم، وتحدثنا عن مجدنا فى تصوراتهم.

وإذا أغفلنا ما يكتب عنا من خطإ وصواب، كنا مقصرين فى حق تاريخنا، مهملين واجب قوميتنا التى تطالبنا بالدفاع عنها، والانتفاع بشهادة الأجنبى لها.

وكتاب الـ « كيلانى » هو أحد سجلات هذا التراث الأدبى الإسلامى، وقد كساه من الأساليب أجملها، ومن الحلة ريطتها وسربالها. وقلد هوامشه عقداً نفيساً من الشروح، أكسبته الجمال والوضوح، وأزالت غموضا وأخطاء نبا بها قلم المؤلف، وما أكثر هذا النوع بين مؤلفى الغرب حين يفوتهم الإنصاف طوعا أو كرها، فيذيعونها على الناس تجاهلا أو جهلا. وبين يديك هذا السفر الجامع، وأحسب أنى لا ألمح بين سطوره ذلك الضعف الذى قد يضطر إليه المترجم اضطراراً. وما يدريك أن الأصل دون الترجمة قوة، كما كان دونها تحقيقاً ودنوا من الحقيقة.

---

(١) جريدة الحال ١٩٣٤/٥/٢٤

ومالى لا أقول إن المترجم قد أضاف كتابا إلى الأصل ، فكان معربا ومؤلفاً معا ، وكان مدققا منصفاً كذلك ؛ فلم يدعه يسترسل فى آرائه ويمضى على أهوائه ، ولـكنه أخذ بعنانه ، وأقام العدل فى ميزانه .

لعلى أستوعب هذا السفر ، فأودعه خلاصة ما يعنّ لى من فـكر ، وما ينكشف لى من ملاحظة .

والأستاذ الـ « كيلانى » ، أكثر ما يكون غراما بأن ينقد ، لأنه عوّد نفسه حب الحقيقة ، وألزم حياته وجهوده ، أن ينشدها من أى سبيل ، وفى كل دليل ، وطالمـا احتمل فى ذلك ورد النفس على مكروهها ، ولم يشغله قادح ولا مادح عن استخراج بحوثه السامية العالية ، وألزم الليل والنهـار ما هو فوق الطاقة والاحتمال : حتى أسدى إلى مصر ، وإلى العربية هذا العلم الخصيب ، وهاتيك الـكنوز من تأليف وتعريب ، يلاحق بعضها بعضا ، فى عبقرية جبارة ، وقلم يتدفق براعة وحسن أداء .

فما « ملوك الطوائف » إلا نموذج يعبر عن خدماته ، ويترجم عن سهره ، ويروى للناس سيرة أديب العربية ، وأحد الأقمار الســاطعة فى رابطتها .

فشكر ، ترتله « الأندلس » فى ماضيها ، والتاريخ فى خلوده ، والعربية فى نهضتها ، إلى مترجمنا المؤلف الذى نرجو له المزيد من حياة وهبها للعلم ، مشكور السعى والجزاء ؟

كامل كيلانى تحت المصباح(١)

للأستاذ : إسماعيل كامل

يقول « بوفون »: (الأسلوب هو الإنسان) . وهو رأى تلمس صوابه لمعرفتك الأولى بالأستاذ « كيلانى » ، فهو موسوعة من القصص والأدب تتنقل بك بين أبوابها بمختلف الموضوعات والبحوث ، وتتفتح لك صحائفها عن مجموعة رشيقة من الفن والديباجة ، رسمتها ريشة عبقرى تنغمس فى نفس فنانة .

غير أن هذه الشخصية الكبيرة ، يضيق بها جسم ضئيل متهافت كثير الحساسية ، وإن كان صاحبه يتعمد أن يبدو دائما ذلك الهادئ الراسخ الذى يصمد لأعاصير النقد ، وأنواء المكائد ، ساخراً مستصغراً . . . ويحرص أن يكون أمامك ذلك الطود تتكسر عند أقدامه هجمات المعنتين .

والحق أنه يفلح كثيراً فى مغالبة ثائرته الدفينة ، فلا يعنى بردّ على ناقد ، ولا يحدثك عن خصوماته جهاراً ، إلا إذا جذبته من صمته — فى هذه الناحية — جذبا . . . فتجد فى حديثه سمة المشفق المستخف ، لولا رعشة فى شفتيه يخفيها تحت سيجاره الكبير القاتم ، خيفة أن تكشف عن أطوائه الكامنة .

غير أن المتفحص الناقد ، لا تفوته تلك القذائف اللاذعة ، يطلقها فى مجون واستهتار ، ويكسبها — من أمثاله وقصصه الرمزية — مرارة لا تخفى على الفطن ، الذى يعرف من هو « كيلانى » .

والأستاذ « كامل » — كما عرفه « شوقى » — كعقرب الثوانى ، قصير : لكنه سريع الخطى ، منتج ، يأتى بدقائق الأمور .

ولعل طبيعة البيئة الدراسية الأولى ومهنة التعليم ، سر ما يتميز به الأستاذ من حب النقد والتحليل ، وذلك الأسلوب المدرسى الذى يكيف مؤلفاته .

---

(١) مجلة الأسبوع ١٩٣٤

وهو من نفر قليل ، ممن درسوا الأدب العربى القديم ، دراسة وافية . صادق « أبا العلاء » و « ابن الرومى » و « ابن زيدون » وغيرهم ، وأخلص فى صداقته ، فعاونته على تذوق نواح جديدة فى الأدب ، استشفها وتناولها بالبحث والتحليل ، ووجّه إليها قرّاءه ، كما عاونته دراسة التاريخ على نشر « مصارع الخلفاء » و « مصارع الأعيان » و « ملوك الطوائف » ، و « نظرات فى تاريخ الأدب الأندلسى » .

وأعتقد أن خير ما فى بحوث الأستاذ ، الأدبية : تلك الصور الجديدة من الأدب العربى ، التى سجل فيها كثيراً من المناقشات ، بعث فيها بروحه وشروحه ، الحرارة والحيـاة .

غير أن أظهر ما يصبغ عبقرية الأستاذ « كيلانى » ، هو ذلك التهافت على القصص ، وتواليفه المتوالية للأطفال ، يسدّ بها فراغا أحسّه من صغره ، كما أحسسناه : ولكنه آلى أن يحمل هذه المهمة عن أبناء جيله ، وهو يرى رأى « برتراند رسل » فى أن حياتنا لا تسيطر عليها الحقائق وحدها ، بل هى مزيج من الحقيقة والخيال ، وأن مهمة المربى أن يبعث الخيال فى نفس الأطفال ، بعفاريته وصوره الخيـــالية الحبيبة الشائقة ، ليكبت الخوف من الأشباح والجن ، ويجعل بينها وبين الطفل صداقة أليفة .

والأستاذ « كيلانى » يجيد الإنكليزية والفرنسية ، ويعرف الإيطالية ، عصامى ، كون نفسه بنفسه ، وانتزع مكانته وشهرته من فم الأسد انتزاعا .

وهو برغم تسخطه وتبرمه بالحياة ، يتذوق النكتة الرائعة ، ويطرب لها ، ويرسلها من جانبه ، بنت اللحظة ، وعفو القريحة ، ويضن بها أن تفوت أحداً من ثلته ، التى اتخذت لها ربوة عالية فى أحد أركان (مقهى الحلمية) ، أشبه « بينوار » عند الكسار !!

وعرفت هذه الجمـاعة بالأدب والصحافة ، واشتهر أمرها ؛ حتى إذا سوّلت لك نفسك أن تزور (الجماعة) ! بغتك الجرسون بقوله : ماذا يطلب الأستاذ ؟ وهو لقب لن يظفر به غيرك ، ممن لا تربطهم بهذه الثلة رابطة .

مهذب الجيل (١)

للأستاذ : سامى العظم

سيدى المربى الجليل والكاتب الكبير الأستاذ محمد صادق عنبر :

لما تشرفت بلقائكم ، لم أكن جاهلا شخصكم ، ولا ناسياً فضلكم ، فإن ذكرى معرفتى إياكم ترجع إلى عهد قراءتى لمقالاتكم الرائعة المدبجة ، ببراعتكم الساحرة ، وقلمكم البليغ ، فى صحيفتى المؤيد واللواء .

وما برحت أذكر ما ملئت به تلك المقالات من حكمة نابغة ، وبيان بليغ ، دالين على الأدب الجم ، والرأى الناضج ، والقدرة الفائقة . . . .

فأنا بهذا صديقكم ، المتأدب بأدبكم ، المعجب بكم ، ولذلك جئتكم ، راجياً أن تفسحوا لى مجالا يتسع لكلمتى هذه بين تضاعيف رسالتكم التى تنشرونها على أبناء العروبة عن نقيب الأدباء : الأستاذ النابغة « كامل الكيلانى » .

فلقد كنت ممن درس كتبه ، ووقف على عبقريته ، وعرف جهده فى خدمة الأدب والعروبة .

على أنى لست من أهل البيان ، ولا من رجالات الأدب ، ورحم الله امرأ عرف حده ، فوقف عنده : ولكنها كلمة ساذجة خالصة تصف شعورى وتقديرى لأدب الأستاذ الكبير : « نابغة بنى كيلان » ، كما سماه صديقه الأديب الكبير الأستاذ : « محمود لطفى » .

فلقد راعنى — والله — هذا النابغة : « الكيلانى » بجهوده التى صرفها — وما يزال يصرفها — فى سبيل خلق (دائرة معارف) فى فنون التربية والأدب والثقافة ، لم يسبقه إليها أحد من الكتاب الفضلاء ، فى طريقتها الجذابة الساحرة ، وأسلوبها الممتع الممتنع .

---

(١) ديسمبر ١٩٣٤ (ألقيت فى حفل تكريم « الكيلانى ») .

وإنى كنت أحسب الأستاذ «كاملا» — قبل أن أتشرف بالتعرف به فى مصر — قد أربى على السبعين من عمره ، لوفرة ما قرأته له من الكتب القيمة النافعة ، كرسالة الغفران ، وديوان ابن زيدون ، وديوان ابن الرومى ، والأدب الأندلسى ، وصور جديدة من الأدب العربى . . ذلك إلى «مكتبة الأطفال» التى تربى كتبها على الأربعين ، وغير ذلك من كتبه الكثيرة التى لا تحضرنى الآن أسماؤها .

ولكنى تعرفت بالأستاذ، بعد ، فإذا به حينئذ لم يتجاوز الستة والثلاثين من العمر ، فلم أقض العجب من هذه المواهب الخارقة ، التى خصّ الله بها الأستاذ «كاملا» ، لنفع الأمة العربية المفتقرة إلى أمثاله .

والحق أن الذى يخرج هذه المجموعة الحافلة من الكتب المتقنة ، فى هذه السن — على الرغم من عمله الرسمى فى وزارة الأوقاف — لهو حقيق أن يكون السباق فى حلبة الفضل والأدب ، وأن يُعترف له بالزعامة تحت راية الفضلاء والأدباء .

ولا يمكننا بحال أن ننسى خدمة الأستاذ الكيلانى للناشئ العربى ، فلقد ألف «مكتبة الأطفال» التى تهذبه وتثقفه بالروح العربية القويمة . وإن الطفل ليرتقى بهذه الكتب المدرجة من طبقة إلى طبقة ، مسحوراً بطلاوتها وجمالها : حتى يصل إلى ذروة من ذرى الكمال فى الفصاحة العربية ، تمكنه من أن ينشأ كاتباً عربى اللهجة ، بليغ الأسلوب ، مطبوعاً على البيان والإفصاح .

ولو اقتصر الأستاذ النقيب على هذا العمل الخالد فى كتبه وتآليفه ، لكان حسبه مجداً وشرفاً ونبالة فى خدمة الأمم الشرقية : ولكنه خشى — أو كأنما خشى — أن يترك الناشئ بعد أن تعلم فى مدرسته التأليفية ، حائراً لا يدرى ماذا يقرأ فى شبابه ورجولته : فجاهد وجالد ، وأخرج هذه الكتب الأدبية والاجتماعية والتاريخية ، التى يخرج منها مطالعها وقد شارف الجوزاء : فضل علم وأدب ، وتطبع بأخلاق أدبية واجتماعية ، تغريه بالفضائل الإنسانية ، فيعود نافعاً لأمته وأوطانه .

ولولا أنني أخشى أن يطول مقالى لتحدثت عن الأستاذ «كامل» كما عرفته إنساناً كاملا فى أخلاقه الشخصية : فلقد عرفته وخالطته وجالسته ، وسبرت غوره ، فرأيت ما سحرنى ، وجعلنى أشعر له بحب عميق ، وإخلاص شديد ، وتقدير ليس عليه من مزيد .

عرفت الأستاذ «كاملا» — وفياً لأصدقائه ، ومن غريب ما لاحظته أنه إذا عرّفنى ببعض أصدقائه فى حضوره ذكر من محامده ومواهبه ، ما يلذ ويطيب ، فإذا انصرف هذا الصديق الذى عرفنى به : استأنف حديثه عنه ، فذكر لى من محامده فى غيبته أضعاف ما ذكره لى فى محضره ، وليس على هذه الأخلاق ، كثير ممن عرفت من الناس الذين يأكلون لحم الناس أمواتا غير كارهين !

ويضاف إلى هذا حديث الأستاذ «كامل» عن خصومه ، فلقد جالسته مراراً عديدة ، وطالما جاء ذكر خصومه ، فكان موقفه منهم — والحق يقال — موقف العفو والصفح ، وسلامة الطوية ، وخلوص النية ، فهنيئاً للأستاذ «كامل» بأخلاق الملائكة !

وهناك ناحية ظاهرة يمتاز بها الأستاذ «كامل» ، وإن كان يشركه — فى بعض أطرافها — المصريون جميعاً ، تلك هى ناحية النكتة والدعابة ، وإن كنت أراه يفحم جلساءه بها ، ويعلوهم جميعاً فى حلاوة منطق ، وطهارة لفظ ، وسحر بيان .

وأكبر ما لاحظته فى شأن الأستاذ «كامل» شيء أظن أنه تفرد به : ذلك هو إجماع الأدباء على تقديره والإعجاب به ؛ فإن حب التنافس بين الأدباء ، يغرى بالطعن والتشهير والتجهيل ، ولكن الأستاذ «كامل» يمتاز — حتى عند خصومه — بالاعتراف له بالقدرة الفائقة ، والنشاط العجيب ، والمواهب الممتازة .

ولعل ذلك جاء من ذكاء الأدباء زملائه ، فإنهم يعرفون أن لا فائدة من نكران ضوء الشمس فى رائعة النهار . . . !

والآن : بورك فيك ياصديقى النقيب : نقيب الأدباء ، ووفقك الله . وأعانك على إتمام رحلتك الموفقة ، ومتعنا بالاستفادة من آثارك القيمة الجزيلة النفع .

وأؤكد لك ياصديقى النقيب أن الأمة العربيـــة — لا مصر الشقيقة فحسب — مقدرة لك هذا الجهد الكبير . فامض فى عملك ، وانفع أبناء الضاد بأدبك الجم وفضلك العميم ، واعلم أن نصيبك طيب الذكر ، وخلود الأثر .

أما كلمتى لأبناء العروبة ، فهى أن يعملوا على نشر هذه الكتب النافعة ، وأن يبثوها فى كل بيت ، ويهدوها إلى كل طفل وشاب ؛ حتى يعم نفعها المحقق .

ولى ، إلى الحريصين على نشر اللغة العربية ، رجاء ، هو ألا يغفلوا عن كتب الأستاذ الـ « كيلانى » ، فهى ضالتهم المنشودة : فعليهم أن يشجعوا هذه الكتب ، حتى يوالى الأستاذ النقيب جهوده فى نشر هذه الآثار الناجحة ؛ فإن طريقته فى تربية النشء العربى أحسن الطرق ، وأعودها بالنجاح ، ولقد أصبح هو إخصائياً فى هذا المضمار ، لايشقّ له غبار ، ولا يدرك له عثار .

وفق الله الأستاذ « كامل » وأعانه ، وشكر للأستاذ « صادق عنبر » حسن تقديره له .

والسلام عليهما ورحمة الله وبركاته ؟

كامل كيلانى المحبّ (١)

للأستاذ : عبدالله الدشلوطى

لعل القارئ قد تتملكه الدهشة ، وتذهب به الحيرة كل مذهب ، عندما يقع نظره على هذا العنوان .

ولكنى أقول له تريث قليلا . لاتدهش ، ولا تتحير ، فليس ثمة مايدعو إلى ذلك ، مادمت سأعزز العنوان ، بالحجة والبرهان .

الأستاذ « كيلانى » « حبيب متيم » بلغ به العشــــق أقصى نهاية ، وانتهى به غرامه إلى أبعد غاية . ترى ذلك بعينك ، وتلمسه بيدك ، وتحسه بنفسك ، فى حياته الأدبية المليئة بالمفاجأة ... متى أحب ، ملك حبيبه منه مشاعره ، وسيطر على فؤاده ، ولعب بلبه ، لعب الصبى بالطائر الصغير ، أحبه فأخلص له ، ومنحه — من الود والوفاء — ما جعل حبيبه يعطف عليه ، ويرقّ له ، ويسقيه كأس حنانه حلوا شهياً .

لقد هام الأستاذ الـ « كيلانى » — ولا يزال يهيم — بحبيبه فى نومه ويقظته ، فى صحته وسقمه ، فى المجالس والطرقات ، فى مكتبه وحيدا ، وفى النوادى بين أصدقائه وخلانه . أحب حبيباً لا يغيب لحظة عن عينه ، ولا يفارق طرف لسانه : ذلك الحبيب الذى يكاد يجنّ به جنوناً ، لا يدانيه جنون « قيس بنى عامر » : هو : « التأليف » .

إى والله : حب شريف ، وغرام طاهر عفيف ، يحلو فى العين ويكبر فى النفس ! حب لا يقدم عليه إلا البطل المغوار المدجج بأسلحة اللغة وأدبها كالأستاذ « كيلانى » الذى وهب حياته للتأليف ، ونصب نفسه للنتاج ، وراضها عليه ، فأكثر منه إكثاراً ، ملأ مكاتب الشيوخ الكبار ، بله الأطفال الصغار ، وأجاد وأبدع إبداعا ترك فى نفوس قرائه — وهم كثير — أثراً بليغاً جعلهم يتهافتون على كل كتاب يخرجه ، تهافت النحل على الأزهار ، يرشف شهدها ، وينعم بجمالها ، وينشق أريجها !

---

(١) نشر هذا المقال عام ١٩٣٤

قرأت للأستاذ «كيلانى» : «ملوك الطوائف» ، فرأيته مؤرخاً بارعاً ، ومترجماً دقيقاً .

وقرأته فى «قصص الأطفال» ، فوجدته محدثاً لبقاً ، يعرف كيف يجذبك إليه بدون أن تشعر . وقرأته فى «روائع من قصص الغرب» ، فعرفت منه كيف يحتال الأديب النابه على ربط أجزاء القصة بعضها ببعض ، وسبكها سبكا يسحرك ، ويملك لبك . وقرأته فى «ألف يوم ويوم» ، فعرفته كيف يتحدى «ألف ليلة وليلة» تحدياً صارخا ، واثقاً من رقة أسلوبه وطلاوته ، ومن جمال أفكاره وجدتها التى تبقى خالدة مابقى الجديدان . ثم قرأت له «رحلات جلفر» — وهو أحدث كتاب له — فعرفت كيف تساق العظمة البالغة فى أسلوب هزلى ، يمتع القارئ ويهزه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه .

ولقد كنت أحسب أن كتاب «رحلات جلفر» — قبل أن أقرأه — هو مجرد مذكرات كتبها صاحبها للتسلية ، كما يكتب السائحون عادة مذكراتهم ، ليقطع بها القارئ وقته ، ويدفع عن نفسه سأمها ومللها ، من غير أن يترك فيها أثراً ينفع . أجل كنت — والله — أحسبه كذلك .

ولكنى مابدأت أقرؤه ، حتى رأيتنى أقبل عليه إقبال الظامئ على المنهل العذب ، وأهيم به هيام العاشق بعشيقة سلبت فؤاده ، وهيمنت على جنانه .

ذلك لأنى رأيت فيه طبيباً اجتماعياً عرف الداء ، ولم يكتف بوصف الدواء ، كما يفعل غيره ؛ ولكنه صنعه وقدمه للمجتمع حلوا لا تشوبه مرارة . ولقد تذكرت — حينما كنت أقرأ فيه — كتاب «كليلة ودمنة» ؛ فهو يشبهه فى الغرض والمرمى ، مع البيان المفرغ فى قالب من الأسلوب السهل الممتنع . فإذا أراد مؤلف هذا الكتاب أن ينبه أمة إلى أخطائها لتصلحها ، لم يخاطبها وجها لوجه ، لئلا يغضب من له خطر : وإنما يقدم لها ملاحظاته فى ثوب من الأدب الرائع ، وأسلوب قصصى ممتع أخاذ .

انظر إليه كيف يقول تحت عنوان «آراء ومبادئ الأقزام» :

«وعندهم أن الأسلوب الأدبى يجب أن يجمع بين الجمال والوضوح ، سواء فى ذلك أسلوب النظم ، وأسلوب النثر ، وهم يمقتون التكلف والإغراب فى اللغة ، ويرون من فساد الذوق والأنانية الممقوتة ، أن يتشدق الإنسان

بألفاظ غير مألوفة ، ليتظاهر بأنه متفرد بغريب اللغة عن بقية معاصريه .

وعندهم أن اللغة لم تخلق إلا لتؤدى الأغراض بأيسر لفظ ، وأوضح بيان ، من غير تصنع ولا لبس ؛ فإذا أغفل الكاتب هذه الأصول الجوهرية ، ولجأ إلى الأسلوب المعقد ، والاستعارات الغامضة ، والكنايات الغريبة ، ونبا عن الأسلوب السهل الصافى ، كان موضع سخرية الناس ، وكان بيانه — فى نظرهم — كأنه ثوب مرقع لا جمال فيه ولا روعة » .

فهنا ترى فيما نقلنا إليك ـ أيها القارئ الكريم ـ أن المؤلف أراد أن ينقذ لغة أمته من الانحطاط ، ويرتفع بها من الهوة التى رسبت فيها ؛ فساق النصح فى القالب الذى رأيت ، ليسلم هو مما يخاف ؛ مع درك أمنيته التى أخذ على عاتقه تحقيقها . . وإذا أراد أن يصف لقومه المدمن على الخمر ، وما يعانيه من تعاسة وشقاء ، فإنه يقول لهم فى حديث له مع السيد الجواد الصاهل :

« ومن المحقق الذى لا يمترى فيه كائن كان ، أن شارب هذه المهلكات يستيقظ من سباته محزوناً ، كاسف البال ، مشرد الفكر ، حائر اللب ، مجهود الأعصاب ، ويصبح — بعد زمن قصير — نهزة الأمراض ونهب الآلام والعلل ، ويعانى من متاعب الحياة وسقامها مايحبب إليه الموت فى كل ساعة » .

هذا ولم أنقل هذين النموذجين ، لأنهما أحسن ما فى الكتاب روعة ورقة ، ولطف مأخذ . كلا بل نقلتهما عرضا وأنا أكتب هذا المقال ، ليكون مثلا لما فى الكتاب من عظات جديرة بالنظر والانتباه . ولو شئت أن أنقل إلى القارئ من الكتاب مادقّ أسلوبه ، وما ندر مرماه ، وما لطف مأخذه ، لنقلت الكتاب بأكمله ، إذ كل ما فيه جميل ساحر جذاب أخاذ . !

عذراً ـ أيها القارئ ـ إن شطّ منى قلمى ، وخرج عن جادّته : فإن كتاب « جلفر » قد سحرنى ، وأنا أكتب عليه ، كما ملك إحساسى وأنا أقرأ فيه .

وحسبى الآن ما كتب عن مجهود « الكيلانى » الجبار ، مقدراً عجزى ، معترفاً بقصورى ، تاركا إياه يقول لكم فى نبل وذكاء ووداعة وإخلاص :

« وحسبى أن أكون مؤلفاً أميناً لا يزحزحه الهوى ، ولا تعميه الأغراض ولست أطمع بعد هذا فى ثناء لا أستحقه ، لأنى لا أتوخى إلا الحق والإنصاف » .

نابغة بنى كيـــــلان[1]

الأستاذ كامــــل كيلانى

صرح النهوض الثقافى بالشرق العربى

أجل . أجل . ومن يدانى الشمس فى أضوائها ، والسماك فى سموها ، والنجوم فى وفرتها وتعاليها ، غير من نعدّه ـ ويعدّه معنا أقطاب الثقافة بالمشرقين ، من ذوى النزاهة والدراية ـ صرحا للنهوض الثقافى ، وكنزا مدخرا لأبناء اليوم ، وجند المستقبل : عميــــد الكتاب المجيدين ، ونقيب الأدباء البارعين : الأستاذ كامل كيلانى ، أو نابغة بنى كيلان .

فهو شمس فى قوة نظراته ، وصائب رمياته ، وسامى فكرته وثمراته ، التى ينتجها للعالم غرسا بها ؛ بل ثمرا رضيا هى النجوم فى بعد غورها وعميق أثرها ووفرتها وكثرة نفحاتها .

فإذا نطق الكل هاتفين بأنه زعيم الأدباء والكتاب ، فإنما ينطقون عن حكمة وتبصرة ، وما نرى الهوى فى غير حكم الزائغين .

ولا نريد أن نلقى القول جزافا دون تأييد ، فما لنا سوى الحق وجهة وغاية ، كما أنا لم نكن يوما إلا دعاة إنصاف وإرشاد ونهوض ، وسداد لله والحق ، وحسبنا بإرضاء التاريخ والضمير خير نعيم وجزاء .

فالأستاذ الكيلانى رائد الناهضين ، ونبراس النـابهين ، وعمدة الكتاب ، ونقيب الأدباء ، وزعيم المجددين ، وصرح الثقـافة ، وكنز جليل الخيرات لسائر الأجيال .

فهو ينبوع ظرف ، وفيض ألطاف ، ومعين لا ينضب فضله .

(١) النيل المصور بتاريخ ١٦ / ٥ / ١٩٣٥ .

وذا إنتاجه الجمّ يدلّ أجمل الدلالة على أنه جوهر وضّاء، يجلو عن النشء َعمى الجهالة ، وعن رواد الثقافة ظلمة الغيّ والضلالة .

ويزيد أبناء الضاد جميعا منحا تجلى سحره الحلال، وروائع أسلوبه الأخاذ بالألباب ، فى قوة حجة ، وبديع إحكام ، وكأنه تنزيل من التنزيل ، أو قبس من نور العزيز الحكيم .

ولنورد هنا بعض النواحى التى صنف فيها ، ليدرك الحاسدون مبلغ علمهم، وعجزهم أمام مجهود هذا الجبار الرصين .

وليتنبه الناس جميعا إلى أنه يجب عليهم ، ويلزمهم الحرص على هذه الدرر الغوالى ؛ فإنها لأنفس الأنيس، وأشهى الغذاء للنفوس المتطلعة للمعالى ، التوّاقة للعلا وسعادة الأبد .

فمن النواحى التى عنى بها « مكتبة الأطفال » .

وإنها لأنفس مكتبة تدخر خاصة، وإنها قد احتوت على حكايات مؤثرة، وقصص مثمرة ، وفكاهات مغذية مسلية ؛ نحا فيها نحوا طريفا، لتهذيب النشء بأسهل الطرق المحببة إلى نفوسهم؛ طبقا لما رسمه علماء النفس والتربية .

ومع هذا لم يحرمهم من ثمرات رجال الغرب، أو سرد قصص عنهم ؛ فبذل جهدا كبيرا فى ترجمة مؤلفات كبارهم ، فأضاف بهذا إلى العربية كنزا ثمينا هو أشهى مايغتبط بغيوثه وسلسبيله المصلحون.

ومن هذه القصص الخالدة :

١ — علاء الدين ٢ — السندباد البحرى ٣ — روبنسن كروزو
٤ — نعمان ٥ — أبو الحسن ٦ — جلفر
٧ — دون كيشوت ٨ — عنترة ٩ — الكوميديا الإلهية
١٠ — شمشون الجبار ١١ — رحلات ابن بطوطة ١٢ — ابن جبير

وكل من هـــذه ، فى سفر ضخم جميل خاص ، يضم كثيرا من القصص والقضايا التهذيبية النادرة ، الخليقة أن تزداد بهـا الرءوس ، وتستنير بها البصائر والعقول ، والجديرة أن تحلى بمجموعتها المكاتب جميعاً .

وممن اهتم بترجمة قصصه من أعلام الغرب : «شكسبير» . ومن قصصه الذى ترجمه إلى العربية عن هذا الحكيم الخالد الذكر :

١ — العاصفة ٢ — تاجر البندقية
٣ — يوليوس قيصر ٤ — الملك لير

ولعمر الحق إن ذه التصانيف والترجمة ؛ لتحفة غنية عن الإطراء . وكفى أنها تربى على خمسين سفراً ، وكل يوم تزيد !

ولا غرو ؛ فهو مهذب يحنو على فلذات أكباده . وأحسن الغرس الغض الثمار ما كان عن خبرة وحنكة .

فيا مهذبى الأمم : خذوا العلم عن أهله وذويه ، ولا تصدقوا من بالضلال والتهريج يدعيه .

وحسب النابغة « كامل كيلانى » الأشهر ، أن يقدر جهده وفضله علية القوم وأساطين الأدب .

فتى العروبة وشاعرها[1]

بقلم الأستاذ محمد عبد الوارث الصوفى

لست أحاول فى هذه الكلمة القصيرة أن ألمّ بنواحى عبقرية أستاذنا الكبير ، نقيب الأدباء ، وفتى العروبة ، وشاعرها الأوحد الأستاذ « كامل كيلانى » ؛ فقد سبقنى إلى ذلك جمهرة من كبار الكتاب وأفذاذ الشعراء وفحول الأدباء . وليس فى قدرتى أن ألمّ بمزاياه الباهرة النادرة . وقدرته الخارقة على الخطابة مرتجلا ساعات بأكملها ، فى أسلوب ساحر أخاذ : لا تشوبه عجمة ولا لكنة ، ولا يعتوره قصور ولا حصر ، ولا تقفه تعتعة أو جمجمة أو احتباس ، ولا يلتوى عليه قصد ، ولا يخونه تعبير عن أدق الخوالج ، وأخفى المعانى الآبدة العصية .

ولن أحاول أن ألمّ بنواحى عبقرياته الفذة المتجلية فى تلك التآليف المبتكرة ، التى ينوء بالاضطلاع بها مجمع بأسره من أفذاذ الفضلاء ، ولن أحاول شرح جهوده المثمرة أطيب الثمار فى مكتبات الأطفال والشباب والكهول على السواء ؛ فإنى أترك ذلك لغيرى من النقاد والباحثين ! ولن أحاول أن أصف براعته محدثاً لبقا جبار البديهة ، قوى البادرة ، موهوب النكتة ، مخشى الصولة ، ولن أحاول أن أصفه راوية يحفظ من الشعر العربى وحده — وهو فى السنة الرابعة الابتدائية — أكثر من عشرين ألف بيت من الشعر العربى ، منها ألفية « ابن مالك » .

---

(١) كتبت عام ١٩٣٩ .

كلا لن أحاول شيئاً من ذلك ؛ فإن شرحه يتطلب جهداً كجهد نقيب الأدباء وعميـد المؤلفين ، ولكنى سأحاول — وأرجو أن أوفق — إلى التنويه بمزيتين من مزاياه التى لا تحصى ، وهما :

(١) تفانيه فى حب العرب ، والجد فى تحقيق الوحدة العربية .

(٢) شاعريته الموهوبة التى تحلق به فى سماء الخلود والعبقرية .

ولقد لقى فى رحلتيه — إلى سوريا ولبنان وفلسطين — من الحفاوة والتكريم مالم يلقه من الزعماء إلا أفراد قلائل ، وهو بهذا الحب جدير . وقد تجلى وفاؤه للعروبة والعرب ، وتفانيه فى الدعوة إلى الوحدة العربية فى كتابه النفيس : « ذكريات الأقطار الشقيقة » . -

أما شاعريته الفذة الخصبة الفياضة التى لا يألو جهداً فى التنصل منها ، ولا تألو جهداً فى التعلق به ؛ فهى ذائعة بين خلصائه وأصفيائه ، وإن احتجبت عن كثير من معاصريه .

ومن نواحى شاعريته الخصبة ، ما يبدعه من المحفوظات البديعة الساحرة فى حكايات الأطفـال ، وقصص الأطفـال ، والقصص الجغرافية ، والقصص العلمية ، وما إليها من آثاره التى خصَّ بهـا « مكتبة الأطفال » ...

* * *

وقد حاول كثير من أفذاذ الشعراء أن يحفزوه إلى إظهار ديوانه الحافل بأروع الشعر وأعذبه ، فلم يصغ إليهم . . وعتب عليه فى ذلك من فحول الشعراء : السيد حسن القاياتى ، ومحمد الهراوى ، ومحمد الأسمر ، ومحمد شوقى أمين ، ومصطفى حمام ، وسيد إبراهيم ، وغيرهم من الشعراء .

* * *

ولعل أنبل كلمة قرأناها فى هذا الصدد ، هى كلمة الشاعر المعروف الأستاذ محمد الأسمر التى نقتبس منها ما يلى :

« فجهود الأستاذ « كامل » المتواصلة ، ودماثة خلقه ، وحفظه مغيب إخوانه ، كل ذلك يجعل من الأستاذ الصديق شخصاً ممتازاً .

وناحية أخرى فيه أحبها حباً جماً ، هى شاعريته التى يحاول التخلص منها ، وتأبى هى إلا التشبث به ، وهذه الناحية منه لا يعرفها إلا أصدقاؤه ، والذين هم منه عن كثب ؛ فقليل هؤلاء الذين يعلمون عن الأستاذ « كامل كيلانى » ما نعلم من شعره البليغ . . وعالم الأدب العربى يعرفه مؤلفاً وكاتباً ومترجما .

فليت الأستاذ « كامل » أخرج لنا من آثاره الشعرية ، ما يتبرأ هو منه ، وما نعده نحن من مفاخر الشعر » .

ولن ننسى كلمة الأستاذ « محمد مصطفى حمام » التى وجهها إلى الأستاذ النقيب ، يحثه فيها على التعجيل بإظهار ديوانه النفيس . ونحن نضم رجاءنا إلى رجاء هؤلاء الكرام السباقين ، وكانا أمل فى أن يعجل بإظهار هذا الديوان الفريد الحافل بالروائع ؛ ليضيف إلى ثروة الأدب العصرى تلك الكنوز المخبوءة التى يفخر بها الشعر ، ويعتز بها الشعراء ؟

صور جديدة في الأدب العربي (١)

مقدمة : بقلم الدكتور طه حسين

جميلة خصبة هذه الفكرة التي خطرت لصديقنا « كامل كيلاني » فأوحت إليه أن يتحدث — إلى الناس — فيما كان من تنافس وخصومة بين جماعة من العلماء والأدباء ، إبان العصر العباسي ، وفي مظهر بعينه من مظاهر هـــذا التنافس ، هو ما يسميه الناس : « مناظرة » بين هؤلاء العلماء والأدباء .

جميلة خصبة هذه الفكرة ، لأنها تعرض على جمهرة المستنيرين ألوانا من الحيـاة العقلية العربية ، ما كانوا ليلتفتوا إليها ، أو يفكروا فيها ؛ لأنها مطوية عنهم في ثنايا الكتب وبطون الأسفار .

وهي — على ذلك — زاهية جميلة قيمة ، فيها متعة للعقول ، وغذاء للقلوب ، وتقويم للأخلاق .. وفيها — بعد هذا كله — إحياء لتاريخ الحركة العقلية عند المسلمين في عصر من أجمـــل عصورهم وأزهاها ، وفيها — بعد هذا وذاك — جلاء لهـذه المرآة الناصعة الصقيلة : مرآة التاريخ ، التي تبين للمعاصرين أنهم ما يزالون يشبهون الذين سبقوهم في أنحاء كثيرة من سيرتهم ، يتصل بعضها بالتفكير ، ويتصل بعضها بالخلق ، ويتصل بعضها بطريقة الملاءمة بين التفكير والخلق .

* * *

(١) صورة جديدة في الأدب العربي الذي طبع في ١٩٣٩ .

فالذين يقرءون ما عرضه صديقنا «كامل كيـــلانى» من مظاهر الخصومة — بين الهمزانى والخوارزمى، وبين الكسائى وسيبويه، وبين المتنبي وأبى فراس، وابن خالويه والحـاتمى، وبين أبى العلاء وداعى الدعاة — لا يرون هؤلاء الناس وحدهم يختصمون ويتنافسون، ويكيد بعضهم لبعض، ويمكر بعضهم ببعض، ويظلم بعضهم بعضا.. ثم ينتصف التاريخ للمظلوم من الظـالم، ويثأر للبرىء ممن اعتـدى عليه؛ ولـكنهم يرون أنفسهم فى حياتهم هـذه التى يحيونها، والتى يأتمر فيها بعضهم ببعض، ويجنى فيها بعضهم على بعض، يتخذون إلى ذلك — من الوسائل والأسبـاب — ما كان يتخذه القـدماء، ويفـكرون فيـه على نحو ما كان يفـكر القـدماء، ثم يظهرونه على نحو ما كان يظهره القدماء.

فما زال فينا — والحمـد لله على الخير والشر — همـذانى يكـيد للخوارزمى ويحكم الـكيد، وناس يخدعهم تملق المتملقين ولباقة اللبقين.

وما زال فينا — والحمد لله على الخير والشر — كسائى يستظهر على سيبويه، بجـاه أولى السلطان والبأس، ويعتز عليه بالمأجورين والمسترزقين.

وما زال فينا — والحمـد لله على الخير والشر — قوم يتساقطون على قصور الملوك والأمراء كما يتساقط الذباب، فيـكيدون فيها للعلماء والأدباء والساسة وأهل الرأى، ويبلغون — من ذلك — مايريدون: كله أو بعضه.

ثم ما زال فينا — والحمـد لله على الخير والشر — قوم زعموا أنهم يدعون إلى الخير، ويصدُّون عن الشر، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنـكر، وهم — مع ذلك — يلقون الشباك، ويمدون الأشراك، يصيدون بهـا المفـكرين والباحثين كيداً لهم، ونـكاية بهم، وعونا عليهم.

كل أولئك أحياء بيننا ، نراهم كل يوم ، ويشقى بهم كرام الناس فى كل يوم ، وينقدُهم الناقدون ، ويمقتهم الماقتون .

ولكنا نراهم فى صورتهم الصحيحة المرذولة ، حين نقرأ كتاب « كامل كيلانى » ، لأنا نراهم ـ على بعد الزمن وانقطاع الأسباب ـ وقد ذهبت الأحقاد ، وماتت الضغائن فيهم .

فهم — كما يراهم التاريخ — لا يثيرون هذه الحفيظة التى يثيرها المعاصرون ، وقد وصلت بيننا وبينهم صلات المنافع والمضارّ ، فكان بيننا وبينهم التعاون والتنافس .

نعم ، ونحن نرى — فى كتاب « كامل كيلانى » — ما لا نستطيع أن نراه الآن ، وما لم يستطع القدماء أن يروه ، وسيراه أبناؤنا من بعدنا ، وهو حكم التاريخ للمحسن ، وقضاؤه على المسىء .

* * *

قدمت — منذ أعوام — إلى النـاس ، طبعة « كامل كيلانى » لـ « رسالة الغفران » ، بعد أن يسّرها وقرّبها إلى المستنيرين الذين يريدون أن يتأدبوا ، دون أن يقفوا أنفسهم على العلم الخالص العسير.

وكنت سعيـــدا شديد الاغتباط ، لأنى رأيت هذه العناية — بأوساط المثقفين — تعجب الناس ، وتبلغ منهم ما أراد صاحبها ؛ فتعلم الجاهل ، وتنبه الغافل ، وتثير نشاط الفاتر .

وقد راجت « رسالة الغفران » هذه — فى مصر والشرق العربى — بل رأيت من المستشرقين — فى أوروبا — من يرضى عنهـا ، ويعجب بها ؛ لأن صاحبها كان متواضعا ، لا يدعى لنفسه أكثر من أنه يبذل جهدا صادقا ، لتقريب العـــلم إلى الذين قد لا يستطيعون أن يصلوا إليه وحدهم .

وعلى هذا النحو ، يسرنى أن أقدم — إلى القراء — هذا الكتاب اليسير القصير ، القيم الخصب الممتع فى وقت واحد .

كان من الحق على «كامل» — حين عرض لهذه الناحية من البحث — أن يصطنع خصلتين لا بد منهما :

الأولى : أن يكون سهلا سمحا ، ويسيرا قريبا ، لا يكلف قارئه بحثا ، ولكن يغريه بالبحث . . ولا يضطره إلى المراجعة ، ولكن يحبب إليه المراجعة .

الثانية : أن يحرص على الإنصاف ، ويأخذ به نفسه أخذا شديدا ؛ فلا يظلم العلماء والأدباء ، ولا يظلم القراء المحدثين : فيفسد آراءهم فى العلم والعلماء ، والأدب والأدباء ؛ لأن لهم علينا حق الأمانة والصدق .

وإنى لسعيد بأن أهدى — إلى «كامل» — أصدق التهنئة ؛ لأنه وفق إلى الخصلة الأولى كل التوفيق . فلقد قرأت كتابه حين كان ينشر فصولا فى المقتطف ، ثم قرأته أمس .. فلما بدأت القراءة لم أدعه حتى أتممته . لم ينلنى سأم ولا ملل ولا فتور ؛ لأن ما فى الكتاب — من الحياة والحركة وخفة الروح — خليق أن يستبق نشاطك موفورا ، منذ تبدأ الكتاب إلى أن تتمه .

أما الخصلة الثانية ، فقد تعوَّدت مع أصدقائى جميعا — ومع «كامل» خاصة — أن أكون صريحا شديد الصراحة ، ولست أشك فى أن الإنصاف ظاهر فى الكتاب ، يحسه القراء مهما تختلف طبقاتهم وتتفاوت حظوظهم من العلم .

ولكن فى الكتاب شيئا — لا أدرى ما هو — يشعرنا بأن شخصية المؤلف لم تستطع أن تستتر كل الاستتار ؛ بل أظهرت كثيرا من عواطفها وميولها .. وكأنها تريد — ولو فى استحياء — أن تفرض علينا هذه العواطف والميول .

* * *

أظننى عرفت هذا الشىء ؛ ففى « كامل » شباب شديد النشاط ، لا يخلو من حدة وعنف ؛ فهو إذا اقتنع ، لم يقتنع بعقله وحده ، وإنما اقتنع بعقله وقلبه وشعوره ، وفيه كرم يتجاوز به الإنصاف إلى الإسراف فى الإنصاف ؛ فهو لا يكتفى بأن ينصف المظلوم — بالحكم له — بل يريد أن يعاقب الظالم بالإلحاح عليه وتشديد النكير .

وما أرى أن « الكسائى » يستحق منه هذه الشدة المسرفة فى القسوة ، فكان « الكسائى » — من الرواية والقراءة والنحو — يفرض علينا أن نكبره ونعرف له فضله .

ومهما يجمع المجمعون على أن القول ما قال « سيبويه » ، فإنى أحب ألا ننسى أن مذهب « سيبويه » وأصحابه — فى النحو — كان مذهب قياس وتعليل ، وأن مذهب « الكسائى » وأصحابه كان مذهب سماع وتقليد للعرب ، وأن لكل من المذهبين خطره وقيمته .

كذلك كنت أحب أن يرفق « كامل » « الحاتمى » كما رفق بـ « ابن خالويه » ؛ فكلاهما أسرف على « المتنبى » ، ولكن « كاملا » ابتسم للنحوى وسخر من الأديب ، ومع ذلك فهذا الأديب خليق أن نبتسم له ، لأنه صوّر لنا — فى سذاجة تشبه الغفلة — نوعا من حياة الأدباء فى القرن الرابع ، يستحق أن نقف عنده ونفكر فيه .

* * *

أثارت قراءة هذا الكتاب فى نفسى هذه الخواطر ، وخواطر أخرى لا أجد من الوقت ما يسمح بإثباتها ، وأحبّ الكتب — إلىّ — ما يثير فى نفسى الخواطر ، وينشطنى للتفكير ؛ فليكن موقع هذا الكتاب — من نفوس القراء جميعا — كموقعه من نفسى .

إذن يكون « كامل » قد ظفر — من التوفيق — بما أراد ، وبما هو أهل لأن يظفر به .

رائد الأدب العلائى (*)

كامل كيـــلانى

«كامل كيلانى»، كتاب ضخم يضم بين دفتيه كنوزاً حيـة من الآداب العربية والغربية ، وخصيصته فى هذا أنه كالنحل الذى يحيل الزهرات ويتمثلها ، ثم يخرجها للنـاس أريا ، فيه شفاء للناس . فهو ما يزال يقـرِّب إلى الناس كنوز هذه الآداب المطمورة وراء غموض العباقرة ، فى ديباجة صافية ، يفهمها القارئ العـادىّ ، ويرضاها الأديب .

وصداقة « كيلانى » لأدباء العربية ـ فى عصورها المختلفة ـ صداقة وثيقة ، يعرفهـا من يتتبعون « المكتبة الكيلانية » ؛ ولـكن هذه الصداقة ترتفـع إلى درجة القرابة بينـه وبين شعراء العربيـة : أبى تمام ، وابن الرومى ، وأبى العلاء ..

ولعل « كامـلًا » هو الـكاتب الوحيد ، الذى تستطيع أن تنسق مؤلفاته فى ثَبت يتسق مع خطوات الإنسان فى مراحل حياته : فتلك « مكتبة الطفل » ، وهـذه «مكتبة الشباب» ، وتلك « مكتبة الأديب » . . .

وتستطيع أن تنسق تواليفه فى ثَبت آخر ، ينتظم صوراً من أدب الغرب ، أو الشرق فى أمشاج لا يصعب عليك تبويبهـا وتفصيلها إلى أبواب وفصول .. ومثل هذا المجهود المنظم المتواصل خليق أن يحدث ثورة وانقلابا فى عالم التأليف ، وخليق أن يتسامى ويسمو بالجيل إلى الغايات التى يهدف إليها الـكاتب الأريب .

(*) جريدة دمياط فى ١٢ مارس سنة ١٩٤٥ .

ولقد حفل العالم العربى أخيراً بشيخ المعرة ، فأقيمت الحفول بمناسبة مولده أو وفاته ، وذكر بعض الكتاب فى هذه المناسبات أن الشيخ الضرير لقى عقوقا من أدباء الشرق .. وتلك دعوى لها نصيب غير قليل من الصحة ، غير أن صاحب هذا الرأى فاته أن يذكر أن شيخ المعرة لقى وفاء لشخصه وأدبه فى مصر .. ويتمثل ذلك الوفاء وهذا الإخلاص فى ذلك المجهود المشكور الذى يعتصره « كامل كيلانى » ، من نفسه ووقته فى « المكتبة العلائية » ، التى يطالع بها الأدب بين حين وحين .. فقد انكب على دراسة أبى العلاء وتعمقه ، حتى وضحت ملامح الرجل فى نفسه ، ثم راح يبشر بالأدب العلائى .

وما فتىء ينشره على الناس ، ويشرحه لهم ، ويعلق عليه ، غير تارك سبباً يقرب أبا العلاء من هذا الجيل إلا أخذ به .

وما نظن أن حفلا بأبى العلاء ، يناهض هذا الحفل الصامت الدائم الذى ينهض به الأستاذ « كيلانى » وحده .

ولقد كانت رسالة « استغفر واستغفرى » ، حديثا على ألسنة الأدباء، ونبذاً فى فصول قديمة أو محدثة .

فأما الرسالة ذاتها فكان دونها عسر الشرح ، وقبح العرض والطبع .. ثم بات الناس وأصبحوا ، فإذا « رسالة الغفران » ميسرة واضحة ، ولأمر ما ، لما أراد الأستاذ « براكنبرى » ترجمة الرسالة إلى الإنجليزية لم يؤثر إلا « النسخة الكيلانية » .. وتستطيع أن تجد ذلك الجهد فى كل أو جل آثار أبى العلاء المعروفة إلى الآن .. تجده فى : رسالة الهناء ، وتجده فى : حديقة أبى العلاء ، وتجده فيما كتب : على هامش الغفران ..

واعمرى : ما كان يجدى أبا العلاء أن يقال عنه أكثر مما قيل ! وإنما كان يجديه ويرضيه ، ويبل عظامه فى مثواها : أن يذيع أدبه ويشيع ؛ فذلك هو إحياء الرجل ، وتلك هى الذكرى الباقية .. فأما هذه الحفول فعمرها يوم أو بضعة أيام !

أفغريب بعد هذا أن يطالب الكتاب أن يكون بالجامعة كرسى لدراسة أبى العلاء . وأن يكون صاحب هذا الكرسى هو « كامل كيلانى » !! ..

ليس هذا هو الغريب ، وإنما الغريب أن ينكره الإمّعات الخاملون ...

لن يرد ذكر أبى العلاء[1]

دون أن يرد على الفور ذكر « كامل كيلانى »

بقلم الأستاذ أحمد حسين

دمت يا شهباء ما دام الزمن وطن المجد ومجـــدا للوطن

كان هذا البيت هو أول ما جعلنى أهتم بمعرفة شيء عن مدينة « حلب » وكان ذلك منذ خمس عشرة سنة تقريبا حيث كنا نصطاف فى لبنان، وكان يقيم فى الفندق نفسه الذى نزلنا فيه، شاب حلبي راح يرتل لنا هذا النشيد. فملأنى سماع النشيد بالنشوة، ورحت أسأل صاحبي عن « حلب »؛ فاندفع يحدثنى عنها فى حماسة وحرارة بالغتين.

ولقد كبرت بعد ذلك، وأتيح لى أن أستزيد من معلوماتى التاريخية، فاستطعت أن أدرك أن مدينة « حلب » كانت فى الزمن القـــديم؟ كانت قاعدة ملك دولة عربيـــة بحتة، وهى الدولة الحمدانية التى بلغت أوجها فى عهد سيف الدولة الذى جعل من دولته تاجاً للعرب والعروبة، بل للمشرق كله.

فلا عجب إذن أن كانت زيارة حلب هى أول ما ورد على خاطرى، وأنا أفكر فى التجول فى البلاد العربية. ولقد كانت رحلة شاقة جدا، كان البرد يفرى أضلعى، ويكاد يشلّ أطرافى ... وكان الطريق موحشا، وليس فيه ما يلفت النظر.

---

(١) مجلة مصر الفتاة — العدد ٤٧ (٢٦ / ١٢ / ١٩٤٥).

ولقد كنت أنظر لصاحبي فى الرحلة ، فأراه يكظم غيظه من إقدامنا على هذه الرحلة المتطرفة هـــذا الغيظ الذى انفجر لدى سنوح أول فرصة ، عند ما نزلنا فى مدينة «حمص» ، لنتناول بعض الطعام .

وعادت السيارة للانطلاق من جديد ، دون أن تدخل الرحلة على نفوسنا شيئا من البهجة إلا عندما وصلنا إلى مدينة « المعرة » ، حيث احتفل أخيرا بعيد « أبى العلاء » الألفى ، فهبت علينا نسمة من نسمات العبقرية . وأحسَّ الإنسان بنشوة وسرور : أن يرى نفسه فى مسقط رأس عظيم من عظماء العرب والمسلمين .

ولن يرد ذكر « أبى العلاء » دون أن يرد على الفور ذكر سيد أدباء العصر الأستاذ « كامل كيلانى » : راوية أبى العلاء ، وناشر كنوزه ، ومروى بها ظمأ أصدقائه فى كل آن وساعة .

فتمنيت لو استطعت أن أزور قبر « المعرى » حتى أدخل السرور على أستاذى الأديب بعد عودتى : ولكن سائق السيارة أبى علينا هذه المسرة الوحيدة التى كنا سننعم بها فى رحلتنا . . فبعد أن تسللنا من السيارة وصحبنا طفل صغير يقودنا إلى قبر « المعرى » وإذا بالسائق يتنبه لنا ، ويحرض بقية الركاب علينا ، فإذا بالثورة تنفجر ، والجميع يدعوننا للعودة وإلا تركتنا السيارة .. فعدنا آسفين ، ولم نشف النفس بزيارة قبر فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة .

والحقّ أن المعرّة فيها نفحة من نفحات ذلك العبقرى العظيم ؛ فهى تروعك على الفور بجمالها ، وتشعرك بأنها على خلاف ما مررت به — أو ستمر — من قرى وضياع .

اكتبوا للأطفال[1]

للأستاذ الأديب محمد سيد كيلانى

الشبان عندنا منصرفون عن كتب الأدب ، وفيها زاهدون ؛ بل إن طلبة الجامعة ينظرون شزرا إلى قسم اللغة العربيـة ، ويركبونه — غفر الله لهم — بالدعابة والسخرية .

ولا غرابة فى ذلك ؛ فإننا لم ننشئهم تنشئة تطبعهم على احترام لغتنا القومية ، وحب هذا التراث القيّم من نظم ونثر .

أجل ، لقد أهملنا تغذية عقول أطفالنا إهمالا شنيعاً ، فى حين أن الأمم الأوربية اهتمت بهـذا النوع من التأليف ، وأنفقت ـ فى سبيل ذلك ـ أموالا طائلة .

١ ـ فرنسا :

وكانت فرنسا أسبق هذه الأمم إلى إخراج كتب للأطفال ؛ ففى القرن السابع عشر ، جلس على عرش تلك البلاد الملك العظيم « لويس الرابع عشر » .

وفى عصره ظهر عدد كبير من الكتاب والشعراء ، وألّـفت مسرحيات رائعـة ، ونهض غير واحد من الكتاب بالتـأليف للأطفال ، ونخصّ بالذكر منهم « بيرو » : الشاعر المعروف ، والعضو بالأكاديمية الفرنسية ، فقد أخرج بعض القصص بأسلوب سهل ، وعبارة جذابة ، بيد أنه استنكف أن ينسبها إلى نفسه فنحلها ابنه ، ثم أخرج مجموعة « أقاصيص وحكايات الزمان الماضى » باسمه هو ، لا باسم ابنه كما فعل من قبل .

(١) الرسالة فى ٣/٢/١٩٤٧ م

ومضى بعد وفاة « بيرو » زمن طويل ، لم يعن فيه أحد بإخراج شيء من أدب الأطفال ، حتى جاء القرن الثامن عشر ، فظهرت « لبرنس دى بومون » ، وكانت تزاول تعليم الأطفال فى فرنسا ، فكتبت عدداً عظيماً من القصص ، ولعل من أهمها قصة : « مخزن الأطفال » ، ولكنها لم ترزق خيالا واسعا ولا أسلوبا قويا ، فلا عجب أن اندثرت حكاياتها ، ولم يبق منها شيء يذكر .

وفى ذلك القرن ظهر « جان جاك روسو » ، ونشر آراءه فى تعليم الأطفال وتربيتهم ، فآمن بها كثيرون فى فرنسا وغيرها من البلدان ، فقامت « مدام دى جنلس » (١٧٤٦ — ١٨٣٠ م) بتأليف كتب كثيرة للأطفال ، وكانت تسير فى تعليمهم على مبادئ « روسو » ، ولم تعن بتربية الخيال عندهم ، ولكنها حرصت حرصا شديداً على سلامة أخلاقهم .

وظهر بين عامى (١٧٤٧ — ١٧٩١م) أديب كبير ، منح الأطفال قسطا كبيرا من عنايته ، فأنشأ لهم صحيفة خاصة بهم ، أطلق عليها « صديق الأطفال » . وقد عرف هو نفسه بهذا اللقب ، وامتاز بأسلوب فى منتهى السهولة واللين ، ولم يكتف بما فى لغة بلاده ، بل نقل كثيرا مما ورد فى لغات الأمم الأخرى ، وبهذا استطاع أن يسدّ فراغا كبيرا .. وأن يشبع رغبة الصغار فى القراءة .

ولم تشرق شمس القرن التاسع عشر ، حتى كثر عدد الكتاب الذين زاولوا هذا النوع من التأليف .

وفى القرن العشرين ، بلغ عدد ما يطبع سنويا من قصص الأطفال بضعة ملايين ، كما أن الصحف الخاصة بهم كثرت وانتشرت فى كل مكان .

٢ ـ فى انجلترا :

ويغلب على الظن أن العناية بكتب الأطفال فى إنجلترا ، بدأت بعد ظهورها بفرنسا . فأنشأ « نيوبرى » مكتبة خاصة للأطفال ، حَوت كثيرا من الكتب التى تستهوى أفئدتهم ، ومن بينها قصص أُلّفت عن خرافات العصور الوسطى .

ولما سرت تعاليم « روسو » و « لوك » وغيرهما من المفكرين إلى بلاد الإنجليز ، تأثر بها كتَّابهم إلى أبعد حد .

ولا شك فى أن « توماس داى » كان من أعظم كتاب الإنجليز تأثرا بتعاليم « جان جاك روسو » ؛ وقد ألف للأطفال قصة دعاها « ستانفورد ومرتون » تدور حول غلام سيئ الأخلاق والتربية يدعى « توماس مرتون » ، وهو من أب إنجليزى ، هاجر إلى الهند وأثرى ثراء عظيما ، ولما رجع إلى بلاده نشأت صداقة بين ابنه هذا وبين ابن أحد جيرانه وهو « هارى ستانفورد » .. وكان حسن الأخلاق طيب التربية ، بفضل تعاليم قس القرية « المستر بارلو » . ولما فطن والد « توماس » إلى حقيقة الأمر ، ناط بهذا القس تعليم ابنه وتهذيبه ، فنتج عن هذا أن أصبح الصبى « توماس » صالحا لا عوج فى أخلاقه .

وظهر بعد « توماس داى » كتاب كثيرون ، منهم « ديفُو » مؤلف قصة « روبنسن كروزو » التى نالت شهرة واسعة ، ونقلت إلى جميع لغات العالم ، وقام ـ فى كثير من البلاد الأوربية ـ من قلدها ، ونسج على منوالها .

* * *

ولد « دى فو » سنة ١٦٦٠ ، وتوفى سنة ١٧٣١ م ؛ واشتغل بالتجارة ولكنه أصيب بالفشل . واشتغل بغير التجارة فصادفه الإخفاق التام . وكان مشغوفا بالسياسة ، فأصدر فى عام ١٧٠٣ نشرة أغضبت ملك الإنجليز ، فأمر بإلقاء القبض عليه ومحاكمته ..

وأخيرا اضطر إلى مغادرة لندن ، والالتجاء إلى الريف ؛ وهناك كان يقضى وقته فى الكتابة والتأليف ، وفى سنة ١٧١٩ م أخرج هذه القصة الشهيرة .

* * *

ثم ظهرت قصة رائعة أخرى وهى « رحلات جيلفر » لمؤلفها « سويفت » .. وكان هذا الكاتب فقيراً جداً ، وحاول أن يشتغل بالسياسة ولكنه لم يفلح ، فاضطر إلى الرجوع إلى موطنه الأول إرلندا ؛ وفى سنة ١٧٢٩ م أخرج هذه القصة فى أسلوب مشرق الديباجة .

* * *

ثم تتابعت قصص الأطفال فى إنجلترا ، ومن أشهرها « أليس فى بلاد العجائب » لمؤلفها « لويس كارول » (١٨٦٥) ، و « بيتربان » (٢٦ ديسمبر ١٩٠٤) ، وغيرهما مما لا يتسع المجال لذكره .

وظهرت صحف يخطها العدّ للأطفال دون سواهم ؛ وقد ساهم فى تحريرها الأطفال من الأمراء والنبلاء .

٣ — فى الأمم الأخرى :

وقد تسابقت الأمم الغربية الأخرى فى هذا المضمار ، وقطعت فيه شوطا بعيدا ، فأنشأت «أمريكا» مكاتب عامة للأطفال ، وكلت إدارتها إلى فريق منهم .

وتطبع فى «أمريكا» ملايين القصص فى كل عام ، وتصدر مئات الصحف التى يشرف عليها الأطفال وتدبجها أقلامهم .

واهتمت «فنلنده» ، وغيرها من أمم شمال أوربا بأدب الأطفال كل اهتمام ، وامتازت قصصهم بخيال خصب ، ترى عليها مسحة من الهزل والطرافة ، ولوناً من الحزن يقرّبها إلى النفس .

وممن برع من كتاب أهل الشمال فى هذا الباب الأديب الفنلندى «اندرسن» الذى ولد عام ١٨٠٥ وتوفى عام ١٨٧٥ م ، ومن خير كتبه التى أخرجها للأطفال قصة «ملكة الثلج» .

ولم يقتصر أهل الجنوب فى هذا الميدان ، بل أعطوه قسطاً كبيراً من عنايتهم .

وقد كان لقصص الأطفال أكبر تأثير فى العمل على وحدة كل من إيطاليا وألمانيا ؛ وامتازت قصص أهل الجنوب بالدرس والتحليل ، والبحث والتمحيص ، وتحكيم المنطق فى كثير من الأمور ؛ فلم يكن للخيال عندهم نصيب مذكور .

٤ — فى الشرق :

أما فى الشرق فلم يعن أحد بالاتجاه فى هذه الناحية ، وذلك لتفشى الأمية ، وعدم العناية بتثقيف النشء .

وبقيت هذه الحال حتى عام ١٩٣١ ؛ إذ قام فى مصر الأديب المعروف الأستاذ « كامل كيلانى » ، فأوقف مجهوده ووقته لخدمة الأطفال ، فأخرج فى ذلك العام قصة « جلفر » فى أسلوب سهل ، وضبطها بالشكل ، وحلّاها بكثير من الصور ، فصادفت رواجا كبيراً ، شجعه على نقل غيرها من روائع الغرب.

ثم اتجه هذا الأديب إلى ما ورد فى اللغة العربية من نفائس القصص ، فبسطها وحذف منها ما لا يتفق مع عقليات الأطفال وأذواقهم ؛ فبدت شائقة جذابة ، وانتشرت فى أنحاء الشرق العربى ، كما ترجمت إلى جميع اللغات الشرقية ، وبعض اللغات الأوربية .

وعلى هذا يمكننا أن نقول : إن الأستاذ « كامل كيلانى » قد سدّ فراغا كبيراً كان من الضرورى أن يُسد ، ووضع أساسا صالحا لأن نشيد فوقه بناء لا يتطرّق إليه الخلل .

فما لا شك فيه أن أدباءنا الذين حصروا أنفسهم فى الأدب العالى ، قد شيدوا الجدران والسقف ، قبل أن يضعوا الأساس .

وهذا هو السر فى إعراض شبابنا عن قراءة كتب الأدب ، وانصرافهم إلى الروايات التافهة الساقطة التى تنقل عن الغرب .

شخصيات لا تتكرر :

كامل كيلانى (1)

للأستاذ محمد على غريب

ولد الكاتب الألمعى الأستاذ « كامل كيلانى » أديبا ، ولو أنك ترجمت صرخاته الأولى - فى مهده - إلى كلمات ، لوجدت بين يديك قصيدة ، قد لا تكون من قصائد أمير الشعراء شوقى « بك » ; ولكنها قد تكون من قصائد أمير الشعراء حسن يس !

لا تضحك . . فالأديب النابغ يولد كما أراد الله له أن يكون ، وفى طفولته يوجد دائما إرهاص بمستقبله . وقد سئل « أناتول فرنس » عما إذا كان قد عشق الأدب وهو صغير ؟ فسخر من هذا السؤال ، وأنكر أنه كان فى صباه شيئا يؤبه له ، ولكن أناتول فرنس ظل طوال حياته ساخرا من كل ما حملت هذه الأرض .

ويقينى أن « كامل كيلانى » بدأ حياته الأولى عاشقا للأدب ، ويكفى فى مثل هذا الحال أن يقرأ كتابا غير الكتب المقررة عليه ، ويحاول أن يفهم مقالا فى صحيفة ; فإنه بعد ذلك يحسّ فى نفسه الرغبة فى قراءة ما هو غير مدرسى . وخطوة بعد خطوة ، يرى نفسه خيرا مما كان ، وربما رأى نفسه خيرا من كثير من لداته .

---

(1) الزمان / يناير ١٩٥١ .

وعندما يصل إلى مرتبة الإحساس بالتفوق ، يكون قادرا على أن يحرق أصابعه ، وربما أحرق ثيابه فى سبيل أن يتعلم كيف يكتب مثل ما يكتب هؤلاء الذين قرأ لهم هاتيك النفائس !

* * *

روى لى الأستاذ « الكيلانى » هذه الحكاية ـ عن نفسه ـ بأسلوبه الخاص به ، وهو الأسلوب الذى يؤكد لك رغبته فى ألا تنشر ما سيرويه لك ، ويكاد يقسم عليك ألا تنشره ؛ ولكنه لا يدرى كيف يشكرك إذا ما نشرته .

فقال لى : إنه حين كان صغيرا جدا . . أى فى السنة الثانية من المدرسة الابتدائية ، سمع قصة « أبو زيد الهلالى » و « الزير سالم » و « عنترة العبسى » .. ثم فكر فى أن يؤلف قصة على غرار هذه القصص ؛ فاختار إحدى هذه الشخصيات ذات الشهرة الذائعة ، وفى بضع كراسات مدرسية ، جعل يملؤها أشعارا تصوّر هذه البطولة الفذة .

وكاشف بالأمر زميل صباه الفنان الممتاز الأستاذ « سيد إبراهيم » ، فذهب زميله بالكراسات إلى أحد الناشرين ، وألح عليه فى أن يقرأها . فلما قرأها الرجل أعجب بها ، وسرّ منها ، وأعرب عن رغبته فى أن يطبعها .. وبقى الأمر المهم ، وهو أن يجىء المؤلف ـ بنفسه ـ ليتفق مع الناشر على الطبع والأجر !

ولكن هذه مشكلة . . حقيقة أنه يوجد لهذه الكراسات مؤلف ! وحقيقة أن هذا المؤلف فى أشدّ الشوق إلى رؤية هذا الناشر ، ليتفق معه على طبع أول ثمرة من ثمار قريحته ! ولكن المؤلف ! . . هل فيك من يكتم السر ؟

المؤلف ـ اليوم ، وهو فى الحلقة الخامسة ـ قصير القامة إلى درجة أن طوله لا يزيد على مائة وعشرين سنتيمترا .. فكيف كان وهو فى العاشرة من عمره ؟!

لا ريب أنه كان أطول قليلا من إفريز الطريق ! على أن المؤلف مع ذلك قد ذهب إلى الناشر .. وكيف ذهب ؟

فى جلباب أزرق مخطط ، وهو عارى الرأس ، وفى قدميه حذاء خشبي !..

ونظر الناشر إلى هذا الطفل الضئيل ثم قال :

— ماشاء الله ! . . وهل أرسل إلينا المؤلف ولده الصغير ؟

وكأنما أصاب رأس الأستاذ « سيد إبراهيم » ضربة من عصا من حديد ، فقال للناشر :

— ولد من ؟ . . . هذا هو المؤلف !

وأغمى على الناشر .. ولما أفاق ، دفع بالكراسات إلى المؤلف الجهبذ ، وقال له :

— إن شاء الله ، عندما يصير عمرك فى السابعة ، أستطيع أن أطبع لك ما تؤلف !

وعاد الأستاذ « الكيلانى » وهو يضرب وجه الأرض بحذائه الخشبي ، ويمحو بدموعه مأساة فشله ، وقد أدرك من الأسلوب الذى عومل به أن هذه الدنيا لا تنظر إلى الحقائق إلا بعينى أعمى ، وأن جهد الإنسان فيها يقاس بطوله وعرضه .

فإذا كان ضخم الجثة ممتلئ البدن فإنه يصبح أذكى الأذكياء ! أما إذا كان قصيرا ضئيل الجسد ، فإنه يلقى ما لقى المؤلف الصغير من زراية وإهمال !

وكان خليقا بالأستاذ « كامل كيلانى » أن يقنع من التأليف بهذه الصيحة التى أرسلها فى وجه الناشر الغبى ؛ ولكنه كان عنيدا ، وكان لا يقوى على أن يهزم بمثل هذه السهولة !.. ولم تكن المباراة بينه وبين غباء الناس ، فى حلبة الملاكمة أو المصارعة ؛ ولكنها كانت مباراة بين العقل والغباوة ، وبين صحة الإدراك وسوء التقدير .

وعلى هذا سيظل يعشق الأدب، ويحـــاول أن يكتب قصصا ، وستزيد قامته ، ويظهر شاربه ، ويستبدل حذاءه الخشبى بحذاء من الجلد . ويصبح الأديب الموهوب . . بل عسى أن يصبح — حين يريد له فريق من الأصدقاء — « نقيب الأدباء » .

عاصر الأستاذ « كامل كيلانى » هـذه النهضة منذ بدايتها ، وساهم فيها ، وأوذى فى سبيلها .

ولما اشتعلت الثورة المصرية ، قذف فى جحيمها بقصائد من الشعر الحماسى الجيد، ثم صدمته الجماهير بعقولها المغلقة فنكص ، واكتفى بصداقات موصولة بينه وبين كثير من العظماء والكبراء وأهل الرأى . . وكان يعدّ لهم شبه ندوة يلتقون فيها ، ويتذاكرون أحاديث الأدب والأدباء . وامتلأت حياته مرة أخرى بالتأليف ، وكان قد التهم آلاف الكتب ، يقرؤها ويعيد قراءتها ، ثم وقع على « أبى العلاء المعرى » ، فشرب رحيقه كله . . .

كان كرجل سار على قدميه أياما فى صحراء موحشة ، وعندما أشرف على التلف وجد نبعا صافيا ، فوضع فمه عليه ، ولم يتركه حتى امتلأ ، كذلك شأن الأستاذ « الكيلانى » مع « أبى العلاء » الذى استهواه وفتنه ، فحفظ أكثر شعره .. وإنى لا أتجاوز الحقيقة إذا قلت : إنه حفظ شعره كله ، وأصدر « رسالة الغفران » وهى التى يقولون إن « دانتى » أخذ منها كتابه « الكوميديا الإلهية » . . .

وجاء وقت على الأستاذ « كامل كيلانى » كان يعيش فيه ، وكأنه « أبو العلاء المعرى » .

فلو أنك لقيته وأقرأته السلام ، لكان رد تحيتك بيتا أو بيتين من شعر « أبى العلاء » .. وما يزال ـ حتى اليوم ـ يرى أن « أبا العلاء » قد أحاط بكل شىء ، حتى القنبلة الذرية والرادار .

ولا يجلس فى مجلس ولا يقف فى محفل ، ليتحدث عن موضوع الغلاء أو مطالب المهندسين أو بناء ضريح ولى من الأولياء ؛ حتى يروح ينشد شعرا لـ « أبى العلاء » ، وكأنه كان يعنى هذا الموضوع وذاك ، وكأن « أبا العلاء » حاضر معنا فى هذا المجلس ، وفى هذا الحفل !

وأغرم كذلك بـ « ابن الرومى » ، فراح يحفظ أكثر شعره ، وربما أسكرته حلاوة « ابن الرومى » ؛ ولكن إجلاله لـ « أبى العلاء » ما يزال متمكنا فى نفسه ...

ثم أغرم بـ « ابن زيدون » ، فأخرج له ديوانا ...

وأغرم بالقاص الإيطالى « بوكاتشيو » ، فأصدر الكثير من قصصه .

وقصارى القول أن قصير القامة هذا ، الذى أراد أن يؤلف ـ الأساطير ـ التفت إلى الأدب ، وعنى به ، فتفوق على الكثيرين فى هذا الميدان ...

على أنه ما تزال كراسته الأولى التى رفض الناشر الغبى طبعها ، ما تزال ـ فيما يظهر ـ تتراءى له فى أحلامه ، وربما تراءت له فى صحوه !

فهو يعود إليها ليؤلف كتبا للأطفال .. وقد بدأها مع الرجل العالم الفاضل الأستاذ « إلياس أنطون إلياس » ، ثم جرب حظه مع دور نشر كثيرة ، حتى استقر به الأمر ـ فى النهاية ـ إلى أن ينفرد بدار للنشر تقوم على سلاسل لا تنتهى فى كتب الأطفال ...

وعمله هذا مفخرة لمصر ، قبل أن يكون مفخرة لشخصه ، وإنك لتدهش حين تعرف أن هذا الرجل القصير أعطى للناشئة عشرات الكتب ، يطالعون فيها ما يفيدهم .. وهو يبدأ مع الطفل فى روضة الأطفال ، ليلقنه قواعد القراءة والكتابة فى غير عسر ، ثم يسير معه حتى نهاية مرحلة الدراسة الثانوية .

وبذلك يكون قد أخذ ناشئينا « مقاولة » ، وتعهد أن يبصرهم بالقراءة منذ الصغر ، إلى أن يصبحوا قراء صحف ومجلات وكتب ..

جاء إليه ـ مرة ـ أمير شرقى عظيم ، وزاره فى ندوته ، واطلع على الكتب التى يصدرها ، ثم قال له :

« إننى أفاخر بأننى تلقنت قواعد القراءة من هذه الكتب ... »

* * *

وقد ترجمت كتبه هذه إلى بضع عشرة لغة أجنبية ، ومن بينها الصينية ، وروى لى الأستاذ « كيلانى » حكاية بأسلوبه الذى عرفته ، وقال لى : إننى لا أستطيع أن أروى هذه الحكاية لتنشر ، فإنهم لو عرفوها أقاموا لى مشنقة ، وهو يقصد بهؤلاء حُساده ...

أما الحكاية فإننى أرويها وأتحدى هؤلاء الحساد ، فنى الصين وقف معلم يقول لأطفاله : إنه يوجد بلد من بلاد هذا العالم اسمه مصر . وأنتم لم تسمعوا ـ يا أطفال ـ شيئا عن « مصر » من قبل ، ولكنكم سمعتم باسم « كامل كيلانى » ف « كامل كيلانى » ـ يا أطفال ـ هو من « مصر » !

* * *

قلت عن الأستاذ « كامل كيلانى » منذ ثمانى عشرة سنة فى جريدة « البلاغ » ما يأتى : « والذى يدعو إلى الاغتباط حقا أن يكون ذلك مجهود إنسان تستطيع أن تضعه فى جيبك ، دون أن تجد صعوبة تذكر ، وأن يكون الأخ « الكيلانى » موظفا ـ مع هذا ـ يعالج شئون وظيفته ، ويغدو ويروح منها وإليها .

ولا ريب أن صنيعه هذا، قد أفاد الأدب المصرى فائدة لا ينكرها إلا أحمق أو حسود ».

كان هذا من قبل أن يفتح هذه الآفاق الجديدة فى كتب الأطفال، وقال عنه (سعادة) الأستاذ الجليل « محمد على علوبة » (باشا):

« لم أكن أعرف الأستاذ « كيلانى » بذاته قبل أن أعرفه بمؤلفاته ومعرباته ؛ فإن ما دبجه قلمه الدائب لأحفل مكتبة عربية للطفولة بالممتع الشائق من القصص الذى يحبب إلى الطفل أن يقرأ، ويعينه وهو يقرأ على أن يفهم، ويسايره وهو يقرأ ويفهم، صاعدا به على حكم سنه فى مراقى الاطلاع، بادئا معه بالأوليات التى تنزل مما فوقها منزلة الأساس من البناء، مترقيا به فى المعلومات المنوعة العامة .. فمن مشاهد طبيعية إلى علم الطبيعة، ومن مظاهر مادية إلى خصائص المادة، ومن لطائف فى الأدب، وطرائف فى التاريخ، ومبادئ من العلم، إلى لباب ذلك كله ؛ فلا يلبث الطفل بعد دراسته لطائفة يسيرة من تلك الكتب أن يكون أكبر من طفل، ليكون — وهو رجل — جدّ رجل ».

هذا أوضح وصف لما عمله « كامل كيلانى » .. على أن هذا كان من (سعادة) « علوبة » (باشا) منذ ستة عشر عاما، فكيف إذا اطّلع على ما وفق إليه الأستاذ « كامل » خلال هذه الأعوام؟

لقد بنى من هذه الكتب المفيدة النافعة، هرما خالدا يفيد الناس فى مصر، وفى غير مصر، أكثر مما يفيدهم الهرم الأكبر !!

وندع هذا لنقول: إن الأستاذ « كامل كيلانى » عرفته منذ أكثر من عشرين عاما، وما يزال كما هو لم يتغير .. وكانت له فى شارع حسن الأكبر، ندوة يغشاها الكثيرون من المشاهير: أدباء، وعظماء، وساسة، ورأيت فى هذه الندوة « سامى العظم » (بك) والمرحوم الدكتور « عبد الرحمن الشهبندر »، وغيرهما من العلماء.

درس فى الوفاء (1)

بقلم الدكتور أمير بقطر

بين المظاهرات التى طافت شوارع القاهرة ابتهاجاً بإلغاء المعاهدة فى نوفمبر الماضى ، مظاهرة صاخبة ضمّت حشداً من الطلاب ، وأشتاتاً من الفتيان الأبرياء ، اندسّ بينهم فريق من الغوغاء الذين لا يحلو لهم إلا الصيد فى الماء العكر . وحدث ما يحدث مثله فى هذه الأحوال ، من تدمير وتخريب وهدم وتكسير ، وقد فاز كل من شارعى حسن الأكبر ، والبستان بنصيب وافر من هذا العبث . على أن هذه الفئة الهدامة ركزت همها — هذه المرة — فى تحطيم الزجاج فى الحوانيت والمنازل ، فلم تبق على شىء منه ، اللهمّ إلا ما أخطأته الأحجار فلم تصبه المرامى عفواً وقضاء وقدراً .

ولم يتورّع العابثون عن السطو على تلك المكتبة الفريدة فى بابها ، التى خدمت أبناء الجيل من صغار الرياض إلى طلاب التوجيهية ، خدمات لا تقدر ، أعواماً طويلة .. ألا وهى مكتبة الأديب النابغة صديقنا الأستاذ « كامل الكيلانى » . فقد هشّموا زجاج واجهاتها ومصابيحها الزهرية (فلورسنت) والنيونية .

بيد أن الأستاذ العلامة صاحبها ، أقبل على نادى الاتحاد الثقافى المصرى — كعادته — فى اليوم الثانى باسماً مشرق الجبين .. ولم يترك لنا المجال لإبداء أسفنا على ما حدث ، بل قاطعنا بهذه القصة الواقعية

---

(1) مجلة التربية الحديثة — فبراير ١٩٥٢ .

الرائعة ؛ وهى أن تلميذاً أقبل عليه — فى صبيحة ذلك اليوم — يحمل مجموعة من الأقلام الأميركية ومبراة كبيرة وأدوات يبلغ مجموع ثمنها أربعة جنيهات ، وقدمها إليه وهو يقول : لقد درست كتبك منـــذ نعومة أظفارى إلى أن بلغت الآن السنة الرابعة الابتدائية ، وقد علمتنى قصصها بجانب اللغة والأدب ، الأمانة والوفاء ، فعز علىّ أن يعبث بأدواتك — هـذه — المتظاهرون ، فاحتفظت بها لأردها لك .

وعلّق على ذلك الأديب الكبير بقـوله : « لو أن « أبرهام لنكولن » كان فى ذلك الموقف ، لما فعل خيراً مما فعل هذا التلميذ الوفى النجيب ، واسمه « سعيد أمين محمود » من مدرسة « رحبة عابدين النموذجية » .

ونحن نقول مع الأقدمين : « بين الحصى توجـد جواهر » و « فى كومات الرمال توجد حبات الذهب » ، ونقول مع شمشون الجبار : « من الآكل يخرج أكل ، ومن الجافى تخرج حلاوة » . وإذا لم يكن — بين ذلك الحشد المتظاهر — سوى تلك النفس الوفية الطاهرة ، لكفى . . وإذا لم يكن بين تلك الأشواك التى أدمت شارعى حسن الأكبر والبستان ، سوى هذه الزهرة ، لكفى .

يتحدث الأوربيون عن كلمة لا يستعملها الناطقون بالضاد ، فيجمعون كلمة وفاء على « وفاءات » . ويفاخرون بوفاء المواطن لوالديه ، ولأسرته ، وللمعهد أو المعاهد التى تلقى العلم فيها ، ولمعلميه وأساتذته ، وللجماعات والأندية التى ينتمى إليها ، ثم أخيرا لوطنه .

وطلاب مدارسنا للأسف ، ينسون الوفاء لمدارسهم وكلياتهم ومعاهدهم ، فني كل مظاهرة أوأزمة من الأزمات ، يظهرون هذا الوفاء قبل كل شيء .. بتحطيم هذه المدارس والمعاهد والكليات : زجاجها وأبوابها ونوافذها وأدواتها ومعاملها ، وفى أحوال ليست بالنادرة يتعدون على معلميها وأساتذتها إن لم يكن على نظارها وعمدائها .

وما أخلاق المرء سوى مجموعة من « الوفاءات » ، إذا حذف منها وفاء ، بدا أثره فى شخصية صاحبه جلياً ، وفى خلقه واضحاً .

* * *

اشتريت مرة من إحدى المكتبات فى « أمريكا » بطاقة صغيرة فى حجم بطاقة الزيارات ، طبعت خاصة لوضعها فى محفظة النقود ، وقد رسمت عليها صورة فتاة رائعة الجمال ، على وجهها سيماء الطهر والبراءة ، وقد جعلها الرسام رمزاً للأمانة ، وكتب تحتها بخط مزخرف جميل يسترعى الأنظار هذه العبارات : : « أيها الصديق الوفى الأمين .. هذه المحفظة عرضة للضياع ،فإذا عثرت عليها فى مكان عمومى أو على قارعة الطريق ، فأرجو أن تردها إلى بالعنوان الآتى ... فالأوراق التى بها حجة لى وعزيزة علىّ ، والنقود التى بها لم أكسبها إلا بعرق الجبين ... فلك أيها الصديق الوفىّ الأمين خير الجزاء ... التوقيع » .

وقد يعجب القارئ أننى فقدت محفظتى وبها هذه البطاقة مرة فى نيويورك ، وأخرى فى مدينة نياغرا — حيث الشلالات — فرُدت إلىّ وما بها من نقود وأوراق ، وفقدتها بمدينة لوسرن بسويسرا ،

وكان بها شلنات سويسرية تعادل نحو عشرين جنيهاً مصرياً ، فعدت إلى الفندق فإذا بها فى مظروف كبير فى انتظارى . وفقدتها مرة فى مدينة البندقية ، وكان بها حوالة مالية وبضع ليرات إيطالية تعادل قيمتها نحو خمسة جنيهات مصرية ، وصورة فوتوغرافية صغيرة ، اختلستها عدسة جهاز للتصوير كنت أحمله ، لشابة آية فى الجمال كانت واقفة أمام كنيسة سان ماركو الشهيرة ، وبعض أوراق خصوصية ..

وبعد ثلاثة أيام ردت إلىّ فى خطاب مؤمن عليه . فتفقدت محتوياتها ؛ فإذا كل شىء فيها كما كان ، سوى الصورة الشمسية ، وقرأت الكلمة التى خطها المرسل على قصاصة من الورق بالقلم الرصاص . قال إنه (دانيمركى) ، وإذا به يأسف لعدم استطاعته رد الصورة ، لأنها لخطيبته « سوزان » التى لم يمض على تقديم خاتم الخطوبة لها سوى أسبوع واحد .

ومنذ ذلك الحين أصبحت صديقاً لهذا الوفى الأمين ، أكاتبه من القاهرة ويكاتبنى من كوبنهاجن .. على — أننى منذ ذلك الحادث — انتزعت هذه البطاقة الساحرة من محفظة النقود .

بُناة الرِّجال (١)

بقلم عبد المجيد نافع

فى طليعة بُناة الرجال فى مصر ؛ بل فى الشرق بأسره ، أديبنا الكبير الأستاذ « كامل كيلانى » ؛ فقد آمن إيمانا صادقا وعميقا بأن طفل اليوم هو رجل الغد ، وبأن الأمم الأخلاق ، وبأن الدول تستمد عناصر القوة والمجد من حيوية المواطنين الصالحين فيها .. فجعل رسالته فى الحياة أن يصبّ الأطفال المصريين — من طريق القصص الصالح — فى قوالب فولاذية ، من الخلق والمعرفة ؛ فوفق إلى أقصى حدود التوفيق فى تكوين خيرة الرجال ، وصفوة المواطنين .

لقد كان خصومنا من المستعمرين ، يضفون أثواب البطولة والمجد على غُلاة الاستعمار أمثال « كرومر » و « ملنر » ؛ فيطلقون عليهم لقب « بناة الإمبراطورية » التى شيدت صروح ظلمها على أشلاء الوطنيين ، وجماجم الأحرار .

وأديب النيل ، قد نصب نفسه ، ووقف جهوده ، على بناء الرجال ؛ ليضع الأساس المتين ، لصرح المجتمع المصرى الحر الصالح ، الذى تقوم دعائمه على الخلق الصادق ، والمعرفة الحق ؛ فبات خليقا أن يسمى « المعلم الأول » ، وأن يكون مكانه الحق فى الصف الأول من بناة الدولة المصرية الحديثة ...

وليس بناء الرجال من الهنات الهينات .. فى حين أن هدمهم من أهون الأمور !

---

(١) منبر الشرق العدد ٦٨١ فى ١٩٥٢/٢/٢٢ .

فالظواهر الاجتماعيـــة — من فجر التاريخ ، فى كل بيئة — تنادى بأن عملية البناء أصعب من عملية الهدم بما لا يقاس .

فإذا كان من العسير أن يهبط كبار المفكرين من أبراجهم العاجية إلى مستوى الجماهير ليخاطبوا عقولهم ، بدل أن يهز المهرجون عواطفهم ومشاعرهم أعنف الهزات ، وإذا كان الذين سبروا غور النفس البشرية ، وما يصطرع فى جوانبها من فضائل ورذائل ، أولئك الذين صقلتهم تجارب الحياة ، فهالهم أن يروا بأعينهم ، ويلمسوا بأيديهم ، عمق الهوّة المظلمة التى تفصل بين الأخلاق التى تبشر بها الكتب ، والأخلاق التى تسود فى المجتمع الإنسانى ؛ فأصبحوا يجدون غير قليل من المشقة والعسر ، بل غير قليل من الحرج ، فى أن يحملوا الناس على اعتناق مبادئ الفضائل الاجتماعية .

فما بالك بالعسر والمشقة التى تشعر بها الرؤوس العامرة الكبيرة ، حين تنزل إلى مستوى الرؤوس الغضة الصغيرة ، فى غير تبذل رخيص ، أو تهريج صبيانى ؛ لتعانق أرواحها ، وتصافح قلوبها لتزودها بالمعارف ، وتسلحها بالأخـــلاق ، التى تمكنها من خوض معركة الحياة .

ولعل من البساطة الفكرية أن يقال : بأن صفحة الطفولة بيضاء من غير سوء ، لا تشوبها شائبة من رذيلة ، كما يتغنى الشعراء بأنشودة الطفولة البريئة ، وأن من الهيّن أن يطبع عليها المربون ما يشاءون من عواطف الخير .

ففى نواحى النفس الإنسانية ، تقوم غرائز الشر إلى جوانب غرائز الخير !.. وكثيرا ما تكون الغلبة للأولى على الثانية فى ميادين الصراع الإنسانى .

وما عسى أن يكون جهد التربيـــة إلا أن تكسر شره غرائز الأنانية الجامحة ، وتنمى الغرائز الاجتماعية الصالحة .

فأما أن يكون فى مقدور التربية أن تغرس الفضائل ، وتجتث الرذائل من جذورها المتأصلة فى أعماق النفس البشرية ؛ فهذا ما لا يؤمن به علماء التربية والأخلاق والنفس ، وإنما تحلق به أجنحة الشعراء فى أجواء الخيال ، أو سماء المثل العليا ، والكمال الإنسانى ، التى تهدمها من أساسها — مع الأسى والأسف — حقائق ووقائع هذا الكوكب الذى نعيش فيه .

* * *

لقد كان « روسّو » يعجب — إلى أقصى حدود الإعجاب — بالقصص التى كان « لافونتين » يسبغ عليها الأثواب الشعرية الرائعة ، لما تضمنته من الحـــكم الغوالى التى تطبع نفوس الأطفـال بطابع الفضيلة . على أن الحكيم السياسى كان يأخذ على الحكيم الاجتماعى بأن قصصه — رغم روعتها التى لا تجارى ولا تبارى — هى فوق مستوى عقول الأطفال .

فماذا عسى أن يدرك الطفل من تجنى الذئب على الحمل ، وهل تهديه تلك النظرة العميقة إلى أن الإنسان ذئب بالنسبة لأخيه الإنسان ، وتعلمه أن من لم يتذأب مع الذئاب أكلته الذئّاب ؛ فيستأنس للذئب إذ يعوى ، ويكاد يطير حين يصوّت الإنسان .

والطفل هو الذى لا يكاد يدرج من حجر أمه ، فتتلقف يده العصفور فيخنقه ، ويجد فى متناوله الهرّ أو الكلب فيعذبه على شر صور التعذيب ، عن وعى أو غير وعى ، وتلك آية حية على تأصل شهوة الافتراس فى أعماق نفسه !

أفلا ترى الطفل لا يلبث أن يظفر بدمية حتى يمزقها شر ممزق ؟

عللوا ذلك بأن حب الاستطلاع يدفع الطفل لأن يتبين ماهية الدمية التى يعبث بها وما تنطوى عليه !

ولماذا لا تكون شهوة الهدم بل شهوة التدمير والتخريب التى تضطرم نيرانها بين جوانحه ، هى التى تسوقه إلى هذا العبث الجهنمى بالدمى ، كما سوف ينزع فى المستقبل — حين يبلغ مبلغ الرجال — إلى هدم النظم ، وهدم المصلحين من بنى وطنه ، سواء أكان ذلك فى ميدان السياسة أو ميدان الاجتماع .

ثم أوليس هو هو طفل اليوم ورجل الغد : الإنسان ، فى كل زمان ومكان ، الذى يشيد صرح الحضارة بالدماء والدموع ، ثم لا يلبث حتى ينقضه حجرا حجرا بالحديد والنار ؟

ولا يقولن أحد إنا ننظر إلى العالم من وراء منظار أسود ؛ فمن لا يواجه الحقائق ، صدمته أقسى الصدمات .

على أنى أجترئ على الدعوى بأن « روسّو » : فيلسوف التربية السياسية ، كان مسرفا فى نقد صاحبه « لافونتين » : فيلسوف التربية الاجتماعية ؛ فالحق أن الأطفال يجنحون إلى الخيال أكثر مما يجنح الرجال ؛ بل إن خيالهم يجسم الأشخاص والأشياء .

أفلا ترى الطفل يفرد ساقيه فوق العصا ؛ فيخيل إليه أنه يمتطى صهوة جواد ، يعدو به عدواً سريعا ؟

ثم أفلا ترى الطفلة تحنو على عروستها ؛ فتضمها إلى صدرها ، وتشبعها لثما وتقبيلا ، كأنها الأم تحنو على وليدها ؟

فما ضرّ القائمين على تربية الأطفال ! وما عليهم إذا هم استغلوا عاطفة الخيال لدى الأطفال ، فغذوهم بالمبادئ الصالحة التى تعينهم على أن يشقوا طريقهم فى ميدان الكفاح الحيوى ؟

والمصلحون الدينيون : أو لست تراهم يبينون للجماعات بالرموز الصالحة التى تحملهم الرغبة فيها أو الرهبة منها ، على الميل إلى الخير ، والنزوع عن الشر ؟ !

* * *

ومهما يكن من أمر ، فقد رأينا المربى الكبير الأستاذ « كامل كيلانى » يتدرج مع الطفولة — فى جميع مراحلها — حتى يستوى الطفل رجلا سويا ، ومواطنا صالحا ، يعيش للمجتمع قبل أن يعيش لنفسه .

وحرص أديب مصر العظيم كل الحرص على أن يغرس فى نفوس الأطفال حب الفضيلة فى أروع صورها ، وحب اللغة العربية فى أصفى ينابيعها ؛ إيمانا منه بأن اللغة هى ملاك القومية .

ومن لا يتذوق أساليب اللغة الصحيحة ، ومواطن البلاغة فى ثناياها ، لا يؤثر فيه كاتب ، مهما كان حرا بليغا ، ولا ينال من نفسه خطيب مهما كان حارا متدفقا ؛ فيمسى ويصبح فريسة لتهريج المهرجين ، وضحية لتضليل المضللين .

* * *

لقد ملأ سمعى قول صديق المنشئ البليغ : إنه قد أقام من نفسه داعية للغة القومية : حتى إذا خرج الفتى إلى ساحة الحياة ، أصبح يقرأ شعر « المتنبى » و « شوقى » ، كما يقرأ صحيفة أو مجلة !

أو ليس الرجل هو الأسلوب ؟ وهل يكون الكاتب كاتبا والخطيب خطيبا ، إلا إذا كان صحيح العبارة ، صادق الإشارة ؟

لقد سمعت طائفة من الفدائيين الأحرار يخطبون ، فما راعنى إلا أن أملأ سمعى بسمو المعنى وبلاغة العبارة ؛ فآمنت بأن الوطنية

الصادقة ، والتمكن من اللغة القومية ، يمشيان جنبا إلى جنب .. وتلك آية على أنهم تشربوا روح اللغة ، فتشربوا روح الوطنية من أفواه الخطباء العالميين ، وأقلام كرام الكاتبين .

فأما هؤلاء الذين تلفظهم المعاهد العلمية العالية لا يحسنون كتابة أو كلاما ، فليس مكانهم فى ميدان الجهاد والتضحية . وأما أولئك الذين يتزعمون بغير الحق لا يُجيدون بيانا بالقلم أو اللسان ، فهم المهرجون لا قادة الأمم .

***

تزاحمت هذه الخواطر على نفسى حين تلوت قصة « عجيبة وعجيبة » التى جاد بها فكر وخيال صديقى « الكيلانى ». فتبينت ما يفيد منها الشبان خلقا ومعرفة ولغة ، ونازعتنى نفسى إلى تلاوة جميع قصصه فى مختلف مدارجها .. وعجبت أيما عجب كيف تترجم تلك القصص إلى كثير من لغات العالم ، ثم لا تكون مجالا للدرس فى مدارس ومعاهد التربية والتعليم فى وزارة معارفنا ؟! ..

وما عجبت أن يكون أديبنا المتفوق مثاراً للأحقاد ، فالأديب المهرج يحقد على الأديب صاحب الرسالة .

* * *

وأتوّج هذه الكلمة المتواضعة بأن يكون لـ « كامل كيلانى » مكانه الحق فى « مجمع اللغة العربية » ؛ ليرفع منار القومية ، ويعلى شعار الوطنية .

شخصية كامل كيلانى (١)

بقلم الأستاذ أنور الجندى

بدأ « كامل كيلانى » حياته الأدبية على أسلوب يوحى بأنه سيأخذ مكانه الطبيعى ، بين صفوف الأدباء والمؤرخين .

بل إن اتجاهـــه التاريخى كان غالبا على اتجاهه الأدبى !.. تشهد بذلك مؤلفاته : « ملوك الطوائف » ، و « مصارع الخلفاء » ، و « مصارع الأعيان» .

ثم برز اتجاهه إلى الشعر ، فهو شاعر يخفى آثاره الشعرية ، ويحتفظ بها لنفسه .. ثم بدأ يراجع « ابن زيدون » ، و « ابن الرومى » .

ثم اتصل بالأدب الأندلسى ، وترجم كتاب « نظرات فى التاريخ الإسلامى » لـ « دوزى » .. واتجه بعد ذلك بعنف إلى « المعرى » ، وعاش طويلا معه ، وأخرج « رسالة الغفران » .

إلى هنا ، كان « كامل كيلانى » قد أنفق صدراً من حياته فى هذا الجو الأدبى التاريخى الشعرى ..

فكيف قفز بعد ذلك إلى القصة فعاش لها ، وحشد لها جهوده كلها : حتى أخرج قصصا تربو على المائة والخمسين ؟..

الواقع أن هذا الاتجاه القصصى عند « كامل كيلانى » إنما كان نتيجة طبيعية لطابع شخصيته ومعالم نفسه . . ولو أنه لم يكتب القصة ، لعقّ فطرته ، ولظل فى عداد « الأدباء » ، ولم يقفز إلى صفوف « الروّاد » .

---

(١) من كتاب أضواء على حياة الأدباء المعاصرين — ١٩٥٥ .

إن كل أثر من آثار « كامل كيلانى » ـ فى مستهل حياته الأدبية ـ يعطينا خيطا من خيوط شخصيته القصصية، كما جاءت ـ بعد ذلك ـ قوية خلاقة ، عندما أبدعت هـذا اللون الجـديد فى الأدب العربى . وهو : « قصص الأطفال » .

فإن التاريخ والشعر والأدب كلها نوافذ على الفن القصصى ، وإعداد له . . وهو « النواة » التى تخلق الرواية . .

فإذا عدنا إلى الوراء ، إلى حياة « كامل كيلانى » ، وجدناها قد رسمت وفق أسلوب قصصى : فقد تفتحت روحه على الأسطورة العربية ، فاندفع يقرأ كل أسطورة ، فى كل أدب .

قرأ «ذات الهمة» ، و «عنترة» ، «وسيف بن ذى يزن» ، و «فيروز شاه» ، و«حمزة البهلوان» ، و«الظاهر بيبرس» ، وهى فى مجموعها تبلغ مائة وسبعين كتاباً ؛ ولـكن هـذا الرصيد الضخم لم يـكف القارئ الطلعة الذى اندفع يقرأ الأساطير فى الأدب الأوربى : « روبنسن كروزو » ، و« جلفر » ، وغيرها من أساطير الهند واليونان .. فأنشأ بهذه القراءات ـ فى أعماقه ـ منطقة سحرية عجيبة ، ظل يعيش فيها حتى انفجر حاجزها عندما بلغ غاية قوّته ، على هذه الصورة الرائعة .

وأمـدّه التاريخ بالمادة الخام ، فقد قرأ ـ إلى هذه القصص ـ أمّهات كتب التاريخ .. وأمده الشعر باللوحات الفنية ، وهو ـ فيما يروى ـ قرأ كل مخطوط ومطبوع من شعر العرب . ثم أمده الأدب الإنجليزى والفرنسى بالوضوح والبساطة والدقة . .

* * *

أحبَّ « كامل كيلانى » شخصيتين فى الأدب العربى ، وكلف بهما كلفا عجيبا ، هما : « المعرى » و « جحا » .

وهو يقول فى ذلك ، إنهما يجمعان فى نفسه أهواءه وآراءه وأصداء نفسه ؛ فهو جماع بين « المعرى » : العابس المتجهم ، و « جحا » : الباسم الساخر .

ولعله أنشأ فن قصص الأطفال لأنه لم يجد فى شبابه قصة عربية صالحة ، تسدّ هذا الفراغ . . فلما أحس التفوق أقبل عليه بفهم ومقدرة .

وهو أيضا قد ضاق بما أولى الأدب الإنجليزى شخصية « نصر الدين خوجه » : « جحا التركى » ، هذا التقدير ؛ فى حين أن « جحا العربى » « أبا الغصن دجين بن ثابت » أقدم منه تاريخا .

وأن أغلب ما نسب إلى « نصر الدين » هو فى الحق ـ على حد قول « الكيلانى » — من آثار « أبى الغصن » . .

وجحا « أبو الغصن » يمثل الشخصية المصرية المرحة الفكهة .. وتقوم فلسفة فكاهته على قاعدة : عامل الناس بما اختاروا أن يعاملوك به !

ومثل ذلك أن أصحاب « جحا » قالوا له ـ وقد وجدوا عنده « خروفا » سمينا ـ « إن القيامة ستقوم بكرة ، ولذلك فإن الخروف لا بقاء له » .

وذبحوه ، وأوقدوا النار لشيه . فجاء « جحا » وألقى بملابسهم فى النار ...

فلما سألوه دهشين : لماذا فعل هذا ؟ قال : ألم تقولوا إن القيامة ستقوم بكرة ، إذن فلا حاجة بكم إلى هذه الملابس .. !

* * *

يقول « الأستاذ الكيلانى » إن « الأسطورة » دعامة حياته ..
لقد كان الابن الرابع عشر لأمه بعد أن مات إخوته ... فنشأ فى جوٍّ سحرى يعبق بالأساطير والأغانى .

فلما بدأ يقرأ ، تلقى أول دروس الأدب على يد بائع بسبوسة ، وشاعر على الربابة ، وعربجى .

فلما بدأت صور الأساطير تتبلور فى نفسه ، كتب أول قصة له ، وهى : « سيرة الأمير صفوان ، وما جرى بالتمام له والكمال ، والحمد لله على كل حال . . »

وكان « الحاج مصطفى الحلبى » : بائع البسبوسة .. هو أول من كوّن ملكته الأدبية (وهو غير الحلبى الناشر) وكان هذا البائع يحفظ — عن ظهر قلب — قصائد الشاعر الصوفى « عبد الغنى النابلسى » .

ثم تلقى دروسا أخرى ، على يد الشيخ « محمود الملاح » الشاعر الذى كان يغنى على الربابة فى القهوة المواجهة لحارتهم ، وكانت صداقته للأسطى « محمد الشيخ العربى » من أمتع الصداقات الأدبية .

ويروى « الأستاذ الكيلانى » قصة طبع « سيرة الأمير صفوان » فيقول : إنه أرسلها إلى أحد الكتبية فى شارع الأزهر ، فأعجب بها وطلب مقابلة المؤلف .. فلما ذهب إليه ، وكان يلبس جلبابا قصيراً وقبقابا ، وسنه إذ ذاك خمسة عشر عاما .. وكان يبدو أقل من ذلك ، نظراً لنحافة قوامه ، وقصر قامته ، مما حمل الشاعر « شوقى » على أن يسميه « عقرب الثوانى(١) » ..

فلما رآه الكتبى قال : ابنه ؟ . أى : أنت ابن المؤلف ؟
فقال له : بل هو أنا المؤلف نفسه .

---

(١) « الكيلانى » كعقرب الثوانى : قصير ؛ ولكنه سريع الخطى ، منتج ، يأتى بدقائق الأمور .

فنظر إليه الكتبى فى شراسة وقال : اذهب وعندما تكبر عُد .

ومضى « الكيلانى » حزينا ضيق الصدر ، تدور به الدنيا ، فقد فشل فى المعركة الأولى .

* * *

و « كامل كيلانى » لا يفضل أدبا على أدب ، ولا كاتبا على كاتب آخر ، ولا قصيدة على قصيدة أخرى ؛ إذ أن « آية الجمال أنك تعيش مع كل عظيم ، فتراه أشبه بالحسناء التى تنسيك جميع الحسان » ...

أما « أبو العلاء » فيختلف ، وميزته عند « الكيلانى » أنه يعبر عن كل أفكاره . فهو يرى نفسه شبيها به : « إنسى الولادة ، وحشىّ الغريزة » .

ويرجع هذا إلى أنه ولد فى أحضان جبل المقطم ؛ فألف - منذ طفولته - العزلة الباكرة . وفلسفته فى هذا أنه لا يرتبط مع العالم إلا فى أضيق الحدود .. وقد كان هذا مما أتاح له أن يقرأ ويستوعب ، ويحفظ أكثر من عشرين ألف بيت من الشعر ...

وأهم حادث أثر فى مجرى حياته ، هو أن طائفة من أصدقائه ماتوا سنة ١٩١٤ بالهيضة ، فقدهم فجأة ، وكان بعضهم أقوى منه صحة ... فأحس بأن القدر قد تخطاه خطأ ، وأن ما بقى من عمره إنما هو زيادة . ورسم الحادث له فلسفة عميقة فى الإيمان بالقدر ، والاستهانة بالحياة . . سئل مرة : لو بقى يوم من عمره ، ماذا يفعل ؟ فأجاب : أكمل آخر ملزمة من كتابى .

وأصيب مرة بأزمة قلبية ، فلم يحزنه خلالها إلا أنه لم يقرأ كتاب « برودكستر » ، وهو من أبعد الكتب التى قرأها أثرا فى حياته ، وقد توفر على قراءته بعد أن أبلّ من أزمته ... حتى لا يندم عليه لو ألمت به أزمة أخرى .

* * *

هذا الشاعر ، هذا الرجل الذى عاش فى الأساطير ، والقصص والرؤى بين « ألف ليلة » وبين « سيف بن ذى يزن » الذى يحبه كثيرا : هل له قلب ؟ هل أحب ؟

كيف كان أثر الحب فى أدبه وحياته ؟..

إن قصة قلب « الكيلانى » لم تكتب على الصورة المروعة ، التى يحتفظ بها فى أعماقه !.. إنه لا يريد أن يطلع أحداً على هذا السر فى هذا السن ؛ ولكن قصة « سنية » ـ فى مجموعته القصصية « مختار القصص » ـ تعطى صورة قريبة ! « فرتر » الذى أوشك أن ينتحر فعلا ، لولا خاطر شعرى كان سببا فى إنقاذه ، هو : أنه لم يودع فراشه الذى أمضى حيـــاته فى أحضانه ، وهو ودود ألوف . . . بالطبع ! .

هذا الحب دفعه إلى أن يحفظ ديوان « العباس بن الأحنف » ، ويسترجعه ، وتتراءى له ـ فى خلال شطراته ـ أحلامه ، وآماله ، ومشاعره . . . لقد أحب « العباس بن الأحنف » حبا صادقا نقيا ، وكذلك أحب « الكيلانى » . .

* * *

ولا تكتمل شخصية « كامل كيلانى » إلا إذا تحدثنا عن ندوته ، فهى جزء من شخصيته . إن فصولا كاملة من تاريخ الأدب المعاصر يجب أن تكتب فى ندوة « الكيلانى » ؛ فإن أحاديث « شوقى » و « مطران » و « داود بركات » و « أحمد زكى » : (شيخ العروبة) و « شهبندر » و « صادق عنبر » ـ التى جرت فى هذه الندوة ـ هى عصارة هذا التاريخ الحىّ ..

الكيلانى : بانى الأجيال[1]

بقلم محمد البشير الإبراهيمى

من الكتب ما يقرؤه القارئ فيجد فيه نفسه ، حتى لكأنه منه أمام مرآة صقيلة . ومنها ما يقرؤه فتضيع فيه حقيقته ومعالمه ؛ فكأنه فيه خلق آخر : أزيد أو أنقص أو مشوّه .

وكُتب شيخ أدباء العصر الأستاذ الكبير « كامل كيلانى » ، التى نسقها على أعمار الأطفال والشبان ، حتى وصلهم بالرجولة ؛ هى من الصنف الذى يجد فيه كل طفل ـ وكل شاب ـ نفسه ، لا يعدوها ولا يضيعها ؛ بل يكفيه أن يقرأ الكتاب ـ من المجموعة ـ فيجد فيه مع حقيقة نفسه ، مبلغ عمره .

قرأت هذه المجموعة الممتعة من كتب « كامل كيلانى » ، فوجدتها كأنما صيغت من الصورة الكاملة لعقلية الطفل ـ أو الشاب ـ كما يجب أن تكون فى الذهن والتصور . . فخرجت قوالب تصب عليها عقول الأطفال والشبان ، كاملة بالفعل والتصديق : يستقيم فيها الزائغ ، ويصح عليها المئوف . فلا يقطع الطفل مراحله إلى الشباب ، ولا الشاب مراحله إلى الرجولة ، إلا وهو مستقيم الملكات ، مصقول المواهب ، سديد الاتجاه فى الحياة ، مرتاض اللسان على البيان العربى .. ولا يصل واحد منهما إلى ذلك الحد ؛ حتى تكون هذه الكتب قد خزنت فيه ثروة من فصح اللغة العربية : مصفاة من الحشو ، منقاة من الدخيل ، سمت عن الساقط المتبذل ، وجانبت الغريب

---

(١) الأيام ـ دمشق ١٢ حزيران (يوليو) ١٩٥٦

الوحشى ، ووقفت عند المأنوس السهل ؛ الذى لا يتعثر فيه لسان ، ولا يتعسر معه فهم ، ولا تنفر منه أذن ـ ولا ينطوى ـ من معناه على عوراء ؛ ولا يتنافر نظمه ، ولا يتعسر هضمه . وتكون هذه الكتب العجيبة قد تدرجت معه ، وتدرج هو بها ـ فى مراحله : العقلية والذهنية والبيانية ، وفى أطوار نموه الجسمانى ـ تدرجا طبيعيا هادئا ، متناسقا مقدرا ؛ كنقل الأقدام فى المشى الوئيد : حتى كأنها نسخة مقدودة من وجوده ، أو مثال مفصّل على أقطاره وحدوده .

وكتب « كامل كيلانى » نفحة من نفحات الفطرة الأولى للأطفال ، تحبب إليهم القراءة ، وتجذبهم إليها ، وتقرب ميولهم .. يقرؤها الذكر والأنثى ، فلا يشعر واحد منهما بإيثار ولا استيثار .

وكتب « كامل كيلانى » لطفل العجم تعريب ، ولطفل العرب تدريب ، ولهما معا تسهيل للتلاقى وتقريب ! .. وأكبر حسناتها أنها ترقّ الذوق ، وتنبه الإحساس ، وشمّر آثار التربية السيئة فى الطفل عثر الذوق ، وبلادة الإحساس !

قرأت هذه الكتب . وأنا شيخ كبير ؛ فنقلتنى إلى ذلك العالم الجميل الذى يتمنى كل شيخ مثلى أن يعود إليه : عالم السذاجة والغرارة ، والبراءة والطهارة . . ورجعت بى إلى فصل افترار الحياة عن مباسمها ، وإقبال الآمال على مواسمها . فوددت لو انحدرت ـ فى سلم الحياة ـ إلى ذلك العهد ، ثم صعدت بإرشاد كتب « كيلانى » إلى رأس السلّم ؛ حتى أقضى ما بقى لى من العمر فى الصعود والانحدار ؛ ليبنى عقلى بتلك اللبنات الثمينة ، ويتجدد طبعى منقحا ـ فى كل مرة ـ تنقيحا « كيلانيا » عبقريا .

* * *

كان هذا النمط العالى من كتب التربية دينا واجب الوفاء من ذمم علمائنا ، فقضاه عنهم هذا المربّى الصامت الصابر الذى اقتحم الميدان وحده ، ونصب حيث لا مُعين ، وظمئ حيث لا مَعين .

فإذا جحدته الأجيال التى بنى فيها ، فحسبه سلوى أن ستحمده الأجيال التى بنى لها .

* * *

للأستاذ « كامل كيلانى » منزلته الرفيعة فى الأدب ، وله وزنه الراجح فى العلم ، وهو ـ فى ذلك كله ـ رجل كالرجال ، يصطرع حوله النقد ، ويتطاير عليه شرر الحسد والحقد .. ولكنه ـ بما جوّد وأتقن وابتكر من هذه الكتب ، بل من هذه الطرائف فى التربية ـ أصبح مبدأ لا رجلا .

والمبادئ الصالحة حظها الخلود ، ومن شأنها أن تستمد معانى الخلود من جحد الجاحدين ، وحمد الحامدين على السواء .

* * *

أبقى الله شيخ أدباء العصر ، كاملا للنفع ، وعاملا للرفع ، وهدى أنصار العروبة ، وقادة أجيالها إلى الانتفاع بهذه الكنوز التى أثارها ، والاندفاع فى هذه السبل التى أنارها .

ثلاثون عاما فى خدمة الثقافة[1]

بقلم الأستاذ يوسف الشارونى

[شمشون غلب الثور والنمر والتمساح، وغلب الفيل والأسد والكركدن. غلب الجميع، وغلبه الزعل كما غلبته الحيلة .. غلبه حب الانتقام كما غلبه مكر دليلة .. جسم شمشون أقوى جسم ! عقل شمشون أصغر عقل ! إرادة شمشون أضعف إرادة . العاقل لا يبوح بسرّه للناس . قوى الإرادة لا يغلبه الزعل واليأس ... مسكين شمشون : غلبه الغيظ فهو مجنون ، زحزح أعمدة القصر بيديه ، وهدّ القصر عليهم وعليه . أعمدة القصر وقعت وسقفه وحيطانه . والقصر تهدم ومات سلطانه . مات أعداء شمشون . ومات شمشون] .

هذه هى نهاية إحدى القصص التى كتبها الأستاذ « كامل كيلانى » من بين حوالى مائة وخمسين كتابا . قدمها لأطفالنا وشبابنا خلال أكثر من خمسة وثلاثين عاما . وهذه القصة ـ كما ترى من نهايتها ـ ليست مجرد ترديد مبسط لقصة « شمشون ودليلة » المعروفة ؛ بل نحن نجد هنا أن « شمشون » يجرّد من بطولته ، ولم يعد إلا قوة جسمية مجردة من القوة العقلية .. يغلبه الغيظ والحيلة والمكر ، وتبتعد عن عين الأطفال فى النهاية تلك العبارة الخطرة ـ لو عرفوا الطريق إليها ـ وهى « علىّ وعلى أعدائى ، يا رب » .

---

(١) مجلة الرسالة الجديدة ١٩٥٧ .

ومنذ حوالى ربع قرن ، وفى السادس من ديسمبر عام ١٩٣٤ على وجه التحديد ، أقيم حفل تكريم بقاعة « يورت » التذكارية للأستاذ « كامل » ، واجتمع فى هذا الحفل أدباء من مختلف البلاد العربية والإسلامية ، يشاركون فى تكريمه .

ومن الغريب أن الوحدة العربية التى نحققها اليوم — بين « مصر » « وسورية » بالذات — تحققت فى هذا الحفل ، ذلك لأن الزعيم السورى الشهيد الدكتور « عبد الرحمن شهبندر » وقف يومها يتحدث ، وكان موضوع حديثه « مكتبة الأطفال والوحدة العربية » .

ومما قاله فى حديثه : (إن الأستاذ « كيلانى » أخذ على عاتقه أن يخدم مبدأين هما :

خدمة الأطفال بتغذية أدمغتهم بالمادة السائغة التى يحسنون هضمها ، وخدمة الناطقين باللغة العربية بالسعى لجمع شملهم على مائدة الأدب) .

ويستطرد الدكتور « شهبندر » قائلا هذه الكلمات التى كأنما قيلت بالأمس القريب : (ومتى استطعنا أن نكون من بيان لغتنا الفتان ، أداة للتعارف الصحيح بيننا ، ففكرنا تفكيرا مشتركا ، وتخيلنا تخيلا مشتركا ، وكانت لنا عزيمة واحدة وإرادة واحدة ، ألفنا حينئذ من هذه المجموعة العربية المشتتة الضائعة — الممتدة من خليج « فارس » فى الشرق ، إلى « بحر الظلمات » فى الغرب — جبهة ، أقلّ ما يقال فيها خوف الطامعين من النيل بكرامتها) .

(فالأستاذ « كامل » ـ مع كل ما يبدو به لنا أنه بعيد عن لجة الوطنية الهائجة المائجة ، ووقوفه على ساحل السلامة ـ هو وطنى صميم ، وطريقته وإن لم تتصل بالنهضة السياسية اتصالا مباشرا ، إلا أنها كالوحى النائم الذى أجاد تحليله « فرويد » : يسوق الناس

- من غير أن يشعروا - إلى الغاية التى قامت عليها ذهنيتهم العامة) .

(« نقيب الأدباء ، ومنشئ الجيل » بقلم « محمد صادق عنبر » — المطبعة العصرية الطبعة الأولى عام ١٩٣٥ صفحات ١٣ ، ١٥) .

فـ « كامل كيلانى » رائد من روّاد الأدب العربى المعاصر ، ما فى ذلك شك ، وهو بتفرغه لإنشاء مكتبة للأطفال باللغة العربية إنما قام بسدّ فراغ وبمجهود لا يقل أبـــدا عن مجهود الروّاد الآخرين الذين اختاروا ميدان القصة أو المسرح أو النقد . اللهم إلا إذا كنا نجهل أهمية هذا الميدان فى حياتنا الأدبية والثقافية .

وقد ولد « كامل كيلانى » فى ٢٠ من أكتوبر عام ١٨٩٧م من أم تقول الزجل ، ووالد مهندس ، يهوى القراءة ، ولديه مكتبة مزدحمة بكتب التاريخ .

وفى طفولة « كامل » تضافرت عوامل ثلاثة على تنمية الجانب القصصى ، الذى تفرغ له فيما بعد .

حديث خاص بين الأستاذ « كامل كيلانى » وكاتب المقال :

فقـــد استضاف أبوه ذات يوم أسرة يونانية مات عائلها ، وكانت هذه الأسرة تتكون من أم وفتاتين ، مما أتاح للطفل « كامل » أن يستمع إلى الأساطير الإغريقية ، فى طفولته المبكرة ؛ فعرف حروب طروادة وأبطالها ، وأنصاف آلهتها .

كذلك التقى والده بسروجى فى شارع محمد على ، وكان السروجى يشكو من سوء حالته المالية ، فأحضره الوالد ليعمل حوذيا للأسرة .

ومع هذا الحوذى — أو السروجى السابق — أمضى « كامل » الصغير أمتع لحظات طفولتـه ، إذ استمع إليـه وهو يقصّ عليه قصص « سيف بن ذى يزن » والأميرة « ذات الهمة » ، و « حمزة البهلوان » ، و « فيروز شاه » .. وهكذا عرف « كامل » ـ فى صغره ـ قصصنا الشعبى ، إلى جانب معرفته بالأساطير الإغريقية .

وكان هذا السروجى قد ورث عن أبيه بيتا مكونا من ثلاثة أدوار ، إيجاره فى ذلك الزمان لا يتجاوز الجنيه . . وكان يسكن فى مندرة منه بائع للبسبوسة اسمه « مصطفى الحلبى » .

ويقول الأستاذ « كيلانى » : إن مصطفى هذا لم يكن يعادل إتقانه لصنع البسبوسة إلا إتقانه لفن الكلام .. وكانت المسافة بين مسكن « الكيلانى » ومندرة بائع البسبوسة لا تزيد عن ثمانية أمتار .

وقد قام هـذا البائع بتقديم الصبى « كامل » إلى بعض علماء الأزهر ، وفى هذا المجلس سمع « كامل » — لأول مرة — اسم (المعلّقات) .. وهكذا بدأ اتصاله بالتراث العربى إلى جانب معرفته بالقصص الشعبى المصرى ، والأساطير الإغريقية .

وكثيرا ما كان « كامل » الطالب بمدرسة « أم عباس » الابتدائية يسرح أثناء شرح الأستاذ لدرسه ، لأنه حزين على (سيف بن ذى يزن) فقد كان آخر ما قصّـه عليه الحوذى : أن سيف مسجون ولا يعرف ماذا حدث له بعد ذلك ؟

وقرأ « كامل » ـ أثناء دراسته ـ كتب الأدب العربى القديمة ، مثل : (الأمالى) و (الكامل للمبرد) و (العقد الفريد) .

وتفاعلت كل هـذه الثقافات معـا ، بحيث أعدّته ليقوم بدوره فى النهضة الأدبية العربية الحديثة .

وفى عام ١٩١٧ م نشر « كامل » الشاب أول قصة للأطفال : فى جريدة « النسر المصرى » .. وفى عام ١٩٢٢ م نشر أولى قصائده للأطفال فى مجلات : « الرجاء ، والعالمين ، والحاوى » ؛ وذلك فى وقت لم يكن هناك فيه أى اهتمام بأدب الأطفال . بل بالتربية وعلم النفس على الإطلاق .

وهو يقول : إن الذى دفعه إلى اتخاذ الخطوات العملية نحو ذلك ، هو رؤيته أولاده يحرمون من الكتاب العربى الذى يمتعهم ويثقفهم ، على عكس الأمر فى اللغات الأجنبية .

ومنذ ذلك التاريخ ، أى منذ ستة وثلاثين عاما ، والأستاذ « كامل كيلانى » يقدّم كتابا بعد الآخر ؛ ومستوى هذه الكتب يتدرج ما بين مستوى أطفال الرياض ، والشباب الذين أوشكوا أن يدخلوا الجامعة ؛ وقد عبّر عن هذا النشاط الشاعر المرحوم « أحمد شوقى » ـ حين وصفه ـ بقوله : « الأستاذ الكيلانى كعقرب الثوانى : قصير ؛ ولكنه سريع الخطى ، منتج ، يأتى بدقائق الأمور » .

منهج الكيلانى :

والأستاذ « الكيلانى » لا يقوم بمجهوده على غير منهج ، ولهذا المنهج أسس ثلاثة :

أولها تشويق الطفل وتحبيبه فى الكتاب .
وثانيها تجنيبه الخطأين : اللفظى والمعنوى .
وثالثها التدرّج به من مستوى إلى آخر .

أما فيما يتعلق بالنقطة الأولى ، فقد كانت الكتب المقدمة لقرائها فى المدارس الابتدائية ـ منذ ثلاثين عاما ـ كتبا لا يعنى فيها العناية الكافية بترغيب الطفل فى الإقبال عليها .. وكانت صورها مطموسة ، بحيث

يمكن أن تدل على أى شىء إلا المقصود منها. فأخذ « الكيلانى » على عاتقه أن يعنى بهذه الناحية، حتى إن المستشرق الإيطالى الأستاذ « كارلو نلينو » بعث إليه برسالة جاء فيها: (وإنى لأحبذ أوفى تحبيذ، تلك العناية التى تبذلها فى انتقاء الموضوعات أولا، والأساليب ثانيا، وأحجام الحروف ثالثا.. وترتيب ذلك ترتيبا يتمشى - بنجاح تام - من الأطفال إلى الشباب، وفق تدرجهم فى أسنانهم ومداركهم.

كما يسرنى أن أنوه بالرشاقة والوضوح، اللذين فى فن تلك الصور المبدعة التى ازدانت بها هـذه الكتب).

(المرجع السابق صفحات ٧٧ — ٧٨).

أما فيما يتعلق بالعمل على تجنيب الطفل الخطأ اللفظى، فسببه أن « الكيلانى » لاحظ أن أكثر الكتب غير مشكول، والمشكول منها به أخطاء، مما يعوّد الطفل القراءة الخطأ. فإذا كبر ونطق الكلمة خطأ على مسمع من الناس، ثم ردّه أحدهم إلى الصواب، اعتبر هذا اعتداء على كرامته؛ فيلعن اللغة وكل ما يمتّ إلى اللغة بصلة.

وليست الدعوة إلى العامية إلا نتيجة لهذه الأمية فى القراءة؛ فلو كان الكاتب وقراؤه قد قرأوا الكلمات مشكولة - منذ طفولتهم - لما كان طريق اللغة العامية هو الطريق الأيسر أمامهم: كتابة، أو قراءة.

كذلك لاحظ « الكيلانى » أن أساتذة اللغة العربية يدرسون للطفل النصوص الأدبية، ويتركون أجمل ما فيها، ليطالبوه بالإعراب والصرف.. والإعراب والصرف بالنسبة للغة كفن التشريح بالنسبة للطب: يدرس فى كليات الجامعة، ولا ينبغى تدريسه فى المدارس الابتدائية أو الثانوية.

إنما الوسيلة الوحيدة لتعلّم العربية، هى القراءة المستديمة للعبارات الفصيحة المشكولة غير المشكوك فى عروبتها.

وهذا هو الأساس الصحيح لجميع من يدرسون مختلف اللغات ، وهو الأساس الذى تصبح به اللغة ملكة .

والشكل فى اللغة العربية يقابل حروف العلّة فى اللغات الأجنبية ، فكما أن الكلمة فى اللغات الأوربية لا تستقيم قراءتها بغير حروف العلّة ؛ فكذلك الكلمة فى اللغة العربية لا تستقيم قراءتها بغير شكلها .

ولهذا حرص الأستاذ « الكيلانى » على إتاحة الفرصة للطفل حتى يقرأ الجمل العربية الصحيحة المشكولة ، بعد أن حرم من الأستاذ القادر على الفصحى ، والوالدين القادرين على التكلّم بها .

كذلك حرص على تقريب الفجوة بين العامية والفصحى ؛ فمن أكبر أسباب انصراف الكثيرين عن الفصحى إحساسهم بغرابتها عن تلك اللغة التى تجرى على لسانهم - فى الحياة العادية - رغم أن فى هذه اللغة الجارية عددا كبيرا من المفردات الفصحى . فمثلا كلمة « وَزّة » - بفتح الواو - نظنها كلمة عامية ، ونصرّ على استخدام لفظ « إوزّة » حين نريد نطقها بالفصحى ، مع أن اللفظ الأول فصيح أيضا . .

ولهذا فهو يحرص على أن يضع فى كتبه الألفاظ الفصحى التى تجرى على ألسنتنا — فى الحياة اليومية — مثل كلمات : شاف — زعل — نط — ساب — هريته — دكان — حصيرة .. إلخ .

ولكن الأستاذ « كيلانى » يحرص أيضا على أن يكون لدى الطالب ثروة لغوية ؛ فيعرض عليه كلمات مترادفة ، ويجعل الكلمة الأقل استعمالا فى السياق العام ، ثم يضع معناها المعروف بين قوسين ؛ بل إنه أحيانا ما يثبت فى نهاية الكتاب قائمة بالكلمات الجديدة وتفسيرها كما فعل فى كتابه (بدر البدور ، وحكايات أخرى) ، وذلك حتى يتعرف الطالب على كلمات ستقع عليها عينه — حتما — عندما يقرأ - فيما بعد - التراث العربى القديم : شعرا ، أو نثرا .

ومع ذلك فهناك بعض الكلمات التى لا أظن أن الأستاذ « الكيلانى » قد أورد لها معنى دقيقا . مثال ذلك ما جاء فى « الكوميديا الإلهية » — فى أول الفصل الثالث — بعنوان « باب الجحيم » صفحة ٢٣ ، حيث يشرح السرمدى بكلمة الأبدى ، وكلمة الأزلى بالأبدى أيضا ؛ ثم يعود فيشرح السرمدى بالخالد ؛ فهذا الشرح لا يوضح فى ذهن الناشئ أن لكل لفظ معنى محـــددا ، مع أن الأزلى هو الذى لا بداية له ، والأبدى هو الذى لا نهاية له فنقول : منذ الأزل وإلى الأبد ، ولا نقول العكس .

أما السرمدى فهو الأزلى ، الأبدى الذى لا بداية له ولا نهاية .

هذا فيما يتعلق بالجانب اللغوى ..

أما فيما يتعلق بتجنيب الطفل الخطأ المعنوى ، فكتب « الكيلانى » لا توهم الطفل أن الحياة كلها خير ، ولكنها لا تقول له إنها كلها شر . فمثلا فى قصة « الفيل الأبيض » ، نجد أن الأستاذ « كيلانى » يوضح للطفل شوك الحياة ووردها معا .

فالفيل الأبيض يصنع معروفا فى الصياد الذى ضلّ فى الغابة ، فينتهز الصياد الجاحد هذه الفرصة للعودة إليه وصيده وإهدائه للملك .. فيمرض الفيل ، وتكاد أمه العمياء تموت من الألم ، ويمتنع عن الأكل ..

ويعرف الملك قصته : فيأمر بإعادته إلى أمه . وهنا تقول الأم : « ألم أقل لك إن الناس أشرار ؟ » وتضرب المثل بالصياد .

فيقول لها : « وفى الناس أخيار » ويضرب لها المثل بالملك .

ولو أن البعض قد يأخذ على هذه القصة أنها جعلت الصياد - وهو الذى يمثل الشعب - جاحدا خائنا ، بينما الملك هو الذى يمثل عنصر الخير ؛ ولكننا إذا نظرنا نظرة أعم ، واعتبرنا أن الصياد والملك يمثـــلان الناس ؛ فإن مغزى القصة يكون : إن فى هؤلاء الناس أخيارا ، كما أن فيهم أشرارا .

وفى قصة (شمشون الجبار) نراه يصف « دليلة » بأنها صاحبته ، بدلا من زوجته ؛ حتى لا يرتبط معنى الزوجية بالخيانة فى ذهن الطفل .

كما يقول فى نهاية القصة : إن شمشون حطم أعمدة القصر ، وليس أعمدة المعبد ؛ لارتباط المعبد فى ذهن الطفل بالجامع والكنيسة.

ولكنى أحسب أن الأستاذ « كيلانى » لم يوفق فى بعض قصصه — من هــذه الناحية — ففى قصته مثلا « لولبة أميرة الغزلان » نجد أن لولبة كذبت على « الأسد الفراس » لتتخلص منه ، فقد أوهمته أن هناك أسدا آخر اسمه « الهراس » يبحث عنه ليقتله .. وتمضى القصة على هذا النحو :

الفراس يسأل : أين الهراس لأقتله ؟

لولبة تقول : تعال معى لتراه .

الأسد شاف صورته فى الماء .

الأسد ظن أنه رأى الهراس .

الأسد صدق كلام لولبة .

الأسد نط فى الماء ، ليقتل عدوّه .

الأسد غرق فى ماء البحيرة .

لولبة فرحانة بنجاح حيلتها .

حقا : إن القصة تريد أن توضح أن الحيلة تغلب القوة ، لكن الحيلة هنا ترتبط فى ذهن الطفل بالكذب ؛ ولكن أمثال هذه القصص قليل إذا قيس بالمجموعة الضخمة التى قدمها أستاذنا « الكيلانى » .

ولا يقف « الكيلانى » عند تجنيب الطفل الخطأين : اللفظى والمعنوى ، بل هو يهدف أيضا إلى التدرج من مستوى الرياض حتى مستوى الشباب .

* * *

ويقول « الكيلانى » إن منهجه فى ذلك يتلخص فى قصة « الثور » الذى كانت تحمله إحدى الإسبانيات : صاعدة به درجات السلم ، وهابطة به دركاته ، والذى جعلها تقوى على ذلك . أنها تعوّدت أن تحمله منذ طفولته . فكذا إذا تعود الطفل - من صغره - أن يقرأ الجمل الغربية البسيطة الصحيحة . استطاع - فيما بعد - أن يقرأ بسهولة الأعمال الأدبية الكبيرة .

فى القصص المكتوبة لأطفال الرياض نجد التكرار المقصود ، والأستاذ « الكيلانى » يقول فى ذلك : من المشاهد المألوف أن الطفل إذا قصّ عليك خبرا ، لجأ إلى تكرار الجمل ، كأنما يتثبت من معانيها فى ألفاظها المكررة ؛ فلنكتب له - وهو فى هذه السن - محاكين أسلوبه الطبيعى فى تكرار الجمل والألفاظ ، لنثبت المعنى فى ذهنه تثبيتا ، ولنكرر له الجمل برشاقة ، ليسهل عليه قراءتها .

ويتضح هذا المنهج فى المثال الآتى :

هذا هو مصطفى الذى وضع الكعكة فى الصندوق .

هـــذا هو الفأر الذى أكل الكعكة التى وضعها مصطفى فى الصندوق .

هذا هو القط الذى أكل الفأر الذى أكل الكعكة التى وضعها مصطفى فى الصندوق .

هذا هو الكلب الذى عضّ القط الذى أكل الفأر الذى . .

هذه هى البقرة التى نطحت الكلب الذى عض القط الذى . .

هذه هى ليلى التى تحلب البقرة التى نطحت الـكلب الذى عض إلخ . .

وهكذا يقرأ الطفل صفحة كاملة بمجهود يسير .. ولـكى يطمئن الأستاذ « كيلانى » إلى ثبوت الألفاظ والعبارات فى ذهنه . نجد فى نهاية بعض القصص صورا لحيوانات وآلات وأدوات منزلية وغير ذلك ، يطلب من الطفل أن يضع أسماءها . . كما توضع بعض عبارات الحـكاية ناقصة ، ويطلب من الطفل إتمامها .

وفى الوقت نفسه ، وضع الأستاذ « كيلانى » فى مجموعته ، مفردات اللغة الأدبية السائرة الضرورية لنهضتنا ، بعد أن هيأ لها الجو بحيث يمر اللفظ العربى الفصيح ـ فى المجموعة ـ حوالى خمس وعشرين مرة .

ويقول الأستاذ « كامل » : إن الطفل بعد أن ينتهى من مغامرات « جليفر » ، و « الـكوميديا الإلهية » ، و « عجائب الدنيا الثلاث » ، يستطيع أن يقرأ « المعرى » و « وابن الرومى » و « المتنبى » كما يقرأ صحيفة عربية .. وهو فى الوقت نفسه عندما ينتهى من قراءة آخر كتاب مشكول ، تصبح قراءة اللغة العربية الصحيحة ملكة لديه .

هذا من الناحية اللغوية !.. ولـكن الطفل يخرج ـ فى الوقت نفسه ـ مزوّدا بجميع ما يلزمه من الثقافة الأساسية التى يعيب الإنسان ـ فى منتصف القرن العشرين ـ أن تنقصه ، سواء من الناحية العلمية أو الأدبية .

فقد عنى « الـكيلانى » فى مجموعته بوضع البذور الضرورية التى تؤهل الطفل ـ بعد ذلك ـ لفهم الروائع العالمية : شرقية أو غربية ، مثل قصص : « شكسبير » ، و « أساطير الإغريق » ، و « ألف ليلة » ، و « الـكوميديا الإلهية » .

وهكذا لا يفاجأ بقراءة هذه الأعمال الخالدة عندما يـكبر ، بل تـكون لديه فـكرة أو خبرة ذهنية ، تغريه بالاطلاع عليها فى أصولها ، فيما بعد .

مشروع الترجمة :

ولم يكتف الأستاذ « كيلانى » بهذا .. ففى عام ١٩٤٦ م بدأ فى إخراج كتبه وأمامها الترجمة الإنجليزية ؛ لأن بعض الباكستانيين كانوا يريدون تعلم العربية وهم يعرفون الإنجليزية . ثم بـــدأ يترجمها إلى الفرنسية ، تلبية لرغبة بعض العرب فى شمالى إفريقيا .

يقول المستشرق المجرى الأستاذ « عبد الكريم جرمانوس » :

(إن الأستاذ « كيلانى » لم يكتف بما أصابه من النجاح فى هذا الميدان : ميدان تعليم الأطفال اللغة الفصحى ، بل أخذ على عاتقه تبعات جساما أكثر خطرا وأبعد أثرا : ألا وهى تعليمهم اللغات الأجنبية ..

وتيسيرا لذلك ، شرع «كامل كيلانى » فى إخراج كتب مصورة .. حتى يتسنى للأطفال أن يتعلموا العربية وما يقابلها بكل من اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية . متوخيا - فى ذلك - منهجا بارعا يجتذب اهتمام القارئ .. وبذلك يتغلب ألوف المتعلمين على صعوبة الإلمام بلغة أجنبية ، وما يعترضهم من قوانينها النحوية الجافة من عقبات .

وعن طريق هـذا المشروع ، يتسنى للأطفال أن يتعلموا العربية وما يقابلها من لغات .

كما يتسنى للذين يتكلمون هذه اللغات الأجنبية ، أو يعرفونها ، أن يتعلموا العربية .

مكتبة الشباب :

ولكن الأستاذ « كيلانى » لا يفارق أطفاله ، بعد أن يشبّوا قارئين مكتبته التى وضعها للطفولة ، إلا ليلقاهم وليلقوه ـ مرة أخرى ـ فى كتبه القيمة التى ألفها لهم فى الاجتماع والتاريخ .. وفى إرشاده لهم ، وتعريفهم بأساتذة الأدب ، وشعراء العربية ، مثل : « ابن الرومى » و « ابن زيدون » و « أبى العلاء المعرى » . وبذلك يستطيعون أن يتمتعوا بآثار هؤلاء بلا مشقة) (من كلمة للمستشرق « عبد الكريم جرمانوس » — المرجع السابق صفحة ٣٧) .

* * *

ويستطرد الأستاذ « جرمانوس » قائلا :

(ولا تقتصر فائدة هذه الكتب على الأطفال والشبان الشرقيين فحسب ؛ بل نستفيد منها نحن الأجانب الذين يدرسون العربيـة ، ويتلقون علمهم لهـا من كتب ومعاجم) (المرجع السابق صفحة ٣٨) .

* * *

وقد شرح الأستاذ « الكيلانى » ـ فى مقدمة كتابه « حديقة أبى العلاء » ـ منهجه فى هذا اللون من الكتب الذى يلقى به الأطفال بعد أن يشبوا . فهو يقول : إنه كان يشعر دائما أن الحاجة ماسة إلى تنسيق مكتبة أخرى للشباب — بعد أن تم له تنسيق مكتبة الطفل وتكوينها — تجمع كثيرا من فنون الأدب العربى فى عصوره القديمة والوسطى والحديثة .

ثم يقول : إنه ترجم « رسالة الهناء » لأبى العلاء المعرى ، إلى أسلوبنا العصرى ؛ ذلك لأن أسلوب المعـــرى أشبه بالغابة منه بالحديقة ، وبالخمر المعتقة منه بالخمر الممزوجة بالماء ، وأنه جعل هذه الترجمة أو التبسيط إلى جانب الأصل ليقبل كل شخص على النوع الذى يجتذبه ، فإن كانت الغابة أروع فإن الحديقة أروح . ومن شاء فليشرب مشعشة ، ومن شاء فلينعم بها صرفا .

وهذا هو ما فعله الأستاذ « الكيلانى » فى « رسالة الغفران » للمعرى أيضا .

ولكن الدكتورة « بنت الشاطئ » أخذت على رسالة الغفران التى أخرجها الأستاذ « الكيلانى » وشرحها ، أنه أضاف إلى النص وحذف .. (والعجيب أن الأستاذ . . بتر من الغفران قطعا وقصائد وفقرات لها خطرها على المتن . وقيمتها فى تقويم الرسالة ، والحكم على خصائصها الفنية ، مثل المقدمة كلها . . الخ) (رسالة الغفران تحقيق وشرح « بنت الشاطئ » صفحة ٢٠ من المقدمة) .

وفى صفحة ٢٢ من المقدمة تورد بعض العبارات التى حذفها « الكيلانى » ، وتعزو ذلك إلى غموضها عليه .

وفى صفحة ٢٥ تورد بعض الأمثلة للأعلام التى وردت محرفة فى نسخة « الكيلانى » وتعريفه بعض الأعلام تعريفا خاطئا . ولكنها تختم تعليقها على نسخة « الكيلانى » بقولها : (وبعد فما ننكر فضل الأستاذ « كيلانى » فى التعريف « برسالة الغفران » والدعاية لها بين المتأدبين .

ولا نطمع منه بأكثر مما فهمه من تحقيق النصوص وما جاء به فى مقدمتها ، فما كانت ظروفه ووسائله ، تتيح له أكثر من هذا فى ذلك الأمس البعيد . . وله علينا أن نقدر ذلك ونذكره له) . (صفحات ٢٨ — ٢٩) .

* * *

والواقع أن هذا ليس خطأ « الكيلانى »، لأنه لو انصرف إلى تحقيق النصوص لانصرف عن المهمة التى تفرغ لها . إنما هو خطأ عدم وجود كثرة من محققى النصوص، بحيث يقدمون النص محققا لأمثال الأستاذ « الكيلانى »، ممن يريدون أن يتفرغوا لمهام أخرى .

إن الأستاذ « كامل كيلانى » ما يزال يعمل — كما كان يعمل منذ أكثر من ثلاثين عاما — فى صمت ودأب ؛ فمزيته كما يقول صديقه الأستاذ « محمد صادق عنبر » : « هى صبره الجميل على المعاناة » .

* * *

حقا إن أكثر قصص « كامل كيلانى » ليست من تأليفه ، إنما فضله فيها فضل الناقل أحيانا أو المبسط أو الشارح أو المهذب أحيانا . وبهذا يفترق عن مؤلف مثل « هانز كريستان أندرسون » ؛ ولكن هذا لا يقلل من قيمة العمل الذى قام به : فقد فتح بابا جديداً فى اللغة العربية ذا هدفين : حفظ هذه اللغة من ناحية ، وتثقيف أطفالنا وإمتاعهم من ناحية أخرى . ويكفى أن نعلم أن الأستاذ « كيلانى » قد استطاع أن يقوم بهذا العمل الضخم ويكرس له وقت فراغه وهو يعمل موظفا بوزارة الأوقاف — زميلا للأستاذ « نجيب محفوظ » — حتى أحيل إلى المعاش .

* * *

إن أقل ما يستحقه هذا الرجل هو أن تكافئه الدولة بجائزتها المقبلة فى الأدب : فتكون هذه لفتة من الدولة لأدب الأطفال وتقديرا منها لهذه الخطوة الأساسية فى حياة الفرد الثقافية فى البلاد العربية .

* * *

ولسنا نجد ما نختم به هذه الكلمة خيرا مما قاله المستشرق الإيطالى الأستاذ « كارلو نلينو » : (ولئن صح يقينى ، لتكونن نسيج وحدك فى عالم التأليف للأطفال فى البلاد العربية قاطبة . . فإن كتبك قد جمعت إلى براعة التسلية حسن الأسلوب ، ووفرة المعلومات معا .

ولست أرى لها مثيلا إلا تلك الكتب التى تدرس فى مدارس « أوربة » - إلى جانب الكتب المدرسية - لتثير فى أنفس الأطفال والشباب حب الاطلاع وحب التسلية ، كما تثير فيها — إلى جانب ذلك — حب التفكير ، وتمهد لها طرائقه) (نقيب الأدباء صفحات ٧٦ — ٧٧) .

آراء وأحاديث

آراء وأحاديث

منــــذ أخذت الصحف العربية بأسلوب الأحاديث والاستفتاء والحصول على الآراء المختلفة فى القضايا الوطنية والاجتماعية والثقافية .. و « كامل كيلانى » فى مقدمة من تستقبلهم الصحف وتحرص على آرائهم .

وقد جمعنا ـ فى هذا الباب ـ طائفة من أحاديث منوّعة ، أدلى بها أو تحدث فيها بعض عارفيه عن فنه واتجاه تفكيره .

وتضم هذه الحلقة دراسات متصلة فى فترة لا تقل عن ثلاثين عاما ، وقد جمعت من مجلات متعددة أمثال :

كل شىء ، والأهرام ، ومنبر الشرق ، والرسالة ، ودمياط ، ومصر الفتاة ، والزمان ، والاثنين ، والبلاغ ، والدنيا (بيروت) ، والأخبـار ، وبيروت المساء ، والأضواء ، وصوت الشرق ، والمساء ، والإذاعة .

وهى فى مجموعها تعطى صورة « كامل كيلانى » المنوع الاتجاهات والأهـــداف ، القادر على امتلاك دفة الحديث وبراعة الإجابة على الأسئلة ، فى أسلوب مرتب ، متزن مرن ، فيه الفكاهة والطلاقة وروح الدعابة الحلوة ، مع العمق الواضح ، والتواضع الجم .

وهو — فى هذه الأحاديث — ينتقل من رأى فى الوطنية والدعوة إلى الوحدة ، إلى علاج مشكلة اجتماعية ، إلى الحديث عن « براميل جحا » ، إلى الفكاهة فى الأدب العربى .

وبالرغم من اختلاف مظهرها وموضوعاتها ، فهي — في جملتها — ترسم صورة للرجل الذي وهب حياته لفنه ، وللغة العربية ، غيوراً عليهما ، حفيًّا بهما ، مدافعا عنهما ، وقد امتزجا في نفسه امتزاجا كريما ..

وهذه هي موضوعات هذا الباب :

(١) مع «كامل كيلاني» (مجلة كل شيء) ١٩٣٠/٦/١٢

(٢) في معاني التكريم (محمد أمين هلال) ١٩٣٤

(٣) الفنان الحالم (عطية فهمي شاهين) ١٩٣٤

(٤) كرسي لـ«أبي العلاء» في الجامعة (الأهرام)
(حق العظم) ١٩٤٣/٣/٢٤

(٥) «كامل كيلاني» : الصورة الثانية لـ«أبي العلاء»
(منبر الشرق) (حسني أبو العلا) ١٩٤٣/٤/٢٨

(٦) الترجمة الإنجليزية «لرسالة الغفران» (الرسالة)
(ممدوح حقي) ١٩٤٤/١/١٠

(٧) «كامل كيلاني» وثلاث مكتبات (دمياط)
(طاهر أبو فاشا) ١٩٤٥/٣/١٢

(٨) الوحدة في سبيل تحرير الوطن (مصر الفتاة) ١٩٤٨/٨/ ٥

(٩) أساتذة «كامل كيلاني» (الزمان) (أنور الجندي) ١٩٥٢

(١٠) مشاكل المجتمع (مجلة الاثنين) رد على استفتاء ١٩٥١/٣/١٩

(١١) الفكاهة والكاريكاتور (البلاغ) (حسان) ١٩٥٢/٣/١٥

(١٢) براميل «جحا» في حياتنا العامة (مجلة الاثنين) ١٩٥٢/٣/١٧

(١٣) ٤ ساعات مع «كامل كيلاني» (مجلة الدنيا ببيروت)
(راتب الرواس) ١٩٥٤/٨/١٣

(١٤) رجل سفارة العمل (الأخبار)

(الدكتور فون ليرز) ١٩٥٦/٦/٢٩

(١٥) مع أستاذ الجيل (بيروت المساء)

(أسامة عانوتى) مايو ١٩٥٦

(١٦) أضواء على حياة « كامل كيلانى » (الأضواء) يناير ١٩٥٧

(١٧) « نقيب الأدباء » يتحدث (صوت الشرق)

(أحمد الشرباصى) ديسمبر ١٩٥٧

(١٨) بين « أبى العلاء » وأبى « خربوش » (المساء)

(فوزى سلمان) ١٩٥٩/٣/٤

(١٩) ولىّ يُزار (محمد على الحومانى) ١٩٥٩/٥/٧

(٢٠) عشت طفولتى وحياتى أنتظر علقة من أبى ؟

(المراكبي) (الإذاعة) ١٩٥٩/٨/٨

مع كامل كيلانى[1]

بقلم : ع

الأستاذ « كامل كيلانى » فتى لم يتجاوز الخامسة والثلاثين ، فى ربيع الشباب ، يصدف عن لذائذ الحياة إلى إشباع شهوة عقله - إن صح أن يكون للعقول شهوات - ويعكف على القراءة والدرس ، فيخرج للناس — فى مدى أعوام قلائل — مؤلفات أقل ما فيها أنها أنفع وأجدى على العقول من كثير مما تخرج المطابع فى مصر .

وجهت إليه أسئلتى ، فأجاب :

« ليس لى وقت خاص أكتب فيه ، ولا مكان خاص ، ولا طريقة خاصة .

على أن خير الأوقات التى يحلو لى فيها الكتابة ، هى الأوقات التى أشعر فيها بأن صحتى محتملة ، وأن الضعف الجسمانى — الذى يكاد يلازمنى — قد حل مكانه شىء من النشاط والصحة .

وكثيراً ما يحلو لى أن أكتب ليلا ، أو سحراً ، على شرط أن أضطر إلى الكتابة اضطراراً .

وربما حسبت — لكثرة ما أكتب — أننى شغوف بالكتابة ، والحقيقة أننى من أزهد الناس فى الكتابة ، وإن كان شغفى بالقراءة قد أربى على كل حد .

أما الكتابة ، فإنى أهرب منها هروباً ، ولا يضطرنى إليها إلا تقيدى بمواعيدها الإجبارية ، وتقديرى التبعة المترتبة على التوانى فيها .
ولست أتعب فى كتابة الموضوع ، وإن كنت أتعب فى التفكير فيه

(١) حديث نشرته مجلة كل شىء فى ١٢ يونيه سنة ١٩٣٠ .

قبل كتابته .. وربما لازمتنى الفكرة أشهراً — إن لم أقل سنين — وأنا لا أجد الفرصة لقيدها كتابة ، ولست أكتب إلا فى آخر الوقت .

وربما شغلتنى أعمالى طول يومى ، فأعود إلى البيت فى التاسعة أو العاشرة أحياناً ، ثم أبدأ فى الكتابة حتى أتم الموضوع الذى بدأت فيه ، ولو مضى فى ذلك الليل كله .

وليس يعوقنى عن الكتابة أن يتكلم بجوارى ألف شخص ؛ ولكن الصياح ـ وحده ـ هو الذى يزعجنى ، ويقطع علىّ تفكيرى ، ويهيج أعصابى إلى أقصى حد .

وليس يعوقنى أن أكون جالسا بين أولادى وزوجى أثناء الكتابة ؛ بل قد يحبب إلىّ ذلك وينشطنى تنشيطاً .. وربما أنصت إلى حوارهم اللذيذ فى بعض الفترات التى أستريح فيها من الكتابة .. وقد أقص عليهم قصة قصيرة ، أو أشاركهم فى حوارهم ، ثم أعود إلى الكتابة .

* * *

وقد عرفوا أننى لا أغضب إلا إذا طلبوا إلىّ أن أتكلم ، أو أبدى رأيى فيما يريدون أثناء الكتابة .

وهذه عادتى أثناء القراءة أيضاً ، وقد ألفوا منى ذلك : فأصبحوا يتكلمون فيما شاءوا من المواضيع دون أن يوجهوا إلىّ سؤالا واحداً .

* * *

أما شعورى نحو مؤلفاتى ... فهو شعور عجيب حقـــاً ؛ فإننى لا أكاد أفرغ من إظهار كتاب حتى أشتغل بغيره ، وينصرف كل جهدى وتفكيرى إلى المؤلف الجديد ، فلا أكاد أفكر فى المؤلفات القديمة .. وكثيراً ما أتحاماها وأهرب من قراءتها بعد طبعها ..

وربما ساقت المصادفات إلىّ كتاباً منها ، ولم أجد أمامى غيره ، ففتحت الكتاب مؤثراً القراءة فيه على البقاء وحدى بدون قراءة .

ولا أكاد أقرأ فيه حتى آنس به وأطرب لقراءته ، كأنى قارئ غريب .. وربما قرأت فصولا دون أن أشعر بملل ، حتى إذا طويت الكتاب عاودنى شعورى القديم وتحاميت النظر فيه ، وهكذا دواليك ..

ولعلك تحب أن تعرف رأيي فيما أكتبه — كما عرفت شعورى نحوه — فأنا أرانى ، كالمصور : رأى أمامه منظراً رائعاً ، فأراد أن يصوره .. ولكن موعد القطار وشيك ؛ فلم يشأ أن يترك هذا المنظر الرائع ، ولا أن يدع موعد القطار ؛ فأسرع إلى قلمه الرصاص فرسم صورة كاريكاتورية لذلك المنظر ، مؤمّلا أن يجد فترة راحة ليصور ذلك المنظر وفق ما يشتهى . وأبى الزمن إلا أن تكون هذه الصورة - هى الأولى والأخيرة - التى تنشر للقراء .

أما أشهى مؤلفاتى وأحبّها إلى نفسى ، فهى البحوث الجديدة التى أكتبها بعنوان — « صور جديدة من الأدب العربى » .

على أننى أفضل عليها — ولعلك تعجب من ذلك — سلسلة كتب « قصص للأطفال » ؛ لأننى أعتقد أنها ضرورية ، وأن ظهورها يرمى إلى تحقيق أنبل فكرة ، لأسمى غاية .

فى معانى التكريم(١)

بقلم الأستاذ محمد أمين هلال

تجد الأمم الحيّة كلما نبغ فيها أحد أبنائها فى أيّة ناحية - من نواحى عظمتها - أشادت بذكره، وأقامت له حفلات التكريم: حكومة وشعباً، تقديراً للفضل، وتشجيعاً على الازدياد فيه، وإيذاناً بأن النبوغ يجد من الإجلال والإكرام المحل العظيم؛ فيجرى الكرام على آثاره، ويتنبّه الغافلون، ويعمل العاملون.

ولقد رأينا مصر وقد أخذت - منذ نصف قرن أو أكثر - تنفض عنها غبار الخمول الذى خلفته عهود الظلم والجهالة، وظهر فيها أفراد ضربوا فى نواحى العظمة بسهم، وأفادوا بلادهم بما وهبوا من إخلاص وعبقرية ؛ فأحلتهم فى سويدائها، وأوسعت لهم على صفحاتها، يخطون فيها جليل ما صنعوا، فبنوا لهم - فى هيكل المبرات - مجداً، وتركوا لأعقابهم ذكراً باقياً، وفضلا مخلداً.

ولا يتسع مجالنا الآن — فى هذا الحفل الحاشد، والوقت محدود — أن نقص أسماء بعض هؤلاء الغر الميامين ؛ فإنكم — وكلكم من صفوة المتعلمين، ذوى الثقافات الرفيعة — تعلمون الكثير عن هؤلاء الفضلاء.

ولعل هذا العام أحفل الأعوام التى أقيمت فيها حفلات التكريم من جماعات يقدرون الفضل لذويه، غير ناظرين إلى اختلاف فى المشارب، أو تفاوت فى درجات المكرمين.

---

(١) ألقيت هذه الكلمة فى حفل تكريم « كامل كيلانى » سنة ١٩٣٤م.

وإذا كان الكتاب — كما يقولون — يُقرأ من عنوانه ، والنتائج تكون بحسب المقدمات ، فنحن فى حِل أن نقول — فى غير تأثم ولا تحرّج إذا لاحظنا أن هذا العام لم يشهد مثل هذا حفلا حافلا ، وحشداً يتجاوز الحصر من خلاصة أبناء الأمة : أدباً وفهماً — إن الأستاذ النابغة الكبير « كامل كيلانى » فاز بالقدح المعلَّى فى هذه الحفلات ، فشهّاد فضله أكثر عديداً ، ومقــــدرو نبوغه أجل شهوداً .

فلماذا نال أستاذنا الألمعى ، هذه الحظوة التى تندق الأعناق دون تطاولها ، وكان المجلى فى هذا الميدان ؟

الأمر واضح لا يحتاج إلى شرح أو إسهاب ، وإذا كان معيار التكريم أن يكون حسب الإنسان أن يبزّ سواه فى ناحية من النواحى الجليلة ؛ فما أحرى هذا « الكامل » أن يكرّم من كل الأمة بمطلع كل شمس ؛ فإن آثاره العلمية والأدبية ، وطرائقه الجديدة الممتعة ، تطالعنا فى الإصباح والإمساء ، ولا يحل الشهر إلا ويحل معه كتاب ـ من آثار نابغتنا ـ جديد .

نعم ، فهذا الشعر يقتضينا أن نكرمه فى شخصه ، والتأليف والترجمة من اللغات الحيّة التى أضاف بها آثاراً وروائع من أقلام كتاب الغرب وذخائر من نفائسهم إلى لغتنا الشريفة ، كل ذلك نتمله بأسلوب ممتع ، وقلم فذّ ؛ نخدم اللغة والبلاد خدمات مهما أطنب القلم فى البيان فلن يبلغ غاية الوصف .

وهذه كتب الأدب التى قدمها نابغتنا للمتأدبين ، بعد أن ألبسها من عبقريته ، وخلع عليها من ثمار قريحته : فقرّب مواردها ، وجعل تذوّقها على طرف الثمام ، حتى جعلَ ـ والله ـ أمثال : « ابن الرومى » و « المعرى » و « ابن زيدون » يخاطبون هذا العصر بلغة يفهمها الكبير والصغير ، ويتشوقها الأمير والحقير .

هذا شأن نابغة « بنى كيلان » فى هذه النـواحى .

أما شأنه فى القصص وفيما يتعلق بأبنائنـا : رجال الغـــد ، فعجب أى عجب !

وما الأقمار فى بهائها ، أو ذكاء فى عليائها ، بأكبر شهرة ، وأجلّ نفعاً من قصص « كامل » المفيدة ، ومكتبة الطفـل الجديدة .

فصار اسمه مرادفاً لآية التأليف ، وفتح لنا فتحاً مبيناً فى تربية الأطفال ، على خير مثال .

ولقد كنا — نحن المشتغلين بالتربية والتعليم — نحار كل الحيرة فى اختيار كتب أو قصص تغرى أبناءنا على القـراءة والسماع ، وتنطوى على الموعظة الحسنة والعبرة الجـاثمة . وتنتقـل بهذه النابتة إلى نتيجة تطبعهم على غرار من الخير والتثقيف ، وترقى بهم إلى مستوى يحبب إليهم الاطلاع ، ويسوقهم إلى الجودة فى الكتابة ، ويهديهم طريق النجابة ، كما كنا . . ونأسف كلما أبصرنا بجانب هذا الإمحال فى اللغة العربية خصبا ونماء فى اللغات الأوربية .

وما كان أشد سرورنا وغبطتنا ، حين قيّض الله « كاملا » ؛ فسدّ هذا النقص الكبير ، واستنّ - فى وضع تواليف للأطفال - سُنة لم تكن قبل موجودة .

وفى ظننا أن الزمن سيمتد بنـا جداً ، حتى نرى ا « كامل » ضريبا فى هـذا الباب ، مترسما لخطى هـذا الليث الوثاب !

أشرع هذا الألمعى المقدام قلمه يغزو هذا الميدان ؛ فوفق أحسن توفيق ؛ وصار عمله هذا ملء السمع والبصر ؛ فقد كان على نمط من حسن التعبير ، ودقة التركيب ، وسهولة ممتعة ، وألفاظ لا جافة ولا نابية ، تغرى على الاستماع ، وتنتقل بالناشئ الصغير من ظـلام الجهالة إلى ساحة النور والضياء ، انتقالا لا يشعره بسأم ولا ملل ؛ ففتح بهـا أمامـه باب المواهب ، وأعدّه فى هيكل الوطن مـداداً واعتداداً .

وحسبنا شهادة بعض أولئك الذين ينفسون عليه فضله ومكانته : فقد أنطقهم الله بالحق إنطاقا سجل على صفحات الخلود. قال :

« وقد كان « كامل كيلانى » والداً ، قبل أن يكون مؤلفا قصصا للأطفال ، ولهذا بثّ فى تأليفه روح الأبوة والشغف بتهذيب ولده ، وكان خير من يؤلف فى هذا الباب ، وكل والد يقدّر له هذا الجميل ، ويشعر بأن هذا عمل عظيم لا يقل - فى القدر - عن أعماله الأدبية الأخرى إن لم يكن أعظم منها » .

* * *

هذا أيها السادة قلٌّ من كثرٍ من أعمال وأيادى « نقيب الأدباء » وعميد المؤلفين وأمير المترجمين . . والإنسان - والله - يحار : أيهنئه على ما امتاز به من حسن الاختيار وبراعة الأسلوب ؟

أم يهنئه بما هيأ لأبنائنا من كتب وقصص كان لها أثر طيب واضح فى تنشئة عقولهم؟ أم يهنئه على وفرة نشاط وجهت مجهوده وجهات كلها صالح ومثمر ؟ أم يهنئه بنبوغه فى عديد اللغات ، ونقله لنا منها مشكاة وضاءة مصابيحها : فكانت للأدباء والمتأدبين نهجا قويماً فى تربية الذوق واتساع دائرة الخيال ، وتزويده بثروة علمية جليلة ؟

والحق أننا نهنئه بهذا جميعا ، ونهنئ به وطناً أنجبه ، كما أنجب كثيراً من الموهوبين ، وخلد العاملين .

أما بعد : فمن هذه بعض آثاره التى اعترف بها خصومه وأنصاره ، أولى له ثم أولى .. بأن يوضع مكان القلادة فى عنق الفضل ، ويتبوأ الذروة فى بناء التقدير وعرفان الجميل ، وأحق بقول زعيم الشعراء :

وما الدهر إلا من رُواة قصائدى إذا قلت قولا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يســـير مشمراً وغنّى به من لا يغنى مغردا

عشت - يا نقيب الأدباء - تمدّ الثقافة بعلمك ، وتفيد الوطن بآثارك !

الفنـــان الحالم

بقلم الأستاذ عطية فهمى شاهين

لست أريد أن أحدثكم عن الأستاذ « كامل » أديبا كبيراً يملأ جوانب الأدب العربى . أو مؤلفا دائب الحركة والنشاط - حتى أطلق عليه « عميد المؤلفين » - أو مربياً كريماً قدم للناشئة مُثلا عليا فى أدب الطفولة ، فصارت بفضله ناعمة هانئة تنظر المستقبل فى ابتسام ورضى ، أو اجتماعيا خطيرا ، جعل همه أن يربط الأرواح والقلوب ، وأن يقيم علاقتها على الإخلاص والحب والتعاون الروحى المتبادل ، أو صديقا وفيا حدبا على أصدقائه ، برًّا بهم ، مخلصا لهم فى السرّ والعلانية ، وفى المحضر والمغيب .

لست أريد أن أحدثكم عن شىء من هذا : بل أحب أن أقصر كلامى على شخصية الأستاذ « كامل » .

تبدو الشخصية فى مظهرين جوهريين : مظهر خارجى ، وآخر باطنى : فالأول تعبر عنه هذه الصورة الظاهرة للإنسان فى العالم الظاهر ، والثانى عبارة عن مجموع القوى الرئيسية التى تتكون منها ذاته الباطنة . .

فى هـــذين المظهرين تبدو شخصية الإنسان : لكننا نرى — بالمشاهدة والملاحظة — أن المظهر الخارجى كاذب خادع دائما ، إذا لم تعززه قوة باطنية .

فكثيرا ما تجلس إلى رجال يدلّ مظهرهم على شخصية تحدث أثراً قويا فى نفسك لأول عهدك برؤيتهم : فإذا حدثتهم ظهرت لك شخصية زائفة ، وتكشّف هذا المظهر فى صورة طفل ساذج ؛ فينقلب احترامك وتقديرك ، نعيا على هذا المظهر الذى يدل ظاهره على عكس باطنه .

وترى عكس هذا : رجلا ضئيلا لا يحدث ظاهره أى أثر فى نفسك ، بل قد لا تلتفت إليه إذا مرّ بك ؛ لكن إذا حدثك شعرت بقوة تهولك ، وجاذبية لا قِبل لك بمقاومتها ومغالبة سلطانها ؛ وتراك مدفوعا إليه بكل قواك ، لا تقدر على معارضته ، ولا تحتمل فِراقه ، كأن نفسك قد امتزجت بنفسه العظيمة القوية ، وكأن روحه قد غمرك ، فأصبحت خاضعاً له فى كل شىء .

من هذا الطراز الأخير ، صديقنا الأستاذ الكبير « كامل كيلانى » . إذا نظرته : رأيت أمامك رجلا ضئيل الجسم ، يظهر عليه الإجهاد والضعف ، لا تترك صورته أقل أثر فى نفسك ؛ لكن إذا رأيته محدثا ، أو قرأت آثاره الرائعة ، تكشفت قوة تملك على محدثه كل نفسه ، وسحرا يترك أثراً قويا فيها ؛ فتندفع إليه فى حب وإخلاص ، وتخضع لآرائه خضوعها للقدر ، وتمتزج بنفسه فتصبح « كاملة » فى كل شىء .

ولقد شاهدت أثر هذه القوة الغريبة مرارا كثيرة فى أحوال شتى ؛ فقد كنت أرى أناسا قد رسخت فى أذهانهم صورة سيئة عن الأستاذ « كامل » حتى كرهوه ، وكرهوا أن يسمعوا كلمة طيبة عنه . لكن شدّ ما كان يدهشنى ، حين أراهم — بعد أن يلتقوا به ، أو يقرأوا شيئا من آثاره — قد انقلبوا أفئدة وألسنة ، ترتل أناشيد الحمد والثناء ، والإعجاب والتقدير .

كان يدهشنى هذا حقا ، وكنت أسائل نفسى :

ترى : أى سحر هذا الذى ينفثه صديقنا فى محدثيه ومعاشريه وقرائه ، فيجعلهم يحفظون له الحب العميق والإخلاص المكين ؟ !

حقا : إنى لا أرى نعتا يمكن أن أصف به الأستاذ « كاملا » إلا أن أقول : إنه : ساحر ! وإن سحره صادر عن قوّة غامضة ؛

لكنه يتجلى فى أسلوبه قويا ، حتى إن كل لفظة يجرى بها لسانه ، آية من آيات السحر : تشلّ فى محدثه كل قواه .

أسلوب يترك فى النفس ما يتركه السحر .

ولست أريد أن أقول — فى هذه النقط — إن أسلوبه مقصور على فصاحة اللفظ ومتانة النسج ، وإن كان هذا أحد جوانب ، الأستاذ « كامل » ؛ بل أرمى — فى الحقيقة هنا — إلى شىء آخر : إلى تلك العذوبة والجاذبية القوية ، والإخلاص الصادق ، واللباقة المدهشة ، التى تبدو واضحة فى أسلوبه ، والتى هى فيض نفسانى يعمل عمل السحر ، أو المغناطيس يجذب إليه برادة الحديد !

هالنى ـ حقا ـ أمر هذه الشخصية القوية ، التى تقوم على قوة باطنية خارقة ؛ حتى إنى طالما حدثت أصدقاءنا فى هذا الأمر ، وتوفّرت على البحث عن مصدر هذه القوة العجيبة .

فإذا كان علم النفس الآن يعتمد على التجربة والمشاهدة ، فاسمحوا لى إذن أن أتحدث إليكم عن ملاحظاتى التى لاحظتها فى الأستاذ « كامل » ، لعلها تكشف لنا عن مصدر قوته !

يبدو الأستاذ كأنه يعيش فى حلم لذيذ ، وأنه ينعم بأطياف لطيفة تمرّ بخاطره ؛ فهو لا يكاد يفيق من حلمه ، وترى حديثه لا أثر للتكلف فيه ، ولا تراه يفكر حين يتكلم ، فهو يتحدث فى طلاقة غريبة ، حتى يخيل أنه يلقَّن ما يقول من عالم مجهول .

وتعجب حين يريد أنْ يملى سكرتيره فصلا من كتاب يؤلفه ؛ إذ تراه غاب بذهنه قليلا حتى أصبح لا يحسّ ما حوله ، ولا يسمع ما يقال له ، ثم ينتبه فجأة ، ينادى سكرتيره : أن اكتب ! فترى ـ حينئذ ـ سيلا يتدفق ، وأفكارا ترد فى سياق منطقى جديد ، وهو مُسرع فى الإملاء كأنه يخاف أن ينقطع فيض إلهامه ، وسكرتيره يسرع فى كتابته ، ولا يقوى على متابعته إلا بجد وعناء .

هذه الحياة الحالمة جعلت الأستاذ لا يعنى كثيرا بنفسه ، ولا يهتم بشئونها ؛ فلا يأبه لمأكل أو ملبس ، ولا ينشط لرياضة أو تسلية ؛ فكل لذته منحصرة فى أحلامه ، وفى عالمـــه المملوء بأطياف هذه الأحلام .

لذلك قد ترى الأستاذ سائرا فى الطريق يتعثر . لا يعرف وجهته تماما ، وقد تقابله — وأنت من أعز أصدقائه — فلا يتنبه إليك . وهو فى سيره معرّض لكثير من أخطار الطريق . وكثيرا ما أنقذه أصدقاؤه من الأخطار ، حتى أصبحت أتمثله أحد سكان « الجزيرة الطيارة » التى خلقها خيال « سويفت » ، فأبدع خلقها ، فهو يحدثنا عن سكانها فيقول :

(إنه شعب غارق فى التفكير ، لا يكاد يفيق : وهو صامت لا يصغى لما حوله . . لذلك اعتاد أن يصحب كل سيد خادما يحمل كيسا صغيرا مملوءا بالحصى ، معلقا فى أطراف عصى صغيرة ، يضربه بها على أنفه إذا رآه تعرض لخطر ، حتى ينتبه ويتلافاه) .

وصديقنا الأستاذ « كامل » ما أحوجه إلى خادم كهذا . . يصاحبه فى سيره ، حتى لا يتعرض لمكروه !

إذا عرفنا ـ بعد ذلك ـ أن الأستاذ كان شغوفا بالأساطير فى حداثته بدرجة مدهشة ، فعاش فى صغره فى جو مملوء بالأحلام والخيالات ، وأنه يتخذ دائما من الأساطير مثلا يطبقها على مظاهر الحياة . .

وهل الحياة إلا مجموعة من الأساطير تلبس ثوب الحقيقة !

أقول : إذا عرفنا كل هذا ، أدركنا أن الرجل حالم بطبيعته ، وأنه يستمد قوته من عالم اللاشعور ، الذى هو مصدر الإلهام ، والذى يمثل فى الحياة دوراً هاماً ، هو ـ فى الغالب ـ أهم من الدور الذى تملؤه الحوادث العقلية ، حتى إن أكثر الفلاسفة — وعلى الخصوص « وليم جميس وبركسون » — أخذوا يعزون أكثر الحوادث النفسية إليه .

وقد أشار إليه الدكتور « غوستاف لوبون » فى كتابه « الآراء والمعتقدات » ، فقال : (الإلهام الذى هو أصل الدهاء والعبقرية ، يصدر عن اللاشعور المهذب بالتربية الصحيحة .

نعم قد يلوح لنا أن إلمامات القائد الذى يدوّخ البلاد ، ويتحكم فى القـدر ، والفنان المـاهر الذى يبرز ما فى الأشياء من رونق وجمال . والعالِم الشهير الذى يستجلى الأسرار : هى أمور غريزية ، وإن أمكن ظهورها بتأثير بعض العوامل العقلية ، إلا أنها تتـكون فى عالم اللاشعور على كل حال) .

من كل هذا : أقرر أن الأستاذ « كامـلا » رجل ملهم ، يستمد إلهاماته من عالم اللاشعور ، وهذا هو سرّ قـوّته ، وهذا هو مفتاح نفسه ، وهذا هو العنصر الجوهرى الذى تتـكون منه شخصيته القوية الساحرة التى تـكمن وراء جسمه الضئيل الضعيف .

والآن يا صديق العزيز : تهـنَّأ بهذا الفيض الذى حَباك الله به ، فأمـدّك بقوة تقوم عليها شخصيتك العظيمة التى جذبتنا ، ودمجتنا فيها ، وطبعتنا بطابعها ، فأصبحنا ندين لك بالحب والإخلاص ، وجعلتك بحق « نقيب الأدباء » .

وإن فرحنا اليوم لعظيم ، وسرورنا لا يوصف ، إذ نرى مهرجاناً أدبياً رائعاً يجمع صفوة رجال الأدب وقادة الفـكر ، قـد أقيم لتقديرك وتـكريمك .

وكلمتى لك فى هـذه الساعة ، وأمام الحفل الكـريم : أنْ سِرْ يحدوك الله ويرعاك ، حاملا رسالة الأدب ، والخلق العالى ؛ فطريقك محفوف بالورود والرياحين !

كرسى لأبى العلاء فى الجامعة[1]

بقلم (صاحب الدولة) حقى العظم

أطالع - بعظيم الاغتباط - ما تحمل الصحف من أنباء الاحتفال بذكرى مرور ألف عام، على ميـــلاد شاعر العبقرية والحكمة : « أبى العلاء المعرى » !

وإنه لحميد ألا يغفل المفكرون وذوو الرأى هذه الذكرى، وأن تكون باعثا لهم على إحياء آثار « أبى العلاء » ، والانتفاع بها على خير الوجوه !

ومن الطبيعى أن تشتغل الخواطر بالتفكير فى أى الوسائل أهدى وأنجع ؛ للاستفادة التامة بتلك القوة الأدبية، والذخيرة الفنية التى حفظها لنا التاريخ — نحن جميع الناطقين بالضاد — من حكمة ذلك النابغة الفذ ، الذى يرتفع بشاعرية العرب وحكمتهم ، إلى أوج الشرف الخالد والمجد الباقى .

* * *

ولعل خير المقترحات - فى هذا الصدد - ما يتناقل الآن فى أندية الأدب ، من ضرورة إنشاء كرسى باسم « أبى العلاء » فى كلية الآداب بالجامعة المصرية : الأمر الذى أوجه إليه نظر الجامعة الدمشقية، والحكومة السورية باسم فيلسوفنا العربى العظيم .. وبذلك يتاح لناشئتنا النابهين أن يدرسوا فى كلتا العاصمتين العربيتين : الإفريقية، وأختها الآسيوية، ما أملاه صاحب « الغفران » و « اللزوميات » وغيرهما من الروائع ، دراسة بحث واستقصاء وموازنة .

(١) الأهرام فى ٢٤ / ٤ / ١٩٤٣ .

ولا يعوزنا فى تنفيذ هذه الفكرة شىء ، فمن حسن الحظ أن « أبا العلاء » لم يعدم - فى هذا العصر - من يقدره فى جميع الأقطار العربية ، ويتوفر على درسه .

وهذا هو الأستاذ « كامل كيلانى » فى مصر ، الذى حفلت مكتبات الشرق العربى - من أقصاه إلى أقصاه - بمؤلفاته الجمة ، ودراساته العميقة لفحول البيان وأئمة الشعر ، ولاسيما « أبا العلاء » .

فالأستاذ « الكيلانى » آية عصره فى الاختصاص بصاحب العيد الألفى ، واكتناه أدبه وفنه .. فإذن هو خير من يتولى كرسيه فى (الجامعة المصرية) ، فإن فى القطر السورى من الأدباء من يستطيع القيام بأعباء الكرسى عينه فى (الجامعة الدمشقية) أمثال الأستاذين : « محمد كرد على » (بك) و « عمر أبى ريشة » (بك) وغيرهما من أفذاذ العرب فى القطر الشقيق . وقد درسوا شعر الفيلسوف الخالد الذكر « أبى العلاء » ، وتعمقوا فى درسه وبحثه ؛ فهم خير من يتولون تدريسه لطلاب (الجامعة السورية) أيضا ، وأجدر من يملأ كرسى « أبى العلاء » فيها .

وبذلك يتاح للعروبة أن تظفر بغنمين - من إحياء ذكرى « أبى العلاء » ، وتمهيد السبيل لدراسته - فى مصر وسورية .

ويقينى أن ولاة الأمور فى الجامعتين : المصرية والدمشقية سيحرصون على تحقيق هذا المقترح - هنا وهناك - الذى يجعل الاحتفال بذكرى « أبى العلاء » غير مقصور على مناسبة العيد الألفى — بل يحيله احتفالا يوميا ، فى حجرات الدرس الجامعى الدائب .. وفى ذلك من البر بتراثنا العربى النفيس ، ما يملأ النفوس من غبطة وارتياح !

كامل كيـــــلانى

الصورة الثانية لأبى العلاء[1]

بقلم الأستاذ حسن أبو العلا

مقتطفات عن الأستاذ الكيلانى :

كتب الأستاذ « حسن أبو العلا » فى (منبر الشرق) تعليقا على هـذا المقال فى الثامن والعشرين من شهر أبريل سنة ١٩٤٣ ، بعنوان « كيلانى والمعرى » :

« هل أتاك نبأ العيد الألفى « لأبى العلاء » ؟

وهل أدركت أنه سينطوى كما انطوى العيد الألفى « للمتنبى » ؟

وهل أيقنت أننا بهذا العيد الألفى « لأبى العلاء » ما قدرناه حقّ قدره : إذا نحن لم نتخذ سبيلا لحفظ تراثه ، ولم نعمل عملا لدراسة آثاره ؟

وايم الله ما أجلّ تقديرا « لأبى العلاء » ، ولا أكمل تخليدا لذكراه ، ولا أروع تصويرا لهيولاه : إلا ذلك الاقتراح الذى نادى به عقل ناضج ، وذهن صاف ، وفكر ثاقب .

---

(١) منبر الشرق فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٤٣ .

ذلك الاقتراح هو ما تجلى فى صفحة (الأهرام) ، كما رآه (صاحب الدولة الرئيس) : « حقى (بك) العظم » وهو أن يكون للجامعيين بمصر أستاذ يدرس لهم « أبا العلاء » .. وأحق الأساتذة بذلك هو « الأستاذ كيلانى » .

لقد أحسن صاحب الدولة « حقى » (بك) فى رأيه !

فمن منا — إذا أراد أن يخدم الأدب بحق ، ويخلص « لأبى العلاء » بصدق — لا يرى ما يراه ؟

فالأستاذ « كامل كيلانى » قد تقمصته روح « أبى العلاء » ، أو هو الصورة الثانية لـ « أبى العلاء » ، على رأى (صاحب السعادة) الدكتور « فارس نمر » (باشا) .

فهو يمثل « أبا العلاء » تمثيلا حقيقيا ، ويصوره تصويرا دقيقا .. ويبقى فينا « أبو العلاء » حيا خالدا ، مادام الأستاذ « كيلانى » ماثلا دارسا .

* * *

إن اعتكاف الأستاذ « الكيلانى » على الأدب وانصرافه عن الحزبية السياسية . وعن التلون بلون من ألوانها ، هو الذى جعل فريقا منا يتناسى قيمته ، ويغفل قدره !

ولو رضى الأستاذ يوما ما أن يعكس رأيه ، فينصرف عن الآداب إلى الأحزاب ، لكان اليوم عميد الأدب !

ولكنه أحب الأدب وأعطاه كله ، وتواضع له جد التواضع ، ورفع نفسه عن السياسة والحزبية ؛ فهو يظهر فى المراكز والدرجات ببطء . وإن كان فى الأدب والتأليف — على رأى « شوقى » (بك) — « سَريع الخُطى » .

الترجمة الإنجليزية لرسالة الغفران[1]

بقلم الأستاذ ممدوح حقى

فى أكثر اللغات مثل سائر . أو كلمة مأثورة ، أو أطروفة ضاحكة تؤكد للأقزام وقصار القامة - من الناس - الذكاء والنبوغ ، وحدّة الذهن والحيوية : حتى لتكاد كلمة « قصير » تصبح بنفسها علما على العبقرية ، أو مرادفة لها . والإحصاء نفسه يبرهن على ذلك .

وفى ذلك بحث طريف لم يتنبه له الكتاب بعد ، ولم يقيموا له بحثا بذاته ، على ما فيه من سعة وعمق وإمتاع .

دعانى إلى هذا التقديم كتاب ظهر — منذ أيام — باللغة الإنجليزية ، مترجما عن العربية ، تعاون على إخراجه أقزام ثلاثة مشهورون .. بدأه أولهم قبل ألف سنة ، وأتمه الآخران منذ أيام .

هؤلاء الأقزام الثلاثة هم : « أبو العلاء المعرى » ، و « كامل كيلانى » ، و « مستر براكنبرى » .

وضع « أبو العلاء » « رسالة الغفران » ، وقذفها فى تيار الفكر الإنسانى ، تنحدر مع الأيام . . وطال بها حلك الليالى عصورا مديدة ؛ حتى جاء « الكيلانى » فتناولها بالتحقيق والتهذيب ، ونشرها — فى الفكر العربى الحديث — نورا قويا ساطعا !

و « الكيلانى » يعشق « أبا العلاء » عشقا عنيفا ، ويرى فيه صورة العقل العربى الجبار ، ويبرهن على أن فى كل جملة منه توجيها جديدا ، وأنه أسمى تفكيرا وأسلم منطقا من كثير من مشهورى الغرب : قدمائه ومحدثيه .

---

(١) الرسالة فى ١٠ يناير سنة ١٩٤٤ .

وهذا ماحثَّه فتعاون والمستشرق الإنكليزى « جيرالدبراكنبرى » على ترجمة « رسالة الغفران » إلى الإنـكليزية .

وقد تم طبعها الأنيق منذ أيام ، فجاءت تحفة ممتازة من تحف العقل العربى فى المـكتبة الإنكليزية .

* * *

ولئن كان الإنـكليز قد اطلعوا على شىء من أدبنا القديم ، فإنما اطلعوا على أضعف ما فيه غالبا ، وهو يمثلنا فى عصور الانحطاط ، كـ « مقامات الحريرى » مثلا ! .. على أنهـا فى حقيقتها لا تمثل إلا القدرة اللفظية ، وألاعيب التراكيب ، مما لا يروق العقل والفـكر .

أما « رسالة الغفران » ففخر لنا نباهى به ؛ وأنا على مثل اليقين أنها ستستحوذ على الشهرة التى نالتهـــا ترجمة « فيتز جرالدى » لـ « رباعيات الخيام » .

وترجمة الرسالة هذه تكاد تكون حرفية : لكنها قوية لا تحس فيها موضع ضعف أبدا ، ونقل فيها الشعر إلى الإنكليزية شعرا !

وساعد « براكنبرى » على ذلك سعة اللغة الإنجليزية نفسها ، وليونتها وتعدد الألفاظ الدينية وترادفها بمعانيها نفسها ، أو بمعان أخرى قريبة منها ؛ مما لا نجد له مثيلا فى سائر اللغات غير العربية ..

أضف إلى هذا كله قدرة « براكنبرى » الفائقة — فى لغته وفى العربية — والتشابه القوى فى حيـاة المؤلف والمترجم ، وطراز التفـكير ، ثم إمـداد « الكيـلانى » وتحقيقه وجهوده .

فـ « أبو العلاء المعرى » و « كامل كيلانى » ، و « جيرالد براكنبرى » : هؤلاء هم الأقزام الثلاثة الذين تعاونوا على تقديم « رسالة الغفران » إلى الإنجليز .. ومن أجدر ـ فى القيام بهذا العمل الجبار ـ من هؤلاء النبغاء الثلاثة ! . . .

كامل كيلانى (١)

وثلاث مكتبات : للطفل والشاب والأديب

بقلم الأستاذ طاهر أبو فاشا

« كامل كيلانى » كتاب ضخم ، يضم - بين دفتيه - كنوزا حيّة من الآداب العربية والغربية . . وخصيصته فى هذا أنه كالنحل الذى يحيل الزهرات ويتمثلها ، ثم يخرجها للناس أريا ، فيه شفاء للناس .

فهو ما يزال يقرب - إلى الناس - كنوز هذه الآداب المطمورة وراء غموض العباقرة ، فى ديباجة صافية ، يفهمها القارئ العادى ، ويرضاها الأديب ! ولعل « كاملا » هو الكاتب الوحيد الذى تستطيع أن تنسق مؤلفاته فى ثبت ، يتسق مع خطوات الإنسان فى مراحل حياته . فتلك مكتبة الطفل ، وهذه مكتبة الشباب ، وتلك مكتبة الأديب .

وتستطيع أن تنسق مؤلفاته فى ثبت آخر ، ينتظم صورا من أدب الغرب أو الشرق : فى أمشاج لا يصعب عليك تبويبها وتفصيلها إلى أبواب وفصول .

ومثل هذا المجهود المنظم المتواصل خليق أن يحدث ثورة وانقلابا فى عالم التأليف ، وخليق أن يتسامى ويسمو - بالجيل - إلى الغايات ، التى يهدف إليها الكاتب الأريب .

ولقد حفل العالم العربى أخيرا بشيخ « المعرة » ، فأقيمت الحفول بمناسبة مولده أو وفاته . وذكر بعض الكتاب ، فى هذه المناسبات : أن الشيخ الضرير لقى عقوقا من أدباء الشرق .

وتلك دعوى لها نصيب غير قليل من الصحة .

---

(١) د اطى ١٦ / ٣ / ١٩٤٥ .

غير أن صاحب هذا الرأى فاته أن يذكر أن شيخ « المعرة » لقى وفاء لشخصه وأدبه فى مصر ، ويتمثل ذلك الوفاء ، وهذا الإخلاص فى ذلك المجهود المشكور الذى يقتصده « كامل كيلانى » من نفسه ووقته فى « المكتبة العلائية » ، التى يطالع بها الأدب من حين إلى حين ...

فقد انكب على دراسة « أبى العلاء » وتعمقه ؛ حتى وضحت ملامح الرجل فى نفسه ، ثم راح يبشر بالأدب العلائى ، وما فتئ ينشره على الناس ويشرحه لهم ، ويعلق عليه غير تارك سببا يقرّب « أبا العلاء » من هذا الجيل ، إلا أخذ به .

وما نظن أن حفلا لـ « أبى العلاء » يناهض هذا الحفل الصامت الدائم ، الذى ينهض به الأستاذ « كيلانى » وحده .

ولقد كانت « رسالة الغفران » حديثا على ألسنة الأدباء ، ونبذا فى فصول : قديمة أو محدثة . فأما الرسالة ذاتها فكان دونها عسر الشرح ، وقبح العرض والطبع .. ثم بات الناس وأصبحوا ، فإذا « رسالة الغفران » ميسرة واضحة ...

ولأمر ما ، لما أراد الأستاذ « برا كنبرى » ترجمة الرسالة إلى الإنجليزية ، لم يؤثر إلا النسخة الكيلانية ، وتستطيع أن تجد ذلك الجهد فى كل ـ أوجلّ ـ آثار « أبى العلاء » ، وتجده فيما كتب « على هامش الغفران » .

أفغريب بعد هذا : أن يطالب الكتّاب أن يكون بالجامعة كرسى لدراسة « أبى العلاء » ؟ وأن يكون صاحب هذا الكرسى هو « كامل كيلانى » ؟

ليس هذا هو الغريب ، وإنما الغريب أن ينكره الإمّعات الخاملون .

الوحدة في سبيل تحرير الوطن [1]

أجرت إحدى الصحف استفتاء، حول العوامل التي تحقق الحرية للوطن، فأجاب الأستاذ «الكيلاني» بهذه العبارات القليلة البليغة:

إنني أترك الجواب للبحتري، شاعرنا العربي العظيم، بما أبدع من صور المتناحرين المتباغضين، وصوّر ما يعانيه قومه - بل ما نعانيه نحن من نكبات التفرق والانقسام، والتناحر والبغضاء، حتى أصبحت الصدور تغلي من الغيظ غليان المرجل - إذ يقول:

«وَفُرْسانِ هَيْجاءٍ تَجيشُ صُدُورُها
بِأَحْقادِها، حَتَّى تَضِيقَ دُرُوعُها
تُقَتِّلُ - مِنْ وِتْرٍ - أَعَزَّ نُفُوسِها
عَلَيْها، بِأَيْدٍ ما تَكادُ تُطِيعُها
إِذا احْتَرَبَتْ يَوْمًا، فَفاضَتْ دِماؤُها
تَذَكَّرَتِ الْقُرْبَى، فَفاضَتْ دُمُوعُها
شَواجِرُ أَرْماحٍ، تَقَطَّعُ بَيْنَها
شَواجِرُ أَرْحامٍ مَلُومٌ قَطُوعُها
إِذا افْتَرَقُوا عَنْ وَقْعَةٍ، جَمَعَتْهُمُ
لِأُخْرَى: دِماءٌ ما يُطَلُّ نَجِيعُها

(١) مصر الفتاة في ٥ / ٨ / ١٩٤٧ .

تَذُمُّ الْفَتاةُ الرَّوْدُ شِيمَةَ بَعْلِها
إذا باتَ ، دُونَ الثَّأْرِ ، وَهْوَ ضَجِيعُها
حَمِيَّةُ شَعْبٍ جاهِلِيٍّ ، وَعِزَّةٌ
كُلَيْبِيَّةٌ أَعْيا الرِّجالَ خُضُوعُها ! »

* * *

إن التفرق — كما ترون — أصل الاحتلال ومصدر البلاء ، والتوحيد وسيلة الاستقلال ومحقق الجلاء .

ولا معدى لنا عن التوحيد بأشمل معانيه ، وأوسع حدوده : توحيد الجهود والنيات ، والأهواء والأهداف ، والثقافات والأزياء ..

أساتذة كامل كيلانى (١)

[بائع بسبوسة ، وشاعر على الربابة ، وعربجى ، هم : أساتذة « كامل كيلانى » .]

بقلم الأستاذ أنور الجندى

تاريخ النهضة الأدبية فى مصر لم يكتب بعد . . . وقد انطوى جانب كبير منه ، وكاد يذهب مع الذاهبين ، الذين طواهم الموت !

ولا شك أن فى ذاك خسارة كبرى لنهضة ، بدأت منذ مفتتح القرن العشرين ، وكانت جديرة بأن تسجل أحداثها وذكرياتها وصورها . . حتى تكون مرجعا للشباب الجديد . .

وفى أوربا ، وفى مختلف الآداب العالمية ، توجد مجلدات ضخمة ، تصور الطرائف والفكاهات والأحاديث ودقائق الملامح النفسية ، والشمائل والطبائع ، لقادة الأدب ومفكريه .

واليوم وقد مضى « شوقى » و « حافظ » و « المازنى » و « السباعى » و « شكيب أرسلان » و « الرافعى » وغيرهم : فقد حقّ لنا أن نستعيد ذكريات البيئة الأدبية الأولى ، وأن نتصل بالرجال الذين عاصروا هذه النهضة ، وأن نستعيد معهم هذه الذكريات ، رغبة فى أن نكمل هذا الجانب من تاريخ الحركة الأدبية المعاصرة .

وقد رأينا أن نتصل بالأستاذ « كامل كيـــلانى » باعتباره صاحب أقدم صالون أدبى ، إذ يرجع عهد الصالون الذى يعقده - كل يوم سبت - إلى سنة ١٩٢٠ لنعرف منه بعض هذه اللمحات .

وقد حدثنى بأنه بدأ حياته الأدبية بتأليف قصة أطلق عليها اسم

---

(١) الزمان سنة ١٩٥٢ .

(سيرة الأمير صفوان وما جرى له بالتمام والكمال والحمد لله على كل حال)، وكان أول من أوحى إليه وكوّن ملكته الأدبية الحاج « مصطفى الحلبي » بائع البسبوسة . . الذى كان يقف أمام حارتهم، وهو غير الحاج « مصطفى الحلبي » الناشر المعروف .

وقد كان هذا البائع يحفظ عن ظهر قلب قصائد الشاعر الصوفى « عبد الغنى النابلسى » والشيخ « محمود الملاح » الشاعر الذى كان يغنى على الربابة فى القهوة المواجهة لحارتهم ، والأسطى « محمد الشيخ » الغربجى . .

ولا شكّ أن استهلال الأستاذ « الكيلانى » لحياته الأدبية بكتابة سيرة الأمير صفوان . . . تعطى صورة لذلك الاتجاه الواضح الذى مضى فيه منذ إنشاء مكتبة الأطفال سنة ١٩٢٨ وأصدر ٧٠ قصة .

ويروى الأستاذ « الكيلانى » قصة طبع سيرة الأمير صفوان فيقول : إنه أرسلها إلى أحد الكتبية فى شارع الأزهر . . فأعجب بها وطلب مقابلة المؤلف . . فلما ذهب إليه ، وكان يلبس جلبابا قصيرا وقبقابا ، وسنه إذ ذاك ١٥ عاما . . وكان يبدو أقل من ذلك ، نظرا لنحافة قوامه وقصر قامته . . فلما رآه الكتبي قال : ابنه؟ (أى أنت ابن المؤلف) . . . فقال له : لا ، بل هو أنا . . فنظر إليه فى شراسة وقال : يا شاطر يا حبيبي ، لما تكبر . .

ومضى « الكيلانى » حزينا ، ضيق الصدر ، تدور به الدنيا . . فقد فشل فى المعركة الأولى . .

ولكنه - اليوم - يذكر هذه القصة ويقول : الحمد لله الذى حال بين هذه القصة وبين الظهور ، وإلا فإنها كانت الآن مما يؤخذ علينا . .

مشاكل المجتمع (١)

[وجهت مجلة الاثنين إلى الأستاذ « كامل كيلانى » خطابا من شاب يائس ليجيب عن مشكلته . وفيما يلى نص الخطاب والإجابة :]

لا أعرف أبى :

هذه مشكلة شاب تكاد تعصف به الحيرة ، لأنه لا يدرى ابن من هو ، فأرسل يسألنا الهداية والإرشاد .

وهذه رسالته ، وردّ الأستاذ « كامل كيلانى » عليها .

ابن من أنا ؟

سؤال لم يخطر على بالى يوما أنى سأوجهه إلى نفسى ، ولكن هأنذا أوجهه اليوم ، لا إلى نفسى فحسب ؛ ولكن إليك . وإنك لتكتب لكل فرد فى الشعب . فأنا إذن أوجه سؤالى إلى كل فرد فى الشعب كذلك !!

لقد نشأت وشببت وأنا أعرف لى أبا وأما .

وفى نشأتى وشبابى ذُقت من ألوان الحنان - فى أحضان هذين الوالدين - ما لا يطمع وليد فى أكثر منه .

ولعله بفضل هذا الحنان وحده كان نجاحى فى دراستى ؛ حتى حصلت على « بكالوريوس » الزراعة ، وكان توفيقى فى حياتى العملية .

لكن القدر ساق إلىّ من أطلعنى على السر الرهيب ؛ فوقفت على الحقيقة .. وإذا الحياة تصغر فى عينى ، لأننى صغرت فى عين نفسى ، وإذا أنا أنظر إلى الموت ، فأجد فيه شرفا ضنت به علىّ الأقدار .

(١) مجلة الاثنين فى ١٩ / ٣ / ١٩٥١ .

إننى مجهول الأصل ياسيدى ، لا يعرف أحد والدىّ ؛ وهذان الكريمان اللذان منحانى اسمهما ، وحنانهما ، إنما منحانى كل ذلك احتسابا ، بعد أن تسلمانى من أيدٍ ليست بينها يد أمى ولا أبى ، لأنها أيدى موظفى الملجإ !

وبدأت ـ منذ عرفت هذه الحقيقة الفاجعة ـ أحسّ صراعا داخليا عنيفا ، وأشعر بالخجل إزاء كل إنسان .

وكيف لا ؟ ألست لقيطا ؟

فبأى وجه إذن ألقى الشرفاء ، وأتحدث إليهم ؟ !

وهذان الكريمان اللذان غمرنى حنانهما وفضلهما .. ما ذنبهما حتى يتحملانى بعد اليوم ، ويشقيا معى ؟ !

وطغت على أفكارى موجة تساؤل عاتية ، فأنا - فى كل حين ـ أتساءل : ترى من أنا ؟ وكيف ولدت ؟ وأين أمى ؟

اتراها الآن ذكرى فى ضمير الثرى ؟ ومن يدرى ؟ ربما كانت ـ حتى اليوم ـ حية تقاسى مرارة البؤس ، خادمة فى أحد البيوت ، أو متسولة تسأل الناس ، فيعطونها أو يحرمونها ، ويحتقرونها على الحالين ، وقد أكون أنا من بينهم !

إننى يائس معذب الضمير ياسيدى . أرى الحياة ظلاما فى ظلام، وأفقد تعقلى وإيمانى ، كلما شرد فكرى فى مشكلتى الخطيرة ؛ حتى لأكاد أقذف بنفسى إلى الموت ، لولا بقية من حب الحياة .

وكم أخشى أن تتغلب أوهامى على هذه البقية ؛ فأمحو من سجل الأحياء مخلوقا لم يعد فى نظرى يستحق أن يعيش ! !

بربك ياسيدى : هل لديك لمثل حالى علاج ؟

وهل من حقى أن أعيش ، وأن أرفع رأسى كسائر الناس ؟ !

لا تعذّب نفسك !

رد الأستاذ « كامل كيلانى »

أيها الشاب المعذب : إننى أربأ بشاب فى مثل ثقافتك أن يعذب نفسه بهذه الأوهام .. فمن أين لك أن أمك لم تكن سيدة شريفة ، وأن فقر والدك أو فقده هو الذى انتهى بك إلى الملجأ ؟ !

ومالك لا تشكر الله أنه وهب لك هذين الكريمين : فربياك وعلماك . ومنحاك حبهما خالصا ؟ !

ولماذا لا تبادلهما الحب ، فتسعدهما كما أسعداك ! !

لقد طلبت منا علاجا ، فإذا كنت جادّا فى طلبك ، فإن خير علاج لمثلك أن تسرع بالزواج ؛ فإن فى حنان الزوجة ما يعوّضك عن الحنان الذى فقدته ، وفى تبعات الزواج ما يشغلك عن التفكير فى أوهامك .

وحين تصير أبا ، فلن تعود إليك هذه الهواجس التى تلح عليك ، وتقضّ مضجعك ، إذ يتحول كل اهتمامك حينئذ إلى أولادك ، ويشغلك التفكير فى مستقبلهم عن كل شىء ، حتى نفسك ! !

إن ذلك القلق الذى تسميه ـ خطأ ـ « عذاب الضمير » ليس إلا أثرا للصدمة التى منيت بها ، وسيزول حتما . أما ضميرك فما الذى يقلقه أو يعذبه ، وما جنيت شيئا تؤاخذ عليه ؟ !

وإن أردت أن تحسن إلى أمك المجهولة التى تتوهم أنها — الآن — حيّة تعانى بؤس الحياة ، ففى وسعك أن تحسن إليها فى شخص كل بائس ومحروم .

* * *

بقيت نظرة الناس إليك . وأحب أن أؤكد لك أن الناس سيحكمون على شخصك وعملك ، فلن يقدروك أو يحتقروك لأنك ابن فلان ، أو لست ابن أحد . على أن العاقل لا يهتم إلا بكلام العقلاء . وهؤلاء أبعد ما يكونون عما تخاف منه وتخشاه !

اتخذ أيها العزيز من هذه الثورة ثروة ، وحول سخطك قوة تدفعك إلى الأمام . ولأن يغلى دمك بنار الاندفاع فى العمل ، خير من أن يغلى بنار الغيظ والحقد على نفسك وأنت لم تجن ذنبا . وثق أنك ستكون موضع احترام الجميع وتقديرهم ، فقديما قال الشاعر :

إِنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ هأَنذا

لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ كانَ أَبِي ! !

سدّد الله خطاك ، وألهمك الصواب . .

الفكاهة والكاريكاتير[1]

فى الأدب العربى

الأدب العربى فيه فكاهة؟ نعم ..

الأدب العربى فيه كاريكاتير؟

يقول كثيرون : لا .. ويقول أكثر منهم : نعم

وقال الاتحاد الثقافى . « نعم »، فيمن قالوا ..

ودعا الاتحاد الثقافى المصرى إلى ندوة يدور الحديث فيها بين سعادة « فؤاد شيرين » (باشا) و « أحمد أمين » (بك) والأستاذ « كامل كيلانى » عن الفكاهة والكاريكاتير فى الأدب العربى .

إن الناس أحوج ما يكونون إلى الفكاهة فى هذه الأيام ، التى تكاد تزهق من ثقل وطأتها الأرواح .

الناس أحوج ما يكونون إلى ما ينسيهم - الآن - شئون الحياة الثقيلة لحظات ... لحظات يعودون بعدها وقد تزوّدوا بالزاد الروحى الذى يجدد من قدرتهم على أن يجولوا جولة أخرى فى هذا الصراع العنيف .

وليس أدل على هذا من أن تضيق دار الاتحاد الثقافى يوم الثلاثاء، بمن لبوا الدعوة إلى هذه الندوة الظريفة .

* * *

---

(١) جريدة البلاغ فى ١٥ / ٣ / ١٩٥٢ .

وقدم الدكتور « محمد عوض محمد » (بك) أطراف الندوة الثلاثة ، وبدأها سعادة « فؤاد شيرين » (باشا) ، وتلاه « أحمد أمين » (بك) ، فالأستاذ « كامل كيلانى » .

* * *

ورجعت إلى تذكرة الدعوة مرتين ، أستوثق فيها من موضوع الحديث : إحداهما بعد أن فرغ « فؤاد شيرين » (باشا) ، والأخرى بعد أن فرغ « أحمد أمين » (بك) من الكلام .

* * *

أما سعادة « فؤاد شيرين » (باشا) فقد دارت كلمته حول « النكتة » عند ظرفاء المعاصرين .

والذى أفهمه من عنوان الحديث وهو « الفكاهة والكاريكاتير فى الأدب العربى » أن المتحدثين يتناولون النكتة والنادرة والصورة فى الأدب العربى ـ منذ الجاهلية إلى اليوم ـ شعرا ونثرا ، ولكن (الباشا) لم يتناول صميم الموضوع ، ولم يكن للأدب العربى نصيب فى كلمته على وجه التقريب ، بل كانت كلمته كلها ـ أو معظمها ـ عن الأدب الشعبى القاهرى المعاصر ؛ ولكن خفة روح (الباشا) التى تجلّت أمس وهو يروى نوادر المعاصرين ، كادت تنسينا عنوان الموضوع .

* * *

وأخرجت التذكرة للمرة الثانية ، بعد أن فرغ أستاذنا الكبير « أحمد أمين » (بك) فقد تحدث عن الفكاهة فى الأدب العربى كله فعلا : ولكنه لم يعرض علينا صورة واحدة من « الكاريكاتير » فى الأدب العربى .

* * *

أما الأستاذ « كامل كيلانى » فقد وقف بنا على أبواب معارض كثيرة من الكاريكاتير ، وحار : أيها يدخل ؟

ثم استخار الله ، فدخل بنا بعضها ، وطوّف بنا غرفاتها ، وعرض علينا بعض الصور التى رسمها الشعراء العرب فى مختلف العصور .

وإذن فقد استوفى جانب الفكاهة — على إطلاق الكلمة — حقه فى ندوة الثلاثاء ، وكانت الفكاهة المعاصرة صاحبة القدح المعلى .. وكان للمرحوم الشيخ « عبد العزيز البشرى » أكبر نصيب من الفكاهات المعاصرة التى رويت أمس .

قال « فؤاد شيرين » (باشا) :

كان إلى جوار منزل الشيخ « عبد العزيز البشرى » لحَّاد .. وكان الشيخ يتشاءم منه ، فظل خمسة وعشرين عاما لا يبادله كلمة واحدة ، مع كثرة ما يراه فى الليل والنهار .

وذات يوم خرج الشيخ من داره فى الصباح المبكر ، وقد لف رأسه بشال واتشح بعباءة ثقيلة .

وما إن رآه اللحاد حتى بادره بالسلام وقال : (إزّى الصحة ؟)

فبادره الشيخ « البشرى » على الفور :

(لا يا بن الـ ... ده زكام بس) .

* * *

وروى أستاذنا « أحمد أمين » (بك) عن المرحوم الشيخ « البشرى » فكاهة أخرى لطيفة .

قال : كان « البشرى » مدعوا إلى مأدبة ، كان ممن دعوا إليها المرحوم « حافظ إبراهيم » (بك) . وكان الطعام المقدم فى المأدبة سمكا ، ونظر « البشرى » أثناء الطعام فرأى أمام كل من المدعوين شوكا ؛ تخلف عما أكلوا من السمك ، إلا « حافظ » فلم يكن أمامه شىء !

فقال « البشرى » لـ « حافظ » (يا بنى . . هوّ ده سمك بناتى ؟)

واستعرض « أحمد أمين » (بك) ظرفاء العرب فى عجالة تحدث فيها عن « أشعب » و « الأصمعى » و « أبى دلامة » و « أبى العبر » و « الجاحظ » و « ابن دانيال الموصلى » ، حتى وصل إلى ظرفاء العصر الحديث ، فعرض لصاحب « حمارة منيتى » ثم « فؤاد الصاعقة » ثم « حافظ » و « المويلحى » و « البشرى » .

ودافع دفاعا شديدا عن الأدب العامى فقال : إن الأرستقراطيين قضوا عليه ؛ لتشبثهم بالفصحى وسخريتهم منه . وإننا لم ننظر إلى الأدب الشعبى بعين الاعتبار ، إلا بعد أن نبهنا إليه المستشرقون ؛ على الرغم من أن « ابن خلدون » فطن ـ من قبل ـ إلى الأدب الشعبى وأشاد به .

وقال « أحمد أمين » (بك) : إن الفكاهة غالبا ما تسود بين الضعفاء ، وخاصة ما كان منها تهكما ، فهم إذ يعجزون عن الانتقام لأنفسهم بأيديهم ، يعمدون إلى ألسنتهم ، يسلطونها فى الانتقام ، ثم يرسلون الفكاهة ، يروّحون بها عن أنفسهم .. ومن هنا كان الفكهون بين الفقراء والبائسين ـ بوجه عام ـ أكثر منهم بين الأغنياء الذين قلّ أن تجد فيهم الفكه ، لأن لديهم أسباب الرضى أكثر من غيرهم ، ويستطيعون أن يلتمسوا الفكاهة عند الآخرين ، دون أن يكلفوا أنفسهم مؤونة الخلق والإبداع .

* * *

وجاء دور الأستاذ « كامل كيلانى » فعرض الكثير من الفكاهات ، والصور الكاريكاتيرية اللطيفة فى الأدب العربى ، وخصّ « أبا الغصن جحا » بالكثير ، قال :

رأى « جحا » رجلا قبيح الوجه . يستغفر الله ويطلب لنفسه الجنة ، فقال له : « يا أخى . . بأى حق تبخل بمثل هـذا الوجه على جهنم ؟ »

ثم أخذ يستعرض الكاريكاتير فى الأدب العربى . فقسمه معارض . ودخل بنا - أول ما دخل - معرض الوجوه ، وأية صورة أجلى من هذه التى رسمها « ابن الرومى » لأنف « كنيزة المغنية » ، حين قال :

عُوِّضَتْ مِنْ ذَوائِبٍ وَقُرُونِ   حَمْلَ أَنْفٍ فِيهِ لِفَرْخَيْنِ عُشُّ

فأى أنف هذا الذى يضم - فى طاقتيه - فرخين ؟!

وأى خيال يستطيع أن يرسم الأنف الكبير بأكبر مما رسمه خيال « ابن الرومى » فى هذا البيت الواحد ؟!

وعرض الأستاذ صورا أخرى كثيرة فى الشعر العربى للوجوه القروية ليس أحسنها هذا الذى جاد به خيال « ابن الرومى » .

ثم عرج الأستاذ بنـــا على معرض اللحى . فعرض علينا صورة نعرضها بدورنا على الرسامين ، فإنا لا نرى فى السخرية من اللحية صورا كثيرة أخرى تفوق هذه الأبيات الثلاثة . التى أودعهـا « ابن الرومى » فنه وخفة روحه .

قال « ابن الرومى » :

وَلِحْيَـــةٌ يَحْمِلُها مائِقٌ   شِبْهُ الشِّراعَيْنِ إذا أُشْرِعا
لَوْ قابَلَ الرِّيحُ بِها مَرَّةً   لَمْ يَندَفِعْ مِنْ خَطْوِهِ إِصْبَعا
أَوْ غاصَ فِي الْبَحْرِ بِها غَوْصَةً   صادَ بِها حِيتانَهُ أَجْمَعا

فأية لحية هذه التى تعوق المبتلى بها عن المسير ، إذا ما عارض الريح ؟ !

وأية لحية هذه التى تصطاد حيتان البحر جميعا ؟!

وأى وصف لها أبدع وأطرف مما وصفها به « ابن الرومى » ؟

وهل يستطيع زاعم ـ بعد ذلك ـ أن يزعم أن الشعر العربى خلا من الصور التى تنبض بالحياة ؟

وهل يستطيع زاعم أن يزعم أن الغرب سبقنا إلى الصور الهزلية ؛ بعد أن يقرأ قول « أبى على الحمدوى » فى شاة « سعيد » :

لِـ « سَعيدٍ » شُوَيْهَـةٌ سَلَّها الضُّرُّ والتَّلَفْ
قَدْ تَغَنَّتْ وَأَبْصرَتَ رَجُلًا حاملًا عَلَفْ
بِأَبِى مَنْ بِكَفهِ بُرْءُ ما بِى مِنَ الدَّنَفْ
فَأَتـــاها مُطَمِّعًـــا فَأَتَتْـــهُ لِتَعْتَلِفْ
فَتَـوَلَّى فَأَقْبَلَتْ تَتَغَنَّى مِنَ الْأَسَفْ
لَيْتَهُ لَمْ يَـكُنْ وَقَفْ عَذَّبَ الْقَلْبَ وانْصَرَفْ

هـذه صورة من صور « والت ديزنى » بـلا مراء : ولـكنها سابقة على ما ابتـكره خيال « والت ديزنى » بمئات السنين ، لا عشرات السنين .

ثم انظر إلى هذه الصورة الطريفة التى يصورها الشاعر العربى ا « طيلسان ابن حرب » :

يا « ابْنَ حَرْبٍ » كَسَوْتَنِي طَيْلَسانا
مَلَّ مِنْ صُحْبَةِ الزَّمَنِ وصَدّا
طالَ تَرْدادُهُ عَلَى الرَّفْوِ حَتَّى
لَوْ بَعَثْناهُ - وَحْدَهُ - لَتَهَدَّى

فأى طيلسان هذا الذى اعتراه الملل من قدم ؟ وأى طيلسان هذا الذى يعرف طريقه وحده إلى الرفاء ، من كثرة ترداده على الرفاء ؟

هذه النكتة معروفة الآن ، تتداولها الألسن فى صور أخرى ، ولكنها كما ترى قديمة سبقنا إليها العرب الأقدمون ، ومع هذا فلا نزال نستملى النكتة ، حين يقال لفلان إن ملابسك تعرف طريقها وحدها إلى البيت . والسبب معروف .

وطيلسان « ابن حرب » مشهور فى الشعر العربى ، فقد كان موضع تندر غير واحد من الشعراء ، ومن أجمل ما قيل فيه قول « ابن الرومى » :

يا « ابْنَ حَرْبٍ » كَسَوْتَنِي طَيْلَسانا
يَتَجَنَّى عَلَى الرِّياحِ الذُّنوبا
تَتَغَنَّى إِحْدَى نَواحِيهِ صَوْتًا
فَتَشُقُّ الأُخْرَى عَلَيْهِ الْجُيُوبا

فهو قديم بال يتداعى وحده ، لاتكاد تتمزق إحدى نواحيه حتى تجاوبها سائر نواحيه تمزيقا دون أن تمسها يد .

وهذه صورة طريفة لو أبدعتها ريشة الفنان !

ويقوم ألف دليل على أن الشاعر العربى كان « فنانا » كما نقول الآن ، وأن « ابن الرومى » يرسم - فى بيت واحد - صورة كاريكاتيرية طريفة . استمع إليه حين يقول :

لِلْحُرَيْثِيِّ : أَبِي بَكْرٍ غَبَبْ   وَلَهُ قَرْنانِ أَيْضًا . . وَذَنَبْ

فبهذا البيت وحده استوى « الحريثى » ثورا له كل مقومات الثور من غبب وذنب وقرون ! !

تلك صورة كاريكاتيرية طريفة ، عرضها علينا الأستاذ « كامل كيلانى » ، فعرّف من لم يكن يعرف أن فى الشعر العربى صورا حية واضحة المعالم ، وأن العرب عرفوا الكاريكاتير قبل أن يعرف العالم الكاريكاتير .

وتحضرنى - بهذه المناسبة - صورة أخرى طريفة ، مما رسمه شعراء العرب ، أعرضها هنا لما فيها من مهارة وسعة خيال وخفة روح .

قال الشاعر العربى :

قَصُرَتْ أَخادِعُهُ وَغابَ قَذالُهُ   فَكَأَنَّهُ مُتَهَيِّبٌ أَنْ يُصْفَعا
وكَأَنَّما صُفِعَتْ قَفاهُ مَرَّةً   وَأَحَسَّ ثانِيَةً لَها فَتَجَمَّعا

وبعد . . فالأدب العربى ملىء بهذه الصور الحلوة ، التى تفيض سعة خيال وخفة روح ، وقد أتاح لنا الاتحاد الثقافى ليلة طيبة قضينا مع ظرفاء العرب القدماء والمعاصرين .

براميل جحا[1]

فى حياتنا العامة

[دعا « النادى الثقافى » بالقاهرة ثلاثة من ظرفاء العصر الحديث . ليتحدثوا عن الفكاهة فى الأدب العربى . . هم الأساتذة : « فؤاد شيرين » (باشا) و « أحمد أمين » (بك) و « كامل كيلانى » . . والثلاثة معروفون بأنهم من أصحاب الحافظة القوية التى تلتقط أبدع الأقوال . وأطرف النوادر . وأروع الطرائف : لا لتستأثر بها . . . ولكن لتنشرها وتذيعها فى كل مجلس وكل منتدى ! . .]

بدأ الكلام « فؤاد شيرين » (باشا) ، فقال :

إنه لا يدرى هل تسير الفكاهة إلى الأمام أو تتقهقر ؟

فما زلنا — إلى اليوم — نسمع فكاهات « البابلى » ، و « عبد العزيز البشرى » ، و « إمام العبد » ، و « حافظ إبراهيم » : نسمعها فنضحك لها أكثر مما نضحك لأى شىء آخر . . .

وروى « فؤاد » (باشا) عن المرحوم « إمام العبد » أنه كان يدعى من وراء « شوقى » — أمير الشعراء — أنه خالقه . . . فإذا التقى به طلب منه « قرشين سلفة » . . .

---

(١) مجلة الاثنين فى ١٧ / ٣ / ١٩٥٢ .

ووصل إلى « شوق » قول « العبد » فيه أنه خالقه ..

فلما جاءه بعدها وطلب منه سلفة قال له :

— والله أنا يا مولاى كما خلقتنى !

وروى أيضا عن « إمام العبد » أنه أراد أن يركب عربة « حنطور » ، فطلب العربجى ريالا ... ولكن « العبد » أصرّ على دفع عشرة قروش فقط .

وأخيرا قال له العربجى وهو يتأمل بدانته المفرطة :

— طيب اركب بسرعة ، قبل الخيل ما تاخد بالها !..

* * *

ثم تكلم الدكتور « أحمد أمين » (بك) ، فدافع عن اللغة العامية ، وقال إن الأحياء البلدية هى وطن النكتة ... وإن اللغة العامية هى لغة النكتة الأصلية ... وأولاد البلد هم رعايا خفة الدم ! ..

وعرض فى حديثه للمرحومين : الشيخ « عبد العزيز البشرى » وشاعر النيل « حافظ إبراهيم » ...

وروى عن شاعر النيل : أنه ذهب لتناول الغداء مع الشيخ « البشرى » ، وكان الغداء عبارة عن سمك ... ولاحظ أن جميع الموجودين أمامهم شوك ، ليأكلوا بها السمك إلا الشيخ « البشرى » ، فلا توجد أمامه شوكة واحدة ... والتفت إليه شاعر النيل ، وقال :

— إيه يا فضيلة الأستاذ ... هى السمكة بتاعتك طلعت بناتى ؟!

وأكد الدكتور « أحمد أمين » (بك) فى حديثه أن الذوق لم يخرج من مصر : الذوق فى اختيار النكتة البارعة ، والقفشة المحكمة !..

* * *

وقام الأستاذ « كامل كيلانى » ليتكلم ، وهو - كما قال أحد كبار الأدباء - « الوصى على تركة جحا » . . . وأفاض الأستاذ « كامل » لحشد خفة دم الأدب العربى القديم ، لينتصر بها على القائلين بأن العامية هى لغة النكتة ، وأن العربية لا تتسع لخفة الدم ! . .

وقد استشهد فى حديثه بالكثير من الشعر والنوادر والطرائف .

وروى عن « جحا » الشىء الكثير ، وهو لا يرى فى « جحا » مهرجا يطلق النكتة لمجرد النكتة ، بل يرى فيه فيلسوفا ضخما عميقا يتضاءل بجانبه « برنارد شو » الذائع الصيت ! . .

ومما رواه عن « جحا » : أن جارا له ، ذهب إليه يطلب حماره ، ليستعين به فى عمل اليوم ، فقال له « جحا » :

— لقد سبقك جار آخر فأخذه .

وفى هذه اللحظة أرسل الحمار صوته المنكر عاليا . .

فقال له الجار :

— كيف تقول هذا ، والحمار هنا ينهق ؟ . .

فقال له « جحا » :

— أتكذبنى وتصدق الحمار ؟ !

وقال عن « جحا » أيضا : إن أهل المدينة اكتشفوا فى الحاكم ولعه بالعسل ، فقرروا أن يقدموا له برميلا منه كهدية . . ثم قرروا أن يضع كل منهم فنجانا من العسل فى البرميل ، وبهذا يتضامن الجميع فى جمع العسل .

وقال « جحا » لنفسه :

— إن فنجانى لن يزيد البرميل أو ينقصه . . . فلماذا لا أضع فنجان ماء بدل العسل . . . ولن يؤثر هذا بحال على الهدية ؟ !

وفعلا وضع « جحا » فى البرميل — وكان الوقت ليـلا — فنجان ماء .

* * *

وفى الصباح تجمع أعيان المدينة ، لحمل برميل العسل هدية إلى الحاكم ... فإذا بالبرميل وقد ملىء كله بالماء ! ..

لقد قال كل منهم لنفسه ما قاله « جحا » لنفسه ... ولم يضع أحد فنجانا واحدا من العسل ! . .

* * *

ويعقب الأستاذ « كامل كيلانى » على هذا بقوله :

— أوليست حياتنا العامة ، وتأديتنا لواجبنا سلسلة من براميل « جحا » ؟ !

وروى الأستاذ « كامل » طرفة الرجل الدميم الذى كان يصلى فرآه « جحا » فاقترب منه وأخذ يتعجّب . . .

فسأله الرجل عن تعجبه ، فقال :

— بأىّ حق تبخل على جهنم بهذا الوجه ؟ !

وقبيح آخر يلتقى به « جحا » فيسأله :

— من التى أرضعتك ؟

— أمّى . . .

فيقول له « جحا » :

— والله ما يصبر على رؤية هذا الوجه غير أمّـك !

ويتحدث عن شجعان اللسان ، وهم الذين تتركز بطولتهم على أطراف ألسنتهم ... وزعيمم القديم هو : « عمرو بن معدى كرب » ..

فقد كان « عمرو » يتحدّث بين جماعة فيقول :

— والله لو تخلف أحدكم عن الجهاد لقتلته ... فقد مررت بقبيلة « رميح » هذا الصباح ، وحثثتهم على الجهاد ، فتخلف رئيسهم فقتلته !

وإذا بصوت يرتفع :

— على رسلك « يا عمرو » ... إن قتيلك يسمعك .

ولم يأبه « عمرو » لاعتراض قتيله ، فقال له :

— اسمع ... إنما أنت مُحدِّث ...

فإما أن تسمع ، وإما أن تنصرف !

* * *

ثم قام الدكتور « محمد عوض محمد » (بك) ليشكر أبطال الندوة ، فلم يفته أن يروى الطرفة التالية :

كان هناك موعد لمحاضرة قيمة فى أحد النوادى ... وقام رئيس النادى ليقدم المحاضر ، فظل يتكلم أربعين دقيقة ...

ولما كان الوقت المقرر للمحاضر خمسين دقيقة : فلم يتكلم المحاضر غير عشر دقائق ! ..

وبينما همّ الحاضرون بالانصراف ، سمع المحاضر هذا الحوار بين اثنين منهم :

— لقد كانت محاضرة رائعة حقا ...

— فعلا كانت كذلك ...

— ولكن من هذا الحمار الذى عقّب عليها أخيرا ؟ !

٤ ساعات مع كامل كيلانى[١]

بقلم الأستاذ راتب الرّوّاس

فى إحدى غرف الطابق الرابع من عمارات شارع إبراهيم، جاس الأديب والقاصّ المصرى «كامل كيلانى» يجيب على أسئلتى بأسلوب منطق . . وقد كان يكثر من الاستشهاد بأبيات الشعر: حتى إنك لا تكاد تفرّق: هل يقول شعرا أو نثرا ؟!

ولا غرابة فى ذلك، إذ أنه عندما كان فى المدرسة الابتدائية كان يحفظ عشرات الألوف من أبيات الشعر، وعلى الأخص من شعر «أبى العلاء» و «ابن الرومى» وغيرهما من الشعراء القدامى.

وأديبنا «الكيلانى» أول من كتب قصصا للأطفال، وهو الرائد الأول لهذا الفن من القصص.

و «الكيلانى» من مواليد ١٨٩٧م: قصير القامة، منهوك القوى، ضعيف العينين، يخيل إليك أن هذا الذى يجلس أمامك، لا يستطيع أن ينبغ أو يؤلّف؛ ولكنه على عكس ذلك . . فهو كثير الإنتاج والتأليف. يكثر من القراءة رغم أنه لا يقرأ، وإنما يقرأ له وهو يستمع.

وإذا طرأت على باله فكرة يريد أن يكتب بها، فهو يلخصها فى سطر أو سطرين، وبعدها يمليها على أحد أنجاله . .

---

(١) مجلة الدنيا ببيروت فى ١٣ أغسطس ١٩٥٤ .

وقد مكثت أستمع إليه زهاء أربع ساعات متواليات ، وأنا مسرور بذلك ؛ لأنى أعتقد أن كل كلمة يقولها نتيجة وخلاصة تجارب عدة ، ودراسة مستفيضة .

قلت له :

* ما هى الأسباب التى جعلتك تنصرف إلى الكتابة للأطفال ؟

فأجاب :

— عندما كنت طفلا ، شعرت أن قصص الأطفال الأجنبية آية من آيات الروعة والجمال ، والقصص العربية على عكس ذلك . فقلت لأحد زملائى حينما كنا طفلين : إن هذه الكتب العربية تبغض إلينا القراءة . فقال لى : ألّف خيراً منها إن كنت قادراً .

فكان جوابه : هذا يلازمنى منذ الطفولة الباكرة ، حتى تحقق حلمى سنة ١٩٢٧ ، حين ظهرت قصة « السندباد البحرى » : أول قصة للأطفال .

وأعتقد أن طالب الإصلاح يجب أن يعبّد الطريق ، وأول ما يعنى به المهندس متانة الأساس . . فالطفل هو أساس الأمة وموضع أمل الجميع ؛ فالعناية به عناية للأمة بأسرها .

* ما هى أوجه النقص أو المآخذ التى تأخذها على أدبنا الحاضر ؟

فقال :

— لا أستطيع أن أحدّد المآخذ ، أو أوجه النقص فى أدبنا الحاضر ، لأن ركب النهضة سائر ، وسائر بسرعة .. فلا يمكن أن نحدد النقائص إلا بعد أن نصل إلى الهدف المنشود ، وبما أننا لم نصل بعد ؛ فلا يمكن أن نحكم أو نتكهن إلا بعد أن نقف !

* هل تعتقد أن كتابة حوار القصص باللغة العربية العامية مما يضعف أدبنا ويصبغه بصبغة محلية ضيقة ؟

— إن الكتابة وضعت لكى يفهمها النـاس ، وكلما استطاع الكاتب أن يفهم عددا أكثر ، كان نجاحه أكبر .

والأمم العربية مختلفة اللهجات ، ولكن تجمعها وتوحد بينها لغة فصحى واحدة هى اللغة العربية . والصفوة المثقفة لا تفهم بغير الفصحى . ففى أى سبيل نضيع هذه الإمبراطورية الفكرية ، وبأى ثمن ؟!

لاشك أن حوار القصص يجب أن يكون باللغة العربية الفصحى ، والذين يعمدون إلى جعل الحوار باللغة العامية الدارجة والمألوفة لكل شعب ، لا يفعلون ذلك إلا عن ضعف ، وعدم إتقان للغة ، فلو أنهم كانوا متمكنين من لغتهم ، لما جاء حوارهم عاميا مبتذلا .

* قال « طه حسين » : إن النهضة الأدبية انتقلت من « مصر » إلى « الشام » . فهل توافقه على ذلك ، وإذا كان بالإيجاب فما السبب ؟

— لا نستطيع أن نحكم بعد على هذا الانتقال الذى يقوله الدكتور « طه » . . . والسبب فى عدم استطاعتنا الحكم على ذلك أنه سواء فى « الشام » أو فى « مصر » لم نصل بعد إلى العصر الذهبى للأدب ، فعندما نصل فيمكننا بعد ذلك أن نحكم ومعنا الدليل القاطع !

وأردف يقول :

— إننى أحب الصحفيين وأسئلتهم ، ولكنى أبغض أشد البغض عدم تحديد الأسئلة ، بمعنى أن تكون الأسئلة عامة (إطلاقية) ، كما أنى بنفس الوقت على خلاف مع أدباء الوقت الحاضر من حيث إجاباتهم التى لا تكون منطقية ولا يتقبلها العقل ، وهذا مما يكون له أسوأ الأثر فى نفسية القارئ ؛ لأن القارئ ـ بطبيعته ـ يتأثر

بنصائح الأدباء ، وإذا وجد الأديب نفسه على خطإ ، فيجب عليه ألا يتكلم ، والخطأ لا يبرر الخطأ .

* أيهما أفضل : أن يبدأ المتأدب بدراسة الآداب الغربية ثم يدرس بعد ذلك آداب العرب ، أم أنه يقرأ أولا آداب العرب ثم يدرس الآداب الغربية ؟

— نحن عرب قبل كل شيء ، فيجب علينا أن نتقن لغتنا ، ونكون على علم بتراجم وآثار من سبقونا من الأدباء .. وبعد ذلك ننهل من الآداب الغربية ما نشاء . فعندما نؤلف أو ننتج ، نكون قد وضعنا هذا الإنتاج فى أرض أو حديقة عربية . .

أما إذا درس المتأدب الآداب الغربية ، ثم درس بعدها الآداب العربية ، فيكون إنتاجه ذا صبغة غربية وفى حديقة غربية ..

والأدباء الغربيون كثيرون لا يحتاجون إلى أديب يخرج من أرضنا ، لكى يؤلف بإحساساتهم ومشاعرهم . ونحن أحوج ما نحتاج إلى أديب يؤلف بإحساساتنا ومشاعرنا ، وآمالنا وآلامنا .

* بماذا تنصح الكتاب الناشئين ؟ وهل تعتقد أن الجيل الصاعد من الأدباء سيأخذ مكان من تقدموه فى هذا المضمار ؟

— أنصح الكتاب الناشئين بالقراءة ، والقراءة ، والقراءة ، وأن يواظبوا عليها مواظبتهم على استنشاق الهواء ، وتناول الطعام والشراب . فكلما قرأ المتأدب صفحة أو كتابا ، ازداد معرفة واطلاعا ونضجا .

أما من حيث أن الجيل الصاعد من الأدباء سيأخذ مكان من تقدموه من الأدباء القدامى فهذا أتوقعه ، ولكن كما قلت سابقا : إذا أكثر الأدباء من قراءة الكتب : عربية وغربية .

* ما هى أحسن مؤلفاتك المحبية إلى نفسك ؟ وما عددها ؟
فقال :

— إذا كان لابد من المفاضلة ، فأحسن مؤلفاتى عادة هو الذى يكون بين يدىّ : أى الذى أكون قد ألفته حديثا ، وفى طريقه إلى المطبعة ، أو الذى لم أنته بعد من تأليفه . . وآخر كتاب ألفته ـ وهو أحسنها فى نظرى ـ هو « ريحان الكذاب » .

أما سؤالك عن عدد مؤلفاتى ، فأجيب : إننى لاأستطيع الإجابة ، لأنه لا يهمنى مقدار ما ألفته ، ولكن يهمنى ما سأحاول تأليفه .
وقد ألفت ما يزيد عن المائة والستين كتابا ، هذا علاوة على كتب أخرى لا تزال مخطوطة ، ولم أتمكن للآن من نشرها ! . .
* ما هى المؤلفات التى قرأتها وأعجبت بها ، أو تأثرت بها ؟
فأجاب :

— هناك عدة مؤلفات أعجبت بها ، ولكن مؤلفات الفيلسوف « المعرى » ، وقصائد « ابن الرومى » و « ابن زيدون » هى التى تأثرت بها أكثر من غيرها .

* هل هناك بيت من الشعر أعجبت به ، ويمكن أن يكون لسان حالك ؟ » فأجاب :

أَنْفَعُ النَّاسَ وَحَسْبِي أَنَّنِي أَحْيا لِأَنْفَعْ
أَنْفَعُ النَّاسَ وَما لِي غَيْرُ نَفْعِ النَّاسِ مَطْمَعْ

وهنا قاربت الساعة العاشرة مساء فاستأذنت ، وخرجت وأنا أردد البيتين اللذين ذكرهما ! !

رجل شعاره العمل

بقلم الدكتور: «فون ليرز»

« ... على أن الأستاذ « أنيس منصور » قد زاد على كل فن بما كتبه فى مقاله البديع ، المنشور فى « أخبار الأدب » بعنوان: « ألف كتاب اسمها « كامل كيلانى » ! فقد كشف لنا — فى صدق وإيجاز — حقيقة ما أسداه الأستاذ « كامل كيلانى » من صنيع ...

قال :

« ... لا يعرف « كامل كيلانى » إلا شيئا واحدا هو : أن يعمل ليلا ونهارا — بحماس الشبان ، وإيمان الشيوخ — بأنه يؤدى عملا نافعا ! ولا يعنيه ما يقول الناس ... وهو زاهد فى الشهرة وفى المال .

ولكنه لم يزهد أبدا فى العمل والإخلاص ، لأبنائه من الأطفال فى كل مكان .

... هذا هو « هانس أندرسن » البلاد العربية !

هذا هو الأخوان الألمانيان : « جريم » ، بل إنه كل أسرة « جريم » ، يعمل فى صمت ، دون أن يكترث - قليلا ولا كثيرا - للنقد ... وقد حدث أن هاجمته إحدى المجلات شهورا متوالية ، فلم يشأ أن يقرأ النقد الذى كتبته .

... ومن رأيه : أن المعركة بين أديبين ، من شأنها أن تجعل الأدب يفقد اثنين من رجاله ، ولذلك يؤثر الصمت حين يهاجم النقاد ، وبذلك يخسر الأدب رجلا واحدا .

إن شعار هذا الرجل هو : أن يعمل ، ويعمل دائما !!

إنه هو الذى فتح باب العناية بالطفل ، وتسليته ، وتثقيفه .

إنه هو الذى فتح الطريق إلى ركن الأطفال فى الإذاعات العربية ، وهو الذى أنبت عملية مستنيرة للأطفال ، كمجلة « سندباد » ...

... هذا هو « بابا » كل الأطفال العرب من « إندونيسية » إلى « مراكش » ، ومن « مصر » إلى « جنوب إفريقية » .

هذا هو « كامل كيلانى »(١)

أنيس منصور

* * *

قلما لقى نبىّ كرامة فى وطنه ، لكن « كامل كيلانى » جدير أن يُعترف له بالفضل ، جزاء ما يؤديه من رسالة : هى دعوة إلى التقدم والمعرفة وإسعاد النفس ، بما أحسنت الانتفاع به من تجارب السنين .

أستاذ : دكتور :
« فون ليرز »

---

(١) قطوف من صحيفة « الأخبار » ١٩٥٦/٦/٢٩ .

مع كامل كيلانى .. أستاذ الجيل (*)

بقلم الأستاذ أسامة عانوتى

إذا حاولت أن أقدم إليكم الأستاذ الكبير « كامل كيلانى » ؛ فقد تجنيت عليه وعليكم .. وأجدر منى بتقديمه الأمهات والمعلمون ، الذين يقرون بما ليده الفنانة البارعة ، من فضل فى تثقيف أولاد هؤلاء وتلامذة أولئك ..

فمن منكم لم يعش فى قصص « الكيلانى » ؟

ومن منكم ينكر فضل « الكيلانى » على اللغة والأدب العربيين ؟

فالواقع أن الخدمة التى جند لها هذا الأديب الموهوب — حقا — نفسه ومؤهلاته الضخمة ، منذ أن أمسك يراعا لا تكاد تُبذّ .

وقد لا أعرف بين أدباء هذا الجيل واحدا توفّر على عمله ، وأدّى للناس نفعا بهذا العمل ؛ كما توفّر على عمله بهمة وإخلاص ، وكما نفع بعمله الأستاذ الكبير « كامل كيلانى » : صاحب قصص الأطفال المعروفة .

إذا رأيت الأستاذ « كامل » لأول مرة - كما رأيته - هالك منه هذا اللطف المقرون بالتواضع الجمّ ؛ ثم هذه النفس الأنيسة القريبة ، تحسّ إزاءها أنك قد عشت معها منذ زمن بعيد .

(*) بيروت المساء — مايو ١٩٥٦

وخدمة الأستاذ « كامل » لا تجارى ، والتى قابلناه من أجلها ، ورجوناه أن يتفضل على قراء « بيروت المساء » بكلمة ؛ هى تأليفه طائفة من القصص ، تتدرج مع الطفل من رياض الأطفال إلى البكالوريا .

فإذا الشاب العربى قد شبّ ونما ، مع ذخيرة أدبية نفيسة . ولنصغ إلى أستاذ الجيل يقول :

« لقد عمدت إلى مفردات الأدب العربى الحديث الجديرة بالبقاء ، فجمعتها من بطون الكتب النفيسة ، ثم ضمنتها بالتدرج مائة وخمسين قصة ، ترافق الولد العربى منذ طفولته فى رياض الأطفال ، إلى شبابه فى صفوف البكالوريا ؛ فإذا ما انتهى من آخرها : « عجائب الدنيا الثلاث » ، وأقبل على أمهات كتب الأدب ، لم يشعر بأى انتقال .. ويضاف لهذا أن هذه القصة تضم وحدها كل هذه المفردات تقريبا .

فمن مشاكلنا أن هذه الكتب يقبل عليها الطالب ، وكأنها جبل لم يتدرج فى طريقه إليه . فوضعت أمام ناظرى مَثل الإسبانية فى قصة « حىّ بن يقظان » ، التى كانت تحمل كل يوم ثورا صغيرا ثم تصعد به السلم .. فلما كبر الثور ، ظلت على عادتها لم تغيرها ، فقد اعتادت ذلك .

فإذا ما تعوّد الولد العربى على حمل هذه المفردات شيئا فشيئا ، لم تفاجئه بعبئها الثقيل ، وهو يغوص فى أمثال « الأغانى » ، و « المفضليات » ، و « الأمالى » ، و « العقد الفريد » ...

وفى اعتمادى هذه المفردات، أتخذ أصحّ اللفظات بعد مراجعة مواضعها فى غير مصدر ؛ فإن عثرت على كلمة فى شعر المتنبى، وعلى أخرى بمعناها فى القرآن الكريم ، اعتمدت القرآن الكريم طبعا ...

وهكذا يتجرّع الطفل المفردات صحيحة ـ من أول مرة ـ وتعيش معه صحيحة ..

ولا تظنن أن المفردات لها من حيث صعوبتها أو سهولتها عند الطفل اعتبار ..

فالواقع أن كل كلمة عند الطفل تساوى أية كلمة ؛ فليست قضية صعوبة أو سهولة الكلمة بشىء لدى الطفل » .

* * *

ولما سألت الأستاذ الكبير عن مبدئه فى عمله هذا، أجابنى : « إننى أتمثل بقول النحلة فى قصتى : « النحلة العاملة » :

أَنْفَعُ النَّاسَ وَحَسْبِي   أَنَّنِي أَحْيـا لِأَنْفَعْ
أَنْفَعُ النَّاسَ وَمالِيَ   غَيْرُ نَفْعِ النَّاسِ مَطْمَعْ

فكتبى لا تتسم بغير سمة الإنسانية ، وهذا سرّ نجاحها ورواجها . . . »

* * *

أما سر نجاحه ، فيعرضه من خلال قصته « صراع الأخوين » حينما كان معلم الرماية يمتحن اهتمام طلابه بإصابتهم الهدف ، وهو رأس الطائر . فإذا سئل الطالب عما يرى ، وأجابه : الطائر ، والشجر ، والخضرة ، نحوه . حتى إذا جاء دور طالب قال : إنه لا يرى إلا رأس الطائر . أدرك معلمه أنه يهدف إلى رأس الطائر . حقا ..

وهكذا حالى ... لم أر إلا « رأس الطائر » ، وأخذت نفسى بـ « رجيم » قاس فى الحياة ؛ فحصرت جهودى كلها فى عملى ، وأغفلت كل شيء ، فلم أردّ على ناقد ولا كاتب ؛ بل أكاد لا أجيب على رسائل الإخوان .. ولا أذكر أننى كتبت فى حياتى كلها أكثر من خمس وثلاثين رسالة ..

والأستاذ « كامل » قد راد ـ الآن ـ أفقا جديدا فى قصصه . فعمد إلى سلسلة خاصة ، ترجم السطر العربى منها بما يقابله بالإنكليزية أو بالفرنسية .. وهكذا يملك الطفل ناصية لغتين أو ثلاث معا فى آن واحد .

ويجدر بنا أن نذكر أن سلسلة قصصه كلها مقسمة بحسب المواضيع ، فمنها ما ألحق بقصص العلوم كالنحلة العاملة ، أو التاريخ .. الخ مما يكفل للطفل ثقافة وإنسانية شاملة .

* * *

وبعد . . . فهذه « دردشة » خاطفة مع « أبى الدردشات » ، ومعلم هذا الجيل « كامل كيلانى » الذى نما فضله الأدبى واللغوى على أبناء هذا الجيل منذ نعومة أظفارهم ، ورافقهم طيلة حياتهم الأدبية من دون شك .

هذا ، وقد حملنى أستاذنا « الكيلانى » لـ « لبنان » وأدبائه وأبنائه تحيانه المضمخة بالشوق والحب .

أضواء على حياة كامل كيلانى [1]

بقلم الأستاذ أنور الجندى

إنه رجل واحد ... له قصة معى ، وقصة خطيرة ... ذلك هو الرجل العملاق المتواضع «كامل كيلانى» الأديب المصرى المحقق ، الذى صنع أدب الأطفال وابتدع فيه فنونا . وما زال هو « القمة » فى مدارسه جميعا . .

هذا إلى فنونه الأدبية المختلفة التى ابتدعها فى ميدان الفكر والأدب والتاريخ ، وأنشأ فيها فصولا ما تزال حية فى مؤلفاته المتعددة .

ولقد كنت كتبت فصلا عنه فى كتابى : « أضواء على حياة الأدباء المعاصرين » ؛ ولكنى تبينت أننى لم أدرك كل إنتاجه ، ولم أكشف عن جوانبه الأدبية المتعددة .

أما قصتى معه اليوم ، فهى قصة أخرى ...

لقد بدأنا نعمل فى إعداد « أضواء » ، ونحن نشفق من هذا العمل الضخم . فليس معنا من الموارد ما يكفى لذلك . .

إن كل الذى معنا قروش قليلة ، قد اقتطعناها من مواردنا ، وإيمان بالله ، وثقة بضرورة خروج هذا العمل إلى حيز الوجود ، هذا العمل الذى آمنا بأنه ينقص حياتنا الأدبية فى مصر ، والذى كان حلما طالما راود ذهن « صلاح الدين الشريف » و « عبد العزيز الدسوقى » و « محمد محمود حمدان » و « طه عبد الباقى سرور » و « أنور الجندى » .

---

(١) مجلة أضواء — العدد الأول — يناير ١٩٥٧ .

ولقد طالما تناجى هؤلاء آحادا وفرادى حول هذا العمل ... ثم جاءت اللحظة الحاسمة لظهور هذه المجلة عندما بدأ الزحف المقدس .. الذى أذن له جمال « عبد الناصر » . وبدا واضحا كفلق الصبح ، عند ما أصبحت « القومية العربية » حقيقة فعلية بعد تأميم القناة . وأصبح ضوءاً باهراً ، بعد هزيمة القوات المعتدية فى بور سعيد وعودتها خائبة ..

ولقد رأينا ـ كى يخرج هـــذا العمل كاملا ـ أن نعزز جبهتنا بعدد من الشخصيات الكبرى فى محيطنا المصرى .. فنطلعهم على عملنا ، وقد حررنا إليهم خطابا هذا نصه :

« الأستاذ الجليل ...

تحية طيبة : باسم رسالة الفكر الخالص ، وإيمانكم الصـــادق للأدب والفن . .

أكتب إليكم ـ وأنا كبير الأمل ـ فى المساهمة معنا فى إصدار مجلة باسم « أضواء » .

فقد لاحظتم ولاحظنا ـ جميعـــا ـ أن الأدب الرفيع والفكر الخالص والدراسات الأدبية لا تجد مجالا حيا بعد اختفاء مجلات الرسالة والثقافة والمقتطف والكتاب . وغيرها من المجلات الأدبية التى خلقت آثاراً قوية بعيدة المدى .

وإنا نلاحظ مدى حاجة المثقفين إلى مثل هذه المجلة التى تتسع لعشرات الأبحاث الخاصة لكثير من العلماء والمفكرين ، ولذلك عوّلنا على أن نقوم بهذه الرسالة ، وأن نؤدى هذا الواجب فى سبيل بعث أدبنا ، وإحياء أمجاد الثقافة العربية الشرقية الإسلامية ، على نحو جديد ، فى إخراج أنيق . . . »

وقد أرسلنا هذا الخطاب إلى أكثر من مائتين من الشخصيات البارزة من المحامين والمهندسين والأثرياء والعلماء والأساتذة .. ولكن واحداً من هؤلاء لم يجب على خطابنا برد . . . اللهم إلا واحدا ظل يبحث عنى بقوة ، ويواصـــل السؤال فى كل مكان .. رجلا واحدا فقط .

أتدرى من هو ؟ .. اقرأ المقال من أوله ...

لا أريد أن أعرض للجانب المضيء منه ، وهو جانب قصص الأطفال ، والألف قصة التى كتبها . ولكنى أحاول أن أرسم صورة له ، خارج هذا النطاق ...

لا أريد أن أذكر قول السيد « حسن القاياتى » :

سَيِّدُ الأَحْرارِ طُرًّا كاتِبٌ

يَبْتَنِي مِنْ كُلِّ طِفْلٍ رَجُلًا

ولكنى أريد أن أتحدث عنه : كيف بدأ ، ولماذا تحول عن طريقه الأول ، وكيف هو الآن بعد أربعين عاما من اشتغاله بالأدب ؟

لقد كان من أوائل الجامعيين : زميلا لطائفة من رجال أدبنا المعاصر إشراقا وحيوية : « زكى مبارك » و « عبد الله القلقيلى » ، و « عبد الوهاب عزام » و « عبد الحميد العبادى » و « فريد رفاعى » ، و « البيلى » ، و « حسن إبراهيم حسن » .

ولعل أعجب مظاهر حياته الأدبية ، هى أنه فى الوقت الذى حفظ فيه « ألفية بن مالك » - وهى من الدراسات الأزهرية الخالصة - حفظ « لافونتين » و « الحريرى » ، وكأنما أريد له أن يجمع أسباب التبريز فى الأدبين : العربى والغربى ، على السواء . .

وهو فى طبيعته رجل معتزل : يحب الوحدة ويكلف بها ، ويصرفها فى البحث والدراسة ، وما زال الآن وهو يحمل الأعوام الستين فوق كاهله ، دؤوبا يقذى نظره الكليل تحت أضواء المصابيح لا يهدأ ولا يتوقف ، فقد أصبح عمله هذا هواية وغاية . .

أصبح روح حياته وأيامه . .

إنه لا يضيع دقيقة واحدة من عمره . قال لى :

« ما ضاع من عمرى شيء أبدا . كنت أعمل ؛ حتى فى يوم المرض أفكر وأتأمل وأرسم خطط العمل . .

كنت أذهب إلى جبل المقطم ـ ومعى كتاب ـ وأنا فى ذلك أومن بالقاعدة التى تقول :

العلم إذا أعطيته كلك ، أعطاك بعضه . وإذا أعطيته بعضك ، لم يعطك شيئاً ! »

بدأ « الكيلانى » حياته بـ « ابن الرومى » ـ قبل « المازنى » و « العقاد » ـ حيث حقق ديوانه .

قلت له :

أكان شؤما عليك كما كان شؤما على « المازنى » فهيضت ساقه ، و « العقاد » فدخل السجن . .

قال : لقد كان شؤما على نفسه ! . .

وكما أعد ديوان « ابن الرومى » ، أصلح ديوان « ابن زيدون » الذى لم يكن مطبوعا .

ولعل كتابه عن « رسالة الغفران » التى أخرجها عام ١٩٢٣ م من أبرز أعماله وأضخمها .

فإذا قيل : إن كتابه عن « الأغانى العالمية » التى ترجمها إلى العربية شعراً وموسيقى هو أعظم أعماله ـ وهو الرائد الأول لهذا الفن ـ قيل : إن هناك عملا أجل خطراً لم يعرف عنه الناس شيئاً بعد . . بالرغم من جلاله وخطره .

هـذا العمل فى تقديرى ـ هو مفتاح ـ شخصية « كامل كيلانى » الأصيلة .. فالذين شهدوا « الكيلانى » ـ وهو يتصدر صالونه الأدبى ويدير الحديث بلباقته الفذة ـ يلمحون هذه الخصلة من خصاله ..

إنه ما من فن أو علم أو معنى يتحدث عنه الناس فى أدب من الآداب . . إلا وجد له ضريبا فى اللغة العربية . . وقد جمع عن هذه « المعانى المشتركة » ١٨٠٠ صورة .. وهو يقول :

إنها أبرع عملة فكرية فى الغرب بشهادة كبار النقاد ، وقد أردت إيراد هذه المعانى وما يقابلها فى الآداب العالمية ، لأقنع الشباب بجلال أدبنا .. وأضفت إليها ٢٥ عملة فكرية من الأدب العربى ، لا ضريب لها فى الأدب الغربى ، بكافة فنونه وألوانه .

وقد روى لى كيف بدأ هذا الاتجاه . . أيام كان طالبا فى كلية الآداب يستمع إلى أستاذه « برسى وايت » عام ١٩١٨ م .

وقد عرف فيه أستاذه . . « ابتسامته » ذات المعنى . . . فقد كان يلاحظه . فإذا ابتسم قال له « برسى وايت » : هل لها ضريب بالعربية ؟

وقد بدأ هذا عندما سأل أستاذه عن رأيه فى قصة « هى أو عائشة » فقال : « تحت درجة الاحتقار » . .

وقال « كامل كيلانى » : الطالب فى « كلية الآداب » الذى كان يحفظ إذ ذاك ٣٠ ألف بيت من الشعر :

إن « ابن الرومى » يقول فى هذا المعنى :

قَوَّمْتُهُ بالشَّتْمِ يُهْدَى لَهُ فَلَمْ أَجِدْ قِيمَتَهُ تَسْوَى

ومن هنا بدأت هذه المعارضات ، حتى اكتملت فى ١٨٠٠ صورة لم تطبع بعد . .

وشخصية « كامل كيلانى » تبدو فى طبيعته المتواضعة العالية ، التى ترغب عن الصيال ، أو الردّ على ما يوجّه إليه من نقد .

وكان قد بدأ حياته الأدبية بمقالات فى النقد عام ١٩٢٠ م بإمضاء « ك . ك » : أحسّ بعدها أنه تزعم الميدان ، وأحرز الشهرة ! فنفض يده من النقد وازدراه ؛ إذ رآه عملا يوصل إلى الشهرة دون عناء ، وهو الحريص على أن يصل بالجهد والعرق والسعى الموصول .

ويرى أن أعظم ما كان من أثر له ، هو نقده لـ « شوقى » ، حين وجهه إلى كتابة المسرحية الشعرية . . فلما كتبها « شوقى » أحس بأن الخصومة بينهما قد انتهت . . ومن ثم صارا صديقين ارتبطت بينهما أواصر الود الصادق ، والحب الأكيد . . .

قال لى : إن شعارى فى الأدب هو : « ليس من حقى أن أمنع الناقد من الكلام ؛ ولكن من حقى ألا أصغى إليه » .

وهو يؤمن بالحكمة القائلة : « خير العمل أدومه ، وإن قلّ » .

ويرى أن « أبا العلاء » كوّنه فى بيته الذى يقول فيه :

فَلْتَفْعَلِ النفسُ الْجَمِيلَ لِأَنَّهُ
خَيْرٌ وَأَحْسَنُ لا لِأَجْلِ ثَوابِها .

قلت له : أنت متهم بالتعصب للأدب العربى ؛ وبالرغم من أنك تعلمت فى المدارس العصرية ، فأنت كاف باللغة العربية وشعرها ونثرها وحكمتها كلفا لا يدانيه كلف الذين تلقوا هـــذه الدراسات فى الأزهر مثلا . . .

ولكن « الكيلانى » قال لى :

« . . . إننى مفتون بكل أدب فتنــة لا تقف عنـــد حد . وفتنتى بالأدب الفرنسي والإنجليزى لا تقلّ عن فتنتى بالأدب العربى . مفتون بكل معنى رائع . وليس فى هذه الآداب شىء ليس عندنا منه ما عند غيرنا ، وبالكيل الأوفى ! »

وقال « الكيلانى » : « إن محنة الأدب التى تمر بها مصر اليوم قد صوّرها « أبو تمام » و « البحترى » و « ابن الرومى » . . . فقد رسم كل منهم صورة الأديب العميق القوى العارضة ، حين يتجاهله الناس ويعجبون بالأديب البرّاق الضحل .

يقول « أبو تمـام » :

أَبا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجهالَةَ أُمُّها وَلُو
دٌ وَأُمَّ الْعِلْمِ جَـــرْداءُ حائِلُ

ويقول « البحترى » :

أَهُزُّ بالشِّعْرِ أَقْواماً ذَوِى وَسَنٍ
لَوْ أَنَّهُمْ ضُرِبُوا بالسَّيْفِ ما شَعَرُوا
إِذا مَحاسِنِى اللَّائِى أُدِلُّ بِها
عُدَّتْ ذُنُوبِى ، فَقُلْ لِى: كَيْفَ أَعْتَذِرُ ؟

ويقول « ابن الرومى » :

ما خَمَدَتْ نارِى وَلٰكِنَّها   أَلْفَتْ نُفُوسًا نارُها خامِدَهْ
قَدْ فَسَدَتْ فِى دَهْرِنا أَنْفُسٌ   تَسْتَبْرِدُ السُّخْنَةَ لا الْبارِدَهْ

وقال « الكيلانى » : إنه كانت له شطحات من الشعر يكتبها ويبدعها ، ثم يطويها فلا يذيعهـــا فى الناس .. يفرج بها عن نفسه بعض مشاعره ، وإنه كان كلفا بشراء دائرة المعارف ، وكان يخشى أن يموت قبل أن يقرأها .

ومرض ذات مرة ؛ فكان مما يؤرقه فى مرضه ، أنه لم يقرأ دائرة المعارف بعد ، فلما أبلّ أسرع بشرائها .

وقال الأستاذ « الكيلانى » : إن حرب اللغة العربية التى يكلف بها الناس اليوم ، إنما هى جزء من خطة ضخمة ، يدبرها الاستعمار ، ويدعو لها ...

فقد سمم الاستعمار جميع الآبار ، واستطاعت الثورة أن تحطم خططه ، خطة بعد أخرى ..

والدعوة للغة العامية من هذه الخطط ، التى حاربها « الكيلانى » منذ عام ١٩٣٠م ؛ عندما عقدت مناظرة ضخمة بين : « إبراهيم رمزى » و « لطفى جمعة » ، وحضرها طائفة من كبار القوم ، أمثال : « شوقى » و « الهياوى » و « صادق عنبر » و « الهراوى » .

وقد انتصر يومها الحق ، بعد كلمة صريحة علّق بها على كلمتى المتناظرين ، وفنّد فيها العبـــارات البراقة التى استغلت للدعوة إلى العامية .

* * *

هذه صورة موجزة للجانب الذى طواه « الكيلانى » ، حين فرّغ نفسه لأدب الطفل ، ولقصص الأطفال ، والتى نشر منها جزءا من تسعة أجزاء من إنتاجه ، وسدّ بها ذلك الفراغ الضخم . .

وعندما نتساءل اليوم : لماذا لم يطبع هذا الباقى من إنتاجه ؟ يقول لنا : لقد كان نجاح الفكرة معوّقا لنا عن إتمامها . . .

إن « أضواء » لتحيّي الأب الروحىّ لأطفال الجيل كله فى بلاد الناطقين بالضاد ، وترجوه أن يذكر أن الجيل الذى تعلم على قصصه ، قد شبّ ونما ، وأصبح فى حاجة إلى ثقافة عليا . . . من ذلك النوع الذى هجره « الكيلانى » منذ عشرين عاما . . .

نقيب الأدباء يتحدث (١)

بقلم الأستاذ أحمد الشرباصي

* الشعر .. والقصة

* وأدبيات أخرى

فى شارع حسن الأكبر بالقاهرة ، وفى مكتبة « الأطفال الكيلانية » العامرة بألوان القصص للناشئة منذ بدء التعليم إلى الجامعة ، جلست إلى الأستاذ الكبير : « كامل كيلانى » ، ومن وحى المكان الذى نجلس فيه ، والقصص الكثيرة التى تحيط بنا ، قلت له :

* ما هى العوامل الأولى التى دفعتك إلى الاتجاه نحو القصة وكتابتها ؟

فأجابنى بقوله :

ـ كان لى خال يسمى « سعد إسماعيل » ، وكان رجلا مكفوف البصر ، وقد كفله والدى إذ لا عمل له .. وكان خالى هذا بحرا فياضا من القصص ؛ فكان لا عمل له إلا أن يقصّ على مسمعى ما عنده من قصص أثناء الليل .. وكان هذا بعض ما جعلنى أحب القصص ، حتى كنت أنصرف ـ فى حصص المدرسة ـ عن الدروس إلى مطالعة القصص وحفظ الأشعار .. وكان لنا حوذى (عربجى) ؛ هو نصف أمّى ، ونصف فيلسوف ، وكان حافظا للقرآن الكريم ،

---

(١) مجلة صوت الشرق — ديسمبر ١٩٥٨ .

ولكثير من الأحاديث النبوية ، ولكثير من الحكايات المتعلقة بالسحر والخرافات .

وكان والدى ينصرف إلى عمله ، ويترك الحوذىّ يقصّ علىّ أو يطالع لى ؛ وقد سمعت منه قصة « سيف بن ذى يزن » ، فأثرت فى نفسى كثيرا !

ومن المصادفات العجيبة ، أن والدى كان صديقا لأحد الأعيان المعروفين .. وذات يوم رآه والدى حزينا ، فسأله عن سبب حزنه ، فأخبره بأنه كان يعول امرأة يونانية أرملة ، ولها بنتان ، وأنه سيسافر إلى « سويسرا » ، ولا يدرى ماذا يصنع بهذه الأسرة المسكينة ؟

فأبدى والدى استعداده ليعول هذه الأسرة ، وتولّت المرأة تربيتى ، وكانت بنتاها على ثقافة واسعة ، وأول ما سمعته منها : هو « أساطير اليونان » .

وكان هناك شاعر شعبى من شعراء « الربابة » اسمه « عبده الشاعر » ، وكان ينشد على ربابته أقاصيص البطولة ، وحوادث « أبى زيد الهلالى سلامة » و « الزناتى خليفة » ؛ فكنت أذهب للاستماع إليه كل ليلة فى ميدان « القلعة » فى « سوق العصر » .

فأنت ترى أن سماعى لقصص العرب ، وأساطير اليونان ، وحوادث الأبطال من شاعر الربابة ، وامتلاء أذنىّ منذ الصغر بكل هذا ؛ كان له تأثير فى اتجاهى إلى القصة ؛ وقد أعجبتنى قصة « سيف بن ذى يزن » كثيرا ، وكنت أعقد مقابلات بينها وبين « الإلياذة » و« الأوديسة » لـ « هوميروس » ، وعزّ علىّ أن تذهب شخصية « دمر بن سيف ابن ذى يزن » هباء بلا تخليد ، فصنعت قصة « دمّر » ، وجعلت له ابنا سميته « صفوان » ، وجعلت هذه القصة فى ثلاثين جزءا ، نشرت منها ثلاثة فقط ، وكان عنوان القصة الذى خطّه صديق الأديب

الشاعر الخطاط الأستاذ « سيد إبراهيم » هو (الأمير « صفوان » وقصته بالتمام والكمال ، والحمد لله على كل حال) .

وحينما رآنى الناشر وعرف أننى المؤلف ـ وكنت لا أزال صغيرا ـ استخفّ بى واحتقرنى .. وعلمنى هذا ألا أكثر من اللقاء بالناس ، ولذلك كنت أنشر كثيرا بتوقيع رمزىّ هو « ك . ك » .

وليس معنى هذا ، أن القصص كانت كل شىء فى حياتى ، فقد كنت مولعا بالدراسة العلمية فى نواحيها المختلفة ، فكنت أطالع بالعربية والإنجليزية والفرنسية .

وكان لوالدى مكتبة ضخمة تحتشد بالكتب العلمية والرياضية ، لأنه كان رياضيا بارعا ؛ فعكفت عليها ، واستفدت منها كثيرا ، ولقد كنت أحفظ ـ وأنا تلميذ ـ عشرين ألف بيت من الشعر .

وكنت أنتهز فرصة العطلة الصيفية ، لأحضر فى « الأزهر » مستمعا ومحصّلا ، ومن أساتذتى فيه : الشيخ « محمد السحرتى » ، والشيخ « سيد بن على المرصفى » .

كما كنت حريصا على ندوات الأدب والشعر والعلم ، وأذكر من بينها ندوة الشيخ « مصطفى الحلبى الشامى » (الحلوانى) التى كنت أحضرها مع زميلى الأستاذ « سيد إبراهيم » ، وفى هذه الندوة عرفت « المعلقات » .

وأول ما حفظت فى هذه الندوة قول « عبد الغنى النابلسى » :

تَطَلَّسْ ، أَوْ تَقَلْنَسْ ، أَوْ تَقَبَّى
فَلَنْ تَزْدادَ عِنْدِى قَطُّ حُبَّا

تَمَلَّكَ بَعْضُ حُبِّكَ كُلَّ قَلْبِى
فَإِنْ تُرِدِ الْمَزِيدَ ، فَهاتِ قَلْبَا ..

مواد الأقاصيص :

وقلت للأستاذ « الكيلانى » :

* إنك عمرت مكتبة الأطفال العربية بعدد ضخم من القصص : بين : واقعى وخيالى ، ومؤلف ومترجم ، ومقتبس ومختصر ، وشرقى وغربى ، وقديم وحديث .

فهل لنا أن نعرف كيف جمعت الموادّ الأساسية الأولى لهذه الأقاصيص ؟

وأجاب مربى الناشئة بقصصه، فقال :

— لقد جاوزت الستين من عمرى . وهى مدة ليست بالقليلة ، وإن حياتى هذه ـ منذ الطفولة إلى اليوم ـ لم يشغلنى فيها شاغل عن الفن والأدب ، والاطلاع والتفكير !

ولا تنس أن النهار طويل ، والليل أطول ، ومثلى لا يضيع جزءا من وقته فى غير طائل .

ومتعتى هى القراءة ، والقراءة الموصولة التى تؤدى بطبيعة الحال إلى الكتابة الموصولة . . وروافد الثقافة متعددة ، وينابيع المعرفة كثيرة ؛ فأنا أرافق ـ منذ عهد بعيد ـ أمثال « شكسبير » و « موليير » و « المعرى » و « دانتى » و « فولتير » و « هوجو » و « موسيه » و « كولريدج » و « وبايرون » و « شـيلى » و « ديكنز » و « مانولى » ، وغيرهم ، وغيرهم . .

ومن هذه المرافقة استفدت ، وثارت فى ذهنى وخاطرى المواد المختلفة التى تشير إليها .

الشعر المكتوم :

وانتقل بنا الحديث من عالم القصة إلى دنيا الشعر ، فقلت له :

* إن كثيرين من أبناء الجيل الحاضر ، لا يعرفون أنك شاعر ، وأن لك شعرا يستحق أن ينشر ويذاع على الناس ، وقد سبق لكثيرين من أصدقائك ومحبّي شعرك كـ « الهراوى » و « القاياتى » و « الأسمر » ، و « شوقى أمين » و « حمام » و « سيد إبراهيم » أن طالبوك بنشر ديوانك .. ولكنك لم تفعل ، فلماذا ؟

وهل لك أن تحدثنا عن هذا الشعر ، وأن تسمعنا شيئا منه؟

وأجاب الأستاذ « كيلانى » بقوله :

— إننى لا أومن بأن هذا الشعر يستحق النشر أو الجمع فى ديوان ، وكما قلت للذين أرغمونى على فضل تكريمهم لى : « أنا القصير : ما كر لا ينخدع كما تقول الأمثال ، فلا سبيل إلى خداعى ؛ فأنا أعرف الناس بقيمتى ، وأجدرهم بفهم حقيقتى » .

والواقع أن لى شعرا كثيرا ، لو جمع لملأ خمسة دواوين لا ديوانا واحدا . وكثير من هذا الشعر قد نشرته الصحف أو المجلات إبّان إنشائه . وجميع الأشعار الموجودة فى قصص الأطفال من شعرى ، وقد ظللت سنتين فى عهد الثورة المصرية الأولى (ثورة ١٩١٩) أقول قصيدة كل يوم تقريبا . وقد أحرق كثير من هذا الشعر بسبب حملات التفتيش الباغية فى ذلك العهد !

ومن أمثلة هذا الشعر قولى فى الثورة وفى مآسى الاحتلال :

يا نِيلُ ، قَدْ قامَ مِنّا لِلعُـلا داعِي
مِنْ بَعْدِ إِغْفاءَةٍ طالَتْ وَتَهْجاعِ

يا نيلُ ، إنَّا أَفقْنا بَعْدَ نوْمَتِنا
نَبْنِي الْعُلا بِفُؤَادٍ غيْرِ مُرْتاعِ

يا رُبَّ شَيْخٍ ـ حَناهُ الدَّهْرُ ـ أَقْصَدَهُ
سَهْمُ الرَّدَى بَيْنَ أَحْناءٍ وَأَضْلاعِ

قَدْ جَلَدُوهُ ، فَلَمْ نَسْمَعْ لَهُ خَبَرًا
وَأَزْهَقُوا رُوحَهُ ، لَمْ يَنْعَهُ النَّاعِي

فاضَتْ إلَى اللهِ ، تَشْكُو ظُلْمَ قاتِلِها
وَجَوْرَ وَغْدٍ ، لَئِيمِ الطَّبْعِ ، خَدَّاعِ

قالُوا : بَنُو النِّيلِ أَغْنامٌ مُضَلَّلَةٌ
يَلُمُّ أَشْتاتَها مِنْ عِنْدِنا راعِ

قُلْنا : بَنُو النِّيلِ آسادٌ مُجَمَّعَةٌ
فَرَّقْتُمُوهُمْ بِأَحْزابٍ وَأَشْياعِ

نَعَمْ ، وَأَوْقَعْتُمُوا ـ ما بَيْنَهِمْ ـ إِحَنًا
بَذَرْتُمُوها بِأَرْضٍ ذاتِ إِمْراعِ

فَأَخْصَبَتْ ، وَنَمَتْ إِبَّانَ نَوْمَتِنا
وَقَدْ أَفَقْنا ، فَذُوقُوا خَيْبَةَ السَّاعِي ! !

* * *

ومن أمثلة الشعر العاطفى ، هذه الأبيات التى نظمتها سنة ١٩٢١ :

عَصَفَ الدَّهْرُ بآمالِ مُحِبٍّ مُسْتَهامْ
وَأَبى الشَّوْقُ عَلَى عَيْنِ مُحِبٍّ أَنْ تَنامْ
وَمِنَ الشَّوْقِ سَعِيرٌ مِثْلُ مَشْبُوبِ الضِّرامْ
شَدَّ ما يَلْقَى فُؤادِى مِنْ تَبارِيحِ الْهُيامْ
كَمْ تَذَوَّقْتُ أَفاوِيقَ وِصالٍ وَمُدامْ
وَتَحَمَّلْتُ مِنَ الْهَجْرِ أَفانِينَ السَّقامْ
سَوْفَ تَخْبُو نارُ حُبِّى ما لِأَمْرٍ مِنْ دَوامْ
ثُمَّ أَنْساكِ وَتَنْسانِى ، وَيَنْسانا الْغَرامْ
ثُمَّ لا يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ حُبٌّ أَوْ خِصامْ

* * *

ولقد قال لى الأمير « شكيب أرسلان » ذات يوم :

إنى أعرف بيتين يمثلانك خير تمثيل .

فسارعت بقولى له : أنا أعرفهما ، وهما من شعرى .

فقال أمير البيان : وما هما ؟

فقلت : هما قولى :

أَنْفَعُ النَّاسَ وَحَسْبِي أَنَّنِى أَحْيا لِأَنْفَعْ
أَنْفَعُ النَّاسَ وَما لِي غَيْرُ نَفْعِ النَّاسِ مَطْمَعْ

رابطة الأدب العربى :

ثم قلت لنقيب الأدباء :

* لقد كان لكم الفضل فى تأسيس « رابطة الأدب العربى » التى كانت تسمى فى أول الأمر « رابطة الأدب الجديد » .

فهل لكم أن تحدثونا عن فكرة هذه الرابطة وهدفها ؟ ولماذا لم تستمر فى أداء رسالتها ؟

وأجابنى بقوله :

— لقد ظلت هذه الرابطة من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٣٢ ، وكنت سكرتيرا لها .. ولم يكن لها رئيس : لئلا يحدّ من قوتها ، ولكيلا يكون هناك تنافس أو تحاسد ، وكان من أعضائها : « أحمد شوقى » و « أحمد زكى » و « خليل مطران » و « داود بركات » و « أحمد سامح الخالدى » و « الأب أنستاس مارى الكرملى » وسواهم .

وكان الهدف من الرابطة هو خدمة الأدب العربى ، والعمل على جمع الشمل بين الناطقين بالعربية على مائدة الأدب .

وكان للرابطة فى كل قطر عربى سكرتير : ففى العراق الأب « الكرملى » ، وفى سوريا « كردعلى » ، وفى فلسطين « سامح الخالدى » ، وكان فيها نحو أربعمائة عضو ، وكانت تسير على أقوم المبادئ .. ولكنها - مع الأسف - لم تستمر ، لأن الشياطين كثيرون ؛ وهم - فوق كثرتهم - لم يريدوا لها البقاء ... مع أن أمير الشعراء هو الذى يقول فيها ، وكان هذا شعارها :

وَعِصابَةٍ بالْخَيْرِ أُلِّفَ جَمْعُهُمْ
والْخَيْرُ أَفْضَلُ عُصْبَةً وَرِفاقَا

جَعلُوا التَّعاوُنَ ، وَالْبِنايَةَ ، هَمَّهُمْ
واسْتَنْهَضُوا الْآدابَ والأَخْلاقَا

يَبْنُونَ لِلأَدَبِ الْجَدِيدِ ، وَتارَةً
يَبْنُونَ لِلأَدَبِ الْقَدِيمِ رِواقَا

وقد قامت الرابطة ـ فوق جهودها الأدبية ، وبحوثها المختلفة ـ بتقديم الأدباء والشعراء المعاصرين فى محاضرات ، وكان لها محاضرات أسبوعية تخرّج فيها عدد كبير من الأدباء اللامعين . . .

وقد تحملت فى سبيلها متاعب مادية قاسية .

ثم حاول بعض الأدباء أن يزجّوا بها فى السياسة ، فدبّ الخلاف واستشرى ، وانتشرت الدسائس والأحقاد ، وعمل على هدم الرابطة أولئك الذين بنتهم الرابطة ، وحاول بعض السياسيين أن يسخروها لمآربهم ، فلم يفلحوا .

ثم انقسمت الرابطة إلى فريقين : ففريق بقى فيها ، وفريق تكوّنت منه جمعية « أبولو » . وتولى الدكتور « أبو شادى » هذه الجمعية ، وتولى الشيخ « عبد الله عفيفى » أمر الرابطة ، ولم يمض إلا زمن يسير ثم أصبحت الرابطة فى طىّ النسيان !

والواقع أن ما يجدّ فى حياة الإنسان من أعمال ، يشغله عن طول الالتفات إلى الماضى القريب أو البعيد .

كامل كيـــلانى (١)

بين « أبى العلاء » و « أبى خربوش »

بقلم الأستاذ فوزى سلمان

. . . كنت توّاقا إلى أن أراه بعينى وأجلس إليه . . . وقد عرفته منذ سنوات بعيدة ـ وأنا بعـــد تلميذ صغير ـ فى قصصه وأساطيره وحكاياته التى أثارت فى نفوسنا ـ ونحن أطفال ـ أحلاما جميلة ، انطلقت بنا فى جوْلات رائعة إلى مختلف العوالم . . .

وفى « صومعته » المزدحمة بالكتب والمراجع من كل لغة ، ومع كوب من عصير القصب الطازج . . تنساب الذكريات متلاحقة فى حديث حلو ، يقصه عليك فى أسلوب رشيق . . ويدهشك — وهو بجسمه « الضئيل » — بمعارفه (الضخمة) .

إنه فى ذلك الجيل : من رواد نهضتنا الأدبية والثقافية التى وثبت نشيطة قوية بعد ثورة ١٩١٩ . . أحد الذين كانت المعرفة عندهم كفاحا « وطنيا » . كان يقضى شهور الصيف الأربعة فى « الأزهر » ، يدرس اللغة العربية والفقه . .

(أما فى أثناء دراستنا بالجامعة القديمة ، فقد وضعنا لأنفسنا خطة لدراسة الأدب العربى ، والأدب الإنجليزى والفرنسى ، ولدراسة الفلسفة والتاريخ الإسلامى . وفى نفس الوقت التحقت بمدرسة « دانتى الليجييرى » لدراسة الأدب الإيطالى .

---

(١) جريدة المساء فى ٤ مارس ١٩٥٩ .

وكنت أهرب مع « زكى مبارك » إلى مدرسة « الأزهر الفرنسية » وهو الاسم الذى أطلقناه على القسم الليلى ، الذى أنشأته البعثة الفرنسية بحى الأزهر).

ثم .. مثابرة - ليـل نهار - على الاطلاع والتهام الكتب .. ١٦ ساعة قراءة متصلة ؛ لعلها هى التى سببت فقده لبصره لمدة أربع سنوات ..

* * *

ويسهم الأديب الشاب فى بناء صرح النهضة .. وإن بدأ بالطريق الصعب .. طريق النقد .. إذ تصدّى فى مجلة « السفور » لنقد « شوقى » بإمضاء « ك . ك . مدرس »..

وكان نقد أمير الشعراء — فى ذلك الوقت — دونه الجبال ..

قال الناقد الشاب : إن النهضة الأدبية أكبر من جهد « شوقى » وإنه لم يستطع مجاراتها ، وإنها سبقته .. وإذا لم يخرج عن نطاق القصائد ، فإنه يكون متخلفا عن موكب النهضة .. ويثور فى كتاباته على الطريقة التقليدية فى الشعر .. وعلى « الأكليشيهات » القديمة ، مطالبا بالصدق فى التعبير ..

ولكنه لا يستمر فى هذا الطريق الشاقّ .. فينصرف إلى ديوان « ابن الرومى » يحققه .. وإلى شعر « ابن زيدون » ينشره للجمهور ، بعد أن كان مهملا يتيما .. ثم يعيش مع « أبى العلاء » ، فيحقق له ديوان « لزوم ما لا يلزم ».. وينشر سنة ١٩٢٢ « رسالة الغفران » بعد جهد ومجاهدة مع الناشر ، الذى لم يجرؤ على نشرها إلا بعد أن أوهم أنها « رواية » تصوّر الجنة والنار ..

أراد « كامل كيلانى » أن يقدم الأدب العربى القديم للشباب . .
فأهدى كتابه (إلى « الشباب » المفكر الذى اطلع على الآداب الغربية ؛ فسحرته أنغامها العديدة ، وهاله خضمّها الزاخر الجياش ؛ بشتى إحساسات الحياة وخوالجها ومثلها الرائعة ، وعطف على الآداب العربية فأحرج صدره منها ما فيها من الخلط وسوء الاختيار ، فعزف عنها مزدريا ناقما ، واندفع ـ متهافتا ـ على الأدب الغربى) .

ألا تصلح هذه المقدمة نفسها لشباب اليوم ؟ !

ويخرج مع دعاة الأدب الجديد إلى الناس فى « رابطة الأدب الجديد » التى ضمت كثيرا من الأدباء العرب فى البلاد العربية . . وإن لم تستمر فى حمل الرسالة كثيرا ، وينفصل عنها قسم يكوّنون جماعة « أبولو » مع « زكى أبو شادى » .

لم أنس فى جلستى إليه إعجابى بالرجل ، حينما كنت صبيا صغيرا . لقد أعجب معى بقصصه الطريفة آلاف الأطفال فى إندونيسيا والهند وسيلان والصين والفلبين والملايو . . وفى كل أطراف العروبة . .

ترجمت أول قصصه للصينية عام ١٩٢٧ . .

ترجم وزير تجارة ألمانيا أول كتاب له إلى الألمانية .

والذين ذهبوا إلى « باندونج » ، والذين زاروا مؤتمر الأدباء فى « طشقند » ، سمعوا الناس يتحدثون عن انتشار قصصه بين مواطنى الجمهوريات السوفييتية .. أليس هذا من خير الطرق للتبادل الثقافى ، وتنمية الصداقة والمحبة بين الشبيبة فى مختلف الشعوب ؟ !

* * *

قلت للرجل الذى احتفل محبوه بعيد ميلاده الحادى والستين منذ قريب :

— لكن . . كيف تحوّلت من « رسالة الغفران » إلى قصة « الدجاجة » و « حبة القمح » . ومن شعر « أبى العلاء » العميق إلى « أبى خربوش » سلطان القرود ؟!

فيتحمس الرجل ، وهو يدعونى إلى كوب عصير القصب الثانى :

« لقد فكرت فى قصص الأطفال منذ كنت صبيا صغيرا . كانت كل كتب المطالعة مشحونة بالعظة والإرشاد ، وبعيدة عن فهمنا ، فى حين كانت الكتب الأجنبية جميلة ومزينة بالصور ، وموضوعاتها ميسورة .

وألّفت أول قصة لى وأنا تلميذ بالابتدائى ١٩٠٨ ، وذهبت مع صديق « سيد إبراهيم » ، وأنا ببنطلونى القصير إلى أحد الناشرين .. لن أنسى النظرة الشزراء التى رمانى بها ؛ فما زلت أتفزع منها حتى اليوم .. تعلمت من درسى الأول هـذا أن الفكرة أهم من الشخص . . وأن أبتعد دائما عن الأضواء . .

قصد « الكيلانى » من قصصه أن يحبب القراءة للأطفال ، بكل الوسائل - من صور وحكايات مشوقة - لتجنيبهم الخطأ اللفظى ، والخطأ المعنوى . حاول إعطاء الطفل كلمات عربية سهلة ؛ تقرب من العامية حتى تمتزج الكلمات الصحيحة بنفس الطفل ، وتتألف له ملكة عربية ، لا تكلف فيها ولا صعوبة . . ومتى أصبح قادرا على التعبير الصحيح بلا عناء ؛ أحب لغته كما يحب الأجانب لغتهم .

وقد نشر « الكيلانى » حتى اليوم ١٥٠ قصة . . ويقول : إنه سيكملها إلى ألف أعدّها فعلا ، وإنها ستكون الجسر إلى تعرّف دواوين الشعراء .

وفى تقديره أن الألف كتاب أو قصة ستمرّ فيها مفردات الأدب العربى كله . . وبذلك تصبح عادة عند الطفل ، ويألفها ؛ حتى إذا انتهى منها يستطيع أن يقرأ « ابن الرومى » و « أبا العلاء » و « المتنبى » بسهولة ويسر . .

* * *

وإذا كانت قصص « الكيلانى » جسرا إلى اللغة الفصحى ، فهى أيضاجسر إلى اللغات الأجنبية ؛ فقد نشر عدد منها مزدوج اللغة : العربية مع الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الإسبانية . . فعلمت النشء كيف يقرأ باللغات الأجنبية ، كما عرّفت النشء فى البلاد الأجنبية بآدابنا ولغتنا .

والجميل فى قصص « الكيلانى » أنها لا تصوّر الحياة للأطفال كوهْم رهيب ، أو خرافة كاذبة ؛ بل تصوّرها فى صورة جميلة عادية . مع تأكيدها انتصار الخير ؛ حتى تكسب القارئ ثقة فى ثمرة الكفاح . . وأن الخير لا ينتصر إلا بعد عقبات وصراع وكفاح .

كذلك عرّف « الكيلانى » ناشئتنا بنماذج من الآداب الأجنبية ، كما فى سلسلة قصص « شكسبير » أو القصص الهندى أو الأمريكى .

إنها دنيا جميلة حافلة ، يعيش فيها الأطفال فى بهجة واستطلاع !

وموسوعة « الكيلانى » لا تنتهى . . فله فهم فى تطوير الموسيقى والغناء . . نقل بعض الأغانى العالمية للعربية مع الدكتور « مشرفة » الذى كان ينعى على العربية قصورها عن ملاحقة (الأغانى العالمية) . . فوضع « الكيلانى » ٦٥ أغنية ، وترجم فصولا من أوبرا « لاترافيتا » و « كارمن » .

* * *

هذه لمحات سريعة من جهود الرجل الموسوعة .. ومع هذا فله جهود كثيرة لم تنشر . . شاهدت بنفسى فى صومعته مخطوطات عديدة ، عن دراسات لألف ليلة وليلة ، وفيها محاولة لتقصّى أصول الأساطير عند مختلف الشعوب ، وفى مختلف العصور .

« المكتبة العلائية » ما زالت مخطوطة . . لعل المسئولين يحاولون إخراجها إلى النور . وإنقاذها من الضياع . .

والرجل ما زال يعمل لا يبالى شيئا . . يؤمن بأن الأدب تبعة يجب أن ينهض بها الأديب . . . ويؤمن بالعمل النافع .

أَنْفَعُ النَّاسَ وَحَسْبِي أَنَّنِي أَحْيا لِأَنْفَعْ
أَنْفَعُ النَّاسَ وَما لِي غَيْرُ نَفْعِ النَّاسِ مَطْمَعْ

وليٌّ يُزار [1]

بقلم الأستاذ محمد على الحومانى

للأستاذ « كامل كيلانى » المربى المعروف طرف ونوادر ، كان يمليها علينا فى دار الندوة الأدبية تحت سماء مصر الجديدة .

قال :

« أسمعتم بكذبة تخلق وليا يزار ؟ !

قلنا : لا .

قال : فاسمعوا :

لقد كان فى جوارى بؤرة من الأرض ، يختلف إليها الصبية طول نهارهم وأكثر ليلهم .لا يبالى أحدهم أن يظل حولها ، يقضّ المضاجع وهو يلعب ويزفن ، ويصفر ويرطن .

ولقد عجزت عن إقناعهم بأن يتخلوا عن تلك البقعة إلى غيرها بالرشوة تارة ، والتهديد تارة أخرى ، فلم أفلح .

وأخيرا خرجت وأنا ثائر العصب ، فرأيت رجلا يمر بهم وعليه سيماء الوقار . فقلت له : ما تقول يا شيخ : كيف تدع هؤلاء الصبية يعبثون حول هـــذه البؤرة ، وقد رأيت فى الحلم شيخا صالحا يستغيث بى ويقول :

إن هؤلاء الأولاد يؤذوننى بالقفز والنط على قبرى .

أما فى هذا البلد رجل واحد مسلم يحول بينهم وبينى ؟ ! »

---

(1) الرياض فى ١٩٥٩/٥/٧ .

ثم يعقب الأستاذ « الكيلانى » على هذا الحلم ، وهو يخاطب الرجل بقوله :

« وعبثا حاولت ـ يا أخى ـ أن أدفع هؤلاء الأحداث عن أذيّة هذا الرجل الصالح .. »

فقال لى :

« ما اسم هذا الشيخ الذى رأيته فى حلمك ؟ »

فقلت : « اسمه الشيخ محمد . »

قال : « وماذا كان يلبس ؟ »

قلت : « سبعة جلاليب ! »

قال : « وماذا على رأسه » ؟

قلت : « سبع طواق » .

فقال : « إذن هذا هو الشيخ « محمد أبو الطواقى » » .

فقلت : « ربما كان إياه . »

فقال : « أنا أكفيك هؤلاء .. »

ثم ذهب وجاء بعد قليل فبنى ضريحا على البؤرة ، وتنادى الناس خلال أيام لزيارة الشيخ « محمد أبى الطواقى » من كل صوب ؛ حتى كنت لا أنام طوال ليـــلة الجمعة ، وأكثر ليالى الأسبوع من ضجيج الزائرين والزائرات وصراخ أطفالهم .

فكان ذلك جزائى عن هذه الكذبة ، ثم لم أخلص مما وقعت فيه حتى خرجت من ذلك الحىّ ..

عشت طفولتى وصباى [1]

أنتظر علقة من أبى

حديث مع الأستاذ صلاح المراكبى

فى سنة ١٩٢٠ بدأ الهجوم على اللغة العربية .. بدأ أصحاب العامية يكتبون فى الجرائد والمجلات .. وشعرت أنا بهذه الزوبعة ، وبأنها ـ لا شك ـ ستنتصر : إذا تركنا هؤلاء يكتبون ويتكلمون .

ولم أجد فى نفسى الرغبة فى أن أكون ناقدا أو متكلما ..

فالموجهون فى كل عصور التاريخ قسمان :

ناس يصنعون التاريخ .. وناس يكتبون التاريخ ..

ووجدتنى أهلا لأن أصنع التاريخ . لأن أبنى مع البناة أحجارا تضع أساسا متينا لبناء الجيل الجديد .. لا بالمقالات والمحاضرات ، ولا بالندوات والأحزاب ، وإنما من صومعتى الهادئة فى الدور الأرضى بمنزلى .

وبدأت من الأول ، من أول أن يفتح الطفل الصغير عينيه على صفحة فيها صور ، وفيها « نغبشة » !

كل الذين أرادوا أن يبنوا الجيل الجديد بمجلة ، أو بمقالات ، بدأوا متأخرين ... بدأوا بعد أن نما الطفل ، وانغرس فى نفسه الخوف والفزع من : « أبو رجل مسلوخة » ، والعفريت المختفى تحت السلم وتحت السرير .. أما أنا فبدأت به مع الأشباح التى يخيفونه بها ، وضعت له القصص والصور ، وحطمت له الأشباح التى كانت تفزعه .

---

(١) مجلة الإذاعة فى ٨ من أغسطس سنة ١٩٥٩ .

وفى كل القصص التى يقرؤها الطفل الصغير يجب أن يرى الخير ينتصر ، ويجب أن يرى الشر دائما مصيره إلى الهلاك ..

ولكن . . لقد أحسست أن الطفل الذى يعيش فى قصصى ، ويرى الخير دائما ينتصر .. ثم يكبر ، وينزل إلى الحياة ، فيجدها كلها صراعا وشرا وضلالا ، يصاب بصدمة يقف معها مشلولا أمام الخديعة التى ظل يعيش فيها كل طفولته وصباه .

ولهذا كنت أضع الشرّ دائما بجوار الخير ، وأصوّر له الصراع العنيف الذى يدور بينهما .. حتى ليكاد يتوقع أن ينتصر الشر فى لحظة خاطفة وتنتهى القصة ؛ ولكن الخير ينتصر فى النهاية بكل وسائل الذكاء والمكر والحيلة .

أفعل ذلك لأغرس فى نفس الطفل حقيقة الحياة الواقعة ، وهى أن النصر للخيّرين الأذكياء !

* * *

أما عن نفسى أنا . .

فاسمى : « كامل كيلانى إبراهيم كيلانى » ؛ أبى كان من أشهر ثلاثة مهندسين فى عصره ، هم : « عز » (بك) ، و « سيد متولى » (بك) و « كيلانى » (بك) » .

وكنا نسكن فى القلعة فى حضن الجبل ، وكانت لى مربية يونانية مثقفة جدا ، كانت تحكى لى أقاصيص عجيبة ملأت علىّ كل خيالى . .

أستاذى هو « أحمد أبو بكر » ، وهو شاعر ربابة ، نصف أزهرى .. يسترزق من « أبو زيد » وحكايات « أبو زيد » .

... وقامت القيامة !

ذهبت إلى الكتّاب مع ابن أختى ، وبقيت فيه أربع ساعات فقط ، كانت سنى أيامها خمس سنوات .

كنا جالسين .. منا من يقرأ ، أو يحفظ ، أو يسمع لزملائه فى انتظار قدوم الشيخ ، وكنت أنا جالسا وحدى أتفرّج على العيال ..

وكان فى الكتّاب عريف ، كان يريد تعليق يافطة جديدة ـ أهداها له أحد التلاميذ ـ وأمسك العريف بمسمار يدقه فى الحائط ، ومال برأسه ، فوقع نظره على دواة الحبر الكبيرة التى يملكها « سيّدنا » ؛ فأمسك بها فى يده يدق المسمار .. وانكسرت الدواة ، وأغرق الحبر ملابسه !

فقال العيال كلهم : « هيه » ! وقلتها معهم ..

ودخل الشيخ « عبـــد الباقى » على الضجيج ؛ فقطع الأولاد النفس ، وبدأ العريف فى مدّ الأولاد واحدا واحدا ..

وجاء علىّ الدور !

وأصابنى الرعب من شدّة ضرب العريف ..

وتوقفت يد العريف عن الضرب ، واهتزّ سقف الكتّاب ، ومال الحائط الذى نستند إليه ، وتكهربت أرجلنا الصغيرة ، ونحن نحاول أن نجرى فلا نستطيع ..

واعترضت طريقنا عربة (كارو) كبيرة ،فاندفعت فى وجه الحصان كتلة كبيرة من الحجر فسقط الحصان غارقا فى دمه ، وامتلأت الدنيا بالغبار الأحمر ، وأمطرت السماء حجارة ودخانا ، وأصيب أكثرنا .. فسقط يطلب الأمان بعيـــدا عن البيوت والحيطان ، وسقطت مئذنة المسجد الذى يجاورنا ، وانكفأ النساء والشيوخ والأطفال على وجوههم ، يصلّون ويدعون الله أن يحسن الختام ..

وصفا الجو بعد أن توقف يوم القيـــامة عن الاستمرار .. بعدها عرفنا السبب ..

رمى أحدهم عقب سيجارة في مخزن البارود بـ (المغاورى) ، فكسر الجبل ، وانحدر بأحجاره وغباره على حيّنا الملاصق للجبل .. وما زالت أكثر مساجد القاهرة محطمة المآذن من أيامها ، وكانت سنة ١٩٠٤ .. ونجوت من علقة العريف !

وبعدها بسنتين أو ثلاث ذهبت إلى الكتّاب ..

أمى كانت دائما تهددنى بأن أبى سيضربنى ، ولكن أبى لم يضربنى أبدا ، عشت كل طفولتى وصباى أنتظر علقة أبى بعد كل غلطة !

عقدة من الناس ..

ولكن عندى عقدة من الناس ، من تقديرهم لى وحكمهم علىّ ، ولا أثق فى رأى الجمهور أبدا إذا حكم على كاتب أو أديب .

ففى ثورة ١٩١٩ كنت « أنا » و « شكرى كيرشاه » نخطب فى جماهير حىّ « القلعة » ، ووقف « شكرى » يخطب ويقول فى نهاية خطبته : « أيها الناس وحّدوا أغراضكم » .

فردّ الناس : « لا اله إلا الله » !

ثم قال : « وحّدوا جهودكم » . فردّوا أيضا : « لا إله إلا الله » !

* * *

تخرّجت فى الجامعة الأهلية ، ومن زملائى فيها « عبد الوهاب عزام » و « زكى مبارك » .. واشتغلت بتدريس الترجمة فى وزارة المعارف ، ثم عينت موظفا فى وزارة الأوقاف سنة ١٩٢٢ ، وظللت فيها حتى يناير ١٩٥٤ ، وكنت أتولى فى الوزارة تصحيح الأساليب ، وكنت رئيس نادى التمثيل الحديث ، وسكرتير رابطة الأدب العربى ، ونقيب الأدباء .

اقرأوا النص !

أنا أحارب اللغـــة العامية التى يدعون إليها ، أحاربها بكل ما أستطيع ، ولـكن أسلوبى فى محاربتها ـ كما قلت لك ـ هو « حرب البنّاء الذى يصنع التاريخ » .

وأنا أقول لهؤلاء الذين يريدون الـكتابة بالعامية :

أى عامية نـكتب بها ؟

عامية مصر أو العراق أو سوريا أو الحجاز ؟

أو .. عامية القاهرة أو الإسكندرية أو أسيوط أو دمياط ؟

وأنا أقدّم لـكم نصا كتب باللغة العامية أيام (محمد على) ، وهذا النص عبارة عن خطاب يطلب بوليس النجدة لفض معركة بين شابّين ، واحد اسمه « شاد » ، وواحد اسمه « مهران » ..

وهذا هو النص :

(حيص ليص .. وِلد « شاد » اتعارك مع وِلد « مهران » ليلة البارحة ، جبْل طلوع الشمس بدنشة ؛ وعمل موزجّلاية كبيرة ، وشدُّه وزعطه ، وشاله ومعطه ، وتناول دنشة حرابه كبيرة وضربه فى فردة عينه البحرية) !

* * *

لقد وقفت بشدة أمام « محمود تيمور » عندما كان يكتب الحوار فى بعض قصصه بالعامية . . قلت له : إذا أردت أن يكون أدبك محليا ، فاكتب بالعامية ، وإذا أردت لأدبك الخلود ـ فاكتب بالعربية ! . . وأصبح « تيمور » الآن من ألدّ أعداء العامية .

* * *

* ما هى أول قصة كتبتها ؟

— « الملك النجار » ، كتبتها وأنا فى رابعة ابتدائى ، ونشرتها وسنى ١٩ سنة .

* ومتى بدأت فى إنشاء مكتبة « كيلانى » - والكتـــابة باستمرار - للأطفال ؟

— فى سنة ١٩٢٠ م .

* كم قصة نشرتها إلى الآن ؟

— نشرت مائتى قصة .

* وهل يكتب غيرك فى مصر للأطفال ؟

— فى مصر الآن ٨٠٠ قصة للأطفال ، لى أنا منها ٢٠٠ قصة ، أما الستمائة قصة الباقية فلسبعة وعشرين ، أشهرهم : « سعيد العريان » .

* هل تصلك خطابات من الأطفال ؟

— عندى آلاف الخطابات ؛ ولكن ليس عندى الوقت لأفتحها وأقرأها ..

* تعرف مَنْ ، مِن كتّاب قصص الأطفال فى العالم ؟

— « هانس أندرسون » ، وهو دانمركى مشهور جدا فى كل بلاد العـــالم ، وله فى « الدانمرك » تماثيل تملأ الميادين .. و « الأخوان جريم » ، وهما ألمانيان . .

* ما هو مركزك عنـــد الأطفال بين بابا « شارو » ، وماما « لبـنَى » ، ومجلات الأطفال فى مصر ؟

— أنا أول (بابا) فى مصر ، وترتيب البابوات فى الراديو كالآتى : بابا « كامل » ، وبابا « صادق » ، وبابا « شارو » .

مكتبة الأطفال

مكتبـــة الطفل

العمل الكبير الضخم الذى تميز به « الكيلانى » هو : إنشاء « مكتبة الطفل » لأول مرة فى تاريخ الأدب العربى الحديث ، فأصبح بذلك العمل : رائد قصة الطفل ، دون منازع .

تنبه إلى هذا العمل منذ صباه ، عندما كان يناقش صديق طفولته « سيد إبراهيم » ، مقارنا بين القصة العربية والقصة الغربية .

كانت الأولى أسطورة قديمة فى كتاب (المطالعة) ، مروية بلغة ساذجة ، لا جمال فيها ولا فن ، ومطبوعة طبعا رديئا لا ذوق فيه ولا جمال . بينما كانت القصص الأوربية مطبوعة على ورق أنيق ، وملوّنة بألوان زاهية ..

وقال « الكيلانى » لـ « سيد إبراهيم » :

« انظر إلى الفرق بين هذا وذاك » .

وقال « سيد إبراهيم » فى لهجة التحدى :

« لعلك حين تكبر تعمل لنا قصصا من هذا النوع الجميل . »

وأسرّها « الكيلانى » فى نفسه .. وغابت فى أطواء واعيته الخفيّة حتى كبر .. واتجه إلى الحياة الأدبية ، وشارك فيها ، واتصل بالفكر العربى المعاصر ، وشارك فى معارك النقد ، وكتب الفصول فى الصحف والمجلات ، وأنشأ الجماعات الأدبية ، وسافر إلى « الشام » ، والتقى فى ذلك بأصدقاء روحه : « المعرى » و « المتنبى » و « ابن الرومى » ..

وكانت كتاباته — دائما — تحوى الأسطورة والقصة فى طريق البحث أو المقال .. كأنما كان الطريق إلى الهدف لم يتكشف بعد .

ثم لم يلبث « الكيلانى » ، أن اكتشف خاصيته الأصيلة ، وهدفه الكبير ، وعمله العظيم الذى تجرّد له ثلاثين عاما كاملة .. اكتشفها وهو يرى ابنه « مصطفى » يتطلع إلى أن يقرأ ، هنالك ارتدّت ذاكرته إلى الحوار الذى جرى بينه وبين « سيد إبراهيم » والتحدى الذى واجهه به صديق صباه ..

هنالك بدأ يكتب ، وبدأ « سيد إبراهيم » يحوّل هذه الكتابة ـ بخطه الجميل ـ إلى عمل فنى ، واشتركت ريشة أخرى فى رسم الصور ، وطبعت أول قصة ، واستقبلها الوسط الأدبى بشىء غير قليل من الدهشة ، يخالطها الإعجاب .. ثم توالت القصص ، ومضى العمل يتسع ويكبر ، ويزداد جمالا وروعة وإشراقا .

ومن وراء الفن الظاهر ، روح مؤمنة بالغضّ الرطيب ، والعقل النامى ، تريد أن تزوّده بالفضيلة والنور ، وتدخل إلى أعماقه روح الإيمان بالله والدين والوطن ، والحب والجمال ، فى بساطة ورقة ، وتحوّله إلى جندى فى بلاط صاحبة الجلالة : اللغة العربية الفصيحة ، التى كانت تلقى حربا عوانا من المستعمر ـ فى الوطن العربى كله ـ يريد أن يزيلها ، لتحل ـ بدلا من اللغة العربية (الأم) ـ لغات عامية عديدة ، ويريد « كامل كيلانى » أن يثبت قواعد اللغة العربية ، ويغزو بها البيوت والقلوب .

ثم مضى إلى نهاية الشوط : فألف قصص الطفل بالإسبانية مع العربية ، والفرنسية مع العربية ، والإنجليزية مع العربية ، والألمانية مع العربية ـ

وقد ترك « الكيلانى » ألف قصة ، لم يُنشر منها إلا مائتان ، ويمضى « رشاد كيلانى » ـ بعد والده العظيم ـ على نفس الطريق ؛ ليكمل الرسالة ، ويؤدى الأمانة .

وقد خصصنا هذا الفصل لدراسات « مكتبة الطفل » :

(١) أدب الأطفـــال : بين « الهراوى » و « كامل كيلانى »
زكى مبارك

(٢) قولوا ما شئتم ؛ فقد أدخل « الكيلانى » فى اللغة شيئا جديدا !
صحافى عجوز

(٣) واحد من طليعة الموهوبين : محمود أبو الوفا

(٤) اختار قصص البطولة والشجاعة : أسعد الحكيم

(٥) ابنتى « صفية » وقصص « الكيلانى » : أحمد زكى أبو شادى

(٦) « جلفر » فى بلاد الأقزام : محرر الهلال

(٧) الفضائل فى قالب شهىّ : ابن رشيق

(٨) كشف النقاب عن الخيال العربى : محمد فريد وجدى

(٩) لو كنت ذا مال لأغدقت المكافأة : محمد الهراوى

(١٠) هدية لأطفالى : محمود أبو العيون

(١١) الكيلانى : محدّثا ومربّيا وأستاذ بيان: محمد صادق عنبر

(١٢) منطق العرب الأصيل : أحمد نجيب الهلالى

(١٣) استقلّ بجانب قوى ، من جوانب الإصلاح :
محمد على علوان

(١٤) استجاب لحاجة عصره : خليل مطران

(١٥) لم يكن عندنا قبله هذا الصنيع : أنستاس الكرملى

(١٦) لست أعرف مصريا أخرج هذا العدد من الكتب !
: إبراهيم دسوقى أباظة

(١٧) هل جاملت أخى ؟! : سيد إبراهيم
(١٨) أولو الفضل فى أوطانهم غرباء : أحمد زكى أبو شادى
(١٩) حكمة طيبة فى فم الطفل : حسن القاياتى
(٢٠) أساطير ألف يوم : صديق شيبوب
(٢١) « جلفر » بين « سويفت » و « كامل كيلانى » : محمد الأسمر
(٢٢) أطفالنا فى قلم رجل : على أحمد عامر
(٢٣) « كامل كيلانى » فى ميدان القصة : محمود عصمت
(٢٤) تقريب « شكسبير » للأطفال : ابن رشيق
(٢٥) رأى الفتاة فى أدب الطفل : وداد صادق عنبر
(٢٦) أساطير ألف يوم : محمود الشرقاوى
(٢٧) الدعامة الأولى : أبو الخير نجيب
(٢٨) « كامل كيلانى » ومكتبة الطفل : عطية فهمى شاهين
(٢٩) أدب الطفل : محمد مصطفى الماحى
(٣٠) « كامل كيلانى » : خادم الأطفال : سلامة موسى
(٣١) «المعرّى» للأطفال : إبراهيم عبد القادر المازنى
(٣٢) معلم الجيل الجديد : طاهر الطناحى
(٣٣) جحا قال ، يا أطفال : مختار الوكيل
(٣٤) العلبة المسحورة : (منبر الشرق)
(٣٥) مكتبة لا نظير لها : وهبى إسماعيل حقى

(٣٦) جحا قال يا أطفال	:	وديع فلسطين
(٣٧) جحا فى حلقات الدرس	:	محمد يوسف قورة
(٣٨) حقوق المؤلف	:	وديع فلسطين
(٣٩) رأى المرأة فى أدب الطفل	:	أمانى فريد
(٤٠) نزعة قصصية بعيدة الأغوار	:	ناصر الدين الأسد
(٤١) تجارب أربعين سنة	:	محمود أبو رية
(٤٢) مكتبة أطفال العرب	:	أسعد حسنى
(٤٣) كتب « الكيلانى » فى نيويورك	:	(جريدة نيويورك العربية)
(٤٤) جحا بين الخرافة والتاريخ	:	كامل محمد عجلان
(٤٥) زيارة الأديب	:	العوضى الوكيل
(٤٦) الكوميديا الإلهيـــة	:	عباس خضر
(٤٧) مكتبة : جميع كتبها لمؤلف واحد	:	(مجلة الاثنين)
(٤٨) الأمير « عبد الله الفيصل » تلميذ على كتب « الكيلانى »		(منبر الشرق)
(٤٩) حقيقة واقعة	:	مختار الوكيل
(٥٠) أدب الطفولة	:	عطية فهمى شاهين
(٥١) « كامل كيلانى » (فى يوميات الأخبار)	:	سلامة موسى
(٥٢) أدب الأطفال بالفرنسية والإنجليزية	:	ثروت أباظة
(٥٣) رحلة « شنطح » وتعلم اللغات	:	محمد مندور
(٥٤) ألف كتاب اسمها : « كامل كيلانى »	:	أنيس منصور
(٥٥) سرقنى كتاب « شنطح »	:	بيرم التونسى
(٥٦) « كامل كيلانى » من الأعلام الألف	:	أنور الجندى

أدب الأطفال[1]

بين « الهراوى » و « كامل كيلانى »

بقلم الدكتور « زكى مبارك »

التأليف للأطفال يعدّ تضحية كبيرة فى أكثر البلاد : لأنه - فى الأغلب - لا يصل بالمؤلفين إلى ما يسمونه : (المجد الأدبى) .

ويكاد الناس يجمعون - مخطئين - على أنه لا يهتم بالتأليف للصغار سوى الذين لا يجدون ما يُلقونه على الكبار .

وهذا الوهم فى تقدير المؤلفين للأطفال من الأوهام العالمية .

ومن النادر أن تجد مؤلفا وُضع فى الموضع الذى يليق به بين الذين كتبوا للأطفال ، ومن هذا الغبن (الدولى) قلّت الكتب الجيدة التى يلهو بها الصغار ، أو يتعلمون منها : كيف يكون السير فى مفاوز الحياة ؟

وإذا كان التأليف للأطفال يعدّ ضعيفا فى الأمم القوية ، فهو فى مصر والشرق العربى أضعف ؛ لأن المعلم عندنا غير موجود .. إذ كان أكثر المدرسين لا يهتمون بغير المرتب والمعاش ، فى حين أن المعلم الحق هو الذى يرى الشقاء سعادة فى مهنة التعليم .

وأين هذا من حياة المدرسين الذين يقضون أوقاتهم فى عدّ هفوات « النظار » وتعقب أغلاط الزملاء ؟ !

---

(١) البلاغ فى ١٩٣١/٩/٨ .

ومن أظهر الأدلّة على أن المعلمين فى مصر كسالى مقصرون : أن الاهتمام بالتأليف للأطفال يبرز فى نواح بعيــدة عن بيئة التدريس ، فأشهر المؤلفين اليوم فى هذا الباب رجلان : « محمد الهراوى » و « كامل كيلانى » .. وهما بعيدان عن التدريس ، فأولهما مدير حسابات فى « دار الكتب المصرية » ، وثانيهما موظف فى « وزارة الأوقاف » ، يرتب وينظم ما لا عدد له من توافه الأوراق .

وقد خطا هذان الرجلان خطوات كبيرة .

ومن الإنصاف أن نعرض لما كتبوا بشيء من النقد ؛ حتى يتبينوا أن جهدهم غير ضائع ، وأن من الآباء والمعلمين من يذكرهم ـ مخلصا ـ بالخير فى بلد يُباع فيه الثناء .

* * *

مؤلفات الأستاذ « الهراوى » كلها منظومة . وتحت يدى منها : (سمير الأطفال) ، وهو شعر سهل بالصور للإنشاء والإملاء والمطالعة والحفظ ، فى ست كراريس : ثلاث للبنين وثلاث للبنات .

وقد لاحظت أن المؤلف « يفرض » على نفسه أن تكون كل قطعة فى صفحة .. وفى هذا عنت ظاهر : لأنه يدعو إلى التكلف ، ويحرم الناظم من الحرية الواجبة لإيفاء الموضوع حقّه من العرض والتصوير .

ومن الصور المستملحة فى هذا الكتاب صورة تلميذ يشتغل مع زميل له فى النجارة بعد الدرس ، وهو ينشد :

أَنا فِى الصُّبْحِ تِلْمِيذٌ وَبَعْدَ الظُّهْرِ نَجَّارُ
فَلِى قَلَمٌ وَقِرْطاسٌ وَإِزْمِيلٌ وَمِنْشارُ
وَعِلْمِى إِنْ يَكُنْ شَرَفًا فَما فِى صَنْعَتِى عارُ
فَلِلْعُلَماءِ مَرْتَبَةٌ وَلِلصُّنَّاعِ مِقْدارُ

ومن المنظومات الجيدة التى تشير بالحكمة ، قوله على لسان طفل يخاطب الببغاء :

بَبَّغائى ، بَبَّغــــائى أَنْتَ شِبْهُ الْفُصَحاءِ
كُلَّما أَرْسَلْتُ قَوْلًا تُرْسِلُ الْقَوْلَ وَرائى
وَإذا غَنَّيْتُ لَحْنًا صِحْتَ مِثْلِى بِالْغِناءِ
أَيُّها الطَّائِرُ : خُذْ عَنِّى حَـدِيثَ الْحُـكَماءِ
لَيْسَ يُغْنِيكَ لِسانٌ دُونَ عَقْلٍ وَذَكاءِ

وهناك منظومة لا طعم لها كمنظومة « الهرّ » ، حين ينشد الطفل :

هِرِّى مِصْرِى عالِى الْقَـدْرِ
وَلَهُ وَجْـهٌ مِثْلُ النِّمْرِ
وَلَهُ عَيْنٌ مِثْـلُ النَّسْرِ
وَلَهُ جِلْدٌ حَسَنُ الشَّعْرِ
وَلَهُ ذَيْلٌ طُولُ الشِّـبْرِ
يَأْتِى عِنْدِى بَعْـدَ الْفَجْرِ
يَمْشِى حَوْلِى حانِى الظَّهْرِ

فهذه منظومة تافهة ، مهما قيل إنها نظمت للطفل !

وعبارة (هرّى مصرى) عبارة سخيفة ، وأسخف منها وصف الهر بأنه (عالى القدر) .

وفى معارضة هذه المنظومة يقول الأستاذ « حسين شفيق المصرى » على لسان مؤلف « سمير الأطفال » :

أُصْدِرُ أَمْرِى قَبْلَ الظُّهْرِ
وَأُنَفِّذُهُ بَعْدَ الْعَصْرِ
وأُوَضِّبُهُ قَبْلَ الْفَجْرِ
أَتُخالِفُنِى هَلْ تَسْتَجْرِى
ضَرْبه فى عِينَكْ اِمْشِى دُغْرِى

ولا مؤاخذة ياحضرات القراء !

ومن المنظومات التى تذكر بالحكمة قوله فى وصف الدرّاجة :

دَرّاجةٌ مِنْ عَجَلِ تَمْشِى بِدَفْعِ الْأَرْجُلِ
مُحْكَمَةُ الرِّباطِ مَنْفُوخَةُ الْمَطَّاطِ
فِيها جِهازُ النُّورِ وَجَرَسُ الْمَسِيرِ
فِى الْوَسَطِ الْبَدَّالَهْ فِى الطَّرَفِ الْحَمَّالَهْ
كُرْسِيُّها مِنْ خَلْفِ بِقَدْرِ حَجْمِ الْكَفِّ
تَفِرُّ وَهْىَ جارِيَهْ وَلا تَقِرُّ راسِيَهْ
تَدُلُّ أَنَّ الْبَرَكَهْ تَحُلُّ عِنْدَ الْحَرَكَهْ

أكثر موضوعات (سمير الأطفال) يغلب عليها النظم، وتقلّ فيها روح الشعر .. وعذر المؤلف أنه يحاكى الطفل ؛ ولكنه قد يسمو — أحيانا — إلى الشعر المستجاد، كقوله فى أنشودة الصباح :

نَحْنُ إِنْ أَشْرَقَ صُبْحُ نَهْجُرُ النَّوْمَ وَنَصْحُو
وَنُحَيِّي أَبَوَيْنـــا فرِضا الآباءِ رِبْحُ
ثُمَّ نَمْضِي فَنُصَلِّي إِنَّ تَقْوَى اللهِ نُجْحُ
وَلِدُورِ الْعِلْمِ نَسْعَى وَإِلَى الْعَلْياءِ نَنْحُو
نَحْنُ لِلْآدابِ ذُخْرٌ نَحْنُ لِلأَخْلاقِ صَرْحُ
نَحْنُ لِلأَوْطانِ نَصْرٌ يَوْمَ تَدْعُونا وَفَتْحُ
وَلَنا ـ كُلَّ صَباحٍ ـ أَمَلٌ فِي اللهِ سَمْحُ

وهناك غلطة فنية فى أنشودة الطفل يحادث أمه : فقد وقف الطفل أمام أمه وهى مبرقعة ..

وقد واجهت الأستاذ « الهراوى » بهذا النقد .

فأجاب على الفور : أنا أريد أن أمثل الجيل . (يريد أنه يمثل عصر الحجاب) .

وهذا تأويل سيئ ؛ لأن المؤلف نفسه صوّر طفلا بين أبويه فى كتاب آخر ، وأمه سافرة .

والواقع أن الغلطة الفنية ترجع إلى معنى آخر ، وهو أن الطفل لا يناجى أمه فى الشارع ، ليبثها حنانه ووفاءه ؛ وإنما يناجيها عادة فى المنزل .. فمن الذى قال إن السيدة تبرقع فى منزلها حتى يصوّرها الأستاذ كذلك ، ليمثل بها جيلا من الأجيال ؟!

وربما كان عذر المؤلف أن الطفل كان ابنه ، وأن الأم كانت زوجته ، وهو لا يريد أن يعرض زوجته سافرة ، وإن كان من المتحمسين لآراء « قاسم أمين » .

وللأستاذ « الهراوى » كتاب نفيس هو (الطفل الجديد).

وإلى القراء قوله على لسان طفل يصف حاله بين الطفولة والصبا :

حِينَما كُنْتُ وَلِيدًا   لَمْ أَكُنْ أَنطِقُ حَرْفَا
إنَّما كانَ مُرادِى   فِى سُكُوتِى لَيْسَ يَخْفَى
كُنْتُ إِنْ أَبصَرْتُ أُمِّى   أَقْبَلَتْ ، أَبْسُطُ كَفَّا
وَأَبِى إِنْ جاءَ عِنْدِى   لَمْ أُحَوِّلْ عَنْهُ طَرْفا
وابْتِسامِى كانَ عَطْفًا   لِلَّذِى يُظْهِرُ عَطْفا
وَأَنا — الْآنَ — صَبِيٌّ   أَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ صِرْفا
فَأُحَيِّ — بِلِسانِى —   صاحِبَ الْمَعْرُوفِ أَلْفا

وانظروا قوله على لسان طفل يهب قلبه للجميع :

لَا تَظُنُّونِى صَغِيرًا   لَيْسَ قَلْبِى بالصَّغِيرِ
يَسَعُ النَّاسَ وِدادًا   مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرِ

وقوله على لسان طفل يحيّى والديه فى الصباح :

أَبِى ، وَأُمِّى الْغالِيَهْ   أَصْبَحْتُما فِى عافِيَهْ

تَقْبِيلَتانِ لَكُما ظاهِرَةٌ وَخافِيَهْ
إِحْداهُما عَلَى فَمِي وَفِي فُؤادِي الثَّانِيَهْ

وقوله على لسان طفل يلاعب الطير ، ويغنّى لها :

الطَّائِرُ الصَّغِيرْ مَسْكَنُهُ فِي الْعُشِّ
وَأُمُّـهُ تَطِيرْ تَأْتِي لَهُ بِالْقَشِّ
تَخالُهُ الطُّيُورْ إِذا بَدا فِي الْفَرْشِ
كَأَنَّهُ أَمِيرْ يَجْلِسُ فَوْقَ الْعَرْشِ

* * *

يا طائِرًا ما أَجْمَلَكْ يا زَهْرَةً فِي الشَّجَرِ
أَنْتَ عَلَى الْغُصْنِ مَلِكْ مُكَلَّلٌ بِالزَّهَرِ
سِرْ فِي هَواءٍ حَمَلَكْ وَطِرْ بِغَيْرِ حَذَرِ
لَوْلا جِهادُ الْأُمِّ لَكْ يا طائِرًا ، لَمْ تَطِرِ

وقد وضع المؤلف روايات صغيرة : مسرحية للأطفال ، وهى على جانب عظيم من الوضوح والسلاسة ، ووضع كذلك طائفة من الأغانى الجيدة .

وقد جُوزى من الجمهور ومن وزارة المعارف خير جزاء ، وفى هذا ما يشجعه على العمل الموصول لإغناء مكتبة الطفل .

* * *

أما الأستاذ «كامل كيلانى» فقد حاول محاولات كثيرة فى التأليف للأطفال ، وهو يؤثر النثر على النظم ، ويهتم خاصة بتأليف الحكايات البسيطة الجذابة التى تحبب الطفل فى مبتكرات الخيال .

وقد قرأنا كل مؤلفاته، وهى فى جملتها جيدة .

وفى رأينا أن خير مشروعاته هو استغلال كتاب « ألف ليلة وليلة » ، وتحويله إلى قصص صغيرة يلهو بها الناشئون .

وقد وصل فى صقل كتاب « ألف ليلة » إلى أبعد الغايات ؛ إذ وضعه فى أسلوب سهل ممتع يفهمه الصغار ويستجيده الكبار .

وإلى القارئ نموذجا من وضوحه فى القصص :

كانَ فِي « الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ » حَلَّاقٌ ذَكِيٌّ ، حَسَنُ الْخُلُقِ ، طَيِّبُ الْقَلْبِ ، اسْمُهُ : « أَبُو صِيرٍ » . وَكانَ فَقِيرًا جِدًّا لا يَجِدُ قُوتَ يَوْمِهِ إِلَّا بِشِقِّ النَّفْسِ . وَكانَ يَشْكُو الْكَسادَ ، وَيُفَكِّرُ فِي تَرْكِ « الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ » وَالسَّفَرِ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ ؛ وَلٰكِنَّهُ كانَ يَتَرَقَّبُ الْفُرَصَ .

وَكانَ بِجِوارِهِ صَبَّاغٌ ماهِرٌ فِي صِناعَتِهِ ، وَلٰكِنَّهُ ماكِرٌ خَبِيثٌ ، سَيِّئُ السُّمْعَةِ ، اسْمُهُ : « أَبُو قِيرٍ » . وَكانَ هٰذا الْجارُ شَرِهًا طَمَّاعًا ، وَهُوَ مِثالٌ لِلْغِشِّ والْخِداعِ والْمُماطَلَةِ : إذا حَدَّثَكَ كَذَبَ عَلَيْكَ ، وإِذا وَعَدَكَ أَخْلَفَ وَعْدَهُ ، وَإِذا ائْتَمَنْتَهُ خانَكَ !.. فَكَرِهَهُ النَّاسُ ، وَكَفُّوا عَنْ مُعامَلَتِهِ ؛ فَكَسَدَتْ صِناعَتُهُ ، وَلَمْ يُقْبِلْ عَلَيْهِ أَحَدٌ .. وَصارَ النَّاسُ يَحْذَرُونَهُ ، وَيُحَذِّرُونَ غَيْرَهُمْ مِنْ مُعامَلَتِهِ .

وَكانَ مِنْ عادَتِهِ إِذا جاءَهُ أَحَدٌ بِثَوْبٍ ـ لِيَصْبُغَهُ لَهُ ـ أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ الْأَجْرَ مُقَدَّمًا ، بَعْدَ أَنْ يُوهِمَهُ أَنَّهُ سَيَشْتَرِى بِهِ أَصْباغًا .. فَإِذا انْصَرَفَ صاحِبُ الثَّوْبِ ، ذَهَبَ « أَبُو قِيرٍ » بِالثَّوْبِ إِلَى السُّوقِ ؛ فَباعَهُ واشْتَرَى ـ بِثَمَنِهِ وَبِما أَخَذَهُ مِنَ الْأَجْرِ ـ ما شاءَ مِنْ أَطْيَبِ الْمآكِلِ وَالْحَلْواءِ .

فَإِذا عادَ إِلَيْهِ صاحِبُ الثَّوْبِ ، ماطَلَهُ ، وَتَعَلَّلَ لَهُ بِأَعْذارٍ كاذِبَةٍ : يَدَّعِي ـ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ ـ أَنَّهُ كانَ مَشْغُولًا بِبَعْضِ الضُّيُوفِ ، وَيَزْعُمُ ـ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي ـ أَنَّ زَوْجَهُ وَلَدَتْ ، وَهٰكَذا ؛ حَتَّى يَمَلَّ صاحِبُ الثَّوْبِ ، فَيَطْلُبَهُ مِنْهُ لِيَصْبُغَهُ عِنْدَ غَيْرِهِ ..

وَحِينَئِذٍ يَقُولُ لَهُ « أَبُو قِيرٍ » :

« الْحَقُّ يا صاحِبِي أَنَّنِي خَجِلٌ مِنْكَ جِدًّا ، وَلَسْتُ أَرَى بُدًّا مِنْ مُكاشَفَتِكَ بِالْحَقِيقَةِ ؛ فَقَدْ صَبَغْتُ ثَوْبَكَ أَحْسَنَ صَبْغٍ ، وَبَذَلْتُ جُهْدِيَ كُلَّهُ فِي إِتْقانِهِ .

ثُمَّ جاءَ لِصٌّ خَبِيثٌ فَسَرَقَهُ ـ لِسُوءِ الْحَظِّ ـ مِنْ دُكَّانِي ؛ فَبَحَثْتُ عَنْهُ ، فَلَمْ أَجِدْهُ !.. »

فَيَنْصَرِفُ صاحِبُ الثَّوْبِ ، إِذا جازَتْ عَلَيْهِ حِيلَتُهُ ،

أَوْ يَتَشاجَرُ مَعَهُ إِذا ارْتابَ (أَىْ : شَكَّ) فِي قَوْلِهِ ، ثُمَّ لا يَظْفَرُ مِنْهُ ، بِشَىْءٍ عَلَى الْحالَيْنِ .

وَما زالَ كَذٰلِكَ حَتَّى عَلِمَ بِهِ الْقاضِى ، فَأَمَرَ بِإِغْلاقِ دُكَّانِهِ ، حَتَّى يَأْمَنَ النَّاسُ شَرَّهُ ... »

* * *

وفى مثل هذا الأسلوب السهل المقبول وضع المؤلف قصة « السندباد البحرى » وقصة « تاجر بغداد » وقصة « بابا عبدالله والدرويش » و « الملك عجيب » و « خسروشاه » و « على بابا » .

وقد لاحظت أنه يتهاون قليلا فى الضبط . فقد ضبط كلمة (مصبغة) مثلا مرة بكسر الميم ومرة بفتحها ، بدون ما يوجب هذا التردد ، وضبط كلمة (وفق) بكسر الواو والصواب الفتح .

وحظ « كامل كيلانى » غير حظ « محمد الهراوى » الذى أنصفته وزارة المعارف .

وعذر « كامل كيلانى » فى التخلف أنه موظف صغير ، والناس يقوّمون بمرتباتهم ودرجاتهم .

وفى الجوّ الحكومى تُقاس الأعمال بمقاييس ما يملك أصحابها من مناصب و « ماهيات » . والذى يزيد مرتبه عن صاحبه عشرة قروش ، له الحق فى الصلف والتيه والعدوان !

ولكن « كامل كيلانى » لن يعدم من يقول له :

تشجع أيها الموظف الصغير !

وقد يكون فى كلمة المواساة ما ينقل الموظف الصغير إلى منزلة المؤلف الكبير !

وللمعانى قيمة فى بناء الحياة ؛ ولكن أكثر الناس لا يعلمون !!

قولوا ما شئتم [1]

فقد أدخل « كامل كيلانى » فى اللغة شيئا جديدا

بقلم الأستاذ توفيق حبيب

على الهامش :

متى نفذ مشروع « التعليم الإلزامى » ، فلا بد من كتب لأولاد الكتاتيب .

ومهما قيل من كراهتنا المطالعة ، وصدوفنا عنها ؛ فليس بعيدا أن ينشأ جيل جديد يدرك بعض أفراده لذّة المطالعة ، فيقبلون عليها .

فهل لنا كتب قديمة لأحداث المدارس عامة ، وأبناء الكتاتيب - الذين لا يتعلمون لغة أجنبية - خاصة ؟

قال العلامة « الغزالى » فى فصل عقده فى كتابه : « إحياء علوم الدين » بعنوان : (فى بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول نشوئهم ، ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم) :

(اعلم أن الطريق فى رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها ، والصبي أمانة عند والديه ...

وعلى الوالد صيانة ولده بأن يؤدبه ويهذبه ، ويعلمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء ، ولا يعوّده التفاخم ، ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية) ..

إلى أن قال :

---

(١) الأهرام فى ١٩٣٢/٧/١٩ .

(ثم يشتغل الصبى فى المكتب ، فيتعلم القرآن وأحاديث الأنبياء، وحكايات الأبرار وأحوالهم ؛ لينغرس فى نفسه حبّ الصالحين ، ويُحْفَظُ (أى: يُصانُ) من الأشعار التى فيها ذكر العشق وأهله ، ويُحفظ من مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظَّرف ورقّة الطبع ؛ فإن ذلك يغرس فى قلوب الصبيان بذور الفساد ...)

وقد سألت غير واحد عما إذا كان عند العرب كتب خاصة لتعليم الأطفال والصبيان . فأكدوا لى أنه ليس فى مراجع آداب اللغة وتاريخها ما يدلّ على وجود شىء من ذلك . ويجوز أنه كان هناك شىء وذهب ، كما ذهب غيره من كتب العلوم والآداب التى أضاعتها الكوارث المختلفة والمحن .

وعنى الدكتور « صمويل زويمر » بهذا الموضوع فى كتابه : (صراخ المستغيثين من أبناء المستشرقين) ، فقال :

« إن طريقة التعليم القديمة فى الكتاتيب قاصرة على تمرين الذاكرة ، وترك بقية قوى العقل فى الخمول التام ؛ فلا يعطى العقل مجالا لفهم المعانى ، ولا البحث فيما تختزنه الذاكرة من الأقوال .

وحتى فى المدارس العصرية الراقية فى « مصر » و « الهند » ، تجد كتب القراءة لا تخلو من أمور لا يصحّ تعليمها للولد فى صغره .

ولا توجد كتب خاصة بالأطفال ـ كما يوجد فى الغرب ـ سوى كتب خرافية ... الخ الخ »

ومن المدهش أن تتغير أحوالنا فى كل شىء ، وتتبدّل وترتقى إلا فى الكتب والطباعة ؛ فالتغير فيها ضعيف ، ولا تكاد تجد فارقا بين ما كان يقرؤه الجدّ ، ويقرؤه الوالد ، ويقرؤه الابن الآن .

وكنا نظن أن إنشاء رياض الأطفال يتبعه تغير فى كتب هؤلاء الأطفال .. فخاب الظن !

وأخيرا أحسّ بهذا النقص الأستاذ « كامل كيلانى » ، فوضع لأطفالنا وأحداثنا سلسلة كتب ، ورسائل كثيرة العدد ، متعددة المواضيع .. وأنشأ لنا « مكتبة الأطفال » ، وفيها : (قصص فكاهية للأطفال) تحتوى على قصص : « عمارة » ، « الأرنب الذكى » ، « عفاريت اللصوص » ، « نعمان » ، « العرندس » ، « أبو الحسن » .

(قصص ألف ليلة للأطفال) : ست قصص .

(قصص هندية للأطفال) : سبع قصص .

(قصص « شكسبير » للأطفال) : أربع قصص .

ويشتغل الآن بطبع سلسلتين جديدتين ، وهما :

(أشهر القصص للأطفال) ، و (قصص علمية للأطفال) .

وكل ما نشره الأستاذ « الكيلانى » ـ حتى الساعة ـ خير نموذج لـ (مكتبة الأطفال) : سواء فى سردها القصصى ، وفى طبعها وتجليدها ، وتحليتها بالصور الملونة : داخلا وخارجا .. فأنت إذا وضعتها إلى جانب أمثالها من الكتب الأجنبية ، لا تجد شيئا من الفرق !

يقول من لا يعجبهم العجب :

« إن الرجل يقتبس ، والرجل يسلب ، والرجل ... »

قولوا ما شئتم ، فقد أدخل « كامل كيلانى » فى اللغة شيئا جديدا ، وخدم النشء فى « مصر » والبلاد العربية ، وخدم ذاته .

فحبذا عشرة من أمثال « كامل كيلانى » يتنافسون فى توسيع دائرة (مكتبة الأطفال) ، ويحببون المطالعة للأطفال والأحداث !!

واحد من طليعة الموهوبين

أثر مكتبة الطفل فى إصلاح الأمم

بقلم الأستاذ محمود أبو الوفا

حكايات للأطفال :

ظهر كتاب « حكايات للأطفال » تأليف الأستاذ « كامل كيلانى » ، فانطوى بظهوره العهد الخطى الذى كانت فيه كتب الأطفال تحتطب احتطاباً : مقالا من هنا وأقصوصة من هناك .

وابتدأ العهد الذى لاتؤلف فيه تلك الكتب إلا على أضواء علم النفس ، أو بعبارة ثانية : على الطريقة التى أشار إليها الأستاذ « الكيلانى » متواضعاً فى مقدمة كتابه ؛ حيث قال :

(إن الطفل إذا قصّ عليك خبراً ، لجأ إلى تكرار الجمل : كأنما يتثبت من معانيها فى ألفاظها المكررة .

فلنكتب له وهو فى هذه السن ، محاكين أسلوبه الطبيعى فى تكرار الجمل والألفاظ ؛ لتثبيت المعانى فى ذهنه تثبيتاً .. فلا يزال المؤلف يتنقل فى فكرته ويتدرج رويداً رويداً ، أو درساً درساً ، على النسبة التى ينمو بها الطفل يوماً يوما ، بل على النسبة التى ينمو بها عقل الطفل كلمة بعد كلمة ، وجملة بعد جملة .

وهكذا لا ينتهى المؤلف من فكرته إلا على نهـــاية دور من أدوار نموّ الطفل فى الحياة .

إذن فليس التأليف للأطفال ميسوراً لكل أحد ، كما كان يظن .

وإذن فليس كتاب « حكايات للأطفال » من الكتب التى تظهر كما تظهر البقلة الحمقاء ، كما أنه ليس من الكتب التى تؤلف بلا حاجة داعية إلى تأليفها .. وإنما هو الكتاب الذى يعرف مؤلفه مقدار ما بذل من جهد ، فى انتقاء بذوره الملائمة للتربة وجذوره الصالحة للحياة ، كما أنه هو الكتاب الذى كان ينبغى أن يظهر من عشرين عاماً ؛ أى أننا ـ الآن ـ أحوج ما نكون إليه .

أجل : إننا فى أشدّ الحاجة إلى تجديد (مكتبة الأطفال) .

إن تجديد (مكتبة الطفل) هو حاجة الشرق العربى كله الآن ؛ لأن هذا الشرق ـ فى نهضته ـ لا يشتكى من أبنائه إلا عدم متانة الأساس . ولا شك أن الصيدلية الوحيدة التى تحرز دواء هذا الداء الخبيث ليست إلا (مكتبة الطفل) ؛ لأنه من المستحيل أن يكون البناء قويا ، إلا إذا كان الملاط الذى يبنى به هذا البناء قويا ، صالحاً لمقاومة برودة شتى الأجواء وحرارتها .

(مكتبة الطفل) هى التى تستطيع أن تستأصل كل ما فى الشعوب من الأدواء والأسواء ؛ على أننا لا ننكر أن لـ (مكتبة الشباب) أثراً غير قليل ، ولكنه قلّما يتجاوز حد التلطيف والتسكين .

نعم : (مكتبة الطفل) وحدها هى التى تستطيع أن تصلح الشعوب على أحسن ما يريد المصلحون ، لأنها هى التى تستطيع أن تتصل بالغرائز وبمواضع العقائد . فى غير جلبة ولا ثورة ؛ بل بكل رفق وأناة :

لَيْسَ إِلَّا الطِّفْلُ : إِنْ أَصْلَحْتَهُ   تُصْبِحُ الدُّنْيا عَلَى أَحْسَنِ حال

فلو فرضنا أن شعباً ساد فيه التناحر وعدم الاتفاق لا على الرأى ولا على الزّىّ ؛ حتى ظن فيه أنه لا يمتّ إلى أمة، ولا يمثل شعباً بذاته ، وإنما هو خليط من غوغاء الأمم متجاور لا أكثر ولا أقل ، وفرضنا أن زعيماً مصلحاً أراد أن يكوّن من ذلك الشعب المتفرق أمة متفقة روحاً واحدة ورأياً واحداً ؛ فثمّ ما على ذلك المصلح إلا أن يتوجّه - من فوره - إلى تجديد (مكتبة الطفل) .

ونظرية تجديد الشعوب بواسطة تجديد (مكتبة الأطفال) قد أصبحت إحدى البديهيات التى تزيد بالبرهنة غموضاً ، فصعوبة تطبيق الناس لهذه النظرية عمليا ليست راجعة إلى عدم اقتناعهم بإنتاجها ؛ إنما هى راجعة إلى ندرة المؤلفين .

نعم إلى ندرة المؤلفين الذين تتوافر لهم أدوات هـذا النوع من التأليف .

إن التأليف للطفل عمل مضن شاق ؛ فإنه إلى غزارة العلم والاطلاع يحتاج إلى رقة عاطفة الشاعر ، ودقة ملاحظة الفيلسوف .

وحسب الناس من الدلالة على صعوبة التأليف للصغار أن « أناتول فرانس » - وهو من تعلم فى الأدباء العالميين - مكانته ، كان يريد أن يؤلف للصغار ؛ ولكنه خشى أن لا يحسن الصنعة ، فأحجم ... وقد علّل عجزه هذا فى بعض أحاديث مباذله ، فقال :

(إنك تستطيع أن تقنع الكبير بفائدة الكتاب ، وتحمله عليه فيقرأه ويمدحه ! أما الصغير ، فإنه إذا مل الكتاب فليس لك به حيلة ، وهو حينئذ قد يحرق الكتاب أو يمزقه ، أو يتخذ منه عروساً يلعب بها .

فأنت ترى أن الكتاب الذى لا يملّه الطفـــل فلا يحرقه ولا يمزقه ، ولا يتخذ منه عروساً يلعب بها . إن هذا الكتاب الذى يستميل الطفل ويستهويه ، هو طلبة الإصلاح المشتهاة للشعب الذى نريد إصلاحه ؛ كما أن المؤلف الذى رزق موهبة أو ملكة استهواء الطفل واسترعاء انتباهه ، هو المؤلف الذى يرجى للإصلاح .

وإنه حرىّ بالأمة التى ينبغ فيها هذا المؤلف أن تقبل عليه بكل ما فى كلمة الإقبال من معانى الودّ والعطف والإجلال !)

ولقد ظفرت « مصر » من الأستاذ « كامل كيلانى » بواحد من طليعة أولئك المؤلفين الموهوبين ، الذين تسيطر كتبهم على الأطفال ، سيطرة تشبه أن تكون سحراً !

ولا أدلـّك على ذلك بأكثر من تهافت دور الطباعة والنشر على طباعة كتبه ؛ طباعة هى غاية الغايات فى الرونق والإتقان .

فلقد أدّى الأستاذ « كامل كيلانى » للبيئة المصرية أجلّ ما ينتظر من أفذاذ الكتاب .

وإنه — باختياره ميدان تجديد (مكتبة الطفل) ميداناً لقلمه الساحر — برهن على أنه يجمع فى شخصه بين مواهب المؤلف الحكيم ، وروح الوطنى الصميم .

« كامل كيلانى »[1]

اختار قصص البطولة والشجاعة

بقلم الدكتور أسعد الحكيم

إن أشدّ نواحى الأدب العربى فقراً ما كان منها خاصاً بالنشء الصغير ، فقد يكاد يكون هذا القسم خلواً من الكتب الصالحة لاحتقار الأدباء له ، وانصرافهم إلى ما هو أسمى وأدعى للشهرة ، بينا الحقيقة هى أن التأليف فى هذا النوع من الأدب أصعب من التأليف فى غيره ، لما يستلزمه من لغة وأسلوب إنشاء خاص ، وسعة معرفة فى فن التربية وعلم النفس .

وقد شاء الأستاذ السيد « كامل كيلانى » أن يتم من هذا النقص ؛ فأخرج عدة قصص جديدة للأطفال ، أطلعنا على ست منها ، وهى من قصص البطولة والشجاعة ، فألفيناها كاملة الصفات الصّورية .. ولكنها تحتاج إلى عناية خاصة ، من حيث الموضوع . فهى معتدلة القدر ، متقنة الطبع ، جيدة الورق ، جميلة الرسوم ، سهلة العبارة ، فصيحة الألفاظ ، مشكّلة الحروف ، تستقيم بقراءتها لغة القارئ فتنطبع الألفاظ فى ذاكرته صحيحة ؛ خلافا للقصص والكتب المدرسية غير المشكولة ، فإنها من عوامل إفساد اللغة ؛ لأن القارئ المبتدئ يحفظ ألفاظها معوجة فيتعذر عليه تقويمها فى المستقبل .

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى . فى أكتوبر سنة ١٩٣٢ .

أمّا من حيث الموضوع ، فإنها مقتبسة من كتاب « ألف ليلة وليلة » ، ولا يخفى ما فى بعض موضوعات قصص هذا الكتاب ، من الحوادث المخيفة القائمة على الوهم والخيال التى تلذّ قراءتها للصغير ، ولا تحمد عقبى تأثيرها فى نفسه ؛ لأنها تنطبع فى حافظته كأنها حقائق محسوسة ، وتتمثل له فى أحلامه وفى خلوته ؛ لا سيما فى الظلمة ؛ فينشأ شديد الخوف والتخيل ، سريع الانفعال .

وهل من أحد يجهل مضارّ ما كان يتلى على الصغار من قصص الجانّ والعفاريت ، وما كانوا يخوّفون بلفظة « البعبع » وغيره ، فعسى أن يستمر المؤلف — فيما سيخرجه للنشء العربى من القصص المفيدة — فى اختيار الموضوعات التى تتمثل فيها البطولة والشجاعة والجرأة والشهامة ، والكرم والإباء والفضيلة ؛ بمظاهرها الحقيقية ، فإنها تربى فى نفسه سجايا رفيعة ، فيضاعف المؤلف — بعمله هذا — خدمته للغة وبنيها .

ابنتى «صفية» وقصص الـكيلانى

بقلم الدكتور أحمد زكى أبو شادى

حكايات للأطفال :

لا أذكر أنى ظفرت - من قبل - بهدية ثم حرمتها عاجلا ، فاستولى عليها من هو أحقّ بها منى : كما حدث للتحفة الممتعة التى نفحنى بها الصديق المجدّد الأستاذ « كامل كيلانى » .

وإذا ذكرت تحفة « كامل كيلانى » ، فيجب علىّ التعيين فورا ؛ لأن تحفه كثيرة ، وأياديه على الأدب متعددة متنوعة ، وهى شيوع بين طبقات الناس . وإنما أرمى هنـا إلى إحدى مآثره الجذابة (حكايات للأطفال) التى صدر الجزء الأول منها باسم « الدجاجة الصغيرة الحمراء ، وحكايات أخرى » .

شاقنى من هذه الهدية مظهرها الجذاب ، وصورها الأنيقة ، وطبعها الجميل ، وخطها الرائع ، وورقها الصقيل ، وكل العناصر التى تجعل الهدية محبوبة ، وتصبغها بصبغة العمل الفنى .

وفتحت الـكتاب فى منتصفه ، فإذا بى أرى حكاية « ليلى والذئب » وصورتهما ؛ فذكرتنى بحكاية Litte Red Riding Hood .

وأدركت على الفور أن « كامل كيلانى » يأبى إلا أن يشرك أطفالنا فيما ينهض به أمثالهم فى « الغرب » ؛ وزادنى تصفح الـكتاب وثوقا من ذلك ، وشكرا لصنيعه المجيد الذى لا بد أن يقدره كل والد مثلى .

وقد أحسن كلّ من المؤلف والناشر ، بتعاونهما على إخراج هذه الحلقة الأولى من سلسلة طويلة : نحن فى أمسّ الحاجة إليها ؛ لإنشاء « مكتبة الطفل » ، كما أحسنا بكلمتى التصدير اللتين أبانا فيهما عن أغراضهما التهذيبيــة ، وقــد كانا أمينين ـ كل الأمانة ـ فى تحقيق ما وعدا به .

وكان المؤلف الفاضل موفقا غاية التوفيق فى أسلوب المحاكاة لحـديث الأطفال وحوارهم ، الذى تدخل فيه السذاجة والتبسيط والتـكرار .

وهـذه ميزة يجب أن يقدرها رجال التربيـة ، وفى طليعتهم مفتشو وزارة المعارف .

لم تـكن حيازتى لهذه التحفة ، لتستمر أكثر من زمن انتقالى إلى بيتى ، حينما اطلعت عليها ابنتى « صفية » ، فاستولت عليها استيلاء ، وطفح وجهها بالبشر والضحك .

ولعل غبطتها هـــذه هى خير ما يقرظ به مثل هذا التصنيف الجميل . . وهى تغنى الأستاذ « كامل كيلانى » عن الـكثير من أمثال هذه السطور .

«جلفر» فى بلاد الأقزام والعمالقة[1]

بقلم محرر الهلال

ما زال الكاتب الأديب الأستاذ «كامل كيلانى» مجداً فى خدمة الناشئة العربية ، بتأليف المؤلفات النافعة ، وترجمة المفيـــد من الكتب . وقد أخذ — منذ مدة — يصدر قصصا ممتعة ، ويؤلف من هذه القصص (مكتبة للأطفال) : تكون ميداناً لهم فى التربية والتهذيب ، وفى تمرين أذهانهم وملكاتهم على المطالعة والإنشاء .

وقد أصدر منها — إلى الآن — عددا غير قليل ، ناهجا فى تأليفها وإصدارها ترتيبا تصاعديا ، فبدأ بالقصص الملائمة لصغار الأطفال ، ثم من يليهم .. وهكذا .

وقصة (جلفر) - هذه - هى من أشهر القصص ، وأفيدها للأطفال ، لأنها توسّع خيالهم ، وتستفزّ فيهم غريزة حب الاطلاع ، وتحفزهم إلى المغامرة والسياحة ، لمشاهدة ما فى مجاهل المعمورة من غرائب .

وقد ألفها «جوناتان سويفت» بعد ما قام بعدة رحلات ، وهى إحدى مؤلفاته التى خلّدت اسمه .. فوصف فيها - على لسان «جلفر» - ما زعمه : بلاد الأقزام والعمالقة ، وروى عدّة وقائع مدهشة ، حدثت له فى بلاد لا يزيد طول أهلها عن ست أصابع ، وفى بلاد أخرى طول الواحد من أهلها كطول المئذنة ، ومسافة خطوته تسعة أمتار ، وصوته يشبه صوت الرعد .

وسرد المؤلف ما حدث لـ «جلفر» من الحوادث التى تلفت النظر ، وتستثير الدهشة .

---

(١) الهلال فى مايو ١٩٣٣

وقد أجاد الأستاذ « كامل كيلانى » فى ترجمة هذا الكتاب ، وأهدى إلى ناشئة اللغة العربية قصة من أمتع القصص وألذّها ، وصاغهافى أسلوب عربى سلس يغرى القارىء ، وزانها بعدة صور توضيحية جميلة .

واسمعه يترجم عن المؤلف ، ويكتب بقلم فصيح ؛ فيقول محدثا عن « جلفر » ، بعد ما حمله الأقزام على عربة طولها سبع أقدام ، وعرضها أربع أقدام ، وارتفاعها ثلاث أصابع ، ولها اثنتان وعشرون عجلة ، وقد اشترك فى صنعها خمسة آلاف نجار ومهنـــدس ، وحملوه عليها إلى مدينة « الإمبراطور » ، يجـرّها ألف وخمسمائة جواد (من الأقزام طبعا) :

(وما زالت العربة سائرة نحو أربع ساعات ، ثم استيقظت فجأة لوقوع حادث عجيب ، فقد وقفت العربة فى الطريق ، ريثما يتم إصلاح عطب يسير أصاب أحد أجزائها .

ولم تـكد العربة تقف حتى دفع الفضول ثلاثة من الأقزام إلى التمتع برؤية جسمى ووجهى ؛ فتقدم أحدهم إلى أنفى ، وكان ضابطا جريئا ، طلَعَة يميل إلى الدعابة والمزاح .

وكأنما أراد أن يفحصنى ويقف على تركـيب جسمى الضخم العجيب . . وما يكاد يصل إلى أنفى ويرى طاقتيه ، حتى خيل إليه أنهما كهفـان ! فدفعه فضوله إلى سبر غورهما ، فوضع فى إحداهما رمحه الصغير . . وما كدت أحسّ وخزة رمحه فى أنفى ؛ حتى عطست ، فتقاذف — من أنفى — رشاش خيل إليه أنه رصاص ، فانقلب على ظهره من شدة الذعر ، وعاد ـ أدراجه ـ ورفيقاه ، وهم يرتجفون من شدة الخوف) ! !

الفضائل في قالب شهي[1]

بقلم ابن رشيق

ظللنا عهداً طويلا ونحن نجحد أدب الأطفال ، ونكره أن نحرك أذهاننا فى تغذية عقولهم بشتى المعارف والفنون ، وكان اعتقادنا القوى الراسخ أن الطفل يجب أن يظل طفلا إلى النهاية ، قانعا بتهجية الكلمات المفرّقة والحروف على طـــراز « فتح . نصر . خرج » .

أما أن نقـوّى خياله الحلو اللذيذ ، ونمنحه هذه الفرصة الجميلة ؛ لنوجد فيه قوة الإبداع والتفكير السامى ؛ فذلك ما لا سبيل إليه .

إن فى الطفل — على الرغم من ضآلة تفكيره — هذه الرغبة الملحّة الدائبة على الفهم والإدراك .

وأحرى بخيال الطفل أن يكون هو الخيال العذب الجميل ، الذى لم تضايقه حماقة التفكير المر ، ولا خشونة التجهم للحياة ، وهو — طبقا لبرنامج خياله — قادر على أن يرى فى كل شيء أمامه عوالم كثيرة صاخبة ، يحاول أن يتفهمها على ضوء عقله الصغير .. وهو لهذا يحطم لعبته الجميلة ؛ لأنه يشك فى أن حيواناً صغيراً بداخلها يديرها ، على أنه — وا أسفاه — يلقى على هذه التجربة اللذيذة ضرباً مبرحا ؛ يجعله غير قادر على التخيل والتفكير .

---

(١) البلاغ فى ١٩٣٣/٨/١٣ م

هكذا نعامل الطفل ؛ فنقتل فيه الرغبة السامية فى الإدراك والفهم ، ونحصر ذهنه فى أن يحفظ عبارات من كتب المطالعة ؛ على شريطة ألّا نفهمها له ، أو ندعه يحاول فهمها .

وعندنا أن الطفل ما دام يستطيع أن يقول جملة محفوظة فهو قد تثقف ، وأدرك الغاية من تعليمه ، أما أن نغذّيه بالقصص الجميل البارع ، فذلك ما لا سبيل إلى أن نعنى به ونهتم له ، وبذلك يزايل الطفل خياله الطريف ، إلى حيث يجعل رأسه مخزنا لجميع الأغلاط والأخطاء ، التى يقع فيها شيوخ التعليم عندنا ، عامدين غير مكرهين .

وبين يدىّ الآن كتابان فى قصص الأطفال أحدهما : (رحلات جلفر) للأستاذ الأديب « كامل كيلانى » ، وثانيهما : (قصص الأطفال) للأستاذ « حامد القصبى » .

أما الكتاب الأول ، فقد يستطيع الشاب والكهل أن يجدا فيه غذاء عقليا لذيذا ؛ لما حوى من جمال وروعة وسحر ، وهو على التحقيق من أفضل كتب التربية عندنا ؛ فإن دروس الفضائل فيه ، موضوعة فى قالبها اللائق الشهىّ . . وليس التلميذ الناشئ فى حاجة إلى من يقول له : هذا خير وذاك شر ! فهو لا ريب يعزف عن هذه الحماقة ، ولكنه أحوج ما يكون إلى أن تقوّى ملكة الخيال فى ذهنه الخصيب .

وإن قصة « جلفر » وسياحاته البديعة فى بلاد الأقزام وفى بلاد العمالقة تستغرق قراءتها ليلة كاملة ، وقد قرأتها فيها بشغف وإقبال .

أما كتاب : (قصص الأطفال) فقد قرأته أيضا ، وهو صغير الحجم ، ولكنه نافع ومفيد للأطفال .

ونحن نرحب بأية محاولة فى سبيل تغذية عقول أطفالنا بهذه القصص الجميلة، ونحب أن تكون للطفل فى دارالكتب « مكتبة » خاصة به، يستطيع أن يزورها، كلما أحسّ فى نفسه رغبة إلى المطالعة والدرس.

فنى « أوروبا » « دائرة معارف للأطفال »، وهم هناك يعنون بالطفل عنايتهم بكل شىء فى الوجود، لأن هذا الطفل الذى نهمل جانبه - نحن - معتمدين على التقاليد القاسية، هو الذى سوف يمسك دوننا فى الغد علم الجد والنشاط.

فخليق أن نحترم عواطفه ورغائبه، وأن نعنى بحاجات عقله، قبل أن نعنى بحاجات بدنه، من ثياب وطعام وشراب!

كشف النِقاب عن الخيال العربى

بقلم الأستاذ محمد فريد وجدى

من أدباء مصر العاملين الجادّين، حضرة الأستاذ الألمعى « كامل كيلانى »، وقد جمع - إلى حسن الاختيار فى إحياء الأدب العربى - التوفيق وجزالة الفائدة: فلم ينس قرّاء العربية ما قام به من تلخيص (رسالة الغفران) للفيلسوف الشاعر « أبى العلاء »، فقد استصفى من ذلك الكتاب المهمل رسالة هى خلاصته السائغة المريئة، فأحيا ذلك الأثر الجميل لشاعر « المعرة » حياة جديدة، وجد بها سبيلا إلى كل مكتبة فى « مصر »، وقرأه فيها من كان لا يحلم أن يقرأه لوعورة مسالكه، ووعوثة طرائقه، فكأنه بعمله هذا قدوة صالحة لمن ينسج على منواله من العاملين الجادّين.

نعم إن أديبنا لقى ما يلقاه كل مقصور لمثل هذا العمل من العناء والمشقة، ولكنه كوفئ على ذلك أجزل المكافآت التى يترقبها الأديب العامل، وهو حسن التقدير والإعجاب الذى لا حدّ له.

هذا غير نظرات له فى « الأدب الأندلسى » أحسن فيها كل الإحسان، وجلىّ فيها — من ذلك الأدب — وجوها جديدة كانت لا تزال بعيدة عن نظر الناطقين بالضاد.

وله غير هذا مؤلف نفيس أسماه « مصارع الخلفاء »، سلك فيه مسلك المجددين فى إيراد حوادث التاريخ، ونال من شكر القارئين ما جعله يحمد مغبّة السرى، ويتشجع على متابعة طريقه، وإن كانت موماة، لا أعلام فيها إلا ما يضعه هو لمن يأتى بعده.

واليوم جاءنا بلون جديد للأدب العربى ، يجمع إلى فائدة المتعلمين الصغار ، كشف النقاب عن الخيـال العربى ، الذى لا يزال محل نزاع بين الباحثين إلى اليوم ؛ ذلك أنه عمد إلى الكتاب المشهور بـ« ألف ليلة وليلة » ، واستخرج منه قصـة « السندباد البحرى » فصاغها فى قالب جديد من البيان — هو السهل الممتنع — وجعله أول سلسلة الأقاصيص التى سيتخيّرها من ذلك المعين الثرّار .

ولم يكفه سرد الحكاية ـ على ما فيها من ملهيات أدبية ـ بل حلّاها بالصور الكثيرة المؤثرة على الخيال ؛ فجاءت على مثال الأقاصيص التى يعملها كتّاب الإفرنج للأطفال : حذْوك القذّة بالقذة .

وإذاً نحن من قصة « السندباد البحرى » ـ المهملة فى زاوية كتاب لا يأبه له أحد ـ إزاء قطعة من الأدب العصرى الممزوج بالخيال العربى ؛ ليفيد مئات ألوف من النابتة المصرية ؛ ابتدأت حياتها العلمية فى المدارس الأولية ، ولا تجد ما تجده نابتة الأمم من المؤلفات التى من هذا النوع .

فجاء عمل الأستاذ « الكيلانى » سادًّا لفراغ لا بد من التضافر على ملئه على توالى الأيام : حتى تجد نابتتنا بلال صـــداها من الوجهة القصصية .

فلنشكر لأديبنا المفضال هذه الأطروفة الحسنة ، وإنها لمن مفاجآته البديعة !..

زاده الله بسطة فى القوة والصحة .

لو كنت ذا مال لأغدقت المكافأة

بقلم الأستاذ محمد الهرّاوى

الحق أن أطفال مصر محرومون من كل ما يتمتعون به من كتب القراءة والمطالعة، والدرس والتعليم . وقلّ من المؤلفين من يعنى عناية خاصة بكتب الأطفال ، وحتى رجال « البيداجوجيا » فى كتبهم المدرسية ، هؤلاء أيضا قلّما يضعون مؤلفاتهم الصغيرة فى مستوى مدارك الأطفال ، كأنهم فهموا أن ليس لهؤلاء الأطفال عقول غير عقول الذين صعدوا - فى درجات العلم والتعلم - مدى بعيداً .

هذا النقص الكبير — فى مؤلفاتنا العصرية — أحدث فراغا : لا يملأ إلا بالاعتراض المرّ بلسان أطفالنا الصغار . وهذا الاعتراض — إن لم نسمعه كلاما — فقد ندركه شعورا بالإعراض عن تلك الكتب ، واستثقال ما فيها ، ورمى العلم بالجفاف والصعوبة الكبرى : بدل أن تكون هى واسطة تخفيف وجذب إليه : بما فيه من وسائل الاستمتاع .

نعم . وإذا فتشت فى المكتبات العربية المختلفة عن كتب ، تختارها لابنك أو ابنتك على سبيل الهدية ، أو قطع الوقت فى التسلية ، أو .. أو .. فلا تجد ما تقع عليه عينك لتمد إليه يدك .

إذن ، فهذه الكتب لم توجد بعد ، ولم يوجد كذلك مؤلفوها إلى اليوم . ولا أدرى على من يقع الذنب أو المسئولية فى ذلك ؟

أعلى المؤلفين .. ولم يجدوا تعضيدا ؟ أم على الأمة .. ولم تجد مؤلفين جدّيين لتعضدهم ؟ أم على الحكومة ، وهى لم تفتح باب المواهب للأولين ، ولا طريق المعرفة للآخرين ؟!

لا أدرى ! ولعل الذى يدرى يدلى لنا برأيه . ولقد يطول بنا الشرح والتأويل إذا أردنا الاسترسال فى هذا الموضوع .

وبعد .. فقد وقع فى يدى الآن كتاب طريف لطيف ؛ لعله فى أول صف من الكتب المنشودة لأطفالنا : ذلك الكتاب أو الكتيّب - على طريق الإعجاب - هو (قصص للأطفال) من عمل الأديب الفاضل الأستاذ « كامل كيلانى » .

وقع فى يدى هذا الكتاب . وما شرعت أقرؤه — بفكر الأطفال — حتى ساقتنى أولى صحائفه إلى أختها ؛ وهذه إلى جارتها ، وتلك إلى تاليتها ، وهكذا .. حتى أسلمتنى آخر صفحة إلى الغلاف التالى للكتاب ؛ دون أن يكون بين الصحيفة وأختها فترة انقطاع .

وتلك هى مزية كتب الأطفال : حكاية رشيقة مختارة من « ألف ليلة » ؛ موضوعة بأسلوب شائق ، خالية من هجر القول ، وغريب الألفاظ ، محلّاة بالصور الجذابة .

ولعمرى : لو كنت ذا مال وسلطان ، لأغدقت على صاحبي المكافأة الحسنة ، لا على أنه أتى بما لم تستطعه الأوائل ؛ ولكن لأنه اتجه إلى طريق التضحية بعمل شيء ، يعتقد بواره فى زمن لا يجزى فيه ذوو الحسنى بإحسان .

ولكن العين بصيرة ، واليد قصيرة ! فلا يسعنى إلا أن أدعو لمؤلفه أن يجزيه الله عن الأطفال الصغار خير الجزاء .

والآن : فإذا كان يسرّ المغرم بشيء ؛ أن يتسع مجال هذا الشيء ، ويكثر أنصاره ؛ فإنى أول من يسر بظهور مثل هذا الكتاب ليؤلف — مع إخوته من نوعه — طائفة صالحة لمكتبة الطفل الحديث ...

هـــدية لأطفالى

بقلم الأستاذ محمود أبو العيون

تفضلت علىّ - يا صديق الأستاذ - وأهديتنى كتاب « قصص الأطفال » ، فحملته — بين يدى — إلى المنزل هدية لأطفالى ، فما قرءوا فيه قصة ، وما اطّلعوا منه على صوره ، حتى اشتجر الخلاف بينهم ، وعلا صراخهم وضجيجهم ، كل منهم يريد الاختصاص به .

فأردت اختبار رغبتهم وهواهم ، وأخرجت لهم - من القمطر - كتبا فى مسامرات الأطفال مصورة ومزركشة .. فكأننى كنت مغريا لهم وحافزاً على الاستمساك بكتاب (قصص الأطفال) فحسب .. فما وسعنى إلا ابتياع خمسة كتب من ناشر الكتاب ، فكانت هديتك يا صديق مغرما لى ، ومغنما لغيرى ، وكذلك تكون هدايا الأصدقاء !!

أما أن الكتاب مشوق للأطفال ، وسميرهم ، ومغريهم على الاستمتاع بقراءة قصصه بشغف وغرام : فذلك لأنه موضوع بطريقة طريفة متمشية مع ميول الطفل وغرائزه : فيشعر - حين يقرؤه - كأنه فى حديقة فيحاء ، ينتقل فيها من خميلة إلى خميلة ، ويطير من فنن إلى فنن .

والطفل كالطائر : يألف الأشجار الوارفة ، ويغرم بالجنى الدانى .

* * *

ذلك النوع من التأليف للأحداث غريب فى بلادنا ، وما نقرؤه من ذلك الطراز المشوّق ، لا نعرفه إلا معرّبا فى كتب الإفرنج مشوّها ممسوخاً .

ولكننا ـ يا صديقنا ـ نعرفك مجليا فى تأليفك، مبرّزا فى كتابتك على نصّ ما تمس إليه حاجة العصر، لا متخلّفاً ولا مقصراً.

ومن نظر كتاب « مصارع الخلفاء » و « نظرات فى تاريخ الأدب الأندلسى » و « شرح رسالة الغفران »، شهد لك بحرية الضمير، وجودة التفكير، وراقه منك حسن الاختيار، وأعجبه براعة الأسلوب، ووقف على ذوق جديد مستطاب فى البحث والتأليف .. ذلك لأن مؤلف هذه الرسائل : « كامل كيلانى »، مستقلّ بمسلكه الأدبى الممتاز.

* * *

وهأنت أيها الأديب القدير : قد أخرجت للناس من بدائعك قصة « السندباد البحرى » المشهورة فى « ألف ليلة وليلة »، مزينة بالصور على نحو شائق، مرتقب للأطفال فى إجالة النظر فى الأدب والعلم الخارج عن دائرة مناهجهم الدراسية المحدودة.

وقد وعدتنا ـ وفقك الله ـ أن تخرج لأبناء الأمة، عما قريب، قصة « علاء الدين »، فلنسجل عليك ذلك.

كلل الله جهدك بالنجح، وزادك فيه توفيقا.

كامل كيلانى

محدّثا ومربّيا وأستاذ بيان

بقلم الأستاذ محمد صادق عنبر

قلّ أن تجد من الآباء من لا يحار ، إذا رغب إليه ابنه أن يقصّ عليه أو يقرئه قصة ، فأراد أن يتخيرها على نصّ سنه ، ويرسلها على مدى إدراكه ، منطوية تضاعيفها على عظة أو تبصرة أو فضيلة ..

ومأتى هذه الحيرة ، فقدان العناية بالقصص ، الذى يشوق نفس الطفل من حيث يطبعها على غرار الخير ، ويحبب إليه الاطلاع من حيث يسدده ، ويثقف حقيقته وخياله معا ، مترقيا فى ذلك مع سنه ، حتى يكون ـ وهو طفل ـ أكبر من طفل : ليكون ـ وهو رجل ـ أكبر من رجل .

وقد فطن ـ أخيرا ـ إلى هذا النقص ، ألمعىّ من كرام الكاتبين ، هو الأستاذ « كامل كيلانى » .

فرأى ـ على نورين من الفضل والأبوة ـ هذه الثلمة فى بنية التربية عوارا باديا : فصحّت عزيمته أن يجعل لها من ثروة قلمه سدادا ، ومن هَدْى اطلاعه عتادا ، ومن مادة تجربته إمدادا .. وبدأ ذلك بالجزء الأول من هذا النسق البديع ، الذى أسماه : (قصص الأطفال) .

وبين أيدينا ـ اليوم من هذا الجزء ـ مثل كامل .. من أى نواحيه نظرت إليه ، أحمدت الصنع ، وأكبرت هذه اليد ، التى اعتقدها مسديها فى الأعناق منة ، ورفعها فى صحيفة فضله ثوابا . فقد شاء المؤلف أن يكون محدثا ، وأراد المحدث أن يكون مربيا ، وأحب المربى أن يكون أستاذ بيان ؛ فكان لكلٍّ ما أراد ، والتقى ثلاثتهم بين دفتين اثنتين ؛ لكِتاب واحد .

* * *

فنشكر لحضرته كِفاء خدمته للنابتة ، وجهد خدمته للغة .

ونرجو أن يوفق إلى إتمام هذا النسق البديع .

منطق العرب الأصيل

بقلم (صاحب المعالى) أحمد نجيب الهلالى

(وزير المعارف الأسبق)

يا للعجب !

ضالّة الجيل ، ومنطق العرب الأصيل :

رجال فى مرح الأطفال ، وأطفال فى هَدْى الرجال .

جدّ فى لعب ، وجوهر من الصدق فى عرض من الكذب .

وعلم وأدب ، فى خفة وطرب !

عمل فريد ، ليس عليه مزيد ، وسحر يقوى سلطانه على المستفيد .

* * *

ولئن أدرك الأطفال « برياض الأطفال » مرادا بعيدا ، لقد فتحت لهم بـ « مكتبة الأطفال » فتحا جديدا .

أدركتَ أَرَبَ نفوسهم ، وأبدَلتهم أنسا من عبوسهم ، وهِجتَ للمعالى أشواقهم . وحسّنت لغتهم وأخلاقهم .

وُعنيتَ بهم أيّما عناية ، ورعيتهم حتى لا مزيد من رعاية !

وجنيتَ لهم من ثمرات المعرفة ، فاكهة محببة .

فى أسلوب شائق ، ومعرض بيانىّ رائق .

وتدرّجت بالطفل ـ فى إنشائه ـ مرتقيا به من ألِف البيان إلى يائه .

* * *

وإن طفلا تتعهده هذه الكتب ، وينشئه هذا الأدب ؛ لهو خليق أن يمضى ـ فى مراقى البلاغة ـ قدما ، حتى يطلع ـ فى سمائها ـ نجما !

ولقد جئتَ فى ذلك بدلائل الإعجاز ، وسموت فيما دبجته يراعتك من إطناب وإيجاز .

استقل بجانب قوى من جوانب الاصلاح

بقلم (صاحب المعالى) « الأستاذ محمد على علوبة »
(وزير المعارف الأسبق)

لم أكن أعرف الأستاذ « الكيلانى » بذاته ، قبل أن أعرفه بمؤلفاته ومعرّباته .

فإن مما دبّجه قلمه الدائب ، لأحفل مكتبة عربية للطفولة بالممتع الشائق من القصص الذى يحبب إلى الطفل أن يقرأ ، ويعينه - وهو يقرأ - على أن يفهم ، ويسايره - وهو يقرأ ويفهم - صاعدا به على حكم سنّه فى مراقى الاطلاع ؛ بادئا معه بالأوليات التى تنزل - مما فوقها - منزلة الأساس من البناء ، مترقيا به فى المعلومات المنوّعة العامة :

فمن مشاهد طبيعية إلى علم الطبيعة ، ومن مظاهر مادية إلى خصائص المادة ، ومن لطائف فى الأدب ، وطرائف من التاريخ ، ومبادئ من العلم ، إلى لباب ذلك كله .

فلا يلبث الطفل - بعد دراسته لطائفة يسيرة من تلك الكتب - ان يكون أكبر من طفل ؛ ليكون - وهو رجل - جدّ رجل .

فإن الطفل - وهو وحدة الجيل - أبو الرجل ، لأن فى الطفولة معانى من حقيقة الرجولة ؛ تنطوى فى أثنائها ، كما تنطوى فى النبتة الناعمة الناضرة الصغيرة ، حقيقة الشجرة الباسقة الكبيرة .

ومن أجمل ما استرعى نظرى فى هذه الكتب - التى هى دعامة أساسية لتكوين الطفل - أنها وضعت على نسق جذاب ؛

يملك على الطفل فكره ؛ فإذا فكره كله فيما يقرأ ، وإذا قراءته كلها فى فكره .

ومزية من مزايا هذه الكتب : فصاحة عربيتها فى لغتها ؛ وحسن موقعها من نفس الطفل .. فهو يمضى فى قراءة القصة .. والقصة تمضى به فى أسلوبها من الأداء .. والأسلوب يمضى بهما فى الفصاحة على حكمها : سهلا ممتنعا ، لا تكلف فيه ولا معاسرة .. ومِن ثَم يشبّ الطفل ، وقد صحّت له ملِكته ، وأُشرِبت الفصحى فكرته .

ولقد جاءت الصور الملوّنة وغير الملوّنة - التى حليت بها هذه الكتب - وضّاحة تزيد معانيها ، دقيقها وجليلها ، وضوحا . وهى على ذلك فن من التصوير ، لا يدع للكتب المطبوعة فى « أوربا » فضل مزية عليه .

فقد برع هذا الفن فى «مصر» أخيرا ، فكان شهادة للمطبعة العربية العصرية ، وكانت « مكتبة الطفل » أصحّ تزكية لهذه الشهادة .

ومحصّل القول أن الأستاذ المبدع الألمعى « الكيلانى » ، قد استقل بجانب قوى من جوانب الإصلاح الذى لا صلاح إلا به .

فقد اجتمع فيه الأب الحدِب ، والسمير البصير ، والأستاذ الألمعىّ ، والتقى ثلاثتهم منه فى اللغوى المحقق ، الناصع ديباجة البيان .

وإنى لأهنئ المؤلف الكبير ، بهذا الفتح الذى تمّ - بكتبه - لكتبه ، حتى لا أدرى : أهو أنشأ (مكتبة الطفل) ، أم أنشأ - بكل كتاب منها - للأطفال بستانا ؟

وبالقصص الشائق غذاهم ، أم غذاهم رجولة وأدبا وعرفانا ؟

وإنى لأرجو له مثل هذا التوفيق فى إتمام (مكتبة الشباب) .

والله المسئول أن يمدّنا وإياه بيمنه وتوفيقه .

استجاب لحاجة عصره!

بقلم الأستاذ خليل مطران

مطالع بلا حساب ، وحافظ بلا حساب ، ومثمر بلا حساب .

أقول : « بلا حساب » وأعنى : الكثرة المباركة .

أعنى : الغيث استدرّ على تربة خصبة فيحاء ، فأنبتت من كل جانب أحاسن النبات . أعنى : النيل استنزل من عالى الشعاب وبعيدها ، فأحيا من الرمال الموات ، وأخرج المروج والجنات .

تسمعه فتسق من فيض علمه ولا تروى ، وتقرأ له فتطعم من جنىَ حلمه ولا تشبع . على أن تلك الذخائر التى جمها صدره فأوعى ، قد غــذَت منه قريحة ولودا ، لم يأت غيرها بأنجب ولدا ، ولا بأكثر عددا .

* * *

من العلماء من يختزن ولا ينفع بعلمه . ومن الأدباء من يجيد اللفظ ويبرع فى الأسلوب ؛ ولكنه إنما يخرج من الدر ، ويصوغ من القلائد ، ما يتابع به العادات ، ولا يعدو الإعادات .

أما المنشآت الصادرة عن مقدرة واختراع ، فقلّ من يحاولها ، لأن الاختراعات دونها عناء بقدر خطرها .

* * *

لا كذلك الأستاذ « الكيلانى » ؛ فقد نظر فى حاجات عصره ـ وحاجات العصر حوله جـمّة ـ فبعد أن ترجم ما ترجم من قصص أكابر الأدباء الغربيين ، ودرس ما شاء من مخلفات المتقدمين من العرب ـ ترسلا كانت أو شعرا أو حكمة ـ وراض ملكته

أوفى الرياضات : نظما ونثراً ، هدته فطرته الإنسانية الرقيقة إلى مجال يستطيع أن يجرى فيه قلمه : نظما ونثرا ؛ فيحدث للأمة العربية حدثا جديداً ، يكفل تنشئة أبنائها على حالة من الثقافة المتدرجة ، توصلهم إلى الغاية التى يدركها أبناء الأجانب ، وقد كوّنت أذهانهم بمثل الطريقـــة السهلة المشوقة البارعة ، التى وضعها لهم جهابذة التربية عندهم .

* * *

عنى بتغذية عقول الأطفال ، وتهذيب أخلاق الأطفال ، وتقويم ملكات الأطفال ، على العربية الصحيحة ؛ فألف واقتبس لهم قصصاً بين صغيرة وكبيرة ، نيفت كراريسها وكتبها على الأربعين ، ودارجهم بما هيأ لهم فيها من أسباب الإثارة والإرشاد ـ من حداثتهم الأولى إلى اقتبال الصبا ؛ بل إلى شرخ الشباب ـ فأتى فى سرده بكل شىء مفيد ، وممتع قيم .

وقد ترى فى كلامه السهل الممتنع ؛ فلا تتبين ـ من الفور ـ قدر ما بذل من الجهد فيه .. ولكنك إذا انتقلت مثلا إلى ما عرّبه ، ولخصه وقرّبه من أضخم مسرحيات « شكسبير » ، وبدا لك من تجديده تلك القصص على نحو خاص ، ما جمع فيه ـ من الفصاحة فى المبانى ، إلى البلاغة فى المعانى ، ومن الجزالة فى الشعر إلى السهولة فى النثر ـ بدا لك بجملته وتفصيله ، صنيع هذا الرجل فى أروع صورة تجلو فِطَنه المبـــدعة ، وكفاياته المتنوعة .

ولو لم يكن للأستاذ « الكيلانى » إلا أنه المبتكر فى وضع (مكتبة الأطفال) ، بلسان الناطقين بالضاد ؛ لكفاه فخراً بها ، ما قدّمه لرفع ذكره ، وما أحسن به إلى قومه وعصره .

لم يكن عندنا قبله

من يصنع هذا العمل

بقلم الأب أنستاس مارى الكرملى

يبذل الغربيون أقصى جهودهم ليخرجوا لولدانهم خير الكتب ؛ حتى تكون أساسا منيعا لما يبنونه من صروح العرفان فى نفوسهم الفضية الغضة ، فيتسع فيها أفق العلم ، وتتجلّى حقائقه .

واتخذوا لهـــذه الغاية أسرع الوسائل انتشاراً فى خواطرهم ، فصاغوا لهم تلك النفائس ـ حين بدت لهم كالدّمى ـ يقلبونها كما شاءوا ، ويمتعون أبصارهم بمحاسنها الفتانة ، فكانت لنفوسهم جنىً شهيا ، يتذوّقون لذته فى كل لمحة وكل فرصة سنحت لهم .

فأولعوا بتلك المصنفات ، وغدوا علماء منذ حداثتهم ، من غير أن يكدّوا خواطرهم ، أو يكلفوا أنفسهم عنتا ، إذ جعلت على حبل ذراعهم .

بيد أن هذا الفن لم يتقنه إلا نفر قليل ؛ هم أمعن وأمضى أساتذتهم فى التعليم وعلم النفس ، وأكبر كبار فلاسفتهم .

ولم يكن عندنا إلى اليوم من جاراهم ؛ حتى حبت العربية مدارسها ، بهذا الأستاذ ، الذى آتاه الله من المزايا ما حقق فيه اسم « الكامل » .. ولقد استفاد من وحى النفس الطيبة ، نفس ابنه المحبوب « مصطفى » .

إن كتاتيبنا فى حاجة ماسّة ، إلى أمثال تصانيف الفرنسيين الموضوعة للأطفال ـ وهم الذين سبقوا سائر الأمم إلى وضعها ـ فتنبه الأستاذ « كامل كيلانى » إلى هذا النقص ، فوضع الكتب المنمنمة المفيدة ، وزينها بأحسن الصور ، وأدقها صنعا ، وأفرغ عباراتها فى قوالب لطيفة سهلة جلية ، لا تعقيد فيها ولا غرابة ، وقطّعها قطعا قطعا ؛ حتى جاءت كاللقم الصغيرة ، يسهل ازدرادها وهضمها . فعشقها الولدان ، وأخذوا يلقفونها الواحد من الآخر .

ولا جرم أن هذا التلقف هو أحسن شاهد ، لرواج هذه المؤلفات البديعة الوشى .

ولو لم يأت الأستاذ « الكيلانى » إلا هذا العمل (وله مؤلفات كثيرة ، تشهد له بعلوّ الكعب فى التصنيف) لكفاه فخرا وخلودا ، لأن الذين يقلدونه لا ينسجون إلا على منواله ، ولا يغترفون إلا من موارده . . ومع ذلك لا يمكنهم أن يقاربوه ، ويبقى الفضل والفخر للمبتدئ ، على كل حال .

لست أعرف مصريا
أخرج هذا العدد من الكتب

بقلم (صاحب المعالى) الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة
(وزير الأوقاف الأسبق)

... وقد تمتعت بقراءة أكثر ما دبجته يراعته ، وجعلت أطفالى يتغنون بشعره ، كما يفعل كثير من الأدباء .. ولو أنصفنا لأقمنا له احتفالات عديدة .

فنحتفل أولا بـ « الكيلانى » المربى ، الذى عرف أن تربية النشء على أساس صحيح متين ، وخلق قويم كريم ، هى العامل الأول لإنهاض هذه الأمة ! فعكف يؤلف ويؤلف ؛ حتى أخرج لأفلاذ أكبادنا طائفة من الكتب القيمة ، لم يسبقه إليها أديب .. ووجدنا بفضله ضالتنا ، وكنا نتخبط ـ من أجلها ـ فى حيرة .

ونحتفل به مؤرخا ، يهيب بنا لنقتدى بالسلف الصالح ، ويذكرنا بمجد أجدادنا ، وتاريخهم الحافل الزّاخر بالمآثر والمفاخر .

ونحتفل به شاعرا عظيما ، جمع شعره بين الرصانة والسهولة ، وألف بين الفخامة والعذوبة ؛ فهو الذى يسميه الشعراء بالسهل الممتنع .

ونحتفل به أكبر منتج بين كتابنا ..

فلست أعرف مصريا أخرج للناس من مؤلفاته هذا العدد العظيم .

وكأني به وقد اعتزم ألّا يهدأ ، ولا يقرّ له قرار ، ولا يستريح الليل والنهار ، حتى يعوّض على « مصر » ما تعانيه بسبب تقاعس أبنائها ، وتهاون علمائها وشعرائها ...

ويودّ ـ لو يحمل وحده ـ جميع الأعباء ؛ ففاض قلمه كالسيل ، بما تنوء به جمهرة من الأدباء .

فليس لنا إلا أن نفخر به ، ونسأل الله أن يجزيه ـ عن وطنه ـ خير الجزاء .

هل جاملت أخى ؟

بقلم الأستاذ سيد إبراهيم

ما كان لى أن أطرى أثرا أدبيا ، من آثار صديق « كامل كيلانى » لولا أننى على يقين ، من أن تقديرى له ، ليس فيه من المجاملة شىء .

وليست عين الرضا هى التى أنظر بها إلى كتابه ، بل هى عين الإنصاف التى ترى الحقّ فتصفه كما هو ، دون زيادة أو نقصان .

وإذا كان للعدوّ أن يكتب عن عدوه ، وأن ينصفه ـ ما دام من طبعه الإنصاف ـ فلا ضير أن يكتب الصديق عن صديقه ، وأن ينصفه ما دام من طبعه الإنصاف .

إن كتاب (قصص الأطفال) ، هو أول كتاب من نوعه فى العربية ، وهو أسلوب مبتكر جديد فى التربيـة ، سبقنا إليه رجال الغرب ، وتخلّـف عنه رجال التربية عندنا .

وإنى لأغبط أطفال اليوم : الذين أسعدهم الحظ بهذه الحلقة ، التى يبشرنا أوّلها بما يتلوها .

والثمرة تدل على الشجرة ، كما يقول شاعر « المعرة » .

أما أسلوب الـكتاب فهو ـ إلى فصاحته ـ سهل ؛ وليست صوره الكلامية بأقل افتتانا من صوره التخطيطية .

والحقّ أننا سئمنا ـ أطفالا ورجالا ـ تلك الـكتب المدرسـية السخيفة ، التى طالما اضطررنا إلى قراءتها ـ فى صغرنا ـ اضطرارا .

وليس لنا مندوحة عن الإشادة بذكر كل من يتصدى لمثـــل هذا العمل النافع ..

ثم ماذا ؟

وكيف أقول فى كتاب أجمع كل من رآه - من كبار الكتاب وصغارهم - على أنه كتاب نافع وضرورى . ولم يشذّ عن هذا الإجماع أحد من خصوم « الأستاذ » وأنصاره ، على السواء؟

كما اتفقوا على أن حاجة البنات إليه - كما يقول مؤلفه فى مقدمته - ليست بأقل من حاجة البنين !

* * *

ولعل أبدع ما وصف به هذا الكتاب ، هو قول الأستاذ الشاعر المبدع الدكتور « أبى شادى » من قصيدته الرائعة :

وَالطِّفْلُ عَبْــدٌ لِلْخَيالِ وَسَيِّدٌ
فِى النَّاسِ يَحْكُمُ آمِرًا مَأْمُورَا
هُوَ (مُصْطَفاكَ)، فَما اصْطَفَيْتَ لِذِهْنِهِ
إِلَّا الَّذِى مَلَأَ الْوُرُودَ عُطُورَا
جَدَّدْتَ لَذَّةَ « أَلْفِ لَيْـلَةَ » قادِرًا
وَوَهَبْتَنا جُزُرًا لَهـا وَقُصُورَا !
وَأَعَدْتَ خَلْقَ (السِّنْدِبادِ) كَأَنَّهُ
أَضْحَى يُشارِكُنا مُنًى وَشُعُورَا !

إلى آخر هذه القصيدة الفذّة ، التى لا يقدر على نظمها إلا شاعر موهوب ، رائع الشاعرية ، ساحر البيان ، كالأستاذ « أبى شادى » .

وجمّاع القول أن الكتاب مشوق ونافع وضرورى :

أما أنه مشوق ... فقد أجمع على ذلك كل من قرأه من الأطفال والكبار معا .

وأما أنه نافع .. فظاهر لكل من رأى سيل الركاكة والعجمة ، يطغى على أساليب أكثر الكتّاب عندنا ..

ومتى ذكرنا أن الطفل لا يقرأ مثل هذا الكتاب بلغته العربية النقية ، وأساليبه المختارة : إلا انطبع فى ذهنه مثال من الكتابة الصحيحة الخالية من التكلف والعجمة ، أدركنا عظيم فائدته ونفعه !

وأما أنه ضرورى ، فلأنه أول كتاب من نوعه ؛ وليس لدى الأطفال كتاب آخر غير هذا الكتاب ؛ يحبب إليهم القراءة ، ويدفعهم إلى الاستزادة منها .

وبعد .. فهل يرى القارئ أننى جاملت أخى ، فى كلمة واحدة فى كل ما كتبت ؟

اللهم إننى لم أعد الوصف الصحيح ، الذى يؤيده الواقع والحق .

وليس فى كل ما قلت كلمة واحدة ، دفعنى إليها إسراف أو شطط !

أولو الفضل فى أوطانهم غرباء(*)

بقلم الدكتور زكى أبو شادى

بينما كنت أجيل النظر فى العدد الخاص بـ « رسالة الغفران » من سلسلة الروائع الطريفة ، للأستاذ « أفرام البستانى » : إذ لفت نظرى التقدير الموجه إلى طبعتها المهذبة ، التى وقف على نشرها الأستاذ « كامل كيلانى » : صديق « أبى العلاء » و « ابن الرومى » وغيرهما من أعلام الأدب العربى ؛ فجرى على لسانى قول حكيم المعرة :

أُولُو الْفَضْلِ فِي أَوْطَانِهِمْ غُرَبَاءُ
تَشِذُّ وَتَنْأَى عَنْهُمُ الْقُرَبَاءُ

... وبينما أنا مرتاح إلى هذا الشعور ، قرير به ، إذ أفاجأ بالجزء الأول من تأليف عظيم النفع ، للأديب « كامل كيلانى » ، وأعنى به كتاب (قصص للأطفال) ، الذى نشرت منه قصة « السندباد البحرى » ، وستتبعها قصة « علاء الدين » وكثيرات غيرها .

فشكرت للقدر هذه الفرصة السانحة لكتابة هذه الكلمة ، تنويها بفضل هذا الرجل الوديع المتوارى ، وإنصافا لجهده القيم ، وتقديرا لتأليفه الخطير الجديد .

لقد كان « كامل كيلانى » مشغوفا بإفادة المتأدبين الناشئين ، مهديا إليهم لزوميات « أبى العلاء » مشروحة ، و « رسالة الغفران » مهذبة محللة ، و « ابن الرومى » فى تنسيق عصرى مشوق ، ونظراته المقبولة فى « تاريخ الأدب الأندلسى » وغير ذلك ..

(١) مجلة المقتطف

واليوم يهدى إلى الألوف من أطفالنا الحلقة الأولى من حلقات سلسلته القصصية البديعة ؛ ليروضهم على القراءة ، ولينمى فيهم ملكة التخيل ، وليقرن كل ذلك بالتهذيب والعظة المفيدة .

وقد قرأت القصة مستمتعا ، ولحظت تدقيق المؤلف فى اختيار ألفاظه الملائمة ، وهو تدقيق لا بد منه فى المؤلفات المدرسية على الأخصّ .

وقد جرى قلمى بكلمة « المدرسية » ، وإن كنت لا أعرف إذا كان مثل هذا الكتاب سيقبل عليه فى المدارس ؛ ولكنه حقيق بذلك من وجوه شتى .

ولن يشقّ على الناقد المنصف ، عند مقارنة هذه القصة المستخرجة من « ألف وليلة » بنظائرها فى اللغة الإنجليزية ، أن يعترف للكاتب بمهارة التأليف ، وتمكنه منه تمكنا تاما .

وقد كان « كامل كيلانى » والدا قبل أن يكون مؤلفا قصصيا للأطفال ، ولذلك بث فى تأليفه روح الأبوة والشغف بتهذيب ولده ، وكان خير من يؤلف فى هذا الباب .

وكل والد منا يقدر له هذا الجميـــل ، ويشعر بأن هذا عمل تهذيبى عظيم ، لا يقل عن أعماله الأدبيـة الأخرى ، إن لم يكن أعظم منها .

وصفوة القول أن الأستاذ « كامل كيلانى » قد أقدم على مشروع تهذيبى جليل لأطفالنا ، فوجب علينا شكره ، قولا وعملا .

ولعل كتبه تنال من الذيوع ـ فى البيئات المدرسية ـ ما يستحقه إخلاصه ومجهوده ، حتى يشجعه ذلك على المضى فى عمله النافع ، الذى سدّ به فراغا محسوسا فى (مكتبة الأطفال) .

كلمة طيبة فى فم الطفل

بقلم الأستاذ السيد حسن القاياتى

رياضة الطفل على التعليم والدرس خطة خطيرة ، ومرتقى صعب ؛ فقد بنى الطفل على ضرائب ، من شماس وتمرد ، نفارة آبية على التعليم ، زهّادة فى التثقيف !

أجل ، لقد كانت - ولم تبرح - رياضة الطفل عمل العقول الجبارة فى الشرق والغرب ، ومثار الخـــلاف بين قديم ومحدث ، يتفرقون فى الوسيلة إليها ضروباً وأفانين ، ثم يلتقون عند غاية التقويم والإصلاح .

خطتان فى التربية ؛ بل مذهبان لرجال التثقيف والتهذيب ، فى ماضيه وحاضره .

أما مذهب التربية القديم ، فإنه يأخذ بالشدة والعنف فى تربية النشء ، ويشير بأن يعصب الطفل بشدة لا هوادة معها ولا أناة ، حتى ينزل - بين الذلة والقسر - على طاعة معلمه ، وذلك الرأى ، بل المركب الخشن فى التعليم ، على أنه قديم قد أخلقت بشاشته ، ليس من ضروب التربية المنجحة فى مراح ولا مغدى .

قال شيخ « المعرة » ، وما أحسبه إلا من زعماء هذا الرأى القائل :

اِضْرِبْ وَلِيدَكَ تَأْدِيبًا عَلَى صِغَرٍ
وَلا تَقُلْ هُوَ طِفْلٌ غَيْرُ مُحْتَلِمِ

فَرُبَّ شِقٍّ بِرَأْسٍ جَرَّ مَنْفَعَةً
وَقِسْ عَلَى شِقِّ رَأْسِ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ

ونحن : فما يؤمننا حين نهم بشق هذا الرأس أن يتصدع ؛ فلا لسيف هو ولا قلم .

وأما المذهب الطريف المجدى فى التربية ، فإنه يضن بقطعات الأكباد ، وحبات القلوب ، وينفس بهم على الشدة ، بل الجفوة الهينة ، ويأخذ المثقف بأن يتلقاهم بتربية تمازجها طلاوة الإشفاق وهينته ، وأن يفاكههم ويبتسم لهم وهو يرويهم العلوم بين الآونة والآونة ، فتسرّى عنهم الملالة والسآمة ، كما تبسم الشمس للنوّار وهو يسقى على وجهها رحيق الندى فى الصباح .

إن الطفولة ضعف ، والعلم رفق ، وأخلق به أن يمر بها رفيقا ، كمر النسيم بالأزاهير بل الرئات ، وأخلق بالعلم الحصيف أن يترفق بهم ويتملق تلك العواطف ؛ فقد شهدنا المزامير تصدح فى هياكل العبادة ، إرهافاً للعاطفة ، وحثاً على العبادة .. ولا غضاضة فى أن يطلب العلم كما يطلب الدين بين عاطفة وعقل .

إن للطفولة أفئدة حاكية وضاءة كصحيفة السماء ، فحذار أن تخطوا فى تلك الأفئدة ـ بل الصحائف ـ إلا بأقلام لبقة بتصوير الملامح ، وإن للطفولة قلوباً حساسة حافظة كأنها « ورق المصور الحساس » . فإياكم أن تجلوا عليها إلا كل ذى وجه جميل ذى تقاسيم .

فى مذهب التربية الطريف ، أن يؤخذ الوليد فى تعليمه الجدى الحار ، بالشهى الملهى من فكه الحديث ومشوقه ، فى مزاج من النقش والتصوير الطلى ، ليلتقى جد العلم المجهد ببشاشة الجمال والفن الساحر ، ترتاض به نفسه الكليلة ، ويحلى إذا مر مذاق التربية الجدية .

وقد أهاب الله بنا حين دعانا إلى التعبد له ، ثم لوح لنا بحلية السماء وزينة الكواكب ؛ فأجبنا داعى الله بين وحى من الحسن ، وطواعية للدليل .

تلك سنة كـتّاب القصص لهذا العهد ، عليها جرى العمل والشأن ، وقد أخرجت للناس كتب القصص الممتعة بأقلام الفحولة من رجالات النثر والشعر ، فمن بادئ يدلّ بفضيلة البدء ، ولاحق موف على مدى السبق ، وواقع وسطا بين طرفى الإحسان والتخلف .

تفضل الأديب المفكر الرزين الأستاذ « كامل كيلانى » فأتحفنى بكتابه القصصى الطريف « السندباد البحرى » ، الذى اقتبسه اقتباساً من اللغات الغربية ، وسألنى — فى تواضع — أن أقول رأيى فيه .

رغب الأستاذ فى ذلك ؛ فوقفنى ـ يشهد الله ـ موقف حيرة ، بين إيمان نفسى ، وبين أدب المجاملة .

ليت شعرى : ماذا أنا قائل فى حديث « السندباد البحرى » ذلك الكتاب الذى طالما وصم ـ قبل كتابه هذا ـ بالابتذال ، أو فى تلك الرحلات الغالية ومنازلة النكبات ، يمضغ كل هذا نشء النيل المرجو وأمله العتيد ؟

وَمَنْ صَحِبَ اللَّيالِى عَلَّمَتْهُ

خِداعَ الإِلْفِ والْقِيلَ الْمُحالا !

لقد بُنيتُ على خلال تملك علىّ نواحى من الاستغراق فى حياة الخيال الأدبى ؛ حتى إذا جرى ذكر الجد ، وحقت كلمة العمل ، سرى عنى حلم الخيال ، وأخذتنى نعرة الإباء للحق ، فلم أفتح عينى إلا على طلعة الصواب البحت ، وقضايا المنطق الأوليات .

تناولت الكتاب ؛ فأجلت بصرى على فاتحته جولة .. ثم مضيت فيه كأنما أطيف من معانيه وصوره الساحرة ، تسلمنى هذه إلى تلك بحديقة للأزهار والحيوان ، أنقل فيها الطرف من وردة تغازل الحسن إلى كناس ظبى . فلم أستفق إلا وقد أجزت الكتاب ، وأنفذته تلاوة ، وأنا وادع مرفه طموح إلى بقية ، فقلت : حتى أنا تزدهينى هذه الأضاحيك ، ولعب الأطفال !

إنك لساحر يا « كامل » ، وإن كتابك لسحر ؟!

هنالك استخلصت نفسى إيماناً قوياً بأن الكتاب آية فنه ومعجزته !.. وصفقت لصاحبه فى المصفقين .

إن أكبر ما يملأ النفوس روحا وغبطة بهذه القصص ، التى يضعها أعيان البيان وفحولته ، أمثال الأستاذ « كامل كيلانى » أن كل كلمة طيبة سرية ، توضع فى فم الناشىء الطفل ، إنما هى : إما لبنة فى بنية الوطنية والحرية ، أو مدد فى معسكر الفضيلة والآداب ، أو رقة فى عذبة اللسان العربى المبين . وناهيك شىء لن يعدو أن يكون وطنية وحرية ، أو فضيلة وبيانا .

لقد غالبت العروبة فى هذه القصص ، لغة السوقيين ، على أفواه البنين والبنات فى ملاعب الفتيات والصبية ، وحيث تناغى الدمى . ولعلك واجد أملح الروعة ، وأروع الملاحة ، حين تجتاز بوليداتنا الصغيرات ، كأنهن اللؤلؤ المنثور ، تدير إحداهن حبلها وتتغنى وهى تثب بمثل كلمة « الهراوى » بك : ـ « أنت الكرة ، كالسكرة »

فبالك من فتح خالد للغة الكتاب المنزل ، ونصر للعروبة مؤزر !

يقول الأستاذ « الهراوى » ، ونقول معه : إن الكتاب طبقة عالية فى البيان ، يسمو على تلامذة المدارس الأولية .

ويقول مؤلفه الأستاذ : هو لتلامذة المدارس الابتدائية .

فنجيبه : أجل ، وإنه المثل الأعلى على علاته !

لقـــد برزت وأحسنت ، بل أربيت .

* * *

وبعد ...

فإلى رجالات الصحف والتربية الحديثة يساق الحديث .

إن بالمجتمع داء عياء ، وإن فيه مع الداء نفاراً وإباء على الدواء ، وإن كان يقطر حلاوة كهذا الكتاب . وإن كتّاب الاجتماع من أساة النفوس والأخلاق ، وإن بالشعب لحاجة إلى صيادلة أخلاق وأدب ، يجيزون له وصفات العلاج .

وهذه « وصفة طبيب نطاسى » لإحدى علله الناهكة .

فهل لكم أن تقولوا لهذا الشعب المريض :

« مسح الله ما بك يابنى .

هذا العلاج يصلح لك ، وفيه شفاؤك !

.. فتناوله على بركة الله ! »

أكبر الظن أنكم ستصنعون هذا بمثوبته وحمده .

أما أنت أيها الأستاذ « الكيلانى » ؛ فقد أجدت تمثيل الداء ووصف الدواء .

فهنيئاً لك عبقريتك .

وليهنك النجح الوشيك بمعونة الله .

أساطير ألف يوم (1)

بقلم الأستاذ صديق شيبوب

هو كتاب يشبه كتاب « ألف ليلة وليلة » من أكثر من ناحية. نقله الأستاذ « كامل كيلانى » عن الفرنسية ، وأضاف إليه أقاصيص أخرى .

وبين يدينا الآن الجزء الأول منه ، يحوى أقاصيص « أبو القاسم البصرى » و « حوار الجوارى » و « الأمير خلف وملكة الصين » .

ويقع هذا الجزء فى مائتين وخمسين صفحة ، مطبوعاً طبعاً أنيقاً ، مزيناً برسوم لا بأس بها .

ومؤلف الكتاب أديب معروف ، كان سكرتيراً لرابطة الأدب الجديد ، وهو الذى أسسها وأنماها ؛ فقامت على جهوده إلى وقت قريب .. وقد طاف باسمها البلدان العربية ، ثم تخلى عنها .

وهو كاتب خصب ، كثير الإنتاج ، متعدد النواحى ، له كتب فى الأدب والنقد ، وله قصص ومختارات ، وله كتب للأطفال .

وهو يؤلف اليوم فيما يسميه « مكتبة الشباب » فيترجم له هذه الأقاصيص من أساطير ألف يوم . وقد قلنا رأينا فى « مكتبة الشباب » هذه ، وقيامها على مثل هذه الأقاصيص التى لا تغنى ولا تفيد ، مما لا حاجة بنا إلى العودة إليه .

---

(1) البصير فى ١٢ أكتوبر ١٩٣٤ .

وقد قدم لهذا الجزء من المجموعة : بأبحاث فى « حديث خرافة » ، و « الأسلوب القصصى » ، ومخطوط المجموعة المغربى ، والقصص التى من أصل فارسى ، واستشهد على الآراء التى أدلى بها بأمثلة من « ألف ليلة وليلة » ، « وألف يوم » ، و « رسالة الغفران » ، ومقدمة الطبعة الفرنسية .

وبعض هذه الاستشهادات محشور حشراً ، لأن فى هذه المقدمة معلومات ، ولكنها ينقصها النظام والترتيب ، والتعمق فى البحث .

* * *

فما هو أصل هذه الأقاصيص ؟

وما هى النسخة العربية المطبوعة ؟

وأين وكيف طبعت ؟

وهو يقول فيها : « أما أساطير « ألف يوم » . فحظها أسوأ من حظ أختها (مشيراً إلى ألف ليلة) ولم تلق شيئا من العناية والحفاوة التى لقيتها أساطير « ألف ليلة » .. فإنك — بعد البحث المضنى الشاق — لن تظفر من أساطير « ألف يوم » — فى اللغة العربية إلا ببضع أقاصيص متناثرة ؛ لا تكاد تعثر عليها فى المكتبات ، لنفاد طبعتها .

وهى تجمع إلى رداءة الطبع انحطاط الأسلوب ؛ فعبارتها عامية مفككة ، لا يعدلها فى اضطرابها وفسادها ، إلا فساد أسلوبها القصصى وإسفافه .

وقد ظفرنا بمجموعة عربية تحوى بعض هذه القصص ؛ وتمتاز عن تلك القصص المبعثرة بجودة الطبع بالقياس إليها ، وإن لم يسم أسلوبها عنها » .

ثم يقول : « وقد عنينا ـ جهد الطاقة ـ بتهذيب الأسلوب القصصى فى كل ما ترجمناه عن اللغات الغربية ، أو تخيرناه من الأقاصيص العربية » . ولكنه لم يشر إلى ما تخيره ولا إلى ما ترجمه .

ولعل هذا سبب التفاوت فى الأسلوب ؛ ذلك التفاوت الذى أشار إليه بعض النقاد ، حتى قال :

إنه يخيل إليه أن عدّة أقلام جرت فى هذا الكتاب .

وهو كذلك لم يحقق أصل هذه الأقاصيص ؛ ولم يبين ما هذه الطبعات العربية .. وهى فى مجموعها خليقة بالتحقيق والبحث .

وما هى هذه النسخة التى ظفر بها المؤلف الفرنسى من المرحوم « رفاعة (بك) الطهطاوى » ؟

* * *

وعندنا أن هذه المقدمة العجيبة ، كان يجب أن تبتدئ بهذا التحقيق .. ووجه الشبه بألف ليلة فى أصلها وتأليفها ؛ وما هو فارسى منها وما هو مصرى .. كان يجب أن يحقق هذا جميعه تحقيقاً علمياً ؛ لا أن يلم به إلماما ، لا يقدم ولا يؤخر .

ونحن إذا تشددنا فى هذا ، فلأن الكتاب ، كما يقول : « مؤلف للشباب » . والشباب غير الأطفال . وكتابنا يسيئون إلى الشباب أشد الإساءة ، إذا قدموا له نماذج من هذه الأبحاث الناقصة السطحية التى ضررها أكثر من نفعها .

وقد صار من السهل ـ اليوم ـ تحقيق مصادر « ألف ليلة وليلة » ، بعد أن أمعن المستشرقون فى بحثها وتمحيصها . والكاتب فى هذا لا يستطيع أن يقف عند « سلفستردى ساسى » ، ويتجاهل أبحاث « كارادى فو » و « كازانوفا » .. وغيرهما .

أما حكاية هذه الأقاصيص ؛ فهى أن « الأميرة سعادة » : ابنة الملك « طغرل (بك) » ، رأت ـ فيما يراه النائم ـ حلماً جعلها تحنق على الرجال ، وتكره غدرهم ولؤم طباعهم ، مما حملها على أن تأبى الزواج من أحد الملوك والأمراء الذين خطبوها إلى والدها ، وكانوا كثيرين ؛ مما أقلق بال والدها ، وجعله يخشى مغبّة هذا الرفض .

وأخيراً أفضى إلى « موج البحر » ـ وكانت مرضعة الأميرة ـ بما فى نفسه . فأخذت على عاتقها أن تحمل الأميرة « سعادة » ، على نسيان هذا الحقد ، وشرعت تقص عليها ـ أثناء استحمامها ، فى الصباح ـ طرفاً من أحاديثها العجيبة ، وترجئ بقية الحديث إلى اليوم التالى .. ولعلها ظفرت ببغيتها فى النهاية .

وحكاية « شهر زاد » ، مع الملك « شهريار » فى أقاصيص « ألف ليلة وليلة » تشبه ذلك : بل إنها أقوى منها وأفعل فى النفس .

وقد شاء الأستاذ « كامل كيلانى » ، أن يجرى على لسان أشخاص القصة ، من مغنين وغيرهم ، أشعاراً تعدّ من روائع الشعر العربى .

وهذا عمل يستحق عليه الثناء ، وهو يريحنا من الشعر السخيف ؛ الذى تعوّدنا أن نطالعه فى « ألف ليلة وليلة » وأمثالها ، من القصص ؛ ولكنه كان يجب عليه أن يراعى النسبة بين الزمان الذى تجرى فيه حوادث القصة والزمان الذى نظم فيه هذا الشعر .

كان يضع مثلا على لسان أحد المغنين للرشيد شعراً لـ « ابن الرومى » . وأين عصر هذا من ذاك ؟!

وقد أشار إلى هذا الأستاذ « المـــازنى » فى نقده للكتاب ؛ مما لا حاجة بنا إلى الإفاضة فيه .

ولعل الأستاذ يتحاشى أمثال هذا فى الأجزاء المقبلة .

« جلفر » بين « سويفت »[1]

و « كامل كيلانى »

بقلم الأستاذ محمد الأسمر

من الكتب ما هو كائن حيّ ذو روح ، إذا تناولته لتقرأه ، شعرت شعورا تاما ، أنك مع شخص مثقف ، تحاوره ويحاورك .

وهذا النوع من الكتب خالد أبدا يطوى الأيام والليالى ، ويطوى - فيما يطويه - قرّاءه : طبقة بعد طبقة ، ويظل خالداً يتسع قدره ، يستقبل - فى خلوده - أزمنة جديدة ، وقرّاء جديدين .

ومن الكتب ، ما تقرؤها المرة الأولى ، ثم تلقى بها ؛ فيكون ذلك آخر العهد بينك وبينها ، ومنها ما تقرؤها ثم تعود إلى قراءتها ، ثم تعود بعد ذلك إلى قراءتها ، لا تملّ طرافتها ، ولا تحدثها إليك .. وأنت - فى كل مرة - ترى فى قراءتها متعة جديدة ، وفائدة جليلة .

وقد تترك قراءة هذه الكتب حينا من الدهر ؛ ثم إذا بك تحنّ حنينا عجيبا إلى قراءتها ، كأنها صديق لك ، مضى زمن لم تقابله ؛ فأنت متشوّق متلهف إلى الائتناس برؤيته ، وإلى أن تتحدث إليه ويتحدث إليك .

---

(١) الأهرام فى ١٩/٩/١٩٣٤ .

وكتاب « جلفر » ؛ من الكتب الضاربة أعراقها فى الخلود ، ومن الكتب التى إذا انتهيت من قراءتها ، فإنما هذا الانتهاء منها ليس إلا لتعود إليها . وكتاب « جلفر » حينما يكون لديك ، فليس هو بكتاب فحسب ؛ وإنما هو قطعة من الخلود الأدبى ملك يمينك ، وصديق تسايره ويسايرك ، وأستاذ واسع الاطلاع يتحدث إليك وتتحدث إليه ، ونديم مسامر ، يسرّى عن نفسك بالطريف من حوادثه وأخباره .

ونحن فى هذه الكلمة عن الكتاب : إذا أعجبنا بمؤلفه البارع « جوناتان سويفت » ؛ فإن هذا الإعجاب مقرون بإعجاب آخر مثله ، مقرون بإعجابنا بصديقنا الأستاذ « كامل كيلانى » .

فقد جاءت ترجمته ـ وهى تنحدر إلى الأسماع والقلوب ، انحدار السلس العذب فى مساربه الطبيعية له ؛ حتى ما تكاد تظن أن الكتاب مترجم ، بل تستهويك عباراته الخلابة ، وتعبيره الأخّاذ ؛ فلا ترى نفسك إلا أنك تقرأ الكتاب بلغة مؤلفه ، وفى ذلك من البراعة ما فيه .

ونحن نعتقد أن كثيراً من الذين ينقلون كتب الغرب الأدبية ، إلى اللغة العربية ، يُعوِزهم كثير من الاطلاع على الأدب العربى : فلا تكفى سعة معرفتهم باللغة المترجم عنها الكتاب ؛ بل لا بد من اطلاع واسع ، وخبرة تامة باللغة المترجم إليها .

ومن هذا يتبين سرّ النجاح المحسوس فيما يترجمه لنا أمثال الأستاذ « كامل كيلانى » ، فتتعاطاه الأذهان سائغا .

وكتاب « جلفر » هو وحده دنيا قائمة بنفسها ، فلا أريد أن أحدثك عن طبعه الأنيق ، ولا أريد أن أحدثك عن الكتاب نفسه .

وقد كنت أودّ أن يكون الحديث طويلا ؛ حتى يمكن استيعاب ما فى هذا الكتاب من شتّى نواحيه العجيبة ؛ ولكن يحول بيننا وبين هذه الودادة ، أمور كثيرة !

ولعلنا موفّقون ـ فى هذه العجالة ـ إلى إعطاء القارئ الفاضل صورة مصغرة عن الكتاب ، ورأينا فيه :

أسلوب الكتاب : هو أسلوب كليلة ودمنة .

فالحوار فيه موضوع على ألسنة أشخاص خيالية : ينطقها المؤلف إنطاقا قصصيا ، ويحركها تحريكا مسرحيا .. ثم هو يضع ما يشاء من الفلسفة البعيدة الغور ، والأدب العالى ، والتشريع الصادق ، خلال ذلك الحوار ؛ فيقرؤه الناشئ ، مأخوذاً بالألوان الظاهرة البرّاقة .. فهو بها فرح طروب ، وهو جذلان بحكاياتها ونوادرها مغتبط بها .. ويقرأ هذا الحوار ، الرجل المجرب ، فإذا به طويل الإطراق ، عميق التأمل والتفكير .

وقد قيل : إن الذى حدا بالفلاسفة والكتاب ، إلى الأخذ بهذا الأسلوب الحربائى اللولبى ، هو حرصهم على بثّ آرائهم ، وخوفهم بطش الحكام الظالمين ؛ فوضعوا أفكارهم ، وآراءهم هذا الوضع القصصى ، ليستتروا وراءه من صولة الملوك ، والأمراء الذين لا تتفق مصالحهم مع ما يرمى إليه هؤلاء المصلحون .

وأرى أيضا ، أن الخوف من غضب العامة ، والحذر من دسائس بعض رجال الدين ، قد يدفع ـ أيضا ـ الكاتب إلى هذا الأسلوب الملتوى ، وإن كان ـ فى الحقيقة ـ واضحا كل الوضوح ..

وربما دفع الكاتب إليه : حبه إلى هذا النوع من التعبير ، وأن أساليبه مواتية له مطيعة .

وكتاب « جلفر » ، كتاب اجتماعى قبل كل شىء ، فهو رحلات خيالية ، تظل معها ، كأنك تشاهد أبدع شريط سينمائى .

والكتاب يدور حول الكشف عن كثير من عيوب المجتمع الإنسانى ، ونقدها نقدا لاذعا ، حتى ليخيل إليك ، أن « أبا العلاء المعرى » يطلّ بوجهه عليك ، من بين كثير من سطور هذا الكتاب .

ومن هذه الموضوعات التى سنذكرها لك ، والتى تناولها « جوناتان سويفت » تعلم أى كتاب هذا الذى يدعونه (رحلات جلفر) :

تكاليف العلا — قيود الحرية — مشكلة البيضة : هل تكسر من طرفها المستعرض أو من طرفها المستدق — دراسة التاريخ والفلسفة — الدسائس — الضيف الثقيل — الحسن والقبح — أعيان الدولة — رجال الدين — انتخاب النوّاب — القضاء — نفقات الجيش — حقارة الإنسان — آراء الحمق — المخلدون — أرواح الموتى — الياهو ! — بغى الأقوياء — ضحايا القانون — مساوئ الحضارة — أخلاق السياسة — السراة والأعيان — الزعامة — بنو آدم والحمير — سعادة القانعين ...

هذه هى بعض مواضيع كتاب (رحلات جلفر) ، تناولها « جوناتان سويفت » تناول الكاتب ، البعيد النظر ، والحكيم المجرّب ، بأسلوب هو للشعر أقرب منه إلى النثر .

وهو وإن كانت تبدو عليه الفكاهة الحلوة ، فليس ينطوى إلا على الجد المر ، والثقافة العالية ، والعظات البالغة .

ولسنا بآخذين على الأستاذ « كامل كيلانى » شيئا ، فى ترجمته المشكورة لهذا الكتاب .. اللهم إلا هذا البتر فى الجزء الثالث : جزء (الجزيرة الطيارة) .

ولعل للأستاذ « كامل » عذرا فى ترك ترجمته كل هذا الجزء ؛ لملابسات رآها هو لا تتفق والنشء ، فلم يجد بدّا من أن يقتضب الجزيرة الطيارة ، ويقصّ من أجنحتها .

وفى رأينا ، أن الأستاذ « كامل » بالغ فى مراعاة الظروف والملابسات ، فإن رحلات « جلفر » مترجمة لأكثر من لغة حيّة ، منتشرة فى كثير من الأمم : ملكية وغير ملكية .. وهى فى انتشارها هذا ، لم يؤخذ عليها مناوأة نظام من النظم ، أو الثورة على هيئة من الهيئات .

وما نظن نحن أن هذا البتر وأمثاله فى صالح الأدب .. وربما كان فيه بعض الإساءة إلى الكتاب المترجم ؛ لأن صورة المترجم ـ حينئذ ـ لا تكون صورة كاملة لكتاب .

ولو أن الأستاذ « كامل كيلانى » نبه القارئ لهذا البتر فى آخر الجزء الثالث : لهوّن ذلك الأمر بعض الشىء .

والذى يدعونا إلى إظهار هذه المؤاخذة ، حرصنا ـ الحرص كله ـ على أن ينقل كل رائع من أدب الغرب بحذافيره ، إلى الأدب العربى ، ليزيد ذلك فى ثروته ونمائه .

أطفالنا فى قلم رجل[1]

بقلم الأستاذ على أحمد عامر

الدجاجة الحمراء ... العاصفة ... تاجر البندقية ...
الأرنب الذكى ... رحلات جالفر ... على بابا ...

وعشرة أسماء أخرى ، أو خمسة عشر ، أو عشرون اسما . فما يضيق بك سجل الإحصاء ، وما فى جعبة المنتج شىء من الفراغ ، أو شىء من العقم .

وما دام الأطفال يدرجون على صفحة الأرض ، فمن المحقق أن أرقام المكتبة التى تعهدهم بها « كامل كيلانى » ستزيد وتزيد ؛ حتى لينشد المتطلعون إلى تقليده ثلمة لم ينفذ إلى أطفالنا منها ، فلا يصيبون - من أطماعهم - بعض ما يريدون .

والأطفال على التحقيق : هم هداية الضالين فى مسالك الرجولة ، فكم تمنىَّ صاحبك ، وكم تمنيت أنا ، لو عدنا إلى حياتنا الأولى ؛ حتى نلبس لحياة الرجولة أثوابا أخرى غير هذه الأثواب ، التى يدفعنا ضيقها إلى كراهة الحيـــاة حينا ، وإلى التعمق فى مجازفات خارقة حيناً آخر .

يقول المعنيون بالثقافة : إنها نتاج طفولة خالدة ، مشت أنفاسها بين صدورنا ؛ حتى بعد أن جاوزنا مراحل الشباب ، وأحالتنـا خصائصنا الجامدة الشائبة إلى المعاش .

---

(١) جريدة الحال فى ١٩٣٤/٩/٦

ولقد وعينا — نحن الذين فرطتنا الأقدار فى القرن الفائت ، وفى مستهل هذا القرن — جوانب النقص ، التى أثارت فى حياتنا الثقافية غير قليل من زوابع القلق .. ورحنا نلتمس دراسة هذه الأسباب سببا إثر سبب ؛ فإذا بنا نرى أن طفولتنا لم تشبعها ألوان من المائدة الثقافية ، التى حذقها طهاة الغرب الأدباء ؛ وإنما تناولتنا دراسات تصل بالأدمغة العامرة ، إلى أرحب موطن من مواطن الخراب والفراغ !...

ووقف المتأدبون : وعلى صدورهم أيديهم متشابكة ، وملء حلوقهم كلمات لا تفصح عن شىء ؛ لأن أحدا منهم لم يقدر لها الحياة .. وطال ما بينهم أواصر السكون : هذا يلتفت إلى صاحبه ، ليكشف الستور عن خبيئة نفسه ، وهذا يمعن فى صدر صاحبه استقراء يحتمل فيه شيئا من الجهد والعناء ، وكلهم أنداد فى الصمت ، أكفاء فى السكون ..

إلى أن فاجأتهم أشعة جديدة تطلّ على نواظرهم ، وفيها من الضوء الباهر ، ما يعلن ميلاد كوكب جديد .

قال واحد منهم : ألا تبصرون أيها السادة ؟

فأجابوه فى صوت المتلفت الحذر : نبصر أى شىء ؟!

فقال صاحبهم : ارفعوا أبصاركم إلى هذا الجانب ، فكم يبهركم ما يتلاقى على باحته من شعاع ؟ !

فتلفت السادة الصامتون ، ثم غضّوا من أبصارهم ، إجلالا لهذا المولود الجديد .

* * *

لم يكن هذا المولود ، هيكلا ملؤه اللحم والدم والعظام ، ولم يصدر إلى الدنيا بكـّاء ينشد الثدى ، وينشد الصوت الرقيق ، الذى تسترسل به أنغامه الناعمة فى مرج من النوم .. ولم يكن هذا المولود على طراز الأطفال رخيا موفور البلاهة ، مقبلا على غير شىء ، مدبرا عن غير شىء ، منتبها حين يجب النوم ، نؤوما حين تجب اليقظة .. فما لأمثال هـــذا المولود ، يحفل جانب من الفضاء بالشعاع الباهر !

وإنما كان المولود حياة تلهم الأطفال استواء فى العقل ، ونضوجا فى المعرفة ، وجنوحا إلى السداد ، وانفراطا مع ذلك العقـد الذى تفصح حياته عن معانى التوفيق والثقافة والتهذيب الـكامل .

كان إذن : أول كتاب أنتجه الأستاذ « كامل كيلانى » ، وقدّم به إلى الأطفال ، حسبة لوجه الثقافة الكريم .

* * *

وعاود السادة الأدباء موقفهم من الصمت ، واستراحوا إلى ظل الخيلة الوارف ، ينتدون بالأقاصيص ، لا يكلم أحد أحداً ، وإنما فرطوا همهم فيما بين أيديهم من الصحف والـكتب .

ولـكن خطـرة واحدة أخذت تطوف بأدمغتهم جميعـا .. فهذا يقول لنفسه :

سأكتب قصة للأطفال .

وهذا يقول لنفسه : سألقى محاضرة عن الأطفال .

وهذا يقول لنفسه : مالى وهذا اللون من ثقافة الجامعة ؟ !

لقد راجت قصة « كامل كيلانى » التى ألفها للأطفال !
فلأكتب أنا الآخر ، ولأنتهج نهجه .

* * *

ثم اضطربت ما بينهم أنفاس الصمت ، وعاد صاحبنا المقوال الخطيب إلى موقعه من تحطيم هذا القفل الحديدى ، وقال :

تلفتوا أيها السادة ، ألا تبصرون شعاعا يملأ الفضاء ؟ ...

فأجابوه فى صوت المتلفت الحذر : أى شىء نبصر ؟

فقال صاحبهم : إن السماء قد أهدت إلى الأرض مَلَكا جديدا .

لم يكن هذا الملك الجديد : كتلة من نور ، لها مائة ألف جناح ، فى كل جناح مائة ألف وجه ، فى كل وجه مائة ألف فم ، فى كل فم مائة ألف لسان !

فما نعرف الملائكة ينزلون من عليائهم إلى هذا العالم الصاخب ، وما نعرف لهم ألوانا وصوراً وأطيافاً ؛ ولكنا عرفناهم معانى تلبس الصور التى تطمئن إليها النفس اطمئنانا .

ولم يكن هذا المَلَكُ الجديد إذن إلا كتابا جديداً ، نهضت على صفحاته القصة الثانية ، التى أنتجها الأستاذ « كامل كيلانى » ، وقدّم بها إلى الأطفال ، حسبة لوجه الثقافة الكريم .

* * *

وازدحمت مفكرات السادة الأدباء ، بأسماء الأيام ، وأرقام الشهور ؛ فقد كثر ما بينهم أمل اللقاء .

وكانوا ـ على عهدهم من الصمت ـ يفرغون الهمّ كله ، فيما تحفل به أيديهم من الصحف والكتب ؛ ولكنهم يفكرون ـ فرادى ـ فى الأطفال وفى قصص الأطفال ، وتجاذبتهم زحمة الأطماع التى ألفت فى صدورهم مركبا عجبا لجبا جيّاشا بكل شىء ، إلا ما يدخل باب الإنتاج .

وازدحمت مفكرة الأستاذ « كامل كيلانى » بأسماء الأيام ، وأرقام الشهور ، ولكنه لم يسجل هذه الأيام ، وتلك الأرقام ، ليجتمع فيها إلى أديب يشدّ يده : تهنئة وتبريكا ، أو ليجتمع إلى رجل يقول له : لقد أفدت أختى ، ونفعت أطفالى .

وإنما سجل فى مفكرته هذه الأيام ، وتلك الأرقام ؛ ليجتمع فيها إلى كتاب غربى : يمعن فى استيعابه من وجوه طبعه ، وتصويره وإخراجه ؛ حتى يهيئ من ثوبه دثارا لأقصوصته التى لم تولد بعد .. أو ليجتمع فيها إلى صاحب المطبعة ، ليعلن إليه خلوصه من إسار الأقصوصة التى وعده بالخلوص منها ، من يومين اثنين .

وتباعدت ـ ما بين الجانبين ـ أواصر المشابهة والمضاهاة ؛ فالسادة الأدباء يجتمعون وينفرطون ، وأيديهم ملؤها الكتب والصحف ، وأفواههم ملؤها العىّ والصمت .

و « كامل كيلانى » يجتمع إلى كتبه ومطابعه ، وينفرط عنها وملء يده كتاب جديد ، يقدم به إلى الأطفال ، حسبة لوجه الثقافة الكريم ..

* * *

أى رأس هذا أيها السادة ؟..

يقول الذين تلفـّهم أغلفة الثقافة ـ من القمة إلى القاع ـ إنه رأس الرجل الذى رأى لنفسه ، أن ينبت أطفاله نباتا حسنا ، فأخذ نفسه بالمثل العليا ، وراح يخضعها لهذه البواكير ، وتمّ له الفوز .

ويقول الذين يجازفون بأقوالهم صريحة فى هـذا الجو الأدبى ، الذى لا يحتمل صراحة فى القول :

إنه رأس الرجل ، الذى أدرك من أخطاء رجال التربية فى تنشئة الأطفال ، ما هزّ أعصابه ، وهو أب عميق الإحساس بجوانب النقص فى أغذية أطفاله ، فأخذ نفسه بإنتاج هذه الأقاصيص ، توفية لهذا الشعور الذى يحتويه ، وتبرئة لنفسه من مآخذ القعود والركود ، والصبر على هذه الأاوان ، التى لا جدوى فيها ولا غناء .

ولقد صدقوا جميعاً أيّما صدق ، فإن « كامل كيلانى » قد جمع مراحل الأطفال فى رأسه ـ مرحلة إثر مرحلة ـ ثم جازف بقلمه ، الذى يعرفه الأدباء خصبا ، شديد الوقع فى سلامة الضربات الموسيقية الآسرة ؛ وتناول أدمغة الأطفال فى رفق ، وأخـذ يضفى عليها حديثا يبدأ هينا هينا ، ثم يسمو ويسمو ، ثم يتهادى من السفح إلى مراقى الأوج .. ثم إذا به ـ فى مراحله كلها ـ الصورة التى يتعشقها الطفل ، ويرضى بها ويطمئن إليها .

كل هذا فى أسلوب يعرف قلبه المطواع ، كيف يجيد تلوينه ، وفى تفكير يعرف رأسه النفّاح كيف يجيد تليينه ، وفى ذوق أخّاذ تعرف خبرته الواسعة كيف تجيد تزيينه !

والأطفال ـ من ورائه ـ يلتهمون نتاجه فى لهفة وشوق ، والسادة الأدباء من حوله يجتمعون فى ظل الخميلة الظليل ، ليفرغ كل واحد منهم مع نفسه ، ويقول إنه سيكتب للأطفال .

بينما « كامل كيلانى » قد أتمّ (مكتبة الأطفال) ، وبينما قلمه يمشى أول خطواته ، فى سرحة الشباب ؛ ليزجى إليهم أول جزء من (مكتبة الشباب) !

ولقد يطول بنا شرح الخصائص الممتازة ؛ التى سيكون عليها الجيل الناشئ الذى سعى بين أعطاف (مكتبة الأطفال) ، فكلّ خاصة منها جديرة أن تكسب جيلا برمّته حياة فوق الحياة !

« كامل كيلانى » فى ميدان القصة[1]

بقلم الأستاذ محمود عصمت

فيما نعرفه من الأدب الغربى ـ وهو مادة لنا الآن ـ أن الآباء والأهل والأصدقاء ، يهدون أبناءهم فى أعياد ميلادهم ، وفى أعياد « نوبل » ورأس السنة ـ إلى ما يهدونه إليهم ـ طرفا من الكتب القيمة ، التى تنشئ الطفل رجلا ، وتبقى عنده ذكرى لا تذوب كالحلوى ، ولا تبلى وتتحطم كاللعب .

فمن الهدايا التى يمكن أن يقدمها آباء اليوم لأبنائهم ـ قبل ما يعدوها من الهدايا الأخرى ـ هى قصص الأطفال ، التى وضعها الأستاذ النابغة « كامل كيلانى » ، ونحا فيها نحواً لم يسبقه إليه غيره ، إذ قربها إلى ذهن الصغير يتناولها لطيفة ، أشهى من الحلوى اللذيذة المذاق . . ثم جعل الطفل ينشأ على صحيح اللغة العربية لفظا ومعنى ، مع الشكل المستقيم ، الذى يجعل من قارئ قصص الأطفال الصغير قارئا حصيفا من رجال هذا الجيل .

ولا أغالى إذا ما قلت : إن قصص الأطفال التى يصدرها الأستاذ « الكيلانى » ، إنما هى درس جديد لرجال الأدب فى هذا العصر ، وحسبه أن يكون أستاذ أطفال ورجال !

---

(١) جريدة الحال فى ١٩٣٤/٢/٢٦ .

وللأستاذ « كامل كيلانى » بين يوم وآخر آية ، فبينا يطالعك اليوم بقصص الأطفال ، إذا هو فى الغد يشرفنا بطرائف التاريخ الإسلامى الدفين ، ينشره واضحا جليا فى روعة أسلوب ، وصدق رواية .. ثم يعقب هـــذا وذاك ، بطرف رائعة من أدب الغرب ، إذ جمع بين دفتى الأدب العربى والأدب الغربى . وآثاره فى الأدب العربى ، بارزة فى « رسالة الغفران » ، و « ابن الرومى » و « ملوك الطوائف » وغيرها من الكتب الخالدة .

وقد أطرفنا أخيرا بكتابه القيم « روائع من قصص الغرب » احتوى طائفة كبيرة من مختار القصص الفرنسية والإنجليزية والإيطالية ؛ صبت فى قالب من الإبداع فى الترجمة ، وحسن السياق ، وقوة اللغة ، بحيث يجعل مؤلفيها الأصليين يودّون لو كانت لهم فكرته وبيانه ، ولو أن لهم قلمه .

فأنت ترى من هذا البيان الوجيز توفّر الأستاذ « كامل كيلانى » على الأدبين : العربى والغربى ، ووفرة إنتاجه ، ودوام نشاطه ؛ فهو الحركة الدائمة ، التى حار العلماء فى إدراك كنهها !

وهل قليل : أن نرى فى هذا العصر الجدى فى العلم ، من يوجد للنشء ما يتمشى بهم فى حياتهم الصغيرة ، تمشيا صحيحا ، سليم النواحى ، موفور المناهل ؟

إنى تارك كل ما ذكرت من آثار الأستاذ « كامل كيلانى » ، ـ وهى بعضها ـ وألم إلمـامة بقصص الأطفال ؛ فنحن اليوم أحوج ما نكون إلى أطفال علمـــاء ، أو ـ إن شئت ـ فإلى أطفال نصف علماء .

ولا يغضبنّك منى هذا القول، وأنا لم أعقب ذرية .. ولو كتب لى أن أعقبت ، لكنت - والحمد لله - جدا من الدقة القديمة أدعو أحفادى ، ليتلوا علىّ قصص الأطفال العربية ، بهذا الشكل الرائع ، الذى كنت أقرؤه صغيرا فى الفرنسية للأطفال .

ولكننى إذا قارنت بين زمنى - حيث لم تكن ثَمَّ قصص عربية - وإلى هذه الأيام التى فتح فيها على مصر بوجود قصص « الكيلانى » ؛ فأرى أن أبناء وأطفال هذا الجيل - ممن تقع لهم هذه القصص ، وممن يقعون عليها - إنما هم جيل نابه ، يظهر أثرهم بعد حين قريب ؛ حيث نجد الفكرة غُذّيت برائع الحكمة البسيطة - مع عمقها - واللسان مستقيما فى لغته المبينة .

ولعلى لا أخطئ إذا قلت : إن الحكمة فى قصص الأطفال ، تقع فى روعهم دائما ؛ لأنها تمثل لهم حياة سعيدة ، وأملا فى المستقبل ، وبناء متينا للحياة الناشئة .

وهكذا ؛ يخرج الطفل من صغره ، متنبها إلى مسالك الحياة ، آخذا بأسباب المضىّ فيها ، ويذهب أصغر الفتيان فى ميدان العلم والنشاط شوطاً بعيداً .

ولا يسعنى إلا أن أهنئ أطفال اليوم ، إذ أتيح لهم هذا المنهل « الكيلانى » ، يستوعبون من الأدب والعلم واللغة ، ويظفرون بتبيّن السبيل التى يدرجون فيها فى الحياة ، والأسباب التى يسمون بها إلى ما شاءت لهم الأقدار ، من عظمة وسمو .

وأختم كلمتى هذه بالثناء الوافر على الأستاذ « كامل كيلانى » فهو - بهذه القصص للأطفال - قد خلق بيده جيلا من رجال الغد ؛ توفّرت فيه جميع الميزات التى تجعل الإنسان كاملا .

فبوركت يا منشئ الأجيال ؟

تقريب «شكسبير» للأطفال [1]

بقلم (ابن رشيق)

الأستاذ محمد على غريب

أهدى إلى الأديب الكريم ، الأستاذ «كامل كيلانى» . ثلاثة كتب دفعة واحدة :

أحدها : رواية «صياد الخيال» .

وثانيها : قصة «تاجر البندقية» للأطفال .

وثالثها : «فن الكتابة» .

وقد راق لى أن أحصى مؤلفات الأخ «كيلانى» وهى مثبتة فى كل كتاب يصدره : فوجدتها تزيد على الأربعين كتابا ، أكثرها للأطفال .

والذى يدعو إلى الاغتباط حقاً ، أن يكون ذلك مجهود إنسان تستطيع أن تضعه فى جيبك ، دون أن تجد صعوبة تذكر ، وأن يكون الأخ «الكيلانى» موظفا مع هذا ، يعالج شؤون وظيفته ، ويغدو ويروح منها وإليها . . ولا ريب أن صنيعه هذا قد أفاد الأدب المصرى فائدة لا ينكرها إلا أحمق أو حسود .

وأعتقد أن السر فى هذا النشاط ، يرجع - فى أغلب الحالات - إلى الوظيفة .

فعندما يجد الأديب المحب للأدب ، أن هناك وظيفة يقبض منها مرتبا فى نهاية كل شهر ، يخامره شعور بالطمأنينة والراحة ، ويكون خليقا أن يكتب للأدب وفى سبيله ، وهو فى حال من الرضا والاستقرار .

---

(١) «البلاغ» فى ٢٥/٤/١٩٣٤

أما الأديب الذى يكون مشغولا بأدبه — أو على الأصحّ — مشغولا بعيشه ؛ فكيف تطمع أن يثمر ، وأن يصل إلى مثل هذا النشاط ؟

وهو مضطر أن يعنى بحاجته إلى غداء اليوم ، قبل أن يعنى بعشاء الغد ! . وقد لا يتهيأ له أن يفوز بالاطمئنان على مصيره : فتراه يضرب فى هذه الحياة بقدم متخاذلة ، ونفس ضعيفة ، ويقين مفقود .

ولست أرى المقام يتسع لنقد هذه الكتب . غير أنى أعتقد أنها ذخيرة أدبية ، ذات قيمة ، وإن كنت أود أن أعرض لمسألة تقريب روايات « شكسبير » للأطفال ؛ فقد يكون فى هذا التقريب ، ما يثير اعتراض أولئك الذين يعبدون « شكسبير » ، ويقيمون له فى حنايا قلوبهم تماثيل من نور . وهم يقولون : إن « شكسبير » هذا يجب أن لا ينقص من أسلوبه حرف واحد ، ولا أن يتصرف أحد فى جملة من رواياته ؛ لأنه لا يوجد فى هذه الدنيـــا غير « شكسبير » واحد .

هذا هو الاعتراض ـ ولا أراه معقولا ـ فلسنا من الإنجليز ، حتى تكون لنا هذه الغيرة على « شكسبير » أو سواه ؛ ما دمنا نودّ أن ننتفع برواياته ، على أى وجه من الوجوه .

وليس يضيرنا أن ينزل « شكسبير » من عليائه ، إلى حيث يكون غذاء لعقول الأطفال ؛ فإن هذا التحرّج خليق أن يكون من الشعب الذى نشأ « شكسبير » فيه .

أما نحن ، فما شأننا بمثل هـذه العصبية السخيفة ، التى انتقلت إلينا عدواها ، بغير تقدير ولا إدراك .

إن فى « إنجلترا » — على ما أعتقد — تمثالا لـ « نلسون » ، فهل إذا تحطّم هذا التمثال ، وابتلعته الأرض ، يغضب المصريون كما يغضب الإنجليز ؟

وفى « فرنسا » تماثيل لـ « نابليون » ؛ فهـل يغضب أحد فى مصر ، لو اقتلعت البراكين هـذه التماثيل ؟ وما رأينا من هـذا الرجل سوى الغزو والاستعمار ؟ !

* * *

سوف يقولون :

إن هناك فرقا بين تمثال وبين رواية مسرحية .

وهذا حق ؛ ولـكن العصبية للتمثال كالعصبية للرواية المسرحية : كلاهما عمل محلى ، يجب أن يغار عليه أهلوه ؛ لا الأجانب البعيدون ! !

رأى الفتاة فى أدب الأطفال[1]

بقلم الآنسة : وداد صادق عنبر

درجت على أن أحسن الاستماع لما يحسن أن يقال.. ومن ثمّ أرعى ما تذيعه محطة الإذاعة الحكومية - فى الفترة بعد الفترة - سمعى ؛ عسى أن أخرج منه بكلمة أستفيدها ، لأنها فصيحة ؛ أو حكمة أستعيدها ، لأنها نصيحة .

فإذا كان الوقت لـ « حديث الأطفال » تسمعت ثم تسمعت .. فإذا حديث أكثره مما يجنى بعضه على بعض : لأن مع عذوبة اتساقه ، غُصة سياقه ، ومع صحة إشارته ، سقم عبارته .

والسمر أو القصص ليس فى نفسه غاية ؛ ولكنه - أبدا - وسيلة ؛ فهو ظرف للعبرة .

ومن ثمّ وجب أن يكون ظرفا كله ؛ وهو - قبل ذلك وبعده - لا بد متأدّ فى لغة .

فمن التفريط فى حياتنا العقلية ، أن تخرج تلك اللغة لغوا يتفشى الألسنة والأقلام ، من حيث يتفشى الأسماع والملكات .

ومن الإساءة - وإن خرجت مخرج الإحسان - أن يكون من ذلك الحديث ، أداة لإذاعة العامية الغريبة ؛ حتى فى مصر وإن تمصّرت ، والتمكين لها - بخاصة - فى هذا الجيل الطفل .

---

(١) « البلاغ » فى ١٩٣٤/٨/٢٥

وخطل من الخطل ، والمحدث عربى يحدث العروبة كلها ، فى قاصية العراق ، كما يخاطبها فى دانية الشام ، وكما يخاطبها فى حيث يكون لصوته صدى ، أن يكون حديثه بالعامية المصرية ؛ لأن ذلك يلزم المستمع العربى حيث كان ما لا يلزمه .. بل يثبت عليه ما يجب أن ينفيه عنه .

وكفى بلاء أنه قد أصبح فى مصر برج ، أين منه برج بابل ! وأمست أيكتها تنعب عليها البوم ، وما بسقت الأيكة إلا لتسجع عليها البلابل .

ولكن على فنن عال ، فى هذه الأيكة بلبل يصدح أبدا بالفصحى ؛ فيرسل حديثه لحنا مطربا ، هو الأستاذ « كامل كيلانى » الذى يأبى — حتى وهو يسامر الأطفال — إلا أن يكون أستاذ لغة . . .

فهو يحدث سامعيه ، ويلزم أطفاله أن يلخصوا حديثه .. وفى هذا الإلزام إيقاظ للملكة ، وتمكين للضاد ، وهو ـ من جهة أخرى ـ سياج للعروبة ؛ بيد أنه سياج متين .

* * *

فهل يعاهدنى أساتذتى — محدثو الأطفال — أن ينسجوا على هذا المنوال ، وينظروا فى صنعهم إلى هذا المثال ؟ !

أساطير ألف يوم[1]

بقلم الأستاذ محمود الشرقاوى

هذا كتاب جديد قديم ، وهو من التراث القديم العظيم ، الذى نكاد نجهله ، من نتاج تفكيرنا الشرقى الخصيب .

والأصل فى هذه القصص : أن « فتاة ساء ظنها فى الرجال — بعد أن رأت فى حلمها ظبيا لا يفى لظبيته كما وفت له — فراحت تنقم من الرجال غدرهم ولؤمهم . فعهد أبوها الملك إلى مرضعتها ؛ أن تقص عليها من الأقاصيص الممتعة ، ما ينسيها غدر الرجال ؛ فبقيت تقصّ عليها من طرائف القصص ، حتى مضى ألف يوم ويوم . . فنسيت الفتاة حقدها على الرجال ، وانتهى الأمر بزواجها .

هذا القصص الطريف ، الذى كانت تسمعه الأميرة « سعادة » ، من وصيفتها « موج البحيرة » ـ وهى فى حمامها ـ والذى أحال كراهية الرجال فى نفسها إلى قبول ، هو الذى يحتويه كتاب « أساطير ألف يوم » .

ومهمة الأستاذ « كامل كيلانى » فى هذا الكتاب هى التنقية والتصفية ، وتوضيح الأسلوب ، وتسليمه من الركاكة ، ومن ضعف الخيال وسخفه .. ثم تحلية الكتاب بكثير من الصور الجميلة ، التى تجلى المعنى ، وتبعث الشوق ، وتريح النظر ، وليس هذا جهداً يسيراً .

---

(١) البلاغ فى ١٤/ ١/١٩٣٤ .

وقد علّق الأستاذ « الكيلانى » على هذه القصص ببعض الحواشى ؛ ولكنى ألاحظ أنه قد علق بها نفسها على كتب له أخرى .

صحيح أن يقال هذا بالمناسبة ؛ ولكن ما كل مناسبة تستلزم أن يقول الإنسان فيها ما يقال بعينه فى كل مناسبة .

وقد لام الأستاذ « محمد عبد القادر حمزة » الأستاذ « الكيلانى » على أنه نقل هذه الأساطير من لغتها القديمة إلى لغة جديدة ؛ فأفقدها بذلك عبيرها الشرقى ، والجو القديم ، الذى يؤكد للقارئ والسامع إحساس العصر الذى قيلت فيه .

ولكن الأستاذ « الكيلانى » يستشفع لعمله هذا ؛ بما فى الوضع القديم لهذه القصص من الركاكة والتكرار ، واضطراب الخيال فى كثير من القصص .. ولكل وجهة .

وما دام الأستاذ « كامل » قد تخير أسلوب العصر ، ومنطوق أهله : فلنلمه على ما نجد فيما تخير .

وقد أحسست ـ وأنا أتلو هذه القصص ـ أنه يعمد إلى التطويل ، وتلفيف الكلام ، وتكراره بصيغ أخرى ، وتأكيده وهو مؤكد .. وقد يعتذر عن هذا ؛ بأنه مقبول ، أو محتمل فى أحاديث التسلية والقصص ، وقراءة الفراغ ؛ ولكنى لا أجد هذا العذر يقوم إذا كان عن كتاب أو جملة جاءت بنقلها عن رجل فى عصر قديم . فليس من التساوق وبراعة الواقع ، أن نجد كتابه على هيئة لا يمكن أن يكتبه بها .

وفى صفحة ٤٧ من هذا الكتاب خطاب أرسله « أبو القاسم البصرى » إلى ضيفه المتنكر ، إذا قرأته وجدت أن كلامه وتفكيره وأسلوبه ؛ ليس كلام البصريين فى عصر القصة ، ولا تفكيرهم ، ولا أسلوبهم ؛ بل هو كلام الأستاذ « كامل كيلانى » وتفكيره وأسلوب عصره ..

مثل هذا الخطاب ؛ كان يجمل أن يتبع فيه رأى الأستاذ « محمد عبد القادر حمزة » .

الدعامة الأولى[1]

فى صرح التربية المدرسية

بقلم الأستاذ أبو الخير نجيب

من الثابت ، أن أشقّ مرحلة من مراحل تربية الطفل وتعليمه ، إنما هى مرحلة الطفولة الأولى .

ورجال التربية ، الذين مارسوا هذا الفن الدقيق من فنون التربية والتعليم ؛ هم وحدهم الذين يدركون مقدار المتاعب التى يعانيها المشتغلون بأمر تربية الطفل ، فى شتى بلاد الدنيا .

والمتتبع للنهضة المدرسية فى العالم الأوربى ، يجد أن الطفل قد لاقى من هذه النهضة ومن أساطين رجالها ، أوفر قسط من العناية والرعاية ، خلال العشر السنوات الأخيرة ، وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وكان من أوضح مظاهر هذه النهضة : تأليف المجامع ، وتحضير المحاضرات ، وعقد الاجتماعات والمؤتمرات ، ابتغاء دراسة طبائع الطفل ، ونزعاته ، وميوله ، وأخلاقه .. وانتهوا من هذا كله إلى ابتكار أسلوب جديد فى التربية ، يوائم طبائعه ، ويحاذى عقليته ؛ فكان هذا الأسلوب : « القصص المصورة » .

---

(١) جريدة الحال فى ١٩٣٤/٦/٢١ .

فهذا الأسلوب الجديد ، أمكن المربين من تعليم الطفل ، فى رفق وفى حذق .. وبه أيضاً أمكنهم من شحذ ملكة الخيال لديه ، فتعهدوها بالتربية والتنمية والصقل ، وزادوا على ذلك - وهو المقصد الأسمى - فعمدوا إلى المبادئ الخلقية الأساسية ، فدسّوها خلال سطور الحكاية دسا .. فإذا بالدرس يستهوى الطفل ولا يسئمه ، ويغريه ولا ينفره ، فيواصل الدرس ولا يقطعه ، ويتزوّد منه ، وقد انقلب ملاله شغفا ، وارتدّ سأمه طربا وابتهاجا .

* * *

ومن بواعث الابتهاج : أن رجالا من ذوى الفضل والرشد قد أحسوا فى العهد الأخير ، بافتقار الشرق عامة - ومدرسة الطفل المصرى خاصة - إلى هذا المنهج الحديث من مناهج التربية والتعليم .

وفى طليعتهم صديقنا الكاتب البارز الأستاذ « كامل كيلانى » ؛ فقد تحدى هذا النهج بأسلوب جديد مبتكر ، لم يكن لمصر عهد به قبل الآن .

والواقع أنه منذ عهد غير بعيد والأستاذ « الكيلانى » متوفر على نشر سلسلة قصصية مصورة للأطفال ، ينشد من ورائها تكوين مكتبة مصرية للطفل المصرى ، تناسب النهضة الشاملة لشتى ضروب الحياة المصرية فى الاجتماع والتربية والعمران وسواها .

والأستاذ « كامل كيلانى » إذ يتحدى هذا السبيل غير المأمون ، وإذ يقدم على تأسيس مكتبة للطفل المصرى فى بلد افتقر إليها جِدّ الافتقار ، إنما يضع « الحجر الأساسى » فى صرح المدرسة

المصرية ، الذى يرتكز عليه مستقبل الناشئ المصرى ، وينهج نهجاً لا مراء فى أنه جديد : ليس فى مصر وحدها ؛ بل فى الشرق جميعا .

وما نريد بهذا القول أن نشيد بفضل الكاتب المؤلف ، وما نريد به أيضا تبيان فضله ، ولا الإعلان عن أدبه ، وقيمة عمله بالنسبة للمدرسة المصرية ـ ورياض الأطفال بصفة خاصة ـ فإن فضله أكبر من أن يعلن عنه أو يشاد به ، وأدبه أوضح من أن ينكر ، فلا يذكر !

إنما نحب أن نلفت الأنظار ـ أنظار رجال المعارف والتعليم ـ إلى القيمة الفنية لهذه السلسلة القصصية للأطفال ، التى توضع بصورة تستوقف الأنظار ، وتسترعى الانتباه .. ونهيب بهم إلى العناية بدراستها ، فيدركوا قدر ما يعود على الطفل المصرى من النفع العام والنتائج المبتغاة .

* * *

أمر واحد : هو الذى حدانا إلى العناية بأمر هذه السلسلة النافعة ؛ هو صدور الجزء الأول من الأجزاء الستة ، التى شرع الأستاذ « الكيلانى » فى نشرها أخيرا ، استكمالا للحلقة التى قسمها إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : قصص فكاهية .

القسم الثانى : قصص للأطفال من السنة السابعة إلى العاشرة .

القسم الثالث : وهو الذى صدرت أولى أجزائه الستة أخيرا ، وهو قصص للطفل من الرابعة إلى السابعة .

والقسم الأخير من هذه السلسلة يشمل ستة أجزاء : كل جزء يتضمن حكاية قائمة بذاتها ، جمعت بحروف كبيرة ، غاية فى الدقة والجمال ؛ والصور الملوّنة هنا وهنالك ، قد بعثرت خلال صفحات القصة ، تستهوى الكبير قبل الصغير ، وتغرى الجميع بالمطالعة والمشاهدة . .

وهذه هى الغاية التى ينشدها المؤلف من سلسلته .. وهى سرّ امتيازها على كل ما عداها !

على أننا ندع هذه الذخيرة الآن ، لسوانا من رجال التربية ؛ فهم أولى من سواهم بمنحها ما تستحقه من العناية والتقدير .

ونكتفى بتهنئة الأستاذ الفاضل « كامل كيلانى » على هـــذا المجهود الكبير ، ونرجو له التوفيق لإتمام هذا العمل الجليل .

كامل كيلانى [1]

و « مكتبة الطفل »

بقلم الأستاذ عطية فهمى شاهين

. . . ولكننا الآن ؛ يمكننا أن نسرّ كثيراً بالحركة التأليفية ، التى قام بها الأديب الكبير الأستاذ « كامل كيلانى » ؛ إذ أخرج مجموعات من القصص ، تزدان بها (مكتبة الطفل) ، وتتثقف بها نفسه ، ولا زال دائباً فى إخراج بقية المجموعات .

ولم تكن فكرة إيجاد مكتبة قصصية للطفل فكرة عارضة عند الأستاذ « كامل » ؛ بل هى فكرة لابست نفسه وقتاً طويلا ، وملكت عليه فكره وجهده ؛ فقد صرف فى مهنة التدريس ردحا من الزمان ، لاحظ فيه ما يلاقيه الطفل من صعوبة ، وما يحسه من ألم فى قراءة الكتب الموضوعة له .. ثم صار - بعد ذلك - أباً رحيما ؛ فكان يشفق على ولده ، ويرثى لما يلاقيه فى دراسته .

لكل هذا : راح « كامل » يفكر فى إنشاء (مكتبة للطفل) ، تتناسب مع سنه وإدراكه ، وغرائزه وميوله . . .

وهكذا خرجت تلك الفكرة الكامنة بالنفس إلى الوجود الظاهر .

---

(١) من محاضرة ألقاها الكاتب فى نادى الشبان المسلمين عام ١٩٣٤ .

ولقد وفّق الأستاذ «كامل» - حقيقة - توفيقاً كبيراً فى (مكتبة الطفل القصصية) .. وقد يدهش المتصفح لها حين يرى «كاملا» - الذى يحدثنا فى «رسالة الغفران» ، وفى «أدب الأندلس» ، وفى «صور جديدة من الأدب العربى» ، وغيرها من مؤلفاته العديدة فى أسلوب كله حكمة وبحث دقيق - قد تنازل بأسلوبه إلى مستوى الطفل : يحدثه حديث الطفولة فى عذوبة وطلاوة !

ولكن الحقيقة - أيها السادة - أن من عاشر «كاملا» ، عرف - بجانب خلقه المتين ووفائه الصادق ، وشخصيته الجذابة - أسلوباً أدبياً مرناً ، يتشكل بلون الأدب الذى يتناوله .

فليس غريباً علينا : أن نرى «كاملا» يبحث ، أو يشرح أدقّ موضوعات الأدب ، أو يسرد علينا بعض الأساطير ، أو يتحدث إلى الطفل فى عذوبة ورشاقة .. ف «كامل» فى كل هذا هو لم يتغير ، وكما نعرفه ، أديباً منتجاً ؛ حتى قال فيه شاعرنا الخالد المرحوم «شوقى بك» :

(إنه كعقرب الثوانى : سريع الخطى ، ولكنه منتج يأتى بدقائق الأمور) .

* * *

ويسرنى - أيها السادة - أن أعرض لقصص الأستاذ «كامل كيلانى» التى وضعها للأطفال ؛ حتى يتبين لحضراتكم ما يدعم قولى ، بأن القصة تهذب نفس الطفل ، وتوقظ قواه واستعداده ، وتثير كثيراً من المعانى النبيلة التى تتخلق بها نفسه ؛ فهى وسيلة ناجحة لتربية الطفل .

أخرج الأستاذ «كامل» - إلى الآن - أربع مجموعات كاملة ، وقصة «العاصفة» من قصص «شكسبير» للأطفال ، و «جلفر» من أشهر القصص للأطفال .

وهذه المجموعات يلائم كل منها طوراً من أطوار الطفولة ، ويلاحظ فيها سن الطفل ، وإدراكه واستعداده .

المجموعة الأولى (١)

أولى هذه المجموعات : (حكايات للأطفال) ، كتبها للطفل الصغير ، وعمد فيها إلى التكرار فى الألفاظ والعبارات .

ولقد جاء فى المقدمة عن ذلك ما يأتى :

(من المشاهد المألوف : أن الطفل إذا قصّ عليك خبراً ، لجأ إلى تكرار الجمل ؛ كأنما يتثبت من معانيها فى ألفاظها المكررة .. فلنكتب له ـ وهو فى هذه السن ـ محاكين أسلوبه الطبيعى فى تكرار الجمل والألفاظ ، لنثبت المعنى فى ذهنه تثبيتاً ، ولنكرر له الجمل برشاقة لنسهل عليه قراءتها ، فإن لكل مقام مقالا) ...

فى الواقع ـ أيها السادة ـ أن الطفل يلجأ إلى التكرار كثيرا فى عباراته وألفاظه .. وليس هذا ناتجاً من أن المعنى ليس ثابتاً فى ذهنه ؛ لأنه لا يمكن أن يتحدث إنسان ـ طفلا كان أم رجلا ـ عن معنى ليس قائماً بنفسه تمام القيام .. ثم لا يمكننا أن نقطع بأنه ليس لديه المحصول الكافى من الألفاظ ، للتعبير عن هذا المعنى ؛ لأننا نراه ـ مع تكراره للألفاظ ـ لا يلبث أن يعبر عن المعنى القائم فى نفسه ؛ فهذا يدلّ على حضور الألفاظ فى ذهنه ، وإلا لما أمكنه التعبير بتاتاً .

ولكن الذى يدفع الطفل إلى التكرار ؛ هو عدم قدرته على ربط المعانى بالألفاظ التى تدلّ عليها ، فيلجأ إلى التكرار ليتثبت

---

(١) ظهر من هذه المجموعة ثلاثة أجزاء : الجزء الأول : الدجاجة الصغيرة الحمراء ، والجزء الثانى : أم الشعر الذهبى ، والجزء الثالث : بدر البدور .

من مدلولات الألفاظ التى يستعملها ، ويعرف : هل تؤدى المعنى الذى يريده أو تخرج عنه ؟

فاستعمال التكرار فى قصص الطفل ـ فى هذه المرحلة ـ يساعد على تثبيت المعانى والألفاظ الدالة عليها فى ذهنه ؛ وبكثرة القراءة يصبح قادراً على ربط المعانى بألفاظها بسهولة .. وحينئذ يمكنه أن يعبر عن المعانى التى تقوم فى نفسه ، دون أن يلجأ إلى تكرار العبارات والألفاظ .

لذلك أراد الأستاذ « كامل » ـ تحقيقاً لهذه الغاية ـ أن يكرر فى قصص هذه المجموعة ، ولكنه يقتصد فى التكرار بالتدريج فى المجموعات التالية حتى يتلاشى ولا يبقى له أثر .

أما معانى هذه القصص ؛ فهى بسيطة جداً ، تتفق مع عقلية الطفل فى هذه المرحلة .

ويظهر أن الأستاذ المؤلف يكتفى فى هذه المجموعة : بأن يلقن الطفل ـ عن طريق القصة ـ الكثير من الألفاظ ، والعبارات ، والمعانى التى تؤديها ؛ حتى تثبت فى ذهنه ، فيصبح قادراً على الفهم والقراءة بسهولة .

ولكى يطمئن إلى ثبوت الألفاظ والعبارات فى ذهنه ؛ تراه يعرض عليه ـ فى نهاية بعض القصص ـ صور حيوانات ، وآلات ، وأدوات منزلية ، وغير ذلك ؛ ويطلب منه أن يضع أسماءها .

ثم تراه أيضاً يأتى ببعض عبارات الحكاية ناقصة ، ويطلب من الطفل أن يكملها ، ثم هو بجانب كل هذا قد جلى الحكايات بصور ملوّنة تمثل مواقعها .. وفى هذا إغراء للطفل بالقراءة ، كما لا يخفى على حضراتكم .

المجموعة الثانية(١)

ترى المؤلف بعد ذلك ؛ لا يقتصر ـ فى المجموعة الثانية ـ على إيراد الألفاظ والعبارات ، حتى تثبت فى ذهن الطفل فحسب ؛ بل يريد ـ بجانب هذا ـ أن يتناول بعض المعانى التى تهذب نفس الطفل وتصقلها .

ولكن كيف السبيل لتحقيق هذه الغاية ، وهو يخاف أن يكون فى ذلك مدعاة إلى عزوفه عن القراءة ، وانصرافه عنها ؟

على أن « كاملا » يتخلص من هذا المأزق بلباقة ؛ فيخرج للطفل قصصاً فكاهية ، يسرّ بها ويضحك ؛ ولكنها ـ مع ذلك ـ تثير فى نفسه الكثير من المعانى النبيلة التى يمكن أن تقبلها عقلية الناشئة .. فالطفل يقرأ مسروراً مبتهجاً ؛ ولكن نفسه تتخلق بمعانى القصص ، دون شعور منه بذلك .

ومع هذا فالمؤلف لا يكتفى بهذا القدر ، بل يعطيه ـ زيادة على ذلك ـ فى نهاية كل قصة ، قطعة من الشعر ، غاية فى السهولة ، والجمال ، ليترنم بها فى غدواته وروحاته ؛ فكأن المؤلف يريد أن يملك على الطفل كل وقته ، وأن يغذّى نفسه ، حتى فى أوقات لهوه ولعبه .

انظروا مثلا إلى قطعة تحت عنوان : « لا أحد » ، وهى تتناول ذلك اللفظ الجارى على ألسنة الأطفال ، عندما يعبثون بشىء فى المنزل .. وتسألهم والدتهم : من فعل هذا ؟ فيجيبون فى بساطة : (ما حدّش) .

فى هذا المعنى يعطى المؤلفُ الطفلَ قطعة شعرية بديعة ، ذات خيال بديع ، وروح خفيفة جذابة وموسيقية .

وإلى حضراتكم نص هذه القطعة :

---

(١) وتحتوى هذه المجموعة ست قصص وهى : عمارة ، الأرنب الذكى ، عفاريت اللصوص ، نعمان ، العرندس ، أبو الحسن .

شَخْصٌ غَرِيبٌ تَسْمَعُونَ دائِمًا
بِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَرَهُ مِنْكُمْ أَحَدْ
وَلَسْتُ أَدْرِى أَبَدًا : ما شَكْلُهُ
وَكَمْ لَهُ مِنْ مُعْجِزاتٍ لا تُعَدّ
أَمَّا اسْمُهُ ؛ فَهُوَ غَرِيبٌ عِنْدَكُمْ
تَعْرِفُهُ كُلُّ فَتاةٍ وَوَلَدْ
فَإِنْ سَأَلْتُمْ : ما اسْمُهُ ؟
فَهْوَ يُسَمَّى : « لا أَحَدْ »

* * *

إِنْ تُرِكَتْ أَبْوابُنا مَفْتُوحَةً
أَوْ طارَ مِنْ نافِذَةٍ زُجاجُها
أَوْ خُلِعَتْ أَزِرَّةٌ مِنْ مَلْبَسٍ
أَوْ ضاعَ مِنْ آنِيَةٍ غِطاؤُها
أَوْ بُعْثِرَتْ مِنْ مَكْتَبٍ أَوْراقُهُ
أَوْ سالَ مِنْ مِحْبَرَةٍ مِدادُها
ثُمَّ سَأَلْنا : مَنْ فَعَلْ ؟
كانَ الْجَوابُ : « لا أَحَدْ »

* * *

هَيْهاتَ يَخْلُو مِنْ أَذاهُ مَنْزِلٌ
وَكَمْ لَهُ مِنْ أَثَرٍ فِي بَيْتِنا
شَخْصٌ خَيالِيٌّ غَرِيبٌ مُضْحِكٌ
وَوَجْهُهُ لَمْ نَرَهُ فِي عُمْرِنا
وَكَمْ بَحَثْنا كَيْ نَراهُ مَرَّةً
فَلَمْ نَفُزْ بِطائِلٍ مِنْ بَحْثِنا
فَهَلْ عَرَفْتُمْ : ما اسْمُهُ ؟
نَعَمْ ، يُسَمَّى : « لا أَحَـدْ »

ثم تراه فى قصة أخرى ، يعطى الطفل قطعة شعرية لتكون من (محفوظاته) ، يشعره فيها بأنه طالب نشيط ، ويجعله يفخر بذلك .

وفى هذا حثٌّ للطفل على الاجتهاد ، وإشعار له بأن موضع الفخر هو العمل والنشاط . فاسمعوا ـ أيها السادة ـ ماذا يقول فى هذه القطعة ، التى وضعها تحت عنوان : « الطالب النشيط » :

« أَنَا ... لا زِلْتُ تِلْمِيذًا صَغِيرًا
وَلٰكِنِّي ـ عَلَى صِغَرِي ـ مُجِدُّ
أَسِيرُ إِلَى الْعُلا سَيْرًا حَثِيثًا
وَأَنْشَطُ نَحْوَ غايَتِها وَأَغْـدُو
وَلَيْسَ يَضِيرُنِي صِغَرِي ، إِذا لَمْ
يُثَبِّطْنِي عَنِ الْعَلْياء جُهْدُ

وَما يُغْنِي الْفَتَى طُولٌ وَعَرْضٌ
إِذا لَمْ يُغْنِهِ فَهْمٌ وَرُشْدُ
فَلَيْسَ يُقاسُ إِنْسانٌ بِشِبْرٍ
لِيُعْرَفَ قَدْرُهُ إِنْ جَدَّ جِدُّ
وَنَبْتُ الْقَمْحِ مُرْتَفِعٌ قَلِيلًا
وَلٰكِنْ: هَلْ لَهُ فِي النَّفْعِ حَدُّ ؟
هُوَ الْقُوتُ الَّذِي نَحْيا جَمِيعًا
بِهِ ، وَهْوَ الَّذِي ما مِنْهُ بُدُّ
وَقَدْ يَعْلُو سَنابِلَهُ نَباتٌ
قَلِيلُ النَّفْعِ ، يُعْجِبُ حِينَ يَبْدُو
وَكَمْ عُودٍ مِنَ الْقَصَبِ اعْتَلاهُ
وَما هُوَ - رِفْعَةً - لِلْقَمْحِ نِدُّ
وَفَخْرُ الْمَرْءِ عِلْمٌ يَبْتَغِيهِ
وَإِخْلاصٌ يُحَلِّيهِ وَكَدُّ
وَسَوْفَ أَكُونُ مِثْلَ الْقَمْحِ نَفْعًا
وَقِدْمًا أَحْرَزَ السَّبْقَ الْمُجِدُّ
نَعَمْ ، وَأُحِبُّ فِعْلَ الْخَيْرِ جَهْدِي
وَأَسْهَرُ لِلْعُلا وَالْمَجْدِ بَعْدُ

وَتُدْرِكُ هِمَّتِي شَرَفًا وَمَجْدًا
وَحَسْبِي غايَةً : شَرَفٌ وَمَجْدُ

وما أبدع قوله فى قصيدة (الوقت) :

قالَتِ الطَّيْرُ : « لَقَدْ حَلَّ الشِّتاءْ
واسْتَبَدَّ الْبَرْدُ ، واشْتَدَّ الصَّقِيعْ
فَوَداعًا ، أَيُّها الْغُصْنُ ، وَداعًا
سَوْفَ أَلْقاكَ إِذا جاءَ الرَّبِيعْ . »

* * *

قالَتِ الْأَوْراقُ لِلْغُصْنِ : « وَداعًا
ـ أَيُّها الْغُصْنُ ـ فَقَدْ حَلَّ الشِّتاءْ
سَوْفَ أَلْقاكَ إِذا ما الطَّيْرُ عادَتْ
فِي الرَّبِيعِ الطَّلْقِ تَشْدُو بِالْغِناءْ . »

* * *

ثُمَّ قالَ الْوَقْتُ لِلنَّاسِ : « وَداعًا
إِنَّنِي أَنْفَسُ شَيْءٍ فِي الْوُجُودْ
تَرْجِعُ الْأَوْراقُ وَالطَّيْرُ جَمِيعًا
وَأَنا ـ مِنْ حَيْثُ أَمْضِي ـ لا أَعُودْ ! »

وهكذا يقـــدم المؤلف للطفل ـ فى نهاية كل قصة من هذه المجموعة ـ قطعة من الشعر ، غاية فى الجمال والعذوبة ، تحمل من المعانى ، ما تسموبه نفس الطفل وتتسع مداركه .

المجموعة الثالثة(١)

بعد هاتين المجموعتين ، اطمأن المؤلف إلى حب الطفل للقراءة وشغفه بها ، وترى ذلك واضحاً فى مقدمته .

لذلك يقدم المجموعة الثالثة ، التى سماها قصصاً جديدة للأطفال ، وهو مطمئن إلى تفهم الطفل معناها بأسلوبها السهل ، وجعل كل قصة منها تتناول موضوعاً خاصاً .

فمثلا قصة « بابا عبد الله والدرويش » تضع أمام الطفل ، صورة بشعة للطمع ، ونتيجة سيئة للطماع ، كما تبرز رجل الإيثار فى صورة تغرى الطفل ، وتثير فى نفسه حب الغير .

ثم قصة « أبى صير وأبى قير » تمثل صديقين : أحدهما مخلص فى صداقته ، محافظ على عهدها ، والثانى رجل لايرعى عهداً ، ملئ قلبه حقداً وحسداً لصديقه المخلص .. وتسير القصة فى لباقة ، حتى تنتهى بهذا الصديق الجاحد إلى أسوإ خاتمة ، ويكافأ الصديق المخلص ويصبح مثرياً عظيما .

وهكذا بقيـــة قصص هذه المجموعة ، تثير فى نفس الطفل ، الخلق النبيل والمعنى السامى .

ثم يراعى المؤلف فى قصصها الأخيرة ، الاقتصاد فى التكرار ؛ لأنه أصبح مطمئناً إلى قدرة الطفل على ربط المعانى بالألفاظ التى تدلّ عليها ؛ بعد أن قدّم فى المجموعات السابقة ما فيه الكفاية من الألفاظ ، والعبارات ، والمعانى .

(١) وتحوى هذه المجموعة ست قصص وهى : بابا عبد الله والدرويش ، أبو صير وأبو قير ، على بابا ، عبد الله البرى ، وعبد الله البحرى ، الملك عجيب ، خسرو شاه .

المجموعة الرابعة[1]

في هذه المجموعة التي سماها المؤلف قصصاً للأطفال ، ترى لوناً جديداً من القصص يختلف عما في المجموعات السابقة .

فالطفل في هذه المرحلة أصبح قادراً على فهم معاني القصة بسهولة ، والإحاطة بها ، كما أنه أصبح شغوفاً بالقراءة .

ثم إن نفسه قد تخلقت بمعان نبيلة مما تضمنته المجموعات السابقة . . فأمام كل ذلك يقدّم له المؤلف قصصاً كبيرة لا يقوم بحوادثها شخصان ، كما في أكثر القصص السابقة ، بل هي تتناول أشخاصاً كثيرين ، ومواقف كثيرة .

ثم هي — فوق ذلك — قصص مشهورة ، كتب لبعضها الخلود ، فالمؤلف في الحقيقة : لا يخاطب في هذه المجموعة طفلا صغيراً ليثبت المعاني ، والألفاظ ، والعبارات ، في ذهنه ، وإنما يخاطب طفلا قادراً على الفهم والإحاطة بمعنى القصة .

أول قصص هذه المجموعة : « السندباد البحري » إحدى قصص « ألف ليلة » المشهورة .

ظن أكثر حضراتكم قد قرأ هذه القصة ، وشغف بما تضمنته من مخاطرات ومجازفات ، وسعي واستهانة بالصعاب .

ولكن « كاملا » لم يقدمها إلى الطفل فاسدة الخيال ، مفككة التراكيب ، كما هي في « ألف ليلة » ، بل وضعها في أسلوب سهل جذاب ، وخيال رائع ، وحلاها بكثير من الصور ، فبدت رشيقة أنيقة .

---

(١) وهذه المجموعة تحوى أربع قصص : السندباد البحرى ، علاء الدين ، تاجر بغداد ، روبنسن كروزو .

وأكثر ما يعجبنى فى طريقته القصصية ، أنه يجعل الطفل يشعر بأنه يستمع إلى متحدث له ، لا أن يقرأ ، فهو يروى القصة وكأنها حديث يرويه شخص لآخر .

انظروا مثلا فى قصة « علاء الدين » ، كيف يقص القصة على الطفل وكأنه يتحدث إليه فى بساطة ، فهو يقول :

« أَتَعْرِفُونَ بِلادَ الصِّينِ ، أَيُّها الأَطْفالُ الأَعِزَّاءِ ؟

لَعَلَّكُمْ سَمِعْتُمْ بِاسْمِها ، وَما أَظُنُّكُمْ قَدْ سافَرْتُمْ إِلَيْها مَرَّةً واحِدَةً فِي حَياتِكُمْ .. فَهِيَ بِلادٌ بَعِيدَةٌ جِدًّا ، وَأَنا أُحِبُّ أَنْ أَقُصَّ عَلَيْكُمْ شَيْئًا مِمَّا حَدَثَ فِي تِلْكَ الْبِلادِ الْبَعِيدَةِ .. »

هكذا يتقدم إلى الطفل بالقصة فى بساطة ، وسهولة تشوقه وتجعله ينتبه انتباهاً تاماً إلى مواقفها ، ومعانيها ، وحوادثها .

تلى قصتى : « السندباد البحرى » و « علاء الدين » قصة « تاجر بغداد » .. وهى قصة مشهورة ؛ ولكن المؤلف قد نحا فيها نحواً جديداً ، ليس له أثر فى القصص الأخرى : إذ جعل فى أسفل كل صفحة من صفحاتها جملة أسئلة يمكن الإجابة عليها مما فى أعلى الصفحة .

وهذه طريقة متبعة فى أكثر الكتب الغربية الموضوعة للأطفال . ويقصد بها تعويد الطفل الإجابة على ما يوجّه له من الأسئلة ، وتدريبه على التحدث بسهولة بأسلوب فصيح .

ثم هى اختبار مستمر لقوّة إدراك الطفل للمعانى وتفهمه لها . وفى هذا ما يشعر الطفل بقوّته أو ضعفه ؛ لأنه إذا أجاب على الأسئلة بسهولة ، أحسّ من نفسه القوة على الفهم والإحاطة بالمعنى ؛ فيحثه هذا على مواصلة جهوده ليحتفظ بقوّته ..

وإن هو وجد عسراً وصعوبة فى الإجابة ، أحسّ الضعف ، وتلك حالة لا يرضاها طفل !.. يشاهد ذلك كل من يلاحظهم .

فالطفل يحب دائماً : أن يظهر بمظهر القوة فى كل شىء ، وأن يكون المجلى فى كل عمل يأتيه ؛ فإحساسه بحالة الضعف يستحث نشاطه ، ويقوّى جهوده .. وهذه الطريقة ناجحة جداً ، وقد أصبح يتبعها أكثر المربين .

نختم هذه المجموعة بقصة لها شهرة واسعة ، ومكانة ممتازة . تلك هى قصة « روبنسن كروزو » ، التى ألفها الكاتب الإنجليزى الشهير « دانيل ديفو » .

ولست أريد أن أحدثكم عن هذه القصة ، وأبيّن أثرها فى التربية الاستقلالية ؛ بل أترك ذلك لـ « جان جاك روسّو » ، فهو يقول فيها كما جاء فى المقدمة :

(ما دُمْنا لا نَسْتَغْنِي عَنِ الْكُتُبِ ، وَلا مَعْدَى لَنا عَنِ الْقِراءَةِ ؛ فَثَمَّةَ كِتابٌ هُوَ عِنْدِي أَثْمَنُ ذُخْرٍ فِي التَّرْبِيَةِ الاسْتِقْلالِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ . وَسَيَكُونُ أَوَّلَ كِتابٍ يَقْرَؤُهُ طِفْلِي « إِميل » ، وَسَيُصْبِحُ - وَحْدَهُ - كُلَّ مَكْتَبَتِهِ .. وَسَيَرَى فِيهِ - عَلَى الدَّوامِ - مِنَ الْمَزايا الْباهِرَةِ ، ما يَدْفَعُهُ لِإِحْلالِهِ أَسْمَى مَكانٍ عِنْدَهُ .

وَسَيَظَلُّ هٰذا الْكِتابُ ، عُمْدَةً فِي هٰذا الْبابِ ، وَيَظَلُّ كُلُّ ما عداهُ مِنْ كُتُبِ الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ حَواشِيَ وَتَعْليقاتٍ

عَلَيْهِ ؛ فَهُوَ أَصْدَقُ مِقْياسٍ تَقِيسُ إِلَيْهِ مَدَى نَجاحِنا فِي الْحَياةِ ، كَما تَقِيسُ إِلَيْهِ أَحْكامَنا الَّتِي نُصْدِرُها ... وَسَيَظَلُّ كَذٰلِكَ مُتَجَدِّدَ الرَّوْعَةِ وَالأَثَرِ ، فِي كُلِّ وَقْتٍ تَقْرَؤُهُ ، ما دامَ لَنا ذَوْقٌ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ الْفَسادُ ...

تُرَى ما هُوَ هٰذا الْكِتابُ إِذَنْ ؟

لَعَلَّهُ كِتابُ « أَرِسْطُو » أَوْ « بلين » أَوْ « بُوفُون » !

كَلَّا لَيْسَ كِتابَ أَحَدٍ مِنْ هٰؤُلاءِ ؛ بَلْ هُوَ كِتابُ « رُوبِنْسَنْ كُرُوزُو » .)

* * *

أظن أنه يكفينى ما سمعتم حضراتكم من قول « روسّو » فى هذا الكتاب ، وكفى أنه يريد أن يجعله كل مكتبة طفله « إميل » .. وليس لى أن أتكلم عنه ، بعد الذى قاله فيه « روسّو » الذى يعتبر الأستاذ الأول للتربية الحديثة ، وخاصة الاستقلالية .

قصص شكسبير للأطفال(١)

يريد الأستاذ « كامل » بعد ذلك ، أن يحادث طفلا أكبر ، فيخرج له « العاصفة » من مجموعة قصص « شكسبير » للأطفال ، وروايات « شكسبير » خالدة مشهورة فى العالم ·

فهى ذات خيال رائع ، ومعان دقيقة ، وقد كانت - إلى عهد قريب - تدرس لطلبة « البكالوريا » ، وكانوا يجدون فى فهمها عسراً عظيما .

---

(١) ظهر منها قصتان ، وهما : العاصفة ، وتاجر البندقية .

لذلك عجبت كثيراً ، حين أخبرنى صديق الأستاذ « كامل » أنه سيخرج « العاصفة » ، و « تاجر البندقية » ، وغيرهما من روايات « شكسبير » للأطفال .. كما أنى كنت أشكّ فى إمكان ذلك ، إذ أن هذه روايات كتبت للرجال ، ويجد الكثيرون منهم عسرا فى فهمها وقراءتها .

* * *

قد يعترض بعض حضراتكم على هذا القول ، ويقول : إن العسر ناشئ من أن الرواية مكتوبة بلغة أجنبية ، ولو أنها كتبت باللغة العربية ، لما أحسّ أحد أىّ عسر فى تفهمها .

وهذا صحيح ، ولكن يجب أن نلاحظ أن مقدرة الطفل الذى يكتب له « كامل » هذه القصة فى اللغة العربية ، قد تساوى مقدرة طلبة « البكالوريا » فى اللغة الإنجليزية .

فإذا كان طالب « البكالوريا » يحسّ عسراً فى قراءة روايات « شكسبير » باللغة الإنجليزية ، فكذلك الطفل يحسّ نفس العسر إذا قرأها بالعربية ؛ بل إن طالب « البكالوريا » له من سنه وثقافته ما يجعله يتحمل هذا العسر ، ويواصل القراءة .

ولكن الطفل الذى ندفعه إلى القراءة بالإغراء : ماذا تكون حاله عندما يجد عسراً فى قراءة قصة كالعاصفة ؟ لا شك أنه يعزف عن القراءة ويعافها .

هذه هى الخواطر التى جرَت فى ذهنى، عندما أخبرنى الأستاذ المؤلف بعزمه ؛ ولكنى دهشت كثيراً عندما أهدى إلىّ الأستاذ « كامل » قصة « العاصفة » .. وتصفحتها ، فإذا أسلوب سهل جذاب ، وإذا معان متقاربة ، وفى متناول عقلية الطفل ، وإذا الخيال لا يعدو جوّ الطفولة .

وبالجملة : فقد استحالت « العاصفة » نسمة لينة من نسمات الربيع ، وصارت قصة الأطفال ؛ حتى كأن « شكسبير » قد كتبها لهم !

ثم إن القصة ـ كبقية قصص « شكسبير » ـ تضع أمام الطفل كثيراً من المعانى النبيلة ، التى تبعث فى نفسه الخلق النبيل .

ولعل أبرز معنى فى هذه الرواية : العفو عند المقدرة ؛ فالرواية تعرض على الطفل فى أسلوب جذاب ، كيف عفا « بروسبيرو » عمن سلبوه ملكه ، ورموا به إلى البحر فى سفينة تسير كما يوجهها القدر ، فى وقت أصبح فى مقدوره أن ينكل بهم جميعاً ، وأن يذيقهم من العذاب ألوانا . فهذا المعنى النبيل بارز فى القصة ، تشتمل عليه نفس الطفل بسهولة ، وتتخلق به .

كتاب جلفر :

بعد ذلك يخاطب « كامل » الطفلَ الذى هو على أبواب الشباب فى كتاب « جلفر » . وهو كتاب خالد عظيم ، كما أن مؤلفه عظيم شهير ، هو الكاتب الإنجليزى « سويفت » .

فى اواقع أن هذا الكتاب ، يرى فيه الأطفال لوناً من الخيال والمعانى والمشاهدات ، جذاباً محبوباً ، ويرى فيه الرجال السخرية اللاذعة ، والنقد القاسى ، والعبرة السامية ، والمعنى النبيل ، والخيال الرائع ، والوصف الدقيق .

فالأديب يرى فيه الوصف الدقيق ، والخيال الساحر .. ورجل الاجتماع يرى فيه نقداً للبيئات ، ونظما جديرة بالاعتبار .. وعالم النفس يرى فيه تحليلا دقيقاً لنفسيات الأشخاص والشعوب .

فهو بحقّ كتاب جامع ، وضعه مؤلفه على لسان شخص خيالى ، سماه : « جلفر » كان طبيبا ، ثم ملاحاً ، هو المثل الأعلى للرجل النبيل .. فهو يحترم القوانين والتقاليد ، ويحافظ على قسمه وعهده .. ويبدو ذلك واضحاً فى خضوعه للأقزام وقبوله سجنهم .. ثم فى رجائه لإمبراطورهم أن يهبه الحرية وإذعانه لشروطهم — رغم ما فيها من قسوة وتقييد — ثم مراعاته لها وعمله داخل حدودها .. ثم حفظه لعهده مع الإمبراطور طول إقامته فى مملكته ..

ثم بعد أن رحل إلى مملكة الأعداء بإذن منه .. يعمل كل هذا عن طيب خاطر ؛ وفى مقدوره — إن أراد — أن يكتسح مملكتهم وأن يمحو أثرها من الوجود .

ولكنه شاء أن يكون مسالماً ، وأن يحترم الشعب الذى يعيش معه ، ويحترم قوانينه وتقاليده ويعمل بها جميعاً ؛ لأنهم آووه وأطعموه .

وما أجدر إخواننا الأجانب الذين يعيشون فى كنفنا أن يتخذوا من ذلك عظة لهم ، ودرساً يعملون به : فالذى يضرب لهم هنا المثل الرائع رجل أجنبي مثلهم !

سياحات « جلفر » قد تبدو فى مشاهدها الغريبة ، شبيهة بقصة « السندباد البحرى » — إحدى قصص « ألف ليلة » — لكن قصة « السندباد » لا تخرج فى موضوعها عن سرد حوادث ومخاطرات ، قد تنبو عن العقل فى أكثرها ، كما يكون الخيال فى بعض حوادثها فاسداً .

أما « جلفر » ؛ فإنها ذات خيال رائع ، وسخرية لاذعة . فهى تعرض حياة الشعوب ومعتقداتها وأحوالها ، وتعالج هذا

فى تهكم وسخرية .. وهى فى ذلك قد تكون أشبه بسياحات « ابن القارح » — كما تخيلها « أبو العلاء » — فى الجنة والنار ، وسياحات « دانتى » فى الجحيم .

يتضمن هذا الكتاب بعض سياحات « جلفر » ، أخرج منها الأستاذ « كامل » سياحتين (١) :

إحداهما فى بلاد الأقزام ، حيث طول الرجل لايزيد على ثلاث أصابع : فبدا بينهم « جلفر » عملاقا هائلا ، أو كما سموه الجبل الآدمى .

والأخرى : فى بلاد العمالقة ، حيث بدا بينهم قزماً صغيراً : فانعكست الآية ، وأصبح العملاق الهائل ، حشرة آدمية صغيرة .

فما أقسى هذه السخرية ، وما أكثر الشبه بين هذا وبين أحوالنا فى الحياة ! . . يتوهم كل منا أنه عظيم فى أمر من أمورها ، وأنه بلغ الدرجة التى تتقطع دونها الأعناق ، لأنه يرى قوماً أقلّ منه وهو - بالغاً ما بلغ - عاجز عن أن يدرك الكمال ، وصغير وإن ظن نفسه كبيراً ، فنحن مهما أحرزنا من العلم والتقدم ، وتفوّقنا على ما جاورنا من الشعوب ، لسنا — فى الحقيقة — إلا كما يقول « إسحق نيوتن » : أولاداً صغاراً نلتقط الأصداف التى ينبذها خضمّ المجهولات ، من وقت لآخر .

* * *

ولقد صوّر « سويفت » فى هذا الكتاب غرور الإنسان فى تهكم قاس فى مواضع كثيرة .

---

(١) أخرج المؤلف بعد ذلك سياحة جلفر الثالثة : (جلفر فى الجزيرة الطيارة) ، والسياحة الرابعة : (جلفر فى جزيرة الجياد الناطقة) .

قرون مثلا فى صورة الشروط التى أملوْها على العملاق « جلفر » غرور الإنسان واضحاً ، إذ يقول ذلك القـــزم الإمبراطور فى صدر شروطه :

(نَحْنُ جُولْيا سْتَر ، إِمْبراطُورُ لِيلِيبُوت ، أَعْظَمُ وَأَقْوَى الناسِ ، وَمَلاذُ اللَّاجِئِينَ ، وَمُرْهِبُ الْأَعْداء ، وَأَقْوَى مُلُوكِ الدُّنْيا ، والَّذِى يَمْتَدُّ مُلْكُهُ سِتَّةَ أَمْيالٍ مُسْتَدِيرَةً إِلَى أَطْرافِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ : مَلِكُ الْمُلُوكِ وَأَعْظَمُ الْعُظَماء ، وَجَبَّارُ الْجَبابِرَةِ ، الَّذِى تَكادُ قَدَماهُ تَخْرِقانِ الْأَرْضَ مِنْ ثِقَلِهِما عَلَيْها ، وَيَكادُ رَأْسُهُ يَلْمُسُ الشَّمْسَ لِطُولِ قامَتِهِ وارْتِفاعِها ، والَّذِى تَرْتَجِفُ مِنْهُ الْمُلُوكُ إِذا رَأَتْهُ .. الخ)

انظروا — أيها السادة — كيف يصوّر لنا المؤلف غرور الإنسان فى صورة تهكمية بديعة .. فهذا قزم ضعيف ، فى مقدور « جلفر » أن يسحقه هو وشعبه ؛ يرى نفسه أنه ملك الملوك ، وجبار الجبابرة ، الذى تكاد قدماه تخرقان الأرض .

* * *

ثم انظروا ـ بعد ذلك ـ كيف أن « جلفر » : ذلك الجبل الآدمى — كما يسمونه — قد أصبح فى بلاد العمالقة قزماً صغيراً ، شأن الأقزام التى رآها فى رحلته الأولى .

ثم انظروا أيضاً : كيف يسخر المؤلف من بعض معتقدات الإنسان ، فهو ـ بعد أن بيّن أن الأقزام رجال علم وفن وحكمة ونشاط وذكاء وقدرة ـ يتكلم عن بعض المعتقدات ، والعادات التى تلابس نفوسهم بجانب هذه القدرة ؛ فيحكى عن طريقتهم فى القسَم فيقول :

(وَقَدْ كانَتْ طَرِيقَتُهُمْ فِي الْقَسَمِ ، وَأَخْذِ الْعُهُودِ والْمَواثِيقِ عَجِيبَةً جِدًّا ، فَقَدْ أَمَرُونِي أَنْ أَقْبِضَ عَلَى إِبْهامِ رِجْلِيَ الْيُمْنَى بِيَدِي الْيُسْرَى ، ثُمَّ أَضَعَ الْإِصْبَعَ الْوُسْطَى مِنْ يَدِي الْيُمْنَى فَوْقَ رَأْسِي عَلَى طَرَفِ أُذُنِي الْيُمْنَى .

فَلَمْ أَتَرَدَّدْ فِي تَلْبِيَةِ كُلِّ ما طَلَبُوهُ مِنِّي .)

فهذا — رغم ما فيه من سخرية — يكشف لنا عن ناحية نقع فيها جميعاً ؛ فكلنا لا يحب إلا ما ألفه ، ولا يحترم إلا ما اعتاده ، ويعجب من كل غريب عنه ، ويهزأ به .

وهكذا « جلفر » يعجب من قسم هؤلاء ، ويعتبره شيئاً غريباً مضحكا ؛ كما أنهم يعجبون من أعماله ويسخرون ..

فما أكثر التناقض فى النظر إلى الأشياء !

* * *

ثم تراه يتكلم فى نقطة أخرى ، عن سبب الانقسامات الداخلية والخارجية ، وأنها ترجع إلى أن الشعوب اعتادت كسر بيضة الدجاج من طرفها المستعرض .. ولكن والد الإمبراطور الحالى أصدر قرارا بكسرها ـ عندما يراد أكلها ـ من طرفها المستدق .

فثار الشعب لذلك ثورة عنيفة ، وانتهى الأمر بقتل الإمبراطور !

فقد آثر الشعب الموت على كسر البيضة من طرفها المستدق ..

وقد هلك فى هذه الفتن أكثر من خمسة عشر ألف ثائر .

* * *

فانظروا — أيها السادة — إلى هذه السخرية من بعض عقائد الناس وأحوالهم !

وإننا ، في الواقع ، لو تأملنا في أنفسنا ، لوجد كل منا — بجانب معتقداته المعقولة — معتقدات أخرى خرافيـة ، تلابس نفسـه ، يتمسك بها ، ويحافظ عليها .

فأكبر العقول وأعمقها بحثا ، يغشاها ـ بجانب بحوثها ـ معتقدات خرافية ، لا تتفق مع الذكاء والتجربة .. وقد أشار إلى ذلك « جوستاف لوبون » في كتابه : (الآراء والمعتقدات) إذ يقول :

(ومما يقتضي أن يتضمن هذه النظريات (أي نظريات البحث في مصدر المعتقـد) ـ على الخصوص ـ بيان كيف يعتقـد صفوة العلماء الذين بلغت فيهم روح النقد منتهاها ، أساطير صبيانية مضحكة) .

* * *

قد نتصور أن « نيوتن » و « بسكال » و « ديكارت » وغيرهم ممن عاشوا في بيئة مشبعة من بعض العقائد ، رضوا ـ غير مجادلين ـ بهذه العقائد ، رضاهم بنواميس الكون المقدّرة .

ولكن لماذا لم تضمحل تلك المعتقدات اضمحلالا تاماً في أيامنا التي سطعت فيها أنوار العلم على كل بيئة ؟

إن ماذهب إليه « لوبون » يعرضه « سويفت » في سخرية وتهكم بالإنسانية التي تدّعي الكمال .

كما نرى أيضاً ، أنه كثيراً ما تثور الأفراد والجماعات لأتفه الأسباب وأحقرها ، كما ثارت الأقزام لكسر البيضة من طرفها المستدق ، بدلا من طرفها المستعرض .

فتلك أحوال وعقائد يعرضها المؤلف فى صورة قصة ، ويهزأ بها فى قسوة ..

فما أكثر ما يشوب الإنسانية من الخرافات والنقص !

هكذا يسير الكتاب فى أكثر مواضيعه..

* * *

وليس يتسع لى الوقت لأتحدث عن كل ما فيه ، وحسبى هذه اللمحة البسيطة . فهذا كتاب كثير المعانى ، قد أبدع فيه مؤلفه ، وهو كما يقول المسيو « تيرته » النقاد المشهور :

(إن كل مواهب « سويفت » ، وكل مؤلفاته ، قد تجمعت فى هذا الكتاب ، وإن عقله الخصب قد طبع فيه صورته وقوّته .. ولست أرى أثراً رائعاً فى تصنيفه وفى أسلوبه مثل هذا الكتاب) .

وعندى أنه قد حان الوقت الذى يستريح فيه كتاب « كليلة ودمنة » من عناء السير الطويل فى مرحلته الشاقة ، ليحلّ محلّه كتاب « جلفر » .

وقد كتب « جاى » الكاتب القصصى لـ « سويفت » يقول :

(نشر هنا فى « لندن » كتاب عن سياحات رجل اسمه « جلفر » كان حديث الناس فى المدينة كلها ، وقد بيع جميع ما طبع منه فى أسبوع واحد . وليس ثمة ما يدعو إلى الترويح والتسلية ، أكثر مما حواه الكتاب من تنوع الآراء والأفكار ؛ فقد أجمع الناس على ذلك ولم يشذّ منهم واحد . وقد تذوّقوا لذة قراءة كل كلمة فيه ، ولم يعرف الناس اسم مؤلفه .

وناشر الكتاب نفسه ، لا يدرى من الذى قدم له هذا الكتاب الذى قرأته جميع الطبقات من أعلاها إلى أدناها ، من خاصتها إلى عامتها ، من غرفة رئيس الوزراء إلى غرفة المرضع) .

* * *

هذه — أيها السادة — هى المجموعات التى أودعها الأستاذ « كامل » (مكتبة الطفل) حتى الآن ، ومنها يتضح لحضراتكم ، أنه فتح طريقاً معبّداً فى الأدب العربى ، يسير فيه الطفل فرحاً مبتهجاً ساخراً مفكراً .

وقد لاحظت ـ فى أثناء قراءتى لهذه المجموعات ـ أن الأستاذ الكبير عنى ببعض اعتبارات مهمة فى ناحية اللغة .

فمع أن كل القصص مضبوطة بالشكل الكامل ، فإن الكلمة التى تحتمل وجهين من الشكل أو أكثر ، يأتى بوجه منه فى موضع ، وبوجه آخر فى موضع ثان . والمعنى الذى يصلح للدلالة عليه لفظان أو أكثر ، يأتى به معبرا عنه بلفظ من هذه الألفاظ ، ثم يعبر عنه فى موضع آخر بلفظ ثان وهكذا .. ثم الكلمات الأعجمية التى استعربت ، أو وضع مرادف عربى لها ، يأتى بها فى مواضع كثيرة ، ويكررها حتى تثبت فى ذهن الطفل وتصبح مألوفة لديه .

وهذا فيه من الفوائد اللغوية الشىء الكثير ، إذ أن نفس الطفل تشتمل على كل هذا بسهولة ، دون أن يشعر بأنه يحفظ مسائل لغوية ، قد لا تستسيغها نفسه إذا قدّمت له منفردة ، فإيجادها فى تضاعيف القصة مما يجعل الطفل لا يشعر بقصد المؤلف فى تلقينه إياها ، إذ تدخل إلى نفسه مع حوادث القصة ومشاهدها بسهولة ولذة .

هذه هى (مكتبة الطفل) التى وضعها الأستاذ « كامل » .. وقد راجت رواجاً عظيما ، حتى إنهـــا قررت رسمياً فى مدارس « فلسطين » وغيرها من الأقطار الشقيقة ·

ولـكن مما يؤسف له ؛ أنها لم تأخذ حظها الجدير بها فى مدارسنا ، مع أننـا أحقّ بهـــذا التقدير من غيرنا .

ولـكن لا كرامة لنبيّ فى وطنه !

* * *

على أنه سيأتى اليوم الذى تضطر فيه مدارسنا إلى الانتفاع بـ (مكتبة الطفل) التى أنشأها الأستاذ « كامل » .

وسواء أتى هذا اليوم ، أم لم يأت ، فحسب الأستاذ « كامل » أنه أول من هذّب نفس الطفل بقصص جذابة ، وأنها حقاً قد آنسته بعد وحشته .

* * *

والآن أختم حديثى — أيها السادة — بتقديم وافر الشكر لجماعة الشبان المسلمين ، فقد أتاحوا لى شرف التحدث إلى حضراتـكم كما أقدم شكرى لـكم ·

وأرجـــو الله أن يوفقنا لمـا فيه الخير والرقى ؟

أدب الطفل (١)

بقلم الأستاذ محمد مصطفى الماحى

... إنا لنرى كل يوم آثار ما يبذله الغربيون من الجهود التى لا ينقطع مددها فى تنويع (مكتبة الطفل) ، وتغذيتها بكل ما يشبع تلك العقول ، ويمدّها بالقوة والنماء ، من كتب تلائم عقول الأطفال ، إلى مجلات مصورة ، إلى قصص مشوقة ، إلى غير ذلك من الأساليب المبتدعة ؛ كعقد مسابقات بين أطفال فى سن مخصوصة ، لتحرير قصص فى باب معين ، وناحية مختارة ، أو الكتابة فى بحث طريف يناسب مداركهم ، ويدعوهم إلى إعمال الفكر .. وإعداد الجوائز للسابقين والمبرزين منهم ، وتأليف لجان التحكيم من خير رجالهم علماً ، وأسبقهم فى ميدان التحرير والبلاغة ، ونشر خير الكتابات والمصنفات فى كبريات الصحف والمجلات ؛ بل وإذاعة أخبار عنها فى أنحاء العالم .

فأى تشجيع أعظم من هذا ؟ وأى طفل لا يكدّ ويكدح ؛ ليحصل أكبر قسط من التعليم ، حتى يسعده الحظ بالتفوق فى هذا المجال ؟!

ولست أدّعى أن كل ما يضعه الغربيون لأطفالهم يصلح قدوة وأسوة ، ولا أنه جماع مكارم الأخلاق ، والغاية فى رقى البشرية ،

---

(١) من محاضرة نشرتها صحيفة الحال فى ١٩٣٤/٨/٨ .

وإبلاغها مرتبة الكمال .. ولكن أريد أن أسجل لهم جهدهم المشكور في إلهاب عاطفة التشوق للعلم فى نفوس أطفالهم ، وسعيهم على حسب أفكارهم وميولهم فى إذكاء روح العمل ، وحب الاطلاع فى نفوس هؤلاء الأطفال .

فلنعد إذن إلى ما صنعناه نحن لتأديب أطفالنا المساكين . إننا إلى عشرين سنة خلت على وجه التقريب ، كنا ندفع دفعا إلى المدرسة ، وكان أطفالنا يساقون سوقا لأخذ نصيب من العلم والمعرفة .. وكان ذلك كله من أثر الجهالة التى فشت فى البلاد ، والأمية التى خيمت عليها ، اللهم إلا ناحية واحدة من نواحي التعليم هى « الجامع الأزهر » ، وهى ناحية كانت الوجهة الدينية ـ فى الواقع ـ أكبر دافع على الاتصال بها ؛ لما كان للعلماء من السلطة على النفوس ، بسلطان الدين وتقديس العلماء .

فلما اتجه الإصلاح إلى ناحية التعليم شيئا فشيئا ، وفتحت المدارس ، وعرف الناس أنها السبيل إلى سهولة الرزق من باب التوظف على الأكثر ، تسابق الناس عليها .

ولن ننسى أن التعليم كان فى حدود معينة ، ولغايات مقصودة .

وليس هذا وقت الإفاضة فى شرحها ، ولا هذه مناسبته ، وإنما أريد أن أقرر أن التعليم لم يكن مقصوداً به توليد قوى ترفع مستوى الأمة ، وتهيئة سبلها لإحلالها مكانها بين أمم الاختراع والابتداع .

كلا ، لم يكن المقصود شيئا من ذلك ، ولا بعضه .

لذلك شمل الإهمال ـ الذى كان باديا أثره فى تكون الأمة من الوجهة العملية ـ كل مراحل العمر ، وأخصها مرحلة الطفولة .

لم يكن ـ إلى نحو عشر سنين مضت ـ فى متناول أطفالنا أن يقرأوا شيئا لتثقيف عقولهم ، غير ما كان يقدم لهم من كتب المطالعة المملولة ، التى كانوا ينظرون إليها نظرة الخائف ، ويعاملونها معاملة الكتب العلمية البحتة ؛ فإذا انصرفت رغبة الواحد منهم إلى التعمق قليلا فى البحوث الأدبية ، لم يجد أمامه إلا كتب الأقدمين ، التى ترتفع عن مستوى عقله ، والتى لا تشوق من كان فى مثل سنه وفكره . وإذا لم يكن الإقبال على الكتاب عن رغبة وحب ؛ فلا خير فيه ولا ثمرة له !

والطفل إذا لم يجد من الوسائل ما يشوقه إلى المطالعة بشغف يملأ نفسه بحب الاطلاع ، وهو فى سنه الأولى ، شبّ غير محبّ للمطالعة ، ولا راغب فى تنمية ثروته العلمية ، وراح يتلمس تزجية الفراغ فيما لا غنى فيه ، أو فيما يضرّه .

فكان من واجب العاملين لخير هذا البلد وأهله ، أن يعملوا لسقى هذه الأعواد النضرة ، وأن يوالوا أغصانها بالتهذيب ، وليس أفضل فى هذا الباب ، من الكتاب !

وإنه ليحزننا أن نجد هذه الناحية من أدبنا العام ـ على ما لها من الخطورة ـ فقيرة ؛ مقصورا العمل فيها فى الغالب على الكتب المدرسية ، ولا نجد من رجال التربية عندنا ، ولا من فضلاء كتابنا جهودا ، تبذل لتكوين (مكتبة الطفل) ، واستغلال لدونة عوده ، ولين عقله ، لتوجيهه إلى أشرف المقاصد .

وإذا كنت أنعى على كتابنا تقصيرهم فى هذه الناحية من الأدب ـ أدب الأطفال ـ لتكوين (مكتبة الطفل) ، فإنى أجد الإنصاف يدعونى إلى أن أشيد بفضل من سبقوا إلى عرفان هذه

الحقيقة ؛ فمدّوا أيديهم إلى أطفالنا ، ووضعوا لهم مجموعات شائقة من القصص والطرائف ، استهوت نفوسهم ، وخلبت ألبابهم ، وجعلتهم يقبلون على القراءة بشغف عظيم .

نعم ، هنالك جهود فردية ، بذلها بعض كتابنا وشعرائنا ؛ فوضع الأستاذ « الهراوى » كتبه العديدة التى سماها (سمير الأطفال) ، وبثّ فيها كثيرا من الحكم والفضائل ، وعنى فيها بتلقين الأطفال كثيرا من الألفاظ العربية ، مما يقع تحت أسماعهم وأبصارهم .

ووضع الأستاذ « حامد القصبى » كتابه فى التربية بالقصص ، فجمع فيه بضع حكايات اختارها من الكتب الإنجليزية ، التى عنى مؤلفوها بتنمية مدارك الأطفال ..

ووضع غيرهما فى هذا الباب كتبا أخرى ، فهم مشكورون ومأجورون ..

ولكن ذلك ليس كافيا فى إنشاء (مكتبة الطفل) فى العالم العربى .

إن (مكتبة الطفل) لتتطلب مجهودا أكبر من هذا ، وعملا أوسع وأفسح مدى .

وكأن الله قيّض لهذا الباب الطفل الصغير « مصطفى كيلانى » .

لاحظ والده الأستاذ « الكيلانى » ميلا منه إلى القراءة والاطلاع .. ولم يجد طلبته فيما بين يديه من الكتب العربية ؛ فانصرف إلى التأليف لولده ، بدافع حبه لفلذة كبده ، فكان عمله فى أول مرة نوعا من الأثرة ، قصد به إلى تربية ابنه .. فانتهب ولده ما ألفه له الوالد واستزاده منه ، ثم لمس الأستاذ « كامل » الفائدة الأدبية التى اكتسبها الأطفال من عمله ، وتذوقه لذة النجاح ، فانصرف إلى إنشاء (مكتبة الطفل) بقصصه وحكاياته المصوّرة المشوقة الجذابة .

وكلنا نعرف فضله وسبقه فى هذا الميدان ، ونعلم كيف استقبل العالم العربى : بل كيف استقبلنا ـ نحن الآباء ـ تلك المنتجات الفكرية كفتح فى أدب الأطفال ، وغنيمة من الكتب ، كنا نقدمها إلى فلذات أكبادنا مسرورين حين نجدهم مقبلين على قراءتها ، يكادون يلتهمون صحفها ؛ وهم يستزيدوننا منها ، ويتمنون لو أن لهم من هذا البيان مَدَدًا لا ينقطع فيضه .

لقد وضع الأستاذ « كامل » ـ لا أقول لبنة فى إنشاء (مكتبة الأطفال) ، ولكنه شاد أساساً متينا برّمته ، وضع سلسلة من ست عشرة قصة للأطفال ، اقتبس أكثرها من القصص العربى .

ثم اتجه إلى الاقتباس من القصص الغربى ، فوضع قصة « روبنسن كروزو » وقصص « شكسبير » للأطفال .

وأعد نفسه لوضع طائفة من أشهر القصص كرحلات « جلفر » و « الكوميديا الإلهية » و « دون كيشوت » و « شمشون الجبار » و « رحلات ابن بطوطة » .

* * *

ولقد أضاف إلى جهده المشكور فى وضع القصص بأسلوبه البديع وعباراته السهلة المشوقة ، جهداً أعظم وأدعى إلى الفائدة والنفع ؛ فإنه أبرز هذه القصص فى حلة قشيبة من التزيّن والصور والشكل ، جعل الأطفال يتسابقون إلى قراءتها ، والانتفاع بها .

وهذا هو الغرض الأول والأسمى من تأليف قصص الأطفال .

وكان لمجهوده هذا الفضل الأول فى إدخال هذا النوع من الصور ، والاتفاق مع المطابع المصرية التى تلقت عمله بالتشجيع العظيم ، وعاونته خير المعاونة ؛ فتألفت بمجهودَى المؤلف والناشر مجموعة جديرة بأكبر الثناء وأطيبه .

وإن ما ننتظره منهما ، وما نرتقبه ويترقبه العالم العربى ليجاوز هذا الجهد إلى أضعافه ؛ حتى يرتفع البناء الذى بدأ ، فيطاول أمثاله فى الأمم الغربية الراقية .

* * *

وليس يخفى عليكم ـ أيها السادة ـ أن هذه الناحية فى البحث أشق على نفسى من غيرها ؛ لاتصالها بالجانب الشخصى .

فرب قائل يقول : إنه مال مع الهوى والعاطفة .

ولكن حاشاى أن أكون ذلك المائل إلى غير الحق .

إن هذه المجموعة الضخمة التى بين يدى لتجمع بين دفتيها بعض ما كتبه الأدباء والكتاب الفضلاء ؛ ليس فى « مصر » وحدها ؛ بل فى العالم العربى بأسره ؛ تنويها بذكر مجهود الأستاذ « كامل » ، وإشادة بفضله ، وتشجيعاً له على المضى لسبيله .

فعليه ألا يأخذه الزهو ؛ فهو لا يزال فى مفتتح الطريق ، وفى المرحلة الأولى من سيره ؛ فإن الوطن والعالم العربى والأجيال القادمة لتتطلب منه مجهوداً أوفى ، وعناية أكبر .

إن أطفالنا ليسوا أقل رغبة فى العلم والتثقيف ، ولا أقل قابلية للتعليم والتهذيب .

إن أطفالنا لتوّاقون إلى الأدب ، شغوفون بتعرف أسرار الحياة والتغلغل فى مناحيها المختلفة .

فلم لا نحسن استغلال هذه العواطف الكريمة ، ولم لا نغرس فى نفوسهم ـ من الصغر ـ حبّ الكتاب ، فنراهم يشبّون وقد نمت فيهم الرغبة لتكوين ثروتهم العلمية ؟!

إن كان لبعض كتابنا الفضلاء فضل فى إنشاء (مكتبة الطفل) ابتداء ، وسعى محمود فى تغذيتها بذلك المجهود المشكور ؛ فإنه لا يزال فى ميدان العمل متسع للكثير !

أجل ! إنا لنطالب من سبقوا فى هذا الميدان بالسير فى هذه الخطة خطى أوسع ، وأن يأخذوا من تجاربهم الماضية ما يكملون به ما فاتهم ، ويضيفوا إلى تضحيتهم السابقة تضحيات أخرى .

فليكتبوا فى الأخلاق ، وليكتبوا فيما يحبب الأطفال فى أوطانهم ، وليكتبوا فيما يبث فيهم المروءة والشهامة وحب الواجب ، ويبثوا فى قلوبهم طاعة الوالدين والمعلمين ، ويسردوا عليهم قصص الأبطال ورجال التاريخ ؛ ليتخذوهم أسوة لهم ، وتنمو فى نفوسهم روح العمل والجد والنشاط والبطولة ؛ ليوجهوهم توجيها خالصاً صادقا للنواحى الأدبية الكريمة ؛ فيثقفوا أذهانهم بما أنتجه الأدب السامى فى مغزاه ، الشريف فى معناه ؛ ليغرسوا فى نفوسهم - بأساليبهم المشوقة والأخاذة - الفضائل النفسية ، كضبط النفس ، والرأفة ، والإحسان إلى الفقراء ، والشجاعة ، وقوة الإرادة ، وغير ذلك .

فذلك كله سبيل إلى المجد ، وأساس من أمتن الأسس التى تبنى عليها أمة صالحة ، وشعب كريم .

كامل كيلانى : خادم الأطفال[1]

بقلم الأستاذ سلامة موسى

ليست مصر جنّة الأطفال . بل نستطيع أن نقول : إنها -من ناحية ما- تعدّ جهنم ؛ إذا ذكرنا مثلا أن وفيات الأطفال الذين لم يتمّوا سنة من العمر تزيد فى مصر على وفياتهم فى الهند .. ومعنى هذه الزيادة أن الطفولة المصرية تعانى أكبر الآلام التى لا يعانى مثلها أطفال أى قطر آخر فى العالم ؛ لأن الهند هى مضرب الأمثال فى الطفولة المهملة .

ولكن الطفل المصرى بعد أن يتجاوز خط النار الأول ، أى نهاية السنة الأولى من عمره ، لا يجد المستقبل أمامه زاهراً .

فقد تقرأ تقريراً عن التجارة والصناعة لإحدى الأمم المتمدنة ، فتجد أن صناعات الطفولة - مثل اللعب - تقدر بالملايين من الجنيهات ، وهى تستهلك داخل البلاد ، وتصدر إلى الأقطار الخارجية .

* * *

وقد تقرأ قصة سياسية فى اليابان ، فيدهشك من المؤلف أن يخصّ بضعة فصول للأطفال ، يصف فيها أعيادهم - أجل ! للأطفال أعياد فى اليابان - ولعبهم وملابسهم ، كأن نظام الدولة كله مهيأ لسعادة الأطفال .

وقد تسأل عن قائمة الكتب لأحد الناشرين فى « لندن » أو « باريس » ، فيأخذك العجب ، لأن هذا الناشر أو ذاك ينفق

---

(١) المجلة الجديدة فى ١٦ نوفمبر ١٩٤١

المال ، ويستخدم الفن ، لإخراج كتب فريدة فى أناقة الطبع وبهجة الألوان ، وجمال التصوير ، ولباقة الإخراج ، ولذّة القصص والموضوعات .. وكل هذا للأطفال .

وأنا كفيل - أيها القارىء - بأن أعدّ لك لا أقل من عشرة آلاف كتاب أخرجتها المطابع فى « إنجلترا » و « فرنسا » و « أمريكا » فى أقل من خمس سنوات . وكلها للأطفال .

وقد تحدثت إلى أطفال دون العاشرة فى « لندن » يقرأون قصص « دكنز » .

وتحدثت إلى أطفال فى « باريس » يشرحون عدد الطائرة . ويسألنى أحدهم فى فضول ذهنى راق : هل الفيل يعيش فى مصر ؟ !

مثل هؤلاء الأطفال سعداء ، ودنياهم هى دنيا الأطفال ! .

ونظن أننا سنحتاج إلى عشرات السنين قبل أن تتغير قلوبنا ، وتستنير عقولنا ، ونعرف أن الطفل يستحق الاحترام ، وأنه يجب أن يكون له فى بلادنا خدم ؛ يرصدون عمرهم ومالهم وصحتهم لإسعاده وتنويره ، وترقيته وتسليته .

* * *

والواقع أن عندنا الآن بعض هؤلاء الخدم الذين يؤتمنون على الطفولة ويحبون الأطفال . وهم بالطبع روّاد فى طريق جديد ، هم الذين يشقّونه ، ويتكبدون فى هذه الخدمة كل ما يعترض الرائد من مشقات .

ومن هؤلاء هذا الأستاذ الأديب المحبوب « كامل كيلانى » فإن شعاره نحو الأطفال هو شعار ولى العهد فى بريطانيا : « ايش دين » أى أنا أخدم . .

وجمهور القراء يعرف « كامل كيلانى » بأدبه ، بل بتخصصه فى دراسة « أبى العلاء » .. وهى دراسة جديرة بأن تستوعب عمراً أو أعماراً ؛ ولكنه - إلى هذا العناء - يرصد ما بقى من عمر ومال وصحة لإسعاد أطفالنا ، وتنويرهم وترقيتهم وتسليتهم ؛ فقد أخرج - إلى الآن - ما يقرب من أربعين كتابا ؛ هى جنة الطفل السعيد ؛ لأنها تفتح لذهنه الصغير كوّة يُطلّ منها على عالم من الخيال والحقيقة ، ويبعث فيه فضولا راقياً ؛ يحثه على التعرف والنمو الثقافى .

و (مكتبة الأطفال) التى ألّفها الأستاذ « كامل كيلانى » هى مجموعات من القصص : منها القصص الفكاهية مثل « الأرنب الذكى » و « عفاريت اللصوص » ، ومنها القصص الهندية التى تثير الخيال الطفلى ، وتصل ما بين الطفل وبين الآداب القديمة فى رفق ولذّة .

ومنها قصص « شكسبير » التى تعقد أواصر المعرفة بين أطفالنا وبين شاعر الإنجلوساكسون . بل منها القصص التى يدخل منها الطفل الى دهليز صغير مرتب ، يؤدى به الى « ألف ليلة » و « جحا » ، ومنها ... ومنها ...

وأنا أقرأ كتب « كامل كيلانى » الأديب ؛ فأنتفــع بها وأعجب به .. ولكنى أتصفح كتبه التى ألفها للأطفال ، فأحبه !..

المعرى للأطفال[1]

- على هامش الغفران -

بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى

نوّهت فى فصل سابق بكتابين للأستاذ « كامل كيلانى » هما : « رسالة الهناء » و « حديقة أبى العلاء ».

وهذا كتاب ثالث له يدور حول « أبى العلاء » أيضاً ، فإن هذا موسمه على ما يظهر ، أخرجته له « مكتبة المعارف » فى ١٥٨ صفحة من القطع الصغير ، بالحرف الجليلى الذى لعله أصلح للعناوين ، وبالشكل الكامل تقريبا ؛ على نحو ما تشكل الكتب لتلاميذ المدارس.

* * *

وقد قلت إن كتب الأستاذ « الكيلانى » ليست بحوثاً أو دراسات ، وإنما هى تيسير وتبسيط ا « أبى العلاء ».

وقد عرف الأستاذ « كامل » بأنه من خير من يؤلفون للأطفال ، وما يسميه (مكتبة كيلانى للأطفال) ذخيرة نافعة لهم ولا شك .

وهذه الكتب الثلاثة من هذا القبيل ؛ حتى ليصح أن تدخل تحت عنوان عام هو : (المعرى للأطفال) :

وأحسبه قد قصد إلى ذلك ، فإنى أراه فى الصفحة الحادية والعشرين من كتابه « على هامش الغفران » يستطرد إلى ذكر قصة خرافية ، ويقول فى الهامش : انظر إلى قصة « بساط الريح » ، وهى القصة الثانية من « مكتبة الجيب للأطفال » .

وما كان ليفعل ذلك ، لو كان يتوجّه بكتابه إلى الكبار .

---

(١) جريدة البلاغ فى ١٧ سبتمبر ١٩٤٤ .

وأسلوب التأليف نفسه يشهد بأن الأطفال ـ أو المبتدئين ـ هم المقصودون بهذا الكتاب فهو يقول :

(وقد جعلنا هذا الهامش تبيانا لما أحاط بـ « رسالة الغفران » من ملابسات ، وما بعث عليها من دوافع : حتى يأنس القارئ بجلية خبرها فيما يطالع من صورها) .

ثم بسط دواعي الرسالة ، فبين أن « ابن القارح » . . كان يحمل رسالة إلى « المعرى » من « أبي الفرج » . . فسرقها لص من « ابن القارح » في جملة ما سرق ؛ فكتب رسالة طويلة إلى « المعرى » ينبئه فيها بضياع الأمانة التي حملها ، ويشرح فيها حاله وما لقي في حياته ، ويلخص آراءه ويتعالم .

فردّ عليه « أبو العلاء » بـ « رسالة الغفران » .

وقد ملأ هذا العرض أو البيان مائة صفحة من الكتاب ، ولسنا نستكثرها ؛ فإنها لازمة لمن لا يعرف « المعرى » ولم يسبق له به عهد .

وانتقل بعد ذلك إلى ما سماه (ترجمة مقدمة الغفران) ، وهو يريد بالمقدمة فاتحة الرسالة ، ونصها يأخذ من كتابه خمس صفحات ، أما الترجمة ففي عشرين صفحة .

وقد سمى هذه الفاتحة أو المقدمة « قصة القلب » أو « قصة الحماطة » ، والحماطة شجرة التين في حالة اليبس ، أو هي حبة القلب ، وليس هناك قصة ، وإنما هو تشبيه ..

والقول بأنها قصة يوهم القارئ غير الحقيقة ، ويصور له « أبا العلاء » تصويراً مشوّهاً ممسوخاً .

وأحسب أن الأستاذ « الكيلانى » إنما زعم أن هناك قصة ، ليجتذب الأطفال إلى الكتاب ، ويغريهم به ويحببه إليهم ؛ ولكنه يحسن جدا إذا عدل فيما ينوى أن يخرج من كتب أخرى عن مثل هذا التجوّز .

وله فى الكتاب - فى متنه وهوامشه - استطرادات عجيبة لا داعى لها ، وإن كانت لا ضير منها ، مثل نقله قول « الغزالى » و« أبى حيان التوحيدى » وغيرهما فى : القلب والروح والنفس والعقل، إلى آخر ذلك . وخليق بالأطفال أن يشقَوْا به .

وقد عنيت بهذا الكتاب - وإن لم يكن للكبار - لأنى رأيته جزيل النفع للصغار ؛ فأردت أن ألفت إليه الآباء والمعلمين ليقتنوه لأبنائهم ، أو يوجهوهم إليه ويدلّوهم عليه .

ولى ملاحظة هيّنة على قوله : إن « المعرى » كان يصانع .

ولست أراه كذلك ، وإنما هو متحرز . وقد فرضت عليه آفته ذلك ، ولم يكن - مع هذا - يكتم رأيه ؛ بل كان يعالن به حينا ، ويلمح إليه تارة ، أو يسوقه مساق السخرية والتهكم .

والله يثيبه ، ويحسن جزاءه .

مَعْلَمُ الجيل الجديد[1]

بقلم الأستاذ طاهر الطناحى

عرفت الأستاذ « كامل كيلانى » معرفة روحية ، قبل أن أعرفه معرفة شخصية بنحو عشر سنوات . فقد كنت تلميذا بالمدارس الثانوية سنة ١٩٢٤ ، وكان هو أديبا لامعا ، ورائدا معروفا من روّاد نهضتنا الأدبيـة والثقافية التى وثبت نشيطة قوية بعد ثورة سنة ١٩١٩ الوطنية .

١ — أستاذ الشباب :

وكنت — وقتئذ — ناشئا ، مولعا بالأدب وأعلام الأدباء ، وقد صدر - وقتئذ - لشاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء : « أبى العلاء المعرى » ديوانه (لزوم ما لا يلزم) ، مصدراً بمقـدمة تحليلية قيمة للأستاذ « كامل » .

وقد أشرف - إلى ذلك - على طبعه وتصحيح غريبه ، ومقابلته بالنسختين : الهندية والمصرية .

ثم صدرت بعد ذلك بعام — أى سنة ١٩٢٥ — « رسالة الغفران » ؛ بإيجاز وشرح نفيس للأستاذ « كامل » أيضا .

وكنت توّاقا لدراسة « المعرى » من دواوينه ومؤلفاته ، بعد أن قرأت تاريخ حياته ، فوجـــدت — لأول مرة — حاجتى فى هذين الـكتابين ، وكانا - هما - المعلمين(٢) الأولين لمعرفتى بـ «المعرى» معرفة دراسية دقيقة ...

---

(١) الهلال فى عام ١٩٥٤

(٢) المعلم : الأثر يستدل به على الطريق .

فأنا ـ فى ذلك التاريخ ـ كنت أجد تلامذة (مكتبة الشباب) الأدبية الأولى ، التى أنشأها الأستاذ « كامل كيلانى » فى نهضتنا الجديدة ، التى انبعثت — كما قلت — بعد نهضة سنة ١٩١٩ الوطنية ، وخطت بشباب ذلك الجيل فى ميدان الأدب خطوات واسعة .

٢ — الفن العلائى :

ولقد زادنى تحليله لفن « أبى العلاء المعرى » ـ فى (لزومياته) و « رسالة غفرانه » ـ حبّا فى هذه الدنيـا الفكرية التى أحدثها « أبو العلاء » : ذلك الشاعر العالم الفيلسوف ، الذى جمع من علم الأمم ، وفلسفة الشعوب ، وأخبار الناس ، ما جعله يقول ، صادقا فى قوله :

« ما مَرَّ ـ فِى هٰذِهِ الدُّنْيا ـ بَنُو زَمَنٍ

إِلَّا وَعِنْدِيَ مِنْ أَخْبارِهِمْ طَرَفُ »!

فالأستاذ « كامل » عرّفنى — كما عرّف غيرى من الشباب المتأدبين — كيف نقرأ « أبا العلاء » ، وكيف نعرف دقته فى تعبيره ، وكيف نفهم أهدافه فى معانيه ، وكيف نستمتع بعلمه وفلسفته ، ونرتوى من منهل فنه الجميل ، وإنتاجه المعجز !

٣ — اللقاء الأول :

وكان أن سرّتنى الأيام بمعرفته ، وأسعدتنى بلقائه سنة ١٩٣٤ . وقد أبى إلا أن يكون متفضلا علىّ من علمه ، مهديا إلىّ من أدبه هذه الهدية النفيسة ، وهى دراسته الجديدة لديوان « ابن زيدون » ..

فقد كان هذا الديوان مهملا محرّفا ، محجوبا يتيما ؛ فأخرجه حيا محققا .. وقاسى ما قاسى فى تهذيبه وتصحيحه ، وشرحه بما جلا درره ، وجعله خير ذخيرة فنية لأدباء العربية ؛ حتى قال فيه « شوقى » :

يا « ابْنَ زَيْدُونَ » مَرْحَبا قَدْ أَطَلْتَ التَّغَيُّبا

إِنَّ دِيوانَكَ الَّذِي ظَلَّ سِرًّا مُحَجَّبا

يَشْتَكِي الْيُتْمَ دُرُّهُ وَيُقاسِي التَّغَرُّبا

صارَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ لِلْادَباءِ مَطْلَبا

جاءَنا (كامِلٌ) بِهِ عَرَبِيًّا مُهَذَّبا

تَجِدُ النَّصَّ مُعْجِبًا وَتَرَى الشَّرْحَ أَعْجَبا)!

٤ — المكتبة العلائية :

ولم يقف الأستاذ « الكيلانى » عند ذلك فى (مكتبة شباب الأدباء) ؛ بل جعل لهم مكتبة أدبية أسماها (المكتبة العلائية) ؛ تشمل طائفة من تحليل مؤلفاته ، ودراسة دقيقة لآثاره .. فكان أول من أسس مكتبة أدبية للشباب ، وأول مؤسس لهذه (المكتبة العلائية) فى الشرق العربى .

٥ — مكتبة الأطفال:

ثم كانت المرحلة الثانية ، حين اتجهت عنايته ـ منذ سنوات ـ إلى تأسيس أول (مكتبة للأطفال) ، بلغت قصصها ـ حتى الآن ـ ما يربو على مائة وخمسين قصة ؛ الغرض منها تعليم الأطفال القراءة بطريقة سهلة ميسرة ، وتغذية عقولهم بأطرف القصص ، وأنفع المعلومات التى تناسب سنهم ، وتقوّم ملكاتهم .

فامتازت قصص هذه المكتبة ـ عما كنا نعهده من كتب مطالعة الأطفال بالمدارس المصرية وغيرها فى الأقطار العربية ـ بأنها تسير على أحدث طرق التربية الصحيحة ، التى تربى الذهن ، وتعلم الأدب ، وتشوق الناشئ إلى المعرفة ، وتحببه فى القراءة ، وتنمى ملكة تفكيره ، وتعوّده سلامة التعبير ، وفصاحة اللسان ؛ بأبسط بيان ، وتجعل اللغة الفصحى سليقة له ، وقريبة إلى متناوله ؛ حتى إذا كبر ، تعوّد الحديث بها فى سهولة ويسر .

٦ — **الجيل الجديد :**

ولا شك فى أن الجيل ـ بفضل طريقة « الكيلانى » ـ سيصبح أسلم نطقا ، وأصح تعبيرا ، وأقوم لسانا من آبائه وأجداده !

وستنهزم العامية وتنتصر الفصحى فى مستقبل الأيام ، وتكون هى اللغة المتداولة بين معظم المتعلمين .

والفضل الأوفر فى ذلك لـ (مكتبة الأطفال) ، التى أسسها وابتكرها الأستاذ « كامل كيلانى » .

٧ — **مكتبة « الكيلانى » وترجمتها :**

أما المرحلة الثالثة لجهود « الكيلانى » فى خدمة الشباب ، وخدمة الأطفال ، وتضحياته الكبرى فى خدمة النهضة التعليمية والثقافية فى مصر والأقطار العربية التى جعلته من خير الآباء على حد قول الشاعر :

مَنْ عَلَّمَ النَّاسَ كانَ خَيْرَ أَبِ

تلك المرحلة هى إنشاء سلسلة قصصية جديدة باللغة العربية ، وترجمتها باللغات الأجنبية . فقد وضع نحو أربع عشرة قصة بالعربية ، وأمام النص العربى ترجمة أمينة بإحدى اللغات : الإنجليزية أو الفرنسية ، أو الألمانية ، أو الإيطالية ، أو الإسبانية .

والغرض من هذه السلسلة الجديدة تيسير تعلم اللغات الأجنبية على قراء العربية ، وتيسير تعلم اللسان العربى على قراء اللغات الأجنبية .

ولا ريب أن الأستاذ « كامل كيلانى » يقوم فى هذه القصص الجديدة بأكبر خدمة ثقافية ، ينفرد بها عن جميع من يقومون فى هذا الميدان .

فهو يعلّم النشء العربى اللغات الأجنبية بطريقة سهلة ، كما يعلّم الأجانب اللغة العربية بنفس هذه الطريقة : ولكنه فى الوقت نفسه يعمل على نشر اللغة العربية فى الأوساط الأجنبية ، وفى الأقطار التى تصل إليها هذه القصص بلا عناء .

بل إنه حطم السدود والقيود ، وأزال الصعاب من طريق محبّى العربية من غير العرب ، فهو يقوم ـ إذن ـ بخدمة قومية كبرى للعروبة فى نشر اللغة العربية فى البلاد الأخرى .

٨ـ تعميم الفصحى :

وإذا كانت بعض البلاد الشرقية الكبرى ، كـ « باكستان » و « إندونيسيا » و « الهند » و « سيلان » و « الفلبين » وغيرها من البلاد الإسلامية ـ فى « آسيا » و « إفريقيا » ـ قد عنيت بنشر اللغة العربية بين أبنائها الذين عليهم المستعمرون لغاتهم ، فإن هذه الأقطار ستجد فى (قصص الكيلانى المترجمة) خير وسيلة لنشر اللغة العربية بين سكان هذه البلاد ، ونشئها الجديد ؛ لأنهم سيقرءون ـ إلى جانب اللغة التى يتحدثون بها ويستعملونها ـ ترجمتها الصحيحة السهلة باللغة العربية ؛ فتكون وسيلتهم العربية للاتصال الثقافى بينهم وبين بلاد العروبة والثقافة العربية .

ويومئذ تكون اللغة العربية أوسع لغات العالم انتشارا !

٩ — ثراء ورخاء :

ولهذا : فإنى أهيب بالهيئات العربية والإسلامية أن تعمل على الاستفادة من (قصص الكيلانى المترجمة) - فى هذه السبل - إلى أكبر حد ممكن .

وفى مقدمة هذه الهيئات (جامعة الدول العربية) و (المؤتمر الإسلامى) . وفى كل من هاتين الهيئتين إدارة للشئون الثقافية ؛ تستطيع أن تعمل للاستفادة من هذه القصص ، وهى عندى خير من تصدير الكتب القديمة أو الكتب العلمية الضخمة، التى لايستفيد منها إلا طائفة محدودة من المثقفين ؛ لأن تلك البلاد فى حاجة إلى تعلم اللغة العربية وانتشارها انتشاراً واسعاً بين جماهير السكان ، أكثر من حاجتها إلى تثقيف خاصة المثقفين منهم ، الذين ترجموا حتى « القرآن » إلى اللغة الإنجليزية !

فنحن نريد — كما هم يريدون — أن يتعلموا اللغة العربية ، ليقرأوا القرآن والعلوم الإسلامية بهذه اللغة ، وكما يريدون أن يتصلوا بإخوانهم العرب المسلمين عن طريق لغة دينهم.

وقد أصبحت حياتهم وشبكة الاتصال السياسى والاجتماعى بمصر وشقيقاتها العربية ؛ بل إن زعماءها وقادتها يعملون على تقوية الاتصال بين بلادهم وبلاد العروبة .

١٠ — نشر الثقافة :

وإن (مكتبة الأطفال) لـ « الكيلانى » - بقصصها المترجمة - لهى خير وسيلة إلى تحقيق ما ترمى إليه هذه الشعوب من نشر اللغة العربية بأسهل طريق ، كما هى خير وسيلة لتحقيق ما يهدف إليه

(المؤتمر الإسلامى) ، وما تعنى به (جامعة الدول العربية) من نشر الثقافة العربية ، بين هذه الأمم ؛ لتزداد اتصالا بهم ، ويزدادوا اتصالا بنا .

ولا ريب أن غرس هذا الاتصال فى النشء ـ منذ الصغر ، عن طريق تعليم اللغة والقراءة ـ يؤتى ثمراته الطيبة فيما بعد ، وينمى الثقافة العربية فى هذه الأمم تنمية كبيرة .. وقد قيل :

تَرَقَّ إِلَى صَغِيرِ الْأَمْرِ حَتَّى ... يُرَقِّيَكَ الصَّغِيرُ إِلَى الْكَبِيرِ
فَتَعْرِفَ بِالتَّفَكُّرِ فِي صَغِيرٍ ... كَبِيرًا بَعْدَ مَعْرِفَةِ الصَّغِيرِ !

١١ — تيسير اللغات الأجنبية :

وكتب المطالعة خير وسيلة لتعلم اللغات ، ولا سيما إذا كانت بالطريقة التى اتبعها « الكيلانى » فى قصصه المترجمة .

وقد قال « إرنست رينان » :

« مهما اعتقدتم فى أنفسكم المقدرة والنبوغ وسعة الاطلاع ، فإنكم تظلون دائما فى حاجة إلى الاستزادة من المعارف ، ولن يكون ذلك إلا بواسطة المطالعة » .

فالمطالعة : هى الغذاء الضرورى للصغير والكبير . فإذا كانت محببة إلى النفس ، بما تبدو فيه من بديع الإخراج ، وروائع الصور ، كما فعل « الكيلانى » فى هذه القصص ، متدرجا بها من رياض الأطفال إلى ختام التعليم الثانوى ، ومن التعليم الثانوى إلى (مكتبة الشباب لـ « الكيلانى ») ـ فإننا لنهنئ أنفسنا بأن وجدنا فى حياتنا الثقافية ثروة جديدة من المطالعة : تخلق فى جيلنا الجديد الرغبة

فى المثابرة على القراءة ، وتعلم أبناءها كيف يقرءون باللغات الأجنبية — كما يقرءون بلغتهم العربيـــة — بلسان فصيح ، وتعبير سلس .

١٢ — غذاء الروح :

وسنجد أن مشكلة عزوف الشباب عن مواصلة الاطلاع قد انحلت ؛ لأن قصص « الكيلانى » قد غرست فى طفولتهم الرغبة فى العلم ، والإقبال على القراءة ، وجعلتهم — منذ الصغر — يستمتعون بأشهى غذاء للنفس والعقل والوجدان ، فيشبّـون وقد تعوّدوا أن يجدوا للعلم والثقافة لذة تفوق جميع لذات الحياة ، وأن غذاء النفس أنفع من غذاء الجسم ، وأن خير جليس فى الأنام كتاب ، كما أن خير جليس للأطفال هى تلك القصص الشائقة التى تصدرها (مكتبة الأطفال) لأديبنا النابغة « كامل كيلانى » .

جحا قال : يا أطفال[1]

بقلم الدكتور مختار الوكيل

رحم الله الحاج « محمد الهراوى » ؛ فقد أحدث فى الأدب العربى فنا جديدا ، وأخذ نفسه فى جد وإخلاص بمعاناة الكتابة لناشئة الجيل ونابتة المستقبل ؛ فأبدع منظومات لطيفة سهلة العبارة ، دانية المأخذ ، فى بحور رقيقة وألفاظ عذبة ، عالج فيها — لأول مرة فى اللغة العربية على ما نذكر — موضوعات تلائم روح الطفولة المرحة . فلم تلبث تلك المنظومات القصصية أن انسابت فى نفوس الناشئة انسيابا ؛ فكأنها الماء الزلال ، أو النمير العـــذب السيال ، أو الخمر الحلال !

فمن من شبيبة اليوم ـ فى « مصر » أو فى غيرها من الأقطار العربية ـ ذلك الذى لم يطالع طرفا من تلك المنظومات السهلة القريبة المأخذ ؟ !

* * *

وهكذا شاءت المقادير أن يكون الحاج « محمـد الهراوى » — عليه رحمة الله — رائدا من رواد أدب الأطفال ، الذين امتلأت قلوبهم محبة للوطن ، فلم تلبث تلك المحبة أن اتخذت صورة عملية رائعة : هى هـــذه المنظومات التى لا تخلو من الشاعرية النبيلة الرصينة .

ولقد أصاب « الهراوى » من جرّاء هذه المحاولة الطيبة رذاذ من تهكم الفارغين ، ونكات اللاهين العاجزين ، الذين لا يحسنون شيئا ، ولا يدعون غيرهم يأتون بشىء من الأشياء المتسمة بالإحسان

(١) منبر الشرق فى ٤/١٠/١٩٤٦ .

والإبداع .. ولكنه ـ رحمه الله ـ جعل ذلك النقد دبر أذنه، ومضى قدما فى تلك الطريق الجديدة ، لا يلوى على شىء ، ولا يطلب غير بلوغ الهدف الذى جعله نصب عينيه ، وكتب الله له النجاح والتوفيق فى ذلك الميـــدان الجديد : ميدان تربية نابتة الجيل ، وتوجيههم وجهة طيبة صالحة ، لخيرهم ولخير الوطن .

ولقـد حسب بعض المتنطعين الكسالى من رواد المقاهى ، والمتندّرين فى الأندية اللاهية الماجنة ، أن الكتابة للأطفال عجز من الحاج « محمد الهراوى » ما بعـــده عجز ، وخيل إليهم أنه فرّ بأدبه من ميدان الكتابة والنظم لكبار المتأدبين والبالغين ؛ فأتى بمنظومات سهلة للأطفال حيث الميدان مفتوح له ـ وحده دون سواه ـ ولا منافس له فيه ولا قِرْن .

ونسى أولئك المتجنون ، أنه ـ رحمة الله عليه ـ كان شاعراً ممتازاً بين شعراء جيله ، وأنه عالج النظم فى مختلف الشئون الوجدانية ، وشتى المسائل الاجتماعية والوطنية ؛ فأصاب فى تلك الميادين جميعا نصراً وتوفيقا لا بأس بهما ..

وأنه عندما حاول النظم للأطفال ، إنما كان يهدف إلى تأدية رسالة عظيمة ، شعر فى قرارة نفسه أنها بحاجة إلى التأدية ، خدمة للناشئين .

ويقينى أن جيلا من الأجيال القادمة سيضفر أكاليل المجد والفخار لذلك الرائد النبيل .

ويبدو لى — منذ الساعة — أن ذلك التقدير الحقّ سيكون قريبا بإذن الله .. ومما يؤكد هذا الرجاء فى نفسى أن كثيراً من الأدباء الجادّين قد أخذوا يصدرون كتبا أدبية وقصصا تاريخية ومبتدعة للأطفال دون سواهم ، وأن الناس بدءوا يقدرون تلك المؤلفات حقّ قدرها .

وفى طليعة أولئك الذين وجّهوا جهودهم المشكورة تلك الوجهة المحمودة المشكورة ، الأستاذ الأديب البحاثة « كامل كيلانى » ، الذى أصدر (مكتبة للأطفال) ، إلى جانب مكتبة أخرى للشباب ، ظهر فيها تضلعه وتمكنه فى البحث والدرس والتمحيص والتوجيه .

فوجب علينا ، وعلى كل متصدّ للنقد الأدبى فى ديار العروبة ، توجيه خالص الثناء إليه .

وإذا كان « الهراوى » ـ رحمه الله ـ قد قوبل بشىء من استهزاء الماجنين ، وعبث اللاهين العاجزين ، عندما كتب للأطفال ، وعانى من جرّاء ذلك ما عانى ؛ فإن الأستاذ « كامل كيلانى » ، قد ظفر إنتاجه الضخم وتنوّع تآليفه ، وتواليها وتتابعها ؛ بتقدير الخاصة قبل العـــامة ، والمشرفين على تربية النشء وتثقيف مداركهم قبل الصغار أنفسهم الذين أخذوا ـ جادّين ـ يدرسون تلك المؤلفات دراسة مستوفاة ، عادت عليهم بالخير العميم .

* * *

وأشهد أننى استفدت كما استفاد غيرى من مؤلفات الأستاذ « الكيلانى » الأدبية البارعة ، وفى مقدمتها الكتب العربية العظيمة التى أحياها وعلق عليها ، وجلاها للمتأدبين عرائس بيضاء ساحرة ؛ فيها خير ورد وأطيب جنًى للمتأدبين والعاكفين على البحوث الأدبية والعلمية الدقيقة ، مثل ديوان « ابن الرومى » ، وديوان « ابن زيدون » ، ودراساته الناضجة لـ « أبى العلاء المعرى » .

بيد أننى لا أتردد فى القول بأن مكتبته الأدبية للأطفال ، هى خير ما أخرج للناس . وأحسب أن اسم « كامل كيلانى » سيخلد بهذه المكتبة وسيعرف بها ، وستقول الأجيال القادمة : إنه الأديب المصرى الأول ، الذى وقف معظم جهده ووقته على تنوير الناشئة

وتعويدهم القراءة والدراسة الجادة ، بما أبدع لهم من أدب لطيف المدخل ، قريب المنال ، طريف على هذه اللغــــة .

وقفّاه الكتابة

ولقد بدأ « المرّاوى » هذا النوع من الكتابة ، « الكيلانى » وتوسع وتبحّر ، وتناول مختلف ضروب للأطفال فى إجادة وإتقان اشتهر بهما وعرف .

* * *

وبعد : فقد أحسنت « مكتبة الحلبي » صنعا بإخراج كتاب : « جحا قال يا أطفال » للأستاذ « كامل كيلانى » ؛ فهو من الكتب اللامعة فى سلسلة (مكتبة الأطفال) التى يواصل كتابتها لناشئة العرب .

والكتاب يتناول بعض القصص المأثورة عن « جحا » . وقد جلاها الأستاذ فى أسلوبه السهل الممتنع ، وشرح المفردات الصعبة بألفاظ سهلة يدركها ذهن الناشئ فى سهولة ويسر ، وقدم للكتاب بإلمامة عن « جحا » وفنّه وقارن بينه وبين الشخصيات « الجحويّة » المماثلة فى البلاد الأوربية والشرقية على اختلافها .

والكتاب جيّد الطبع ، مزدان بالصور الكاريكاتورية اللطيفة .

بارك الله فى مؤلفـــه الفاضل .

ورحم « المراوى » رحمة واسعة .

العُلبة المسحورة[1]

سرقة قصة من قصص «كامل كيلانى» !

أشرنا فى العدد السابق إلى تلك السرقة الأدبية التى ارتكبتها إحدى المجلات ، وأتينا بالنص الأصلى الذى وضعه المؤلف ، وبالنصّ الذى كتبه السارق .

ولكن فاتنا أن نذكر اسم المؤلف ؛ اكتفاء بما ذاع من شهرته الأدبية فى هذا المضمار .

ولا شك فى أن القرّاء قد أدركوا ـ لأول وهلة ـ أن مؤلف « حكايات الأطفال » إنما هو الأديب النقيب الأستاذ « كامل كيلانى » صاحب (مكتبة الأطفال) الذائعة الصيت .

* * *

وقد تلقينا بهذه المناسبة كلمة من أحد طلبة كلية الآداب بجامعة (فؤاد الأول) واسمه « محمد سيد كيلانى » ، يقول فى ختامها :

(لم يقم فى مصر كاتب يعنى بتزويد الأطفال بما يجب أن يقرءوه سوى رجل واحد ، هو الأستاذ « كامل كيلانى » ، الذى لقب بحق « منشئ الجيل » ؛ فإن هذا الأديب استطاع بمفرده أن يخرج عدداً عظيما من القصص الممتعة ، ويقدمها لأطفالنا ، وهى ـ من غير شك ـ خير غذاء لعقول هذا النشء .

وسيكون لها أثر بعيد ، لا فى نهضة « مصر » وحدها ؛ بل فى نهضة الشرق بأجمعه ، فقصص الأديب « كامل كيلانى » قد انتشرت انتشاراً عظيما فى الشرق العربى قاصيه ودانيه) .

---

(١) مجلة منبر الشرق فى ١٣ دسمبر ١٩٤٦

العلبة المسحورة .. بقلم المؤلف

نقلا عن كتابه (حكايات الأطفال) الجزء الرابع — سنة ١٩٣٠

كان « صـــادق » يخاف كل شيء، ويجزع من كل شيء ، ويتوقع الشر والأذى فى كل حركة يتحركها، وفى كل خطوة يخطوها ؛ حتى أطلقوا عليه لقب « الفتى الجبان » ، وأصبحوا لا ينادونه بغير هذا اللقب ، ولا يعرفونه إلا به .

وقد ألف « صادق » سماع هذا اللقب وتعوّده ، ولم يجرؤ على الغضب حين سماعه ، لأنه كان جبانا شديد الجبن .

وحسب النـاس — ولهم العذر فى ذلك — أن « صادقا » هذا قد ألف الجبن وتعوّده ، وأصبح له طبعاً .

وأيقنوا أنه سيقضى حياته كلها ضعيفا خائر العزم ، جبانا .. ولم يعلموا أن شجاعته كانت مخبوءة فى نفسه ، وأنه سيصبح — فى قابل أيامه — مثال الشجاعة والجرأة .

وفى ذات يوم خرج « صادق » بعد انتهاء عمله مهموماً متألماً ، وجلس على شاطئ النهر منفرداً مستوحشاً ، وهو يطيل الفكر فيما يلقيه من غدر أصحابه وإساءاتهم إليه ، ولا يدرى كيف يصنع ؟ ولا ماذا يقول ؟

وإنه لغارق فى تفكيره ، إذ أحسّ يدا تلمس كتفه ؛ فاشتد خوفه ، وتلفت مذعوراً ، فرأى أمامه شيخاً قصير القامة ، يبتسم له ، ويحيّيه فى لطف وإيناس ، ويقول له :

« مالى أراك — يا ولدى — غارقا فى التفكير ، مستسلماً للهم والحزن ؟ »

فقال له صادق :

« إننى أتمنى لو انتهت حياتى لأرتاح من متاعب الدنيا وآلامها .

فقال له الشيخ باسماً : « هوّن عليك ياولدى ، وحدثنى بحديثك ؛ لعلّى أستطيع نفعك ، أو أقدر على تفريج كربتك ، وتبديل حزنك سروراً . »

فاطمأنت نفس « صادق » وارتاح باله ، حين سمع كلام ذلك الشيخ الكريم ، وقصّ عليه قصته كلها .

فابتسم له الشيخ ، وقال متودّداً :

« لقد فهمت سرّ حزنك ومصدر آلامك .. ولن يهنأ لك بال ، إلا إذا أهديت لك (العلبة المسحورة) . . وقد ادخرتها لك ولأمثالك » .

ثم أعطاه الشيخ علبة صغيرة مقفلة ، وقال له :

« خذ هذه العلبة المسحورة ، هدية خالصة منى إليك ، وحذار أن تفتحها قبل أن ينقضى عام كامل ، لئلا يبطل سحرها ..

ومتى جاء مثل هذا اليوم من العام القابل ؛ فافتح العلبة ، لترى فيها ما يدهشك ، ويملأ نفسك إعجابا وسروراً . . »

فقال له « صادق » : « وماذا أصنع بهذه العلبة ؟ »

فقال له الشيخ : « اقبض عليها بيدك اليسرى ، وافعل كل ما يحلو لك أن تفعله ؛ فلن تصاب بسوء أبدا .. ولو ألقيت بنفسك فى النار ، أو قذفت بنفسك فى البحر ، لما أصابك أذى ، ولا لحقك ضرر . »

ولم يكد « صادق » يسمع هذا الكلام ، حتى شعر بقوة عجيبة تسرى فى عروقه ؛ وتمتزج بدمه ؛ فتحول شخصاً جديدا آخر .

ثم شكر الشيخ على عطفه وحنوّه ، وسار فى طريقه نشيطا قوىّ القلب ، مبتهج البال .

ومرت الأيام والأسابيع ، وقد ازدادت ثقة « صادق » بنفسه ، واعتداده بشجاعته ، وإيمانه بقوته . فاحترمه أصحابه ، وتهيبه كل من رآه .. وعامله رفقاؤه ورؤساؤه أحسن معاملة ، ولم يجرؤ أحد على الإساءة إليه .

ثم جاء اليوم الأخير من العام ، فجلس « صادق » يفكر فى تلك العلبة ويقول : « فى صباح الغد سأقرأ ما تحويه تلك العلبة ، وأعرف ما فيها من سحر ! »

وإنه ليحدث نفسه بذلك ، ويهمّ برؤية ساعته ليتعرف الوقت ؛ إذ أدرك أنه قد نسيها فى المصرف ـ وكانت مفاتيح المصرف معه وحده ـ فارتدى ثيابه ، وذهب مسرعاً إليه ، وكان الوقت ليلا فرأى الشرطى واقفا ، فسأله الشرطى :

« ما الذى جاء بك فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟ »

فحدثه « صادق » بقصته . ثم فتح باب المصرف وأغلقه بعد دخوله . ولما أخذ الساعة سمع همسا ينبعث من غرفة قريبة منه ، فأنصت « صادق » إلى ذلك الهمس ، وأدرك أن عصابة من اللصوص قد أجمعت أمرها على سرقة المصرف فى تلك الليلة ، فلم يستسلم للخوف ، بل قبض على العلبة المسحورة ، وانسلّ إلى الشرطىّ ، فقصّ عليه ما رآه وسمعه .

وأسرع الشرطى بطلب النجدة ، فجاء رفاقه بعد قليل ، وفاجأوا اللصوص ، وكبّلوهم بالحديد . ثم ساقوهم إلى دار الشرطة ؛ ليلقوا جزاءهم العادل على ما قدمت أيديهم .

وبات « صادق » طول ليلته مسرورا بما فعل ، ونام نوماً هادئاً ، وهو قرير العين بهذه النتائج السارة ، التى وصل إليها بفضل تلك (العلبة المسحورة)؛ إذ بدلت حزنه فرحاً ، وألمه سرورا، ويأسه أملا .

وأفاق « صادق » فى صباح اليوم التالى؛ فرأى أمامه مدير المصرف، وقد التفت إلى « صادق » وشكر له صنيعه النبيل وقال :

إننى جئت لأشكر لـ« صادق » ، وقد رقيته إلى وظيفة أكبر من وظيفته ؛ ثم أعطاه مدير المصرف مظروفا مقفلا : مكافأة له على شجاعته ، فشكر له « صادق » هديته وودعه .

ثم عاد وفتح المظروف فرأى فيه ورقة مالية قيمتها مائة جنيه : فاشتدّ فرحه ، وامتلأ قلبه أملا ورجاء وثقة .

ثم ذكر أن ذلك اليوم هو موعد فتح (العلبة المسحورة) ، وكان شديد الشوق إلى معرفة ما تحويه من أسرار .

ولكنه لم يكد يفتحها ؛ حتى رأى فيها بطاقة مرسوماً على أحد وجهيها صورة نسر ، رمزا للجرأة والشجاعة ؛ ثم قرأ على الوجه الآخر من البطاقة ما يأتى :

« ليس فى هذه العلبة شيء من السحر ، وإنما السحر فى نفسك أنت ؛ فقد ظننت أن العلبة مسحورة ، فأكسبك ذلك الظن ما تراه من شجاعة ، وأدركت ـ بفضل الشجاعة ـ كل ما تريد . »

« المؤلف »

العلبة المسحورة : بقلم « السارق »

نقلا عن العدد الثالث لمجلة « الكتكوت » الصادرة فى ١٩٤٦/١٢/٢

كان « صادق » يخاف كل شيء ، ويتوقع الشر والأذى فى كل خطوة يخطوها ؛ حتى أطلقوا عليه : « الفتى الجبان » .

وقد ألف « صادق » سماع هذا اللقب ، ولم يجرؤ على الغضب حين سماعه : لأنه شديد الجبن.

وظن الناس ـ ولهم العذر فى ذلك ـ أن « صادقا » ألف الجبن وتعوّده ، وأصبح له طبعاً .

وأيقنوا أنه سيقضى حياته كلها ضعيفاً خائر العزم ، ولم يعلموا أن شجاعته كانت مخبوءة فى نفسه ، وأنه سيصبح ـ فى مستقبل أيامه ـ مثال الشجاعة والجرأة .

وفى ذات يوم خرج « صادق » بعد انتهاء عمله مهموماً متألماً ، وجلس على شاطئ النهر ، يطيل الفكر فيما يلاقيه من غدر أصحابه وإساءاتهم إليه ، ولا يدرى : ماذا يصنع ؟

وبينما هو غارق فى تفكيره ، إذ أحس يدا تلمس كتفه ؛ فاشتد خوفه ، وتلفت مذعورا ، فرأى أمامه شيخاً قصير القامة يبسم له ، ويحييه فى لطف وإيناس ، ويقول له :

« ما لى أراك ـ يا ولدى ـ مستسلماً للهم والحزن ؟ »

فقال له « صادق » :

« إنه يتمنى لو انتهت حياته حتى يرتاح من متاعب الدنيا وآلامها . »

فقال له الشيخ : « هوّن على نفسك ، يا ولدى ، وحدثنى بحديثك لعلى أستطيع نفعك ، أو أقوى على تبديل حزنك سرورا . »

فاطمأنت نفس « صادق » وارتاح باله حين سمع كلام ذلك الشيخ الكريم .. وقصّ عليه قصته كلها . فابتسم له الشيخ وقال متودّداً :

« لقد فهمت سر حزنك ومصدر آلامك ، ولن يهنأ لك بال إلا إذا أهديت إليك العلبة المسحورة ، التى أحتفظ بها لأمثالك ! »

ثم أعطاه علبة صغيرة مقفلة ، وقال له :

« خذ هذه العلبة خالصة منى إليك . . وحذار أن تفتحها قبل أن ينقضى عام كامل ؛ لئلا يبطل سحرها .

ومتى جاء مثل هذا اليوم من العام المقبل ، فافتح العلبة لترى بها ما يدهشك ، ويملأ نفسك إعجاباً وسروراً . . »

فقال له «صادق» : «وماذا أصنع بهذه العلبة ؟ »

فقال له الشيخ : «اقبض عليها بيدك اليسرى ، وافعل كل ما يحلو لك أن تفعله ؛ فلن تصاب بسوء أبدا . ولو ألقيت بنفسك فى النار ، أو قذفت بنفسك فى البحر لما أصابك أذى ، ولا لحقك ضرر . . »

ولم يكد « صادق » يسمع هذا الكلام ؛ حتى شعر بقوة عجيبة تسرى فى عروقه ، وتمتزج بدمه ، فتحول شخصا آخر جديدا .

وشكر الشيخ على عطفه وحنوّه ، وسار فى طريقه نشيطا ، قويّ القلب ، مبتهج البال .

ومرّت الأيام والأسابيع وقد ازدادت ثقة «صادق» بنفسه واعتداده بشجاعته ، وإيمانه بقوته ؛ فاحترمه أصحابه ، وتهيبه كل من رآه ، وعامله رفقاؤه ورؤساؤه أحسن معاملة ، ولم يجرؤ أحد على الإساءة إليه .

ثم جاء اليوم الأخير من العام ، فجلس « صادق » يفكر فى العلبة ويتمنّى أن يأتى الغد ، ليعرف ما بها من سحر .

وإنه ليحدث نفسه بذلك ويهمّ برؤية ساعته ؛ ليعرف الوقت إذ أدرك أنه قد نسى الساعة فى المصرف .

وكانت مفاتيح المصرف معه وحده . . فارتدى ثيابه ، وذهب مسرعا إليه - وكان الوقت ليلا - ولما وصل سأله الشرطى :

« لم جئت فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟ »

فحدثه « صادق » بقصته ، ثم فتح باب المصرف ، وأغلقه بعد دخوله .

ولما أخذ الساعة ، سمع همساً ينبعث من غرفة قريبة منه ؛ فأنصت إلى ذلك الهمس . فأدرك أن عصابة من اللصوص قد اعتزمت سرقة المصرف فى تلك الليلة . فلم يستسلم « صادق » للخوف ؛ بل قبض على (العلبة المسحورة) ، وانسل إلى الشرطى يطلب النجدة .. فجاء رفاقه بعد قليل ، وفاجأوا اللصوص ، وكبّلوهم بالحديد ، ثم ساقوهم إلى دار الشرطة ؛ ليلقوا جزاءهم العادل على ما قدّمت أيديهم . وبات « صادق » طول ليلته مسروراً بما فعل ، ونام نوماً هادئاً قرير العين بهذه النتائج السارة التى وصل إليها بفضل تلك (العلبة المسحورة) التى بدّلت بؤسه أملا .

وفى صباح اليوم التالى ، حضر إليه مدير المصرف ؛ ليشكر له حسن صنيعه ، وأخبره أنه رقاه إلى وظيفة أكبر من وظيفته ، ثم أعطاه مظروفاً مقفلا ، مكافأة له على شجاعته النادرة ، وانصرف .

ولما فتح « صادق » المظروف ، رأى ورقة مالية قيمتها مائة جنيه ، فاشتد فرحه ، وامتلأ قلبه أملا ورجاء وثقة .

ثم تذكر أن ذلك اليوم هو موعد فتح العلبة المسحورة - وكان شديد الشوق إلى معرفة ما تحتويه من أسرار - ولكنه لم يكد يفتحها ؛ حتى رأى فيها بطاقة مرسوما على أحد وجهيها : صورة نسر ، رمزا للجرأة والشجاعة ، ثم قرأ على الوجه الآخر :

« ليس فى هذه العلبة شىء من السحر ، وإنما السحر فى نفسك أنت ؛ فقد ظننت أن العلبة مسحورة ، فأكسبك الظن ماتراه من شجاعة ، وأدركت - بفضل الشجاعة - كل ما تريد . »

مكتبة لا نظير لها [1]

فى تاريخ اللغة العربية

بقلم الأستاذ وهبى إسماعيل حقى

لا شكّ أن أبرز مقاييس رقىّ الأمة وانحطاطها هو لغتها ، فإذا كانت اللغة راقية فى آدابها وعلومها وفنونها واستعمالها فليس أدلّ منها على رقى صاحبها ، والعكس بالعكس .

واللغة العربية كانت أرقى اللغات ، فتبارى فيها المتنافسون فى الجاهلية ، فبلغوا بها شأواً بعيدا نحو السمو . ثم جاء الإسلام ونزل الوحى بمعجزة اللغة : بالقرآن الكريم ؛ فهذب منها وأصلح أمرها ، فأصبحت اللغة العربية ـ بعد ما تأثرت بالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة ـ أثرا إلهيا ، وأنفاساً نبوية طاهرة .

على أن العرب اختلطوا بالأعاجم بمناسبات مختلفة ، فتأثرت بعد ذلك اللغة العربية تأثرا كبيراً ؛ حتى كادت تخبو جذوتها فى عصرنا ، لولا ما قامت بمصر من النهضة الأدبية العربية : فتقوّت بها أركانها من جديد ، واستمرت على نشاطها ؛ رغم قيام الحرب ، وقلة الورق ، وتعذّر الطباعة .

ولعلى أكون من الحق فى شرف عرفانه إذا قلت : إن من أكثر الرجال مساهمة فى هذه النهضة المباركة الأستاذ الكبير « كامل كيلانى » ، وأكثرهم همة فى تثبيت الأساس وتقوية الأركان ؛ فوجه عنايته إلى الأطفال والأحداث ، ليشبّوا على أساس متين من اللغة العربية ؛ فأنشأ لهم مكتبة لا نظير لها فى تاريخ اللغة العربية .

---

(١) مصر الفتاة فى أول نوفمبر ١٩٤٦ .

ولئن صدرت منى هذه الكلمة عن « كامل كيلانى » ، فلست فى صدد الكتابة عنه، لأنها عمل لا أراه شاقا إلا علىّ لا أستطيع القيام به؛ لكثرة ما أنتج هذا الأديب الكبير، من تأليف وترجمة وشرح وتعليق؛ فى جهود جبارة لا تعرف الكلل والملل ، وهو أحوج ما يكون إلى الراحة ومراعاة صحته .

والحق يقال : إن الإنسان إذا نوى الكتابة عن هذه الشخصية، فهو والج ميدانا فسيحا، يتيه فى فسحته إن لم يكن خبيراً بها ؛ فلا يدرى : من أين يبدأ ؟ وإلى أين ينتهى ؟

هنا شرح ديوان « ابن زيدون » الذى أبرزه للعالم فى ثوب بعد غياب طويل ، كما قال أمير الشعراء « شوقى » ..

فشرح ديوان « ابن الرومى » ، « ف « رسالة الغفران » ، ف « رسالة الهناء » ف « حديقة أبى العلاء » ف « على هامش الغفران » .

وأنا فى الحقيقة لست فارس هذا الميدان ، لأبدأ حديثى مبدءًا جديراً عن كتاب من هذه الكتب ، الذى بذل فيها الأستاذ الأديب الكبير «كامل كيلانى» كثيراً من مجهوداته، رغبة فى الخدمة الصادقة.

لكنى على ذلك أكتب عن مجموعة حديثة له عرفت بـ (مكتبة الأطفال) التى يبلغ عددها الآن فوق السبعين، شاكراً له خدمته، معجبا بهمته ، وقد استقيت العربية منها وأنا فى « ألبانيا » ، وهذه المجموعة هى : « جحا قال يا أطفال » . وصدر منها إلى الآن كتابان : كادت تفوتنى الأوقات السعيدة، التى أمضيتها فى قراءتها، لولا صديق عزيز لى أرسل إلىّ يرجو منى إرسال هذه المجموعة إليه .

فعرفت بذلك أنه صدر الكتابان الأوّلان منها ، ولم أكن عالما بهما .

فالكتاب الأول « برميل العسل وقصص أخرى » ؛ يختال فى ثوب جميل ، يرغب الأطفال فى اقتنائه وقراءته .

على أن موضوعه يزيد الشوق إليه والحنان له ، فطبعه لا يقل عنه أهمية فى وضوحه ، وتشكيلاته ، ورسومه وشروحه .

والأستاذ الأديب «كامل كيلانى» وفّق - فى كل ذلك - توفيقا كاملا ، فهو مربى الجيل الحديث ، يعرف سبيل التربية وسبيل التوفيق إليها .

وفى الكتاب الأول : وجه الكلام لصبيه العزيز ، فى مقدمة وجيزة ، أبان فيها « جحا » ومنشأه ، ليعرف الصبية ما يلزم عرفانه عن « جحا » ، وزادهم عليه علما ، أنه ظهر بعده فى « بلاد الأناضول » فى « تركيا » الأستاذ « نصر الدين » ، فاشتهر بنوادره ، كما ظهر فى « ألمانيا » « تل » متعاقبين فى عصور مختلفة .

وهذه النوادر تنتهى - بين الفطنة حيناً والبلاهة حيناً آخر - إلى نتيجة مضحكة .. وكثيراً ما تنتهى نهـــاية فلسفية ، يستخلص الإنسان منها عبرة وعظة .

وهذه المقدمة فياضة بمعلومات وطرق ، يستفيد منها الصبى العزيز بل الرجل الكبير ..

وبعدها إلمامة ذكر فيها « خرافة » و « جحوان » وفيها كثير من الفوائد العلمية ، يجد فيها المتعلم تذكرة ، والأحداث فائدة وتبصرة .

« خرافة » هذا رجل مخضرم : أدرك الجاهلية والإسلام .. ثم كان فى القرن الثانى إمام الفكاهة : « أبو الغصن دجين بن ثابت » الملقب بـ « جحا » . نال إعجاب الناس بأسلوبه الخاص فى الطرائف والملح ، نخلعوا لقبه على النادرة من الحديث ، حيث كانوا يفعلون ذلك مع سلفه ، حتى نسبوا إليه كثيرا من مخترعاتهم ومبتدعاتهم .

وفى القرن الثامن الهجرى ، ظهر « جحا التركى » : إمام الدعابة التركية والفكاهة الشرقية .

وذكر الأستاذ « كامل كيلانى » ـ إلى ذلك ـ « مرآة البومة » ، رجل الفكاهة الألمانية ، وانتقل إلى شخوص فيها طائفة من أعلام الفكاهة بين فارسى وهندى ، ويونانى وأرمنى ، وفرنسيين وإنجليزيين ، وأرلندى واسكتلندى وإسبانى ، حيث ذكر معلومات طيبة لا يجدها الراغب فيها مجموعة فى غير هذا الكتاب ؛ فسهل بمؤلفه جهد الباحث ، ثم عاد إلى موضوعه « جحا العربى » و « جحا التركى » ، وانتقل إلى ذكر آراء الناس فيهما ، فتشابههما ، فالرمز الجحوى .

ترى وأنت تقرأ كل ذلك صورة « خرافة » جالساً على رمال البيداء يتضرع إلى الله فى خشوع وخضوع ، وحوله الجن يتطلعون إليه ، ثم ترى صورة « نصر الدين » ممسكا بمقود حماره ، وبالأخرى عصاه ، ثم صورة « مرآة البومة » ممسكا بإحــدى يديه بومة ، وبالأخرى قبالتها مرآة ، ثم صورة « مقبرة نصر الدين » فى « تركيا » .

انتقل بعد ذلك إلى القصة ، وجعلها قطعا مرقومة ترغيباً للأحداث ، ومهد إليها بما ذكر للصبى العزيز ـ كما يقول الأستاذ « كامل كيلانى » ـ من أن مرجعه المخطوط الذى أهداه « جحا » إلى ولديه ، وهو مكتوب بخط ابن أخى « جحا » ، فنال منه الزمن ما نال ، وجعل الاكتفاء به عسيراً ، وعرض فى خلال هذه القصة الممتعة صوراً رمزية يستمرئها الأطفال فيتشوقون بها إلى قراءة القصة ، وبعد خاتمة القصة ساق طائفة من مأثور الأقوال مما لها مناسبة بالقصة .

ثم ساق القصة الثانيــة الممتعة فى قطع مرقومة بين الصور الرمزية أيضاً على نمط أختها السابقة ، وألحق بها القصة الثالثة ، ومهد لها بكلمة إلى الصبى العزيز يذكره ـ كلما وجد إلى ذلك سبيلا أو مناسبة ـ وجعل القصة فصولا أربعة ، وقسم الفصول إلى قطع مرقومة تشوق نفس الصبى إلى قراءتها واقتنائها ، وختم فصول

القصة بمحفوظات شعرية عن « أبي الغصن عبد الله جحا » مشروحة شرحا يجلو الغامض ، يستعين به الأطفال فى تفهم المعنى ، ثم ساق القصة الرابعة على نمط أختها السابقة بصورها الرمزية ، وشروحها التوضيحية ، وفصولها الرائعة، وقطعها المرقومة ، وذكر بعد خاتمتها شيئا من المحفوظات من شعر « شكسبير » و « شوقى » مع الشرح اللازم ، وانتهى بذلك الكتاب الأول بملحق من كلمات القصص التى مرّت مفسرة لتسهيل المراجعة واستذكار الراغبين إليها ، وهو مبوّب على حسب المواضيع التى جرت فيها ، فتسهل المراجعة .

وساق بعد ذلك نخبة من آراء العظماء فى (مكتبة « الكيلانى » للأطفال .)

والكتاب الثانى (سارق الحمار وقصص أخرى) على نمط الكتاب الأول : أتى فيه الأستاذ الأديب الكبير « كامل كيلانى » بمقدمة وجه فيها الخطاب على عادته إلى الصبى العزيز . لكنه يعتذر إليه هنا من تأخر إنجاز الوعد الذى قطعه على نفسه : أن يقدم إليه القصص الجحوية ، بالعوامل الكثيرة التى حالت دون ذلك ، ثم انتقل بعد الخوض فى المقدمة إلى القصة موضوع الكتاب ، فقسم القصة الأولى إلى فصول ، فإلى قطع مرقومة . وشرح الغامض منها ، وعرض الصور الرمزية بينها ترغيبا وتشويقا .. ثم انتقل إلى القصة الثانية فساقها كأختها ، وانتقل إلى القصة الثالثة فالرابعة ، وعرضهما كأختيهما ، وانتهى الكتاب بذلك .

ونحن فى انتظار المجموعة الثالثة بما أثار الأستاذ الأديب الكبير « كامل كيلانى » بخبرته وفنه فينا من الشوق إليها ، وأنا ذلك الصبى الذى نلت كل إعجابى يافعاً ، وكل إعجابى وتقديرى شاباً فتياً ؛ لما أحياه فى نفسى من حب العربية .

وفقكم الله للوصول إلى غاياتكم النبيلة باللغة العربية .

جحا قال يا أطفال[1]

بقلم الأستاذ وديع فلسطين

سئل المرشال « ستالين » مرة :

من هو أعظم روسى ؟

فأجاب : هو الطفل الروسى .

حقا إن الطفل هو أعظم من فى العالم ؛ لأن المستقبل له ، ولأنه يمثل جيلا قادما ، والأجيال القادمة خيرٌ عادةً من الأجيال التى تسبقها . ولذلك اتجه اهتمام الدول الغربية إلى الأطفال ، فأجادوا حضانتهم ، وأحسنوا تنشئتهم ، وشغلوا بدرس أحوالهم العقلية والنفسية ؛ ليقفوا على مدى ما أوتوا من نسب الذكاء ، ويعرفوا اتجاهاتهم وميولهم .

أما الشرقيون ، فما برحوا متخلفين فى هذا السباق ، وما انفك أبناؤهم يخرجون إلى الحياة ارتجالا ، ويربّون تربية على أسس غير صحيحة ؛ فيشبون ضعافا فى لغتهم ، هزالا فى أبدانهم ، واهين فى تفكيرهم ، تسيرهم العواطف فينقادون معها ، ولا يسعون إلى الفكاك من أغلالها .

ومهمة المربى تثقيف العقل وتوجيه الوجهة السليمة . ومهمة عالم النفس درس نفسية الطفل ، وتقصّى ما فيها من شذوذ ، أو ما قد يفضى إذا استفحل أمره إلى شذوذ وعُتْهٍ .

---

(١) مجلة منبر الشرق فى عام ١٩٤٧ .

لذلك آلى المربى الكبير الأستاذ « كامل كيلانى » على نفسه أن يحمل عن المربّين تبعة قيادة الأطفال فى مسالك اللغة العربية ، فعكف على وضع مكتبة من تصنيفه للأطفال ، تعلمهم النطق الصواب ، والكلام البليغ ، والأساليب الرفيعة ، وتعرفهم ـ فضلا عن ذلك ـ جوانب من الأدب الغربى ، بما يتخيره لهم المؤلف من روايات « السكسون » و « الفرنسيس » .

ومن أحدث الكتب التى استضافتها اللغة العربية فى (مكتبة الأطفال) كتاب (جحا قال يا أطفال) ، سرد فيه الأستاذ « الكيلانى » طائفة من نوادر « جحا » بعد ما أطلع قُرّاءه على سيرة « أبى الغصن دجين بن ثابت الملقب بجحا » ، وأقرانه فى أدب الغربيين والشرقيين .. وخرج من كل نادرة بحكمة عميقة ؛ فهو تارة يحذر الأطفال من الاستهانة بالصغائر ، لأن الكبائر مستمدة من مستصغر الأشياء ، وطورا ينبههم إلى أن من حفر حفرة لأخيه كان أول المتعثرين فيها . ثم يعلمهم كيف تفشى الأسرار وتتناقلها الألسنة بعد تحوير يحتمل الإضافة والبتر ، فتصل إلى أطراف البلاد مشوّهة إن لم تكن مختلقة .

وذيّل « الكيلانى » كتابه بطائفة من القصائد المختارة والموضوعة ، وشرحها وبسطها للأطفال ؛ بحيث لا يغيب المعنى عن أحدثهم سنا ، وأقلهم معرفة بشؤون الحياة .

ومع أنى جاوزت مرحلة الطفولة إلى المرحلة التالية لها : فقد وجدت فى كتاب الأستاذ « الكيلانى » متعة مقترنة بفائدة : متعة بقراءة أقاصيص ، فيها سمر وفيها طرف ، وفائدة من مراجعة كيفية نطق الكلمات نطقا سليما ؛ وهو أمر يعي كثيرين من الأدباء وحملة الأقلام .

جحا فى حلقات الدرس (١)

بقلم الأستاذ محمد يوسف قوره

لقد اشتملت محاضرات الأستاذ الفاضل « كامل كيلانى » على الكثير ، وكانت تسحر المستمع ولا تضجره .

يحدثنا الأستاذ فى هذه المحاضرات عن شخصية كان يحسبها الناس خرافة لا وجود لها إلا فى أذهان الخياليين والمتندرين من رواة القصص والأساطير : لكن عبقرية الأستاذ المحاضر استطاعت أن تثبت وجود هذه الشخصية ، وتبرز للناس حقيقتها الرائعة على صورة قاطعة .

وهذه الشخصية هى شخصية « جحا » الذى يعرفه الكبار والصغار ، ويتنــــدر بأحاديثه وفكاهاته سائر الناس على اختلاف ثقافتهم .

وقد لقى السيد « جحا » من التقدير فى القرن الثانى من الهجرة الشىء الكثير : فأعجب الناس بأسلوبه السهل الممتنع فى فهم الحياة ، كما أعجبوا بما سمعوا من طرائفه وملحه ، واشتدّ به إعجابهم فخلعوا لقبه على كل عجيب من القول ، وطريف من الحديث ، وأصبح للقصص

(١) مجلة الجامعة الشعبية فى يناير ١٩٤٧

الجحوى خصائصه ومميّزاته ، وقد ذكر القصّاصون كثيرا من الطرائف الجحوية ، وفصلوا منها أنماطا فكرية ألبسوها عرائس أفكارهم وآرائهم .

ولم تلبث الفكرة الجحوية على مدى الأزمان واختلاف الأمم التى تناقلتها أن شكلت بألوان العصور والأمم التى قبستها ؛ كما يتشكل الماء بلون الإناء. وقد مثلوا لنا « جحا » بصورة فيلسوف ، ثم فى صورة أبله ، ثم فى صورة قاض ، ثم فى صورة متقاض ، وتارة فى صورة سارق ، وتارة أخرى فى صورة مسروق ، ثم فى صورة فقير ، ثم فى صورة غنىّ .. وأصبحت كلمة « جحا » كافية للتعبير عن هذا كله !..

ومن الطرف الرائعة التى رواها لنا الأستاذ خلال محاضراته عن الأدب الجحوى هذه الطرفة اللطيفة :

يوم القيامة :

قال « جحا » لولديه :

... زارنى جماعة من أصحابى ذات يوم قبل أن تولدا بزمن طويل .. فرأوا فى بيتى خروفا سمينا ، فسال لعابهم ، وتشاوروا فى أمره ليأكلوه .

وما لبثوا أن أوهمونى بأنهم قد علموا من أوثق المصادر أن قيام الساعة غدا ، فما معنى الإبقاء على هذا الخروف السمين ؟

أليس من الخير أن ننعم بأكل هذا الخروف قبل أن نفنى ويفنى العالم كله معنا ؟..

فأظهرت تصديقهم ، وأعلنت الموافقة على اقتراحهم ، وقمت إلى الخروف فذبحته وسلخت جلده ، ثم أوقدت نارا عظيمة

وألقيته فيها .. ثم خلعت بعض ثيابى الخارجية .

فاقتدوا بى وخلعوا ملابسهم .

وانتهزت فرصة قيامهم باللهو واللعب حول الخروف الملقى فى النار ، وألقيت بثيابهم فى النار الموقدة .

فانقلب فرحهم غما . واستولى عليهم الغضب ، وصرخوا جميعا :

كيف تجرؤ على إحراق ثيابنا يا « أبا الغصن » ؟ ما نحسبك إلا جننت !

فقلت لهم ضاحكا :

« ألم تقولوا إن قيام الساعة غدا ؟!

فعلام تغضبون ! وما حاجتكم إلى الثياب ، ما دمتم واثقين من أن آخرة العالم غداً ! »

حقوق المؤلف[1]

بقلم الأستاذ وديع فلسطين

من العجب أن القوانين المصرية التى تعاقب على سرقة الثور ، ونشل قلم الحبر : لا تنص نصا يجعل من السطو على التراث الفكرى أو الإنتاج الأدبى ، جريمة يتحتم إنزال القصاص بمقترفيها .

ومن عجب أن يترك النتاج الأدبى نهبا لكل طارق ، ويظل لصوص الفكرة بمنجاة من القصاص العادل ، فى زمن تتجه فيه جميع الحكومات إلى حماية حقوق الفرد وصونها من كل اعتداء ، حتى إذا كان مصدر ذلك الاعتداء هو الأداة الحكومية نفسها !

والذى حفزنى على الكتابة فى هذا الموضوع أمران :

أولها : ما وجّه إليه نظرى الصديق الأستاذ « كامل كيلانى » من نهب بعض المشتغلين بالسينما لقصصه عن « جحا » ، وإبرازها على الشاشة البيضاء بغير استئذان الأديب ، مع أنهم لو قصدوه لأذن لهم بذلك فى سماحة وسعة صدر .

والأمر الثانى : هو أن الأستاذ « فؤاد عبد القادر حمزة » ترجم إلى اللغة العربية كتاب « عنبر إلى الأبد » وهو كتاب يقع فى نحو ٥٠٠ صفحة ، فاستغل بعض الناشرين جهده ، وطبعوا كتابه طبعة رخيصة : ليتكسبوا بغير أدنى عناء .

---

(١) الانذار فى ١٢ ديسمبر عام ١٩٤٧ م .

والمعلوم أن فى « مصر » مجمعا للغة العربية يضم صفوة رجال العلم والأدب فى « مصر » . وفيها كذلك مجمع علمى ، وجمعيات ثقافية شتّى ، وفيها رابطة للأدباء ، وجامعة لأدباء العـــروبة ، ووزارة للمعارف ، و . . و . .

ولكن جميع هـذه الهيئات الرسمية وغير الرسمية ؛ لم تتجه بعد إلى حمل الحكومة على حماية حقوق الأديب والمؤلف بالتشريع والتقنين .

وحيث إن هذا النقص التشريعى ماثل ، فلا جدوى من أن يدفعوا عنهم خطر الاعتداء من الذين تسوّل لهم نفوسهم اغتيال آرائهم .

والذى نعرفه عن الباحثين فى الغرب أنهم لا ينسبون لأنفسهم آراء غيرهم ، ولا يقتبسون فقرة من كتاب إلا بعد ما يردونها إلى أصلها ؛ حتى لا يحرم ذوو الفضل من فضلهم .

وهم يفعلون ذلك لا خوفا من سلطة القانون ـ والقانون عندهم واق للأديب ـ بل يفعلونه حرصا على الخلق القويم ، وعلى الأمانة الذاتية ، وإنصافا للحق الأبلج .

وعلى رأس وزارة المعارف اليوم أديب كبير ، وهو فى الوقت عينه فقيه مرموق ، ولذلك يعتقد أن من أول تبعاته — باعتباره قيِّما على التراث الفكرى — إصدار تشريع يصون حقوق المؤلفين ويطمئنهم وخلفهم على أن نتاج قرائحهم فى حرز لا تمتـــد إليه يد نفعية .

وإنا لهذه الخطوة الضرورية لمنتظرون !

رأى المرأة فى أدب الطفل (١)

بقلم السيدة أمانى فريد

لا يزال الأديب الكبير الأستاذ « كامل كيلانى » يُوالى إصدار سلسلته الطريفة المفيدة فى أدب الأطفال ، وهو الأدب الذى كان له فضل السبق فيه ، وتوجيه النظر إليـــه ، لسد النقص فى المكتبة العربية .

وقد أهدى إلينا أخيراً ثلاثة كتب عنوانها : « جحا قال يا أطفال » و « كنز الشمردل » و « برميل العسل » ، والأخير من هذه الكتب ، هو الحلقة الأولى من سلسلة جديدة عنوانها : (جحا قال يا أطفال) ..

وإننا لنظن أن كل « الكبار » الذين انتفعوا فى طفولتهم بما كانوا يقرءون للأستاذ « كامل كيلانى » من الأدب الطفلى المشبع الممتع ؛ يحنون إلى ماضيهم ذاك . ولعل منهم من يتمنى أن يرتد إلى الطفولة ليستأنف نوعا جديداً من المتاع واللذة : بمطالعة هذه الحلقات الجديدة ، من سلسلة أدب الأطفال ، للأستاذ « كامل كيلانى » .

وهكذا يبرهن أديبنا الكبير على أنه ـ فوق ما بلغ من المنزلة الرفيعة فى الأدب العربى على تعدد ألوانه ـ لم ينس حق أطفال الأمة العربية عليه فى أن يقدم لهم فى أسلوب عربى ؛ يمتاز بالسلاسة والسهولة والرقة أدبا يشبعهم ويمتعهم ، ويلائم مستواهم النفسى وخيالهم الخصيب

---

(١) النداء فى ١٩٤٨/٧/٦ .

وقد أسعدنى الحظ بحضور ندوته العامرة فلمست - فيما لمست - الانسجام بين أعضائها . . وكانت صاخبة بما فيها من قصص شيقة ونوادر أدبية طريفة .. وكانت جلسة علمية أدبية ، تناولت أمور اللغة العربية ومشاكلها ، وتناولت حياة العرب فى كافة البلدان وشتى الأزمنة ..

حدثنا « حبيب جاماتى » عن رحلة الصحافة فى شمال « إفريقيا » وعن حياة أهل « تونس » و « الجزائر » و « مراكش » ، وروى لنا قصصا عجيبة عن أهل « الجزائر » وتحريفهم للغة العربية ، حتى يصعب فهمها على المتحدثين بها فى مختلف البلدان الأخرى .

بل ومن المشاهدات التى تستحق الذكر والتدوين ، ما رآه هناك من مساجد جميلة النقش والبناء ، ألحقت بها مطاعم وبارات وفنادق ؛ مما دعا إلى الدهشة والتساؤل معا . . وانتقل الحديث من بلاد « الجزائر » إلى « السودان » : فاستمعنا إل السيد « التعايشى » وهو يصف لنا أدغال هذه البلاد وعادات أهلها ، وأوجه استثمار خيراتها وما إلى ذلك من آراء قيمة .

ساعة مرت فى ندوة « الكيلانى » ما بين أخبار طريفة نافعة ، وقصص عن الشعر وأهـــله ! ساعة من المتعة الذهنية والأخوة والصداقة ، قل توافرها فى محيط حياتنا الصاخبة بألوان اللهو والضوضاء !

حبّـذا لو كان لها من مثلها الكثير ؛ لضمنا حياة فكرية مستقرة ، وآراء قيمة ناضجة ، تنفع بلادنا ، وتوجه تيار الحيـاة فيها إلى ما فيه خيرها ورقيّـها .

نزعة قصصية بعيدة الأغوار [1]

بقلم الدكتور ناصر الدين الأسد

كانت قصص الأطفال التى كتبها الأستاذ « كامل كيلانى » فتحا جديداً فى عالم الطفل ؛ فقد بدأها منـــذ ثلاثين عاما أو تزيد ، فى زمن لم يكن الطفل فى بلادنا العربيـة ، بل لم تـكن شئون التربية عامة ، تحظى من العناية والرعاية بغير خطرات عابرة ، ولفتات طائرة ، لم يكن لها من أثر ذى بال ؛ حتى بدأ « الـكيلانى » رياد هذا الميدان ، ونصب المعالم على حافتى الطريق إليه ، فتبعه كثيرون يقتفون أثره ، ويتممون عمله .

ومع ما لهؤلاء من فضل غير منـكور ؛ فإن « الـكيلانى » سيبقى الرائد الأول لهذا الفن من القصص .

وسنعرض فى هـــذه المقالة الدواعى التى حفزت الأستاذ « الـكيلانى » إلى الولوج فى هذا الميدان ، والعقبات التى اعترضت سبيله ، والوسائل التى توسل بها لتخطى هذه العقبات .

ولعل أول ما يجدر بالدّارس أن يعنى به : هو غلبة النزعة القصصية الأصيلة على « الـكيلانى » غلبة طبعته بطابعها الواضح المميز .

فإذا ما تناول « الـكيلانى » « أبا العـــلاء » عنى ـ فى البدء ـ بـ « رسالة الغفران » .. ومهما قيل فى تصنيف هذه الرسالة فى فنون الأدب ؛ فإن الصبغة القصصية فيها هى الصبغة الأصيلة .

---

(١) مجلة التربية الحديثة فى ١٩٤٨ .

وإذا ما درس « الكيلانى » الشعراء كان « ابن الرومى » هو الذى يستأثر بجهده ؛ فينصرف إلى ديوانه المخطوط، ويعنى به عناية تحقيق وتمحيص، ويحفظه كله - أو جله - ويكثر من الاستشهاد به فى أحاديثه وكتاباته .

ومهما اختلف النقّـــاد فى « ابن الرومى » وشعره فلا ريب أن الملامح القصصية ملامح قوية بارزة فى طريقته الفنية ، وأسلوبه الشعرى .

وإذا ما تحدث « الكيلانى » فى مجالس ندوته؛ أحاط أحاديثه اللغوية والتاريخية بإطار رشيق من القصص الطريف .

فالنزعة القصصية عند « الكيلانى » — كما يبدو لنا — بعيدة الأغوار ، عميقة الجذور ، ثابتة الأصول .

فإذا ما أردنا أن نكشف عن بدايتها — التى ما زال الكشف عنها ميسرا — كان لزاما علينا أن نرجع إلى طفولة الأستاذ « الكيلانى » المبكرة .

فقد كان منذ نعومة أظفاره يكثر من قراءة القصص الشعبى قراءة فيها كلف وتتبع ، حتى إذا قرأ قصة « سيف بن ذى يزن » وأنهى أجزاءها السبعة العشر؛ آلمه أن تنتهى حياة « دمّـر بن سيف ابن ذى يزن » خطفا ، وأراد أن يوجد لـ « دمر » حفيـدا يتفوّق على جده ووالد جده . فكتب قصتـــه الأولى فى سنة ١٩٠٨ ، وسماها (سيرة الأمير « صفوان » وما جرى له بالتمام والكمال والحمد لله على كل حال) .

وما زالت هـذه القصة مخطوطة عند الأستاذ « الكيلانى » بعد أن رفضها الناشر سنتئذ — فى حديث طويل — لصغر سن الكاتب؛ مع إعجابه الكبير بالقصة نفسها .

ذلك هو الجانب القصصى العام عند « كامل كيلانى » ، وهو الجانب الذى ينـــير بداية البحث فى الجانب القصصى الخاصّ المتصل بالأطفال .

فإذا أردنا أن نبحث عن الحافز الذى دفعه إلى السير فى هـذا الاتجاه الخاص بالطفل ، وجدناه ذا شقين :

يتصل أولهما بشعور « الـكيلانى » ، وهو طفل ، حينما كان يرى قصص الأطفال الأجنبية آية من آيات الروعة والجمال ، والقصص العربية فى الغاية من المسخ والتشويه ؛ حتى لقد قال لزميله وصديقه الأستاذ « سيد إبراهيم » حينما كانا طفلين :

« إن هـذه الـكتب العربية تبغضنا بالقراءة » .

فقال له : « ألـِّف خيرا منها إن كنت فاعلا » .

فظل هذا الشعور يلازمه منذ طفولته المبكرة ، وهو يقرأ ويكثر من القراءة ، فيختزن كل موقف رائع ، وكل قصة طريفة يعجبانه ، لأنهمـا يعجبان الأطفال الذين فى سنه ؛ حتى جاء اليوم الموعود ، فظهرت أول قصة من قصص الأطفال سنة ١٩٢٧ ، وهى قصة « السندباد البحرى »(١) .

أما الشق الثانى فقد يكون الحافز لاتجاهه فى هذا السبيل . وذلك أنه قص على ابنه — وهو يسليه — قصة « السندباد البحرى » ، ودهش حينما سمع ابنه — بعد أيام - يقصّها على الخادم بحذافيرها محافظا على أدق الأجزاء . وزادت دهشته حينما علم أنه قصها مرات على جميع لداته ، لا يخرم منها شيئا .

فأدرك - حينذاك - أن هذه القصة تشوق جميع الأطفـال . وأصبح أمام أمرين :

(١) كتب الـكيلانى قبل هذه القصة قصصا أخرى بدأها سنة ١٩١٧ ونشرها فى الصحف ثم أعاد نشرها فى كتب مستقلة بعد ذلك وأشار إلى سابق نشرها .

إما أن يقصر وقته على تربية أولاده وتثقيفهم بهذا الضرب من القصص ، وإما أن ينشره ويعممه ، ويربى أولاده مع الجمهرة .. وآثر الثانيـــة .

وتوالت قصصه للأطفال ؛ حتى بلغ المطبوع منها ـ حتى يومنا هذا ـ مائة وخمسين قصة .

فإذا ما انتقلنا من تبين الحواجز إلى استجلاء الأسس ـ التى قامت عليها هذه القصص عنده ـ وجدناها ثلاثة :

الجانب اللغوى ،
والجانب المعنوى الخلقى ،
والجانب الموضوعى .

أما الجانب اللغوى : فيرى الأستاذ « الكيلانى » أن كتب المطالعة العربية كلها ـ على تفاوتها ـ لا تصل التلميذ بتراثه الأدبى ، ويرى أنه ينبغى أن تكون كتب المطالعة قنطرة أو طريقاً معبدا ميسراً — مهما يطل — يصل الطفل منذ الروضة بـ « المتنبى » و « أبى العلاء » و « أبى تمام » ، بل بشعراء المعلقات !.. فيتدرج « الكيلانى » بالطفل من الرياض إلى التوجيهية فى مائة وخمسين قصة . ثم تسلمه آخر قصة منها — وهى « الكوميديا الإلهية » — إلى مكتبة « الكيلانى » للشباب .

وطريقته فى استخدام اللغة تقوم على التكرار والإعادة ؛ مع الشكل الكامل لكل حروف الكلمة . فهو يكرر الكلمة الجديدة فى القصص المائة والخمسين نحو ٢٥ مرة ، حتى يحسّ الطفل أنه فهمها فهما دقيقا حيا من الجملة نفسها ، وحتى تثبت فى نفسه وتصبح جزءا من ثروته اللغوية ، يستعملها فى حديثه وكتابته .

أما العناية بالشكل الكامل ، فالمقصود منها تجنيب الطفل اللفظ الخاطئ ؛ لأن الطفل بحافظته القوية ، إذا حفظ الكلمة خطأ ، لزمته طول حياته ؛ فيعسر ردّه إلى الصواب من ناحية ، ويلتصق الخطأ بكرامته ، من ناحية أخرى .. فإذا ردّ إلى الصواب حزّ ذلك فى نفسه ، وقد يغضب ويثور لكرامته ، ويلعن اللغة وينفر منها ، فالإنسان عدو ما يجهل !

وأما الجانب المعنوى الخلق : فإن حرص « الكيلانى » على تجنيب الطفل الخطأ فيه ، لا يقل عن حرصه على تجنيبه الخطأ اللفظى . لأن الطفل إذا رأى انتصار الشر مرة ، ضعف إيمانه بالحياة وتزلزلت عقيدته بالخير .

« والكيلانى » فى ذلك لا يغلو ولا يسرف ، حتى يكون تصوير الأمور وتصوّرها طبيعيين ؛ فهو لا يخدع الطفل ويريه الحياة كلها شرا أو خيرا . ولكنه قد ينصر له الشر فى جانب من القصة ـ كما فعل فى قصة « الفيل الأبيض » مثلا ـ ثم ينصر له الخير فى جانب آخر من القصة نفسها ؛ ليعرف الطفل أن الخير والشر يتعاوران . بل إنه قد يتعمد أحيانا أن يتخير القصص ذات المزالق ليزيل من ذهن الطفل أخطارها — كما فى قصة « شمشون » — حين هوّل فى وصف قوته الجسدية ، ثم حقّر قوته العقلية . وقال فى آخرها :

شَمْشُونُ غَلَبَ الثَّوْرَ والنَّمِرَ والتِّمْساحَ .
غَلَبَ الْفِيلَ والْأَسَدَ والْكَرْكَدَّنَ .
غَلَبَ الْجَمِيعَ ، وَغَلَبَهُ الزَّعَلُ كَما غَلَبَتْهُ الْحِيلَةُ .
غَلَبَهُ حُبُّ الِانْتِقامِ كَما غَلَبَهُ مَكْرُ « دَلِيلَةَ » .

جِسْمُ شَمْشُونَ أَقْوَى جِسْمٍ
عَقْلُ شَمْشُونَ أَصْغَرُ عَقْلٍ
إِرادَةُ شَمْشُونَ أَضْعَفُ إِرادَةٍ !
الْعاقِلُ لا يَبُوحُ بِسِرِّهِ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ
قَوِيُّ الْإِرادَةِ لا يَغْلِبُهُ الزَّعَلُ والْيَأْسُ

فنجا بذلك من تلك العبارة الخطرة المسمومة الجارية على ألسنة الأطفال والرجال : « عليّ وعلى أعدائى يارب » .

وأما الجانب الموضوعى : فإن « الكيلانى » لم يقتصر على مجال دون آخر ، ولا على أدب أمة دون غيرها ، وإنما استقى من كل لون ، واغترف من كل أدب ، ما لا يجوز الجهل به ..

وهو يسمى هذه القصص « الفيتامينات الفكرية » ؛ فلا بد أن تغذى بها عقول الناشئة من ضروب شتى ، وبمقادير متفاوتة .

ونحن إذا ما عرضنا قصصه ؛ وجدنا فيها القصص الأسطورية ، والقصص التاريخية ، والقصص الجغرافية ، والقصص العلمية .

ومن ذلك يتضح لنا أن الأستاذ « الكيلانى » لم يقصر همه على تنمية الخيال وحده ، ولا تنمية الثروة اللغوية وحدها ، وإنما قصد إلى هذين وإلى مقاصد أخرى : قد يكون منها إمداد الطفل بالمعلومات العلمية والتاريخية والجغرافية ، وتعويده التفكير العلمى المنظم ، ووصله بركب الثقافة والحضارة من حوله ، فى إطار قصصى يشوق ، وأسلوب سهل يستهوى ويروق .

* * *

وبعد هذا العرض الموجز ، قد يجدر بنا أن نشير إلى مدى انتشار هـــذه القصص ، وإلى ما أصاب « الكيلانى » من نجاح .
وهو يرى فى هذا أنه إنما يؤدى واجبا وطنيا ، وأنه قد أبرأ ذمته أمام العالم العربى بما قدّم من جهد فى سبيل أطفال العرب وشبانهم .

والواقع أن هذه القصص قد أصابت من النجاح ، فى جميع الأقطار العربية ، مرتبة لا يطمع فيها مؤلف . وقد كان من المحتمل أن تصيب من النجاح أكثر مما أصابت ، لولا بعض الحوائل المادية ، وخاصة فى أثناء الحرب الماضية .

ويضرب « الكيلانى » على ذلك مثلا « إندونيسيا » ، فقد طلبت من قصصه خمسين ألف مجموعة كاملة — وكان ذلك فى أثناء الحرب ونفاد الورق — فلم يستطع إرسال أكثر من خمسين مجموعة فحسب ؛ لأن عدد المجموعات عند الناشر لم يكن يتجاوز الألف .

* * *

وأما الرسائل التى تلقاها « الكيلانى » من مختلف الأقطار العربية ؛ فهى خير ما يبين عن مدى انتشار هذه القصص ، وخير ما يكشف عن حاجة المتعلمين من الأطفال والشباب فى بلادنا إليها .

ومن أطرف هذه الرسائل : ما ورد إليه من « القدس » من المربى الكبير المرحوم « أحمد سامح الخالدى » ، يدعو فيها « الكيلانى » إلى « فلسطين » ، ذاكرا له أن « فلسطين » تفتح له أبواب مدارسها ، وعقول أطفالها !

ويروى « الكيلانى » أن الأستاذ « حسن حسنى عبد الوهاب » حدّثه أن قصته « على بابا » - وكان ثمنها ثمانية قروش - بيعت فى « تونس » بما يساوى خمسة جنيهات . بل إن « الكيلانى » ليرى أن نجاح فكرته ، كان معوقا له عن إتمامها ؛ فسرعان ما كانت طبعة إحدى القصص تنفد ، فيضطر — لشحّ الورق — إلى الانصراف عن طبع القصص التالية إلى إعادة طبع الأولى .

* * *

وبعد ، فإن الغرض من هذه المقالة ، أن تكون مقدمة تعرض — عرض سرد وتاريخ — بعض الجوانب فى قصص « الكيلانى » للأطفال . وهى بهـــذا ، قد تكون مادة للدراسة ، وموضوعا للموازنة ، يفيد منها الدارسون — فى بعض نواحى دراستهم — إذا ما تناولوا الموضوع تناولا أعم وأشمل .

تجارب أربعين سنة(١)

بقلم الأستاذ محمود أبو رية

أخى الكاتب الكبير الأستاذ « كامل كيلانى » :

تحية طيبة مباركة . وبعد :

فإنى لا أحاول فى هذا الخطاب الموجز أن أصف كل ما يخالج نفسى من تقدير بالغ لأدبك العالى ، وبيانك الرفيع ، أو أن أصوّر فضلك على الأدب والشعر والتاريخ .

وماذا أقول فى وصفك ، وقد أجمع العظماء والكبراء ، واتفق فحول الكتاب والشعراء على فضلك ، والإشادة بعظم ما قدّمت لرجال أمّتك وأطفالها من أدبك !.. لا أريد أن أتزيد اليوم بالكلام عن فضلك ، وما سبق من عملك .

وإنما أتحدث فى عبارة موجزة عن المجموعة النفيسة المسماة : (مكتبة الكيلانى للأطفال) .

تلك التى جعلتها لتأديب الأطفال وتثقيفهم ، وضمنتها الخيال البعيد والفكر السديد ، والحيل الغريبة ، والمحاورات المفيدة ، وزينتها بالحكم الغالية ، والفلسفة العميقة ، والفكاهة الحلوة ، والنادرة المستملحة ، وغير ذلك من الأغراض التى يرمى إليها كبار علماء التربية فى هذا العصر ، والتى يجب أن تحملها كل كتب التربية .

---

(١) الرسالة فى فبراير ١٩٤٩ .

كل ذلك فى معرض مشوق أخاذ .

والتشويق أنجع دافع إلى القراءة ، والانتفاع بما فى الكتب والأسفار ، يستوى فى ذلك الكبار والصغار .

أما طبع هذه المجموعة والشكل والعرض والأسلوب والصور التى تزينها ، فهى كذلك مما لا يكاد يوجد مثله فى مطبوعات أخرى .

وإذا كان لى من قول أذكره - لأخى - بعد تجارب تقرب من أربعين سنة ، قضيتها فى الدرس والتحصيل ، فهو اعترافى بأنك قد وفقت أعظم توفيق فى إخراج هذه المجموعة النفيسة ، التى بدت تختال فى هـذا الشكل الرائق ، والموضوع الفائق .. وأستحثك على ألا تنى فى الاستزادة منها ؛ ليدوم النفع ، وتستمر الإفادة .

وإنى - تلقاء هذا العمل الجليل - أتوجّه لأخى الكريم بالتقدير العظيم ، على ما بذل ويبذل من جهد وتعب فى سبيل تثقيف الناشئين وغير الناشئين ، وبالشكر الجزيل على سائر الأعمال الأدبية والعلمية التى أخرجتها وتخرجها كل يوم ، لنفع الناس أجمعين .

أعانك الله ، وأدام توفيقه لك ، ومتعك بكمال الصحة ، وموفور العافية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مكتبة أطفال العرب[1]

بقلم الأستاذ أسعد حسنى

أجمع كثير من المفكرين ، على أن القصة هى أذخر ألوان الأدب ، وألمع جوانب الفنون ، وأحفلها بعناصر الحياة !..

وفى « أوربا » نجد أن كثيراً من النهضات التى غيرت جميع الأوضاع الاجتماعية ، فى العديد من دولها ، قامت على أكتاف القصة ، وتمت بفضل التوجيهات التى انطوت عليها وقائعها المثيرة .

فقد استخدم المصلحون من الأدباء والمفكرين قصصهم فى الدعوة إلى مبادئهم الحرة ، والترويج لما يعتنقونه من المذاهب الجديدة ، والمثل العليا .

ولقد آثر بعض كتاب القصة المجيدين من الأوربيين ، أن يخصوا الجيل الناشئ من أطفال أممهم ، بجانب من عنايتهم واهتمامهم ؛ فتوفروا على كتابة قصص خاصة لهم ، لتنبيه عقولهم إلى المبادئ القومية ، وتنمية شعورهم القومى ، وتوجيههم إلى ما ينشدونه من الأهداف والغايات .

حقا إنهم سبقونا مئات السنين إلى ذلك .. حتى استطاع الأديب الكبير الأستاذ « كامل كيلانى » ، أن يسدّ هذا النقص الشاغر فى المكتبة العربية ، بهذه المجموعة الضخمة من قصص الأطفال ، التى وضعها بأسلوبه الفريد الممتع .

---

(١) مجلة العالم العربى فى ١٩٥٠/١١/١ .

إن « الكيلانى » تنبه إلى هذا النقص ، فى مطلع نهضتنا الوطنية الحديثة ، حين لمس حـــيرة الصغار الناشئين ، بين ما فى أيديهم من كتب معقدة الأسلوب ، سقيمة التنسيق ، وبين ظروف الحياة الشاقة المعقدة التى تنتظرهم فى الغداة .

فنهض وحده بسد هذه الثلمة فى حياتنا « التربوية » - وهى مهمة ليست باليسيرة - كى يعبد أمامهم الطريق للمستقبل .

لقد توفر « الكيلانى » على عشرات المراجع وأسفار التاريخ ، والأساطير ؛ فأخرج من دفائنها الكنوز ، والطرائف ، ما بين أدبية ، ووطنية ، واجتماعية ؛ فصاغ المبهج والمعجب من حوادثها فى أقاصيص بديعة : فيها المفيد المثقف من العبر والدروس ، وفيها الشائق والخفيف من النوادر الطليـة التى تسرى عن النفوس ، وفيها القويم والسـديد من المبـادئ التى تساهم فى تربية الناشئة التربية الوطنية المثلى ، والتى تجعـل منهم رجالا يدخرهم الوطن للملمّات والمسئوليات .

وهذا الطراز من قصص « الكيلانى » ، يتسلم الطفل منذ البداية إلى آخر مدارج الشباب ؛ فيوجهه إلى الأخـذ بالحقائق ، ويفسح له مجال الأمل فى عالم يموج بالنضال ، ويعلمـه كيف يوطد عزمه على اقتحامه فى قوة ، وهو ناضج الفـكر ، مكتمل الذوق ، عارف بشئون دينه ودنياه .

لقد أصبحت قصص « الكيلانى » للأطفال تعـــدّ بالعشرات والمئين ، وترجمت إلى عدة لغات ، وكانت قصصه أول كتب بالعربية ترجمت إلى الصينية ، وأصبحت - بانتشارها فى الدوائر التعليمية فى مختلف أنحاء المعمورة - أصدق دعاية على ما وصلت إليه مصر ، فى توجيه جيلها الجديد ، وجهة النفع السديد ؛ فهو منشئ أبناء مصر الحديثة .

كتب «الكيلانى» «فى نيويورك»[1]

حمل إلينا الدكتور « أمير بقطر » (أستاذ علم النفس الزائر بجامعة نيويورك) بمجموعة من كتيبات عربية ، أصدرتها (مكتبة « الكيلانى » للأطفال) بالقاهرة — مصر .

وقد سررنا بمطالعتها ، وها إننا نقول فيها كلمة سريعة ، اعترافا بجهودها الجبارة .

واضع هذه المجموعة وصاحبها ، هو الأستاذ « كامل كيلانى » من كبار أدباء العرب فى مصر ، وله ـ عدا هذه المجموعة التى تزيد على مائة وخمسين قصة ـ : عشرات المؤلفات القيّمة ، أشهرها « رسالة الغفران » لـ « المعرى » .

أما كتبه للأطفال هذه ، فنعتقد أنها تسدّ الفراغ فى الأقطار العربية كلها ، إذ توحّد الثقافة الابتدائية فى عقول أبنائنا العرب ، ويثرى ـ بعد ممارستها ـ الأدب العربى ، فيصبح شأننا فيها شأن كل الأمم الغربية التى تتمتع بوحدة أساطيرها فى تثقيف ناشئتها .

وإننا لأكيدون بأن ما ينقص التربية العربية فى مجموع مدارسها المختلفة ؛ إنما هو التوجيه التوحيدى فى قراءاتها الابتدائية .

ولهذا نكرر ما كتبناه سابقا بهذا الصدد عن وجوب تعميم قراءة كتاب : أمثال « لقمان الحكيم » ، و « كليلة ودمنة » ، و « الجميل الطاهر » ، من حكايات (ألف ليلة وليلة) ، واعتمادها أساسا واحدا لتدريس أطفالنا العرب فيها .

---

(١) جريدة نيويورك العربية فى ١٧ كانون أول (ديسمبر) ١٩٥١ .

ولا نغالى أو نجامل إذا قلنا : إن مجموعة الأستاذ الكبير « كامل كيلانى » قد فتحت بابا واسعا يطل على مُروج خُضر من الأدب العربى ؛ بوسع « طلابنا » هؤلاء المحبوبين أن يرتعوا فيها ويمرحوا آمنين مضمونين .

أضف إلى هذا كله اقتفاء الأستاذ « كامل كيلانى » فى إخراج مجموعته طريقة غربية طريفة، مشحونة بمتقن الرسوم والصور ، ذات أسلوب مبتكر ، تحبب القراءة للأطفال ؛ وتسير بهم حتى يبلغوا ختام تعليمهم الثانوى .

ولسنا بحاجة إلى وصف الجهة المادية التى تتقدم بها هذه المجموعة إلى القراء ، فهى جذابة جميلة ناصعة صقيلة .

وعليه فمجموعة « الكيلانى » ثورة مباركة ؛ يتحتم على مطالعها تأييدها ، والأخذ بيدها .

فللدكتور « أمير بقطر » شكرنا ..

وللمؤلف الأستاذ «كامل كيلانى» إعجابنا وتقديرنا : بل تأييدنا !

« جحا » بين الخرافة والتاريخ [1]

بقلم الأستاذ كامل محمد عجلان

قرأت منذ أسبوعين فى « الرسالة » الغرّاء نبذة للأديب المهذب الأستاذ « حمد الجاسر » ، نقل فيها فقرة فى تاريخ « جحا » تضمنها بحث للأستاذ الكبير « كامل كيلانى » نشره فى « الرسالة » من قبل ؛ ثم عقب الكاتب الفاضل على هذه الفقرة بما عنّ له من ملاحظات .

وقد حمدت له روحه العالية فى النقد ، وتنوّرت منها شيمة العلماء الباحثين لوجه العلم والبحث ، لا للتطاول والمماراة .

ولعل ذلك ما حدانى أن أراجعه الحديث فيما كتب ، فقد لاحظ أن التى خدمت أم « جحا » هى أم « أنس بن مالك » لا « مالك بن أنس » ؛ وهى ملاحظة لا يغيب عن فطنة القارئ اللبيب ؛ أنها سبق قلم ، أو هفوة طبع ، كما يدل السياق .

وقد تساءل الكاتب : كيف تكون « أم جحا » خادمة لـ « أنس بن مالك » ، ثم تدرك القرن الثانى ، ويولد لها ابنها « جحا » فيه .
ولكى نشارك فى هذا التساؤل ، يجب أن تتحقق لنا وفاة « أم جحا » غير معمرة .

---

(١) مجلة منبر الشرق ـ العدد ٢٧ ٤ سنة ١٩٥١ .

وما نحن بحاجة إلى أن نذكر بأخبار من عمر من النساء والرجال ، ومن رزقوا الولد بعد كبرة وهرم ، فلا استحالة فى أن تلد « أم جحا » ابنها بعد هذه السن ؛ إلا أن ينفى ذلك نصّ وبيان .

ولقد تساءل الكاتب أخيرا :

كيف يعيش فى القرن الأول الهجرى ، ويُعدّ مخضرما ، مَن وُلد قبل ذلك القرن بمائة سنة أو أكثر ؟

والجواب عن ذلك ليس بالعسير : فإن من أوتى العمر الطويل ، يعيش أكثر من مائة سنة ، ويحيا فى غضون مائتين من السنين .

وقد سمى من يدرك العصر الإسلامى من الجاهليين مخضرما أيًّا كان عمره ، وأيًّا كان الزمن الذى عاشه فى الجاهلية .

على أنى لست أجد لهذا التساؤل موضعا فى التعقيب على قول الأستاذ « كامل كيلانى » :

« إن « خرافة » قاصّ عربى مخضرم ، عاش فى العصرين : الجاهلى والإسلامى » .

فإن هذا الكلام من الوضوح والصحة بحيث لا يجوز معه التساؤل ، ولا رميه بأنه (مخالفة للحقائق) .

والأمر ـ من قبل ومن بعد ـ أهون من أن يدور حوله الأخذ والرد .

فالأستاذ « كامل كيلانى » ـ فيما يبدو من بحثه ـ قد سرد من تاريخ خرافة « جحا » ما استخلصه من نقول المؤلفين والرواة ، وهى مختلفة متضاربة ؛ لا يقطع فيها مؤلف برأى .

وحسبك أن تنظر فيما نقل عن « ديوان الذهبي » وكتاب « المنهج المطهر للقلب والفؤاد » وغيرهما ؛ ليستبين لك أن الجدل فى مثل هذه النقول جهاد فى غير عدو ، ومحاولة للترجيح بالظن ، لا بأسباب اليقين .

* * *

ولقد صدق الكاتب الفاضل إذ قال :

« إن مثل هذا الخلاف لا يؤثر فى منزلة الأستاذ « الكيلانى » الذى أسدى للجيل الجديد أعظم منة : (مكتبة الأطفال) » .

وأصدق من هذا القول أن هذا الخلاف قد أتاح الوقوف على ما يبذل الأستاذ من جهد ، فى استخلاص لطائف من التاريخ ؛ فيها لذة وإمتاع ، وكانت ـ من قبل ـ دفينة لا تقع عليها العيون .

وللكاتب الفاضل موفور التقدير والاحترام .

زيارة الأديب (1)

بقلم الأستاذ العوضى الوكيل

سعدت منذ أيام بزيارة الأستاذ الأديب « كامل كيلانى » ، فى ندوته التى تنعقد مساء السبت من كل أسبوع ، والتى تحفل بالصفوة المختارة من أعلام الفكر والبيان فى البلاد العربية ، والتى يعالج فيها مشاكل البيان والعروبة فى كل مكان ، والتى يسمع فيها الشعر الرصين ، والنادرة الفكهة ، والطرفة المستملحة .

والأستاذ « الكيلانى » هو قطب الرحى ، ومحور الندوة .

وفى جانب من الندوة (مكتبة الأطفال) ، وهى تكاد تكون وحدها دارا رحيبة واسعة .

وإن تعجب فعجب أن تكون مثل هذه المكتبة الكبيرة لمؤلف واحد ، لم يشاركه فيها مشارك ، وهو حدث أدبى تربوى ثقافى ، لا يوجد مثله فى الشرق ، وربما لا يوجد فى الغرب !.. ومن الإنصاف للرجل أن نقول : إنه بدأ من أول المرحلة ، وسار مع عقلية الطفل حتى اغتلم ، ثم شبّ ، فى مائة وخمسين كتابا .

والقصص التى قرأتها هذا الأسبوع من هذه المكتبة العامرة ، هى « شمشون ودليلة » ، وهى تبسيط جميل للقصة المشهورة ، يلائم عقول الأطفال فى حوالى العاشرة من أعمارهم ، وعلى الرغم من هذا التبسيط ؛ فإن القصة لم تفقد شيئا من جوهرها الفنى ،

---

(1) النداء فى ١٩٥١/٣/٢٧ .

وروحها القصصية . . وقرأت له « مدينة الزجاج » ، وهى قصة علمية ، تلائم عقول تلامذة المرحلة الابتدائية فى نهايتها ؛ وهى تقصّ عليك سيرة « الزجاج » منذ عرفه الإنسان ؛ حتى صار إلى ما صار إليه من ذيوع استعمال ، وعميم فائدة ، وتتحدث عن أنواعه وأشكاله ، ومزية كل نوع ، متجافيــة عن الأسلوب التلقينى الجاف ، والعلمى الثقيل .

ظهر فى السوق كثير من كتب الأطفال ، تعالج ثقافتهم فى شتى نواحيها ، وبعض هذه الكتب جيد ونافع ، وبعضها محاولات ، وبعضها تقليد لا أثر للابتكار فيه .

ولكن من الإنصاف أن نذكر أن « كامل كيلانى » هو صاحب الفكرة الأولى ، وواضع اللبنة الأولى ، بل اللبنات الأوَل ، فى هذا البناء الثقافى التربوى الجميل ؛ بل أريد أن أقول : إنه البانى لأكثر هذا البناء : أساسا وشرفات .

وبقى أن نقول : إن فكرة مكتبته تقوم على أساسين :

الأول : التدرج بعقلية الطفل ، وتثقيفه بالحياة على حسب سنه بالتدريج .

والثانى : وضع قاموس لغوى للطفل ، يتسع تدريجيا بزيادة سنه ، ومعلوماته عن الحياة .

وأشهد لقد وفق الأستاذ « كامل كيلانى » فى تحقيق الهدفين معا ، فنال بذلك رضاء « مصر » ، ورضاء المربين والأدباء .

الكوميديا الإلهية[1]

بقلم الأستاذ عباس خضر

كان الأستاذ « كامل كيلانى » قد لخص « الكوميديا الإلهية » للشاعر الإيطالى « دنتى أليجييرى » ، وألحقها بالطبعة الثالثة من شرحه لـ « رسالة الغفران » لـ « أبى العلاء المعرى » ؛ قاصدا بذلك أن يقرن بين العملين الأدبيين اللذين تشابها ، وكتبت البحوث المستفيضة فى مدى ما بينهما من تماثل أو تخالف ، وما قيل من تأثر « دنتى » بـ « المعرى » فى الخيال الذى طاف بأرواح الخالدين فى العالم الآخر .

وقد رأى الأستاذ أخيرا أن يعدّ هذه القصة « الكوميديا الإلهية » إعداداً يناسب الشباب ، فأفردها فى طبعة جديدة ، وتناولها بالدرس والشرح والتحليل فى خلال السياق نفسه .

ولهذا العمل الذى يقوم به المربى الأدبى الكبير الأستاذ « كامل كيلانى » ، ناحيتان ، لهما أكبر الأثر فى التثقيف الأدبى ، وبخاصة فى تنشئة الجيل وتخريجه وإعداده لتذوق الأدب الرفيع :

الناحية الأولى : هى قطف الثمرات الأدبية ، التى أخذت مكانها البارز على فروع شجرة الآداب العالية ؛ ومعالجتها بما يدنيها من أفهام الشباب ، وأذواق المعاصرين على العموم.

---

(١) مجلة الرسالة فى ١٩٥٢/٤/٧ .

وقد اختار من الأدب الغربى أربع قصص ذات صيت :

أولاها « الكوميديا الإلهية » لشاعر الطليان .

والثانية « جلفر » لـ « سويفت » الإنجليزى .

والثالثة « روبنسن كروزو » لـ « دانييل ديفو » الإنجليزى أيضا .

وقد ظهرت هذه القصص الثلاث ، وبقيت القصة الرابعة التى لا تزال تحت الطبع ، وهى « دون كيشوت » لـ « سرفنتيس » الإسبانى .

ومما يذكر أن ثمة شبها بين قصتى « روبنسن كروزو » و « حىّ بن يقظان » لـ « ابن طفيل » ؛ كما بين « الكوميديا الإلهية » و « رسالة الغفران » .

ويؤيد القول بأن صاحب « روبنسن كروزو » استلهم « حىّ بن يقظان » : أن هذه القصة العربية ترجمت إلى الإنجليزية سنة ١٦١٦ م ، ثم ترجمت من الإنجليزية إلى عدة لغات ، وألفت « روبنسن كروزو » بعد ذلك بعشرات من السنين .

الناحية الثانية : أو الثمرة الثانية ، لذلك العمل المخصب ، هى الصياغة العربية الجميلة ، التى يصوغ بها الأستاذ الكبير تلك الآثار الخالدة ، هذه الصياغة التى يعطى فيها للناشئ محصولا شهيا من اللغة الملائمة له . . وعمل الأستاذ « الكيلانى » فى هذا الحقل ، يشمل إنتاجه الوافر من بدئه مع الطفل فى روضته ؛ حتى يبلغ بالشاب مستوى النضج .

* * *

ونراه هنا فى « الكوميديا الإلهية » يرتفع بفتاه إلى أسلوب يدنيه من أساليب البلغاء ، ويسيغ له ما يراه جديدا عليه من الكلمات بوضعها فى سياق مبين، أو يشرحها بين الأقواس ، وهو يأتى بالكلمات المشروحة سائغة عذبة فى تركيبها .. ولم أجد فيها ما شذّ عن ذلك إلا كلمتين ، ارتطمتا بذوقى وهما « حُبِّيه » و « وُدِّيه » فى العبارة التالية :

« إنَّ اسْمِى « بيتْرِيسَ » . . وقَدْ جِئْتُ إلَيْكَ مِنْ دارِ النَّعيم ، يَدْفَعُنِي حُبِّيهِ (مَحَبَّتِي لَهُ) ويَحْفِزُنِي وُدِّيهِ (مَوَدَّتِي لَهُ) . . . »

وأنا لا أميل إلى اختيار الكلمات ، لمجرّد إضافتها إلى المحصول اللغوى ؛ دون أن تكون خيرا من غيرها .

وإنى أورد هذه « الملاحظة » كرقية ، تقى سائر ما يتصف به أسلوب الكتاب من جمال ، شرّ عين الحاسد ...

مكتبة جميع كتبها لمؤلف واحد (1)

يعتبر الأستاذ « كامل كيلانى » من أكثر الأدباء المصريين إنتاجا ، فله أكثر من ٢٣ كتابا فى الأدب العربى .

وكانت سنه ٢٢ عاما ، حينما أخرج للسوق « رسالة الغفران » ، ونفدت السبعة آلاف نسخة التى طبعها فى تسعة أشهر !

أما كيف تحول إلى الكتابة للأطفال ؟

فلهذا قصة طريفة .

فى سنة ١٩٠٨ تسلم « الطفـــل » « كامل كيلانى » كتبه المدرسية الخاصة بتلاميذ السنة الأولى الابتدائية . وخرج « كامل » وصديقه « سيد » ـ الأستاذ « سيد إبراهيم » الأستاذ (بدار العلوم) والخطاط المعروف ـ فرحين إلى فناء المدرسة ، يستعرضان ما تسلماه من كتب ...

واسترعت كتب المطالعـة الإنجليزية نظر الطفل « كامل » بصورها الجميلة ، وألوانها البديعة ، وطبعها المتقن ..

وأبدى هذه الملاحظة لصديقه « سيد » قائلا :

ــ شايف الكتب الإنجليزى جميلة ازّاى ! ...

مش زى الكتب العربى « البايخة » دى !

فضحك صديقه ، وقال ساخرا :

ــ إن ما كانتش عاجباك ، اعمل أحسن منها !

---

(١) مجلة الاثنين فى ١٩٥٢/٢/١١ .

فردّ الطفل « كامل » فى ثقة وتحدّ :

— أيوه ... راح أعمل أحسن منها ... لما أكبر !

وكبر « كامل » وظلت هذه الفكرة تساوره من وقت لآخر .

وفى سنة ١٩٢٨ عادت المشكلة التى واجهته فى طفولته إلى الظهور ، وكان قد تزوّج وأنجب طفلا ، ألحقه بإحدى المدارس الفرنسية .

وفوجئ الأب — ذات يوم — بنفس السؤال الذى ردده فى طفولته ...

وكان السائل فى هذه المرة هو ابنه ، الذى قال :

« ليه يا بابا الكتب العربية مش جميلة زى الكتب الفرنساوية » ؟ ...

وزمّ الأب شفتيه فى عزم !

وفى يوم أخذ الأستاذ « كامل » بيد ابنه ، وشرع يقصّ عليه قصة « السندباد » . . وأعجب الطفل بالقصة .

وفى اليوم التالى سمعه أبوه يقصّ القصة كاملة على جدته .

وتحمس الأب ، وعادت الفكرة القديمة تلح عليه ، حتى أخرج قصة « السندباد » ، وأتاحها لكل من شاء من الأطفال !

ثم توالت القصص بعد ذلك ، متدرجة من رياض الأطفال إلى الابتدائى ، فالثانوى ، فالعالى ...

وكانت كل قصة يخرجها الأستاذ « كامل » فى كتاب جميل محلى بالصور ، تبدأ باجتماع صغير ؛ يحكى فيه الأستاذ « كامل » لابنه الصغير حكاية ، ثم يطلب من الابن أن يعيد القصة عليه ...

ويكتب الأستاذ « كامل » القصة بطريقة الطفل ...

وتدرجت الكتب مع تدرج عقلية أولاده : من رياض الأطفال ، إلى الابتدائى ، إلى الثانوى ، إلى ليسانس الآداب ! ..

وللأستاذ « كامل كيلانى » اليوم أكثر من ١٥٠ قصة ، يقرؤها أطفال العالم العربى بلذة وشغف .

ولا يزال يذكر كيف أن إحدى بناته وجدت ترجمة صينية لقصة من قصصه ، فقالت له :

— تعرف تقرا صينى ، يا بابا ؟

— لا ...

— إزاى ما تعرفش تقرا كتبك ؟ !

الأمير عبد الله الفيصل [1]

تلميذ على كتب « الكيلانى »

روت جريدة « المدينة المنورة » هذا الحديث الطريف عن الأستاذ « كامل كيلانى » ، صاحب (مكتبة الأطفال) الشهيرة .

(إن سمو الأمير « عبد الله الفيصل » ، وزير الصحة والداخلية ، فى زيارته الأخيرة لمصر ، كان ضيف الشرف فى جمعية الشبان المسلمين ، وكان من بين الحاضرين الدكتور « صلاح الدين » والأستاذ « صالح حرب » .

وقد قدم الدكتور « صلاح الدين » لسموه الكريم الأستاذ « كامل كيلانى » ، فرحب سمو الأمير بالأستاذ « الكيلانى » ترحيبا بالغا ، والتفت إلى الحاضرين ، وقال :

« أتعرفون ، أننى تلميذ الأستاذ « الكيلانى » ؟ على كتبه درست ، وبفضلها أحببت الأدب ، فكان أول ما وقع فى يدى من كتبه قصة « عبد الله البرى وعبد الله البحرى » .

وقد حببت هذه القصة إلىّ قراءة المجموعة كلها ، وحببت المجموعة إلىّ الأدب ! »

فشكر الأستاذ « الكيلانى » لسمو الأمير عنايته ، وقال له :

« إن أول هدف ترمى إليه هذه الكتب ، هو ما قلته سموك من أنها تحبب الأدب .»

---

(١) منبر الشرق فى ١٩٥٣/٩/٢٥ .

ثم قال لسموه :

« إن الطفل لابدّ له من كتاب يطالعه — أو على الأصح كتاب يختطفه — فإذا اختطفه الكتاب الأجنبي خسرناه ، وإن اختطفه الكتاب العربى كسبناه ، وصار منا وصرنا منه . »

فقال سمو الأمير :

« أما أنا فقد اختطفتنى كتبك ! »

ثم قال :

« إن من العجب أن قصصك ، يا أستاذ : يقرؤها الطفل فى مستهل نشأته ، فيفتن بجمال القصة وسياق حوارها .

فإذا كبر ذكره العقل الباطن بالمرامى البعيدة النبيلة المقصد ، التى غرستها هذه الكتب فى نفسه ! »

فقال الدكتور « صلاح الدين » :

« إن هذا الحديث كسب من سمو الأمير لمصر ، بل كسب للعالم العربى كله . »

وأثنى على سمو الأمير الخطير ، وما يتمتع به من مكانة أدبية سامية فى البلاد العربية » .

حقيقة واقعة

بقلم الدكتور مختار الوكيل

بارك الله فى جهود المربى الجليل الأستاذ « كامل كيلانى » ...

فهو بإنتاجه الزاخر الوافر المتتابع المتلاحق ، يؤدى أجل خدمة للجيل الناشئ فى مصر ، وسائر البلاد العربية .

فنحن جميعا نشكو من أن نابتتنا يعانون نقصا خطيرا فى إتقان لغتهم الرءوم .. وليس أجدى عليهم فى هذا الباب من الإقبال على المطالعة منذ الصغر ، والتعوّد على تلاوة القصص الشيّقة ، وكتب التاريخ المبسطة ، وغيرها من موضوعات المطالعة السهلة التى تتناول الرحلات إلى البلاد البعيدة والمناطق العجيبة ، حيث تنمو عجائب الأزهار والنبـــات ، وحيث تعيش غرائب الحيوان ، ويقيم الفذ العجيب من صنوف الإنسان .

ولا جدال فى أن الموعظة الحسنة إذا وضعت فى إطار لطيف من أقصوصة أو أحدوثة ، وطعمت بشىء يسير من الفكاهة الأنيقة الرشيقة ، كان لها فعلها فى قلوب النشء .

وشكوانا من نقص (مكتبة الأطفال) لدينا هى شكوى حقيقية ومريرة ، وجدير بنا أن نتدبر هذا الأمر ، وأن نوليه من العناية قسطه الواجب ، وقدره الصحيح .

فنحن على أعتاب نهضة عظيمة ، تقتضينا العمل السريع الجبار ؛ فى سبيل كفالة أوفى قسط من الثقافة الممتازة لجيلنا الجديد . .

وهذا يحتم علينا أن نبذل أقصى ما نطيق من جهد للنهوض بـ (مكتبة الأطفال) ، وتعميم الثقافة العربية لدى الناشئين .

ولن يتم لنا ما نأمل فى هذا السبيل ؛ إلا بتضافر الجهود وتكاتف القوى والملكات ؛ لتحقيق الهدف الأسمى المنشود فى أقرب وقت مستطاع .

ولقد بذل المربى الكبير الأستاذ « كامل كيلانى » منذ سنوات طويلة ، جهودا هائلة فى سبيل جعل (مكتبة الطفل) حقيقة واقعة .

ولا مشاحة فى أنه قد أحرز ـ بمفرده ـ قسطا عظيما من التوفيق فى تحقيق هذه المكتبة المرجوّة ، حتى لنقول دون مبالغة : إنه الرائد الأول فى ميدان الكتابة للجيل الناشئ .

* * *

وإنه ليسرّنا غاية السرور ، أن يتمكن الأستاذ « الكيلانى » من الاستقلال بعمله التهذيبى القيم .

فقد لاحظنا أن كتبه الأخيرة التى نحن بصدد الحديث عنها اليوم ، صادرة عن « دار مكتبة الأطفال » التى نتمنى لها ، ولصاحبها الأديب (الكامل) ، كل توفيق ونجاح .

أدب الطفولة[1]

بقلم الأستاذ عطية فهمى شاهين

منذ ربع قرن ، والأستاذ الكبير « كامل كيلانى » دائب لا يكل فى تقديم غذاء أدبى لأطفالنا ، يضعه فى ألوان من القصص المبدع الطريف ، متعهدا الطفل فى أطوار نمـوِّه ، حتى ينتهى به إلى الشباب الواعى المدرك .

ولا شك أن هذه اللفتة الكريمة منه - باتجاهه إلى الكتابة للأطفال - فتح من فتوحاته الموفقة ، وما أكثرها فى حياته الأدبية !

غير أن طريق الكتابة للأطفال لم يكن سهلا معبَّدا ، بل هو - على التحقيق - أشق كثيرا من الكتابة للكبار .

ومع هذا العنت والجهد الذى تحمله أستاذنا راضيا مستبشراً ، لم يسلم من حرب عنيفة لُحمتها الحقد ، وسداها الغيرة الحمقاء ، ولكنه سار فى طريقه لا يهتم بحقد الحاقدين ، ولا دسّ الدسّاسين .

وقد حاول كثيرون أن يقلدوه ، وما زالوا ، ولكنه رغم ذلك ، سار فى المقدمة وبقى فى الطليعة ، رائدا فى أدب الطفولة ، لا يباريه فى ذلك مبار .. مجددا مبتكرا ، لا يدانيه فى تجديده وابتكاره أحد ، حتى هؤلاء الذين يدلون بما فى جيوبهم من إجازات علمية فى التربية ، تخلفوا عن اللحاق به ، ويئسوا من الوصول إلى مستواه .

---

(١) مجلة الصباح فى ١٩٥٤/٢/٤ .

ولعل ما يدعو إلى العجب ، أن (مكتبة الكيلانى للأطفال) قد ذاعت وانتشرت فى بلاد الشرق العربى ، وقررت رسميا فى مدارس هذه البلاد ، بل وترجم بعضها إلى اللغة الصينية . .

ومع ذلك أبت وزارة المعارف المصرية أن تقررها فى مدارسها ؛ وإن كان ذلك لم يمنع الأطفال من التهافت عليها ، والاتهال من فيضها العذب ، وسلسلها الصافى !

جزى الله أستاذنا « الكيلانى » خير الجزاء ، عما قدّمه لأطفالنا من باقات أدبية رائعة . .

وحسبه أن جيلا بل أجيالا من الأطفال والشباب ، الذين تثقفوا وسيتثقفون فى مكتبته للأطفال ، سيذكرونه دائما رائدا لهم يحمدونه ، ومثقفا يدينون له بالفضل والحمد .

كامل كيلانى [1]

نبذة عنه فى « يوميات الأخبار »

بقلم الأستاذ سلامة موسى

هناك من الناس من تقعد إليه ، فترى شخصه ؛ ولكنك لا ترى نفسه . .

ولكن « كامل كيلانى » نفسا أكثر مما هو شخص .

وكثيرا ما قعدتُ إلى هذه النفس واتئنست بها ، وقد عرفتها منذ أكثر من ربع قرن .

و « كامل » هو أكبر موسوعة حيّة لأكبر شاعر عربى هو « المعرّى » . وقد حفظ له مئات الأبيات التى يطرفك بها ، فينير عقلك وكأنه يزيد ذكاءك .

* * *

ولكنى لا أحبه لهذا فقط ، إنما أحبه لأنه صديق الأطفال ، فقد أرصد حياته ونور عينيه لخدمتهم ، بأكثر من مائة كتاب يقرءونه ؛ وكأنهم يلعبون .

وقد كنت أحب لنفسى أن أؤدى مثل هذه الرسالة لوطنى .

---

(١) الأخبار فى ١٩٥٤/١/٣١ ،

ومع أنه يتعمق اللغة ، ويدرى معانيها ؛ فإنه يحاول أن يسهم فى إيجاد اللغة الشعبية ، أى تلك اللغة التى ندعو إليها ، والتى نرجو أن نحققها ، دون أن نحتاج إلى اللغـــة العامية .. فقد رأيته يستعمل الأفعال : زعل ، ونط ، وشاف .

وهى كلماتنا العاميـة ، ولـكنها مع ذلك عربية فصيحة ، فلماذا لا نستعملها ؟

ولم أستغـرب أن تترجم بعض مؤلفـاته للأطفال إلى اللغة « الصينية » .

وقد قرأت له آخر مؤلفاته ، وهو قصة ، أو قصص ، باللغتين الفرنسية والعربية .

حبذا أطفالنا يجدون من أمثال « كامل كيلانى » الخدمة التى يبعثها الحب لهم عند كبار أدبائنا !

أدب الأطفال [1]

بالفرنسية والانجليزية

بقلم الأستاذ ثروت أباظة

بين يدىّ مجموعة جديدة لمؤسس (مكتبة الأطفال) الأستاذ الكبير العالم الأديب « كامل كيلانى » ، وليس بين هذه الصفات التى أقدمه بها صفة واحدة تضفى على الرجل فضلا ، أو تجلب له مديحا ، وإنما هى صفات لا يستطيع إنسان أن يذكره ، ولا يذكرها .

يتحتم علىّ أن أتحرّى الدقّـة المتشككة ، فإن للرجل فضلا علىّ لا أطيق جحوده ، والمفضول يخشى ضميره إن هو كتب عن المفضّـل ، يخشى أن يبالغ فى المديح ؛ فيصبح قوله مجاملة ، لا صلة لها بالنقد البرىء النزيه عن الغاية .

وعلى الرغم من هذا التحرّج الذى أعلم أننى ملاقيه عند الكتابة عن « الكيلانى » ، فإننى أعتقد ـ فى هدوء واثق مطمئن ـ أننى لن أبالغ ، ولن أضفى على الرجل شيئا جديدا عليه .

* * *

ولعل فضل « الكيلانى » علىّ هو أول ما يجب أن أكتبه ، فلقد بدأت قراءتى ـ وأنا فى باكر الصبا الأول ـ بكتب « الكيلانى » .

---

(١) مجلة صرخة العرب فى أبريل (نيسان) ١٩٥٥ .

ولا أعرف فرحة بهدية خالجت نفسى : قدر هـذه الفرحة التى كانت تطالعنى مع كتب « الكيلانى » ، فقد كانت ـ حينذاك ـ تنشئ لى دنيا من القصص أعيش فيها حتى أنتهى من كل الكتب التى وصلت إلىّ .

* * *

وأذكر بعد ذلك أننى انتقلت من هذه الكتب ، إلى كتب « تيمور » فـ « توفيق الحكيم » فـ « طه حسين » ، فـ « العقاد » فـ « هيكل » .

وأذكر ـ ولا أنسى ـ أننى لم أجد أيسر صعوبة فى قراءة هذه الكتب ، بل إننى كنت أقرأها فى نفس اليسر الذى كنت أقرأ به كتب « الكيلانى » ، ولم أر سلما يرقى بالطفل إلى مدارج القراءة فى الأدب الكبير ، مثل هذه الكتب ، التى أخرجتها (مكتبة الكيلانى) .

* * *

و « الكيلانى » حين يكتب هذه الكتب ، لا يلقيها قصصا قاصرة على تعليم الطفل الأخلاق والأدب فحسب ، وإنما يراعى فيها ألفاظا بعينها ، يتوخاها فيعيدها المرّة بعد المرة ، حتى يعرفها الطفل ، ويعرف مكانها من الجمل ، ومجراها من الحديث .

* * *

وهذه المجموعة الأخيرة التى أقرأها : مجموعة كتب فيها الأستاذ « الكيلانى » القصة باللغة العربية ، فى ناحية من الصفحة ، وباللغة الفرنسية أو الإنجليزية فى الناحية الأخرى من الصفحة .

* * *

ولعلك تعجب إن قلت لك : إننى تعلمت من كتب الأطفال هذه ألفاظا عربية كثيرة . فأنا ـ مثلا ـ لم أكن أعلم أن « زعل » كلمة عربية صحيحة .. وكم زعلت لجهلى هذا .

فقد طالما أردت أن أكتب هذا المعنى الذى كنت أظن أن اللغة العربية ضاقت عنه ، واتسعت له العامية وحدها ، فكلمة زعلان كلمة لا تؤدى معناها كلمة غضبان مثلا .

وتعلمت أن كلمة « خف » بمعنى شنى صحيحة ، والأستاذ « كيلانى » يستعمل كلمة شاف بمعنى رأى ـ وهذه كنت أعرفها ـ وهو هكذا يستعمل الدوا بدلا من الدواء ، وغير هذا من الألفاظ التى يظنها الكثير غير عربية .

ولعل هذه الكتب تقنع الجهلاء الذين ظنوا أن اللغة العربية صعبة الفهم ، عسيرة الطريق ، لا تجد سبيلها إلى عامة القراء ، لعلهم يقتنعون حين يقرءون هذا الكلام أن اللغة العربية تستطيع أن تصل إلى كل طبقة من القراء ، وأن الأمر يتوقف على الكاتب ، وعلى مقدار علمه باللغة العربية .

أما هذه الطريقة الجديدة التى كتب بها الأستاذ « كيلانى » مجموعته الأخيرة ، والتى وضع فيها اللغة العربية أمام الفرنسية أو الإنجليزية .

أما هذه الطريقة فأنا أعتقد أنها خير معين للناشئين ، ولعلها أيضا خير معين لقوم يريدون أن يتعلموا واحدة من هاتين اللغتين الأجنبيتين ، فإن خجلوا أن يظن الناس فيهم أطفالا ، فإننى أعتقد أن خجلهم سيكون أكبر شأنا حين يعرف الناس عنهم أنهم جهلاء على الرغم من كبر سنهم .

ويعدّ « الكيلانى » رجلا استطاع أن يصل بكتبه إلى معظم أقطار العالم ، حتى لقد ترجمت كتبه إلى اللغة الصينية ، وأخاف أن أقول إنهم عرّفوا مصر للأطفال ، بأن فيها : نهر النيل ، والأهرام ، و « الكيلانى » ؛ ولكن مالى أخاف ، فلقد قرأ الأطفال هناك كتب « الكيلانى » ولم يقرءوا كتب مصلحة السياحة .

وصلت كتب « الكيلانى » إلى جميع الأقطار ، ولكن قطرا واحدا لم يستطع أن يعترف بها ..

ولا تعجبوا إن قلت إن مصر هى هذا القطر ، فبين حرص مؤلفى كتب الأطفال على الثروات التى تنهمر عليهم ، وبين الأحقاد والضغائن ، لم تستطع كتب « الكيلانى » أن تجد طريقا .

ولكننى أعتقد أننى تجنيت على الحق ، فإن وزارة المعارف — أعزها الله — قد اشترت من كتبه ، نعم اشترت — كتبا بمبلغ مائتين وتسعين ... مليما ... ولماذا ... لأن معرضا فى (باريس) صمم على أن تكون كتب « الكيلانى » بين المعروضات المصرية ... ولهذا فقط أغدقت الوزارة هذا الإغداق .

وحسبنا الله ونعم الوكيل !

رحلة شنطح وتعليم اللغات[1]

بقلم الدكتور محمد مندور

التقيت هذا الأسبوع فى أحد نوادى الأدب، بشيخ من شيوخه هو الأستاذ «كامل كيلانى»، الذى لم يسعدنى الحظ بلقائه منذ سنوات، وإن كان اسمه لم ينقطع عن التردد على أذنى خلال تلك السنوات، وذلك بفضل أولادى، وهم - بلا فخر - قبيلة كاملة، متدرجة الأعمار!

ومع ذلك لم يتوان واحد منهم عن قراءة «قصص الكيلانى» للأطفال؛ بل إننى شاركتهم أحياناً فى قراءة بعضها، على سبيل الاستعارة!

وبالرغم من الشيب الذى أخذ يلتهب فى رأسى، فإننى لم أعجز عن أن أطرب لهذه القصص، بل وأفكر فى المضمون الإنسانى، أو المغزى الأخلاقى الذى تحمله كل منها.

ولذلك لم يكد الأستاذ «الكيلانى» يقترح علىّ زيارة المكتبة التى فتحها لقصصه خاصة، وقصص الأطفال عامة، ومعمل القصص الملحق بتلك المكتبة؛ حتى لبيت الدعوة مسروراً، وقضيت سهرتى فى إحدى حجرات المعمل، الذى خيّل إلىّ أنه ملىء بالكنوز والحوريات وربات الغابات والأنهار، وبنات الخيال اللائى يحلقن فى الجوّ!

---

(١) مجلة الإذاعة فى ١٩٥٦/٦/٢٣

مشروع جديد :

وفى هـذا المعمل أطلعنى الأستاذ « الكيلانى » على مشروع جديد :

رأيت عدداً من الشبان يعملون فى إعداد الصور اللازمة له ، وتصحيح « البروفات » ، وإعداد الصفحات ، وطريقة الإخراج ، وهو مشروع رأيت له أشباها فى البلاد الأوربية ، ولا سيما « فرنسا » ، التى عرفت الكثير عن حياتها بحكم إقامتى الطويلة فيها .

وهذا المشروع يقوم على فكرة سليمة فى تعليم اللغـــات ، تقول بأن خير وسيلة لهذا التعليم هى قراءة النصوص الكثيرة فى اللغة القومية ، مع ترجمـــة دقيقة لتلك النصوص فى كل كتاب . . بحيث يطبع الكتاب : على صفحته اليمنى النص باللغة القومية ، وفى مقابلته اليسرى النص باللغة الأجنبية التى يراد تعليمها الناشئين ، مع تقطيع النص إلى أسطر أو جمل توضع فى مقابلها الترجمة الدقيقة .

وبمداومة اطلاع الفتيان على هذه النصوص وترجمتها الدقيقة تتكون عندهم الملكة اللغوية التى لا يمكن أن يحصلوا عليها من حفظ المفردات أو القواعد ، كما توفر عليهم عناء الرجوع إلى المعاجم ، فضلا عن حسن اختيار المعنى الصحيح من تلك المعاجم .

وهذه طريقة لا يستخدمها الفرنسيون فى تعليم اللغات الحية فحسب ، بل ويستخدمونها أيضاً فى تعليم اللغات القديمة ، كاليونانية واللاتينية ؛ حتى لأذكر أننى ابتدأت فى « باريس » تعلمى لهاتين اللغتين ، بكتب كانت تحمل عنوان « اللاتينى أو اليونانى بلا دموع » ولم تكن هـذه الكتب إلا نصوصاً مبسطة من تلك اللغات ، وأمامها على الصفحة المقابلة ترجمتها الفرنسية الدقيقة .

واستطعت بعد ذلك أن أنتقل من هذه الكتب المدرسية المبسطة إلى عيون الآداب الإغريقية واللاتينية ، فى طبعات كانت كل صفحة منها تقسم أفقيا إلى قسمين : فى القسم الأعلى النص اللاتينى أو اليونانى ، وفى القسم الأسفل ترجمة أدبية جميلة إلى اللغة الفرنسية ، بينما تقسم الصفحة المقابلة تقسيما رأسياً ، وتطبع فيها العبارات والتراكيب اليونانية أو اللاتينية ، وأمامها الترجمة الفرنسية الحرفية ، وذلك لكى يستطيع المتعلم أن يفهم تلك التراكيب ، كما يفهم كيف وإلى أى مدى تصرف المترجم لكى يخرج ترجمته الأدبية الجميلة المنشورة فى النصف الأسفل من الصفحة المقابلة .

طريقة للغات القديمة :

وهذه الطريقة التى ترى ضرورة تقديم ترجمتين للنص الواحد إحداهما حرفية والأخرى أدبية ، لا يلجأون إليها فى « فرنسا » إلا فيما يختص باللغات القديمة ، التى يسمونها لغات تركيبية لا بد لفهمها من القيام أولا بعملية تحليل على نحو ما نفعل فى المعادلات الجبرية ، أما فى اللغات الحية الحديثة التى تعتبر لغات تحليلية ، فإنهم يكتفون - كما فعل الأستاذ « الكيلانى » - بترجمة واحدة هى الترجمة الأدبية ، وإن كانت بالغة الدقة .

ومن هذا القبيل التراجم المنتشرة فى « فرنسا » نصا وترجمة لعيون الأدب العالمى ، كمسرحيات « شكسبير » وغيرها .

فائدة مزدوجة :

ومشروع الأستاذ « الكيلانى » يتضمن نشر عشرين قصة متدرجة من الأسهل إلى الأصعب ، مع ترجمتها إلى الفرنسية ، والإنجليزية ، والإيطالية ، والألمانية .

وقد أنجز من هذا المشروع أربع قصص ؛ من بينها « رحلة شنطح » التى اتخذتها عنوانا لهذا المقال .

وقد أخبرنى الأستاذ « الكيلانى » أنه لا يبغى من هذا المشروع عون أطفالنا وشباننا على تعلم اللغات الأجنبية مع العربية فحسب ، بل ويقصد منه أيضا عون أصدقائنا الأجانب ، وبخاصة من المسلمين الذين يريدون تعلم اللغة العربية ، ويعرفون فى الغالب إحدى اللغات الأوربيـة الكبرى ، كالإنجليزية وغيرها ، على نحو ما هو معروف عن إخواننا فى الهنـــد ، وباكستان ، وإندونيسيا ، والصين ، والملايو ، وغيرها .

ومع ذلك فإن هذه القصص لم يقصد منها الأستاذ « الكيلانى » مجرد التعليم ، بل قصد أيضا المتعة الأدبية والمغزى الإنسانى ، أو الأخلاقى من تلك القصص .

« ورحلة شنطح » قصة لطيفة فى ذاتها ، مع حملها لمغزى إنسانى أخلاقى صادق ، فهى تحكى قصـــة أخوين هما ؛ « شنطح » و « صيدح » ، وقد ورث كل منهما عن أبيه قطعة من الأرض ، وحصل « صيدح » من أرضه على ثمرات طيبة ، بينما لم يكد « شنطح » يحصل على شىء .. ولكنه بدلا من أن يلوم نفسه أخذ يتهم أخاه بأنه قد خص نفسه بالأرض الطيبة ، وترك له الأرض الجدباء !

ولما كان أخوه اليقظ المجد يعلم كذب هذا الاتهام ، فإنه لم يرضيرا فى أن يبادل أخاه الأرض، ولكن النتيجة لم تتغير .

وعندئذ لم يجد « شنطح » وسيلة غير أن يحاول سرقة زكيبة من القمح من مخزن أخيه ، ولكن المحاولة لم تنجح ، لأن شيخا جليلا اعترض السارق ، وكان هذا الشيخ هو حظ أخيه . . .

وعندئذ سأله « شنطح » عن حظه هو الآخر ، فأنبأه الشيخ أن حظه نائم فى قمّة جبل السعادة ، وأن عليه أن يصعد إلى قمّة هذا الجبل ليوقظه .

وفعلا استمع « شنطح » إلى هذه النصيحة ، وصعد الجبل ، حيث أيقظ حظه النائم .

اغتنام الفرص :

وفى أثناء رحلته ذهابا وإيابا ، وقعت له عدّة أحداث سنحت خلالها لـ « شنطح » فرص طيبة ، لكى يصيب الثراء والسعادة ، ولكنه بالرغم من مصاحبة حظه له ، لم يستفد شيئاً من هذه الفرص المواتية ، بل ولقى حتفه .

وذلك لأنه لايكفى لنجاحنا فى الحيـــاة أن يلازمنا الحظ ، بل يجب أن نعرف كيف نستفيد من هذا الحظ ، وكيف نسارع إلى اغتنام الفرص المواتية ، مما يقطع بأنه لا يمكن أن يعفينا شيء من ضرورة اليقظة والجد ، إذا أردنا أن نصيب خيراً فى هذه الحياة .

والآن وقد ضرب لنا الأستاذ « الكيلانى » مثلا طيباً فى تذليل صعوبة تعلّم اللغات — ألا يجدر بهيئاتنا الرسمية أن تستفيد الفائدة

الكاملة من هذا المشروع ، بل وأن تحاكيه فى مشروعات الترجمة التى تقوم بها الآن ؟!

فإلى جوار طبعات الترجمة العربية ، تنشر طبعات أخرى محتوية على النصين العربى والأجنبى ، على غرار ما تفعله الدول الأوربية ، على نحو ما تحدّثنا عما يجرى فى « فرنسا » ، وذلك بعد أن ندرس الطريقتين المستخدمتين فيها ، ونختار إحداهما .

فإما أن نكتفى بنشر النص الأجنبى ، وفى مواجهته الترجمة الأدبية ، وإما أن ينشر النص وترجمته الأدبية فى صفحة ، وفى الصفحة المقابلة النص مجزءاً إلى جمل ، وأمامها الترجمة الحرفية .

خطة مثمرة :

إن هذه الخطة كفيلة بأن تذلل الكثير من صعوبات تعليم اللغات فى « مصر » ، وأن تخفف من أسباب فشل هذا التعليم ، خليقة بأن تحمل المتخرجين أنفسهم على مواصلة تعلم تلك اللغات وإتقانها ، وبخاصة فى عصر نحن فى أشد الحاجة فيه إلى تعلم اللغات العالمية الكبرى وإتقانها .

وفى النهاية أرى — من واجبى — أن أقدّم للأستاذ « الكيلانى » عن نفسى وعن أطفالى وعن الشباب عامة ، خالص الشكر والتهنئة لجهوده الموفق فى خلق مكتبة الأطفال ، التى كنا فى مسيس الحاجة إليها ، كما نرجو أن يوفق فى إتمام مشروعه الجديد .

ألف كتاب اسمها « كامل كيلانى »[1]

بقلم الأستاذ أنيس منصور

فوجئت بأن الرجل الذى قرأت كل قصصه ، وأنا صغير ، لم يمت .

سألت أصدقائى . قالوا : لعله مات . إن أحداً لا يسمع به .. أو لعله مريض .

وذهبت لزيارته ..

إنه رجل قصير القامة ، كله نشاط وحيوية ، إذا تكلم اختلج فى جلسته ، وراح يحرك ذراعيه ، وجعل يتدفق فى حديثه ، فلا يعرف كيف يبدأ ، ولا كيف ينتهى ! ..

إنه يحس دائماً أنه غريق وسط الحوادث والتواريخ ، ويضحك قائلا : إن الكلام كثير ، والحوادث لا أول لها ولا آخر .. لقد عاش طويلا مع الأطفال بخيالهم وأحلامهم وأفكارهم . وعاش طويلا مع « أبى العلاء المعرى » ، فورث عنه الشك والحذر ، وسوء الظن بالناس ..

ولكنه لم يستسلم لأحد أو لشىء ! ..

لقد فقد بصره سنتين كاملتين ؛ ولكن أحداً لم يعرف ذلك ، ولكنه لم يكف عن العمل ؛ بل كان يملى قصصه على أحد أولاده .

---

(١) الأخبار سنة ١٩٥٧ .

لقد ألّف ٢٠٠ قصة للأطفال ، ولديه ٨٠٠ قصة أخرى لا يعرف كيف يطبعها .

إن مشكلته هى النجاح .. إن الكثير من كتبه يعيد طبعها يوما بعد يوم .. حتى لقد بلغت أحيانا عشرين طبعة ، وهى لذلك تحول بينه وبين طبع كتب جديدة ..

وقد فرغ منذ سنوات من « الموسوعة العلائية » ، وهى تحوى كل شىء عن « أبى العــلاء المعرى » ، ولكنها لا تزال كما هى دون طبع ..

أما السبب فهو نجاح قصص الأطفال التى نقلها من أدبنا العربى ومن « ألف ليلة » ، ومن الأدب العالمى أيضاً ، ومن « شكسبير » و « سويفت » و « ديفو » .

إنه فى الستين من عمره ، ولكنك تراه فيخيّل إليك أنه على أبواب الأربعين ..

لقد كان موظفا فى الأوقاف ثلاثين عاما ، واستقال من عمله وأعلن فى استقالته أنه لا يستحق معاشا ، ولا مكافأة ، لأنه لا يذكر أنه عمل شيئا !..

لم يتوقع له أحد النجاح فى حياته !..

كان تلميذاً فى مدرسة « أم عباس » ، وكان عنيداً ..

وقد ضاق به أحد المدرسين ، فقال له : اسمع يا بنى : أنا أعلم أنك تصلح لكل شىء فى الدنيا ، إلا أن تكون تلميذا .. وإذا أفلحت فابصق على وجهى .

ورأى هذا المدرس بعد عشرات السنين ، وحرضه الشاعر « حافظ إبراهيم » على أن يبصق فى وجهه .

ولكنه رفض ؛ لأنه يرى فى نفسه أنه لم يفلح فى شىء ، وأن الذى عمله ليس إلا خطوة ضيقة فى الطريق إلى حلمه الكبير ، وهو أن يعمل دون أن يكترث — كثيرا أو قليلا — للنقد .

وقد حدث أن هاجمته إحدى المجلات شهورا متوالية ، فلم يشأ أن يقرأ هذا النقد الذى كتبته .

ومن رأيه أن المعركة بين أديبين ، من شأنها أن تجعل الأدب يفقد اثنين من رجاله .

ولذلك يؤثر الصمت عندما يهاجمه النقاد ، وبذلك يخسر الأدب رجلا واحدا !

إن شعار هـذا الرجل هو أن يعمل ويعمل دائماً .. وأن الكلمة المكتوبة ، ولو كانت ضعيفة ، أقوى من كل كلمة قوية لم تعرف طريقها إلى الورق .

واختار هذا الرجل طريقه إلى الورق والحبر والألوان والأطفال .

إنه هو الذى فتح باب العناية بالطفل وتسليته وتثقيفه . إنه هو الذى فتح الطريق إلى ركن الأطفال فى الإذاعات العربية .

وهو الذى أنبت عملية مستنيرة للأطفال ، كمجلة « سندباد » .

هـذا هو « بابا » كل الأطفال العرب ؛ من إندونيسيا إلى مراكش ، ومن مصر إلى جنوب إفريقيا ..

هذا هو .. « كامل كيلانى » .

سرقني كتاب شنطح[1]

بقلم الأستاذ بيرم التونسي

منذ ثلاثين عاما ، والأستاذ « الكيلانى » يخدم الطفل ، خدمة طبيب وفنان حاذق ، مكبّ على عمله بأمانة وإخلاص !

اطّلعت على مجموعة من كتبه — التى كتبها ليتعلم فيها الطفل اللغتين : الفرنسية ، والإنجليزية — فإذا هى تفوق نظائرها فى كتب الأطفال !!

سرقنى كتاب « شنطح وصَيدح » ، الذى وضع عباراته العربية أمام العبارات الفرنسية ؛ فأتممت قراءته فى ساعة . . وخرجت بدرس نفعنى ، قبل أن ينفع الطفل ... ومثله الطبعة الإنجليزية .

لو أن وزارة التربية والتعليم أولت مكتبة « الكيلانى » ما يلزم لها من عناية واهتمام ، لجنبت النشء هذه المشاق التى يعانيها اليوم .

---

(١) جريدة الجمهورية فى ٢٧ من يناير ١٩٥٧ .

« كامل كيلانى » من الأعلام الألف[1]

بقلم الأستاذ أنور الجندى

قال « أحمد شوقى » يصف « كامل كيلانى » : « إنه كعقرب الثوانى : قصير ، ولكنه سريع الخطى ، منتج يأتى بدقائق الأمور » .

بدأ حياته الأدبية وفق أسلوب يوحى بأن مكانه الطبيعى بين صفوف الأدباء .

وكان اتجاهه إلى التاريخ أغلب ، حيث كتب عن « ملوك الطوائف » و « مصارع الخلفاء » . و « مصارع الأعيان » ؛ ولكنه اتجه إلى الشعر فقال شعراً ، مازال يخفى أغلبه ويحتفظ به .

ثم بدأ يراجع « ابن زيدون » و « ابن الرومى » .

ثم اتصل بالأدب الأندلسى ، واتجه — بعد ذلك — بعنف إلى « المعرى » ، حيث عاش معه طويلا ، وتأثر به : حتى غدا رفيقه فى كل لحظات حياته .

ولكن « كامل كيلانى » قفز مرّة واحدة إلى فن قصص الأطفال ، بعد أن أنفق صدرا من حياته ، وأرسى إمكانياته الفكرية جميعا فى جوّها ، وكرس لها وقته وجهده ، منذ أكثر من ثلاثين عاما .

---

(١) من كتاب الأعلام الألف لأنور الجندى عام ١٩٥٨م .

وقد بلغ به الجهد أن توقف بصره فجأة ، ثم ردّه الله إليه فى شبه أعجوبة أسطورية : مصدرها إيمانه وشغفه بالعمل الذى كان رائده الأول ومن أبدع فرسانه .

وهناك ميادين كثيرة اقتحمها روّاد أبرار ، وما يزالون يمسكون بزعامتها : التاريخ القومى والرافعى ، قضية قناة السويس و « مصطفى الحفناوى » ، الحوار و « توفيق الحكيم » ، قصص الأطفال و « كامل كيلانى » .

ولم يكن الاتجاه جديدا عنده ، أو دفعة مصدرها الإحساس بالفراغ فى مجاله : ولكن « الكيلانى » كان قد عاش مع الأسطورة منذ فجر حياته :

قرأ ذات الهمة ، وعنترة ، وسيف بن ذى يزن ، وفيروز شاه ، وحمزة البهلوان ، والظاهر بيبرس ، وهى فى مجموعها ١٧٠ كتابا تبلغ مائتى ألف صفحة .

وقد تمددت هذه الرؤى وتجمعت ، واختلطت فى أعماقه ، وعاشت فترة حضانة طويلة ، ثم لم تلبث أن انبعثت فى عمل ضخم بلغ حتى الآن ألف قصة ، لم يطبع منها أكثر من مائتين .

وقد أعانه على ذلك الجهد : دأب متصل ، واطلاع واسع ، وإلمام وافر باللغتين : الفرنسية والإنجليزية ، إلى عمق فى اللغة العربية لا يقل فيه عن مقام الخليل بن أحمد ، أو سيبويه ؛ إلى ذهن لمّاح يجمع بين المتشابه والمتناقض على السواء .

يحب فى العربية شخصيتين : هما « المعرى » و « جحا » .

ولعل أبرز أعماله الجديدة هو تقديم القصة مع ترجمتها الفرنسية والإنجليزية حتى ينتفع بها من « الدار البيضاء » إلى « إندونيسيا » !

ندوة الكيلاني

ندوة الكيلاني أرسخ ندوات القاهرة قدما
وأطولها عهداً وأكثرها حجيجا وأعلاها صوتا

الدكتور ناصر الدين الأسد

يحفل تاريخ الأدب العربى المعاصر بأدب الندوات ، وكانت هذه الندوات مجالا هاما للحركة الفكرية ، ومصدراً بعيد الأثر فى تطور الفكر والثقافة .

ولقد سجل التاريخ أن عدداً كبيراً من المؤلفات والأبحاث والأعمال الأدبية الكبرى التى كان لها أثرها ، هو وليد تلك الندوات .

ففى صالون « نازلى فاضل » برز « سعد زغلول » و « محمد عبده » و « قاسم أمين » و « الرافعى » وغيرهم .

وفى صالون « زيادة » تجمع عدد كبير من أعلام العصر ، مثل : « إسماعيل صبرى » و « لطفى السيد » و « طه حسين » و « العقاد » .

وفى الفترة التى نؤرخها كانت ندوة « كامل كيلانى » أبرز الصالونات الأدبية وأبعدها عن السياسة والأهواء ، وأقربها إلى فن الحديث المصفى الهادف الذى يضيف إلى الثقافة جديداً ، والذى تبدو فيه روح الإيمان بالأمة العربية واللغة العربية ، وتتبعثر فيه الأحاديث عن الشعراء والأدباء ، وتتوارد كلمات الحكمة وقصائد الشعر ، وطرائف الأدب ، وفنون الفكاهة الرفيعة .

وكانت هذه الندوة مجالا لعدد كبير من أعلام الفكر العربى الذين يعيشون فى « القاهرة » ، وموئلا لكل وارد من أعلام الأقطار العربية .

ولسنا فى حاجة إلى وصف الندوة وأحاديثها وروادها ؛ فإن هذا الفصل يحفل بدراسات عنها ، وعما دار فيها من حديث طلى رائع . .

١ — ابن الرومى فى ندوة الكيلانى : عباس خضر

٢ — ندوة الكيلانى فى شارع البستان : محمد على غريب
(جريدة الزمان)

٣ — كتب الكيلانى من جاوة إلى ألبانيا : وهبي الحاج إسماعيل حق

٤ — ساعة من المتعة الذهنية : أمانى فريد

٥ — الرجولة فى الأدب : العوضى الوكيل

٦ — طرائف من الندوة : مجلة الاثنين

٧ — البحترى فى ندوة الكيلانى : عثمان حافظ

٨ — اللغة العربية فى الباكستان : مجلة منبر الشرق

٩ — نابغة بنى كيلان وندوة الكيلانى : على حافظ

١٠ — تصحيحات لغوية فى ندوة الكيلانى : ع. ز

١١ — الأمجاد العربية فى ندوة الـ لانى :

١٢ — قراءة القـــرآن : الدكتور ناصر الدين الأسد

١٣ — ندوة الأدب الخالص : أنور الجندى

١٤ — ندوة الكيلانى
فى رسالة من فارس الخورى إلى سامى العظم

ابن الرومى(١)

فى ندوة الكيلانى

بقلم الأستاذ عباس خضر

من أدب المجالس :

فى مكتبة « الكيلانى » ينتدى — يوم السبت من كل أسبوع — جماعة أكثرهم من المشتغلين بالشئون السياسية ، وهم مع ذلك لا يتحدثون فى السياسة .. كأنهم جاءوا إلى هذه الندوة ، ليريحوا عقولهم من ذلك العناء ؛ فلا تسمع إلا طرفة من هذا ، أو ملحة من ذاك .. تتبين فى تفكيرهم خواطر الأدباء ، وفى حديثهم طلاوة الأدب ، وإن لم تدركهم الحرفة ... يتوسطهم المحدّث اللبق الأستاذ « كامل كيلانى » ، يدير عليهم كئوس السلاف من حديثه الممتع ، إلى جانب أكواب القرفة والتمر هندى .

وفى الجلسة الماضية ؛ حلا للقوم موضوع الجرس الموافق للمعنى فى أدب العرب . واشترك فى الحديث الأساتذة : « المفتى الجزايرلى (باشا) » و « جمال الدين أباظة (بك) » و « أحمد حلمى (باشا) » والحاج « أمين الحسينى » و دولة « حق العظم (بك) » و « سامى العظم (بك) » و « محمود حسيب (بك) » والأستاذ « الكيلانى » .

روى راويهم قول ابن الرومى :

---

(١) الرسالة فى ٤/١٢/١٩٥٠ .

مِنْ بَناتِ الرُّومِ لا يَـكْذِبُنا
لَوْنُها الْمُشْرِقِ عَنْ مَنْصِبِها
فَهْىَ حَسْبُ الْعَيْنِ مِنْ نُزْهَتِها
وَهْىَ حَسْبُ الْأُذْنِ مِنْ مُطْرِبِها
وَإِذا قامَتْ إِلَى مَلْعَبِهـــا
كَمَهاةِ الرَّمْلِ فِى رَبْرَبِهـــا
سَأَلَتْ أَرْدافُهـــا أَعْطافَها
هَلْ رَأَتْ أَوْطَأَ مِنْ مَرْكَبِها

— إن الألفاظ تماوج وتختال؛ كأنها تكوّن صورة متحركة لتلك « البنت » الرومية .

— استمع إلى الموسيق الغاضبة فى قول « ابن الرومى » أيضاً :

هٰذِى الْقَوافِى ما لَها سَفْسَفَتْ
حَظِّى كَأَنِّى كُنْتُ سَفْسَفْتُها
أَلَمْ تَـكُنْ مِيـــلًا فَقَوَّمْتُها
أَلَمْ تَـكُنْ عُوجًا فَثَقَّفْتُها

إلى أن يقول :

حُرِمْتُ فِى سِنِّى وَفِى مَيْعَتِى
قِراىَ مِنْ دُنْيـا تَضَيَّفْتُها

لَهْفِي عَلَى الدُّنْيـا وَهَلْ لَهْفَةٌ

تُنْصِفُ مِنْها إِنْ تَلَهَّفْتَها

— وكذلك فى قول الله تعالى : « أم من هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن »

أين من هذه المقاطع القوية أن يقال : « من ينصركم من دون الرحمن ؟ »

— مما يتصل بحسن النسق بين الأجزاء قول الشاعر :

مَرَّتْ بِنـا فِي قَرْطَقٍ أَخْضَرِ

يَعْشَقُ مِنْهـا بَعْضُها بَعْضَا

ولم أر أبدع فى التناسق من أن يعشق كل عضو عضوا .

روى « جمال الدين أباظة (بك) » عن الدكتور « طه حسين (بك) » أنه فسر « القرطق » بـ (الشمزت) .

— ليت شعرى ماذا كان يقول الشاعر : لو رأى من عندنا من لابسات (الشمزت) الحديث ؟!

— لم يكن يقول شيئاً .. فقد ألفنا كثرتهن : حتى أصبح منظرهن شيئاً عاديا ، لا يحفز على التغزل فيهن !

ندوة الـكيلانى [1]

فى شارع البســتان

بقلم الأستاذ محمد على غريب

انتقل أخونا « الكيلانى » بندوته إلى شارع البستان ، وقد زرته فيها مرة ؛ فوجدت فيها دولة « أحمد حلمى (باشا) » وسعادة « على أيوب (بك) » وسعادة « فؤاد شيرين (باشا) » و « سامى العظم (بك) » ولفيفا من خيرة المفكرين والأدباء .

ولم ينس « كامل » عادته ، فكلما فتحنا « بابا » للحديث ، دخله بعشرين بيتا لـ « لمعرى » .

وأذكر أن « على أيوب (بك) » اقترح بمناسبة وفاة الأديب العالمى « برنارد شو » فى ذلك الحين ، أن نفكر فى إقامة حفلة تأبين له باعتباره الرجل الذى انتصر لـ « مصر » فى قضية « دنشواى » وألف عنها كتابا .

وقد رد البعض على ذلك بأن « برنارد شو » أساء إلى « كليوباترا » ، وهى أميرة مصرية !

وفجأة اتضح لنا أن كلا من « برنارد شو » و « دنشواى » و « كليوباترا » ، قد جاء ذكره فى شعر « أبى العلاء » .

---

(١) جريدة الزمان

و « كامل كيلانى » عالم نفسى ما فى ذلك ريب . . إنه يعرف النفس البشرية خير المعرفة ، ويعرف أن إنسانا — أى إنسان — تستهويه كلمات المديح ، أكثر مما يستهويه نبأ حصوله على مال كثير ، ويستوى فى ذلك الزّاهد المتبتل ، وغنى الحرب المتعجرف !

لذلك هو يغترف بكلتا يديه من بحر المدائح ، ويغمر بها كل من يلقاه ، لذلك استطاع أن يقلل من عدد أعدائه ، وأن يزيد من عدد أصدقائه .

وقد تقدمت به السن ؛ ولكن ذاكرته والحمد لله ما فتئت تزداد قوة ، فهو يحفظ الماضى كله ، لأنه لايجد فى هذا الماضى ما يشينه .

إن هذا الرجل ذخر لمصر ، ما فى ذلك ريب . . وإنه ليشغل نفسه بالدأب والجد والحرص ، وإنه كما وصفه « شوقى (بك) » : (الأستاذ « الكيلانى » ، كعقرب الثوانى : قصير ، ولكنه سريع الخطى ، منتج ، يأتى بدقائق الأمور . .)

هذا العقرب يلدغ حسّاده فيميتهم ؛ ولكنه لا يؤذى أصدقاءه قط . . .

كتب الكيلانى[1]

من جاوة إلى ألبانيـــا

بقلم الأستاذ وهبى الحاج إسماعيل حقى

فى غرفة صغيرة تصعد إليها بدرج خشبى ، تجتمع ندوة « الكيلانى » مساء كل سبت .. اتخذت طريق إليها من شارع البستان ، وجلست مع الجالسين على المقاعد والأرائك التى انتظمت حول جدران كسيت جميعها بواجهات زجاجية ، امتلأت بكتب عديدة ، معظمها من مؤلفات الأديب صاحب الندوة ، الذى كتب فى عالم الأطفال شيئاً كثيراً تفخر به المكتبة العربية .

كانت الندوة جامعة عربية صغيرة ، فمن أهل « مصر » إلى أهل « الشام » و « السودان » وغير ذلك من البلدان العربية ..

فى ركن قبع الشيخ المحترم « جمال (بك) أباظة » وإلى جانبه « السيد محمد التعايشى » ومعالى « المفتى الجزايرلى (باشا) » ، وفى ركن ثان جلس سعادة « فؤاد (باشا) شيرين » و « عبد الله (بك) التل » و « محمود (بك) حسيب » والأستاذ « حبيب جاماتى » ، وحول هؤلاء وهؤلاء ، انتظم نفر من الأدباء وأهل الصحافة ..

* * *

وفيما أذكر أنه كانت أول مرة قرأت كتبا عربية فى طبع أنيق

---

(١) العالم العربى فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٤٢ .

بصور ظريفة مغرية ، مقبلا على قراءتها بإرشاد الوالد ؛ هى فى كتب « الكيلانى » فانتهيت منها بانتهاء الصيف — فى ثلاثة أشهر — وعندما عدت إلى مدرستى الداخلية اختطفها منى المدرسون وأصحابى ، وأقبلوا عليها يقرءونها فى شغف وحب شديد ، وكانت هذه الكتب سبباً فى اهتمام المدرسين بجلب الكتب الجديدة من « مصر » واختيار مقتطفات منها لتعليم اللغة العربية تعليما جيدا .

* * *

ولاشك أنه بمرور الأيام ستتقرر كتبك فى معهد ألبانيا الإسلامى ككتب مطالعة . ولا أنكر — يا أستاذى الفاضل — أن كتبك هذه كانت من أهم الأسباب التى حببت إلىّ اللغة العربية ؛ فأصبح لها فى قلبي شغف عظيم ؛ جعلنى أفضل التعليم فى المعاهد المصرية

فمؤلفاتك على هذا النحو كانت خير دعاية لمصر فى العالم الإسلامى ، إذ لا عجب أن تكون كتبك معروفة فى « ألبانيا » ، وقد انتشرت فى البقاع الإسلامية من المعمورة .

أخبرنى صديق لى جاوى أن كتبك منتشرة جدّا فى جاوة .

كما قال لى زميل آخر صينى إن كتابك « تاجر بغداد » قد ترجم إلى اللغة الصينية . .

ها أنت - بعد أن بذلت جهد الجبار - استطعت أن تصل بـ « مكتبة الأطفال » إلى أعلى الدرجات : أسلوبا ، وطبعاً ، وإتقانا .

جزاك الله عنهم أحسن الجزاء .

وبلغت أيضاً بـ « مكتبة الشباب و « المكتبة العلائية » مبلغاً لا تستطيع الجماعات الوصول إليه فضلا عن الأفراد . .

أطال الله عمرك لتمتعنا بأسلوبك العالى وأدبك الغزير !

ساعة من المتعة الذهنية [1]

بقلم الأستاذة أمانى فريد

كانت جلسة هادئة ، صاخبة ؛ هادئة بهذا الجو الذى يحيط بها والانسجام بين أعضائها ، وكانت صاخبة بما فيها من قصص شيقة . ونوادر أدبية طريفة .. وكانت جلسة علمية أدبية ، تناولت أمور اللغة العربية ومشاكلها ، وتناولت حياة العرب فى كافة البلدان وشتى الأزمنة .. حدثنا « حبيب جاماتى » عن رحلة الصحافة فى شمال « إفريقيا » ، وعن حياة أهل « تونس » و « الجزائر » و « مراكش » ، وروى لنا قصصاً عجيبة عن أهل « الجزائر » وتحريفهم للغة العربية ، حتى يصعب فهمها على المتحدثين بها فى مختلف البلدان الأخرى ؛ بل ومن المشاهدات التى تستحق الذكر والتدوين ما رآه هناك من مساجد جميلة النقش والبناء ، ألحقت بها مطاعم وبارات وفنادق ؛ مما دعا إلى الدهشة والتساؤل معا .

وانتقل الحديث من بلاد « الجزائر » إلى « السودان » ؛ فاستمعنا إلى « السيد التعايشى » وهو يصف لنا أدغال هذه البلاد وعادات أهلها ، وأوجه استثمار خيراتها ، وما إلى ذلك من آراء قيمة ..

ساعة مرت فى ندوة « الكيلانى » ، ما بين أخبار طريفة نافعة ، وقصص عن الشعر وأهله . ساعة من المتعة الذهنية والأخوة والصداقة ، قل توفرها فى محيط حياتنا الصاخبة بألوان اللهو والضوضاء ، حبذا لو كان لنا من مثلها الكثير ؛ لضمنا حياة فكرية مستقرة ، وآراء قيمة ناضجة ، تنفع بلادنا وتوجه تيار الحياة فيها إلى مافيه خيرها ورقيها ..

---

(١) العالم العربى فى أول يونيه ١٩٥١ .

الرجولة فى الأدب[1]

بقلم الأستاذ العوضى الوكيل

كان المجلس حاشدا ، وكان النقاش مُستحرًّا ثائرا ، والجدال آخذا بألسنة الجالسين كل مأخذ ، إن صح هذا التعبير .

كان الأستاذ « عبد العزيز الميمنى الراجكوتى » ، أستاذ اللغة العربية بجامعة « كراتشى » طرفة المجلس ، ومحور الحديث .

وكان الأستاذ المرحوم « محمد صادق عنبر » أحد أركان الجدال ، وأطراف الحديث .

والأستاذ « كامل كيلانى » يتهكم بالأحاديث فى المثنّى والجمع فى اللغة ، وينطلق قائلا : « إن المجددونات من كتاب هذا العصر وشعرائه . . » لم يتم جملته ، حتى فغر العالم الباكستانى فاه مستغربا : « مجددونات » ما هذا الجمع ياسيدى ؟

فقال له : هو جمع مخنث سالم ؛ إذ هو خلط بين المجددين والمجددات ، ففيه علامة الجمع من كل ، كما فى كل خنثى علامة الذكورة من الذكر ، وآية الأنوثة من الأنثى . . وهو جمع قياسى لا شذوذ فيه .

فإذا رأيت شبانا يزججون حواجبهم ، ويحمرون خدودهم وشفاههم بالألوان ، والعطور فهم شبان ناهضونات !

وبدا على الأستاذ العلامة الاقتناع ، وأخذ الأمر مأخذ الجد العلمى ، وقال :

ما أشد حاجتنا فى هذا العصر إلى مثل هذه الجموع ! »

---

(١) النداء فى ١٩٥١/١/٢٧ .

وكنت فى الجالسين ، أصغى إلى السخرية التى صارت وضعا من أوضاع اللغة ، فى معقول عالم كبير من أكبر الباحثين فى لغة العرب ، فاسترسلت أقول :

« يا سيدى العلامة : إن لهذا الجمع الجديد صورة أخرى ، هى قولك المجدداتون ، والعاملاتون ، والناهضاتون .. وهكذا ..

ذلك يقال للرّجال حين يأخذون بأخلاق النساء ؛ فتضيع رجولتهم فى النعومة والتزجيج والتعطر ، والترقق فى الحديث .

وهذا يقال للنساء اللائى يُضعن أنوثتهن العذبة الرقيقة فى التخشن ، والترجل ، والتظاهر والغلبة وما إليها ..

* * *

وانصرف الحاضرون وهم يرددون : إن الجمع فى اللغة العربية أنواع أربعة : جمع تكسير ، وجمع مذكر سالم ، وجمع مؤنث سالم ، وجمع مخنث سالم ! ..

قال الأستاذ « الكيلانى » : سمى سالما : لأنه سلمت له خنوثته .

حقا .. ما أحوجنـــا إلى مثل هذا الجمع فى هذا العصر الذى نعيش فيه والذى أوشكت أن تضيع معالم الحدود فيه ، بين الرجولة والأنوثة .

طرائف من الندوة [1]

الموت مرض ورائى!

[حفلت « ندوة السبت » ــ وهى الندوة التى يقيمها كل أسبوع الأستاذ « كامل كيلانى » ــ فى اجتماعها الأخير ، بطائفة من الكبراء والأدباء ، فى مقدمتهم : سماحة الحاج أمين الحسينى ، وفؤادشيرين (باشا) ، وعلى أيوب (بك) ، والأستاذ حماده الناحل ، وغيرهم . . . وهذه مقتطفات مما دار فى تلك الندوة من الطرائف والفكاهات]

أحسنهم الميت :

عرض الحاضرون للمقارنة بين قوّاد الإنجليز ، فتساءل أحدهم : « أى هؤلاء القواد أعقل ؟ » . . .

فأجاب الأستاذ « حمادة الناحل » : بأنه ليس بينهم من هو أعقل ، بل كلهم فى وادى الجنون سواء . .

وروى الحاج « أمين الحسينى » فكاهة كانت شائعة ضد اليهود فى « ألمانيا » حينما كان سماحته يعيش هناك ، فقال :

سأل ألمانى صديقه قائلا :

ــ أى اليهود أحسن ؟

فأجاب صديقه الظريف على الفور :

ــ الميت منهم ! . .

---

(١) مجلة الاثنين ١٩٥٢/٢/٢٥

منتهى القذارة :

وجرى الحديث إلى ذكر شعرائنا المجيدين ، فروى الأستاذ «كامل كيلانى» : أن المرحوم «حافظ إبراهيم (بك)» كان يعرف رجلا يشتهر بعدم العناية بهندامه، إلى درجة تبلغ القذارة .

وأراد «حافظ» أن يداعبه ذات مرة، فقال عنه أمام أصدقائه :

— تصوروا أن البرغوث بيطير من على جتته يهرش ! ..

تانى :

وبينما كان أعضاء الندوة يشتركون فى مناقشة هامة ، حضر أديب طويل القامة ، وكاد دخوله أن يقطع حبل الحديث .

فأشار إليه «فؤاد (باشا)» ليجلس فى أول مكان يصادفه، فجلس ... وعاد (الباشا) فالتفت إليه ، وظنه لا يزال واقفاً ، فقال له : «اقعد» ... فرد الأديب الطويل قائلا : «قعدت» ...

فقال (الباشا) على الفور :

— «اقعد» تانى ! ..

لما يشوف :

وتطرق الحديث إلى ذكر الشاعر العربى المكفوف «أبى العلاء المعرى» ... وراح الجميع يتحدثون عن سرعة بديهة المكفوفين ، وما اشتهر به بعضهم من ظرف وخفة روح ، فروى الأستاذ «على أيوب (بك)» أن ظريفاً منهم أصرّ على أن يطلق زوجته لسبب من الأسباب ، وعبثا حاول معارفه أن يصلحوا الأمر ، ويثنوه عن عزمه ، ثم وسطوا «على (بك)» ليكلمه فى الموضوع .

ولم يشأ الأعمى الظريف أن «يكسف» «على (بك)» ، فقال له بخبث ظريف :

— على كل حال لما اشوف ! ..

طالعين لجدهم :

وروى « فؤاد شيرين (باشا) » نادرة طريفة عن رجل كان يشتغل بطب الركّه ، إذ ذهبت اليه امرأة تشكو من أنها كلما وضعت طفلا يموت وهو رضيع ، وطلبت أن يبحث لها عن السبب فى ذلك ، ويذكر الدواء اللازم .

فاحتار الرجل قليلا ، ثم سألها :

— والدك عايش ؟

فلما أجابت بالإيجاب ، عاد يسألها عن والدتها .

فأجابت بالإيجاب أيضا .

فسألها عن جدّها .

فقالت :

— مات . . .

فقال طبيب الركّه على الفور :

— خلاص . . . يبقوا ولادك طالعين لجدّهم الكبير ! . .

البحترى فى ندوة الـكيلانى[1]

بقلم الأستاذ عثمان حافظ

نعم كل شيء يوجد فى مصر .. فمصر بلد العلم والأدب .. ومصر بلد الجمال والفن .. ومصر بلد الفتنة والظرف، ولا يعوز المرء فى مصر أن يجد بغيته .. فروّاد العلم والأدب .. ورواد الظرف والجمال، كل يجد ما يريد فى غير عناء أو تعب.

ولم تـكن ندوة الأستاذ « الـكيلانى » إلا فتنة وسحرا من سحر « مصر » . . لقد كنت معجباً بهذه الندوة منذ رحلتى الأولى لمصر قبل حوالى ١٥ عاما ، وكان من أولى أهدافى فى رحلتى الثانية هذه زيارة هذه الندوة؛ للاستفادة من معين فيضها الذى لا ينضب، فقد وجدت فيها الأدب الرفيع الجم، والشعر الحىّ الجزل، والنـكتة المصرية النادرة .

تفضل الأستاذ « الـكيلانى » بزيارتى فى الفندق بعد مقابلة عابرة، ودعانى لزيارة الندوة ، وكانت ضالتى التى أنشدها وأمنيتى التى أتوق إليها .. والأستاذ « كامل كيلانى » معروف بأدبه الرفيع ، وعروبته العالية، وبشاشته حين يلقاك . .

ولقد قال شاعرنا العربى :

بشاشة وجه المرء خير من القِـرى   فـكيف بمن يأتى به وهو ضاحك

---

(١) مجلة المدينة المنورة فى ١٩٥٢/٦/٥ .

وهى قولة تتمشى مع العصور وتساير الزمن والأجيال ، فلن تجد أمة من الأمم أو شعبا من الشعوب إلا ولهذه الظاهرة الاجتماعية لديها الاعتبار الأول .. وعليها تتركز الحيــــاة بين بنى البشر : « ولو كنت فظا غليظ القلب ، لا نفضوا من حولك » .. والأستاذ « الكيلانى » يتمتع بقسط وافر فى هذا المجال ، فلا تكاد تلقاه إلا هاشا باشا مبتسما .. وهو — فوق ذلك — مربى الجيل ومهذّب النشء وله مجموعة فى تربية الطفل ونشأته ، لا تعرف المكتبة العربية مثيلا لها ، ولقد سدّت فراغاً كبيراً فيها كان شاغرا .

حقاً إن الأستاذ الفاضل قد ملأ هذا الفراغ من خير ما تحبّـر الأقلام ، وتنتج العقول .

زرت هذه الندوة فى أمسية السبت الماضى ، وهى تعقد فى مساء كل سبت من أيام الأسبوع ، ويرتادها أقطاب العلم والأدب والفكر.

وكان من زوار هذه الندوة فى رحلتى الأولى — إن لم تخنى الذاكرة — « الهلالى (باشا) » ، و « أحمد شوقى (بك) » شاعر العربية ، و « محمد على علوبة (باشـــا) » ، والأستاذ « صادق عنبر » ، و « الهلباوى (بك) » ، و « أحمد زكى (باشا) » شيخ العروبة ، وغيرهم من رجالات الأدب والفكر فى « مصر » .

وكانت هدية هذه الجلسة لى كما سماها الأستاذ « الكيلانى » قصيدة البحترى التى يقول فيها :

أَسِيتُ لِأَخْوالِي رَبِيعَةَ إِذْ خَلَتْ
مَصايِفُها مِنْهـــا وَأَقْوَتْ رُبُوعُها
بِكُرْهِي أَنْ باتَتْ خَلاءً دِيارُها
وَوَحْشًا مَغانِيهـا وَشَتَّى جَمِيعُها

وَأَمْسَتْ تُساقى الْمَوْتَ مِنْ بَعْدَ ما غَدَتْ
شَرُوبًا تُساقى الرَّاحَ رَفْهًا شُرُوعُها

إِذا افْتَرَقُوا عَنْ وَقْعَةٍ جَمَعَتْهُمُ
لِأُخْرَى دِماءٍ ما يُطَلُّ نَجِيعُها

تَذُمُّ الْفَتاةُ الرَّوْدُ شِيمَةَ بَعْلِها
إِذا بات دُونَ النّارِ وَهْوَ ضَجِيعُها

حَمِيَّــــةُ شَعْبٍ جاهِلِيٍّ وَعِزَّةٌ
كُلَيْبِيَّةٌ أَعْيا الرِّجالَ خُضُوعُهـا

وفُرْسانُ هَيْجاءٍ تَجِيشُ صُـدُورُها
بِأَحْقادِها حَتَّى تَضِيقَ دُرُوعُهـا

إِذا احْتَرَبَتْ يَوْمًا فَفاضَتْ دِماؤُها
تَذَكَّرَتِ الْقُرْبَى فَفاضَتْ دُمُوعُهـا

شَـواجِرُ أَرْماحٍ تَقَطَّعُ بَيْنَهـا
شَـواجِرُ أَرْحامٍ مَلُومٌ قَطُوعُهـا

كان الأستاذ « الكيلانى » ينشـــد هذه القصيدة إنشاداً فنياً ، ثم يكسوها من جمال روايته ، صورة ناطقة .. ثم يجسمها أمامك ، فتلمسها : تلمسها بالقلب والروح ، لا باليـــد والجوارح . . فتتغلغل معانى القصيدة فى الدم والعروق ؛ فيحس المرء بنشوة الراح والطرب .

ومهما حاولت — أيها القارئ الكريم — فلن أستطيع أن أعطى هذه الندوة حقها، ثم لن أستطيع أن أصف لك شعورى وطربى .. والوصف غير الشعور، والكلام غير العاطفة .

وكان ممن حضر الجلسة فى الأسبوع الماضى «فؤاد شيرين (باشا)» محافظ القاهرة سابقاً .. وقد لاحظت فيه قدرة نادرة لتذوّق الأدب والشعر، والوقوف على جمال الشعر العربى القديم والحديث، وعلى القصة العربية قديماً وحديثاً أيضاً .. و(سعادته) يتقد وطنية وحماسة لعروبته ووطنه وبلاده .. وقد جاء فى أحد أحاديثه : أنه عرض عليه عند ما كان محافظا للعاصمة طلب من موظفى شركة «القنال» المصرية بمساواتهم بالموظفين الأجانب، وكان يشترك معه عدد من الأعضاء فى النظر فى هذه القضية .. وقال سعادته : إنه قابل هذا الطلب بشىء من التعجب، وإنه كان يتوقع أن يكون هذا الطلب من الأجانب ليتساووا بالمصريين . أو أن المصريين كان يجب أن يطالبوا بامتيازات عن الأجانب، لأنهم أصحاب الحق وأهل البلد ؛ مما دعا الشركة للمبادرة بمساواة المصريين مع الأجانب فى جميع الحقوق وفى السفر والتنقلات .

وقد عقدت الندوة فى مكتب الأستاذ «حنفى (بك) الشريف» المجاور لمقر الندوة، لعمارة تجرى بها، وهى على وشك النهاية .

وندوة الأستاذ «الكيلانى» وحدة قائمة بنفسها، لن تجد بالقاهرة ما يعوضك عنها، أو يسد فراغها ..

اللغة العربية فى الباكستان(1)

يذكر الأستاذ « عثمان حافظ » أحد صاحبي جريدة « المدينة المنوّرة » الغرّاء فى كلمته عن رحلته إلى « القاهرة »، المنشورة بالعدد الصادر فى يوم الخميس ٢٥ من شوال سنة ١٣٧١ ، أنه حضر ندوة الأستاذ « كامل كيلانى » بالعاصمــــة المصرية ، وكانت تضم نخبة من خيرة رجال « مصر » والبلاد العربية ، من بينهم الأساتذة « محمد على علوبة » ، و « حافظ رمضان » ، و « فؤاد شيرين » ، و « سيد إبراهيم » : أستاذ الخط العربى فى الشرق ، وغيرهم .

ثم يتابع الأستاذ « عثمان حافظ » حديثه فيقول :

« كان الأستاذ « الكيلانى » يُدير دفة الحديث فى الندوة بلباقة وحصافة ، ولا تكاد تمر مناسبة من المناسبات . . أولا يكاد يمرّ أمام خاطرك معنى من المعانى إلا وتجده حاضر البديهة ، يستشهد لك فيه بقطعة من شعر أستاذه - كما يقول - « أبو العلاء » ، أو لأحد فحول شعراء العربية الأقدمين أو المعاصرين .

اللغة العربية فى الباكستان :

عرض الأستاذ « الكيلانى » على . على علوبة » أن يحدثنا عن موضوع اللغة العربية فى الباكستان . . .

فخيل إلىّ أن الأستاذ « الكيلانى » يقرأ ما بنفسى ، فقد سمعت كثيراً عن جهود « علوبة » (باشا) فى انتشار اللغة العربية فى « الباكستان » عند ما كان وزيراً لمصر هناك ... وقد رغبت كثيراً أن أعلم ما وصلت إليه تلك الجهود من نتائج .

---

(١) منبر الشرق فى ١٩٥٢/٨/٨ .

ولقد ساهمت جريدة « المدينة المنورة » بقسط وافر فى انتشار اللغة العربية فى الباكستان المسلمة ؛ وتوحيد الثقافة واللغة فى العالم الإسلامى ؛ لتتوحد أهداف الشعوب الإسلامية ، وليواجهوا خصومهم بلغة واحدة ، وعقيدة واحدة ، وثقافة واحدة ، ومجهود واحد .

بدأ « علوبة » (باشا) حديثه عن اللغة العربية فى الباكستان ، وقد كنت كلى أذنا تصغى لما يقول .

قال : إننى قبلت تمثيل بلادى فى الباكستان ، ولم أقبل الوزارة بمصر ، وكأنه يريد أن يقول : إن المركز والجاه ليس هو كل شىء فى الحياة .

وتفهم من ثنايا حديثه أنه قبل هذا المنصب ؛ ليخدم به الإسلام والعروبة فى تلك الديار التى هى أحوج ما تكون للعون والمساعدة .

واستطرد يقول : « إن اللغات الحية فى الباكستان ٣٢ لغة ، وإن اللغات الرسمية المستعملة ٦ لغات . ولقد وقع خلاف بين الباكستان الشرقية والباكستان الغربية فى تعيين اللغة الرسمية للحكومة . فالغربيون يريدون أن تكون (الأردوية) هى اللغة الرسمية . والشرقيون يريدون أن تكون (البنغالية) هى اللغة الرسمية .

وبعد نزاع طويل اقترح بعضهم أن تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية للحكومة ؛ فأذعن لذلك الطرفان ..

ولقد عولت على أن أساهم بأكبر قسط ممكن فى هذا السبيل » .

دهشة وإعجاب :

وقال « علوبة » (باشا) : إننى دعيت لحضور مؤتمر عقد لدراسة الشئون الإسلامية واللغة العربية .. ولقد دهشت عند ما رأيت عددا غير قليل من شيوخ الباكستان يخطبون باللغة العربية الفصحى

دون تلعثم أو لحن . . وزادت دهشتى وإعجابى عند ما رأيت الخطباء من الفتيان يخطبون أيضا باللغة العربية الفصحى . . وعلمت بعد ذلك أن هناك أطفالا يتكلمون باللغة العربية !

ولقد سألت عن الجهة الذى تعلم بها هذا الجمع الغفير اللغة العربية ، وكنت أتوقع أن يقال لى إن ذلك كان بمصر أو إحدى البلاد العربية الأخرى ، ولكن علمت بمزيد الاغتباط أن تعليم اللغة العربية كان فى « الباكستان » ، وأن هناك مدارس خاصة لتعليم اللغة العربية ، ولكنها تحتاج إلى المزيد من العناية والتعضيد .

وقد لمست بيدى الرغبة الشديدة فى اندفاع الباكستانيين إلى تعلم اللغة العربية .

ثم قال « علوبة » (باشا) :

وعلى ضوء ما رأيت، عرضت فى تقرير ضاف على وزارة الخارجية المصرية هذه الملاحظات ، وطلبت المساهمة بقسط وافر فى تعليم اللغة العربية فى الباكستان ؛ بفتح مدارس خاصة لتعليم اللغة العربية ، وإرسال المدرسين المصريين .

ثم أعقبت ذلك التقرير بتقرير آخر ، مؤكدا فيه المبادرة باغتنام هذه الفرصة السانحة .

ولكن ماذا حدث ؟

لقد قوبلت هذه التقارير بفتور لدى المسئولين فى « مصر » ، فأحيلت التقارير من وزارة الخارجية إلى وزارة المعارف ، ومن وزارة المعارف أحيلت إلى مشيخة الأزهر .

ثم علمت أن ميزانية وضعت لفتح ثلاث مدارس أوّلية فى الباكستان ، وأن نفقاتها جميعها ستة آلاف جنيه مصرى .

ثم قال : إنه مع الأسف حتى هذه المدارس الأولية لم تؤسس بعد .

وأظن أن من الأسباب الجوهرية لاستقالته من تمثيل مصر فى الباكستان، هو عدم تنفيذ برامج التعليم العربى الذى كان يؤمله فى الباكستان، والذى وضع أساسه.

نقد وتحليل :

وتناول الحاضرون البحث بالنقد والتحليل..

فقال : « حافظ رمضان » (باشا) إن المبلغ المخصص لفتح المدارس الثلاثة فى الباكستان هو مبلغ فرد واحد، لا مبلغ حكومة أو جماعة »

وقال الأستاذ « الكيلانى » :

« إن مصرف هذه المدارس لا يعادل مصرف أى حفلة من حفلاتنا الكبرى ! »

وقال « شيرين (باشا) » : إن وزارة المعارف قد فتحت عدة مدارس فى إسبانيا وأوربا، وخصصت لذلك نفقات كبيرة. وليست أهمية تلك المدارس أكثر من أهمية مدارس الباكستان. »

وقال السيد « أمين الحسينى » : كيف تحيل وزارة المعارف هذا المشروع لمشيخة الأزهر ، مع أن موازنتها ٣٠ مليون جنيه، وموازنة الأزهر مليون واحد ؟ ! » وكان معظم اللوم موجها إلى الدكتور « طه حسين » (باشا) الذى كان وزيرا للمعارف فى ذلك الحين.

هذا مجمل ما دار حول اللغة العربية فى الباكستان.

وإنى أستميح السيد « علوبة » إذا كنت لم أدوّن حديثه كاملا، وإن كنت أعتقد أن الفكرة هى الفكرة.

وها أنا أضع بين يدى القرّاء والعظماء، هذه الناحية الهامة من شئوننا الإسلامية والعربية، فلعل نفحة من عظيم، أو لفتة من كريم، تحقق هذه الأمنية، أو لعل حملة من أديب، أو ثورة من قلم تنتصر لهذه الفكرة؛ فتتدرج إلى النجاح؛ فإن ضم الباكستان إلى حظيرة العروبة كسب عظيم، وغنيمة لا تقدر.

نابغة بنى كيلان وندوة الكيلانى[1]

محرر « المدينة المنورة » يتحدث عن ندوة الكيلانى

تفضل « نابغة بنى كيلان » منشئ الجيل الأستاذ « كامل كيلانى » فزارنى ولم يجدنى ، فأسفت كل الأسف . وعلى ناصية شارع « الخديوى إسماعيل » ، قرب ميدان الإسماعيلية حوالى الساعة ١١ مساء ، التقيت بالأستاذ « كامل كيلانى » لأول مرة ، فتعرفت إليه ، وكأن أحدنا يعرف الآخــــر من سنين ، واستهلكنا من الوقت نحو ساعة فى حديث لذيذ .

الكيلانى وسيد ابراهيم :

ولما أوشكت على توديعه والانصراف ، سألنى : أين كنت اليوم فقلت : مع الأستاذ « سيد إبراهيم » . فقال : « من المصادفات التى لا تقع إلا نادراً ، أننى والأستاذ « سـيد إبراهيم » ولدنا فى شهرين متعاقبين ، وربينا فى حىّ واحد متجاورين ، وتعلمنا فى مدرسة واحدة ! . . وكانت ميولنا أدبية ؛ فدرسنا كتب الأدب ولزوميات « أبى العلاء المعرى » ، وحفظنا الشعر ونظمناه معا . . ولا نزال صديقين متضامنين متحدى الغاية والهدف » .

والواقع أن الأستاذ « سيد إبراهيم » ، والأستاذ « الكيلانى » صنوان ضليعان فى الأدب ، وهما من تلامذة مدرسة « أبى العلاء المعرى » .

---

(١) مجلة المدينة المنورة فى ١٧ من أكتوبر سنة ١٩٥٢ .

لا أعرف من يفهم « المعرى » فى دنيا العرب والأدب مثلهما ، والدكتور « طه حسين » الذى نال الدكتوراه بكتابه عنه .

إن أحدهما لا يكاد يتحدث بحـديث أو يستمع لمتحدث إلا ويستشهد لك بشعر « أبى العلاء » أو غيره من أقطاب الشعر العربى : قديمه وحديثه .. وما أكثر مجالات الاستشهاد بشعر « أبى العلاء » عندهما فى هذه الأيام ، بعد الثورة ، وإقصـاء الملك « فاروق » ؛ فقد وجدا فى لزوميات « أبى العلاء » مادة خصبة لا تنضب .

ندوة الكيلانى :

تقع هذه الندوة الآن فى مصر قرب ميدان الأزهار ، وقد زرتها .. وتنعقد الندوة يوم السبت من كل أسبوع من الساعة السابعة بعد المغرب إلى الساعة التاسعة ، وتقفل الندوة أبوابها فى أيام الصيف بسبب الحرارة ، وقد تفضل وعقدها الأستاذ « الكيلانى » فى أيام الصيف بمصر ، لمناسبة حضورى ، أحسن الله إليه .

ويتجنب المجتمعون فيها الخوض فى السياسة .

وتبحث الندوة كل نواحى الحياة ، وتطرق كل باب من الأدب والعلم ، والاجتماع ، والأخلاق ، وتذهب فى البحث كل مذهب .

يلقى بعض الحاضرين بيتا من الشعر ، فتتناوله الندوة بالتفسير والشرح والتعليق ، وتورد ما نظمه الشعراء فى موضوعه ، وتبحث فى روعة المعنى وجمال الأسلوب .. وكثيراً ما تناولت الندوة بيتـا من الشعر بالنقد ، ويأتى المجتمعون بأجمل منه معنى ، وأسلوبا ورصانة ..

ويدلى واحد بفكرة اجتماعية ، أو اقتصادية ، أو أخلاقية ، فيتناولها المجتمعون بالبحث والدرس والتحليل .

وقطب هذه الندوة ومحرّكها الأول : هو صاحبها : الأستاذ « كامل كيلانى » : فهو لا يترك الزمن الذى تعقد فيه يمر دون استغلاله والاستفادة منه .

تأسست هذه الندوة فى سنة ١٩٠٨م ، وكان اسمها (نادى الكيلانى الطفل) ، وذلك فى طفولة الأستاذ « الكيلانى » وكان أعضاء الندوة : الأسطى « محمد » ، والحاج « مصطفى الحلبى » ، والأستاذ « سيد إبراهيم » والشيخ « محمود الملاح » .

وبعد سنوات قليلة ، انضم إلى الندوة بعض علماء الأزهر ، وما زالت الندوة تنمو وتزدهر حتى اكتملت فى سنة ١٩١٨ ، وسميت (ندوة الكيلانى) .

ومن أعضاء هذه الندوة : الشاعر « شوقى (بك) » رحمه الله ، و « داود بركات » ، و « خليل مطران » ، و « أحمد زكى » شيخ العروبة ، والدكتور « شهبندر » ، و « فارس الخورى » ، والأستاذ « الثعالبى » ، و « شكيب أرسلان » ، والأستاذ « صادق عنبر » ، و « محمد على علوبة » ، و « فؤاد شيرين » وزير الأوقاف سابقا ، و « إبراهيم دسوقى أباظة » ، ودولة « أحمد حلمى » ، وغيرهم من أقطاب الأدب والعلم والفن ، وغيرهم .

ولا يكاد يصل إلى مصر مستشرق أو مسلم من الباكستان أو الهند أو إندونيسيا أو أى جهة كانت إلا ويزور هذه الندوة ، ومن كبار المستشرقين الذين زاروها « كارلو نالينو » رئيس المجمع العلمى فى روما ، وعضو المجمع اللغوى المصرى ، و « عبد الكريم جرمانوس » النمسوى .

هذا هو « الكيلانى » ، وهذه هى ندوته .

بقى علينا أن نعرف السرّ فى نجاح هذه الندوة ..

إننى أعتقد أن نجاح ندوة « الكيلانى » يرجع إلى عبقريته ، وإلى خلقه الرفيع الممتاز ، وإلى وفائه وإخلاصه ونبل أهدافه .. كما يرجع إلى غزارة علمه ، وسعة آفاقه الأدبية والتربوية : فقد درس أدب العرب واختلط بدمه ، ودرس أدب الإنكليز ، وأدب الفرنسيين ؛ وأتقن هذه اللغات الثلاث وترجم منها وإليها .

فكل هذه العناصر ساعدته على النجاح ، وأظنه لم يفشل فى حياته إلا فى معركة واحدة ؛ هى معركة الدنيا والمال ، فهو فى هذه المعركة فاشل وفاشل .. ولكنه لا يقيم لفشله هذا وزنا .

استبدال مقر الندوة :

كنت أظن أننى حينما أزور الندوة ، أجدها كمبنى الاتحاد الثقافى على النيل ، أو كباقى الأندية الكبيرة فى مصر : ولكن ظنى هذا قد خاب ، فهى فى غرفة (صغيرة مستطيلة) ، لا تتسع لزيادة عن تسعة أشخاص ، ولا يجلسون جميعهم جلسة مريحة ، وقد ارتفعت حولها البيوت والمساكن ، فكأنما هى فى بئر محجوبة عن الهواء ..

لقد فهمت سرّ قفل الندوة فى فصل الصيف ، وفهمت شيئاً آخر ، وهو أن أعضاء الندوة يأتون للأستاذ « الكيلانى » وأدبه ومجالسه المشرقة ، لا للمبنى المتواضع .

قلت للأستاذ « الكيلانى » : استبدل — يا أستاذ — مقر الندوة بمكان آخر يشبه مقر الاتحاد الثقافى .

فقال : إننى أفكر فى ذلك ..

وما دام الأستاذ قد فشل فى معركة الدنيا والمال ، فلن يقدر هو على استبدال المكان .

الرئيس على ماهر:

أعرف صديقا لى فى جدة بالمملكة السعودية ، هو الأستاذ الشيخ « حسونة البسطى » ، عنده مكتبة قيمة تشتمل على أندر الكتب وأثمنها ، وكان مقرّها فى وسط جدة ، وهو يشبه فى تواضعه وفى احتجابه عن الهواء مقرّ ندوة « الكيلانى ».

مكثت المكتبة فى ذلك المكان ردحا من الزمن ، يزورها كبار رجال العلم والأدب...

ولما تحركت جدة وبدأت تعمر وتتسع آفاقها بعد توفير الماء العذب فيها ، حاول أصحاب هذا المكان إخراج الأستاذ والمكتبة منه ، والأستاذ الشيخ « حسونه » غير قادر على استبدال هذا المكان بأحسن بل ولا بأقبح منه ، لأنه كالأستاذ « الكيلانى » : فاشل فى معركة الدنيا والمادة ، ولا يقيم لهذا الفشل وزنا ..

ثم ماذا جرى؟..

علم بذلك سعادة الشيخ «محمد سرور الصبان» ، فأنقذ الموقف ، حيث ساهم هو و « محمد (بك) رضا » ، و « إبراهيم (بك) شاكر » ، ومعالى « السيد حسن الشربتلى » — كما أذكر — فاشتروا قطعة أرض فى محل ممتاز؛ وبنوها مكتبة على أحدث طراز ، وسلمت للأستاذ « البسطى »..

ثم تفضل سعادة الشيخ « محمد سرور الصبان » فأثثها أحسن أثاث .

وما كان من الأستاذ « البسطى » إلا أن سجل وقفية المبنى والمكتبة — من بعده — لمدرسة الفلاح بجدة .

وقد علمت أن الرئيس « على ماهر » قال فى وقت ما للأستاذ « الكيلانى » : « يجب أن تجرى الدولة عليك رزقا كافيا لتتفرغ للتأليف النافع ، الذى تفخر به النهضة الصادقة ». وقال له فى مجال آخر : « أنت وزارة معارف كاملة ، ولكنها مثالية ».

لقد تمنيت أن يزور الرئيس الندوة .

إنه لو فعل ، لبدل مقرها بلا شك ؛ ولكنى أعزو هذا أيضاً لفشل الأستاذ « الكيلانى » فى معركة الدنيا والمال .

ليس بصحيح أن تبقى هذه الندوة فى هذا المقر . إنها خليقة بمبنى تتحرك فيه المراوح الكهربائية ؛ وتتفق ومكانتها الأدبية والعلمية ، مع سمعتها العالمية .

وليس بصحيح أن يكون من أعضائها أقطاب مصر : علما وأدبا ، ومالا وجاها ، وتبقى الندوة فى هذا المكان .

إننى أعلق الأمل على الرئيس « على ماهر » رجل الساعة ورجل الإصلاح ، ولا أريد أن أرسم خطوطا لمشروع مبنى الندوة ولا كيف تبنى ؟ ولا أين ؟ ولا من أين ؟ لأننى أعرف أن رجل الساعة سيكفينى أنا والأستاذ « الكيلانى » مئونة ذلك .

مكتبة الطفل للكيلانى :

الطفل أمل البلاد ، ورجل المستقبل ؛ فإذا ما قوّمته وأرشدته ، ووجهته التوجيه الحسن ، استطعت أن تضمن جيلا ناجحا موفّقا أبيا مسلماً ، يحقق أهدافك ، ويخدم بلدك ودينك .

قضى الأستاذ « الكيلانى » زهرة شبابه فى خدمة الطفل ، بل فى خدمة الجيل ، بل فى خدمة المثل العليا فى الحياة .

وحبذا زمن الشباب ينفق فى تجديد زمن الشباب !

لقد بلغت مؤلفات الأستاذ « الكيلانى » نحو مائة وخمسين قصة ،

رائعة الصور بديعة الإخراج ، تتدرج مع التلميذ من رياض الأطفال إلى نهاية التعليم الثانوى ، وهذا ما أسماه ونسميه (مكتبة الطفل) .

وليست هذه المؤلفات لتنمية ملكة التعبير باللغة العربية الفصحى بلا لحن ، ولطبع اللسان على فصيح البيان ، فحسب ؛ ولكنها مع ذلك تغرس فى نفس التلميذ ، منذ نشأته : مبادئ تجعل منه رجلا نافعا عاملا منتجا مؤمنا مهذبا . . وقد ترجمت هذه المؤلفات إلى جميع اللغات الشرقية ، وبعض اللغات الغربية .

ومن خصائص هذه القصص أنها شكلت ، فلا يلحن فيها التلميذ ، وتدرب لسانه على عدم اللحن فى النطق ، وأنها مغرية وجذابة ، يسعى إليها الطالب برغبة منه ، دون رهبة .

وقد أجمع على تأييدها وزراء المعارف وقادة الفكر ورجال التربية والتعليم ، وتدرس الآن فى أكثر البلاد العربية .

وياحبذا لو استفادت معارفنا السعودية من هذه المؤلفات .

وإننى حينما أختم كلتى هذه بالحديث عن المكتبة : (مكتبة الطفل) : أحيّ الأستاذ « الكيلانى » ، وأقدم له تهانىّ على انتصاره فى معركة العلم والفكر ، ولو فشل فى معركة الدنيا والمال !

تصحيحات لغوية[1]

فى ندوة الكيلانى

بقلم : ع . ز

نقص على قرائنا تباعا صورة خاطفة لندوة علم وأدب ، كان لنا شرف الحضـــور فيها ، واجتمع معنا لفيف من فحول القوم وفضلائهم وعلمائهم ؛ فطاب الحديث وطاب الاستماع .

بدأ الحديث أديب كبير ؛ فحدثنا عن بعض ما سمع فى الإذاعة فقال : إن المذيع تحدث بالأمس عن الدكتور « حتا » وكيل الجمهورية الأندونيسية المسلم ـ وكان يزور مصر يومئذ ـ فقلب التاء نونا وجعله « حنا » !

وضحك الحاضرون ـــ ومن الجهل ما يضحك ـــ وقلنا : ولقد سبق لأخت له من قبل أن أذاعت منذ سنين أن فلانا سيتلو ما تيسر من سورة « سبق » ، وقصدت سورة « سبأ » !

وسأل سائل عن الحوجم ؟ فأجابه « الكيلانى » ، وهو قطب الندوة : نوع من الورد .

وكان « كامل كيلانى » بادى البشر ، فى كلامـــه ، رحّب بالمجتمعين بحرارة وإخلاص ، وقال :

لِي مَنْزِلٌ إِنْ زُرْتَهُ ... لَمْ تَلْقَ إِلَّا كَرَمَكْ

وَإِنْ تَسَلْ عَمَّنْ بِهِ ... فَلَيْسَ إِلَّا خَدَمَكْ

---

(١) منبر الشرق فى ٣١/٠٠/١٩٥٢ .

فقال الأستاذ « عثمان حافظ » أحد أصحاب جريدة « المدينة المنورة » الحجازية على الفور : وسيد القوم خادمهم .

* * *

وامتد بنا الحديث — والحديث ذو شجون — حتى جاء ذكر « قلة الذوق » فى مناهج التعليم ، فقال قائل : اسمعوا بعض مختارات من الشعر تخيرها رجال التربية والتعليم لمدارس البنات ، فى عهد من العهود الأخيرة ، وهى أبيات لـ « البهاء زهير » ، فرض حفظها على فتياتنا فى معاهد التعليم :

إِنِّى لَأَطْلُبُ حاجَـةً لَيْسَتْ عَلَيْـكَ بِخافِيَهْ
أَنْعِـمْ عَلَيَّ بِقُبْــلَةٍ هِبَـةً وَإِلَّا عارِيَهْ
وَأَرُدُّها لَكَ لا عُـدِمْ تَ بِعَيْنِها وَكَما هِيَـهْ
وَإِذا أَرَدْتَ زِيادَةً خُـذْها وَنَفْسِي راضِيَـهْ

فقال آخر : ليس هذا بعجيب ؛ فقد مثلت السيدة « بديعة مصابنى » وزارة المعارف المصرية ، فى عهد من تلك العهود السود !

الكونت دى جالارزا :

وقصّ علينا الأستاذ « محي الدين رضا » المحرر « بالمصرى » حديثاً عن « الكونت دى جالارزا » ، وهو أديب غربى كبير ، يجيد ١٤ لغة ، منها العربية ، وحضر عليه كثير من الأدباء ، ومع علوّ قدره وتضلعه فى العربية ، كان يلحن فى كلامه .

قال هذا الأديب يوما ، معجبا بآراء الغربيين :

إن الفيلسوف « لابرانش » قرر أن الإنسان مهما غالط الناس ؛ فني نفسه وازع يحدثه بحقيقة نفسه .

فقال له الأستاذ « محي الدين » :

لقد قرر القرآن ذلك قبل أن يصل إليه فيلسوفكم .

فقال الكونت : وماذا قرر القرآن ؟

فأجابه : « بل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره » .

فقال الكونت : لقد نقضت آراءنا ، وما كنا نعلم أن القرآن قرر ذلك من قبل .

في اللغة :

وتحدث الأدباء المجتمعون فى اللغة . .

وقال « الكيلانى » :

الجلد فى اللغة هو الفرج ، والجلود الفروج ، ومنها جلد « عميرة » ويستقيم بهذا المعنى تفسير هذه الكلمة فى بعض آيات كتاب الله .

ويقـــول بعضهم فى معرض الترحاب : حبا وكرامة ، ويظنها البعض لفظ ترحيب ، ولكن الحقيقة ، أن الحب هو الزير والكرامة غطاؤه ، وهما أطيب ما لدى العربى : ساكن القفر ، ليقدمه لضيفه . واستشهد بقول الشاعر :

لَهـــا فَمٌ كَبَقْبَقاتِ الْحُبِّ

حَسْبِيَ مِنْها يا نَدِيمِى حَسْبِي

— يحتفى فلان بفلان . . أى خرج له حافيا للترحاب به .

— ترهات : ليست خزعبلات ، وإنما هى الطريق الضيق يعترض الطريق الواسع .

— أدرة آدر : وليست كما يظن البعض قدرة قادر ، فالأدرة الفتق ، والآدر ذو الفتق . . والمعـــنى لا يقدر على النكبة إلا المنكوب .

وقد قال رجل لـ « لبيد » يا آدر :

فأجابه جوابا ألجمه وأفحمه : كذبتك عرسك !

الأمجاد العربية[1]

فى ندوة الكيلانى

سعدت ندوة هذا الأسبوع بضيفين كريمين هما : السيد « عمر بهاء الأميرى » وزير « سوريا » المفوض السابق بالباكستان ، والسيد « الزبيرى » اليمنى ، وكذلك السيد « سامى الصلح » والسيد « فؤاد شيرين » ، « وميرزا مهدى رفيع مشكى » . وغيرهم من ذوى الفضل والأدب ...

وتميزت ندوة الأسبوع بروح مرحة ، أضفاها عليها السيد « عمر » ، وشاركه فيها الأدباء الحاضرون .

القديم والجديد :

وقد قصّ أديب عالم جليل ، أنه كان يطالع تاريخنا ؛ فيرى المؤلف يستشهد بمتحف « بريتش » فى لندن ، فلما تهيأت له الفرصة وزار « بريطانيا » أخذ يبحث عن هذا المتحف حتى أعياه البحث ، وأخيراً دلوه على بناء عتيق ، وقالوا له هذه قلعة « شارل الأول » .

فعجب لهذه الدعاية العريضة لمخلفات القوم ؛ فلم يكن البناء جديراً بكل هذه الطنطنة !.. وقال قولة كريمة :

« قديمنا خير من قديمهم ، وجديدهم خير من جديدنا . »

فمتى يا ترى نفيد من ماضينا المجيد ؟

---

(١) منبر الشرق فى ١٤ نوفبر ١٩٥٢

خطأ وصواب :

ومن الخطإ الشائع قول بعضهم : « وزارة » بفتح الأول ، والصحيح كسرها ، فإن كل حرفة أو صنـــاعة تكون على وزن فِعالة .

ومن الألفاظ الشائعة كلمة « مندل » وهى مكونة من مقطعين « من ، دل » بمعنى الذى دل على الشىء . وكذلك « سلقط وملقط » وأصلهما ما سال قط ، وما مال قط .

علماء كرام :

وتحدث المجتمعون عن رجلين مصريين ؛ هما مفخرة للبلاد ، أولهما الدكتور « الصياد » ، وهو عالم فى الميكانيكا ، وثانيهما الدكتور « عبد العزيز عزام » ، وهو عالم فى الكيمياء ، ويعتز بهما العلماء الألمان ، ويستشهدون بآرائهما . والدكتور « عزام » يخدم الآن بعلمه البلاد العربية ، وقد أنشأ مصنعاً نموذجياً للصابون فى جدة ويقوم بجهوده العلمية فى بلاد آل سعود .

ولقد قال « عمر الأميرى » :

لما كنا فى الباكستان ، كانت دار الإذاعة تلاحق الأستاذ « الزبيرى » اليمنى ، لتظفر منه بحديث تذيعه على الناطقين بالضاد ، فجئت إلى مصر فوجدت العكس ! !

فقال له أديب كبير : لقد ميزنا الله بوضع الأمور فى غير موضعها ؟

فى اللغة :

العربدة فى اللغة هى التــــلوّى .

وعربد فلان أى صار كالحية يتلوّى .

تدِق : بالكسر من الدقة ، فتقول : تدِق عن العقل ، ولكن لا تصادم العقيدة مثلا . أما تدُق (بالضم) فبمعنى تظهر .

سر مولد المسيح :

وانتقل الحديث إلى بحث علمى ، فقال عالم جليل :

إن الخلية الأولى للإنسان تتكون من نصف كروموسومات الذكر فى خليته ، ونصف كروموسومات المرأة فى بويضتها ، وقد أمكن للعلماء إجراء تجارب فى بعض الحيوانات ، وأخذوا كروموسومات الأنثى وحدها وشطروها نصفين ، ثم جمعوا بين النصفين ، فنشطت الكروموسومات ، واتحدت وتكونت منها خلية أخذت فى التكاثر والتكوين .

وعندئذ قال السيد « فؤاد شيرين » :

وبذلك يسهل على الناس تصوّر ميلاد المسيح عليه السلام .

وصدق الله العظيم : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) .

قراءة القرآن [1]

بقلم الدكتور ناصر الدين الأسد

[فى هذا الفصل وفى فصول أخرى ستليه فى الأعداد القادمة ، ينقل إلينا قلم الصديق الأديب الأستاذ « ناصر الدين الأسد » صوراً وأسماراً من ندوات القاهرة الأدبية ، وهى ولا شك فصول ستنال الكثير من اهتمام القراء لطرافتها ورشاقتها]

* * *

رعى الله أرض الكنانة ، فحيثما وليت وجهك فيها ، فثم مستراد خصب للفكر ، ومنهل عذب للروح والقلب ، ومورد صاف للأدب والعلم ، ومعرض حاشد للجمال والفن .

وما عليك ، لتنعم بهذه الآلاء جميعها ، إلا أن تفتح أذنيك فينساب فيهما النغم ، وتفتح باصرتيك فينسكب فيهما النور ، وتفتح قلبك وروحك فتتدفق إليهما مسايل الفن ومسارب الأدب .

ومن هذه المعارض الزاخرة ، التى ينعم فيها العقل والقلب ، وتعرض فيها آيات العلم والأدب : ندوات القاهرة ، وهى مجالس خاصة ، يحلق فيها صفوة العلماء والأدباء . وطلاب المعرفة ، حول علم شامخ من أعلام مصر فى منزله ؛ يرسل فيها القول إرسالا طليقا ، لا كلفة فيه ولا سابق إعداد ، وإنما هو ومض الفكر ، وفيض الخاطر ، وانقداح العاطفة ؛ حتى إذا انتهى مجلس القوم وآذنوا بالانصراف ، أحسست أنك ـ على كثرة ما تزوّدت فى مجلسك ذاك ـ تود لو آثروا التريث ، وأطالوا المكث ، طمعاً فى الاستزادة .

---

(١) مجلة الأدب فى تشرين الأول سنة ١٩٥٢ .

وندوة « الكيلانى » أرسخ هذه الندوات قدماً ، وأطولها عهداً ، وأكثرها حجيجاً ، وأعلاها صوتاً .

ولن أتحدث عن الأستاذ « كامل كيلانى » نفسه ، فما لى بالحمل الثقيل يدان ، وقد وصفه من هم أقدر منى على إيفائه حقه من الكتاب والشعراء ـ وفى مقدمتهم أمير الشعراء « أحمد شوقى » ـ فى مقالات وقصائد ، أكثرها منثور متفرق ، وأقلها مجموع فى كتب ، وما أحسب قارئى هذه الكلمة إلا يعرفون عن شخص الأستاذ « الكيلانى » وأدبه ما يغنيهم عن حديثى ؛ فلأعرض عليهم إذن طرفاً مما يدور فى جلسات ندوته .

أممت ندوة « الكيلانى » فى منتصف شهر أغسطس ـ والحر فى سورة وقدته ـ وفى مثل هذا الوقت من كل عام ينفض سامر القاهرة : فتخلو مرابعها ويهجرها القادرون إلى المصايف .

ومع ذلك فقد ذهبت والأمل من أمامى يرود لى آفاقاً عريضة من المتعة العقلية والروحية .

ولم يكذبنى رائد الأمل ؛ فما كدت أجوز بالطبقة الأرضية من البناء ـ وفيها مكتبة « الكيلانى » ، تزين واجهاتها مؤلفاته الأدبية وسلسلة كتبه *للأطفال* ، وهى تزيد على المائة والخمسين كتاباً ـ وأصعد إلى الطبقة العليا ، حتى وصلت إلى سمعى أطراف من أحاديث القوم ..

كان فى الغرفة ثلاثة : الأستاذ « الكيلانى » ، والسيد « أحمد حلمى » ، وكبير عربى ذو مقام ومكانة .

وكان الحديث يلق إلقاء هينا ، ولا يكاد يستقر على موضوع بذاته ، حتى إذا ذكر أمر التربية والتعليم ، جدّ الحديث وتركز ؛ فقابل الحاضرون بين علم الدرس وعلم الحياة ، بين هذه المعلومات الجافة المقطوعة الجـــذور التى تحشى حشواً فى ذاكرة المتعلمين ،

وتجارب الحيــاة نفسها وما تكسبه للمرء من صادق العلم وعميق المعرفة ، وضربت على ذلك الأمثلة . وذكرت الشواهد من القديم المحفوظ والحديث المشهود .

وإذ هم فى ذاك ؛ أقبل زائر جديد ، هو الأستاذ « فؤاد شيرين » وزير الأوقاف فى العهد الجديد فى مصر . . وما يكاد يطمئن به المقام ، حتى التفت إليه السيد « أحمد حلمى » وقال له: إنه يريد أن يبحث أمام وزير الأوقاف أمرين يتصلان بوزارته .

أولهما : الطريقة التى يقرأ بها المقرئون القرآن ، والحالة التى يصغى فيها المستمعون إليه .

وثانيهما : كتابة القرآن وطريقة هجائه .

وانبسط الحديث وتشعب ، وأدلى كل بدلو بل بدلاء . .

وانتهى إلى الاتفاق على إنكار التمطيط والتنغيم الطويل فى قراءة القرآن ، وعلى إنكار إعادة قراءة الآية الواحدة بقراءات مختلفة ، أو بالقراءات جميعها ، إظهاراً لمقدرة القارئ ومعرفته بالقراءات ، وعلى إنكار هذه العربدة الصاخبة التى يتلقى بها السامعون آى الذكر .

واتفقوا أن هذا كله يصرف المستمعين عن تفهم الآيات وتدبر معانيها ، وهو المقصود الأول من قراءة القرآن . واتفقوا — فيما يتصل بكتابة القرآن — على اتباع الطريقة الحديثة المألوفة فى الهجاء ، فلا تكتب كلمة « الصلاة » بالواو هكذا « صلوة » ، ولا تكتب بعض الكلمات بتاء مفتوحة وحقها أن تكتب بتاء مربوطة ، مثل « بقيّت الله خير لكم » (هود - ٨٦) ، ومثل « وألقوه فى غيابت الجب » (يوسف - ١٠) .

واتفقوا آخر الأمر على وجوب العناية بعلامات الوقف فى أثناء القراءة ، لأن هذا الترقيم يعين على فهم المعنى .

وبينما هم آخذون فى هذا الحديث ، إذ أقبل أحد الشباب العربى التونسى وقال : إن السيد « صالح بن يوسف » الوزير التونسى ، كان مقبلا إلى الندوة ، ولكن أنباء جديدة وصلت إليه عن الحالة فى تونس ، وموقف المقيم الفرنسى من جلالة الباى فاضطرته إلى التخلف ، وانتقل الحديث بعد ذلك إلى القضية التونسية والقضايا العربية عامة .

وانفضت الجلسة ، وبقيت وحدى مع الأستاذ « الكيلانى » فحدثنى حديثاً طويلا ممتعاً عن كثير من ذكرياته الأدبية .

إن فى ذكريات الأستاذ « الكيلانى » التاريخ الأدبى الحديث ، ولا بد من تسجيل هذه الذكريات ونشرها وإذاعتها بين الدارسين ؛ ففيها كثير لا نزال نجهله ، ولا بد لنا من معرفته ليتضح لنا تاريخنا الأدبى الحديث .

ندوة الأدب الخالص (١)

بقلم الأستاذ أنور الجندى

... أما ندوة الكيلانى فهى ندوة الأدب الخالص ..

ولا تعجب إذا رأيت من روّادها السادة « أمين الحسينى » ، و « فؤاد شيرين » ، و « على ماهر »، و « أحمد حلمى » .

ولا شك فى أن تاريخ كثيرين من الشخصيات الأدبية، يجب أن يكتب فى ندوة الكيلانى أمثال : « شوقى » ، و « مطران » و « داود بركات » ، و « أحمد زكى » ، والدكتور « شهبندر » و « صادق عنبر » .

فإذا قصدت إلى ندوة « الكيلانى » ، سمعت شعراً عربياً قديماً فى كل فن من فنون الحياة ، فقلما يلبث أى عضو أن يفتح باب موضوع من الموضوعات ، حتى يسارع الأستاذ « الكيلانى » فيروى لك شعراً قديماً فى هذا المعنى !

وتستمع منه إلى الشعر المعجب : شعر « أبى العلاء » و « المتنبى » و « ابن الرومى » .

ومن اللطائف التى يرويها الأستاذ « كامل كيلانى » أن الأستاذ « محمد الهلباوى » — رحمه الله — أراد مرة أن يداعب « أحمد زكى » (باشا) شيخ العروبة ، فسأله عن بيت من الشعر أين يمكن أن يجده ، وهو قوله :

وَالْعِلْمُ عِلْمانِ : عِلْمٌ لا بَقاءَ لَهُ
عَلَى الزَّمانِ ، وَعِلْمٌ لَيْسَ بِالْباقِى

(١) مجلة الصباح فى ١٩٥٣/٤/٩ .

وسرعان ما قال له شيخ العروبة إنه يعتقد أن القصيدة التى منها هذا البيت « اليتيمة » .

ومضى « الهلباوى » يطالب « زكى (باشا) » بالبحث .. ويلحّ عليه فى أن يقول له على القصيدة ستة شهور ، و « زكى (باشا) » لا يستطيع لكثرة مشاغله .

وذات مرة قال الهلباوى لشيخ العروبة : يظهر يا (باشا) أنك نسيت مسألة بيت الشعر .

فقال له « زكى (باشا) » : أبدا أبدا ، أنا مازالت أذكره وأرجو أن أوفق فى البحث عنه هذا الأسبوع .

فقال له « الهلباوى » بمكر : وما هو البيت ؟

وأعاد « زكى (باشا) » بيت الشعر .

وهنا قال له « الهلباوى » :

علم لابقاء له على الزمان ، وعلم ليس بالباقى !

وضحك .. وتنبه شيخ العروبة إلى « المقلب » .

وجرى وراء « الهلباوى » يريد أن يضربه ... لولا أن « الهلباوى » كان قد أفلت .

* * *

وفى « ندوة الكيلانى » تسمع طرائف الأدب وفنونه ، وملحه ، وأعاجيبه ، وتسمع تاريخ جيل كامل من الأدباء ، تخشى أن ينقضى دون أن يكتب .

عند الأستاذ « كامل كيلانى » كنز من تاريخ الأدب فى نصف قرن ، وعند السيد « محمد على الطاهر » ذخيرة فى تاريخ السياسة العربية فى نصف قرن !

متى يكتب ما عندهما ويسجل !

نرجو أن يكون ذلك قريباً .

ندوة الكيلانى فى رسالة[1]

من فارس الخورى إلى سامى العظم

بقلم الأستاذ فارس الخورى

« الأسبوع الماضى وصل إلى مكتوبك البليغ (فى جنيف) قبل أن يأتينى جواب الأستاذ الأكبر « الكامل الكيلانى » ، فأخرت جواب مكتوبك ، إلى أن أخذت جواب القطب الأرس ، وهذا وصل إلىّ أول أمس .

وفيه ما زادنى إعجابا بتحكم منشئه بأحكام الأدب ، وسيطرته على أفانين البلاغة ، ومع ذلك ؛ فإعجـــابى بكتابك لم يزل عظيما ، ومع احترامى لأدبك ، وتقديرى لسعة علمك ؛ فإن أسلوب الإنشاء فى مكتوبك تجاوز الحد الذى كنت أعهده فيك ، ولم أهتد إلى كشف المعمّى إلا بعد أن قرأت أنك من المواظبين على ندوة الأستاذ الأعظم السيد « الكيلانى » ، وهى مهيع الأدب ، ومصدر رائع العلم والاكتساب ؛ فلا بد أن يكون اندماجك فى هذه البعكوكة نفحك بطيب النفس ، وأجرى قلمك إلى سبق يدهش أصدقاءك .

قولك لى فى صدر الرســـالة : (صبحتك الأفالح . .) ذكرنى بطريفة نقلها « الكامل الكيلانى » عن « المعرى » :

إن أحد الباطنيين كان يحيى كل سنى يصادفه : « صبحك الخير ومسّاك الفلح » . ثم يهمس فى أذن رفيق له فى جماعته : سيفان كالبرق إذا البرق لمح . وذلك أنّه كان له سيفان ، سمى أحدهما : الخير ، والآخر : الفلح .

---

(١) منبر الشرق فى ١٩٥١/٩/٧ .

فهل هناك صلة بين هذا الفلح وهاتيك الأفالح ؟ معاذ الله أن يكون شيء من ذلك ، وإن كان ورد بمناسبة التصبيح والتمسية .

ثم أدهشني ذكرك أموراً حدثت قبل نحو من نصف قرن ، وأنت متهم أو مصاب بداء النسيان ، وها أنك تذكر ما أنسانيه الدهر ، وقد نفيت عن نفسك اتهاما باطلا !

هل عزمت على حرماننا منك فى دمشق ؟ وبعد أن تكون مصطافا فى مصر ، كيف ترجو أن تكون شاتيا فى دمشق ؟

كيف حال الصديق الأوفى الأخ الأكبر « حتى بك » ؟ أتمنى له نشاطا مقيما ، وشبابا لا يذوى . . لا بد أنك تتفضل بإبلاغ تحياتى وشكرى للسادة الأماثل زوّار « ندوة الكيلانى » ، الذين منوا علىّ بعبارة طيبة ، ونظروا إلىّ بعين راضية ، وبشرتنى بعطفهم فى رسالتك الطليّـة ، وهم أساطين العلم والفضل ، وأراكين الكرامة والنبل .

دورة ندوتنا هنا فى تقنين الشرع الدولى تنتهى فى ٢٨ من الشهر الحالى ، وبعدها قد أعود « لسوريا » ، وآنس بإخواننا فى مجلس الشيوخ ، ولابد أننا نذكرك هناك بالشوق والمحبة .

مكتوبك قرأه معى السيد « لطفى الحفار » ، والسيد « نجيب الأرمنازى » ، وكلاهما اشترك معى بالدهشة لهذه الدرجة البلاغية ، التى بلغتها فى بعكوكة « الكيلانى » ؛ فهنيئا لك وله هذا الرقى السريع ، ولنا أيضاً بك عند عودتك إلينا فى مجلس الشيوخ . .

ومجلسنا هذا هو بعكوكة أخرى مصغرة فى المعنى ومكبرة فى الأعمار .

من رسائل أقطاب الفكر

كان من أعظم الفرص الأدبية التى أتيحت لنا ، أن نطالع تراث « كامل كيلانى » غير المطبوع ، من رسائل وأحاديث وقصاصات وبطاقات . فهو حافل خصب ، أبرز ما فيه هـذه الرسائل التى وردت إليه من مختلف أنحاء العالم العربى والإسلامى للحياة الأدبية فى مصر .

لقد فتح لنا هذا التراث فهما عميقاً جديداً ونقداً لذلك الإنتاج أخرجه « رائد أدب الطفل » .

فمن كل بقعة من بقاع هذه المنطقة التى تتكلم العربية نجد رسائل بعث بها الأعلام والمفكرون والأساتذة والباحثون ، تحمل انطباعاتهم إزاء العمل الأدبى الكبير الذى قدمه « كامل كيلانى » للغة الضاد الخالدة . . .

ولقد اخترنا هنا قليلا من ؛ الرسائل كنماذج لهذا المحيط الزاخر .

١ — رسائل الإخاء : بين صادق عنبر وكامل كيلانى
٢ — رسالة من الهند : من زاهد على - حيدر أباد
٣ — أثر كامل كيلانى فى الشرق الإسلامى : أبو عبد الله الزنجانى
٤ — الكيلانى أو الطبرى : على أحمد عامر
٥ — رأى المستشرقين : كارلو نالينو
٦ — تحية دمشق : سامى العظم
٧ — تحية بيت المقدس : أحمد سامح الخالدى
٨ — الأديب الكامل الأدوات : شكيب أرسلان
٩ — شقيق الروح : عطية فهمى شاهين
١٠ — مراجعات فى الأدب : شكيب أرسلان
١١ — تحية جبل لبنان الأشم : حايم دموس

رسائل الإخاء(1)

بين صادق عنبر وكامل كيلانى

(1)

صديقى العزيز الأستاذ « كامل كيلانى » :

مع تحيتى لذاتك الكريمة ، عذرى إلى مكارمك المجيبة ، من تخلفى مكرها عن تلبية دعوتك ، واغتنام الأنس بك ، وبالمجتمعين على مسرتك ، فقد كنت أحرص على ألا أتخلف ؛ لأنى كنت أضمر ألا أعتذر ، ولكن بعض الحرص مدعاة إلى الحرمان ، ومن العذر ما يقع من وراء الحسبان .

فإن ابنى وهو أحب شخصىّ إلىّ ، قد عثر عصر اليوم ، وكانت فى يده كأس ، فإذا شظاياها على يده جراحات ، ففزعت إلى أقرب طبيب ، ورجعت بابنى إلى البيت ؛ لأشرف على علاجه .

فلولا أنى سأكون إلى جانبه قلقا ، لكنت إلى جانبك مطمئنا ، أشاركك فى هنائك ، وسأمضى به غدا إلى جرّاح ؛ فإنى أحس أن شظية دقيقة قد ذهبت فى راحته ، لتذهب براحتى .

فاشفع أيها الصديق الكريم منة الدعوة بمنة قبول العذر .

جعل الله لياليك أفراحا موصولة ، وحفظ لكليتنا كالئه وبلغه فيه آماله .. وسلمت لأخيك .

المخلص

محمد صادق عنبر

---

(1) ١٩٣٣

(٢)

صديق الأستاذ « محمد صادق عنبر » :

بعد التحية ، كنت أترقب حضورك وأنا على يقين من برّك بوعدك ، فلم أكد أرى كتابك حتى وقع فى نفسى أنك تعتذر به من تخلفك ، فأسفت على ذلك ، ولم أكد أتم قراءة الكتاب حتى وقعت فى حيرة لا مثيل لها ، ولم أدر أساخط أنا أم راض ؟ وأيهما آلم لنفسى : جرح ولدك واشتغال بالك به ، أم تخلفك عن الحضور وحرماننا من الأنس بك وبأدبك الرائع .

وأيهما كان خيرا لى : الائتناس بك ساعة أم الاستمتاع بكتابك ساعات ، فهو طرفة أدبية باقية ، وذكرت ذلك الحوار المعجب الذى دار بين فيلسوف وطلبة ، إذ سألهم عما ينغص عليهم الحياة ؛ فأجاب طالبٌ إنه الفقر ، وقال آخر : بل هو المرض . وهكذا .

ثم وقف طالب يجيب فقال :

إنما ينغص علينا الحياة أننا نجد فيها إلى جانب كل وردة شوكا !

فقال له الفيلسوف :

ما أحراك أن ترى فيها إلى جانب كل شوك وردة .

وبعد فقد تألمت لجرح ولدك ، وأسفت على تخلفك ، وفرحت بكتابك ، وحمدت هذه النتيجة وإن حزنتنى مقدماتها : فقد رأيت إلى جانب الشوكة التى آلمتك وردة عطرة طيبة الشذى .

عجل الله لولدك الشفاء ، وحرسك للأدب والأدباء .

والسلام عليك من المخلص لك ؟

كامل كيلانى

رسالة من الهند[1]

(من زاهد على — حيدر أباد)

صديق المشفق المحسن حضرة الفاضل المحترم « كامل كيلانى » :

سلاماً واحتراماً — ما أدرى ماذا أكتب إليكم ، وأى عذر أقدم إلى حضرتكم ، وكل يقدم عذر كثرة الأشغال ولا أجترئ على أن أفعل مثل ذلك ؛ لأنى لست من الأفاضل مثلكم الذين دأبهم إشاعة الكتب ونشر المعلومات .

والمختصر أنى تساهلت كثيراً عن المكاتبة والمراسلة .

الذى سيجيء بمكتوبى هذا إليكم : هو من أحد فضلاء الهند الفائز بشهادة ايم ار — (M. A.) بالجامعة العثمانية عندنا ، وقد انتخبته الحكومة النظامية ؛ لأجل ذكائه واجتهاده وشهرة رغبته فى طلب العلوم الأدبية العربية . وأنا واثق بأنكم تسرون بلقاء مثله من طلبة العلم . حيث إنه غريب فى بلادكم ليس له أنيس بها .

فالمرجو من حضرتكم أن تعينوه بمشورتكم المفيدة .

عسى أن تكونوا بخير ، ومتمتعين بصحة تامة مع معتمد رابطتكم الجديدة .

والسلام مع فائق الاحترام .

أنا المخلص

زاهد على

---

(١) أكتوبر سنة ١٩٣٣ .

أثر كامل كيلانى[1]
فى الشرق الاسـلامى

(من أبى عبد الله الزنجانى)

بسم الله تعالى

قرأت بعض رسائل الأستاذ الجليل « كامل كيلانى » المصرى فى تربية الأطفال.

فوجدت مقام واضعها فى تفكيره .. كالبستانى الماهر واقفاً فى ناحية من حقل الإنسانية البديع ، وهو يجوس ما ينجم فيه من النبات — فى أول أدواره مفكراً فيه ؛ ليخرج للناس نابتة حسنة من الأطفال .

فإذا حسبنا أطفال اليوم رجال الغد ، ورأينا من الواجب غرس الفضائل فى نفوسهم ، وتدريبهم على اللغة العربية الصميم ، فرسائل هذا الأستاذ الجليل خير وسيلة لذلك ، فيحسن أن تدرس فى عامة مدارس الأطفال فى الشرق الإسلامى ، ويقدر عمل واضعها المحمود المشكور .

أبو عبد الله الزنجانى
٢٠ ربيع الأول ١٣٥٤ هـ

---

(١) ١٩٣٩

الكيلانى أو الطبرى [1]

(رسالة من على أحمد عامر)

أخى الأستاذ « كامل » :

من ثلاثة أيام ، أو قل من أربعة أيام ، أو فلتقل من خمسة أيام ولا حرج عليك ولا جناح ، وأنا أستبسل كثيراً جداً فى الدأب وراء سبلك ؛ فلا أعثر عليك . كأنما أنت الشعاع يُرى ، ولا يُلمس . وأنت تدرى مقدار ما تثيره رحلاتك البعيدة عن المقهى ، كلما أزف موعدك المألوف ، وأوبتك الخاطفة إليها قبل أن يأزف الموعد المألوف ، من فضول الذين توجتهم الحياة بأكاليل من الشوك ، يدمى رءوسهم ، فلا يخرج منها إلا أفكارا يضطرب من هولها المضطرب !

وأنا من هؤلاء فى الطليعة ، أحب أن أشدّ على يد « مصطفى » تهنئة وتبريكا . وأحب أن أشدّ على يدك : حتى يتساقط منها ما ألفت .

وأنت يا أستاذ « كامل » حقيق ألا تفرط الأيام عقد خطواتك على سبل جديدة ، ومسالك لا يلم بهـــا المنقبون ؛ إلا أن ينصرفوا فى بحوثهم عنك ، إلى ما تركه الأقدمون لنا من مصادر !

ولتكن ثابت اليقين ، بأنى إن لم أعثر الليلة عليك ، فسأمضى إلى « الطبرى » ومن معه من أعلام ؛ لأسألهم أين أنت ؟ فإن لم أعثر عليك أيضاً ، فسأمضى فى سبيلى إلى تأليف « خطط الحلمية والفجالة والحسين والإمام الشافعى » .. ولن تجد فى هذه الخطط عنك حديثا ، يفصح عن مكانك من تلك الأحياء التى أغدقت عليها من نسيانك حبّاً . وأنزلت عليها من إهمالك ما فيه الفتنة عن يد عزرائيل ، عليها سلام .. ! وعليك يا عدوّ هذه اليد سلام ؟

أخيك

على أحمد عامر

---

(١) القاهرة فى ١٩٣٤/٧/٢٠ .

رأى المستشرقين (1)

(رسالة من كارل نالينو)

إلى كامل كيلاني
من الأستاذ كارلو نالينو
الأستاذ بجامعة "روما" وعضو مجمع اللغة العربية

الى حضرة الاستاذ كامل كيلاني المحترم

سيدي

لقد امتلأ قلبي سرورًا حين قرأت في هذه الاعوام الاخيرة جمهرة كبيرة من كتبك التي انشأتَ بها مكتبة الاطفال.

ولئن صح يقيني لتكونن نسيج وحدك في عالم التأليف للاطفال في البلاد العربية قاطبةً. فلست اعرف لك ضريبًا في هذا المضمار في اي بلد ينطق اهله بالضاد. فإن كتبك قد جمعت الى براعة التسلية حسن الاسلوب. ووفرة المعلومات معًا. ولست ارى لها مثيلًا الا تلك الكتب التي تدرس في مدارس اوربا الى جانب الكتب المدرسية لتثير في انفس الاطفال والشباب حب الاطلاع وحب التسلية كما تثير فيها — الى جانب ذلك — حب التفكير وتمهد لها طرائقه.

وعندي ان كتبك قد سدت هذا الفراغ في عالم «البيداجوجيا» في الشرق بطريقة مُثلى. فان جاذبية هذه القصص لا تبلى جدتها. فهي حافظة ابدًا لروعتها وسحرها. وكل ما فيها يدل على سلامة الذوق. فانها تمتاز في موضوعها بحسن الاختيار وفي اسلوبها بالمتانة والدقة وفي لغتها بالسهولة. وان صوغ عباراتها وانتقاء مفرداتها لينمان عن ذوق عربي اصيل

(1) 1930

مكتمل النضوج يشع فيها جميعًا . ولست استثني مَن ذلك تلك القصص التي قبستها من الآداب الاوروبية فان تجويد اسلوبها وتخير الفاظها وطابعها العربي الصميم كل ذلك لا يدع مجالًا للشك في ان هذه القصص هي - بانشائها - عربية باصل وضعها حتمًا .

واني لأحبّذ اوفى تحبيذ تلك العناية التي تبذلها في انتقاء الموضوعات اولًا والاساليب ثانيًا واحجام الحروف ثالثًا وترتيب ذلك ترتيبًا يتمشى بنجاح تام من الاطفال الى الشباب وفق تدرجهم في اسنانهم ومداركهم . كما يسرني ان انوّه بالرشاقة والوضوح اللذين يتجليان في فن تلك الصور المبدعة التي ازدانت بها هذه الكتب .

وبعد فاني اهنئك - مخلصًا في تهنئتي - بهذا الاثر الجدير بالثناء . كما اتمنى من صميم قلبي ان تعمّ هذه الكتب الاقطار العربية كلها .

فما اجدرها ان يقرأها كل طفل وان يستفيد منها كل فتى وفتاة وتدرسها كل مدرسة ومعهد . وأخلِقْ بها ان تكون خير مرشد للاجانب الذين يدرسون العربية ويرغبون في الوصول الى غايتهم من اقرب طريق واهدى اسلوب .

وتفضل يا سيدي كيلاني بقبول اوفى تحيتي وتقديري

Carlo A. Nallino

تحية دمشق (١)

(رسالة من المجاهد سامى العظم)

أخى الحبيب الأستاذ «كامل»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

نعم أيها الأخ إنى ملوم فى تقاعسى عن أداء حقك على والقيام بواجبات الأخوة الصحيحة ، والصداقة الوثيقة وأنا مقر بتقصيرى معترف بعجزى ، ولكنى لم أتعمد هذا التقصير ولم أتقاعس علم الله عن أداء حقك بملكى ، ولكنها الأعمال المرهقة التى لا تكاد تنتهى والتى تستفد آخر قطرة من جهدى ووقتى ، فلا أجد منهما ما أرجع فيه إلى نفسى فأعرف لها شأنها أو إلى الأدب فأتذوق لذته أو إلى ـ الأصدقاء فأؤدى حقوقهم ، وقد كانت تلك الأيام التى قضيتها بمصر فلتة من فلتات الدهر نعمت بها حينا عاد الدهر اليوم يذيقنى غصصها . ويجرعنى آلامها فقد ذهب أركان الوزارة كلهم إلى المصايف والجبال ، منهم من عاد إلى بلده وأهله وبقيت أنا أحمل عناء العمل وحدى كما كنت أنعم فى مصر بالإجازة وحدى ، ولكنى لا أبتئس بهذا العمل ، ولا أضيق به وقد كسبت من اجازتى ما يعد أعز شىء من الأمانى العذاب ، والآمال المعسولة ، وذلك هو الود الخالد الذى تمن به على ويمن به على إخوانك عيون مصر ولباب أهلها .

وإنى لأغبطك أيها الأخ على أنك تجد من وقتك ما تقبل فيه على الأدب ؛ فتكتب وتؤلف وتسمو نفسك عن الحياة

---

(١) دمشق الخميس فى ١٥ آب ١٩٣٥

وسفاسفها ، وتعيش فى عالمك الحلو الفاضل ، وأتمنى لك الزيادة من هذه النعمة .

أما أنا فلا أفرغ من أعمال الوزارة إلا إلى مشاكل الناس ، ولا أستطيع أن أجد الوقت الذى أجيب على هذه الرسائل - الكثيرة المنضــدة على مكتبي ، وكلها من حبيب إلىّ عزيز علىّ .

وما تأخرت عن الإجابة على رسائلك نسيانا وإهمالا . لا والله ، وإنها أمامى ، أذكرك بها كل صباح ومساء ، أجيب عليها كل يوم ؛ فتحسّ بالجواب يخفق به قلبك . ومن القلوب إلى القلوب سبيل .

ولكنى كلما عمدت إلى كتابة الجواب صرفنى عنه صارف ، فتركته ثم جئت من الغد فأستأنف غيره ، ثم رجعت وكتبت غيرهما . .

وقد كنت أعلل النفس بأنك ستشرفنى بزيارتك مع وفد مصر إلى المؤتمر الطبي ؛ فلم تأت ، فعللتها بأنك لا بد قادم لتمضى فى دمشق أيام الحر ، وتلقى فيها إخوانك ومحبيك ، فتصرم أكثرها ولم تجئ فى حين أن أدباء دمشق كلهم ينتظرون مجيئك ، ويحنون إلى لقائك ، والاستفادة منك ، ويذكرون تلك الأيام القليلة التى جلسوا فيها بقربك ، وأنسوا فيها إلى حديثك ، ووردوا فيها معين أدبك العذب فصدروا عنه بأهنإ بال وأجمل حال !

وإن الإخــوان : العطــار والطنطاوى والعجــلانى وأصحابهم لا يزالون أبداً يسألوننى عنك ، ويحملوننى إليك من رسائل الحب والاحترام ما أكاد أنوء بحمله .

واعف أيها الأخ . فقد كتبت إليك لأعتذر ، فشكوت ، وأردت أن أسمع حديثك فشغلتك بحديثى ، وحديثى طويل كله شكوى واعتذار ، وأنت أول من عذر ، وأحق من أشكى، ولا بد من شكوى إلى ذى مرءة .

وقد قدمت الكتب إلى وزارة المعارف ، وأوصيتهم بها كالذى يجب علىّ أن أفعل ؛ فما رأيت منهم إلا التقدير والاستجابة ، وقد أزمعوا تأليف لجنة سأكون أنا من أعضائها ؛ للنظر فى أمرها ، وستجتمع فى أواخر « أيلول » لأن الوزارة الآن فى عطلة ، وقد عاد صديقنا ونسيبنا معالى « حسنى بك » وزير المعارف أمس من جولته فى الشمال ، ولا تنتظم الأعمال إلا فى أواخر « أيلول » . ونحن أحرص الناس على أن تستفيد « سورية » من أدبك العالى ، وعلى أن يكون لأبنائها نصيب من (مربى الجيـــل) الأستاذ « الكيلانى » . وإن ذلك لكائن إن شاء الله تعالى .

وبعد : فاقبل أيها الأخ تحياتى الخالصة ، وحبى واقبل اعتذارى من هـذا التقصير ، وأجمل وأطيب تحياتى وتحيات الإخوان هنا إلى إخواننا فى مصر ، وأخصّ منهم الأستاذ « عنبر » (وطمنِّى عما آل إليه حاله : عسى أن تكون الحكومة تلافت ما فات ؛ فأحلته المحل اللائق بأدبه وفضله) ، والأستاذ « سيد إبراهيم » الخطاط الشهير والأستاذ « حمام » الذى ظمئنا إلى تغاريده العـذبة فى الصوت وفى الشعر ، والأستاذ « شوقى أمين » الذى لا أدرى ما فعل الله بتلميذه الأستاذ « عبد الكريم جرمانوس » ، وإلى بقية الإخوان الذين يضمهم مجلسكم الأدبى النزيه أخى .

سامى العظم

تحية بيت المقدس [1]

من أحمد سامح الخالدى

صاحب مجلة العرفان (القدس)

عزيزى الأستاذ « الكيلانى » حفظه الله :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد .

فإن الداعى إلى كتابة هذا ، أننى قرأت أنك أخرجت أثراً نفيساً جديداً ، وقد عتبت عليك ؛ لعدم إرسالك نسخة منه إلىّ .

أما الكتاب فهو ترجمتك لكتاب الأندلس لمؤلفه Dozy . لهذا أرجو أن تتفضل بإرسال نسخة إلىّ فى البريد القادم .

ثم عتبى عليك ؛ لعدم إرسالك — ولو بحرف — تطمئنى به عن صحتك وعملك .

ماذا جرى لكتاب (ابن بطوطة) ؛ هل تم طبعه ؟

أرجو أن تكون مع العزيز « مصطفى » بخير مع إهــداثك الأشواق الزائدة واسلم وشكراً .

لأخيك المخلص

أحمد سامح الخالدى

حاشية : إن تاريخ الأندلس قد تقرر تدريسه كعصر خاص لطلاب السنة الرابعة فى « فلسطين »،. لهذا يجدر بى أن أطلع على كتابك فضلا عن أنه لايجوز أن يصدر شىء عنك لا أراه .

ماذا أنت فاعل فى هذا الصيف ؟ هل تأتى إلى لبنان ؟

---

(١) القدس فى ١٩٣٦/٧/٧

الأديب الكامل الأدوات (1)

رسالة من أمير البيان شكيب أرسلان

عندما أتاح لي القدر - هذه المرة - دخول مصر بعد غيبة سبع وعشرين سنة عن هذا الوادي المقدس، ألفيته - فيما ألفيت من كنوزها - خبيئة مكنونة يقال لها: السيد كامل الكيلاني، ليس من ذوي المناصب الرسمية العالية، ولكنه من ذوي المناصب النفسية العالية. أقامه أدبه بالمقام الذي قعد عنه منصبه. وما زالت رتبة العلم أعلى الرتب. ممن عرف هذا الجهبذ الفذ حق المعرفة، رأى فيه بحراً زخاراً يغرق منافسيه بكل لجة، وعثر على خزانة أدب مكتظة، صاحبها حجة اللغة لا ابن حجة. نادرة زمانه في الحفظ، وأعجوبة عصره في النقد، وآية من آيات الله في سلامة الذوق، والمثل البعيد في البديهة، والمستولي على الأمد في حرارة النكتة، والقاموس الأتم في حسن المحاضرة. هذا إلى أخلاق رضية، ومنازع أبية، وصفاء سريرة، ووفاء شيمة. ولا خير في علم لم يزينه خلق،

---

(1) مصر في ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ .

ولا جدالَ في درسٍ ليس وراءه نفسٌ. وهو في هذا العصر من سُبّاق حلبتي النظم والنثر. يكفيه فخراً وأجراً سلسلةُ الكُتُب التي ألفها للأطفال، فشاعت في الأقطار، وطارت شهرتها كل مطار. وقد كان فيها نسيجَ وحدِه، فأودع فيها جميع ما تلزم الأحداثَ معرفتُهُ من أمور الكون على حسب درجة السن، وذلك بأسلوب متين تتجلى فيه قوة اللغة، وتنشأ به عند الأحداث ملكة العربية، وبلهجة رقيقة تناسب رِقّة قلب الطفل، وتزيده رغبةً في الدرس، وتطبعه على الأخلاق الفاضلةِ، وتنشئه في الحِلْيَةِ وهو مُبين. فكانت هذه المأثرة للسيد الكيلاني من أبكار المآثر، لا يتمارى فيها متمارٍ، سدَّ بها ثلمةً في علم التربية العربية كانت من أهم عوارها، وحقق في مُهِمّة تهذيب النشءِ أمنيةً هي من أعظم لُبانات زمانها. فكانت له رياسةُ هذا الفنِّ بحق. وما ظلم من قال إنه استأثر فيه بالسَّبق. فجزاه الله خيرما يجزي عباده العاملين. وهذه مِنّي شهادة من رأى وسمع، أشهد بها على الله وعباد الله (ولا نكتم شهادة الله، إنّا إذاً لمن الآثمين). وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

شكيب
ارسلان

مصر في ١٢ جمادى الاولى
١٣٥٨

شقيق الروح (١)

(رسالة من عطية شاهين)

أخى العزيز وأستاذى الكبير

وصلنى كتابك من أيام ، ولولا كثرة العمل التى تستبد بوقتى وصحتى لما تأخرت - حتى اليوم - فى الرد على تغريدك العذب وصوتك الرخيم وحسبك أن تعرف أننا قضينا يومين فى تحقيق مستمر ، لا تقطعه راحة وانتهيت منه وأنا لا أقوى على تحريك أعضائى .

لقد تأثرت بكتابك كثيراً ، وقضيت أياما أحلم بفيض احساسى وشعورى نحوه والحق ، لا يعنينى أن تقضى حاجتى التى تفضلت مشكوراً بالسعى لقضائها بقدر ما يعنينى أن أسمع صوت قلبك يرتل أنشودة الإخلاص والوفاء ، وأنا امرؤ فى حاجة إلى أخ وفى أركن إليه ، وأتخذه سندا وظهيرا .

فلقد أرادتنى الطبيعة وحيدا فى الحياة ، فلم تعرف أمى وأبى حب الأبناء إلا بفضل وجودى .

والحق لقد أحسست ألما فى طفولتى خففه عنى بعض الشيء عطف والدىّ على — كنت أرى لأكثر الأولاد أشقاء وشقيقات يلهون معهم ، وكل البيوت تشكو الصخب والضوضاء التى يجلبها الأطفال إلا بيتنا فكان دائماً يشكو السكون حتى إذا كبرت شعرت بحاجتى إلى شقيق ، أكثر من شعورى بها وأنا طفل .

---

(١) القاهرة فى ١٩٣٩/٩/٢٦

وأردت أن أتمثل بالمثل السائر : « رب أخ لك لم تلده أمك » ؛ لكنى رأيت من لؤم الناس ما شككنى فى انطباق هذا المثل على الواقع ، ورأيته تعبيراً خيالياً أنتجته رغبة أو حاجة .

ولقد رأيت ، وسمعت ، وقرأت عن عذر الإخوان كثيرا ؛ حتى أيأسنى هذا من إمكان الحصول على شقيق بصلة الروح طالما أن الطبيعة حرمتنى الشقيق بصلة الدم .

وأخيراً كان الله بى رحيما ، فاهتديت إليك ، وسرت على هديك ، وكان أن رأيت فيك رجلا نبيلا ، اتصلت به فى ظروف نبيلة شريفة ، وأخا شقيقاً يرعانى كما يرعى نفسه .

فعندى أن أسمى مراتب الإخلاص أن تخلص لمن تصادق ؛ كما تخلص لنفسك .

فالآن ؛ أحمد الله على نعمة إخلاصك وبرك ، والآن : أحمد الله كما حمدته فى الماضى ؛ فقد مسح إحساس الألم فى تعسره ، وأصبحت لى أخا شقيقاً ، وسندا وظهيراً . ويسعدنى أن أضرع إلى الله أن يحفظك ، ويمتعك بصحتك وصحة أولادك ، ويبهم ويهبك من سعد الأيام ما يثلج صدرك ويبهج نفسك .

ولك تحيات من لا ينساك أبداً ؟

أخوك

عطية شاهين

مراجعات فى الأدب[1]

(رسالة من الأمير شكيب أرسلان)

حضرة الأخ الوفىّ والأديب الكبير السيد « كامل كيلانى » المحترم
حفظه الله :

لم أقصر فى الكتابة إليك ؛ إلا اعتماداً على حلمك ، وكنت أكلف الأخ « أبا الحسن » بأن يهدى إليك تحياتى ، ويطمئننى عنك دائماً ، فعساك بخير أنت وعائلتك .

واعلم يا أخى أنى قرأت جزءى « أبى العلاء » ، إذ كنت على ظهر الباخرة عند سفرى من « الإسكندرية » إلى « جنوة » ، ولذنى قراءتهما كثيراً .

ولكنى توقفت فى أشياء ، كتبتها فى بطاقة ؛ لأراجعكم بها حتى تبينوا لى الوجه فيها : فى صفحة ٦٢ من الجزء الأول عبارة (لفرط حبه بالأدب) ، فهل يقال « الحب بالشىء » ؛ أو هو من باب التضمين كأن يقال « غرامه بالشىء » ؟

ووجدت « النجاشى » مضبوطاً بالفتح ، ولعلها بالفتح والكسر ، ورأيت « هرم بن سنان » مضبوطا بفتح الراء . فهل هى كذلك أم هو من غلط الطبع ؟

---

(١) جنيف فى ٢١ محرم سنة ١٣٥٩هـ / ١٩٣٩م

و « مقصدك » فى صفحة ٧٢ مضبوطة بالكسر ، فهل ضبطتها بالكسر لإفادة مكان القصد مثل المنزل ؟

وفى الصفحة نفسها « تأذن لى بالدخـــول » ، وبعضهم قالوا : لا يتعدى هـذا الفعل إلا بـ « فى » .

وفى صفحة ٩٢ « بضع أبيات » . فما الوجه فى تذكير بضع ؟ ولكنها فى محل آخر بضعة .

وفى صفحة ٩٩ « نسيم الصبا » بضم نسيم ، وروايتى بفتحه .

وفى صفحة ١٠٩

« ولا أمرّ بوحشىّ ولا بشر   إلا وغادرته ولهان مذعوراً »

فهذا الشاهد قـد سررت به ؛ إذ أن بعضهم اعـترض علىّ فى وضع الواو بعد « إلا » فى مثل هذه الجملة ؛ مع أنى مررت بها فى كلام « الجاحظ » .

وفى صفحة ١٩٥ « ونعود الآن إلى الإجابة على الرسالة » ، وقد اعترض علىّ معترض فى قولى : أجاب عليه .

وقال هو : أجاب عنه . فقلت له : هذا تضمين لرد .

وفى صفحة ٢٦٨ « لا ينقصه إلا الوزن والقافية » اعترض بعضهم على هذا الاستعمال ، وقد كنت أنا وقعت فيه . والأصح أن يقال : لا ينقص منه إلا الوزن والقافية ، أو « لا يعوزه إلا الوزن والقافية » . وفى الصفحة نفسها « الفصل الذى كتبناه عنه » ، قالوا هذا اصطلاح مولد . والأصح « الذى كتبناه عليه أو فيه » .

فما قولك فى هذا الاعتراض ؟

وفى صفحة ٣٥٦ « مَن هو المصرى » . قالوا : لا محل للضمير هنا والأصح « مَن المصرى » ، وخطأوا الفقهاء والمناطقــة فى هذا الاستعمال ، وأنا قد سبق لى ودافعت عنه فى كتابى ترجمة السيد « رشيد » ، لكن المعترضين أصرّوا على اعتراضهم .

ذكرت لك هذه الأشياء حتى أستفيض بمدّك .. أنوى الرحلة إلى « مصر » والإقامة بهـا نهائيا ، لكنى لا أعلم متى يتيسر ذلك ؟

اسأل لى خاطر الأخ سعادة « عمر (بك) الدمرداش » الذى جاءنى جوابه ، وخاطر الأستاذ « الزنكلونى » ، والأستاذ الشيخ « عبد الوهاب النجار » عساه نقه مما ألم به ، وأخيك وأخى السيد فخر الخطاطين ، والأديب المتين .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ؟

ومنى سؤال خاطر آل « أباذه » جميعاً .

أخوك

شكيب أرسلان

تحية جبل لبنان الأشم [1]

(رسالة من الشاعر حليم دموس)

أخى الكامل :

قال السيد المسيح : (إن لم تكونوا مثل هؤلاء الصغار فلن تدخلوا ملكوت السماء) ..

وأنا أقول لمن لم يقف على مؤلفاتك جميعها :

(إن لم تطالع « مكتبة الأطفال » وقصص « الكيلانى » وبقية كتبه العصرية ، فلن تدخل ملكوت البيان الغالى ، وحرم الأدب العالى) .

لقد صدق — يا أخى — من دعاك (نقيب الأدباء) . فلقد جمعت فى كتبك بين صحة التفكير ، ودقة التصوير ، وجمال التعبير ، وقوة التأثير .

وهى أركان أربعة ؛ قلما ظفر بها قلم واحد فى نثره وشعره .

ويشهد الله أننى طالما سمعت ناشئة المدارس تردد بعض ما جاء فى مجموعاتك من أساليب لطيفة وثابتة ، وقصص ظريفة جذابة . وذلك فى أكثر معاهد « لبنان » و « سورية » ، وبعض الأقطار العربية .

إنك أخرجت فى كتبك من الأطفال رجالا . ومن ناشئة الأوطان أبطالا ؛ فأكملت نقصاً كبيراً بعملك الأدبىّ التهذيبىّ .

فسر فى طريقك هذا إلى النهاية .. لتبلغ الغاية .. وتحمل الراية ..

بيروت

أخوك

حليم دموس

---

(١) بيروت فى عام ١٩٤٠ .

أستاذ الجيل يقرأ أدب الكيلاني (١)

(رسالة من الأستاذ أحمد لطفى السيد)

(رئيس مجمع اللغة العربية)

عزيزى الأستاذ « كامل كيلانى » :

حُمِلتْ إلىَّ مكتبة الأطفال التى تفضلتَ بإرسالها إلىَّ ، فوُضعتْ على مكتبي . لم أتصفحها لأنى كنت رهن حجرتى لبقية من مرض ، فجاءنى حفيدى « لطفى الصغير » ، وهى بين يديه ينوء بحملها .

— يا جدى : وجدت هذه الكتب على مكتبك .

— ثم تريد أن تأخذها .

— نعم .

— هى لك .

فتقبلها الصبي فرحاً . وهكذا نجحت يا أستاذ فى أن تحبب إلى الأطفال مكتبتهم ، وتغريهم بالمطالعة . هنيئاً لك هذا النجاح . فخير أنهاج التعليم ما صادف هوى المتعلم ، وأجدى أنماط التربية ما لازم مزاج الصبي .

وإذ أهنئك بالتوفيق فى خدمة الأدب ، وسلوك تربية الصبية من أيسر أبوابها .

أرجوك أن تتقبل شكرى لهديتك ، واعتدادى بفضلك ؟

أحمد لطفى السيد

---

(١) هليوبوليس فى ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٠م

ترجمة أدب الكيلانى (١)

إلى اللغة الملايوية

(رسالة من السيد عبد الرحمن السقاف)

« سنغافورة »

جناب الأمجد الأديب الكامل الأستاذ « كامل كيلانى »

أعزه الله

تحية طيبة : سيدى أقدم هذا راجيا من سيادتكم أن تأذنوا لمخلصكم بترجمة الكتب المبينة أسماؤها من مؤلفات سعادتكم ؛ على أن تسمحوا لى أن أترجمها من العربية إلى اللغة الملايوية ؛ لمساعدة أبناء مدارسنا هنا ولكم الشكر سلفا سيدى .

محمد طه عبد الرحمن

آمل ردكم بأسرع وقت ممكن

الكتب التى أرغب أن أترجمها من اللغة العربية إلى الملايوية .

مؤلفات صاحب السعادة والسيادة الأستاذ « كامل كيلانى » حسب أدناه :

أرنب فى القمر ، عمارة ، الأرنب الذكى ، عفاريت اللصوص ، نعمان ، العرندس ، أبو الحسن ، بابا عبد الله والدرويش ، أبو صير

(١) سنغافورة فى أول ديسمبر عام ١٩٤١ .

وأبو قير ، عبد الله البرى وعبد الله البحرى ، الملك عجيب ، الملك ميداس ، فى بلاد العجائب ، القصر الهندى ، قصاص الأثر ، بطل أتينا ، الفيل الأبيض ، الملك النجار ، السندباد البحرى ، علاء الدين ، تاجر بغداد ، روبنسن كروزو ، يوليوس قيصر ، الملك لير ، العاصفة ، تاجر البندقية ، حى بن يقظان ، النحلة العاملة ، العنكب الحزين .

جميع الكتب ٢٩

آمل ردكم بأسرع وقت ممكن

محمد طه عبد الرحمن

كتبتَ فكأنما «جلفر»[1]

قصة عربية المنبت

(رسالة من الاستاذ عبد الرحمن عمر)

عزيزى الأستاذ « كامل كيلانى » :

لقد أتاحت لى الظروف الاطلاع على آثار قلمك وفكرك فى « رسالة الغفران » ، وشرح ديوان « ابن الرومى » و « الصور الجديدة فى الأدب العربى » . ففهمت السر فى تكريم الأدباء لك هذا التكريم الذى اعتبرته أنت مؤامرة نبيلة ، والذى اعتبره الأدباء زكاة يؤدونها للأدب باعترافهم بك نقيبا لهم .

واطلعت على كثير من قصص الأطفال التى دبجتها يراعتك ، أو نقلتها من الأدب الغربى أو الهندى ، أو بتصرف من الأدب العربى ، فلمست القدرة الكتابية ، ودقة الاختيار فيما يوضع للأطفال من قصص توافق مداركهم ، وتتمشى فى رقيها مع سنيهم : فلا يشعر الطفل بسأم ، ولا الغلام بغضاضة ، بل يجد الجميع فى مطالعتها لذة ومتعة . على أنها مع ذلك فيها من المغازى ما يراه الكبير متفقا وتجاريب الحياة ؛ فهى غذاء عقل للرجل الكبير ، والرجل الصغير على السواء .

---

(١) فى ١٩٤١/١٢/١٤

ولقد لفت نظرى حسن التعبير والتدرج بالأطفال من السهل البسيط إلى الصعب الدقيق من معانى اللغة العربية وتعابيرها مما يولد الرغبة فى الاستزادة من معرفتها .

ولقد كان بودى أن أعبر عن شعورى عقب قراءة كل كتاب على حدة . إذن لاستطعت إيفاء كل كتاب ما يستحقه من الإعجاب بالكاتب والمكتوب .

فكنت أكتب عن شروحك : إنها تصلح أن تكون كتبا فى الأدب العربى مكتفية بنفسها ، وكنت أكتب عن « جلفر » كأنه قصة عربية المنبت والفكر والأسلوب ، وعن « حى بن يقظان » ما شاء الوصف أن يبين عن الأدب والعلم واللغة ، ممتزجة جميعها فى كتاب للأطفال .

كما كنت أكتب مغزى كل قصة هندية تجمع بين حسن الأداء وسهولة الوصول إلى عقل الطفل وفلسفة ناحية من نواحى الحياة . إلى غير ذلك مما يطول بى المقال لو أردت استيفاءه .

فأكتفى بتهنئتك على توفيقك . وأرجو لكتبك الانتشار والتقدير الذى تستحقه .

ثم أحييك أحسن تحية ؟

المخلص

عبد الرحمن عمر

تحية مجمع اللغة العربية[1]

(رسالة من الاستاذ محمد توفيق رفعت)

« الرئيس الأول لمجمع اللغـــة العربية »

إلى الأستاذ الأديب المتمكن « كامل كيلانى » :

تحيتى إليك . وبعد :

فقد ترادفت آثارك فى تربيـة الطفـولة بالقصص الرائع ، فاستدركت نقصاً شدّ ما انبعثت فى شأنه شكاة المربين .

وإن هذه الآثار لمرآة همة دائبة ، ونظرة صائبة ، وغيرة على الفصحى حريّـة أن تُحتذى .

فشكر الله لك ما هدفت إليه من تنشئة الطفل : مشبوب الشغف بالقراءة والدرس ، موفور الحظ من متاع الفكر ، مستقيم اللسان على نهج البيان .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟   محمد توفيق رفعت

---

(١) القاهرة فى ١٤ ديسمبر عام١٩٤١ .

كتبك فيها للنفس غذاء[1]
وللعقل ترفيه ... وللخيال تثقيف ...

(رسالة من الاستاذ محمد كامل سليم)

(سكرتير عام مجلس الوزراء السابق)

حضرة الأستاذ المؤلف الأديب « كامل الكيلانى » :

اطلعت على بعض مؤلفاتك لـ « مكتبة الأطفال » فعجبت وأعجبت وطربت منها ، وأثنيت عليك . أثار عجبي : صبرك وجلدك ، وعظيم نشاطك ، وكثرة إنتاجك ، من غير تشجيع يستحق الذكر . وأثار إعجابي ما علمته الآن فيك - علم اليقين - من مواهب سامية ، وإحاطة بعلم النفس ضافية ، وعلم واسع باللغة ، يزينه تبسيط وتقريب ، ومقدرة فريدة على التنويع والتهذيب .

وإنى إذ أثنى على مؤلفاتك ، إنما أثنى على ثمرات طيبات ، فيها للنفس غذاء ، وفيها للعقل ترفيه ، وفيها للخيـــال تثقيف ، وفيها متاع أى متاع .

فلله درك . ماذا تركت للأستاذ المربى أن يطمع فيه ؟

وماذا تركت للقارئ الصغير أن يشتهيه ؟

لقد أرضيت الاثنين ، وبلغت فى الإرضاء منتهاه ؛ لأنك بلغت فى التوفيق أبعد مداه . والسلام ؟

المخلص

محمد كامل سليم

---

(١) القاهرة فى ١٩٤٢/١/٢٠ .

تحية الأزهر الشريف(١)

خطاب من فضيلة الشيخ
مصطفى عبد الرازق
شيخ الجامع الأزهر

حضرة الأديب الفاضل الأستاذ « كامل كيلانى » :

تقبلت مع الشكر مجموعة القصص الهندية التى أهديتها إلىّ ، ويسرنى أن أبلغك أن أحد أولادى قرأ هذه الكتب ، كما قرأتها ، وأبى إلا أن يكتب لك خطاب شكر أرسله إليك ، ليكون ذلك آية اشتراك الآباء والأبناء فى الثنـــاء على مجهودك الطيب الذى يستحق التقدير .

زادك الله توفيقا .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

مصطفى عبد الرازق

(١) القاهرة فى ١٩٤٢/٢/٣ .

تحية عميد آل عبد الرازق[1]

(خطاب من السيد حسن عبد الرازق)

حضرة المربى الفاضل الأستاذ «كامل كيلانى»:

أهدى إليك أطيب تحية، وأشكرك جزيل الشكر على هذه الأساطير الطريفة، التى تهذب النفس، وتوسع الذاكرة، وتسلى الإنسان فى وحدته.

فإنى قرأت أساطيرك كلها وسررت منها.

وإنى أرجو لك عيشة رغيدة؟

حسن عبد الرازق

---

(١) ٣ / ٢ / ١٩٤٢.

تحية ألبانيا العربية[1]

(رسالة من الاستاذ وهبي الحاج إسماعيل حق)

(عضو البعثة الألبانية بالأزهر)

حضرة الفاضل الأستاذ الكبير « كامل كيلانى » :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد :

جزاك الله عنّى خير الجزاء يا أستاذى « كامل » . فقد أثرت بإهدائك « رسالة الهناء » إلىَّ ذكريات قديمة، يرجع عهدها إلى تسع سنين مضت ، هى من أمتع ذكرياتى وأحلاها عندى ؛ لأنها تنقلنى إلى جو وطنى ، إلى ملاعب الطفولة ومرتع الشباب ؛ وبين أقاربى وصحبى وولدى حينما عرفتك لأول مرة عندما كنت تلميذا فى السنة الثانية من المعهد الإسلامى الثانوى .

يوم أن رأيت عند والدى العزيز كتباً عربية أتته من مصر ، باعتبار أنه مفتى البلاد ؛ فيتصل بالعالم والعلماء بطريق الكتب ، على أن له شغفا عظيما بمطالعة الكتب العربية . فوجدت بينها ورقة بيضاء على أحد وجهيها إعلان عن بعض كتب الأطفال ؛ فاخترت من بينها كتابين من كتبك هما : « النحلة العاملة » و « العنكبوت الحزين » ، ولا أدرى ما الذى دفعنى إليهما ؛ وجعلنى أختارهما لمؤلف واحد من جملة كتب مؤلفين لا يقل عن

---

(١) ألبانيا فى ١٩٤٤/٩/٥ .

عشرين .. فرجوت من الوالد أن يرسل فى طلبهما ، وكان ما رجوته منه .. ولم يمض إلا وقت يسير أقل من شهر حتى وصل إلىّ الكتابان ، وسررت بهما سروراً بالغاً يعجز عن وصفه اللسان .

حينما رأيتهما أعجبت بلونيهما ، وفيما أذكر أنه كان أول مرة قرأت كتاباً عربياً فى طبع أنيق بصور طريفة مغرية ، مقبلا على قراءته بإرشاد الوالد .

فانتهيت منهما بانتهاء الصيف فى ثلاثة أشهر ، وعندما عدت إلى مدرستى الداخلية اختطفهما منى المدرسون وأصحابى ، وأقبلوا عليهما يقرأونهما فى شغف وحب شديدين .

وكان هذان الكتابان سببا فى اهتمام المدرسين بجلب الكتب الجديدة من « مصر » ، واختيار مقتطفات منها لتعلم اللغة العربية تعلما جيداً .

ولا أشك أنه بمرور الأيام ستقرر كتبك فى معهد « ألبانيا » الإسلامى ككتب مطالعة .

ولا أنكر — يا أستاذى الفاضل — أن كتابيك هذين كانا من أهم الأسباب التى حببت إلىّ اللغة العربية ، فأصبح لها فى قلبي شغف عظيم جعلنى أفضل التعليم فى المعاهد المصرية .

فمؤلفاتك على هذا النحو كانت خير دعاية لمصر فى العالم الإسلامى . إذن لا عجب أن تكون كتبك معروفة فى « ألبانيا » ، وقد انتشرت فى البقاع الإسلامية من المعمورة .

أخبرنى صديق لى جاوى أن كتبك منتشرة جداً فى « جاوة » كما قال لى زميل آخر صينى : إن كتابك « تاجر بغداد » قد ترجم إلى اللغة الصينية !

وها أنت ذا بعد أن بذلت جهد الجبار ، استطعت أن تصل بـ « مكتبة الأطفال » إلى أعلى الدرجات أسلوباً وطبعاً وإتقاناً — جزاك الله عنهم أحسن جزاء — وبلغت أيضاً بـ « مكتبة الشباب » و « المكتبة العلائية » ، مبلغاً لا تستطيع الجماعات الوصول إليه ، فضلا عن الأفراد .

أطال الله عمرك لتمتعنا بأسلوبك العالى وأدبك العزيز .

وأشكرك على هديتك الثمينة .

وتقبل فائق تحياتى ؟

وهبى الحاج اسماعيل حقى
عضو البعثة الألبانية بالأزهر

رسالة الصيف

من الأستاذ فهيم حرفوش (بور سعيد)

عزيزى « كامل » (بك)

زعموا أن صديقين : اسم الواحد « كامل » ، والآخر « أنيس » .. كانا على أتم وداد وصفاء ، ووعد الأول الثانى بشىء ، ولكن يظهر أنه تأخر فى تنفيذه ؛ فأرسل إليه « أنيس » برقية هكذا :

وعدتنى بالحلق . . . . . « أنيس »

وكان إرسال التلغراف إلى عنوان منزل الصديق « كامل » .

ويظهر بأن عامل التلغراف لم يجد تناسبا بين كلمة حلق واسم « أنيس » (المذكّر) فحرّفه (سامحه الله) إلى « أنيسة » .. وهكذا وصل التلغراف :

وعدتنى بالحلق . . . . « أنيسة »

وتسلمت زوجة « كامل » (الذى كان خارج المنزل) التلغراف وفضته .. وما كادت تطّلع عليه حتى ثارت ، وغضبت وصرخت ، واتهمت زوجها بأفظع الاتهامات ، ثم حملت ملابسها مع ماخفّ حمله وثقل ثمنه ، وغادرت المنزل غير آسفة عليه ، وعاد الصديق « كامل » من الخارج يبحث عن زوجته فلم يجدها ؛ وأخذ يبحث عنها حتى وجدها عند أهلها ، وجعل يستفسر منها عن سر غضبها ، فأرته التلغراف الذى كان سببا فى كل هذا .

فاستغرب الصديق هذا التلغراف وأنكره ، ولكنه لما عاد بذاكرته إلى الوراء تذكر صديقه « أنيس » وكيف أن إخلاله بالوعد كان سببا لكل هذه المتاعب ؛ فشرح كل هذا إلى زوجته التى قبلت العودة معه بعد أن تأكد لها صحة قوله .

وقد وعدتنى أيها الأخ العزيز بأشياء كثيرة حين وجودك بيننا بـ « بور سعيد » ؛ ولكن للأسف لم أتسلم حتى كلمة منك تطمئننا بوصولك بسلامة الله مع « مصطفى » (بك)، وفكرت فى أن أرسل تلغرافا ولكننى تذكرت ـ حالا ـ حكاية « أنيس » ، وخفت أن يحرف التلغرافجى الاسم من « فهيم » إلى « فهيمة » فيكون الإشكال والعتاب — لذلك فضلت أن أكتب إليكم بطريق البريد . . فهو طريق آمن بكثير من التلغراف .

يعلم الله أنى منذ سفرك وأنا بانتظار كلمة منك ، خصوصا أنك خلفت لنا فراغا لا يمكن أن يملأه سوى كلمة منك أو الحديث عنك ، وقد ظللنا مدة طويلة ليس لنا حديث سوى الساعات السعيدة التى أمضيناها بالاستماع إلى حديثك العذب وكلماتك المغذية اللطيفة ، وقد تساءلت كثيرا عن سر عدم تسلم كلمة منك ، وأول ما خطر فى بالى المادة .

خصوصا وأنى أعلم بل أثق بأننا لا نستطيع أن نفيك حقك مهما أعطيناك من المادة ، ولكن عذرنا كان أن النادى كما رأيتموه لا زال ناشئا ويعتمد على كرم مثلكم لمساعدته فى القيام برسالته .

ثم عدت إلى نفسى وتذكرت أن المادة هى آخر ما تفكرون به .

إذن لا شك أن الأمر خلاف ذلك ؛ فهل لم تكونوا مسرورين من زيارتكم لمدينتنا ؟ أم أن الأمر كما سبق وأوضحتم لى ، هى مسألة (كسل) ومشغوليات ؟ . .

إننى أتابع أخباركم بكل شوق وعناية ، وقد كنت أستمع إلى قصيدتكم الغراء فى القصاصين ، ثم إلى أخباركم فى عزومات العدس وحفلات شعراء الأوقاف وخلافها ، ولكن كل هذا لا يغنينا عن الحصول على كلمة شخصية منكم ، وعن الأمل فى انتظار رؤيتكم إن شاء الله مع الأسرة فى هذا الصيف فى « بور سعيد » ؛ فهل سيكون لنا هذا الحظ السعيد ؟

كيف حال الأخ العزيز « مصطفى » (بك) ؟

جميع الإخوان هنا فردا فردا يقدمون لحضراتكم وافر تحياتهم ، وأطيب تمنياتهم .

وتفضلوا ختاما بقبول تحيات وتمنيات المخلص ،،

فهيم مرقوسه

حــــــوّل كامل كيلانى[1]

غابة «أبى العلاء» الموحشة إلى حديقة منسقة

« رسالة من الأستاذ محمد العشماوى »

(وزير المعارف السابق)

عزيزى الأستاذ الكبير « كامل كيلانى » (بك)

إنى — منذ تفضلت فأهديتنى تحفتيك الأخيرتين — أتفيأ ظلال حديقة « أبى العلاء » : أنعم ببوارف هذا الظل ، وأمتع ناظرىّ بجمال تنسيقها ، ووشى أزهارها ، وأجتنى منتهى ثمارها ، وأتذوق عذب نميرها ، وأهنأ برسالة الهناء ، وما حوت من طريف اللغة ودقيق المعانى ، وما كشفت من نواحى الحياة الوضاءة حينا ، والمظلمة أحيانا .

وأعجب من هذه القدرة التى حباك الله بها ، فيسرتْ العسير ، وذللتْ الصعب الممتنع ، وساقت لنا فلسفة « أبى العلاء » ، وأدب « أبى العلاء » ، وخيال « أبى العلاء » الشعرى الرائع فى أسلوب جزل حلو ، جذّاب وثاب ، ينفذ إلى القلوب ؛ فيهز مشاعر النفس وجوانب الحسّ .

وقد عقدت الموازنة الطريفة بين حديقة « أبى العلاء » كما نسقتها بنانك ، ورواها بيانك ؛ وبين غابة « أبى العلاء » بوحشيتها المحبية وروعتها الموطأة .

---

(١) القاهرة فى ١٩٤٥/١/٢٣ م

فلك منى الشكر على كريم هديتك ، والتهنئة على عظيم توفيقك ، ولا عجب ، فماضيك فى الأدب يحمل أكبر الدلالة على حاضر موفق ، ومستقبل أكثر توفيقا بإذن الله .

فالله يكافئك على ما قدّمته للعربية من روائع أدب ، تضيف إلى كنوزها كنوزاً ، وتحمل رسالة السلف إلى الخلف فى يسر وجمال وإغراء .

والله يجزيك جزاء العاملين الصالحين .

تحياتى وأطيب تمنياتى ؟

المخلص

محمد العشماوى

رأى دوائر الاستشراق

فى أدب الكيلانى

« رسالة من الدكتور عبد الكريم جرمانوس »

« المستشرق المجرى الكبير »

« كامل كيلانى » معلّم الشعب العربى :

من غريب مايلاحظ : أن القرون الخصبة فى التفكير تمدّ أيديها إلى أشباهها فى الخصوبة ، على التباعد والاختلاف ؛ فتنتج أفكاراً متشابهة متماثلة ، كأنها الصوت وصداه ، أو الصورة أمام المرآة .

ومصداق ذلك أن الشاعر الفيلسوف « أبا العلاء المعرى » يقول : إن كل مواهبنا العقلية واتجاهاتنا الفكرية ، فى أطوار حياتنا ، ليست إلا نباتا لما يغرس فى طفولتنا وصدر شبابنا .

« وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوّده أبوه »

وكذلك « برتراند رسل » ممثل عبقرية الشعب الإنكليزى فى القرن العشرين ، يعلمنا فى كتبه : أن « غرفة الأطفال » ، وتأثيراتها الأولية تسايرنا فى كل أطوار حياتنا : شبابا وشيوخا وكهولا ، وهى التى تصوغ ميولنا فى مختلف الشئون ، وهى التى تحدد ذوقنا ومذهب تفكيرنا . وكل ما نكسبه فى رجولتنا ، إنما يغذى مواد معلوماتنا ومعارفنا ؛ ولكنه لا يحيل الصبغة الأولى التى تطبعها فى النفس « غرفة الأطفال » ؛ فروح التعليم فى الطفولة لا تزال ترافقنا — ولا تفارقنا — من المهد إلى اللحد .

والقارئ — أعزّه الله — يرى أن هاتين الفكرتين متشابهتان بل متفقتان متحدتان ؛ على الرغم من اختلاف القرنين اللذين قيلتا فيهما ، فإن إحداهما شرقية ، والأخرى غربية . وسبقت الشرقية زميلتها الغربية بنحو عشرة قرون ؛ فلقد مد عصر « أبى العلاء المعرى » يده بهذه الفكرة مصافحاً عصر « برتراند رسل » !

على أن الذى يعنينا هنا هو التنبيه على أن الأمر الواجب التحقيق لتهيئة مستقبل الأمة العربية ، هو أن تكون التأثيرات التى ينطبع بها أطفالنا خالصة من كل شائبة مفسدة ، تعود عليهم بما لا نريد ، مشبعة من الفوائد بما نريد .

والأستاذ « كامل كيلانى » ، هو معلم طفولتنا أولا ، ومعلم رجولتنا ثانيا .

ولقد فطن — حفظه الله — إلى ضرورة تربية الشعب فى صورة أبنائه ، منذ أول عهدهم بالقراءة والاطلاع ؛ فانبرى يؤلف كتبا للأطفال تتفق هى ومداركهم ، وتنطوى على غرض سام هو أن يجيدوا لغتهم أثناء قراءتهم لهذه الكتب .

وقد نظم مجموعة نفيسة من قصص شرقية وغربية ، فقطف أنضر ما فى حدائق الشرق والغرب ، جمع بين « ألف ليلة » و « شكسبير » ، وانتخب أطيب ما انتخبته العقول فى الخافقين ، ليعطى ثمارها لأبناء الشعب ، كى يستفيدوا منها ، ويتمتعوا بها .

والجميل فى صنع الأستاذ « كامل كيلانى » أن هذه الكتب التى أبدعها محلاة بشكل دقيق ، وبيان مفيد يحرس الطفل من أى حيرة أثناء قراءته ، فينشأ عارفاً للألفاظ الصحيحة ، متذكراً لضبطها الدقيق ؛ فلا يقع فى خطإ مطلقاً .

وللأستاذ « كامل كيلانى » كتب قصصية جذابة إلى جانب كتب الأطفال ، ولقد فتن بها أنفسنا واستهوى عقولنا ، ولا شك أنها — بأسلوبها السلس وموضوعاتها النفيسة — فتنة أى فتنة !

ومما رعاه الأستاذ « كامل كيلانى » ووفق فى مراعاته أنه لا يفارق الأطفال — بعد أن يشبوا قارئين لكتبه التى وضعها للطفولة — إلا ليلقاهم وليلقوه مرة أخرى فى كتبه القيمة التى ألفها لهم فى الاجتماع والتاريخ ؛ وفى إرشاده لهم وتعريفهم بأساتذة الأدب وشعراء العربية ، مثل « ابن الرومى » و « ابن زيدون » و « أبى العلاء المعرى » ، وبذلك يستطيعون أن يتمتعوا بآثار هؤلاء بلا مشقة .

ولا تقتصر فائدة هذه الكتب على الأطفال والشبان من الشرقيين فحسب ، بل نستفيد منها نحن الأجانب الذين يدرسون العربية ، ويتلقون علمهم لها من كتب ومعاجم ، ونحن نشعر بفائدتها شعوراً قوياً .

قال « أبو العلاء المعرى » : إن الأعمال الحسنة هى ثواب الإنسان . وأنا على ثقة أن أعمال الأستاذ « الكيلانى » تثيبه وتغنيه عن كل مدح زائل ، وإن له لأثراً خالداً فى خدمة اللغة ، وترقية أبناء العربية إلى مستوى الكمال .

وإنى ليسرنى أن أنوه بهذا اللقب الذى منحه إياه الأدباء والعلماء ، وهو لقب : نقيب الأدباء .

والأستاذ « كامل » جدير بهذا اللقب . فله التهنئة الخالصة .

الحاج دكتور

عبد الكريم جرمانوس

تحية الجامعة الشعبية(١)

« رسالة من الأستاذ أمين إبراهيم كحيل »

« مدير عام الجامعة الشعبية »

عزيزى المحترم الأستاذ « كامل كيلانى » :

حظيت اليوم بنسخة من قصص جحا : (سارق الحمار) ، وكنت حظيت - من قبل - بنسخة من « برميل العسل » وغيرها .

ولقد تصفحت الأولى ، وعاودت قراءتها وقدمتها للصغار من أولادى هدية : فإذا الكبار يستولون عليها ، ويجدون فى قراءتها لذة ومتعة ، شهدتُ تباشيرها على أساريرهم ، وآثارها فى نقاشهم .

وما كدت أدخل عليهم بالثانية حتى هبوا يختطفونها ، ويتسابقون لبلوغ الأولوية فى الفوز بمطالعتها .

ولو شهدتَ أنت - يا سيدى - مثل هذا المنظر ، لكان فيه ما يرضيك ككاتب وفنان ، وما يرضى كبرياء نفسك كمبدع لهذا النوع من القصص الفكه المظهر ، والعميق المغزى ، والجزل اللفظ ، والمتين المبنى !

قواك الله ، وجزاك عن أطفال الجيل أجمل الجزاء ، إذ أنك بما تكتب تدعم بناء صرح جيل صالح مستنير ، ما أحوجنا فى إبان نهضتنا هذه إلى صفاء ذهنه ، ونقاء معلوماته ، ونظافة خلقه ، وطهارة لفظه ، وعفة نفسه .

والسلام ؟

أمين إبراهيم كحيل

---

(١) القاهرة فى ١٩٤٦/١١/١٢ .

رسالة الباكستان [1]

« من الأستاذ السيد حسن الأعظمى »

أخى الكريم والأديب العظيم : الأستاذ « الكيلانى » :

سلاماً وتحية . وبعد :

ما عرفت شيئاً عن أحوالك بعد مغادرة القاهرة ، وبودّى أن أكون مطلعا على خدماتك العلمية .

وأرجو أن أدخل بعض كتبك فى منهاج دراسة الباكستان ، ولعلى أقدر على ذلك . لأننى سكرتير عام للجمعية العربية العامة فى الباكستان ، وسكرتير الجمعية العربية الثقافية لحكومة باكستان .

فهل أتمنى منك أن تراسلنى وتطلعنى على ما أشرت إليه ، مع الشكر سلفا ؟

حامل هذه الرسالة أخونا الفاضل « أبرارحسين » من العلماء ، وهو يعرفك بكتبك ، فأعرفه بك لتصاحبه فى المحافل الأدبية ؛ ولعلك تحبه لظرافته وفضله !

سلم على الأخ الأديب : شوقى أمين ، وغيره من الإخوان ؟

أخوك المخلص

حسن الأعظمى

---

(١) الباكستان فى ٤/٥/١٩٤٨ .

أدب كامل كيلانى فى الصين[1]

« رسالة من الأستاذ موسى ماجين وو »

(سنغافورة)

عزيزى الأستاذ « كامل (بك) كيلانى » :

تحيـــة وسلاما . طال بى فراقكم أربع سنوات تقريباً . وأخيرا وصلت إلى السنغافورة . وفى هذه البلاد يوجد كثير من جنس عرب وباكستان والهند . وهنا جمعية الدعوة الإسلامية . ورابطة العربية . ورابطة الأمم الإسلامية لآسيا الجنوبية .

كنت اشتغلت فى الوزارة الخارجية فى باكين ، وبعد ذلك أمرتنى الحكومة الصينية أن أعمل قنصلا فى ملايو .

ولكن منـــذ اعتراف الحكومة الإنجليزية بالحكومة الصينية الشيوعية ، أقفلت القنصلية بابها . ولذلك أنا وزوجتى شغلنا بالعمل فى المدارس الصينية فى سنغافورة .

وأنا دائمـــاً كتبت مقالات تنشر فى الجرائد الصينية فى سنغافورة . وفى نيتى أن ترجم أقاصيصكم إلى اللغة الصينية فى هذه البلاد ، ولكن مع الأسف لم أجد كتبكم للأطفال بسبب أن كتبى باللغة العربية خربت بويلات الحرب . ولذلك أرجو إرسال بعض كتبكم العربية إلىّ لكى يتاح لى ترجمة رواياتكم النادرة لتنشر فى الجرائد أو المجلات . ربما سيادتكم ترضى ذلك .

---

(١) سنغافورة فى ١٦/٩/١٩٥٠ .

يا عزيزى : إننى مشتاق إليكم دائماً . عندما كنت فى مصر سعدت بعطفكم ، وفعالكم الحسنى ؛ حتى الآن أنا لا أنسى صداقتكم ، وأرجو ألا تكون « أبا الأطفال » فى مصر فقط ، بل فى آسيا كلها ، إن خدمتكم فى تربية الأطفال هى خدمة اجتماعية جليلة .

وفى الصين فى كثير المدارس الإسلامية يدرسون قصصكم النادرة .

والآن أنا فى بلاد الملايو ، مشغول فى ترجمة كتب العربية إلى اللغة الصينية ، فإن فيها كثيرا من الشرقيين يحبون قراءة قصص العربية ، ربما نعرفكم عن ذلك .

تفضلوا سعادتكم بقبول فائق الاحترام والإجلال ؟

المخلص

موسى ماهين وو

من فارس الخورى

إلى كامل كيلانى[1]

إلى الأخ العزيز والصديق العالم الأديب الأستاذ

كامل كيلانى المحترم .

الآن بعد أن كتبت اسمك مجرّدا عن ألقاب الشرف التقليدى لا (بك) ، ولا (باشا) ، ولا غيرهما ، قلت فى نفسى :

ما شأن هذا الكامل فى أدبه وعلمه لا يفطن به أحد لخرطه بين أولئك الأماثل المختارين ، بينما كل رفاقه درجوا إلى المراتب ، وقرنوا أسماءهم بالألقاب ؟

ثم قلت : لعله نال ما نالوا فى تلك المناسبات المكررة كالولاء والجلوس والزواج ، وأنا فى عشواء لم يبلغنى الخبر ، فإذا جاءنى جواب هذه الرسالة يجيئنى بالنبإ اليقين .

ولست أريد أن أسأل من أقابله هنا من أصدقائنا المصريين ومنهم فكرى أباظة (باشا) عن ذلك .

وأنا أقول فى نفسى خير للمرء أن يتساءل الناس عنه بقولهم : « لماذا لم يمنح لقبا أو وساما ؟ » من أن يقال : « لماذا منح له هذا اللقب وهذا الوسام ؟ »

---

(١) منبر الشرق فى ١٩٥١/١/٦ .

أظن أنك تشاطرنى هذه العقيدة ، وتعلم أنى أنا أيضا عاهدت نفسى منذ الشباب ألا أحمل لقبا رتبيا ولا وساما (ما قولك باستعمالى الآن « رتبيا » للألقاب التى تمنح على ترتيب الدرجات ، تمييزا لها عن الألقاب العامة التى يتمتع بها الجميع كالسيد، والأستاذ، والأفندى ، والبك فى سوريا ؟)

هذه المقدمة لم تكن فى بالى عند ما جلست لأكتب إليك ، ومنها أنتقل الآن إلى الجدّ بعد الدعابة :

شوقى إليك عظيم ، وأعظم منه أسفى لحرمانى هذا الأمد الطويل من مجالسك الممتعة وحديثك العذب .. ومهما تراخت السنون على افتراقنا لا أنسى تلك الفترات القصيرة التى أنست فيها بالاجتماع معك فى القاهرة ، بل إن تمادى الفراق يزيد فى حرارة هذه الذكرى الراسخة فى نفسى ، ويزيدها رسوخا مطالعتى لتعليقاتك الرائعة على رسالة الغفران ، وإعجابى بما فيها من بلاغة التعبير ، وسلامة التفكير .

ولا يزيد على إعجابى هـــذا سوى إعجابك بـ « أبى العلاء » ووقوفك عند عباراته مدهوشا بسموّها وروعتها وإبداعها ، بحيث لم تترك لى أو لغيرى من قرائك فرصة لتكوين رأى فيما نقرأ ، بل تسبقنا لإصدار حكم قاطع لا يقبل استئنافا ولا نقضا ، وتحتم علينا أن نتابعك فيما حكمت ، ونذعن لما رسمت ؛ فترفع بذلك عنا ثقل التفكير ومشقة التحليل والتدليل .. فنسلك وراءك طريقا معبدا ، أو ملحوبا ممهدا .

فما رأيك بهذه الحالة ؟

لم يكن لديّ من الكتب العربية غير هذين المجلدين فى تعليقاتك على «رسالة الغفران» فى فترة امتدت أشهرا ؛ فوجدت فيها مرجعا نفيسا للاستفادة والإمتاع .

جزاك الله خيرا، ومتعك بما تستحق من مراتب العلم .

عدت من أمريكا الشهر الماضى ، وأنا هنا بـ «جنيف» عضو فى «ندوة تقنين الشرع الدولى» واحد من خمسة عشر شخصا انتخبتهم الهيئة العامة لمنظمة الأمم المتحدة، ليقوموا بهذه المهمة منذ سنة ١٩٤٩ ، نجتمع كل سنة فى دورة محدودة تمتد شهرين أو ثلاثة : وهذه الدورة الثالثة ينتهى فيها اجتماعنا فى أواخر شهر يولية المقبل ، فأذهب بعدها لسوريا معللا النفس بالأمل أن ألقاك فى ربوع الشام منتجعا مصطافا ، ولك منى أوفى شعائر المودة والتقدير . »

المخلص

فارس الخورى

من « كامل كيــلانى »

إلى « فارس الخورى »(١)

إلى بطل مجلس الأمن وفارسه ، ورافع لواء الأدب وحارسه ، إلى صاحب الدولتين ، وإمام الصناعتين . . إلى الصـــديق الكبير « فارس الخورى » .

لم أكد أستعيد قراءة رسالتك ، حتى أقبل ولدى « رشـــاد » يبشرنى بفوزه بإجازة الآداب من جامعة « القاهرة » .

فكانت رسالتك ونجاح « رشاد » ، أبهج مفاجآت الأعياد .

وقد وقفت طويلا أمام فقراتها مأخـــوذا بنشوة بلاغتها ، متمثلا صدق « ابن زيدون » فى قوله :

فِقَرٌ تَسُوغُ بِهَا الْمُـدا مُ إِذَا تَـكَرَّرَهَا النَّدِيمُ
وَبَلاغَةٌ إِنْ عُدَّ أَهْـلُو هَا فَأَنْتَ لَهُمْ زَعِيمُ

يحدثنى الصديق الكبير فى رسالته بما هو معروف عنه من زهد فى الألقاب ، وهو أمر غير مستغرب ممن عناه « المتنبى » بقوله :

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ
فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَىْءٌ وَلا يَضَعُ

(١) منبر الشرق فى ٢٠ يوليه ١٩٥١ .

ومتى كان شيخ العروبة ، ومدره العرب ، وإمام أهل السياسة والأدب ، محتاجا إلى مزيد من ألقاب التشريف والرتب ؟!

يسألنى أستاذ الأساتذة عن رأيى فى (استعمال كلمة « رتيب » للألقاب التى تمنح على ترتيب الدرجات ، تمييزا لها عن الألقاب العامة التى يتمتع بها الجميع ، كالسيد ، والأستاذ ، والأفندى .. الخ) .

ولاريب أنها كلمة موفقة ، وليس بعد رأيك رأى .

وقد أحسن الأستاذ حين سماها فى أول رسالته : « ألقاب الشرف التقليدى » ؛ فإن الألقاب إذا أطلقت ، صرف معناها إلى الذم .. واللقب — فيما يعلم الأستاذ — اسم لغير مسمى به ، وهو فيما تقول اللغة النبز واللمز .

والألقاب أسماء يسمى بها الناس بغير أسمائهم الأوائل بخلاف الأعلام ، وهى فى الذم أعم وأغلب ، وفيما يرى « ابن الرومى » ألصق وأوجب .. يدل على ذلك قوله :

أَصْبَحْتُ شَيْخًا لَهُ سَمْتٌ وَأُبَّهَةٌ
يَدْعُونِىَ الْغِيدُ عَمًّا تارَةً وَأَبا
وَتِلْكَ دَعْوَةُ إِجْلالٍ وَتَكْرِمَةٍ
وَدِدْتُ أَنِّىَ مُغْتاضٌ بِهـا لَقَبا

والكنية على عكس اللقب ، أداة تكريم . وقد أجرى شيخنا « المعرى » على لسان « ابن القارح » بطل رسالة الغفران ، حين بلغ جنة العفاريت قوله للجنى : « ما كنيتك ، لأكرمك بالتكنية ؟ »

ولبعض الفزاريين :

أُكْنيهِ حِينَ أُناديهِ لِأُكْرِمَهُ
وَلا أُلَقِّبُهُ والسَّوْأَةَ اللَّقَبا

كَذاكَ أُدِّبْتُ حَتَّى صارَ مِنْ خُلُقِي
أَنِّي وَجَدْتُ مِلاكَ الشِّيمَةِ الْأَدَبا

(قالوا : لألقبه اللقب ، وهو السوأة ، وقال أبو العلاء : هذا على التقديم والتأخير ، كأنه قال : لا ألقبه اللقب والسوأة)

وقد جرى أستاذ الأساتذة على عادته فى التوفيق والإحسان ، حين قيد هذه الألقاب بإضافتها إلى الشرف التقليدى ، وله - إذا شاء - أن يسميها : الألقاب « المرسومة » ، لأنها تصدر بمراسيم ، ويسمى ألقاب الأوسمة والنياشين ألقابا « موسومة » .

وقفت طويلا عند قول الأستاذ الجليل : (إن تمادى الفراق يزيد فى حرارة الذكرى الراسخة فى نفسى .)

وذكرت صرخة « مهيار » : « رُبَّ ذِكْرَى قَرَّبَتْ مَنْ نَزَحا . »

والقائل :

رُدُّوا عَلَيَّ لَيالِيَّ الَّتِي سَلَفَتْ
لَمْ أَنْسَهُنَّ ، وَلا بِالْعَهْدِ مِنْ قِدَمِ !

وقوله فى موقف الوداع :

وَقالَ : تَذْكُرُ هٰذا بَعْدَ فُرْقَتِنا
فَقُلْتُ : ما كُنْتُ أَنْساهُ لِأَذْكُرَهُ !

وهكذا أغرقت فى بحر من الذكريات الساحرة .. وقد أغنانا الشيخ « عبد الغنى النابلسى » عن وصف ماتضمره من المودة ، حين قال :

تَمَلَّكَ بَعْضُ حُبِّكَ كُلَّ قَلْبِي

فَإِنْ تَرُمِ الْمَزِيدَ فَهاتِ قَلْبا !

يقول أستاذ الأساتذة : (ويزيد هذه الذكريات رسوخا مطالعتى لتعليقاتك الرائعة على رسالة الغفران ، وإعجابى بما فيها من بلاغة التعبير ، وسلامة التفكير) .

وهذا فضل أسداه « المعرى » لشارح رسالته ، بما أتاحه لتلميذه من إعجاب مثلك ، فإن شرح الرسالة الذى أعجبك هو صدى ذلك « الصائح المحكى » !

أما افتتان شيخ حاصبيا بشيخ المعرة فهو افتتان العظيم بالعظيم :

وَفَرْحَةُ الْأَدِيبِ بِالْأَدِيبِ وَشَغَفُ الْمُحِبِّ بِالْحَبِيبِ

ولا غرو فإن الشكول أقارب ، كما يقول « أبو تمام » لصفيه « ابن الجهم » :

وَقُلْتُ : أَخٌ . قالُوا : أَخٌ مِنْ قَرابَةٍ

فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنَّ الشُّكُولَ أَقارِبُ

صَدِيقِيَ فِي رَأْيِي وَعَزْمِي وَمَذْهَبِي

وَإِنْ باعَدَتْنا فِي الْأُصُولِ الْمَناسِبُ

وقد أحسن كلاكما تمثيل الفكر العربى ، ورأينا فى كليكما

صورة من صاحبه ، فذكرنا صدق « المعرى » فى قوله :

مَا مَرَّ فِي دُنْيـاكَ أَمْرٌ مُعْجِبٌ

إِلَّا أَرَتْكَ لِمـــا مَضَى تِمْثالَا

ويقول الأستاذ : (وأحسب أن اسمك له من الشهرة فى مصر وبلاد العرب ما يغنى عن أرقام الشوارع) . وهى مجاملة لو صحت لكانت من فوادح الكوارث ، والأستاذ أدرى وأعرف بما تجره الشهرة والظهور من قاصمات الظهور ، ورحم الله شيخنا « المعرى » الذى يقول :

وَخُمُولُ ذِكْرِكَ فِي الْحَياةِ سَلامَةٌ

وَدَهاكَ مَنْ أَمْسَى بِذِكْرِكَ شاهِرًا

أما ما يتمناه الشيخ من لقاء قريب : فهو أمل إن عزّ علينا تحقيقه فى ندوته بدمشق ، لم يعزّ عليه أن يحققه فى ندوة صديقه بالقاهرة .. وإنه ليحلو لى بهذه المناسبة أن أبلغ تحية زوار الندوة الأصفياء لفخر الساسة ، وزين الرياسة ، واستعادتهم تلاوة رسالته التى تزداد على التكرار جدّة وإشراقا ، كما يزداد كاتبها على الأيام فتوة وشبابا .

أما بعد : فلئن أعجزنى شكرك على ما طـوّقت به عنق من عاطر الثناء ، لم يعجزنى أن أدعو لك أخلص الدعاء .

. . . « أَدامَ اللهُ جَمالَ الْأَيَّامِ بِبَقائِكَ ، وَأَيَّدَ الْعِلْمَ بِحَياتِكَ ، وَأَسْكَنَ الْبَهْجَةَ فِي خَلَدِكَ ، وَوَصَلَ أَوْقاتَكَ بِالسَّعادَةِ ،

وَأَكْمَلَ زِينَةَ الْمَحافِلِ بِحُضُورِكَ ، وَجَعَلَ الْإِحْسانَ إِلَيْكَ مَرْبُوباً ، وَوُدَّكَ فى الْأَفْئِدَةِ مَشْبُوباً . »

دعوات - إن شاء الله - مستجابات ، اختص « المعرى » بها بطل الغفران فى رده على رسالته ، وأهداها تلميذ « المعرى » إلى بطل مجلس الأمن ، بعد أن استعارها من رسالة الغفران التى ظفرت بموفور إعجابك وطول مصاحبتك : لتكون خاتمة رده على رسالتك ، ولك منى خالص التحية وصادق الولاء؟

أخوك المخلص

كامل كيلانى

الرجل الذى انتهت إليه حكمة التربية (1)

رسالة من الشيخ محمد البشير الإبراهيمى

رئيس جمعية العلماء الجزائريين

بعث الشيخ « محمد البشير الإبراهيمى » من بغداد إلى الأستاذ « كامل كيلانى » بالقاهرة الكتاب الآتى بعد الديباجة :

« أكتب إليكم مهنئاً بالعيد ، وإن كانت معانيه البليغة ممسوحة من نفسى ، لأننى أفهمه موقف حساب وعرض ، لم يعرض فيه العرب من أعمالهم إلا المخزى ، ولم يحاسب فيه المسلمون من عباداتهم إلا بغير المجزى ؛ ولكن التهنئة أصبحت كلاما يدور على الألسنة ، برغم الضمائر الحية والشواعر اليقظة !

زرت الكويت ورأيت ما رأيت ، وألقيت عدة محاضرات كانت — بتوفيق الله — غيثا على جدب ، وفراتا على ظمإ ، ولم أنس فى لحظة أخى « كاملا » . وهل ينسى الإنسان جزءاً من نفسه كاملا ؟ !

الحركات عند إخواننا العرب بطيئة جداً ، يحتاج المتعرض لها إلى صبر متين وأناة ، وإلى لطف احتيال ، أو إلى ما جمعه الشاعر الذى يقول : ليس للحاجات إلخ . وأنتم أعرف بالبقية !

---

(1) منبر الشرق فى ١٩٥٢ .

أنا — فيما أعدّ نفسى — مبشر بالمبادئ الصالحة والكتب الصالحة ؛ لأن التجارب انتهت بى إلى أنه ما أفسد العلم ورجاله إلا الكتب الفاسدة .

وبما أن الحرص على استقامة الإنسان يبدأ بتقويم الطفل ، ولا يستقيم الطفل إلا إذا غرس عمله فى « مكتبة الأطفال » ؛ وقد تكون هذه التعبيرات نافرة أو متنافرة ، ولا يعنينى أمرها ، فإن المعنى الذى أقصده هو هذا :

إِنَّنِي أُشْهِدُ اللهَ ، وَأُشْهِدُ أمامَ خَلْقِهِ ، بِأَنَّ الرَّجُلَ الَّذِى انْتَهَتْ إِلَيْهِ حِكْمَةُ التَّرْبِيَةِ مِنْ طَرِيقِ كُتُبِ التَّعْلِيمِ هُوَ الأُسْتاذُ «كامِل كِيلانِى» .

وَسَتَشْهَدُ هٰذِهِ النَّهْضَةُ بِهٰذا يَوْمَ يَمُدُّ مَدُّها ، وَيَجِدُّ جِدُّها .

أحييكم وولدنا « رشادا » ، وأدعو لكم بالتوفيق .

وسأكاتبكم من الشام . »

كامل كيلانى فى صحف نيويورك [1]

رسالة من الدكتور : أمير بقطر

عزيزى الأستاذ الكيلانى :

أبعث اليك وأنجالك الأعزاء أطيب تحياتى ، وأرجو أن تكون ممتعا بالصحة العافية ، جمّ النشاط كعادتك ، وأن تكون ندوتك الأدبية عامرة بأصدقائك وزملائك ، والمعجبين بك من رجال العلم والأدب .

مرسل لك مع هذا المقال الذى نشرته صحيفة الإصلاح الأسبوعية التى تصدر فى مدينة « نيويورك » عن مؤلفاتك .

وهذه الصحيفة منتشرة فى القارة الأمريكية - الشمالية والجنوبية - وقد سرّ صاحبها عند اطلاعه على بعض كتب الأطفال ، وقال لى : إنه يعرف اسمك جيداً ، ويعرف الكثير عنه ، ولكنه لم يسبق له الاطلاع على شىء مما كتبته للأطفال .

« نيويورك » منذ شهر أو أكثر على قدم وساق لمناسبة عيدى : الميلاد ورأس السنة ، فالشوارع الرئيسية — ويخيل إلى أن كل الشوارع رئيسية — تتلألأ بالأنوار والزينات وأشجار العيد . أما واجهات المحال التجارية فقد استحالت كلها معارض ومتاحف للفنون الجميلة ، مما يدل على الخطى الواسعة التى قطعتها هذه البلاد العجيبة فى سبيل الصناعة والتجارة والفن والذوق السليم .

---

(١) نيويورك فى ٢٤ / ١٢ / ١٩٥٢ .

ولا يكاد المرء يسير خطوة إلا ويجد الناس من رجال ونساء يحملون أكداسا من الهدايا والتحف ، حتى خيل إلىّ أن هذه المحال التجارية إذا أغلقت أبوابها طول العام ، فحسبها ما تربحه من مبيعات هذا الشهر .

ومما يسترعى الأنظار الزحام المقطوع النظير فى المكاتب على كثرة عددها واتساع مبانيها . فالناس هنا يهدون أصدقاءهم الكتب فى الأعياد بكميات خيالية : مع العلم أنك قلما تجد كتابا بأقل من ثلاثة دولارات ؛ أى أكثر من جنيه مصرى .

سأنتهز فرصة العيد لزيارة بعض الولايات المجاورة ـ إن شاء الله ـ وسأعود قبيل استئناف الدراسة فى الجامعة .

البرد شديد ، والثلج والمطر يتناوبان ، ولكن أحداً هنا لا يعبأ بما تجود به السماء من هذا أو ذاك : طالما كانت أوراق البنك نوت (الريال) تنمو على الأشجار ، وهى دانية القطوف للجميع !

سلامى إلى جميع الأصدقاء ، وتحيتى مرة أخرى إليك والأنجال .

والسلام ؟

المخلص

أمير بقطر

رأى مرب بعد أربعين عاما

رسالة من الأستاذ محمود أبو ريه

أخى الكاتب الكبير «كامل كيلانى» حفظه الله :

تحية مباركة طيبة ، وبعد : فإنى لا أحاول فى هذا الخطاب الموجز أن أصف كل مايخالج نفسى من تقدير بالغ لأدبك العالى ، وبيانك الرفيع ، أو أن أصوّر فضلك على الأدب والشعر والتاريخ .

وماذا أقول فى نعت رجل أجمع العظماء والكبراء وفحول الكتاب والقراء على فضله ، والإشادة بعظم ماقدم لرجال أمّته (وأطفالها) من أدبه ، وأنا أتحدث فى عبارة موجزة عن كتابه الصغير (جحا قال لى . . .) وكيف كان أمره بين أولادى .

لقد تقلب هـــذا الكتاب بين الذين يتعلمون منهم بالمدارس الابتدائية ومن يدرسون بالمدارس الثانوية ، فكان أمرهم فيه عجبا :

ذلك أنه لم يكد يتناوله أحدهم ، حتى ينصرف عن دروسه مشغوفا به ، عاكفا عليه . ولكن أخاه لايدعه يتمم قراءته ، بل ينتزعه منه .. وقد يقع بينهم من أجل ذلك خلاف .

وقد رأيت أن أقف على سر هذه اللهفة التى تتنازعهم ، فتناولت الكتاب لأقرأه . وإذا بى أجد هذا الكتاب على صغر حجمه نعم المؤدب للأطفال ، ففيه الخيال البعيد ، والفكر السديد ، والحيل الغريبة ، والمناقشات المفيدة ، وفيه الحكم الغاليـــة ، والفلسفة العميقة ، والفكاهة الحلوة ، والنادرة المستملحة ، وغير ذلك

من الأغراض التى يرمى إليها كبار علماء التربية فى هذا العصر ، والتى يجب أن تحملها كل كتب التربية . كل ذلك فى معرض مشوق أخاذ . والتشويق أهم دافع إلى المطالعة والانتفاع بما فى الكتب والأسفار ، يستوى فى ذلك الصغار والكبار .

أما طبع الكتاب والشكل والعرض والأسلوب والصور التى تزينه ، فهى كذلك مما لايكاد يوجد فى كتاب آخر .

وإذا كان لى من قول أذكره لأخى بعد تجارب تقرب من أربعين عاما قضيتها فى الدرس والمطالعة ، فهو اعترافى بأنك قد وفقت أعظم توفيق فى إخراج هذا الكتاب القيم ، يختال فى هذا الشكل الرائق ، والموضوع الفائق ، وأستحثك على ألا تنى فى إخراج مثله ، ليدوم النفع ، وتستمر الإفادة .

وإنى — لا بلسان أولادى فحسب — ولكن بلسان أطفال هذا الجيل كله ، أتوجه لأخى الكريم بالتقدير العظيم على مابذل ويبذل من جهد وتعب ، فى سبيل تثقيف الناشئين وغير الناشئين ، وبالشكر الجزيل على سائر أعمالك التى أخرجتها ، وتخرجها كل يوم ، لنفع الناس أجمعين .

أعانك الله وأدام توفيقه لك ، ومتعك - وسائر من معك - بموفور الصحة والعافية ، إنه سميع الدعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله .

المنصورة

المخلص

محمود أبو رية

في ميدان الشعر

كانَ كامل كيلانى شاعراً بارعاً ، له شعر ممتع ورائع ، ولقد أعطته شاعريته ذلك الروح العذب الذى نلقاه فى كل آثاره . . ولذلك كان لا بد أن يلتقى مع الشعر فى مجالاته المختلفة .

ولقد هزّت آثاره الأدبية الشعراء ، كما هزت الكتّاب ؛ فقالوا فيه وفيها كثيرا من فنون الشعر وألوانه .

ولذلك حرصنا على أن نقدم فى ختام هذا الكتاب نماذج من هذا الشعر الذى حفلت به أوراق « كامل كيلانى » ، ونشرته الصحف فى « القاهرة » و « القدس » و « دمشق » . .

١ — كامل كيلانى الشاعر	:	محمد مصطفى حمام
٢ — شاعر أيضا	:	محمد شوقى أمين
٣ — يا كامل الفضل	:	أحمد شوقى
٤ — يا ابن زيدون مرحبا	:	«
٥ — قل يا أرق الكاتبين	:	زكى أبو شادى
٦ — قصص الكيلانى للأطفال	:	«
٧ — الأدب القصصى	:	«
٨ — مكتبة كاملة	:	محمود غنيم
٩ — بسمة أنت فى زمان كئيب	:	محمود جبر
١٠ — كى أستعيد العمر حلواً يانعاً	:	إسماعيل حافظ
١١ — يا أخى منذ ولدنا	:	سيد إبراهيم
١٢ — خص بالرقة والنبل	:	أبو الإقبال اليعقوبى
١٣ — كملت نبالة « كامل » فى قومه	:	«
١٤ — آية لم تكن	:	«
١٥ — ياحارس الفصحى	:	حليم دموس

١٦ — لم أجد مثل « كامل » عبقريا	:	صادق عرنوس
١٧ — ملأت بالحسن أبصاراً وأسماعاً	:	نجيب هواوينى
١٨ — كذاك فليكن التجديد فى الأدب	:	أحمد الزين
١٩ — قمت يا « كامل » بالعبء	:	محمود أبو الوفا
٢٠ — ضريبة الحق	:	محمد صادق عنبر
٢١ — خير العلا ما رعاه الشباب	:	حسن القاياتى
٢٢ — سيد الأحرار طرا كاتب	:	»
٢٣ — إلى مصر والنيل	:	إسماعيل سرى الدهشان
٢٤ — علم الأطفال أسرار اللغى	:	عبد الله الدشلوطى

٢٥ — محاورة شعرية بين الماحى والكيلانى .

كامل كيلانى الشاعر

بقلم الأستاذ : محمد مصطفى حمام

سمعت حافظا - رحمه الله - يقول ، فى أحد مجالسه ببيت الوجيه الأديب العالم ، السيد حسين الحسينى (بك) :

« أنا نصف شاعر ، ونصف كاتب ، ونصف راوية ، ونصف خطيب .. فأنا نصف أديب ! »

وفى هذا القول تواضع من الشاعر الراحل .. ولكن الذى يعنينى منه ، هو هذا التحديد لألوان الأدب ، فحافظ يرى أن الأدب : هو الشعر ، والكتابة ، والرواية ، والخطابة .

ويضيف آخرون من الناس ألواناً أخرى ، كالموسيقى والرسم ، وغيرهما .

وعندى أن الأدب عالم غير محـــدود ، ولكن أقل مايطلب فى الأديب هو هذه العناصر الأربعة التى ذكرها « حافظ » رحمه الله .

وحسبى حين أتكلم عن أدب الكيلانى أن أتناوله من هذه النواحى ، مضيفاً إليها ناحيتى الترجمة والقصص ، اللتين أغفلهما « حافظ » عند الكلام عن نفسه ، وهما من أخصّ نواحيه ، يشهد بذلك أثراه الخالدان : « البؤساء » و « القصيدة العمرية » .

أما أن الكيلانى شاعر ، فذلك مالايعرفه إلا الخواصّ من أصدقائه ، وهو ما سأعنى بالتحدث عنه فى هذه الرسالة ، ولا أدرى لماذا تخلو الصحف والمجلات الأدبية من روائع قصائده ، على حين تفيض أنهارها بكل سخيف من النظم ، وغثّ من القول .. مع أن أوجب واجبات الشعر العربى الرصين أن يأخذ الطريق على هؤلاء المتطفلين

الذين يصكون أسماعنا ـ كل يوم ـ بما تبرأ منه العربية من مقطوعات يحاولون فيها تقليد الإفرنج ونقل معانيهم ، فلا يفلحون فى هذا ولا ذاك ، بل يحصبوننا بقذائف يسمونها شعراً ، ويخرجون علينا بنظم مرقع الأثناء ، تشيع فيه كل عيوب الطبع والصناعة .

وقد بدأ سيل هذه السخائف يطغى طغياناً مخيفاً ، وما أحوجنا إلى من ينقذنا من « القبلة التى ترن رنين قطعة النقود الفضية على المنضدة المرمرية » و « الزهرة التى تتفتح عن الأكمام ، كما يتفتح الزهر عن الأكمام ! » و « الإله الذى رأى التنكر واجباً » و « الموجة التى تقذف رشاشا كأنه وجه الحسناء الغارقة فى بحر الغرام ! » و « النور اللانهائى » .. وما إلى ذلك من هذيان تبعثه هذه الحمى التى يسمونها تجديداً فى الأدب العربى !

والدواوين المتلاحقة ، الحافلة بصور عارية غفلت عنها عيون رجال الشرطة إلى اليوم ! وهذه الحملة القوية المتجهة إلى الإلحاد والإباحية ، والتمرد على العرف والأخلاق والدين !

ما أحوجنا إلى مطاردة كل أولئك ، وإلى حماية عقول الناشئين من الشباب ، والبادئين فى تلقى الأدب ، من هذا الخطر الداهم والشر المستطير !

ولا سبيل إلى هذه الحماية إلا بتهيئة الغذاء الأدبى الصالح ، ليحتل من العقول مكان الغذاء الفاسد ، وعلى شعرائنا الحريصين على الطابع العربى أن يقدموا هذا الغذاء ؛ فإننا نريد أن تظل مصر عربية فى أدبها وفى أخلاقها ، ونريد أن نقى الشبان هذه الغاشية التى توشك أن تغشى دينهم وثقافتهم وأخلاقهم .

وأكثر شعرائنا تقصيراً فى أداء هـــذا الواجب : صديقنا الأستاذ « كامل كيلانى » : الذى سأقدم لك من شعره أمثالا .

إليك هذه القطعة الرائعة، وقد جاء بها على لسان والدة « جان » بطل قصة « صياد الخيال » التي ترجمها عن « جان سارمان » ، وهي أولى مواد كتابه « روائع من قصص الغرب » :

« عَصَفَ الدَّهْرُ بِآما لِ مُحِبٍّ مُسْتَهامْ
وَأَبَى الشَّوْقُ عَلَى عَيْـ نِ مُحِبٍّ أَنْ تَنامْ
وَمِنَ الشَّوْقِ سَعِيرٌ مِثْلُ مَشْبُوبِ الضِّرامْ
شَدَّ ما يَلْقَى فُؤادِي مِنْ تَبارِيحِ الْهُيامْ

* * *

كَمْ تَذَوَّقْتُ أَفاوِيـ قَ وِصالٍ وَمُدامْ
وَتَحَمَّلْتُ مِنَ الْهَجْـ رِ أَفانِينَ السَّقامْ

* * *

سَوْفَ تَخْبُو نارُ حُبِّي ما لِأَمْرٍ مِنْ دَوامْ
ثُمَّ أَنْساكَ ، وَتَنْسا نِي ، وَيَنْسانا الْغَرامْ
ثُمَّ لا يَبْقَى – عَلَى الْأَيَّـ امِ – حُبٌّ ، أَوْ خِصامْ »

إنك لتقرأ فى هذه الأبيات القصيرة ، قصة الحب من بدئها إلى نهايتها ، فى أرق لفظ ، وأدق وصف . وإنك لترى فيها التصوير الصادق المؤثر لآلام الحب وأشجانه ، وفنون الهوى وألوانه ، ثم ترى – فى ختامها – كيف تكون السلوة والنسيان ، وكيف أن الزمان فى سيره الوئيد ، يحمل معه – رويداً رويداً – كل ما انطوت عليه الصدور من عواطف الحب والبغض ، ويمحو – من صفحات العقول

شيئاً فشيئاً صور الأحبّاء والخصوم . ويلقى من حوادثه المتتابعة رماداً يطفئ النيران المشبوبة فى القلوب : فما يلبث العاشق المولّـه أن تخبو ناره ، ويستقر ـ على النسيان ـ قراره ... وما يلبث المغيظ المحنق أن يشغله صديق عن خصيم ، ويلهيه جديد ـ من الحياة ـ عن قديم .

لن يستطيع شاعر ـ مهما أوتى من بلاغة وإبداع ـ أن يبرز لك هذه المعانى السامية فى أجمل من هذه الصورة ، ولا أحلى من هذا التعبير .

وما أجدر هذا الشعر أن يأخذ مكانه بين بدائع الألحان ، ويكوّن أغنية تجرى على كل لسان : فإن فيه الطرب للملول المتبرم ، والترفيه عن الحزين المتألم ، وفيه للوحيد ما يؤنس وحدته ، وللعاشق الولهان مايخفف وجده ولوعته !

* * *

وبعد ، فإن هذه القطعة الرائعة من شعر « نقيب الأدباء » الأستاذ « كامل » ، قد أقحمت على قصة « صياد الخيال » إقحاماً ، ودست على المؤلف دساً ، إذ لاوجود لها فى أصل القصة ، ولا شك أن المترجم قد أنشأ هذه الأبيات البديعة ، تأثراً بالموقف الذى وصل إليه من الرواية ، فأملاها إحساسه ، وجرى بها قلمه .

ولقد كنا نشكو من ذيوع السرقات الأدبية ، والسطو على آثار الأدباء ؛ فهل أراد الأستاذ « الكيلانى » أن يصل من المبالغة فى زجر لصوص الأدب ، إلى حد إضافة آثاره إلى آثار الناس ، ونحلهم ما لم يقولوه ؟ !

إنى لأراه علاجاً غير ناجع . وأرى أن من الخير أن نجهد غاية الجهد فى صيانة المنشآت ، والمحافظة على سلامة الرواية .

شاعر أيضا ...

بقلم الأستاذ: محمد شوقى أمين

عرف الناطقون بأخوات الضاد الأستاذ « كاملا الكيلانى » : نصيرا للأدب العربى ، بكشف كنوزه المحجوبة وراء السنين، ويدأب - فى هذا السبيل - دؤوب المجاهد العَزوم ، يزاحم ليله بنهاره .

فلقد أذاع - فى العشر السنين الأخيرة - أدباً من أدب العربية ، كان معروفاً فى الناس باسمه ، أو قسمه ؛ فنشره كاملا ، وجلاه شاملا ، وأطلع الناس منه على الزهر المنثور ، فى الروض المنضور . . . . وناهيك « المعرى » فى « غفرانه » ، و « ابن زيدون » فى ديوانه ، و « ابن الرومى » فى فنه وافتنانه !

أما مجالس الأدب ، فقد عرفت الأستاذ « الكيلانى » : محدثاً لبقاً بتصريف الحديث لباقة الكمىّ بتصريف الرماح . . . . . فما حلّ مجلساً إلا أفاض فيه من طبعه وفنه : صبغة أدبية جلواء ، يعينه على ذلك استذكاره - وهو القارئ للأدب العربى كله - لكل ما قرأ فى الأدب العربى من روائع وطرف ؛ فلا يتناقل أهل المجلس أحدوثة فى أدب ، أو خلق ، أو فكاهة ، إلا نهد لها ، وجال بقدحه فيها ؛ فذكر نظائرها وأشباهها ، مناقداً هـــذه ، مستملحاً تلك ، مسترسلا فى موازنة ملؤها الدقة والوثاقة والاتزان .

والأستاذ « الكيلانى » : نقيب الأدباء ، صاحب نكتة بارعة ، وهو فيها قوى العارضة ، مرهوب الجانب ، متوقد البديهة ، وليست النكتة على لسانه عملا يتنزلف إليه ، حتى يزلف له ، وإنما هى

عنده طرف ولطائف من روح الحديث ووحيه، تجيء وفقاً لكلمة يفكه لها، أو رداً على كلمة ينقم منها .. وكم أضحك وأبكى، وأمات وأحيا؛ فنكتته بين غضبه ورضاه: إما سَمَتْ نجوماً، وإما هوت رجوماً!

وللأستاذ «الكيلانى» شعر لم يظهر فى صحيفة، ولم يثبت فى كتاب، ولكن ذاع صيته فى الأندية الأدبية سريعاً سريعاً كما تذيع البشرى سريعاً سريعاً؛ فأصبح شعره حديث تلك الأندية، وأصبح المتأدبون بين رواة عنه، أو رواة منه!

على أنه يهرب من وصفه بالشاعرية، هروب «فاعل الخير» من ذكر اسمه، ولكن الشاعرية تكمن فى شعره كمون الرىّ فى الماء، والبرء فى الدواء، بل الطرب فى الكأس ......

ولقد لج هو فى إنكار الشاعرية على نفسه، ولج شعره فى الدلالة عليها، حتى أدى إنكاره معنى الاعتراف، فلا يقول اليوم: لست بشاعر! إلا قيل له: أجل، أسمعنا من شعرك أيها الشاعر!

وسواء أنكر أنه شاعر، أم لم ينكر، فشعره - بلا شك - صفحة تضاف إلى أنفس صفحات الشعر المصرى، ففى سواد مداها من بياض المعانى ما فى سواد العيون من ضياء ونور!

محمد شوقى أمين

يا كامل الفضل !

من شعر أمير الشعراء :
أحمد شوقى

يا « كامِلَ » الفَضْلِ : قَدْ أَنْشَاتَ « مَـكْتَبَةً »
يَسِيرُ فِي هَـــذْيِها شِيبٌ وَأَطْفالُ
جَمـــالُ طَبْعِكَ حَـلَّاها وَزَيَّنَهـا
فَأَصْبَحَتْ ـ بِجَمالِ الطَّبْعِ ـ تَخْتالُ !

« شوقى »

يا ابن زيدون مرحبا !

من قصيدة لأمير الشعراء :

أحمد شوقى

يا «اُبْنَ زَيْدُونَ» مَرْحَبا قَدْ أَطَلْتَ التَّغَيُّبا
إِنَّ دِيوانَكَ الَّذِى كانَ سِرًّا مُحَجَّبا
يَشْتَكِى الْيُتْمَ دُرُّهُ وَيُقاسِى التَّغَرُّبا
صارَ فِى كُلِّ بَلْدَةٍ لِلْأَلِبَّاءِ مَطْلَبا
جاءَنا «كامِلٌ» بِهِ عَرَبِيًّا مُهَذَّبا
تَجِدُ النَّصَّ مُعْجِبًا وَتَرَى الشَّرْحَ أَعْجَبا !

أحمد شوقى

قل يا أرق الـكاتبين

من شعر الأستاذ : أحمد زكى أبو شادى

قُلْ يا أَرَقَّ الْـكاتِبِينَ ، فَأَنْتَ مَنْ
يُلْفَى بِكُلِّ طَرِيفَـةٍ مَشْـغُولا
صَـوِّرْ لَنا الْماضِى تَزِدْ أَعْمارَهُ
عُمْرًا ، وَتُشْعِـرْنا الْحَياةَ الأُولَى
ما كُلُّ مَنْ عَدَّ الْمُؤَرِّخُ وَصْفَهُ
أَثَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْمآثِرُ طُولا
أَوْجَـزْتَ إِيجازَ الْبَخِيلِ ، وَإِنَّما
كانَ الْغِـنَى فِى طَيِّـهِ مَحْمُولا
فِى كُلِّ سَطْرٍ لِلْوَقائِـعِ مَعْرِضٌ
وَبِكُلِّ فَصْـلٍ ما يُعَـدُّ فُصُـولا
نَتَأَمَّـلُ الْفَنَّـانَ فِى إِبْداعِـهِ
كالْجَـوْهَرِىِّ تَأَنُّقًا وَأُصُـولا
وَنُطالِـعُ الْإِحْسـانَ فِى آياتِهِ
مِنْ كُلِّ فاتِنَـةٍ تَرُدُّ عَجُولا

وَنُصاحِبُ التَّـارِيخَ فِي أَيَّامِهِ
صُـوَرًا ، وَنَلمِسُ سِرَّهُ الْمَنْقُولا
شَـأْنُ الأَدِيبِ الأَلْمَعِيِّ : بَيانُهُ
يَغْدُو الْجَمالُ بِرُوحِـهِ مَأْهُولا

* * *

راحَتْ « مَصارِعُهُمْ » وَقَدْ تَرَكَتْ لَنا
عِـبَرًا تُسائِلُ أَنفُسًا وَعُقُـولا
وَمَضَوْا ، وَما كانُوا سِوَى خَيْرٍ لَهُمْ
فَإِذا الْمُقاتِلُ صـاحَبَ الْمَقْتُولا
حَتَّى إِذا هَمَّتْ يَراعَةُ (كامِلٍ)
صارَ الدَّفِينُ مُمَثَّـلًا مَوْصُـولا
و (الْفَنُّ) أَقْدَرُ مَنْ يُعِيدُ مَعالِماً
دَرَسَتْ ، وَأَكْرَمُ مَنْ يَشُوقُ مَلُولا !

قصص الكيلانى للأطفال

من شعر الأستاذ : أحمد زكى أبو شادى

شُكرًا إِلَى أَدَبِ الصَّدِيقِ ، وَإِنْ يَكُنْ
فِي غُنْيَةٍ عَنْ أَنْ أَكُونَ شَكُورا

وافَتْ هَدِيَّتُهُ النَّفِيسَةُ عِنْدَما
آنَستُ مِنْ « عِيدِ الزُّهُورِ » زُهُورا[1]

وَوَدِدْتُ تَقْبِيلًا لِطِفْلِكَ حِينَما
أَدْرَكْتُ أُنْسَ شُعُورِهِ مَسْطُورا

والطِّفْلُ عَبْدٌ لِلْخَيالِ وَسَيِّدٌ
فِي النَّاسِ يَحْكُمُ آمِرًا مَأْمُورا

هُوَ (مُصْطَفاكَ)[2] فَما اصْطَفَيْتَ لِذِهْنِهِ
إِلَّا الَّذِي مَلَأَ الْوُرُودَ عُطُورا

جَدَّدْتَ لَذَّةَ (أَلْفِ لَيْلَةَ) قادِرًا
وَوَهَبْتَنا جُزُرًا لَها وَقُصُورا

وَأَعَدْتَ خَلْقَ (السِّنْدِبادِ) كَأَنَّهُ
أَضْحَى نُشارِكُهُ مُنًى وَشُعُورا

---

(١) زهورا : إشراقا .

(٢) يعنى ولد المؤلف واسمه مصطفى .

قَلَمٌ حَبَاكَ اللهُ مِنْ رِضْوانِهِ
مَجَّ الْمِدادُ شَهادَهُ والنُّورا
يَسْتَمْتِعُ الآباءُ مِنْ مَعْسُولِهِ
وَيُصَفِّقُ الأَطْفالُ مِنْهُ حُبُورا
وَيُتابِعُونَكَ فِي عَوالِمِ وَصْفِهِ
كالفاتِحِينَ الْمالِكِينَ عُصُورا
الرّاجِعِينَ لَنا عَلَى أَحْلامِهِمْ
بِمَواعِظٍ تَذَرُ الصَّغِيرَ فَخُورا

* * *

شُكْرًا ، وَإِنْ أَنْكَرْتَ شُكْرِيَ دائِمًا
مُتَواضِعًا ، مَهْما بَذَلْتُ شُهُورا
وَهَوًى إِلَى الطِّفْلِ الْعَزِيزِ مُؤَمِّلًا
فِي عِيدِهِ (١) نُورًا يَزِيدُكَ نُورًا
وَثَناءُ أَوْلادِي إِلَيْهِ لِوَحْيِهِ
إِبْداعَكَ الْمُسْتَعْذَبَ الْمَبْرُورا
صِرْنا عِيالَكَ كُلُّنا بِسُرُورِنا
فاقْبَلْ تَحِيّاتٍ لَنا مَسْرُورا

---

(١) عيد ميلاده السابع .

الأدب القصصى[1]

إنَّ الْحَياةَ إذا اعْتَبَرْتَ روايَةٌ
فاسْتَوْحِ مِنْ قَصَصِ الْحَياةِ جَمالا
وَتَلَقَّ ما رَسَمَتْهُ رِيشَةُ (كامِلٍ)
مِمَّا يُشَوِّقُ رَوْعَةً وَكَمالا
بِالْأَمْسِ كانَ مُرَنِّحًا أَطْفالَنا[2]
والْيَوْمَ رَنَّحَ جُهْدُهُ الْأَبْطالَا
يَسْتَخْلِصُ الْعِظَةَ الْكَرِيمَةَ جَوْهَرًا
وَيَجُودُ مُغْتَبِطًا ، ولا يَتَعالَى
فَتَرَى التَّأَلُّقَ فِي حَياةِ سُطُورِهِ
وتَرَى الْحَياةَ بِها تَفِيضُ جَلالا
وتَشَمُّ مِنْ عَبَقِ التَّفَنُّنِ نَفْحَةً
وَتَذُوقُ مِنْ خَمْرِ الْبَيانِ حَلالا

---

(١) « منبر الشرق » — نظم هذه الأبيات العامرة ، وكتبها بخط يده المرحوم الدكتور أحمد زكى أبو شادى .

وقد قالها ، طيب الله ثراه ، فى صديقه نقيب الأدباء الأستاذ « كامل كيلانى » صاحب مكتبة الأطفال الشهيرة .

(٢) إشارة إلى كتاب « قصص الاطفال » .

وَتَرَى التَّصَرُّفَ بِالْخَوالِدِ زادها
خُلْدًا ، وَزادَ مَآلَها آمالا
يَخْتارُ مِنْ قَصَصِ الْوَرَى مُخْتارَها
كالنَّحْلِ تَمْتَشُّ زَهْرَها الْعَسَّالا
فَإذا أَقلَّ فَما تَراكَ مُحَيَّرًا
وإذا أَطالَ فَما تَقُولُ أَطالا
سِيَّانِ فِي إنْمامِهِ إبداعُهُ
ما فاتَ إكْثارٌ لَهُ إقْلالا
فَإذا اغْتَبَطْتُ مِنَ اطِّرادِ نَشاطِهِ
كالنُّورِ حِينَ يَزِيدُنا إقْبالا
فَلَقَدْ غَدا الأَدَبُ الْجَدِيدُ بِجُهْدِهِ
كَلِفًا ، وصارَ بِوُدِّهِ مُخْتالا

مكتبة كاملة

قصيدة من شعر الأستاذ : محمود غنيم

مَـكْتَبَـــةٌ كامِـــلَةٌ مِنْ مُنْشَـآتِ « كامِلِ »
حافِـــلَةٌ رُفُوفُهـــا بِـكُلِّ سِـفْرٍ حافِـلِ
رَوْضَـةُ أَطْفـالِ مُبـا حَـةٌ لِـكُلِّ داخِـــلِ
لَمْ يَبْقَ ـ بَعْدَ الْيَوْمِ ـ عُذْ رٌ لِصَبِيٍّ جاهِـــلِ

* * *

يا أَيُّهـا الْقَصِيرُ : فا خِـرِ السُّهـا ، وَطاوِلِ
لَمْ أَرَ عِمْلاقاً ، لَهُ قَدْرُكَ فِي الْمَحـــافِلِ
ما الطُّولُ فِي الْهَيْـكَلِ ، بَلْ فِي الْفَضْـلِ والشَّمائِلِ
لِلّٰهِ أَنْتَ مِنْ أَبِ جَمٌّ الْبَنِينَ عائِلِ
أَبٌ لِـكُلِّ ناشِئٍ أَبٌ لِجِيـلٍ كامِـلِ
كُتْبُكَ تَهْمِي فَوْقَ رَأْ سِ النَّشْءِ مِثْـلَ الْوابِلِ
وَتَحْتَـــهُ تَفِيضُ بَحْـ ـرًا مالَهُ مِنْ ساحِلِ
ما عُدْتَ تَلْقَى دُمْيَـةً فِي يَدِ طِفْلٍ عاطِلِ

أَوْ عَجَلًا يَدُورُ ، أَوْ حَلوَى بِكَفٍّ آكِلِ
سَلِ الصِّغارَ : هَلْ لَهُمْ غَيْرُ (جُحا) مِنْ شاغِلِ !

* * *

« كامِلُ » أَنْتَ مِنْ بَقا يا الْعُرُبِ الأَوائِلِ
لَمْ نَدْرِ مِنْ أَيِّ قَبِيلَةٍ مِنَ الْقَبائِلِ
« قُسُّ إِيادٍ » أَنْتَ ، أَمْ أَنْتَ خَطِيبُ « وائِلِ » ؟
الْقَلَمُ الَّذِي بِهِ تَكْتُبُ صُنْعُ « بابِلِ »
رَأْسُكَ أَمْ مَدِينَةٌ دائِبَةُ الْمَعامِلِ ؟
وَأَنْتَ أَمْ رَكْبٌ يَسِيرُ حامِلَ الْمَشاعِلِ ؟
إِنَّ الَّذِي تُبْدِعُهُ يُعْيِي لِسانَ الْقائِلِ
إِنَّ الَّذِي تُنْشِئُهُ يُعْجِزُ طَوْقَ النَّاقِلِ
أَرْهَقْتَ بِالتَّأْلِيفِ عَقْلَ الْقارِئِ الْمُواصِلِ
مَنْ يَعِ ما تَكْتُبُ لَمْ يَعْيَ أَمامَ سائِلِ
قُلْ لِلَّذِي يَلْهَثُ فِي إِثْرِكَ : « لا تُحاوِلِ !
إِنَّ الَّذِي حاوَلَها عادَ بِغَيْرِ طائِلِ
شَتَّانَ بَيْنَ فارِسٍ مُدَرَّبٍ ، وَراجِلِ ! »

* * *

رُبَّ أُناسٍ يَمْقُتُو نَ فَضْلَ كُلِّ فاضِلِ
صُدُورُهُمْ – مِنْ وَجْدِها عَلَيْكَ – كالْمَراجِلِ !
مَنْ رامَ هَدْمَ شامِخٍ فالْهَدْمُ لِلْمَعاوِلِ
خَلِّ الذِّئابَ إِنْ عَوَتْ فِي طُرُقِ الْقَوافِلِ
وانْهَضْ بِها رِسالَةً مِنْ أَقْدَسِ الرَّسائِلِ
إِنْ قُلْتُ : « لِلطِّفْلِ كَتَبْـ تَ » ، كُنْتُ غَيْرَ عادِلِ
أَنْتَ مُرَبٍّ لِلْجَميـ عِ : رَبُّ فَضْلٍ شامِلِ !

بسمة أنت فى زمان كئيب

من شعر الأستاذ : محمود جبر

ما أرانِي بِحاجَـةٍ لِدَلِيـلٍ
لِوَفائى لِشَخْصِـــكَ الْمحْبُوبِ
غَيْرَ أَنِّى مِنَ السُّرُورِ أَرانِى
أَبْعَثُ اللَّحْنَ مِنْ حَنِينِ الْقُلُوب
أَنْتَ صَرْحٌ مِنَ الْـكمالِ مَشِيد
أَمَّهُ النَّاسُ فِي الزَّمانِ الْعَصِيبِ
بَسْمَةٌ أَنْتَ فِي زَمانٍ كَئِيبٍ
وَسَلامٌ نَراهُ وَقْتَ الْحُرُوبِ
يا مُفِيضًا عَلَى الصِّحابِ حَنانًا
وَوِئامًا وَبَلْسَمًا فِي الْـكُرُوبِ
أَنْتَ نُبْلٌ وَمَوْئِلٌ وَرَجاءُ
أَنْتَ أَهْلٌ لِـكُلِّ مَدْحٍ رَطِيبِ !

كى أستعيد العمر حلواً يانعا

من شعر الأستاذ : إسماعيل حافظ

أُنْشُرْ بِفَضْلِكَ قِصَّــةَ الأَطْفالِ
وانْثُرْ لَنا حِكَماً وَكَنْزَ لآلِى
هَــذِّبْ نُفُوسَ النَّاشِئِينَ ، فَإِنَّها
دُرَرٌ ـ وَحَقِّكَ ـ فِى الزَّمانِ غَوالِى
هَيِّئْ لَهُمْ سُبُلَ الْحَياةِ رَشِيدَةً
واَضْرِبْ لَهُمْ مِنْ أَحْسَنِ الأَمْثالِ
قَدِّمْ لَهُمْ ما شِئْتَ مِنْ حُسْنٍ ، فَقَدْ
قالُوا عَلَيْـكَ : مُرَوِّضُ الأَشْبالِ
هُمْ خَيْرُ ما نَرْجُوهُ ، غَرْسُكَ فِى غَدٍ
مُهَجُ الْقُلُوبِ ، وَمَعْقِـدُ الآمالِ
يَجِدُونَ فِى الصَّعْبِ الشَّدِيدِ سُهُولَةً
وَيُطالِعُونَ غَرائِبَ الأَحْــوالِ
زَهَراتُنا الْبَيْضاءُ ؛ شَمِّرْ واَسْقِها
تَزْهُو وَتُزْهِرُ « رَوْضَـةُ الأَطْفالِ »

النَّاشِئُونَ لَهُمْ بِجِدِّكَ حِكْمَةٌ
فاقَتْ بِجِدِّكَ حِكْمَةَ الْكُهَّالِ

الشَّيْبُ بادَرَنا وَجَلَّلَ رَأْسَنَا
وَالشَّيْبُ رَمْزُ نِهايَةِ الآجالِ

ذُقْنا تَجارِيبَ الْحَياةِ مَرِيرَةً
حَتَّى سَئِمْنا مُرَّ تِلْكَ الْحالِ

وَلَوَ أَنَّ هٰذا الدَّهْرَ أَسْعَفَ بَعْضَنا
فِيما مَضَى بِسَحابِكَ الْهَطَّالِ

بِتْنا عَلَى حَدَثِ الزَّمانِ رَواصِدًا
لِنُجابِهَ الأَحْداثَ بِالأَبْطالِ

لٰكِنَّما قَدْ فاتَنا ما فاتَنا
مُذْ كانَ أَمْرُ الْعِلْمِ لِلْجُهَّالِ

يا لَيْتَنِي أَحْظَى بِعَهْدٍ ماثِلٍ
مِنْ ذٰلِكَ الزَّمَنِ الْقَدِيمِ الْخالِي

كَيْ أَسْتَعِيدَ الْعُمْرَ حُلْوًا يانِعًا
وَأُداعِبَ الإِصْباحَ بِالآصالِ

عَهْدُ الطُّفُولَةِ : كانَ عَهْدًا زائلا
يا لَيْتَهُ قَدْ دامَ دُونَ زَوالِ
عَهْدٌ بِهِ ذِكْرَى عَزِيزِ تَمائِمِى
وَحُنُوُّ وَالِدَتِى وَعَطْفُ الآلِ
ذاكَ الزَّمانُ بِهِمْ أَغَرُّ مُحَجَّلٌ
وَكَأَنَّهُ فِي الدَّهْرِ وَجْهُ هِلالِ
بَسَماتهُ تَصْدَعْنَ قَلْبِيَ نائِيًا
وَكَأَنَّها فِي الذِّهْنِ وَقْعُ نِصالِ
يا رَحْمَةَ اللهِ الْقَرِيبَةَ أَسْعِفِى
ذاكَ الْحَزِينَ بِرَحْمَةِ الْمُتَعالِ

* * *

ما لِلْقَرِيضِ يَزُوغُ فِي جَوْلاتِهِ
وَيُرِيقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى الْأَطْلالِ
وَيُسالِمُ النَّفْسَ الرَّضِيَّةَ بَعْدَما
قَدْ طاوَلَتْهُ ؛ فَلَمْ تَفُزْ بِمَنالِ
هَجَرَ الصَّحِيفَةَ واسْتَقَلَّ بِنَفْسِهِ
ثُمَّ انْثَنَى مُتَعَثِّرَ الْأَذْيالِ

جُهْدُ الْفَتَى فِي الدَّهْرِ ما سَمَحَتْ بِهِ
نَفْسُ الأَبِيِّ وَحِيلَةُ الْمُحْتالِ
وَلَوَ انَّنِي أُوتِيتُ فَضْلَ (مُحَمَّدٍ)
لأَتى إِلَيَّ الوَحْيُ فِي الأَقْوالِ
ذَهَبَ (الْمُبَرِّدُ) فِيكَ أَحْسَنَ مَذْهَبٍ
فِي (الْكامِلِ) الْمَأْثُورِ بَعْدَ (الْقالِي)
وَتَكَشَّفَتْ عَزَماتُهُ عَنْ (كامِلٍ)
فِي النَّاسِ أَصْبَحَ مَضْرِبَ الأَمْثالِ
رُوحِي إِلَيْكَ وَهَبْتُها ، وَأَنا الَّذِي
أَهَبُ الثَّمِينَ وَلا أَضَنُّ بِغالِ
يَلْتامُ جُرْحِيَ ، حَيْثُما الأَدَبُ ارْتَوَى
وَلَوَ انَّنِي فِي غايَةِ الإِمْحالِ
يَكْفِي فَخارًا أَنَّنِي مُتَأَدِّبٌ
قَرَّظْتُ فِيكَ « مُهَذِّبَ الأَجْيالِ » !

أخي منذ ولدنا . . .

من شعر صديق عمره : الأستاذ سيد إبراهيم

يا صَدِيقِي الْمُرْتَجَى فِي الْأَصْـدِقاء
وَصَفِيِّي الْمُجْتَبَى فِي الْأَصْـفِياء
وَأَخِي مُنْذُ وُلِدْنا ، وَنَشَأْنا ،
وَشَبَبْنا ، وَدَرَجْنـــا لِلنَّماء
يا صَدِيقِي فِي رَواحِي وَغُدُوِّي ،
وَنَجِيِّي فِي هَنـــائِي وَشَقائِي
وَمَلاذِي فِي حَياتِي ، وَأَنِيسِي
فِي شَكاتِي ، وَعَتادِي فِي بَلائِي
وَرَفِيقِي فِي طَرِيقِي لِلْمَعـالِي ،
وَشَقِيقِي وَنَسِيبِي فِي الرَّجاء
وَكِفائِي فِي وَلائِي ، وَوَفائِي ،
وَلَعِبِي فِي أُوَيْقـاتِ الْهَناء
أَيُّ مَيْدانٍ لِفَضْلٍ لَسْتَ فِيهِ
غَيْرَ سَبَّاقٍ لِغاياتِ الْعَلاء ؟

* * *

مُنْشِئَ الْجِيلِ عَلَى أَهْدَى غِرارٍ
وَمُغَذِّى نَشْئِهِ خَيْرَ غِذاء

نَشِّئِ الطِّفْلَ - كَما شِئْتَ - كَرِيمًا
عَبْقَرِيَّ النَّفْسِ مَشْبُوبَ الذَّكاء

عَرَبِيَّ الْجَرْسِ ، مَحْمُودَ السَّجايا
بارِعَ الْمَنْطِقِ فِي غَيْرِ الْتِواء

عَرَبِيًّا نُطْقُهُ لا أَعْجَمِيًّا
جَمْجَمَ الْقَوْلَ ، وَغالَى فِي ادِّعاء

صادِقَ الْعَزْمَةِ مِقْدامًا جَرِيئًا
مُسْتَقِيمَ الطَّبْعِ مَصْقُولَ الرُّواء

مَضْرِبَ الْأَمْثالِ فِي عَزْمٍ وَحَزْمٍ
وَذَكاءٍ واعْتِدادٍ وَمَضاء

* * *

يا عَمِيدَ الْفَنِّ والتَّأْلِيفِ مَهْلًا
بَعْضَ هٰذا ، يا « نَقِيبَ الْأُدَباء » !

عالِمٌ أَنْتَ مِنَ الْفَضْلِ ، وَكَنْزٌ
مِنْ خِلالٍ نُزِّهَتْ عَنْ خُيَلاء
عالِمٌ أَنْتَ مِنَ الْفَنِّ رَحِيبٌ
ذائِعُ الصِّيتِ إِلَى غَيْرِ انْتِهاء
قَدْ مَلَأْتَ الْعَصْرَ آدابًا وَعِلْمًا
وَتَفَرَّدْتَ بِهَدْيِ الْحُكَماء
وتَجَلَّيْتَ زَعِيمًا عَبْقَرِيًّا
يُرْسِلُ الأَضْواءَ فِي كُلِّ سَماء
مُلْهَمَ الرَّأْيِ ، سَدِيدًا ، أَلْمَعِيًّا
حافِظًا لِلْوُدِّ ، رَمْزًا لِلْإِخاء
وَغَدَوْتَ الْمَثَلَ الأَعْلَى بِحَقٍّ
فِي دُؤُوبٍ ، وَسُمُوٍّ ، وَوَفاء

* * *

وَأَرانِي عاجِزًا عَنْ كُلِّ وَصْفٍ
مِثْلَ عَجْزِي عَنْ مَدِيحٍ وَثَناء
فَإِذا قُلْتُ ، فَبَعْضُ الْقَوْلِ عِيٌّ
رُبَّ صَمْتٍ ، فاقَ سِحْرَ الْبُلَغاء !

وَأَرَى الصَّمْتَ ، فَمَا أَدْرِى نُعُوتًا
تَصِفُ النَّجْمَ تَنَاهَى فِى الْعَلاءِ

وَأَرَى الصَّمْتَ ، فَمَا أَدْرِى بَيَانًا
يَصِفُ الْبَدْرَ تَجَلَّى فِى ازْدِهاءِ

وَأَرَى الصَّمْتَ فَمَا أَدْرِى كَلامًا
يَمْدَحُ الْمَرْءَ بِهِ فَضْلَ ذُكاءِ

وَأَرَى الصَّمْتَ فَمَا أَعْرِفُ شِعْرًا
يَصِفُ الْكامِلَ بَيْنَ الزُّعَماءِ

وَأَرَى الصَّمْتَ ، فَإِنَّ الصَّمْتَ أَحْجَى
وَهْوَ بِى أَجْدَرُ بَيْنَ الشُّعَراءِ

خص بالرقة والنبل معا

للأستاذ: أبي الإقبال اليعقوبي

(شاعر فلسطين)

«كاملُ الـكيلانِي» ، فِي أَخْلاقِهِ
زَهْرَةٌ فَيْحاء ، فِي رَوْضٍ نَضِير
إنْ تَسَلْ أَوْ لا تَسَلْ عَنْ خُلْقِهِ
ما لِحُسْنِ الْخُلْقِ فِيهِ مِنْ نَظِير
أَسَرَتْ أَخـلاقُهُ أَخْـدانَهُ
فَتَغَنَّى بِاسْـمِهِ كُلُّ أَسِـير

* * *

خُصَّ بِالرِّقَّةِ ، والنُّبْلِ ، مَعًا
فَتَراهُ فِيهِما جِـدَّ قَدِير
باعُهُ ، أَطْوَلُ مِنْهُ فِيهِما
قِصَرُ الْباعِ بِهِ غَيْرُ جَدِير
وَإِذا ما كانَ فِي جُسْمانِهِ
قِصَرٌ ، فالرَّأْيُ فِي الْجِسْمِ الْقَصِير

* * *

تبلهُ ، والخُلقُ مِنْ حُرَّاسِهِ

آيةٌ ، لَمْ تكُ فِي خَلْقٍ كَثِير

كُتْبُهُ مُنْبِئَةٌ عَنْ تُبـلِهِ

إنَّها ـ واللهِ ـ مِنْ وَحْيِ الضَّمِير

كُتُبُ تَخْلُقُ فِي النَّشْءِ قُوَى

والْقُوَى تَجْذُرُ بِالنَّشْءِ الصَّغِير

كَهْرُباءٍ كُلُّها ، خُصَّتْ بِهِ

كَحياةِ الْـكَوْنِ خُصَّتْ (بِالأَثِير)

حِكَمٌ ، فِي نَظْمِهِ ، مُحْـكَمَةٌ

نَظْمُها لَمْ يَـكُ بِالْأَمْرِ الْيَسِير

أَنا لا يَشْفِي غَلِيلِي غَـيْرُها

غُلَّتِي لَمْ يَشْفِها غَـيْرُ النَّمِير

* * *

وَلَئِنْ كَرَّمَنِي فِي بَيْتِـــهِ

وَإِخالُ الْبَيْتَ يُزْرِي بِالسَّدِير

أَوْ يَكُنْ أَكْبَرَنِي فِي قَوْمِهِ
مِثْلَما يُكْبِرُهُ كُلُّ كَبِير
فالأَدِيبُ الفَذُّ مِنْ أَمْثالِهِ
شَأْنُهُ فِي قَوْمِهِ جَبْرُ الكَسِير

* * *

وَأُولاءِ القَوْمُ ، والحُسْنَى لَهُمْ
مِثْلُهُ فِي الخُلْقِ ، والعِلْمِ الغَزِير
ما تَرَى غَيْرَ أَدِيبٍ مِنْهُمُ
وَسَرِيٍّ عَرَبِيٍّ ، وَوَزِير
فِيهِمُ بَأْسُ الفَتَى مِنْ « يَعْرُب »
وَلَدَيْهِمْ حِكْمَةُ الشَّيْخِ الخَبِير
إِنَّهُمْ مِنْ قادَةِ الشَّرْقِ ، وَما
فِي سِوَى القادَةِ مِنْ رَأْيٍ خَطِير

* * *

قِيلَ : ماذا قُلْتَ فِي الشُّكْرِ لَهُ
وَنَدَى أَيْدِيهِ مَعْدُومُ النَّظِير

قُلْتُ : إِنِّى عاجِزٌ عَنْ شُكْرِهِ
فِي نَظِيمٍ مُحْكَمٍ أَوْ فِي نَثِير
ولَوَ اْنِّى كَلَبِيدٍ ، لَمْ أَكُنْ
فِي قَرِيضِى جامِدًا ، أَوْ كَجَرِير
إنمـــا تَشْكُرُهُ آثارُهُ
إِنهـــا أَنْطَقُ مِنِّى بكَثِير

* * *

بارَكَ اللهُ لَهُ فِي فَضْـــلِهِ
إِنَّما الْفَضْـلُ لَهُ خَيْرُ سَمِيرِ
ما تَغَنَّتْ بِاْسْـــمِهِ أَوْطانُهُ
إِنَّهُ كانَ لَهـا أَوْفَى نَصِير

كملت نبالة كامل فى قومه

من شعر الأستاذ: أبي الإقبال اليعقوبى

كَمُلَتْ نَبالَةُ «كامِلٍ» فِي قَوْمِهِ
وَلِكامِلٍ فِي النُّبْلِ باعٌ طائِلُ
أَرَأَيْتَ بَدْرَ التِّمِّ لَيْلَ كَمالِهِ
وَرَأَيْتَ كَيْفَ يَكُونُ ذٰاكَ الْكامِلُ
لَمْ أُلْفِ «لِلْكيلانِي» فِي أَفْضالِهِ
نِدًّا ، وَما جاراهُ فِيها فاضِلُ
الْكامِلُ الْأَدَواتِ فِي الْأَدَبِ الَّذِي
بَلَغَتْ بِهِ «مِصْرُ» الزَّعامَةَ : «كامِلُ»

يا حارس الفصحى

من شعر الأستاذ : حليم دموس

يا حارِسَ الْفُصْحى وَناشِرَ ما انْطَوَى
مِنْ تالِدٍ مِنْها وَمِنْ مُسْتَطْرَفِ
أَلَّفْتَ بَيْنَ فُكاهَةٍ وَنَباهَةٍ
وَكَشَفْتَ عَنْ ذِهْنٍ نَقِيٍّ مُرْهَفِ
وَجَعَلْتَ هَزْلَ «جُحَا» دُرُوسًا لِلْحِجى
فَإِذا الْحَقائِقُ تَنْجَلِي فِي أَحْرُفِ
وَعَصَرْتَ مِنْها لِلْعُصُورِ وَأَهْلِها
كَأْسًا مِنَ الْأَدَبِ الرَّفِيعِ الْأَلْطَفِ
فَوَقَفْتُ فِي الْوادِي أَمامَكَ خاشِعًا
وَعَرَفْتُ أَنِّي جاهِلٌ لَمْ أَعْرِفِ !..

القاهرة ٢٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩٤٦

لم أجد مثل «كامل» عبقريا

من شعر الأستاذ: محمد صادق عرنوس

فَدَيْتَهُ أَلْفَ لَيْلَةٍ بِحَياةٍ .. رَنَّقَتْها لِيَ الْجُهُودُ الْعَنِيفَهْ
« قِصَّةُ السِّنْدِبادَ » دلّتْ تَمامًا أَنَّ باكُورَةَ الْجُهُودِ لَطِيفَهْ
كُنْتُ قبْلَ اجْتِلائِها لا أُسمِّى مِثْلَ تِيكَ الْأَشْياءِ إِلَّا سَخِيفَهْ
رَغْمَ تَقْرِيظِ أَلْفِ لَيْلَةَ كانَتْ فِي اصْطِلاحِي سَقِيمَةً وَضَعِيفَهْ
مَلَكَتْنِي - وَلَمْ أَسِرْ فِي ضِياها - فِكْرَةٌ نَحْوَها لَدَيَّ مُخِيفَهْ
غَيْرَ أَنِّي قَرَأْتُ شَيْئًا جَدِيدًا رَدَّ زَعْمِي وَلَمْ أُتِمَّ صَحِيفَهْ !
كانَ مِنْ فَوْقِها الْجَفافُ سِتارًا تَخْتَفِي تَحْتَهُ الْمَعانِي الطَّرِيفَهْ
سَطْحُها آسِنٌ وَما هُوَ إِلَّا قِشْرَةٌ تَحْتَها الْمِياهُ النَّظِيفَهْ
أَيُّ عَقْلٍ أَحالَ جِسْمًا سَوِيًّا بَعْدَ طُولِ الْفَسادِ تِلْكَ الْجِيفَهْ

* * *

لَمْ أَجِدْ مِثْلَ (كامِلَ) عَبْقَرِيًّا فِي يَدَيْهِ الْكَتَّانُ صارَ قَطِيفَهْ !
هٰذِهِ اللُّقْطَةُ الثَّمِينَةُ كانَتْ قَبْلَ وِجْدانِها لَقًى فِي تَنُوفَهْ

ما عَهِدْنا مِنْ قَبْلِ هٰذا لِطِفْلٍ لُغَةً فِي خِطابِهِ مَعْرُوفَهْ
بَلْ رَأَيْنا الْكَثِيرَ مِنَّا أَرادُوا عَبَثًا عَنْ مُرادِهِمْ تَعْرِيفَهْ
إِنَّ ما كانَ لِلرِّجالِ غَرِيبًا صارَ لِلطِّفْلِ عادَةً مَأْلُوفَهْ
يا أَبا « مُصْطَفَى » بِأَيِّ جِهادٍ أَصْبَحَتْ فِي السِّمانِ تِلْكَ النَّحِيفَهْ
هاتِ أَشْباهَها فَإِنَّ «عَلاءَ الدِّينِ» يَرْجُو مِنْ فَضْلِكُمْ تَثْقِيفَهْ
ثُمَّ أَمْطِرْ لَنا التَّآلِيفَ كُثْرًا نَجْتَلِيها أُطْرُوفَةً أُطْرُوفَهْ

ملأت بالحسن أبصاراً وأسماعاً

من شعر الأستاذ : نجيب هواويني

مَلأْتَ بِالْحُسْنِ أَبْصارًا وَأَسْماعًا
وَرُحْتَ تُبْدِعُ فِي التَّأْلِيفِ إِبْداعًا
الْيَوْمَ فِي قِصَصِ الأَطْفالِ أَعْجَبَنا
خَيالُكَ الْمُمْتِعُ الْمَحْبُوبُ إِمْتاعًا
نَعَمْ وفِي الْقَصَصِ الْمُخْتارِ أَبْهَجَنا
سامِي الْخَيالِ يُشِعُّ الْحُسْنَ إِشْعاعًا
وَفِي الْمَصارِعِ قَدْ جاوَزْتَ مُبْتَدِعًا
غاياتِ حُسْنٍ وَقَدْ شَنَّفْتَ أَسْماعًا

* * *

يا لاعِبًا بِفُنُونِ الْقَـوْلِ مُسْتَبِقًا
إِلَى الْعُلَى نِلْتَ فِي الإِبْداعِ إِجْماعًا

يا نافِثَ السِّحْرِ كَمْ هَيَّجْتَ مِنْ شَجَنٍ
وَكَمْ أَرَحْتَ مِنَ الْأَشْجانِ مُلْتاعَا

إِذا وَنَى فِي طَرِيقِ الْفَضْلِ سالِكُهُ
أَسْرَعْتَ أَنْتَ إِلَى الْغاياتِ إِسْراعَا

وَإِنْ يُقَصِّرْ بِذِكْرِ الْفَضْلِ عارِفُهُ
فَإِنَّ فَضْلَكَ بَيْنَ النَّاسِ قَدْ ذاعَا

كذاك فليكن التجديد فى الأدب

من شعر الأستاذ : أحمد الزين

كَذاكَ فَلْيَكُنِ التَّجْدِيدُ فِي الْأَدَبِ
والْفَضْلُ يُعْرَفُ بِالآثارِ لاَ الصَّخَبِ
هٰذِي صَحائِفُ كالمِرْآةِ صادِقَةٌ
تَجْلُو لَنا صُوَرَ الْماضِينَ عَنْ كَثَبِ
لِلّٰهِ بَيْنَ بَنانَيْ (كامِلٍ) قَلَمٌ
يَفِيضُ بِالسِّحْرِ مِنْ إنْشائِهِ الْعَجَبِ
تُمِدُّهُ فِكْرَةٌ فَيَّاضَةٌ عَرَفَتْ
مَواضِعَ الْجَدْبِ ، فانْهَلَّتْ مَعَ السُّحُبِ
إذا الْتَوَتْ سُبُلُ التَّفْكِيرِ سَدَّدَهُ
رَأْيٌ كَما انْشَقَّ جُنْحُ اللَّيْلِ بِالشُّهُبِ
وَحاطَهُ الْخُلُقُ العالِي وَبَرَّأَهُ
مِنْ أَنْ تُدَنِّسَهُ الْأَهْواءُ بِالْكَذِبِ
وَذُو الْيَراعَةِ إنْ يَلْعَبْ بِهِ غَرَضٌ
كانَتْ يَراعَتُهُ ضَرْبًا مِنَ اللَّعِبِ

قمت يا « كامل » بالعبء

من شعر الأستاذ: محمود أبو الوفا

نَشِّئِ الطِّفْلَ عَلَى الْفَضْلِ الَّذِى
أَنْتَ فِى مِرْآتِهِ خَيْرُ مِثالِ

وابْعَثَنْ مِصْرَ عَلَى ما شِئْتَها
أُمَّةً طَالَ بِها حُبُّ الْكَمالِ

لَيْسَ إِلاَّ الطِّفْلُ إِنْ أَصْلَحْتَهُ
تُصْبِحُ الدُّنْيا عَلَى أَحْسَنِ حالِ

كُلُّ شَعْبٍ صَلُحَتْ أَطْفالُهُ
كانَ هٰذا الشَّعْبُ مَرْجُوَّ الْمآلِ

قُمْتَ يا « كامِلُ » بِالْعِبْءِ الَّذِى
دُونَهُ تَنْدَقُّ أَعْناقُ الرِّجالِ

مِنْ نَصِيبِ الْخُلْدِ ما تُبْدِعُهُ
مِنْ مَعانٍ ساحِراتٍ وَخَيالِ

مِنْ نَصِيبِ الْخُلْدِ ما تَبْذُلُهُ
مِنْ دَمٍ غالٍ لِأَسْفارٍ غَوالِ

لاَ أَرَى الطِّفْلَ الَّذِى نَشَّأْتَهُ
غَيْرَ عُنْوانٍ عَلَى نُبْلِ الْخِلاَلِ

ضريبة الحق (١)

من شعر الأستاذ : محمد صادق عنبر

ضَرِيبَةُ الْحَقِّ عَلَى الْواجِبِ
لا مِنَّةُ الصَّحْبِ عَلَى الصَّاحِبِ

تَكْرِيمُ «مِصْرٍ» ذاتَها في فَتًى
أَكْرِمْ بِهِ مِنْ شاعِرٍ كاتِبِ

النَّافِثُ السِّحْرَ هُدًى بَيِّنًا
صُبَّ مِنَ الْحِكْمَةِ في قالَبِ

والْمُرْسِلُ الْآياتِ تَعْدادُها
أَعْيا عَلَى الْحاسِدِ والْحاسِبِ

والْمُنْشِئُ الْجِيلَ بِأُسْلُوبِهِ
عَلَى جَلالِ الْحَقِّ والْواجِبِ

لَوْ أَنَّنِي عُدْتُ لِدُنْياكُمُ
لَقُمْتُ في مَوْكِبِهِ الْواكِبِ

مُحَيِّيًا فِيهِ (النَّقِيبَ) الَّذِي
طالَعَنِي بِالْعَجَبِ الْعاجِبِ

---

(١) نظمها على لسان أمير الشعراء أحمد شوقى — فى مناسبة الحفل الذى أقيم لتكريم الأستاذ «كامل كيلانى» .

مِنْ كُلِّ نَثْرٍ مِثْل نَظْمِ الْمُنَى
رُدَّتْ عَلَى الْمُسْتَيْئِسِ النَّاصِبِ
وَكُلِّ مَغْنًى عَبْقَــرِيٍّ بَدَا
أَحَبَّ مِنْ عَوْدِ الصِّبا الذَّاهِبِ
وَكُلِّ بَيْتٍ لِلنُّهَى حُجَّـــةٌ
لِساحِهِ مِنْ حُسْنِهِ الْخـــالِبِ
وَكُلِّ سِفْرٍ كانَ لِلْمُجْتَلِى
كَأْسًا بِها طِيفَ عَلَى الشَّارِبِ
ذٰلِكَ إِكْلِيلِى عَلَى رَأْسِــهِ
مِنْ يَدِ لا راجٍ وَلا راهِبِ
فَــكَرِّمُوا آياتِهِ ، إِنَّهـــا
سافِرَةٌ فِيكُمْ بِلا حاجِبِ
وَأَكْبِرُوا الْهِمَّـــةَ ، ثُمَّ اْدْأَبُوا
كَدَأْبِهِ ، فَالْفَضْـلُ لِلدَّائِبِ
فَالْعَصْرُ تَمْجِيدٌ لِذِى هِمَّـــةٍ
وَلَيْسَ هٰذا الدَّهْرُ بِاللَّاعِبِ

خير العلا ما رعاه الشباب

من شعر الأستاذ : حسن القاياتي

أَمَا والْـكِتابِ وَرَبِّ الْـكِتابْ
يَمِينًا لَقَدْ جاءَ فَصْلُ الْخِطابْ !
تَأَلَّقَ تارِيخُنـــــا فازْدَهَى
شَـــبابًا يَزِينُ الْحِجا والشَّبابْ
تَلِيدٌ تَسامَى إِلَيْـهِ الطَّرِيفُ
فَأَلْبَسَ شَمْطاءَ حُسْنَ الْـكَعابْ !

* * *

أَ « كامِلُ » يا زِينَةً فِي الْخِلالِ
و ـ إِنْ شِئْتَ ـ يا زِينَةً فِي الصِّحابْ !
كَتَبْتَ ؛ فَـكَمْ رَوْعَةٍ وابْتِـكارٍ
إِذِ الْعِلْمُ فِي نَهْـبَةٍ واغْتِصابْ
كِتابٌ تَسَلْسَلَ عَنْ نُهْـيَةٍ
فَأَعْجَبَ ، أَمْ نُهْيَةٌ فِي كِتابْ ؟

تَصَفَّحْتُهُ فانْقَضَى رِقَّةً
فَواهًا لِمَعْسُولِهِ ، كَيْفَ ذابْ ؟ !

* * *

مَصارِعُ قَوْمٍ رَسَوْا كالْهِضابِ
جَلالاً ، وَقَوْمٍ طَفَوْا كالْحَبابْ !
خَلائِفُ أَوْلَيْتَهُمْ بالنِّقاشْ
حَياةً ، كَما أُنْشِرُوا لِلْحِسابْ !
فَكَمْ سَيِّدٍ مِلْءِ عَيْنِ الْهُدَى
وَفَتّاكَةٍ لِلْهَوَى والشَّرابْ
أَرَى النّاسَ أَسْناهُمُ الْمُصْلِحُونَ
وَفِيهِمْ دُعاةُ الرَّدَى والتَّبابْ

* * *

هُوَ الدَّهْرُ : سِيّانِ حَمْلاتُهُ
ـ لَدَى فَتْكِهِ ـ وَعَوادِي الذِّئابْ
وَدُنْياكَ ، لا الشَّرُّ كانَ الْعِقابُ
لَدَيْها ، وَلاَ الْخَيْرُ كانَ الثَّوابْ

أهينَ الكتابُ برأسِ « الوَليدِ »
وَريعَتْ بـ « عُثمانَ » آيُ الكتابْ !

* * *

كما شئتَ ، غالِبْ لِبَذلِ العُلومِ
فإنَّ حيــاةَ الأَبِيِّ الغِلابْ !
جَلالُكَ أَنْ رُحتَ مِلْكَ النُّهَى
وأهلُ الجَهالَةِ طُرًّا غِضابْ
أَعزُّ البِنَى ما بَناهُ الكِتابُ
وَخيرُ العُلَى ما رَعاهُ الشَّبابْ !

سيد الأحرار طرّا كاتب

لَمْ يَسُدْ « كامِلُ » حَتَّى اكتَمَلا
وَسَما بالنَّشءِ ، حَتَّى اعتَدَلا
سَيِّدُ الأَحرارِ طُرًّا ، كاتِبٌ
يَبْتَني مِنْ كُلِّ طِفلٍ رَجُلا !

حسن القاياتي

وقد لبيت من مصر ونيل

من شعر الأستاذ : إسماعيل سرى الدهشان

يَعِيشُ النَّاسُ لِلأَحْياءِ لَكِنْ أَدِيبُهُمُو يَعِيشُ لِكُلِّ جِيلِ
وَيَقْرأُ فَوْقَ مَكْتَبِهِ كِتاباً فَيَقْطَعُ ـ كُلَّ يَوْمٍ ـ أَلْفَ مِيلِ
فَإِنْ شِئْتُمْ بِهِ خُلُقاً غَرِيبًا فَنِسْبَتُهُ إِلَى السَّفَرِ الطَّوِيلِ !
يُناجِي ساكِنِي الأَحْداثِ حِينًا فَتُنْبِئُ ، إِنَّما فِي غَيْرِ قِيلِ
تُلَقِّنُهُ الْفَضائِلَ واتِراتٍ فَيَعْرِفُ فَضْلَ آباءِ الْقَبِيلِ
وَرُبَّ رَذِيلَةٍ فِي عَصْرِ قَوْمٍ تَبِيتُ فَضِيلَةَ الْعَصْرِ السَّلِيلِ
وَلِلتَّمْدِينِ فِي الأَخْلاقِ سِحْرٌ يَرِينُ عَلَى نُهَى الْفَدْمِ الضَّلِيلِ
فَيَأْلَفُ بَهْرَجَ الْفَوْضَى وَيَمْضِي ـ مَعَ الأَهْواءِ ـ فِي شَرِّ السَّبِيلِ
وَكَمْ مِنْ فاضِلٍ جافَى السُّكارَى فَكَمْ سَخِرُوا مِنَ الرَّجُلِ الْفَضِيلِ
فَيَتَّخِذُ الْكِتابَ سَمِيرَ صَفْوٍ فَيَكْفِيهِ مُهاتَرَةَ الثَّقِيلِ

* * *

وَكَمْ مِنْ فِكْرَةٍ عَرَضَتْ بَرِيقًا وَلاحَقَها ـ وَقَدْ طَفِئَتْ ـ مَخِيلِي
وَإِذْ بِمُؤَلَّفٍ لِأَدِيبِ قَوْمٍ تَناوَلَها بِهِ ، فَشَفَى غَلِيلِي
وَأَفْضَلُ مُخْرِجٍ لِلنَّاسِ كُتْبًا مُحَدِّثُ ذٰلِكَ الطِّفْلِ الْجَمِيلِ

يُصانِعُهُ مُصانَعَةَ الْمُداوِى إذَا عَزَّ الدَّواء عَلَى الْعَلِيلِ
فَيَشْرَبُ بِالْكِتابِ الطِّبِّ مَغْنًى وَيَأْخُذُ عِلْمَهُ فِى السَّلْسَبِيلِ
طَرائِقَ فِى الثَّقافَةِ مُبْدَعاتٍ لِكامِلٍ : ذٰلِكَ اللَّبِق الْجَلِيلِ
يُعِدُّ إلَى الْغَدِ الأَبْطالَ ، حَتَّى يُمِدُّوا مِصْرَ لِلْخَيْرِ الْجَزِيلِ
أَخِى فِى الْمُخْرِجاتِ ، لِغَيْرِ مالٍ تَآخَيْنا ، وَحَسْبِيهِ خَلِيلِى
سَهِرْنا نَحْرُسُ الآدابَ حِينًا وَما كانَتْ تُؤَمِّلُ مِنْ كَفِيلِ
وَمَنْ آخَى ـ لِخَيْرِ الْعِلْمِ ـ نَدْبًا فَتِلْكَ عَلامَةُ الْخُلُقِ النَّبِيلِ
وَمَنْ يَلْحُ الأَدِيبَ بِغَيْرِ حَقٍّ أَقامَ عَلَى شَفا الْجُرُفِ الْمَهِيلِ
وَمَنْ لِلنَّقْدِ راحَ يُقِيمُ وَزْنًا تَقِفُهُ السُّحْبُ مِنْ قِبَلِ الْمَسِيلِ
وَخَيْرُ النَّقْدِ نَقْدٌ فِيهِ رُوحٌ مِنَ الإِخْلاصِ ، لا الْحَسَدِ الدَّخِيلِ
فَشَمِّرْ لِلْوُثُوبِ ، وَلُذْ بِحَزْمٍ لِياذَكَ ـ مُذْ عَرَفْتُكَ ـ يا زَمِيلِى
وَحَبِّرْ فِى الصَّباحِ لَنا كِتابًا وَسَوِّدْ غَيْرَهُ عِنْدَ الأَصِيلِ
وَأَىُّ الْوالِدِينِ أَبَرُّ صَوْتًا وَقَدْ لُبِّيتَ مِنْ مِصْرٍ وَنِيلٍ !

علّم الأطفالَ أسرارَ اللُّغى

من شعر الأستاذ: عبد الله الدشلوطي

قُوَّةٌ مُلْهِمَةٌ فِي عَصْرِهِ
نافِذ الْعَزْمَةِ ، فَوَّارُ الذَّكاءْ
ناصِحُ الْفِكْرَةِ ، مَصْقُولُ الحِجا
بارِعُ الرَّأْيِ ، نَقِيبُ الْأُدَباءْ
حُبُّهُ « لِلضَّادِ » حُبٌّ صادِقٌ
لَمْ يُدَنِّسْهُ نِفاقٌ أَوْ رِياءْ
عَلَّمَ « الْأَطْفالَ » أَسْرارَ اللُّغَى
فِي بَيانٍ سَلْسَلٍ ، يُرْوِي الظِّماءْ
فَسَما عَنْ هٰذِهِ الْأَرْضِ بِهِمْ
باسِمَ الثَّغْرِ – إِلَى أَعْلَى سَماءْ
هَمُّهُ أَنْ يَنْشَأَ « الطِّفْلُ » كَما
نَشَأَتْ « يَعْرُبُ » : مَهْدُ الْفُصَحاءْ
خِدْمَةٌ لِلضَّادِ ، والشَّرْقِ مَعًا
عَلَّمَتْنا كَيْفَ نَسْمُو بِالْوَفاءْ

لَوْ بِوادِى النِّيلِ يُجْزَى نابِهٌ
حَظَّهُ الْأَوْفَى . جَزَيْناكَ ذُكاء
غَيْرَ أَنَّ الْحِقْدَ فِيهِ قَدْ نَما
وَنَماء الْحِقْدِ مِفْتاحُ الْفَنــــاء
لَيْتَ شِعْرِى - والْأَسَى يَمْلَؤُنِى -
ما الَّذِى نَجْنِيهِ مِنْ غَرْسِ الْعِداء ؟ !
جَمَعَ اللهُ قُـــلُوباً بُعْثِرَتْ
فَغَدَتْ - مِنْ إِثْمِ ما تَحْوِى - هَواء !

محاورة شعرية

بين الماحى والكيلانى

بعث الأستاذ محمد مصطفى الماحى إلى الأستاذ كامل كيلانى الأبيات الآتية :

أَبا «مُصْطَفَى» : هاتِ الْبَيانَ الْمُهَذَّبا
فَأَكْرِمْ بِهِ لِلنَّاشِئِينَ مُؤَدِّبا

عَرَفْتُ لَكَ الْفَضْلَ الَّذِى لا يَرُدُّهُ
مَقالُ جَحُودٍ : ما أَضَلَّ وَأَكْذَبا

وَأَكْبَرْتُ فِيكَ الْعَزْمَ والْحَزْمَ والْحِجَى
وَرَأْياً حَصِيفًا يَسْتَشِفُّ الْمُغَيَّبا

طلَعْتَ عَلَى الْآدابِ طَلْعَةَ ماجِدٍ
فَكُنْتَ لَها حِصْناً ، وَكُنْتَ لَها أَبا

شَأَوْتَ كِرامَ الْكاتِبِينَ ؛ فَأَنْصَتَتْ
مَسامِعُ أَقْوامٍ أَطالُوا التَّعَجُّبَا

وَما عَجَبٌ أَنْ يُبْصِرُوا الْبَدْرَ هادِياً
وَلا عَجَبٌ أَنْ يَسْمَعُوا الشَّدْوَ مُطْرِبا

فَزِدْنا بِما أُوتِيتَ عِلْماً وَحِكْمَةً
وَأَطْلِعْ عَلَيْنا مِنْ سَمائِكَ كَوْكَبا

فردّ عليه الأستاذ « كامل كيلانى » بالأبيات الآتية :

أَخِي لَمْ تَزَلْ تُولِي الْجَمِيلَ مُحَبَّبَا
وَتَشْدُو بِأَلْحانِ الْوَفاءِ فَتُطْرِبَا
تَفَضَّلْتَ بِالْمَدْحِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
وَأَسْدَيْتَ فَضْلًا مُبْدِئًا وَمُعَقِّبَا
وَفِي الْحَقِّ وَالْإِنْصافِ أَنَّكَ واهِبٌ
صِفاتِكَ تُسْدِيها إِلَيَّ تَحَبُّبَا
وَقَدْ كُنْتَ فِي مِرْآةِ نَفْسِكَ رائِيًا
فَضائِلَكَ الْحُسْنَى وَعَنْهُنَّ مُعْرِبَا
فَيا « مُصْطَفَى » هَبْنِي بَيانَكَ لَحْظَةً
أَصِفْكَ بِهِ إِنْ عَقَّنِي الْقَوْلُ أَوْ أَبَى
أَراكَ الْفَتَى كُلَّ الْفَتَى فِي عَزِيمَةٍ
وَشَيْخًا ـ إِذا ساسَ الْأُمُورَ ـ مُجَرَّبَا
فَلا زِلْتَ ذُخْرًا لِلْوَفاءِ وَلَمْ تَزَلْ
تُغَنِّي بِأَلْحانِ الْوَفاءِ فَتُطْرِبَا

بَعدُ الوفاة

قُلْتُ لِلشَّاعِرِ ، والشَّا
عِرُ ذُو عَقْـلٍ يَطِيشُ
أَنْتَ إِنْ عِشْتَ تَمُتْ جُو
عاً ، وَإِنْ مِتَّ تَعِيشُ

« الزهاوى »

اختار « كامل كيلانى » جوار ربه مساء ٩ أكتوبر ١٩٥٩ وصــدرت الصحف صباح ١٠ أكتوبر تحمل نعيه فى عبارات مضيئة تصور مدى الخسارة التى لحقت بأسرة القــلم بوفاة رائد من روّاد أدق فنونها وأعظمه أثرا ، وهو : أدب الطفل .

وكتب عدد من المفكرين والباحثين عشرات المقالات فى الحديث عن شخصيته وأعماله وأثره الفكرى . وحفلت صحف العالم العربى بالدراسات المتعددة .

وكان لا بد أن يضم هذا السفر الضخم هذه المرحلة من حياة « كامل كيلانى » . لتصور للباحثين والناقدين هـذا الجانب الذى كتب ، بعد أن طوى المترجم له لواءه ، ولم يعد يضرب فى معارك الصراع ، وقد انتهت الخصومات والمطامع ، وأصبحت الأقلام أقرب إلى الإنصاف .

كما ضم هذا الفصل الخطب والمراثى التى قيلت فى حفلة التأبين الكبرى التى أقيمت له فى نقــابة الصحفيين فى ١٥ من يناير ١٩٦٠ وهى واحدة من حفلات كثيرة شهدها عدد كبير من أعلام الفكر والثقافة والتربية والتعليم وأساتذة الجامعات ورؤساء تحرير الصحف وأعضاء مجمع اللغة العربية والمجلس الأعلى للآداب والفنون ، وكبار الشخصيات العربية ، وممثلو الهيئات الدبلوماسية من المملكة السعودية ولبنــان والمغرب والبحرين واليمن وتونس وليبيــا وإندونيسيا والباكستان .

وقد كانت هذه الكتابات « صادقة » ، فقد سجلت الإنصاف للرجل الذى أكبّ على أوراقه أربعين عاما ؛ حتى ذهب بصره ، ثم رُدّ إليــه ، وهو صامد صابر لا يعرف الدعاية ، ولا يلتفت إلى أصوات النابحين .

وهذه موضوعات الفصل :

حديث الوداع . . : إسماعيل الحبروك (الجمهورية) ١٩٥٩/١٠/١١
وداعا للفيلسوف . . . : أحمد رشدى صالح («) ١٩٥٩/١٠/١١
كان مجد التقدير خارج وطنه . : محمد زكى عبد القادر (الأخبار) ١٩٥٩/١٠/١١
احتفل بالفصيح ولم يغفل الأدب الشعبي: عبد الحميد يونس (الجمهورية) ١٩٥٩/١٠/١٢
الأديب الذى تحدى اللعنة . : كامل الشناوى («) ١٩٥٩/١٠/١٧
مات عملاق الأدب العربى . : على حافظ (المدينة المنورة) ١٩٥٩/١٠/١٦
الرجل الذى عبر إلى الشاطئ الآخر : أنور الجندى (المجلة) ١٩٥٩/١١/ ١
نسيج وحده فى أصالة الروح العربية : وديع فلسطين (التربية الحديثة) أكتوبر ١٩٥٩
مات صديق الأطفال . . . : رضوان إبراهيم (البلاد/السعودية) أكتوبر ٩٥٩
العمل للصغار . . . . : أبو مدين (الرائد / السعودية) ١٩٥٩/١١/٢
عقرب الثوانى . . . : محمود الشرقاوى (وطنى) ١٩٥٩/١١/٢٢
كامل كيلانى أديب الأطفال . : محمد عبد الوهاب شودرى (الكفاح/عدن) ٩٥٩/١٢/٥

حفلة التأبين :

النفس الزكية . . . . : عزيز أباظة
كامل كيلانى. . . . . : الدكتور محمد مظهر سعيد
الأديب الكامل . . . . : (قصيدة) على الجندى
حياة كاملة . . . . . : (قصيدة) طاهر الطناحى
إلى الروح الطاهرة . . . : عبد الله التل
قضى الله فى الخل الوفى قضاءه . : (قصيدة) محمد مصطفى حمام
كامل كيلانى. . . . : (قصيدة) خالد الجرنوسى
الصديق كامل كيلانى . . : (قصيدة) سيد إبراهيم
كامل كيلانى كما عرفته . . : (قصيدة) محمد مصطفى الماحى
الإنسان الخالد . . . . : (قصيدة) جليلة رضا
فى زمرة الخالدين . . . . : (قصيدة) الدكتور عبد الله عبد العزيز
مالئ الدنيا . . . . . : (قصيدة) محمد التهامى
أديب الجيل . . . . . : (قصيدة) محمود جبر
كلمة وفاء إلى روح الأديب. . : سامى العظم
إنسانية الكيلانى وشاعريته . : (قصيدة) كامل أمين
أبى كما عرفتموه . . . . : رشاد كامل كيلانى

حديث الوداع (١)

كامل كيلانى

يرثى نفسه على فراش الموت !

هذه الرسالة أتركها أمانة بين يديك :

« ألف قصة للأطفال و٣٠ كتاباً ، ولم يقدرنى أحد ! »

للأستاذ : إسماعيل الحبروك

كنت فى الطريق إليه . .

كل جسدى يرتعد . . وكل أعصابى تهتز . وقلبى يتعثر تحت وقع دقاته .

كنت فى الطريق إلى فراش رجل يموت ، ولا يريد أن يموت قبل أن يرانى . .

ودخلت إلى الغرفة البسيطة التى كان يرقد فيها الرجل الكبير . .

كان شارد النظرات . . زائغ العينين . . ضائع القوى . .

وقالوا له بصوت مرتفع : إننى وصلت .

وتحددت نظراته نحوى . . واستقرت عيونه . . ومدّ لى يده المعروقة المهزيلة بأصابعه النحيلة . .

وصافحت اليد الممدودة . . وقبلتها . . وكنت أقبل يداً لم تملّ القلم ولا الكتابة أربعين عاما على الأقل !

---

(١) جريدة الجمهورية فى ١١ من أكتوبر ١٩٥٩ .

كيف أدرك قرب نهايته ؟

وطلب أن نكون وحدنا ، ولا أحد بالمرة . . ودخلت الغرفة . .

لم يكن هناك غيرى . . وغير « كامل كيلانى » . . وأظن على مقربة منه كان يقف الموت ، فارداً جناحيه . . وكان الرجل يريد أن يتكلم . . كان يشعر أنه على موعد مع الموت بعد ساعات . . وقال لى :

ـ أعرف أننى سأموت . . وأن هـــذه هى النهاية . . وأن هذه الساعات الأخيرة من عمرى . .

لقد عشت حياتى أقرأ وجوه الناس . . وأعرف ما يقولون . . وما يخفون . . وقد قرأت فى وجوه كل من حولى أننى أموت !

إننى أريد أن أقرر حقيقة كبيرة ؛ هى أننى لم آخذ مكانى أبداً . . الحقد . . والحسد . . والغيرة ، أكلت كل المحاولات التى بذلت لأجلس على المقعد الصحيح ، وأقف فى المكان المناسب ؛ ولكننى غفرت لكل الذين أساءوا إلىّ ، ووقفوا فى سبيلى . . غفرت لهم ، وعفوت عنهم ، ودعوت الله أن يعفو عنهم أيضاً .

كانت الكلمات تخرج من فمه مرتجفة مجهدة متعبة منهوكة القوى . . كانت العبارات تمشى وراء بعضها ؛ وكأنها فى جنازة صامتة .. وعندما كانت تضيع بعض الكلمات ؛ كان يحرص على أن يوضحها ، وأن يشرح معناها .

كان دائماً مشرق الذهن لا يخونه اللفظ الجميل .. ولا يتخلى عنه التعبير الدقيق .. وكان كذلك وهو فوق فراش الموت . . ربما اهتزت العبارات ، وهى تخرج من فمه . . ولكن لم تهتز أبداً المعانى وهى تحيط بكلماته !

ألف قصة لكل الأطفال :

ثم قال :

لست أدرى : هل كنت أحس أنى سأموت بهذه السرعة ..
لقد حاولت أن أكمل مهمتى بالنسبة لـ « مكتبة الأطفال » ! ..

انتهيت من كتابة ألف قصة لكل الأطفال فى جميع مراحل طفولتهم وصباهم . أنهيتها .. وما زالت أصولا ، سوف تخرج بعد أن أخرج أنا من الدنيا ..

ولكن ما زالت كلمات المرحوم « محمد على علوبة » تطن فى أذنى .. وكانت دائماً تدفعنى لكى أعمل وأكتب ، بلا راحة ، ولا توقف !

قال علوبة (باشا) يوماً :

« إن كامل كيلانى هو صاحب الثورة البيداجوجية الرشيدة فى عالم الأطفال » .

هذه الكلمات القليلة كانت تكمن وراءها كل جهودى طوال السنوات الماضية !

لقد كتبت الكثير .. الكثير مما أعجز رجال الفكر ، فاعترفوا به ، وكنت أول واضع لـ « مكتبة الأطفال » ..

وها أنذا أموت .. واكتب عنى أنى لم أنل كلمة تقدير واحدة ..
لم أنل جائزة .. لم أقبض مليما واحداً ، مكافأة لى طول حياتى ..

وكانت دموعه تختلط بكلماته .. كان يبكى ، وهو يتكلم .. وكنت أبكى وأنا أستمع إليه .. وقد تلاشت عبارات المجاملة من أمام عينى ..

لم يكن الرجل يريد أن يسمع أحداً . كان فى حاجة إلى أن يسمعه أحد ..

كان يريد أن يتكلم ، بلا توقف .. لقد كان عنـــده كلام كثير ، ولم يكن عنده غير بضع لحظات .. ثم يقف قلبه .. ويقف لسانه ..

وكان الحديث يتعبه .. ورغم ذلك لم يتوقف عن الحديث ؛ فقد أحس بالقطار وهو يتحرك ، ويريد أن يقول كل شىء للواقف على الرصيف يودعه ..

وأخيراً قدرت الدولة مجهوداته

ثم قال :

لا أذكر فى حياتى أننى قصرت فى واجب نحو صديق ..

كان كل الناس أصدقائى ..

وتمرّد علىّ أعدائى ، فلم أستطع أن أروّضهم أبداً . .

لقد أحست الدولة بجهودى أخيراً .. ويوم قررت كتبى - على المدارس - شعرت أن الصبح أوشك أن يطلع ..

وذهبت لأشكر « كمال الدين حسين » ، فقال : لا شكر على واجب .

فقلت له : إن الشكر يجب أن يوجه للذين يقومون بالواجب ..

وهذا أول واجب تؤديه الدولة نحوى ..

قلت له ذلك .

* * *

وسكت الرجل قليلا .. وحاول أن يحرك يده ليمسح عن جبينه سحاب الموت ، فلم يستطع ..

سر يذيعه لأول مرة

واستجمع البقية الباقية من قواه ، وقال :

— هل تعرف : لماذا ترجمت النص الحــــرفى لقصة « أبو خربوش » إلى الإنجليزية ، ونشرتها فى الكتاب ؟ !

كنت أستمع إلى الرئيس « عبد الناصر » فى الإذاعة وهو يخطب بالإنجليزية . .

فقلت : من يدرى ! لعل من بين الأطفال من سيواجه مثل هذا الموقف ، فى يوم من الأيام ! فكيف لا يعرف لغة أخرى ؟

وترجمت الكتاب ، وأصبح الطفل يستطيع أن يقرأ بالعربية والإنجليزية نفس القصة بلغة بسيطة واضحة ..

هذا سرّ لم أقله لأحد ، ولكنى قلته لك الآن . .

يرثى نفسه

ورفع الكاتب الكبير رأسه ، فاقتربت منه ، فقال لى :

— هل معك ورقة وقلم ؟ اكتب ! هذه هى قصيدتى فى رثاء نفسى ، كتبتها وأنا أموت . . اكتب .

وبدأت أكتب :

إِلَى النُّورِ يَمَّمْنا لِأَكْرَمِ غايَةٍ
وَأَنْبَلِ أَهْدافٍ ، وَقَدْ صَدَقَ الْعَزْمُ
وَراحَ إِلَى الظَّلْماءِ يَجْهَدُ جُهْدَهُ
غَوِيٌّ تُزَكِّيهِ السَّفاهَةُ والْإِثْمُ
فَدانَتْ لَهُ الدُّنيا ، وَذُلِّلَ صَعْبُها
مُوَطَّأَةَ الْأَكْنافِ ، نِيرانُها سَلْمُ
تَبارَتْ خَفافِيشُ الظَّلامِ لِغايَةٍ
فَفازَتْ ، وَأَكْدَى فِي حَنادِسِها الْفَهْمُ
رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيا بِصَفْقَةِ خاسِرٍ
وَحَسْرَةِ مَغْبُونٍ ، وَذٰلِكَ لِي قَسْمُ
وَعالَمُ هَمٍّ : كُلُّ ما فِيهِ خادِعٌ
مَغانِمُهُ خُسْرٌ ، وَلَأْلاؤُهُ وَهْمُ
وَإِخْوانُ صِدْقٍ ، قَدْ تَكَشَّفَ وُدُّهُمْ
ـ لَدَى الْخُبْرِ ـ عَنْ خَصْمٍ يُؤَازِرُهُ خَصْمُ

وَرُضْتُ عَلَى مُرِّ الْحَقائِقِ شامِتًا
تمَرَّدَ كِبْرًا أَنْ يُنَهْنِهَهُ الظُّلْمُ
قَلِيلٌ مِنَ التَّهْرِيجِ يَحْمِى كِفايَتِي
وَيَرْفَعُ مِنِّى بَعْضَ ما خَفَضَ الْعِلْمُ
كما أَنَّ بَعْضَ الْجَهْلِ يَحْمِى رَزَانَتِي
لَدَى مَوْطِنٍ يُزْرِى بِصاحِبِهِ الْحِلْمُ
فَوافَرْحَتا : أَخْفَقْتُ فِي كُلِّ حَلْبَةٍ
تَبارَى بِها الْأَوْشابُ ، وانْتَصَفَ الْبَهْمُ
وَمالِيَ فِي أَحْجارِهِمْ وَكُهُوفِهِمْ
وَأَرْجاسِهِمْ خُبْرٌ ، ولا لِي بِها عِلْمُ
وَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيا قَناعَةُ زاهِدٍ
هِيَ الْعَجْزُ ـ فِي حِسْبانِهِمْ ـ وَهِيَ الْغُنْمُ
هِيَ الْغُنْمُ عِنْدِى ، وَهْيَ جَهْدُ طَبِيعَتِي
وَلَوْ شِئْتُ عَنْها حَوْلَةً وَهَنَ الْعَظْمُ

وسكت الشاعر ، الذى رثى نفسه ، وهو فوق فراش الموت . . وطلب منى أن أقرأ له ماكتبت . . وكان يسمع . وكان يشرح لى الكلمات العربية العريقة التى لم أكن أعرفها . . وكان يصحح لى لغتى عندما ألحن . .

وقال لى : إن بعض أبيات القصيدة قد ضاعت من رأسه . .

وقال : إنه لم يكتبها ، بل ظلت تطنّ فى رأسه ، وهو لا يعرف : من أين يبدؤها ؟ ولكنه عرف كيف يضع لها النهاية . . .

ثم أدار رأسه نحوى ببطء . وقال :

لقد عشت حياتى أتمثل ببيتين من الشعر . .

لم أتخلّ عنهما أبداً ، وكلما تعرّضت لمحنة أو مررت بامتحان . .

لم أكن أفعل شيئاً إلا أن أرددهما . . اسمع :

أَبْدَعْتَ : فاحْتَمِلِ الْمَكارِهَ صابِرًا
إِنَّ الشَّقاءَ الْحَقَّ أَجْرُ الْمُبْدِعِ
وَتَهَنَّـإِ الْفَـزَعَ الْمُؤَرِّقَ إِنَّهُ
زادُ الأَبِيِّ ، وَلَذَّةُ الْمُـــتَرَفِّعِ

هل تعرف لمن هذه الأبيات ؟

قلت : لا بد ا « ابن الرومى » .

قال : أبداً . .

قلت : إذن ا « أبى العلاء المعرى » .

قال : أبداً . .

قلت : لا أعرف . إذن لمن تكون ؟!

ولاحت على شفتيه بقايا ابتسامة . . شفتيه اللتين لم تسأما الابتسام أبداً . .

وقال : إنهما لكامل كيلانى !

كتبتهما وقت محنة ، وتمثلت بهما فى حياتى كلها . .

وثق . . يا أستاذ . . أن حياتى كلها كانت محنة مريرة ، حاولت جهدى أن أجعل منها ابتسامة حلوة . .

مخطوط هام ينتظر النشر

وألح عليه المرض أن يستريح ، ولكنه لم يقبل . فقال :
يا أستاذ : لقد تركت مخطوطاً هاماً . أرجو أن تساهم فى أن يخرج ..
تركت ١٨٠٠ صورة مقابلة بين الأدب العربى والأدب الغربى ..
وتركت أيضاً أصول أكثر من ٨٠٠ قصة لأولادى فى جميع أنحاء العالم العربى.
وتركت بيتين من الشعر ، أرجو أن تشرف — بنفسك ، مع أولادى — على كتابتهما فوق قبرى .. اكتبهما عندك :

«أَنْفَعُ النَّاسَ ، وَحَسْبِى أَنَّنِى أَحْيا لِأَنْفَعْ
أَنْفَعُ النَّاسَ وَمالِى غَيْرُ نَفْعِ النَّاسِ مَطْمَعْ !»

لقد تركت كل هذا أمانة لديك .

* * *

وغلبه الألم والمرض والموت . . وأدار رأسه . وعدت إلى يده أصافحها ولم تكن فى يده حياة . . ولكن كانت فى عيونه وعيونى دموع ؛ حجبت كلا منا عن الآخر ..

وتركته ، وخرجت . . تركته وحده مع الموت !!

وبعد ساعات اتصلوا بى ، وقالوا : «إن كامل كيلانى مات !!»

لقد مات فيلسوف عبقرى . . من بلادى .

وسيعرف الذين حاربوه أنهم إن استطاعوا أن يحولوا بينه وبين المجد فى حياته ، فلن يستطيعوا أن يحولوا بينه وبين الخلود فى مماته ..

رحمه الله . . وغفر لهم .

وداعا للفيلسوف[1]

للأستاذ : أحمد رشدى صالح

آخر مرة قابلته فيها حدثنى عن شيء فى حياته، أفظع بكثير من الموت . .

قال لى : يوم أن أصبت بالعمى الطارئ ، لم أنهزم أمام الظلام ؛ لأنى مؤمن بأن الأقدار أرحم من أن تتركنى أموت وأنا أعمى !

وانتصر الفيلسوف على العمى الطارئ ؛ لكنه انهزم — طوال حياته — أمام الجحود .

كان هو فى طليعة المثقفين علما وأدبا ؛ فتخطاه المثقفون ، وهم يدفعونه إلى الوراء ؛ ليقف فى آخر الصف ، وينتظر حتى يمرّ الجميع . .

أبعدوه عن الأضواء والمجد ، وتجاهلوه . . . وهم يعلمون أنه من أعمدة الفكر ، فى مرحلة كاملة من ثقافتنا .

ولم يرفع يده بالاحتجاج فى وجه أحد . . وكان يرى أنه موجود . . ليعطى الحياة ، لا ليأخذ منها .

* * *

وانتهز بعض الأدباء فرصة مرضه بعينيه ؛ فسرقوا ترجمات له ، ونشروها بأسمائهم . فلما استردّ بصره ، لم يرفع يده بالاعتراض . . . وظل يقول : دعهم يأخذون . إننى لا أحاسبهم على السرقة ، بل إنى حزين لنكران الجيل . . فهؤلاء الأدباء من تلاميذى !

ولولا تواضعه الشديد ، لقال : إنه هو الذى صنعهم ، وقدمهم للجمهور .

---

(١) جريدة الجمهورية فى ١١ من أكتوبر ١٩٥٩ .

وكان الفيلسوف فى صدر المفكرين المسيطرين على الثقافة العالمية والتراث العربى . . ومع هذا ، ظل يشعر بأن الآخرين ، يسحبون الأرض من تحت قدميه ، وبأنه كلما تقدم خطوة ، وجد فى انتظاره كأسا جديدة من الجحود !

وانزوى الفيلسوف فى صومعته . . يتحدث إلى من لا يعرف الضغينة ، ومن لا ينكر الجميل . . أولئك هم الأطفال : أحباؤه . . جمهوره . . والقراء المعجبون به ؛ الذين كانوا ينتظرون روائعه . .

وكان هو يشتاق إلى لقائهم ؛ لأنه كان — دائما — محتاجا إلى يد طاهرة نقية ، تعطى الحياة . . ولا تأخذ منها . .

ذلك هو الأديب الذى فقدناه أمس الأول ، فصدرت الصحف تنعاه فى أعمدة الوفيات ، وكان الحق أن ترثيه فى الصفحات الأولى !

لقد انطوى علـم كبير من أعلام الثقافة . . لحظة أن ذهب الناعى ينذر بأن « كامل كيلانى » قد صمت إلى الأبد !

كان يجد التقدير خارج وطنه[1]

بقلم : محمد زكي عبد القادر

منذ شهرين ، أو أكثر قليلا :

اتصل بى المرحوم الأستاذ « كامل كيلانى » ، وقال :

إننى مريض فى الفراش ، ولولا ذلك لزرتك . . ولعلك ترى اللجلجة فى كلامى ، فلسانى لم يعد ينطق بسهولة . . ولكننى لم أستطع — وأنا أقرأ يومياتك — إلا أن أقول لك : إن ما أوردته فيها من معنى ، قد عبر عنه « أبو العلاء المعرى » فى أبيات من الشعر .

وأخذ — رحمه الله — يتلو علىّ الأبيات . واستأذنته فى أن أنقلها ، وأخذت قلما وورقة ، واستعدت الأبيات ، وسجلتها عندى .

ولم يقف الحديث عند هذا . . إن « كامل كيلانى » إذا بدأ الحديث عن « أبى العلاء » لم يحب أن يفرغ منه . ولمحت أن صوته استقام وفتوّته القديمة عادت إليه ، وقضيت وإياه — فترة رقيقة ممتعة — فى حديث تليفونى ، ثم تمنيت له الشفاء .

* * *

وأمس : قرأت نعيه . . وما أشقّ أن أقرأه !

كانت فى الرجل بساطة وطيبة . . وشىء من الضيق بالناس ، لمكرهم ونكرانهم ؛ ولكنه سرعان ما يعفو ، ويقول : دع الخلق للخالق .

وكان — إذ يزورنى — يأبى إلا أن يكون حديثه كله شعرا وأدبا ، ورواية من الشعر والأدب .

---

(١) جريدة الأخبار ، فى ١١ من أكتوبر سنة ١٩٥٩ .

كان قوى الحافظة .. سريع البديهة .. يكاد يعى المئات ، بل والآلاف من أبيات الشعر . فيتلوها ؛ وكأنه يقرؤها فى كتاب .

وكان يختلط عليه الأمر فى بعض الأحيان ، فإذا بلغ بيته ورجع إلى كتبه ، اتصل بى يصحح ما أخطأ فيه ، أو يكمل ما نقص من حديثه .

* * *

ومكتبته للأطفال استنفدت منــــه جهداً كبيراً . كان يسير مع الطفل — وهو ينمو — سنة بعد سنة ، ومرحلة بعد مرحلة .. يصاحبه بقصصه وكتبه التى تنمو هى الأخرى معه سنة بعد سنة .. ومرحلة بعد مرحلة .. حتى إذا كبر ؛ استقام نطقه ، واستقامت معرفته للغة العربية .

* * *

كان — رحمه الله — يقول : إنه يجــــد التقدير خارج وطنه ، فى سائر البلاد العربية . أما فى وطنه ، فقلما لقى إلا الجحود والنكران ..

فلتكن هذه الكلمة تكفيراً عن ذنب الوطن ، وتحية للرجل الذى عاش ولا متعة له إلا الدرس والبحث والعمل ! !

احتفل بالفصيح ولم يغفل الأدب الشعبي (١)

بقلم : الدكتور عبد الحميد يونس

منذ يومين اثنين : طويت صحيفة رجل ، كابد الأدب ، وعمل على نشر الثقافة ، ما يقرب من أربعين سنة . وإذا لم تكن شهرته بين أبناء الجيل الصاعد ، كشهرة الذين يصطنعون وسائل الإعلان والفن فى هـــذه الأيام . . فإن أجيالنا تعرفه حق المعرفة . . . تعرفه بشخصه ، وأدبه ، وثقافته ؛ كما عرفت النوابغ والمثابرين فى الربع الثانى من هذا القرن . .

هذا الرجل ، هو المرحوم : «كامل كيلانى» .

القاهرة المتطورة

والذين عاصروا «كامل كيلانى» ، يذكرون أنه آثر أن يعيش فى القاهرة القديمة المتطورة ، بين الحلمية وعابدين . . وإن هذه الحقيقة ، تظهرنا على مزية واضحة من مزاياه ، بين المشتغلين بالثقافة فى تلك الأيام .

ذلك لأن المعتمدين على الترجمة من ناحية ، والعائدين من بلاد الغرب من ناحية أخرى ، قد عرضوا العقول والقلوب إلى نوع من الصداع ؛ جعل الفكر والشعور فى جانب ، والإرادة والسلوك فى جانب آخر .

أما «كامل كيلانى» ، فبرىء من هذه العقدة .

وكانت نشأته فى القاهرة القديمة المتطورة ، تحكى وحدة متجانسة ، تأتلف فكره وعاطفته وإرادته وسلوكه جميعاً . ومن يقرأ الآثار المنوّعة التى صدرت عنه ، يستطيع أن يدرك — فى يسر — أنها كانت ترتكز على تراثنا الأصيل ؛ ارتكاز القاهرة القديمة ، وتتطور فى هدوء وأناة ، محتفظة بجميع مقوّماتها .

---

(١) جريدة الجمهورية فى ١٢ من أكتوبر سنة ١٩٥٩ .

أريحية أدبية :

وعندما تألفت لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، وصدر العدد الأول من هذه الموسوعة فى أكتوبر عام ١٩٣٣ م . وجد الشبان الأربعة — الذين قاموا بهذه المغامرة العلمية — أن بعض أساتذتهم بدأوا يهاجمونهم ، وينتقصون من عملهم ، ويحرّضون عليهم أصدقاءهم ، ممن يكتبون فى الصحف .

وأحزنهم ذلك كل الحزن ، وكادوا ينصرفون عن متابعة نشاطهم . . .

فى تلك اللحظات الحرجة فى حياة الشبان : زارهم « كامل كيلانى » فى الغرفة الصغيرة الضيقة التى استأجروها ، وأخذ يشجعهم ، ويقدم لهم كل ما فى طاقته من عون أدبى .

منذ ذاك : استردوا طموحهم ، واستعادوا ثقتهم بأنفسهم ، وعرفوا « كامل كيلانى » : رجلا يحب الثقافة من حيث هى ، ولا يتعصب لجيله أو بيئته أو أصدقائه !

وكان من حظى أن أتصل بالأوساط الأدبية التى ازدهرت فى القاهرة القديمة المتطورة : فعرفت أن « كامل كيلانى » كان واحدا من ثلاثة يحبون الأدب ، ويشغفون بالمعرفة . .

كان أحدهم خطاطا مشهوراً . . لا تجد عبارة طبعت أو نقشت — بالخط الجميل — إلا وجدت توقيعه عليها .

وترك الآخر الأدب والثقافة ، ورحل يتعلم الطب فى فرنسا ، وإن ظلّ يقرض الشعر بينه وبين نفسه ، وبين زميليه .

واندفع الثالث : وهو « كامل كيلانى » فى تثقيف نفسه وتثقيف الآخرين . .

مكتبة الطفل

وقبل أن يعنى التربويون بتثقيف الطفل ، على أساس جديد يستغل الصورة واللون .. اهتم « كامل كيلانى » بهذه الثمرات الغضة ، وأوقف عليها أكثر نشاطه ، وأصدر لها مكتبة كبيرة مستقلة ، عرفت بـ « مكتبة الطفل » .

وكان بذلك واحدا من الروّاد الأوائل فى الاهتمام بالطفل .

وأيا كان رأى (البيداجوجيين) فى صنيع « كامل كيلانى » ؛ فإن الذى لاشك فيه ، أنه كان من أوائل الذين فكروا ودبروا ؛ وأفادوا من أمجاد العرب وسير الفحول ، كما أفادوا من أقاصيص الشعب العربى .

ولم يكن الرجل — رحمه الله — يؤلف لطفل لا ينمو على الأيام ، وإنما كان يؤلف طبقا للمراحل التى يتدرج إليها ؛ فيبدأ بالبسيط ، ويأخذ فى التعقيد شيئا فشيئا ، وكان اهتمامه باللسان العربى يفوق كل اهتمام .

الأدب الشعبى

وإذا كان « كامل كيلانى » — كأبناء جيله — قد احتفل بالفصيح . فإنه لم يغفل إطلاقا الأدب الشعبى الذى يتوسل باللهجات العربية ؛ ولكنه لم يجعله غاية فى ذاته ، بل أفاد منه فى تقويم الدرس الأدبى ، وإبراز الفلسفة الخاصة التى يستهدفها الأدب ، كما فعل فى محاولته إظهار فلسفة « جحا » . وإذا اتخذنا هذه الشخصية مثالا على صنيعه ، فإننا نلاحظ أنه خلصها من الشوائب التركية ، وردّها إلى أصلها العربى .

عقرب الثوانى

وهذا النشاط الذى توقف منذ يومين .. والسيرة التى استغرقت ما مرّ من هذا القرن .. تذكرنا بالصورة التى رسمت له ، والتى تعبر عن الحركة السريعة الدائبة ؛ وهى أنه كعقرب الثوانى ، يسير بلا توان .

لقد توقف هذا المقرب الذى يفصّل ما تجمله الساعة ، ويخفيه اليوم فى منازله الأربعة والعشرين . وسنظل أمداً ننظر إلى ثقافة هذه الفترة ، كما ننظر إلى ساعاتنا ؛ فنفتقد « كامل كيلانى » ، كما نفتقد النشاط المستمر فى عقرب الثوانى !

الأديب الذى تحدى اللعنة ![1]

بقلم : كامل الشناوى

ليست هذه الكلمات رثاء لكامل كيلانى ، ولا محاولة لدراسته ، وإنما هى خطوة قصيرة متعثرة خلف نعشه !

السبت

فى هذا اليوم : انتقل إلى الظل أديب كبير ، عاش حياته فى وهج الشمس يعمل ، ويكد ، ويعرق .

فى هذا اليوم مات « كامل كيلانى » : صاحب « مكتبة الأطفال » التى تضم سبعين كتابا : ومؤلف الدراسات الأدبية المتعــــددة ، والباحث وراء « المعرى » ، و « ابن الرومى » ، و « ابن زيدون » .

* * *

أى فراغ أحسه اليوم ؟ وأى حزن يمكن أن يملأ هذا الفراغ ؟ !

* * *

عرفت « كامل كيلانى » منذ ثلاثين عاما ، كنا شباناً ناشئين مولعين بالأدب ، وكان فى « الحلمية الجديدة » مقهى يتردد عليه بعض الأدباء والشعراء ، ومن بينهم « كامل كيلانى » .

إنسان دقيق الحجم ، قصير القامة ، أسمر اللون ، سريع النظرة واللفتة ، قلق ، لا يكاد يستقر على مقعد ، حتى يتركه إلى مقعد آخر . . . يروى الشعر ، والنوادر ، والحكايات . . وحوله ناس يهـزون رءوسهم إعجاباً ، ويضحكون بأصوات عالية !

---

(١) جريدة الجمهورية فى ١٧ أكتوبر ١٩٥٩ .

هؤلاء الناس كانوا أيضاً أدباء مثل « كامل كيلانى » . وهم : « محمد الهراوى » و « محمد عبد المطلب » و « أحمد الزين » .

كان « الهراوى » شاعراً معروفاً بأسلوبه السهل ، مثل :

أَنا فِي الصُّبْحِ تِلْمِيذٌ وَبَعْدَ الظُّهْرِ نَجَّارُ

وكان « الأسمر » ما زال شاعراً ناشئاً ، وكان شيخاً معمماً أنيقاً .

وكان « أحمد الزين » معروفاً بالشعر السياسى والاجتماعى ، وكان مكفوف البصر ، يحفظ كثيراً من الشعر القديم والنثر القديم ، وكان يرتدى العمامة أحياناً ، والبدلة الإفرنجية والطربوش أحيانا .

وكان « عبد المطلب » شاعراً بدوياً ، ينتهج أسلوب الشعراء الجاهليين . . وكان يمتطى حمارا .

هكذا عرفت « كامل كيلانى » من بعيد !

ثم عرفته من قريب ، بعد ما اشتغلت بالصحافة . .

كان يزورنى فى مكتبى ، ويحرص — فى كل زيارة — على أن يسمعنى جديداً من مختاراته ، وأغلب هذه المختارات من شعر « المعرى » وشعر « ابن الرومى » ، وكنت أسأله : ألا يخشى أن تحلّ به لعنة « ابن الرومى » ؟

فكان يقول : إن حبي لـ « ابن الرومى » يجعلنى أتحدى لعنته !

* * *

و « ابن الرومى » شاعر عربى جهير ، كان — فى حياته — كثير التشاؤم ، وقد أصبح — هو نفسه — شؤماً على من يقترب منه .

وقد ظل ديوانه — حتى الآن — غير مطبوع . ومنذ أربعين عاما بدأ الشيخ محمد شريف (بك) فى طبع ديوانه ؛ فلم يكد يصدر الجزء الأول ، حتى انتقل إلى رحمة الله .

وقد كتب الأستاذ « المازنى » دراسة عن « ابن الرومى » ؛ فزلت قدمه ، وظل طول حياته يعرج ، إلى أن مات !

وأصدر الأستاذ « عباس العقاد » كتاباً قيما عن حياة « ابن الرومى » . وعلى أثر صدور الكتاب ، حوكم الأستاذ « العقاد » بتهمة لا علاقة لها بالأدب ، وهى العيب فى ذات الملك « فؤاد » ، وصدر الحكم بحبسه تسعة أشهر !

* * *

وكان « كامل كيلانى » يرى أن شعر « ابن الرومى » فى السخرية يؤلف معرضا كاملا من الرسوم الكاريكاتورية . وقد اختار له مئات من الصور الرائعة ، مثل صورة البخيل ، وصورة الأحدب . وهو يمثل البخيل وقد بلغ من حرصه وتقتيره أنه لا يتنفس من طاقتى أنفه ، ولكن يتنفس من طاقة واحدة ، ويوفر الطاقة الأخرى :

يُقَتِّرُ « عِيسَى » عَلَى نَفْسِهِ   وَلَيْسَ بِبَاقٍ وَلا خالِدِ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لِتَقْتِيرِهِ   تَنَفَّسَ مِنْ مِنْخَرٍ واحِدِ !

* * *

أما الأحدب : فقد حلله « ابن الرومى » ، وعلل سر عاهته ؛ فقال :

إنه كان إنساناً طويل القفا ، كأنه مهيأ للصفع على قفاه . . وكأنه تلقى الصفعة مرة ، وخشى الصفع مرة ثانية ، فأخفى قفاه فى جسده وتجمع :

قَصُرَتْ أَخادِعُهُ وَطالَ قَذالُهُ   فَكَأَنَّهُ مُتَوَقِّعٌ أَنْ يُصْفَعا
وَكَأَنَّما صُفِعَتْ قَفاهُ مَرَّةً   وَأَحَسَّ ثانِيَةً لَها . . فَتَجَمَّعا

ليست هذه الكلمات رثاء لـ « كامل كيلانى » . . ولا محاولة لدراسته ، وإنما هى خطوة قصيرة متعثرة خلف نعشه !

الرجل الذى عبر إلى الشاطئ الآخر [1]

بقلم : أنور الجندى

عبر «كامل كيلانى» فى اليوم التاسع من أكتوبر سنة ١٩٥٩ إلى الشاطئ الآخر، بعد أن ترك لنا ثروة فكرية ضخمة؛ فقد كتب ألف قصة للأطفال وأكثر من عشرين مؤلفاً فى فنون مختلفة من الأدب والترجمة والنقد والتاريخ وتحقيق «رسالة الغفران» وديوان «ابن الرومى» و «ابن زيدون».

والحق أنه قضى «حياة عريضة» عزل فيها نفسه عن الناس، وعكف على أوراقه وأحباره يعمل جاداً، وينفق من صحته وأعصابه — فى سخاء بالغ — على الفكرة التى آمن بها، والتى امتلكت عليه نفسه فى السنوات الأخيرة؛ فانصرف من أجلها عن الكتابة الأدبية، واكتفى بها وحدها.

تلك هى فكرة «مكتبة الأطفال» التى بدأها منذ عام ١٩٢٩.

وما زال يعمل حتى اكتمل له منها ألف قصة، لم يطبع إلا ربعها.

* * *

ولقد كان «كامل كيلانى» — قبل ذلك — من أبرز كتابنا الذين شاركوا فى النشاط الأدبى مشاركة بعيدة المدى، أهلته لأن يكون «نقيباً للأدباء» على رأس عدد كبير من الشباب المثقف، الذين أصبحوا - من بعد - كتابا لامعين.

كما اشترك فى تأسيس رابطة «أبولو» مع الدكتور «أحمد زكى أبى شادى»، وأسهم فى تحرير عدد من الصحف الأدبية؛ فى مقدمتها مجلة «الرجاء» سنة ١٩٢٢، و «العصور» سنة ١٩٢٦، و «أبولو» سنة ١٩٣٣، و «الرسالة» سنة ١٩٣٦.

---

(١) مجلة «المجلة». أول نوفمبر ١٩٥٩.

ولكنه بعد أن شغل نفسه بـ « مكتبة الطفل » — التى يعدّ أحد روّادها الأوائل — قصر جهده على هذا العمل وحده . حتى مؤلفاته التى صدرت قبل ذلك ونفدت ، لم يفكر فى إعادة طبعها ، فيما عدا « رسالة الغفران » التى طبعت ثلاث مرات منذ صدورها عام ١٩٢٣ .

وقد حدثنى — رحمه الله — أن الترجمة الكاملة لـ « الغفران » معدة لديه — منذ سنوات — ولم تطبع بعد . فى هذه الترجمة : نقل « الكيلانى » قصة الغفران » من لغتها الأصلية الدقيقة ، إلى لغتنا التى تناسب القارئ الوسط .

كيف اتجه إلى القصة ؟

بدأ « كامل كيلانى » حياته الأدبية عام ١٩٢٢ ، على أسلوب يوحى بأنه سيأخذ مكانه الطبيعى بين صفوف الأدباء والمؤرخـــين ، وذلك حين ألقى محاضراته — عن الأدب الأندلسى — فى الجامعة المصرية القديمة ، وقد كان اتجاهه التاريخى أغلب . تشهد بذلك مؤلفاته : « ملوك الطوائف » و « مصارع الأعيان » و « نظرات فى تاريخ الإسلام » .

ثم برز اتجاهه إلى الشعر — وهو شاعر مجيد ؛ يخفى أحياناً آثاره الشعرية ، ويحتفظ بها لنفسه — حين بدأ يراجع « ابن زيدون » و « ابن الرومى » ووجد نفسه مع « أبى العلاء » ؛ فقد اتجه إليه بعنف وعاش معه طويلا ، وراجع أثره الكبير « الغفران » ، وحفظ أغلب شعره ، وكان يستشهد به فى كل مناسبة .

* * *

إلى هنا كان « كامل كيلانى » قد أنفق صدراً من حياته فى هذا الجوّ الأدبى التاريخى . . فكيف قفز - بعد ذلك - إلى القصة فعاش لها ، وحشد لها جهوده كلها ؟

الواقع أن الاتجاه القصصى عند « كامل كيلانى » اتجاه أصيل ؛ ولكن الاتجاهات الأصيلة قد تختفى فى النفس فترة من الزمن ، ثم تبرز — بعد ذلك — قوية واضحة ، وقد حدث هذا مع عدد كبير من الكتاب .

وقد كان الاتجاه القصصي عند « كامل كيلاني » نتيجة طبيعية لطابع شخصيته ومعالم نفسيته . ولو أنه لم يكتب القصة ، لعقّ فطرته ، ولظل فى عداد الأدباء ، ولم يقفز إلى صفوف « الرواد » .

إن كل أثر من آثار « كامل كيلانى » — فى مستهل حياته الأدبية — يعطينا خيطاً من خيوط شخصيته القصصية ، كما جاءت — من بعد — قوية خلابة ، عندما أبدعت هذا اللون الجديد من الأدب العربى ، وهو قصص الأطفال .

فإن التاريخ والشعر والأدب كلها نوافذ على الفن القصصى وإعداد له ، وهى (النواة) التى تخلق الرواية .

فإذا عدنا إلى مطلع شباب « كامل كيلانى » ، وجدنا حياته قد رسمت وفق أسلوب قصصى ؛ فقد تفتحت روحه على الأسطورة العربية ، فاندفع يقرأ كل أسطورة فى كل أدب .

قرأ « ذات الهمة » ، و « عنترة » و « سيف بن ذى يزن » ، و « فيروز شاه » و « حمزة البهلوان » ، و « الظاهر بيبرس » ؛ وهى فى مجموعها تبلغ ١٧٠ كتاباً ؛ ولكن هذا الرصيد الضخم لم يكف القارئ الطلعة ، الذى اندفع يقرأ الأساطير فى الأدب الأوربى : « روبنسن كروزو » و « جلفر » ، وغيرها من أساطير الهند واليونان ، فأنشأ بهذه القراءات — فى أعماقه — منطقة سحرية عجيبة ؛ ظلت تعيش فى أعماقه ، حتى انفجر حاجزها عند ما بلغ قوّته على هذه الصورة الرائعة !

وقد أمدّه « التاريخ » بالمادة الخام ؛ إذ قرأ كل القصص التى حوتها أمهات كتب التاريخ ، وأمدّه « الشعر » باللوحات الفنية .

وفى حـــديث — لى معه — قال : إنه بدأ حياته الأدبية بتأليف قصة ، أطلق عليها اسم : « سيرة الأمير صفوان ، وما جرى له بالتمام والكمال » .

وكان أول من أوحى إليه ، وكوّن ملكته الأدبية :

(١) الحاج مصطفى الحلبى ، بائع البسبوسة ، الذى كان يقف أمام حارتهم (وهو غير الحاج مصطفى الحلبى الناشر المعروف) ، فقد كان هذا البائع يحفظ — عن ظهر قلب — قصائد الشاعر الصوفى « عبد الغنى النابلسى » .

(٢) الشيخ محمود الملاح : الشــــاعر الذى كان يغنى — على الربابة — فى القهوة المواجهة لحارتهم .

(٣) الأسطى : محمد ــ الشيخ ــ العربجى .

وقال ــ رحمه الله ــ إن « الأسطورة » دعامة حياته . لقد كان الابن الرابع عشر لأمه بعد أن مات إخوته ؛ فنشأ فى جو سحرى يعبق بالأساطير والأغانى .

ويروى قصة طبع « سيرة الأمير صفوان » فيقول : إنه أرسلها إلى أحد الكتبية فى شارع الأزهر ؛ فأعجب بها ، وطلب مقابلة المؤلف .

فلما ذهب إليــــه ، وكان يلبس جلباباً قصيراً وقبقاباً . وسنه إذ ذاك خمسة عشر عاماً ، وكان يبدو أقل من ذلك ، نظراً لنحافة قوامه وقصر قامته .

فلما رآه الكتبى قال : ابنه ؟! (أى أنت ابن المؤلف ؟!) . لا ، بل أنا هو . . فنظر إليه فى شراسة ، وقال : روح يا شاطر يا حبيبى لما تكبر .

ومضى « الكيلانى » حزيناً ضيق الصدر ، تدور به الدنيا ، فقد فشل فى المعركة الأولى .. وكان — رحمه الله — يروى هذه القصة ، ويضحك ، ويقول : الحمد لله . فلو كانت هذه القصة قد طبعت ، لكانت مما يؤخذ علينا .

مفتاح شخصيته

و « كامل كيلانى » من أوائل الجامعيين ، وهو زميل لطائفة من رجال أدبنا المعاصر : « زكى مبارك » ، و « عبد الله القلقيلى » ، و « عبد الوهاب عزام » و « عبد الحميد العبادى » ، و « فريد رفاعى » ، و « أحمد البيلى » ، و « حسن إبراهيم حسن » .

ولعل أعجب مظاهر حياته : هى أنه فى الوقت الذى حفظ فيه ألفية « ابن مالك » ــ وهى من الدراسات الأزهرية الخالصة — حفظ « لافونتين » و « الحريرى » ؛ وكأنما أريد له أن يجمع أســـباب التبريز فى الأدبين : العربى والغربى على السواء .

وقد بدأ حياته الأدبية بـ « ابن الرومى » قبل أن يشتغل به « المازنى » و « العقاد » ، حيث حقق ديوانه .

قلت له مرة : أكان شؤماً عليك كما كان شؤماً على « المازنى » فيضت ساقه ، و « العقاد » قد دخل السجن ؟ فقال لى : لقد كان شؤماً على نفسه .

* * *

ولعل تحقيقه لـ « رسالة الغفران » ومؤلفاته المتعددة عن « الغفران » وهامشها ، من أبرز أعماله وأضخمها . فإذا قيل إن كتابه عن الأغانى العالمية التى ترجمها إلى العربية شعراً وموسيقى هو أعظم أعماله ، وهو الرائد الأول لهذا الفن ، قيل إن هناك عملا أجل خطراً ، لم يعرف عنه الناس شيئاً بعد ، بالرغم من جلاله وأهميته .

هذا العمل فى تقديرى هو مفتاح شخصية « كامل كيلانى » الأصيلة :

ذاك هو « الحديث » . . فالذين شهدوا « الكيلانى » — رحمه الله — وهو يتصدر صالونه الأدبى ، ويدير الحديث بلباقته الفذة ، يلمحون هذه الخصلة من خصاله ، إنه ما من فن أو علم او معنى أو قول قاله كاتب من الغرب أو الشرق - فى أى أدب من الآداب - إلا وجد له ضريباً فى اللغة العربية .

وقد جمع من « هذه المعانى » ١٨٠٠ صورة .

وهو يقول : إنها أبرع عملة فكرية فى الغرب ، بشهادة كبار النقاد . وقد أردت إيراد هذه المعانى وما يقابلها فى الآداب العالمية ؛ لأقنع شبابنا بجلال العربية وأدبها . وقد أضاف إليها من بعد ٢٥ « عملة فكرية » فى الأدب العربى ، لا ضريب لها فى الأدب الغربى بكافة فنونه وألوانه .

ونحن نطالب — اليوم — المجلس الأعلى للآداب والفنون ، بطبع هذه الآثار ، وإخراجها للناس .

وكان السر الذى دفعه نحو هذا البحث الشاق : أنه أيام كان طالباً فى كلية الآداب عام ١٩١٨ ، كان يجد أستاذه (برسى وايت) يزهى بأن ينشد مقطوعات من الآداب الأوربية ، ويقول : أن لا ضريب لها فى الأدب العربى .

فكان يتعقبه ، ويجدّ فى استخلاص ما يماثل هذه المقطوعات من الأدب العربى ، ويعارضه بها .

وكان « كامل كيلانى » — الطالب فى كلية الآداب — يحفظ إذ ذاك ٣٠ ألف بيت من الشعر .

وقد بدأ حياته الأدبية بمقالات فى النقد سنة ١٩٢٠ ، بإمضاء (ك. ك) ، أحسّ بعدها أنه تزعم الميدان ، وأحرز الشهرة ؛ فنفض يده من النقد وازدراه ، إذ رآه عملا يوصل إلى الشهرة دون عناء ، وهو الحريص على أن يصل بالجهد والعرق والسعى الموصول .

ويرى أن أعظم ما كان له من أثر ، هو نقده لـ « شوقى » ـ دون خصومة أو عنف ـ حين وجهه إلى كتابة المسرحية الشعرية .

فلما كتبها أحسّ « شوقى » بأن الخصومة بينهما قد انتهت ، ومن ثم صارا صديقين ارتبطت بينهما آصار الود الصادق ، والحب الأكيد .

* * *

قلت له ـ فى آخر لقاء ـ قبل وفاته بأيام :

أنت متهم بالتعصب للأدب العربى . فبالرغم من أنك تعلمت فى المدارس العصرية ، فأنت كلف باللغة العربية : شعرها ونثرها وحكمتها ، كلفاً لا يدانيه كلف الذين تلقوا هذه الدراسات فى الأزهر مثلا .

وقال لى فى صوته الخافت : إننى مفتون بكل أدب فتنة لا تقف عند حد . . . وفتنتى بالأدبين : الفرنسى والإنجليزى لا تقلّ عن فتنتى بالأدب العربى .

إننى مفتون بكل معنى رائع ، وليس فى هذه الآداب شىء ليس عندنا منه ما عند غيرنا ، وبالكيل الأوفى .

وقال : إننى لا أفضل أدبا على أدب ، ولا كاتباً على كاتب آخر ، ولا قصيدة على قصيدة أخرى ؛ إذ أن آية الجمال : أنك تعيش مع كل عظيم ، فتراه أشبه بالحسناء التى تنسيك جميع الحسان .

أبو العلاء وجحا :

أما « أبو العلاء » فيختلف .. وميزته عند « الكيلانى » أنه يعبر عن كل أفكاره ؛ فهو يرى نفسه شبيها به « إنسى الولادة . وحشى الغريزة » !

ويرجع هذا إلى أنه ولد فى أحضان جبل المقطم ، فألف — منذ طفولته — العزلة الباكرة ، وفلسفته ـ فى هذا ـ أنه لا يرتبط مع العالم إلا فى أضيق الحدود . وقد كان هذا مما أتاح له أن يقرأ ، ويستوعب ، ويحفظ الشعر .

وقد أحب شخصيتين فى الأدب العربى لا ترقى إليهما شخصية أخرى عنده ، هما : « المعرى » و « جحا » ، وهو يقول فى ذلك : إنهما يجمعان فى نفسه أهواءه وآراءه وأصداء نفسه ، فهو جماع بين « المعرى » العابس المتجهم ، و « جحا » الباسم الساخر .

ومما قاله لى : إنه ضاق بما أولى الأدب الإنجليزى شخصية « نصر الدين خوجه » ـ الذى هو جحا التركى ـ هذا التصدير .. فى حين أن جحا العربى : « أبو الغصن » دجين بن ثابت ، أقدم منه تاريخا . وإن أغلب ما نسب إلى « نصر الدين » : هو فى الحق من آثار « أبى الغصن » .

و « جحا أبو الغصن » ـ عند « الكيلانى » ـ يمثل الشخصية المصرية العربية الفكهة ، وتقوم فلسفة فكاهته على قاعدة : عامل الناس بما اختاروا أن يعاملوك به .

ومثال ذلك : أن أصحاب « جحا » قالوا له ، وقد وجدوا عنده (خروفاً) سميناً : القيامة ستقوم بكره ، ولذلك فإن (الخروف) لابقاء له . وذبحوه ، وأوقدوا النار لشيه .

فجاء « جحا » وألقى بملابسهم فى النار .. فلما سألوه دهشين ، لماذا فعل ذلك ؟

قال : « ألم تقولوا إن القيامة ستقوم بكرة ؛ إذن فلا حاجة لكم بهذه الملابس ! »

عقرب الثوانى :

ولد « كامل كيلانى » فى ٢٠ من أكتوبر عام ١٨٩٧ م .

كان والده مهندسا يحب الأدب ، وله مكتبة تاريخية بدأ مطالعاته منها .

وقد عاش « الكيلانى » حياته - كما يصف نفسه - طالباً مجداً ، لا يعرف محمدة إلا أنه طالب دائب التحصيل . وقد احتفظ بخطة التلميذ الذى يسأل نفسه كل يوم : « ماذا أفدت » . ويقسم أوقاته ساعات وحصصاً ؛ حتى يؤدى ما عليه من فروض وواجبات . وكل فضله ومحمدته أنه لم يحد عن هذه الخطة يوماً واحداً .

إنه يجعل برنامجه وفق أسطورة ، تقول :

« حدثوا أن فتى خرج فى طريقه إلى كنز سحيق ليظفر بماء الخلود . وزعموا أن مارداً قابله . وأعجب بأدبه وموفور فضله . ودفعه إعجابه إلى شرح الطريق التى توصله إلى الكنز . فقال له فيما قال : ستظل يا ولدى فى طريقك شهوراً وأسابيع وأياماً بين صحراوات قاحلة وتلال وآكام ، حتى تقترب من الكنز . ومتى دانيته ، سمعت دوياً وجلجلة ورعوداً وأصواتاً تتعالى بالزراية والتحذير ، وأخرى تتعالى بالثناء والتصفيق . وكلها تناديك ، فحذار أن تلتفت إليها - كما التفت إليها غيرك - وإلا مسخت صخرة ، كما مسخ غيرك من طلاب الكنز . »

ولقد استطاع « كامل كيلانى » أن ينجو فعلا : وأن يحقق غرضه إلى أبعد حد..

وقد وصف « شوقى » « كامل كيلانى » وصفاً دقيقاً ، حين قال :

« الكيلانى كعقرب الثوانى :

قصير ولكنه سريع الخطى ، منتج يأتى بدقائق الأمور ! »

نسيج وحده فى أصالة الروح العربية[1]

بقلم : وديع فلسطين

عرفت المربى الجليل « كامل كيلانى » منذ بضعة عشر عاماً ؛ فحببنى فيه شغفه بالأدب وولعه بالتربية ، وحديثه المترسل الشهى ، وخلقه الكريم الرضى ، وحفاوته بأهل الأدب والقلم ؛ عدا سماحة نفسه ، وصفاء روحه ، وأريحية عاطفته .

إذا اقتعد مجلسه بين الناس ، كانت له الصدارة ؛ فهو محدث لبق ، وراوية يملك الأسماع ، وأديب موسوعى الثقافة ، عميق الفهم لأبواب الفكر .

يقرأ بتفطن ووعى ، ويتكلم باستيعاب وشمول ، ويكتب بتدقيق العالم الأمين المكين . . فإن خشى أن ينبهم على السامع معنى من المعانى ، جلاه بعبارة مجلوة ، ووفاه حقه من الشرح والبيان .

ولم يكتف بهذا ، بل قابل شعر « المعرى » بشعر « شكسبير » ، ووفق بين « لامرتين » و « ابن الرومى » . وترجم الحديث العابر إلى شعر مكين رصين ؛ هدته إليه الذاكرة من ديوان « أبى العلاء » أو « ابن الرومى » أو « البحترى » .

فـ « كامل كيلانى » نسيج وحده فى أصالة الروح الأدبية ، وعمق الدراية بالأدب وتاريخه .

وهو — إلى ذلك — دؤوب فى القراءة ، غارق فى البحث ، لا يدع القلم من يده إلا عن كلل ، لا عن زهادة .

استهلّ حياته الأدبية بتحقيق « رسالة الغفران » لـ « أبى العلاء المعرى » ، وأردفها بكتب أخرى فى هذا الباب ، منها : « حديقة أبى العلاء » .

ومنها كتاب بالإنجليزية عن « أبى العلاء » و « دانتى » ، كتبه بالاشتراك مع المستشرق « براكنبرى » .

---

(١) «مجلة التربية الحديثة» : أكتوبر ١٩٥٩ .

عدا بحثه عن « ابن الرومى » وغيره من نفائس الكتب عن « حىّ بن يقظان » و « ابن جبير » .

* * *

أما « مكتبة الأطفال » فقد فتح بها « الكيلانى » فتحاً جديداً فى دنيا التربية القويمة الجادة ؛ فأصدر — حتى اليوم — قرابة مائتى كتاب ؛ بعضها مترجم ، وبعضها موضوع ، وبعضها معرب .

فاستطاع بمنهاجه السديد الموفق أن يقـــود الناشئة فى مدارج الأدب ، وهم معصومون من زلل الخطإ ؛ لأنه لا يستعمل إلا اللفظة الصحيحة ، ويضبطها ضبطاً محكماً ، ويكررها فى الكتاب الواحد ، حتى ترسخ فى ذهن القارئ على وضعها الصحيح .

وقد راجت هذه الكتب فى المشرق والمغرب على السواء ، لا سيما وقد ناسبت كل سن وكل استعداد : فأغراه نجاحها على إصدار طبعات منها باللغات الفرنجية : كالإنجليزية والألمانية والفرنسية والإسبانية .

لقد كان « الكيلانى » يعيش فى جنة فيحاء ، فيها أعلام الأدب وجهابذته : يسامرهم ، ويطارحهم المساجلات ، وفيها الأطفال الصغار يهذبهم ، ويجعل منهم ناشئة مرجوّة الغد .

فكأنما كان « الكيلانى » فى عرس مستديم ، وفرح مقيم . .

ولهذا لم يكد يرانى — وهو على فراش موته — حتى تحسر ؛ ثم أنشد ما قاله « البحترى » فى « إيوان كسرى » ، وكأنه يصف نفسه :

لَوْ تَراهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيالِى   جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتَماً بَعْدَ عُرْسِ

يرحم الله « الكيلانى » العظيم ، الذى فاضت روحه فى العاشر من أكتوبر الحالى ، ويتمم له الرسالة التربوية ؛ التى استهلها وانطلق لإنجازها بضمير حىّ وذهن متوقد وغيرة على الأدب والخلق والعلم !

مات صديق الأطفال[1]

بقلم : رضوان إبراهيم

تعرّفت عليه فى بواكير الصبا . . أول عهدى بالقراءة ، تعرفت عليه بين ثنايا السطور ، وتعرّفت – عن طريقه – إلى الروائع العالمية ؛ التى يسر السبيل إليها للناشئة العربية ، فى وقت مبكر .

وفى جلسة هادئة مع الأديب الفنان الأستاذ « سيد إبراهيم » (الخطاط) ، اقتحم الباب رجل ضئيل الجسم ، أسمر الوجه ، نصف أصلع ، قد امتصت السنون كثيرا من نضرة وجهه وبريق عينيه ، وحفرت على هذا الأديم أخاديد مستقيمة ومتعرجة !

وقدّمنى المضيف إليه وقدمه إلىّ ، فإذا أنا مع « كامل كيلانى » وجها لوجه ، وكنت سعيدا وأنا أشدّ على يده ، كأننى عثرت على كنز . وإن كنت قد بهتّ . وأنا أتأمله وأقارن بينه وبين الصورة الرائعة التى رسمت فى خيالى لذلك العملاق .

ولا أدرى كنه الشعور الغامض الذى اختلج فى نفسى : أكنت أودّ أن أراه أو أن أغمض عينى ؛ حتى لا أنفر الصورة الخرافية التى استقرت فى نفسى كما هى ، بروعتها وقوّتها وفتوّتها ، وما فيها من عناصر زاهية !

لا أدرى ! ولكن الذى حدث أننى قضيت معه وقتا لذيذا ، تحادثنا فيه كما يتحادث الأصدقاء القدامى . ويومها اختصنى بقصة لذيذة – من قصصه – لم تكن قد أخذت طريقها – بعد – إلى الورق : قصة بطولة صبى .

فقد كانت مدينة القاهرة مشحونة بالتوتر ، تعيش على أعصابها يومئذ لبعض الأسباب السياسية ، وخرج الطلبة فى مظاهرات اجتاحت العاصمة ، واندسّ بينهم حفنة من ذوى الأيدى المخربة . وكانت « مكتبة الكيلانى للأطفال » هدفا لعدوان بعض هذه الأيدى ، دون أن تدرى ماذا تجنى ؟ !

تماما كما كانت مكتبات « بغداد » هدفا لهجمات التتار .

---

(١) مجلة « البلاد » السعودية فى ٢٧ من ربيع الثانى سنة ١٣٧٩ هـ .

ولكن ما هدأ الفوران ، حتى أقبل صبى من صبيان مدرسة « عابدين » يسعى إلى « كامل كيلانى » . ودهش الرجل ، حين رأى الصبى يحمل إليه ما استطاع جمعه من كتب وأدوات بعثرتها الأيدى ساعة الزحام .

وأكبرَ « صديق الأطفال » هذا العمل من صبى ، وكأنما وجد فيه عزاء عما يبذله من راحة جسمه ، ونور عينيه فى سبيل غرس المثل العليا فى أمثال هذا الصبى ، وكأنما حلّ هذا الصبى — من حيث لايدرى — عقدة كبيرة فى نفس « الكيلانى » ، هى عقدة الجحود الذى يلقاه من المجتمع العاقّ ، فجاء يردّ إليه ثقته بنفسه فى أسلوب جميل من الوفاء الكريم .

وعرض علىّ — يومها — أن أحمل هذه القصة إلى أحد أصدقائى من الصحفيين ، ليشيد بصنيع هذا الصبى على صفحات الصحف ، ريثما يستطيع هو صوغها فى قصة يخلد بها هذا العمل النبيل .

ظلت فرحتى بلقاء « كامل كيلانى » والتعرف به ؛ حتى غشيتها سحابة حزن ، حين شكا لى المرحوم الدكتور « أحمد زكى أبو شادى » فى مهجره ما يلقاه من جحود صديقه القديم « كامل كيلانى » ؛ فقد كان عطفى على قضية « أبى شادى » المضطهد المغترب . . يخيل إلىّ أن خصومه إنما هم خصوم لشخصى .

ولكن هذا لم يمنع أن نلتقى فى أضحيات الجمعة فى ساحة « الكازينور » على شاطئ النيل ، حيث يمتد بساط الأدب ، وتترامى أطراف الحديث بين القديم والجديد ، ويتحدث « كامل كيلانى » ، ونستمع إلى أقاصيصه وفكاهاته ونوادره ، وهو يشير بذراعيه القصيرتين ، ويتفرّس فى وجوه المستمعين من خلال منظاره الأحمر السميك ، الذى أنقذه — كما يقول — من العمى .

ولكن شعور « كامل كيلانى » بالإهمال والجحود والتنكر لجهوده ، كان يلقى ظلا من المرارة على أحاديثه ؛ فما يكاد يسترسل فى أحاديثه العذبة حتى يعرج — مرغما — على ما يبذل من جهود ، وما تلقاه جهوده من نكران .

ومع ذلك فلم يفلّ هذا الشعور من نشاطه ، ولم يوهن عزيمته ، ولم يثر حقده على المجتمع ، بل ظلّ يواصل أداء رسالته من أجل النشء العربى ، الذى وقف عليه جهود أربعين عاما . ينشئ وينمق ويبتكر ، أو يلخص وينسق ويبسط ؛ ليقدم كل يوم جديدا إلى الأطفال الذين يشبون ويكبرون ويتطورون ، وتكبر معهم جهود هذا الأدب الروحى .

وما أصعب مهمة من يؤلف للأطفال : إنه يزن كل كلمة ، بل كل حرف ، وكل عبارة ، بل كل جرس وكل فكرة ، قبل أن يضعها على الورق ؛ حتى لاتصدم العقول الغضة ، أو تتعثر دون الوصول إلى الآذان المرهفة ، أو يصعب تناولها على الأذهان الوليدة . وكثيراً ما يقضى المتصدى لهذا اللون من الكتابة ليله ونهاره ، يقلب الأفكار والعبارات . ويبحث فى عرض الأفق عن نقطة أو خطرة ، يهديها ناعمة معطرة بهيجة كالزهرة لهذا الجيل المتفتح ، كى يمنحه المتعة واللذة والفائدة معا ، وليبنى عقله ووجدانه بناء سليما متماسكا .

ولقد نجح « كامل كيلانى » : نجح فى أن يهب أطفالنا عشرات القصص فى سلاسل مختلفة ، وعلى مستويات متقاربة ، تتلقى الطفل — منذ تتفتح عيناه — على الحروف السوداء ، ولاتتركه إلا على أبواب الجامعة ، بادئا بسلسلة « قصص علمية للأطفال » ، التى تتناول الحقائق العلمية المحضة ، بطريقة مستساغة مقبولة .

وكانت آخر تجاربه الناجحة تعليم اللغات الأجنبية بالقصص ، حيث يكتب القصة العربية ومعها ترجمتها . . صفحة عربية تقابلها — فى الصفحة المواجهة — ترجمتها باللغات الأخرى .

إن « كامل كيلانى » مناضل ، قهر الصعوبات ، ومهد الطريق : حتى أكد مهمته كرائد لآداب الأطفال ، رغم العوائق والصعاب الطبيعية والمصطنعة .

فلقد عاش فى حاجة إلى التقدير . .

إلى تقدير الدولة وتقدير الأدباء ، وفى حاجه إلى الأمان من مكائد القاعدين المتخاذلين ، الذين يبثون الصعاب فى سبيل العاملين .

ولقد ظل طول حياته يقوم بعملية تعويض عن هذا التقدير والتشجيع ، فقد اعتاد أن يذيل كتبه بعبارات التقدير والثناء المستفيض التى كان يمنحه إياها الأمراء والوزراء والعظماء فى دنيا العرب ، فكثيرا ما تعثر فى أواخر كتبه على نصوص الرسائل الموجهة إليه من هؤلاء وأولئك .

ولكنه ظل جائعا إلى التقدير الحقيقى من تشجيع الدولة واعتراف الأدباء فإن الصانع الماهر دائما يظل فى انتظار الكلمة النهائية التى تقرر مصيره من بين شفتى أرباب صناعته .

إن كلمات الإعجاب الطارئة المترددة على ألسنة الجمهور — بلا معنى هادف — قلما ترضى الفنان ، أو تمنحه الثقة التى ينشدها .

أما الدولة فقد سارعت — عقب وفاته — لتمنح اسمه شيئا تظنه الخلود ، فأخذت تفكر فى إطلاق اسمه على مدرسة ، ورصد جائزة باسمه لأدب الأطفال ، وإخراج سلسلة من مسرحيات الأطفال مستوحاة من قصصه .

ومع ذلك فقد ظل « كامل كيلانى » حتى الأنفاس الأخيرة ، يتكلم ويؤلف ويقرض الشعر ، وفارق الحياة وقد خلف تراثا ضخما للجيل الناشئ ، وفتح أبواب الدروب أمام السالكين ، وذلل العقبات التى كانت تملأ الطريق ؛ حتى استطاع أن يفرض « أدب الأطفال » كلون بارز من ألوان الأدب العربى المعاصر .

وبالتالى : فرض مرحلة الطفولة على حياتنا — كجزء هام من حياة أجيالنا — بعد أن كانت تمرّ فى أعمارنا بطيئة مهملة ثقيلة ، كأنما تنجرّ على الأشواك !

شىء ما يجعلنى أضع صورة هذا المكافح — الراحل — بجانب صورة الشاعر — المغبون — « محمود أبو الوفا » . كان قد وحد بينهما الألم ، ووقع عليهما من الجحود والنكران قدر متساوٍ ، ولكنهما ظلا — رغم ما يقاسيان من تنكر المجتمع — يطالعان القارئ العربى بأروع الفن ، وأعمق الفكر .

أما واحدهما فقد ودّع الحياة غير حاقد ولا مضطغن ، وأما الآخر — مدّ الله فى عمره — فما تزال أنفاس شعره الإنسانى الأصيل تعطر الآفاق .

العمل للصغار [1]

بقلم : أبو مدين

لو لم يقدم المرحوم الأستاذ « كامل كيلانى » فى مجالس الثقافة من خدمة للعربية إلا ديوان « ابن زيدون » ، لكفاه — ما بذله فيه من جهد — فخراً .

ديوان « ابن زيدون » الشاعر الأندلسى ، كان — بوضعه الأول — قبل أن يتناوله قلم الأستاذ « الكيلانى » مضطرباً ؛ لايستفيد منه الباحث ولا القارئ . كان كله تحريفاً وأخطاء شنيعة ، فلا يجتنى منه شىء ؛ لأن النساخ الأولين لم يعنوا به العناية التى تجعله قريبا إلى الناس ، ولكنهم تركوه ركاماً .

فجاء « كامل كيلانى » ، وأخذ فى تهذيبه وتصحيحه ، وبذل جهداً كبيراً جداً ، حتى أخرجه سليما من الشوائب .

وقد كان — كما يقول — يكثر على « ابن زيدون » لقب « بحترى المغرب » ، كما يلقب ؛ لأن ماقرأه من شعره لم يؤثر فيه حتى يجعله يعترف بهذه التسمية ؛ ولكنه حين عكف على درسه ، آمن بأن « ابن زيدون » شاعر فحل مجيد ، وأن الصنعة التى يطبع بها شعره من استعارة وبديع لم تزده إلا جمالا وروعة .

والغريب أن الأخطاء وحدها والاضطراب الفظيع ، لم تكن — هذه كلها — الجهد الذى بذله الأستاذ « الكيلانى » فى سبيل هذا الديوان ؛ وإنما هناك أشياء أخرى أكثر من هذه ، وهى تكملة كثير جداً من الأبيات .

فما أكثر ماتجد — فى ديوان « ابن زيدون » — عجز بيت لاصدر له ، أو صدراً لا عجز له . . وطالما تجد كلمات ناقصة من قصائد الديوان .

وقد جاء الأستاذ « كيلانى » بكثير جداً من هذه النواقص ، ووضعها بين حاصرتين ، ونبه إليها القارئ .

---

(١) مجلة « الرائد » السعودية فى ٢ من نوفمبر ١٩٥٩

لم يكن هذا وحده ماأنتجه الأستاذ « كامل كيلانى » . ولو وقف عنده لكفاه ؛ ولكنه خدم اللغة العربية فى أكثر من مناسبة ، فقد أخرج مختارات من شعر « المتنبي » ، ودرس « ابن زيدون » الشاعر الأندلسى ، فى أسفار أخرى ، وذكر فى مقدمته لديوان « ابن زيدون » أن عنده مشاريع فى المجال الأدبى هى : « ملوك الطوائف » ، و « ابن حمديس » فى سلسلة بعنوان : شعراء الأندلس ، وكتب أخرى لا تحضرنى فى هذه العجالة .

ولست أدرى : هل أتيح للأستاذ أداء ما رسمه لنفسه ، أم أن الحياة والمشاغل حالت بينه وبين أمانيه ؟!

إن « الكيلانى » أديب راسخ الأسلوب ، يملك مجامع التعبير الرصين .

* * *

ثم انصرف الأستاذ عن الأدب — أو عن العمل للكبار — إلى العمل للصغار وتهيئتهم ؛ لينشئ جيلا متعلماً حياً .

لذلك فقط انصرف إلى الإنشاء للأطفال ، وأخذ يخرج سلسلة طويلة من كتيباته التى تطبع على حساب وزارة المعارف المصرية ، ونشأ عن ذلك مجلة « سندباد » .

فهو إذن قد انصرف — منذ سنين — إلى الحياة التى يعيشها الطفل .

* * *

وقد نجح فى دوره الكبير ، بما قدم من جهد ومن أثر كبير . . وهذه الأعمال نتيجة لثقافة واسعة لامحدودة ، لأن « الكيلانى » لايعرف العربية وحدها ، وحين أذكر العربية لا أعنى العربية السطحية ، وإنما أعنى اللغة العالية الواسعة السهلة ؛ ولولا ذلك لما أتيح له أن ينشئ شعراً يلائم « ابن زيدون » وشعره الرائع ؛ ليكمل به مانقص فى ديوان « ابن زيدون » ؛ حتى قال « شوقى » فى تصدير ديوان « ابن زيدون » يثنى على جهود الأستاذ « كامل كيلانى » الكبيرة ، التى أوجدت ديوان شعر من العدم .

قال « شوقى » من قصيدة صدّر بها هذا الديوان :

يا « ابْنَ زَيْدُونَ » مَرْحَبَا   قَدْ أَطَلْتَ التَّغَيُّبـــا
إنَّ دِيوانَكَ الَّذِى   ظَلَّ سِرًّا مُحَجَّبـا
يَشْتَكِى الْيُتْمَ دُرُّهُ   وَيُقاسِى التَّغَـــرُّبا
صارَ - فِى كُلِّ بَلْدَةٍ -   لِلْأَلِبَّـــاءِ مَطْلَبا
جاءَنا « كامِلٌ » بِهِ   عَرَبِيًّـا مُهَـــذَّبا
تَجِـدُ النَّصَّ مُعْجِبًـا   وَتَرَى الشَّرْحَ أَعْجَبا

والأستاذ « الكيلانى » واسع الثقافة ، لأنه يجيد اللغة الإنجليزية والفرنسية .

وأكبر الظن أن إجادته لهاتين اللغتين — بالإضافة إلى اللغة العربية — هو ما مكنه من القدرة على التوفيق والنجح فى إنشاء كتب الأطفال : التى تلائم طبيعتهم ، وتعينهم على السير فى مجالات الدراسة ، فى سهولة ويسر ، وفى أقصر وقت .. بالقياس إلى مداركهم الضيقة الضعيفة ، وانشغالهم باللهو .

ولعل اللغة وحدها أو اللغات لا تكفى ، لكى يستطيع إنسان أن يصل إلى مدارك الطفل ، وإنما هو محتاج إلى علم النفس .

ويقال إن مكتبة الأستاذ « كامل كيلانى » حفلت بالكتب الغربية التى تعين وترسم الخطوط فى سبيل الكتابة للأطفال .

رحم الله « كاملا » ، وأسكنه فسيح جنانه ، وعوّض الأدب والأطفال فيه خيراً !!

عقرب الثوانى [1]

بقلم محمود الشرقاوى

منذ أيام قليلة ، احتفل بذكرى الأربعين على وفاة المرحوم الأستاذ «كامل كيلانى» .

ونستطيع الآن أن نكتب عنه كلمة «تعريف وتذكير» ، بعد أن انزاح عن نفوسنا فزع المفاجأة بموته .

وليست هذه كلمة «تعريف وتذكير» فقط ، بل — هى مع ذلك — تحية تقدير ، لرجل أخلص فى خدمة الثقافة والمعرفة .

* * *

أصدقاء «كامل كيلانى» ، وعارفوه ، يقدرون سنه بما يزيد على الستين . وقد يتجاوز به بعضهم إلى الثمانين .

ولكن الأستاذ «أنور الجندى» — وقد لازمه ثلاث سنوات ، ليدرس حياته كما يقول — يذكر أنه ولد فى ٢ من أكتوبر سنة ١٨٩٧ ، فهو بذلك قد تجاوز الستين بثلاث سنوات .

ومهما يكن من الأمر ، فقد ظل «كامل كيلانى» يمتاز بنشاط وحيوية قد لا نجدهما فى كثير من الشباب ، حتى أقعده المرض وأسلمه إلى الأبدية !

بل أدلى بحديث صحفى يقظ — وهو يكاد يدخل فى غيبوبة الموت — قبل يوم وفاته .

---

(١) جريدة «وطنى» فى ٢٢ من نوفمبر ١٩٥٩ .

وبذلك كان « كامل كيلانى » — فى حياته كلها — على مثل ما وصفه مرحوم « شوقى » أمير الشعراء :

« كامل كيلانى » كعقرب الثوانى ، قصير ، ولكنه منتج ، يأتى بدقائق الأمور .

وقد كانت حركة « كامل كيلانى » السريعة المثابرة ، لا هدف لها إلا خدمة الثقافة العربية ، التى كان معجباً بها وبرجالها إلى حدّ بعيد .

ثم خـــدمة الأطفال العرب ، فى إنشاء مكتبة حافلة بالقصص المترجمة والموضوعة لهم خاصة . .

* * *

وطفولة « كامل كيلانى » مثل يمكن أن يتخذ على أثر التربية المنزلية فى تنشئة الطفل وتكوين الرجل

أهدى أباه : الشيخ « كيلانى إبراهيم » ، أول كتاب له . .

جاء فى الإهداء هذه السطور :

« رأيتك — منذ حداثتى — تقرأ الكتاب ، وتتخذه صاحباً ورفيقاً : فحببنى ذلك فى الكتاب . . وما زلت أحبه إلى اليوم .

ولقد طالما سلكت فى تأديبى طريق الوعظ القصصى ؛ فكنت أول من حبب إلىّ هذه الفكرة ، وكان لك الفضل الأول فى أخذى بهذا الأسلوب ، وتمكينه من نفسى . . وكنت نعم القدوة لابنك فى تربية ولده « مصطفى » وإخوته .

* * *

فعن هـذا الأب الحكيم ، أخذ — إذن — وسيلة تعليم الأطفال عن طريق القصة والقدوة . . وعنه أخذ حب الكتاب ، والشغف بالمطالعة والثقافة .

وكان من طبيعته أن يبذل غاية جهده فى سبيل التجويد والكمال لإنتاجه الأدبى ، على قدر جهده وطاقته ، بل على أقصى جهده وطاقته .

طلبت إليه الجامعة المصرية القديمة أن يترجم الفصل التاسع من كتاب « تاريخ الأدب العربى » ، الذى ألفه « نيكلسون » . وهو فصل جيد ممتاز عن الأدب العربى فى الأندلس . كما طلبت إليه أن يلقيه على طلبة هذه الجامعة .

فلما انتهى من ترجمته آثر أن يكمل البحث عن أدب العرب فى الأندلس ؛ فأضاف إلى كتاب « نيكلسون » فصولا وتعليقات ومباحث تربو على الأصل .

وأخرج من ذلك كله كتاباً سماه : « نظرات فى تاريخ الأدب الأندلسى » ، جاء فى جزءين كبيرين . ولم يكفه ذلك ، بل طلب إلى قارئ الكتاب أن ينظر إليه على أنه « مقدمة لدراسة الأدب فى ذلك العصر ، ونواة لكتاب واف يتناول فيه ذلك التاريخ بشىء من التوسع والإسهاب » .

وكان كثير من المؤلفين — إذ ذاك — يهدون مؤلفاتهم لذوى النفوذ والجاه ؛ ولكن « كامل كيلانى » أهدى كتابه هذا إلى « كل من وضع حجراً فى بناء هذا المعهد العلمى المصرى الحر ، أو فكر فى إنشائه . . إلى أساتذته وطلبته ومشجعيه ، إلى الجامعة المصرية » .

* * *

وألف « كامل كيلانى » كتاباً آخر فى « مصارع الخلفـــاء » ، و « مختارات كامل كيلانى » ، وهى مقالات شتى فى التاريخ والأدب .

وفى هذه المختارات دراسة عن الشاعر العالم « أحمد زكى أبو شادى » ، يقول فى هامشها : إنها فصل من كتاب له لم يطبع ، سماه : « الشعراء المعاصرون » .

وهذه المقالات تشمل وعظاً قصصياً ، ودراسات عن « ابن الرومى » ، و « الكوميديا الإلهية » ا « دانتى » : و « المعرى » وتاريخ العرب والإسلام ، ونظرية « مندل » فى الوراثة وكيف تكون نهاية العالم ، والدين فى إسبانيا ، والإسلام والمسيحية فى الأندلس .

* * *

وأصدقاء « كامل كيلانى » يعرفون ذاكرته النادرة وقوة حفظه العجيبة !

كان يحفظ الآلاف الكثيرة من الشعر العربى ، وخاصة شعر « المعرى » و « ابن الرومى » ، وكان يستطيع أن يمضى ليلة كاملة فى رواية متصلة متلاحقة من شعر هذين الشاعرين وحدهما .

* * *

وكان له غوص عن المعانى التى جاء بها كبار الشعراء الإنجليز ، ومقابلة هذه المعانى بأمثالها التى سبقهم بها الشعراء العرب ، وذلك مظهر آخر من مظاهر دراسته ، وإعجابه وتعلقه بالثقافة العربية .

هذه الذاكرة الواعية والحافظة النادرة ، نجد أثرها — بارزا — فى شرحه ﻟ « رسالة الغفران » ، وديوان « ابن الرومى » ، وفيما علق به عليهما من الحواشى والشروح والاستطرادات .

أما « مكتبة كامل كيلانى للأطفال » ، فقد كان له فيها جهد عجيب فائق :

ترجم للأطفال قصصاً من روائع أدبهم ، وألف مئات القصص التهذيبية والعلمية لهم .

وجهده — فى ذلك — يحتاج إلى دراسة خاصة مستقصية .

ولكنا نقول — بحق — إنه جهد يعجز عنه كثير من الناس : قيمة ووفرة ، ترجمة وتأليفاً وتنوعاً .

* * *

كان ذكر « كامل كيلانى » ، وكانت رؤيته قرينة فى الذهن بذكر « ابن الرومى » .
وكنت عندما أراه ، وأستمع إلى حديثه المتواصل المتلاحق عن هذا الشاعر ، ثم يفترق عنى ، أستشهد ببيتين باكيين من شعره ؛ يصدقان على « كيلانى » ؛ كما صدقا على « ابن الرومى » ، وهما :

يا حَسْرَتا لِي ، وَيا لَهفا ، وَيا عَجَبا

إنْ هٰذِهِ الْحالُ لَمْ تُنْكَرْ ، وَلَمْ تَزُلِ

فِي دَوْلَتِي أَنا مَغْصُوبٌ ، وَفِي زَمَنِي

عُودِي ظَمِيٌّ ، بِلا رِيٍّ ، وَلا بَلَلِ

* * *

وقد ظل « كامل كيلانى » على حال من الكدح والجهد لم تنكر ولم تزل ولا تتغير . وبقى فى دولته الأدبية ومكانته : ظامئ العود فى حياة الجاه والمال ؛ حتى مات — كما مات وعاش شاعره المفضل « ابن الرومى » — بلا رى ولا بلل .

وكان هذا الإحساس بالغمط والتخلف عن منزلته ومايستحق من المكانة ؛ يطبع إحساسه بطابع خاص ، أبرز ما فيه عرفان الجميل .

* * *

لقيته مصادفة — منذ ثلاث سنوات — فى مكان عام بالإسكندرية .

فلما حييته ، بادر فذكرنى — مع شكره وتأثره — بما كان من موقفى بينه وبين المرحوم الدكتور « زكى مبارك » .

وكانت هذه قصة مضت عليها عشرون سنة أو أكثر :

كنت أكتب فى « البلاغ » نقداً للكتب الجديدة . وكان للدكتور « زكى مبارك » كتاب نسب فيه إلى نفسه أنه كشف عن التاريخ الذى ألف فيه المعرى « رسالة الغفران » ، وقال إنه — أى « زكى مبارك » — أول من وصل إلى هذا الكشف من فقرة خاصة وردت فى هذه الرسالة .

فكتبت فى نقدى أن الأستاذ « كامل كيلانى » كشف عن هذا التاريخ نفسه ، مستدلا بنفس الفقرة التى استدل بها « زكى مبارك » ، وأن كتاب « كيلانى » صدر قبل كتاب « زكى مبارك » بسنوات .

فإن كان هذا قد قرأه ، فقد وجد فيه — حتما — أن كشف « كامل كيلانى » سابق لكشفه ؛ وإن لم يكن قرأه ، فقد قصر فى مراجعة كتاب ذى قيمة فى شرح « رسالة الغفران » ، وهو يكتب عن « رسالة الغفران » .

وتقصيره هذا يغمط « كامل كيلانى » فى حقه فى السبق .

* * *

ثم لقيته — للمرة الأخيرة — منذ شهور قليلة ، فى ذكرى المرحوم الأستاذ : « سلامة موسى » ، وكان يبدو عليه الجهد والضعف .

وكأنه أدرك إشفاقى عليه من ذلك ، فقال :

إنى أسعى لتحية « سلامة موسى » — بعد موته — مهما كنت مجهداً ضعيفاً ، فقد كان له علىّ فضل الإشادة والذكر فى كل مناسبة .

* * *

وقد ظل « عقرب الثوانى » هذا . . . يضعف . . . ويتلاشى . . . ويتهافت . . . حتى توقفت دقاته ، فى اليوم التاسع من شهر أكتوبر الماضى .

رحم الله « كامل كيلانى » : المؤلف ، والراوية ، والصديق . . .

كامل كيلانى

أديب الأطفال (١)

بقلم : محمد عبد الوهاب شودرى

جاءت الأنباء من القاهرة تقول :

إن الأديب الكبير ، الأستاذ : « كامل كيلانى » قد توفى ، وذلك قبل شهر واحد تقريباً .

ووفاة « كامل كيلانى » خسارة كبيرة على المجتمع الأدبى .

و « كامل كيلانى » معروف بأنه أديب الأطفال ، وأنه أول من كتب أدب الأطفال . كتب أدباً خاصاً بالأطفال بأسلوب جميل جذاب ، وقدم لهم قصصا خيالية ، جعلهم يعيشون مع أبطالها ويتباهون بها ، وجعل الطفل الصغير يتمنى أن يكون هو بطل القصة .

إن القصص تجعل لدى الطفل ملكة الكتابة ، حتى إذا كبر استطاع الكتابة بما ادخره من معان ، وألفاظ ما قرأه فى القصص ، وما سمعه من حكايات مفيدة .

ولعلنى شخصياً لا أنسى أننى عندما كنت طفلا ، كنت لا أتورع فى ادخار شيء من مصروفى اليومى بمبلغ بسيط معين ، حتى إذا ما توفر لدىّ الثمن المطلوب لقصة ، أذهب جرياً لشرائها ؛ وكنت أقرأ كل قصة ، وأعيش مع أبطالها فى واقعهم ، كأننى واحد منهم .

---

(١) مجلة « الكفاح » عدن فى ٥ ديسمبر ١٩٥٩ .

إن جميع أطفال العالم العربى اليوم : يبكون الكاتب الكبير ، الأديب ، الأستاذ : «كامل كيلانى» الذى ترك للأطفال أدباً حقاً ، ينير لهم طريق المعرفة والأسلوب الزاخر ، وحتى الشباب الذين كانوا بالأمس أطفالا يبكون «كامل كيلانى» اليوم ، ويتذكرون فضله عليهم .

* * *

وقد قدّم «كامل كيلانى» قصصاً متنوعة : وطنية ، واجتماعية ، وثقافية ، وعلمية ، وروائية ، وخلقية ، من صميم واقع الطفل الصغير ؛ حتى ينمو ويشبّ على الطرق التعليمية الحديثة . .

* * *

إن أقلّ ما يمكن أن يؤدى الأطفال من احترام لهـذا المربى ؛ هو الاحتفال بذكراه . . رحم الله «كامل كيلانى» . . ! !

مات عملاق الأدب العربي[1]

للأستاذ : على حافظ

زرته في داره بشارع حسن الأكبر ، في صحبة الأستاذ « سيد إبراهيم » .

وكانت في المريض العملاق بقية من حياة : فادّثر بعباءته ، وتوكأ عليّ من جهة ، وعلى الأستاذ « سيد إبراهيم » من جهة أخرى .. ونزلنا السلم .

وأصرّ أن يوصلني إلى الفندق .. ومر بنا على « مكتبة الأطفال » و « مطبعة الكيلاني الصغير » (رشاد) .

المطبعة التي أسسها لطبع كتب الأطفال بالألوان ، وطبع جميع المطبوعات .. وطفنا بالمطبعة وأقسامها ..

أما هو ، فأخذ مكانه على كرسي عند بابها ، حتى عدنا .. وركب معنا السيارة ؛ فوصلني إلى الفندق ، ووصل الأستاذ « سيد » إلى داره بالعجوزة ..

وكان قبل انتقاله للمستشفى لا يستطيع أن يمكث طويلا في الدار .. تراه دائما في سيارته يتمشى ويتصل بأصدقائه ، كأنما يريد أن يودّع الحياة .

وزرته بعد انتقاله إلى المستشفى (المبرة) في مصر القديمة مرتين — أنا والأستاذ « سيد إبراهيم » — وكانت الدكتورة « سنية سيد إبراهيم » تحرص على مرافقتنا : لتتفقد صحته وتطمئنه ..

وكنا — في كل زيارة — ضيوف سيارتها التي تقودها بنفسها .

---

(١) مجلة « المدينة المنورة » في ١٦ من أكتوبر ١٩٥٩ .

فى الزيارة الأولى : لم تتدهور صحته تدهورا ملحوظا ، وإن كان الأطباء يعرفون أنه لا رجاء فى حياة الفيلسوف الكبير .. وقد كان فى هذه الزيارة يشعر بشىء من النشاط ، وكان حديثه محتفظا برنينه وعذوبته وقوّته .

وفى الزيارة الثانية — ولم يمكث فى المستشفى إلا نحو أسبوع — ظهر عليه الإعياء ، وكان يأبى أن أجلس إلا بجانبه ، ويمسك بيدى ، ويحدثنا عن حياته وجهاده فى خدمة العلم والأدب واللغة ، ويضرب الأمثال ، ويستشهد بأبلغ كلام العرب : شعراً ونثراً ، رغم ما به من إعياء .

وقد كنت أشعر بأن الموت يدبّ إليه دبيبا ، ويقترب منه رويدا ، وكنت أبكى بدموع من قلبى ، وأتوجع وآسف لهذه الخسارة الفادحة التى سيصاب بها الأدب والعلم بفقده !

* * *

عرفت الأستاذ «كامل كيلانى» عملاق الأدب العربى والفيلسوف الكبير .. منذ نحو ثمانى سنوات ، فى أول زيارة لى للقاهرة .

عرفته فى ندوته التى كانت تجمع أقطاب الفكر والأدب والعلم فى عالمنا العربى .. وكانت صلاتى به مستمرة كلما قدمت مصر ... وكنت من المعجبين بالأديب الكبير والفيلسوف القدير .. وكنت أقول له كلما اجتمعنا : إن العروبة لن تعرف فضلك الآن ، يا أستاذ . وإنها لم تقدرك حق قدرك أبداً .

لم يكن أديبنا الكبير أديباً عربياً فحسب :

إنه أديب عالمى .. وكما درس الأدب العربى ، وتعمق فى الأدب الغربى : الفرنسى والإنجليزى ، فقد كان يجيد اللغتين كأحد أبنائهما .. ومكتبته عامرة بكتب الأدب : الفرنسى والإنجليزى ، ومؤلفات الأطفال الأخيرة كانت مترجمة للإنجليزية بلغة سهلة .

* * *

وله من الآثار كتب الأطفال التى تبلغ ألف قصة لجميع مراحل الأطفال وصباهم ، بما فيها من صور ناطقة وألوان . . وله مؤلفات فى الأدب تدلّ على باعه الطويل ، وهو محدث لبق ساحر .

وقد اشتغل فى الصحافة ، فرأس تحرير مجلة « الرجاء » الأدبيـــة ، واشترك فى تحرير عدة صحف ومجلات .

وكان يتمثل دائما بهذين البيتين ، وهما من شعره :

أَنْفَعُ النَّـاسَ ، وَحَسْبِي أَنَّـنِي أَحْيَـــا لِأَنْفَعْ
أَنْفَعُ النَّـــاسَ وَما لِي غَيْرُ نَفْعِ النَّاسِ مَطْمَعْ

* * *

توفى — رحمه الله — مساء يوم الجمعة ٨ من ربيع الثانى ١٣٧٩ (الموافق ١٠ من أكتوبر ١٩٥٩) .

وقد بلغ عمره ٦٣ سنة ، وشيعت جنازته فى محفل كبير مهيب ، اشترك فيه أقطاب العلم والفكر والأدب ، وانتدب الرئيس « جمال عبد الناصر » مندوبا خاصا للمساهمة فى تشييع جثمان الفقيد .

رحمك الله ، يا أستاذ « كامل كيلانى » . .

إن فراغك لن يسدّه أحد ، وإن خسارة الأدب والعلم — بفقدك — لن تعوّض ! !

حفلة التأبين

النفس الزكية

للأستاذ الشاعر الكبير «عزيز أباظة» علاقة وثيقة بفقيد العربية والعروبة الأستاذ «كامل كيلانى» ترجع إلى عهد الطلب والدراسة .

فلقد كان الأستاذ «كيلانى» صديقاً لأعمامه ، شديد الاتصال بهم وبخاصة بالمرحوم الأديب الكبير «جمال الدين أباظة» المستشار السابق .

وكان يتجلى هذا الاتصال — على الأغلب — فى ندوات ممتعة ، تقام بالقــــاهرة وبالريف فى بلدة «الربعماية» ؛ التى كان يؤثرها الفقيد بزيارته ، كلما واتته الظروف .

ولعل هذه الندوات ، هى التى أوحت «للكيلانى» بفكرة صومعته المعروفة بعد أن جارت السنون على ذلك الجمع فتفرق ؛ وذلك الشمل فتمزق .

وحدثنا الأستاذ «عزيز» أنه قرأ — فى صدر شبابه — مع الأستاذ «كيلانى» أغلب شعر «ابن الرومى» و «أبى العلاء المعرى» ، وهما الشاعران اللذان يعتبر الأستـاذ «كامل» حارس تراثهما ، وفارس حلباتهما .

وظل الودّ والتعاون الأدبى قائماً بينهما فى أوسع الحدود ، وأكرم الصور ، إلى أن لحق الفقيد بالرفيق الأعلى .

إذن فكلمة الأستاذ الشاعر «عزيز أباظة» التى ننشرها فيما يلى ، هى كلمة التقدير والوفاء وذخيرة السنين .

سيداتى وسادتى :

لم يشرفْنى المجلسُ الأعلى للفنونِ والآداب ، لـكى أُلقى كلمته . وكلمة المجلس الأَعلى للفنون والآداب سوف تُلقى فى يومٍ آخر ، وفى اجتماع آخرَ ، إن شاء الله .

فإن الأستاذ «كامل كيلانى» ـ كما قال صديقنا الأستاذ «إسماعيل الحبروك» ـ لن يُكتفى بتأبينه فى حفلٍ واحد، ولا فى عدةِ حفلات؛ ولكنه سيُؤَبَّن تأبيناً شعبياً، وتأبيناً رسمياً، فى وقتٍ معاً، نرجو أن يكون قريباً إن شاء الله.

أما هذه الكلمة، فهى كلمة صديق له، لا أكثَرَ ولا أقل.

سيداتى وسادتى:

فى هذه اللحظاتِ التى تكتنفُ مشاعرَنا بفيضٍ من جلالِها الغامر، ونحن نستعرض مناقِبَ رجل عاش فى أرحبِ ميادين الأدب، وقضَى وهو يحتضنُ غايته.

فى هذه اللحظاتِ، يتمثلُ لى الماضى بمختلفِ صُوَرِهِ وشُكُوله، وتتوافدُ أمامَ عينى ذكرياتٌ شتَّى عن حياة الراحل الكريم، وهو يعبُر خِضَمَّ الوجود، مستعيناً بذهن لا ينطوى على خطَل، وهمّة لا ينصرف إليها وهَن ولا ملل، وقلب لا تأخذ من إرادته فُجاءاتُ القدر، ولا أحداث السنين!

كان «كامل كيلانى» ـ رحمه الله ـ تربِطه بى، وبالأسرة التى أنا عضو فيها، تربطه بنا أسبابُ صداقة وثيقة، طال عليها الأمدُ؛ فما ازدادتْ إلّا سُموًّا ونقاء.

وقد أتاحت لنا هذه الصداقة الخالصة من كل شائبةٍ، أتاحت لنا أن نجلوَ شمائلَه وطبائعهُ فى مُنعطفاتِ الحياة ودُروبها؛ فما وجدنا فيه إلا إنساناً ثاقبَ الفكر، تتسعُ نفسُه لكل ما يختلج به الكون؛ فهو يتلقاه برحابةِ الأديب، وعزيمةِ الصابر، دون أن تثنيَه العقبات الكئاد عن غايته المرجوّة، أو تحولَ بينه وبين ما يطمح إليه.

وإنه ليس فى نيتى ـ سيداتى وسادتى ـ أن أحدثكم حديثاً واسعَ الأرجاء عن أدبه ، وعن فنه ؛ فليس من بين أبناء هذا الجيلِ مَن يجهلُ آثارَهُ الأدبية ، أو تُعوِزُهُ الإيماءَةُ إليه .

وحسبكم أنه وأنها مَعِينٌ صافٍ ترتشِف الأذهانُ ما ساغ من رحيقه ، وسيظلُّ باقياً عَلَى عُذُوبته وطُلاوته ؛ ما بقيت العربية سابحة فى محيط الزمن .

على أننى أحب أن أشير إلى نماذجَ من إنتاجه .

فهذا تحقيقه لـ « رسالة الغفران » . هذا التحقيق ينهضُ دَليلًا على رُسوخ قدمه ، وعلى أصالة مكانته الأدبية ؛ فقد استطاع أن يتسلق إلى القمة التى يتربع عليها « أبو العلاء » ، ويكشف عن هذا الأثر الفريد .

ثم إليكم كتابَه « مصارع الخلفاء » ؛ فانظروا كيف جلا فيه صُحفًا من التاريخ الإسلامى ، فى قصص جامع للفن القصصى ؛ إلى جانب أمانة البحث ، ولُطف التناول ، ودقة العرض ، وجمال الأسلوب .

ثم انظروا كرّة أُخرى إلى خصِيصة أخرى من خصائصه التى تميز بها بين أدباء عصره ؛ تلك هى المجموعة النادرةُ من كتب الأطفال ، فقد ألَّف مائة وخمسين كتاباً أو تزيد . . وكانت المكتبة العربية لا تضم إلا شَذراتٍ ضئيلةً لا تفى بحاجة النشء ، ولا تُشبع نَهم الأذهان الصغيرة ؛ فارتوتِ العقول الغضّة ـ فى أول عهدها بالفهم والتحصيل ـ من هذا المورد السائغ ، وتطلَّعت إلى نور المعرفة من تلك المِشكاةِ الجيِّدة .

وأروع ما كان يتصف به صديق « كامل كيلانى » هو أنه ذو واعية تكتنز ما شاءت من أطايب الأدب وشوامخه ، لاسيَّما الشعر .

وحسبُه وحسب جليسهِ أن يروى خبرا ، أو يقصَّ حادثة ؛ حتى يبادر ـ رحمه الله ـ بإنشاد شاهدٍ من الشعر العربى الجزْل ، فى أرقى عصوره ، يصوّر الموقف نفسَه ، أو يشير إلى المعانى ذاتِها .

وتلك ـ ولا ريب ـ مقدرة ذات خطر ؛ فاستيعاب الشعر هو ـ فى ذاته ـ طاقة ، وحضور المعنى المراد فى اللحظة الجائلةِ الواقعة طاقةٌ أخرى . وقد لا تُسعف الطبيعة ، فتعطى الطاقتين معًا ، إلا لمن تختصُّهم بوافرٍ عِدٍّ من مزاياها .

ولقد كان فقيدُنا ـ رحمه الله ـ ممَّن أضفت عليه الطبيعة الطاقتين بشكل ملحوظ . ولعل أكثَر شواهده تلك كانت من شعر صديقيه ـ مدى عمره ـ وعشيريه ـ مدى حياته ـ « ابن الرومى » ، و « أبى العلاء المعرى » .

سيداتى وسادتى :

إن « كامل كيلانى » عمل على الصعود بآثاره الأدبيَّة إلى أرفع مقاوم الأدب ، بما أجادَ من تحقيق ، وأبدع من تأليف ، وأتقَن من ترجمةٍ . وأكبرُ الظنِّ أن آثارَه هـذه ستظلُّ باقية على الزمن جزاءً وِفاقا ؛ فما أجلَّها من آثارٍ ، وما أروعَه من جزاء !

عزيز أباظة

« كامل كيلانى »

للأستاذ الدكتور

محمد مظهر سعيد

لست أذكر على وجه التحقيق : متى رأيت « كامل كيلانى » لأول مرة ؟ وأين عرفته ؟ فـ «كامل» ليس واحداً من الناس الذين تحدّ معرفتنا بهم بزمان أو مكان !

ولعل ذلك كان منذ سنين وسنين ، فى دار العروبة ، وفى ندوة شيخها الجليل أحمد زكى (باشا) . هناك فى زمرة الخالدين ، من قضى منهم نحبه ومن لا يزال ينتظر : الأمير شكيب أرسلان ومحمد كرد على والدكتور الشاهبندر والدكتور أحمد عيسى والدكتور محجوب .

لقد كانوا حماة اللغة وأئمة العلم : وأساطين الأدب ورواد الإصلاح .

أجل . لقد كنا زمرة واحدة ، تربطنا رابطة الزمالة المنتجة ، والأخوة الصادقة ، والعواطف النبيلة . ثم تفرقنا وسار كل منا فى فلكه ، ينير ندوته ؛ ولكننا نلتقى دائما بالروح والفكر ، وكأن أرواحنا تعارفت منذ الأزل فتآلفت ، ولم تتنافر لتختلف .

وهكذا عرفت « كاملا » لا كعالم ولا كأديب ، وإنما كبحر دافق ، وموسوعة كاملة ، وحديقة متكاملة .

لقد كان هو : « المعرى » و « المتنبى » و « ابن زيدون » ، وكأنهم بعثوا جميعا فيه ، يعرضون على لسانه روائع أدبهم ، وإنما بمفاهيم العصر الحديث . وكأنه هو « أندرسون » و « جليفر » و« جريم » ، يقصّون على لسانه قصصهم العتيد ، وإنما بلغتنا الفصحى وأسلوبها المتين المفيد .

فلنتقبل فيه عزاء اللغة والدين ، والعلم والأدب الرصين ؛ ولعل روحه الطاهرة تتقبل عزاءنا فيه ، وهو فى أعلى عليين ، آمين .

الدكتور
محمد مظهر سعيد

سِتُّونَ عامًا مَضَتْ مِنْ عُمْـرِهِ الْفانِى
خِتامُها لَمْ يَـكُنْ يَوْمًا بِحِسْبانِ
مَرَّتْ سِراعًا بِلا وَهْنٍ وَلا كَلَلٍ
حَثِيثَةَ الْخَطْوِ لا تَلْوِى بِأَرْكانِ
وَكُلُّ عامٍ لَهُ سِفْرٌ يُسَجِّلُ ما
مَرَّتْ بِهِ النَّفْسُ مِنْ فَرْحٍ وَأَحْزانِ
وتِـلْكَ قِصَّتُـهُ تَرْوِى حَـــوادِثَها
سِتُّونَ عامًا مَضَتْ مِنْ عُمْرِ «كِيلانِى» !

* * *

بَدا النُّبُوغُ عَلَيْهِ مُنْذُ نَشْأَتِهِ   فَخالَهُ النَّاسُ مَنْسُوبًا لِـ «ذُبْيانِ»
وَكانَ أَخْطَبَ مَنْ يَعْلُو مَنابِرَهُمْ
فَلَقَّبُوهُ ، وَما غالَوْا ، بِـ «سَحْبانِ» !
إِذا تَحَدَّثَ أَصْغَتْ كُلُّ جارِحَةٍ
مِنْ سِحْرِ قَوْلٍ ، وَمِنْ إِعْجازِ تِبْيانِ
وَصَوْتُهُ إِنْ أَفاضَ الْقَوْلَ مُرْتَجِلًا
تَخـالُهُ الأُذُنُ إِيقاعًا لِأَلْحانِ
وَشِعْرُهُ الجَزْلُ إِنْ تَسْمَعْهُ تَحْسَبْهُ   مَعْنًى لِـ «شَوْقِى» وَأَلْفاظًا لِـ «حَسَّانِ»
وَنَثْرُهُ مِنْ رَصِينِ السَّهْلِ مُمْتَنِعٌ
كَالْعِقْدِ نُضِّدَ مِنْ ماسٍ وَمَرْجانِ

* * *

لـكِنَّهُ لَمْ يَنَلْ مِنْ جُهْدِهِ نَشَبًا
وَهْوَ الْمُكافِحُ ، وَهْوَ الْمُنْتِجُ الْبانِى
يا لَهْفَ نَفسِى قَضَى الأَعْوامَ فِى دَأَبٍ
كَعابِرٍ مَرَّ مِنْ خانٍ إِلَى خانِ
سِلاحُهُ الْعِلْمُ ، والأَخْلاقُ جَعْبَتُهُ وَزادُهُ الصَّبْرُ مَقْرُونًا بِإِيمانِ
ما فازَ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيا بِنائِلَةٍ وَلَمْ تَثُرْ نَفْسُهُ يَوْمًا لِحِرْمانِ
سِيَّانِ إِنْ تاهَ فِى بَيْداءَ قاحِلَةٍ
أَوْ راحَ كالطَّيْرِ يَشْدُو فَوْقَ أَفْنانِ
قَدْ نالَهُ الدَّهْرُ بِالأَرْزاءِ مُمْتَحِنًا
شَبابَهُ ، وَهْوَ فِى أَوْجٍ وَرَيْعانِ
وَفِى الْكُهُولَةِ والدُّنْيا تُقَدِّرُهُ
لَمْ يَلْقَ مِنَّا سِوَى نَقْدٍ وَحِرْمانِ !
وَكانَ فِى وُسْعِهِ لَوْ كانَ مُلْتَوِيًا
أَوْ ظَلَّ إِمَّعَةً يَرْضَى بِإِذْعانِ
أَنْ يَسْتَفِيءَ ظِلالَ الْمَجْدِ وارِفَةً
فِى جَنَّةٍ ـ مِنْ نِفاقٍ ـ قَطْفُها دانِى

* * *

سيداتى وسادتى :

تلك هى صورةٌ تحليليةٌ لنفسيةِ « كامل كيلانى » ، كأديبٍ وفنَّانٍ ، وتعبيرٌ صادقٌ عن ملامحِ شخصيتهِ كإنسانٍ ؛ استلهمتُها

من طول معرفتى به وعشرتى له ،. وصوَّرَها هو ـ بنفسِه لِنفسه ـ فى قصتهِ الأَخيرةِ : « نَعْجَة الْجَبَل » .

بل هى صورةُ كلِّ عبقرىٍّ فذٍّ ، ونابغةٍ ملهمٍ ، جاءَ قبلَ أَوانه ، وسبقَ أَهلَ زمانه ؛ فتأَلَّب عليه حُسَّادُهُ ونقادُه ، لِينالوا من شأْنه فلم يُفْلحوا ، أَو يقلِّلوا من مكانتِهِ فلم ينْجحوا .. وتضاربَتِ الأَقوالُ فى قيمةِ إِنتاجِـه فى حياته ؛ ثم أَجمعتِ الآراءُ على عبقريَّتِهِ ونبوغِهِ بعد مماتِهِ • وقديمًا قِيل : لا كرامةَ لنبىٍّ فى وطنه •

أَجلْ : لقد عرفتُه وخَبَرتُه ، ولـكنى لستُ أَذكرُ : متَى رأَيتُه ، وأَين عرفتُه .. وكأَنِّى عرفتُه مدَى الْعمرِ ، وخبَرْته طولَ الدهرِ !

عرفتُه عالِماً بعيدَ الغَوْرِ ، يُفيضُ من بحر علمهِ على الناسِ ، وَأَديبًا فذًّا يتضَوَّعُ أَدبُه فينشُرُ البِشْرَ والإِيناسَ ، ولُغَوِيًّا محقِّقا تَخِذَ الفُصحى خيرَ دِعامةٍ وأَساسٍ .

عرفتُه شُعلةً منيرةً متوهِّجة ، وطاقةً حيويَّةً متدفِّقةً ، وعقليةً جبارةً متوقِّدة . وفوقَ هذا كلهِ ، عرفتُه إنسانا مُرْهَفَ الحِسِّ ، عالِيَ النفسِ .

وعبقرىٌّ اجْتَمَعَتْ له كلُّ هذه الصفاتِ ، خليقٌ بأَن يَضيقَ صدرًا بما يُوضَعُ حولَه من قيودٍ ، وما يُقامُ أَمامَهُ من سدودٍ ، وأَن يُطلقَ طاقتَه الحيوية ثائرةً مُتَمَرِّدَةً مُدمِّرَةً كالنارِ ، وأَن يُنازلَ نُقَّادَه وحُسَّادَهُ ـ فى نفس ميدانِهم ، وبنَفْس أَسلِحَتِهِمْ ـ طَلَبًا للثَّار .

ولـكنه عرَكَ الدنيا وعركَتْهُ ، وبَلاها وبَلَتْهُ ؛ فراضَ نفسَه عَلَى الصبر ، حتَّى صار الصبر خُلَّةً تُميِّزُهُ ، وحُلَّةً تزينُه .

وبهذا الصبرِ والدأْب استطاع « كاملٌ » أَن يوجهَ طاقاتِه كلَّها — وما أَكثرَها — للإِنتاج الدَّائب المستمرِّ ، والبناء الضخم الصامت ؛ فتمَّ له ما أَراد ، رغم الحساد والنقاد . ولو لم يكن له خُلَّةٌ غير الصبر والدأْب لـكفاه .

اِستمع إليه فى قصته الأَخيرة ، وهو يصوِّرُ العبقريَّةَ وحالَها ، وقيمتَها بين مقدِّرِيها وحسَّادِها . يقول « كامل » :

« لَطالَما أَفْسَدَ الْمُتَعَجِّلُونَ الْمُتَسَرِّعُونَ مِنْ بَنِي الْإِنْسانِ ، جُهُودَ الْعامِلِينَ الْمُصْلِحِينَ مِنْ أَبْناءِ « عَبْقَرٍ » ، وَوَقَفُوا عَقَبَةً كَأْداءَ فِي حَياتِهِمْ ، وَحالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ إِتْمامِ رِسالَتِهِمْ ؛ بَعْدَ أَنْ غابَ عَنْهُمْ مَغْزاها ، والنَّفاذُ إِلَى جَلِيلِ مَعْناها ؛ فَلَمْ يَبْقَ أَمامَهُمْ إِلَّا أَنْ يُوصِدُوا أَبْوابَ النَّجاحِ فِي طَرِيقِهِمْ ، وَيَتَعَقَّبُوهُمْ بِاللَّوْمِ والتَّخْذِيلِ ، وَيُقِيمُوا السُّدُودَ والْعَراقِيلَ ؛ حَتَّى إِذا ماتُوا ، وَضَحَ لَهُمْ ما نَدَّ عَنْ فَهْمِهِمْ ، وَغابَ عَنْ عِلْمِهِمْ ... وانْطَلَقُوا يُقِيمُونَ لَهُمُ التَّماثِيلَ واللَّوْحاتِ ، وَيُغْدِقُونَ عَلَيْهِمُ الرَّحَماتِ ، وَيَتَناقَلُونَ عَنْهُمْ أَجْمَلَ الذِّكْرَياتِ ، وَتَـكادُ نُفُوسُهُمْ تَذْهَبُ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ ؛ بَعْدَ ما أَسْلَفُوا لَهُمْ — فِي حَياتِهِمْ — مِنْ إِساءاتٍ ، وَأَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ شُرُورٍ وَأَذِيَّاتٍ .

وَلَـكِنْ ماذا تُجْدِي الْحَسْرَةُ والْأَلَمُ ، وَماذا يَنْفَعُ الْبُـكاءُ والنَّدَمُ ، بَعْدَ أَنْ طَواهُمُ الْمَوْتُ فِي غَياهِبِ الْعَدَمِ ؟ ! .. »

« .. وَطالَما عَرَّضَهُمْ جَهْلُ النَّـاسِ ، فِي حَلِّهِمْ وَتَرْحالِهِمْ ، إِلَى الْعُزْلَةِ والتَّوَحُّدِ ، وَأَلْجَأَهُمْ إِلَى الْغُرْبَةِ الْفِـكْرِيَّةِ والتَّفَرُّدِ ؛ بَعْدَ أَنْ عَجَزُوا عَنْ هِدايَةِ الْجُهَّالِ ، وخابَ ما هَدَفُوا إِلَيْـهِ مِنْ جَلِيلِ الْمَقاصِدِ وَنَبِيلِ الآمالِ ... »

* * *

ولعلَّ ذلك هو حُـكم الناس . وَلٰـكن العباقرةَ ليسوا كسائر الناس ؛ فهم يُدركون ما وراءَ المظاهر ، ويترفَّعُون عن الصغائر ، ويقُولونَ عَلَى لِسانِ « كامِلٍ » أَيضا : « ذٰلِكَ شَـأْنُ الْحَياةِ ! ما أَكْثَرَ ما تَشْتَبِهُ الْحَقائِقُ ، وَما أَكْثَرَ ما يَمْتَزِجُ الْخَيْرُ بِالشَّرِّ ، والصَّفاءِ بِالْـكَدَرِ ، والصِّدْقُ بِالْـكَذِبِ ، والْوَرْدُ بِالشَّوْكِ .

وَقَدْ شاءَتْ حِـكْمَةُ اللهِ ، أَنْ يَنْتَصِرَ الْحَقُّ ـ مَهْما طالَ الزَّمانُ ـ عَلَى الإِفْكِ والْبُهْتانِ . أَلا تَرَى كَيفَ يَحْجُبُ الْباطِلُ وَجْهَ الْحَقِّ ، ثُمَّ لا يَلْبَثُ نُورُ الْحَقِّ أَنْ يُبَدِّدَ ظَلامَ الإِفْكِ ... »

* * *

وَلِذٰلِكَ هُمْ ـ رَغْمَ سَدِيدِ رَأْيِهِمْ وَواسِـعِ عِلْمِهِمْ ـ يَتَواضَعُونَ ، فَيَقُولُونَ : « إِنَّ كُلَّ عالِمٍ ـ مَهْما تَعَمَّقَ وَبَرَعَ ـ فَوْقَ عِلْمِهِ عَلِيمٌ . والإِحاطَةُ الشَّامِلَةُ والْمَعْرِفَةُ الْـكامِلَةُ لا سَبِيلَ لِأَحَدٍ ـ مِنْ عِبادِ اللهِ ـ أَنْ يَسْتَأْثِرَ وَحْدَهُ بِها .

لَقَدْ أَقامَ الْعباقِرَةُ دُسْتُورَ حَياتِهِمْ عَلَى الصَّبْرِ ؛ فَهُوَ جُمَّاعُ الْفَضائِلِ كُـلِّها ، والْمِقْياسُ الَّذِي لا يُخْطِئُ لِلْعَظَمَةِ الْحَقِّ . إِنَّهُ فَضِيلَةٌ

لا يَتفرَّدُ بها إلَّا مَنِ اختَصَّهُ اللهُ بأوفَرِ قِسطٍ مِنَ الحِكْمَةِ والرَّشادِ ، ونَفاذِ البَصيرَةِ والسَّدادِ . ولا سَبيلَ إِلَى تحصيلِ العِلْمِ بِغَيرِ الصَّبْرِ والأَناةِ ، وَطُولِ الدَّأْبِ والمُعاناةِ ، وَلا فَضلَ لِمُبْدِعٍ مَوْهُوبٍ ، إِلَّا بِمِقْدارِ ما يَتَميَّزُ بِهِ مِنْ صَبْرٍ واحْتِمالٍ ، وَمُثابرَةٍ عَلَى مُكافحَةِ الأَهْوالِ ، وَتَذْلِيلِ المُحالِ ، لإِدْراكِ ما لا يُنالُ ... »

وَبِفَضيلَتَي الصَّبْرِ والصِّدْقِ ، يَصِلُ الدَّارِسُ الدَّءوبُ إِلَى مَرْتَبَةِ العالِمِ الحَقِّ ؛ فَيُصْبِحُ ، كَما يَقُولُ « كامِلٌ » ، وَكَما كانَ « كامِلٌ » : « وَهُوَ لا يَسْتَنْكِرُ شَيْئًا مَهْما نَدَّ عَنْ ذَكائِهِ وَفَهْمِهِ ، وَغابَ عَنْ فِطْنَتِهِ وَعِلْمِهِ ، وَيُطِيلُ الأَناةَ والتَّفْكِيرَ ، وَيَصْطَنِعُ الرَّوِيَّةَ والتَّدْبِيرَ ، وَيُحْكِمُ الرَّأْيَ السَّدِيدَ ، قَبْلَ أَنْ يُقْدِمَ عَلَى إِساءَةِ الظَّنِّ ، وَيَتَوَرَّطَ فِي سُوءِ الفَهْمِ ، وَيُقْحِمَ نَفْسَهُ فِيما لَيْسَ لَهُ بِهِ دِرايَةٌ وَلا عِلْمٌ ...»

* * *

هٰكذا كوَّن « كاملٌ » نفسيَّتَه ، وَبنى شخصيتَه ، والتزم الطريقَ الذى رسَمه ، وَطبَّق الدستورَ الذى وضعه ، وحقَّق لنفسه ما جاشَ بصدرِه من آمال ، وإن لم ينل ـ من هذه الدُّنيا ـ شيئًا من ثراءٍ أَو نَوالٍ .

لهٰذا كلِّه ، أَنا لا أُؤَبِّنه ولا أَرثيه ، ولا أَحزنُ لفِراقه ولا أَبْكيه ؛ لِأَنه ليس فردًا يولد ويموت ، وَإِنما هو ـ وَحدَه ـ أُمَّة باقيةٌ خالدة !

إنه مَوْسُوعةٌ عامِرَةٌ ، وَمكتبةٌ زاخرةٌ ، وروضةٌ زاهرةٌ !

كيفَ إذَنْ يموت « كامل » ، وقد تَركَ وراءهُ هرَما خالدا ، يحوى كنوزَ الثقافة والمعرفة ، وَسدًّا عاليا ، يحمى الفُصحَى من العامِّية ، والتعمُّقَ من السطحيَّة ، والأدبَ الرفيع من السُّوقية . أَلم يضَعْه فُحولُ الغرب فى مَصافِّ الفلاسفة وَكبارِ المفكرين، وَنُخبةِ الرُّوَّادالمصلحين والمُربِّين ؟!

أَلم يجعلوه أعلى مرتبةً من : « روسو » وَ « هانز اندِرْسنْ » ، والأَخوَيْنِ : « جْرِيمْ » وغيرهم من الخالدين ؟ ! أَلم يخلِّدوا آثارَه عن « الْمَعَرِّىِّ » و « ابْنِ الرومِىِّ » و « ابْنِ زَيْدُونَ » ؟ ! أَلم يُشيدوا بترجماته لـ « شكسبير » وَكبار شعراء الغرب : القدامى والمحدثين ؟! أَلم ينشِّئوا أَطفالهم على قصصهِ ، وَيربُّوا أَوْلادَهم على هَدْىِ كتبه .

وَأَخيرًا ، وَليس آخرًا ، أَلم تقدرْه ثورتنا المباركةُ ، وَحكومتُنا الرشيدة حقَّ قدرهِ ، وَتَرُدَّ لأَولادِه بعضَ حقِّه ، وَتُشرِّفْ وزارَةُ التَّربيةِ والتعليم بعضَ معاهدِها بإطلاق اسمه ؟

أَجلْ : سيُفيض الشعراء والأُدباء فى الإِشادةِ بأَدبه وَفنه ، وَسيعرض العلماء لآثاره وَكتبه : اليومَ ، وبعد اليوم ، إلى آخر الدهرِ . . . !

وَلكن يكفينى أَن أَقولَ فيه : إنه كان عبقريًّا مجاهدا ، ومكافحا صابرا ، ورجلا مناضلًا ، يعتمد على نفسه دُون سائرِ الناس ، وعلى الله : خالقِ الكوْن والنَّاس .

وَإِنَّما رَجُلُ الدُّنْيا وَواحِدُها   من لا يُعَوِّلُ فى الدُّنْيا عَلَى أَحَدِ

الدكتور محمد مظهر سعيد

الأديب الكامل

للأستاذ : على الجندى ـ عميد دار العلوم السابق .

تربطنى بالأديب الكبير المغفور له الأستاذ « كامل كيلانى » ، رابطة وثيقة ، يرجع عهدها إلى نحو ثلاثين عاما ؛ وقد توثقت هـــذه الرابطة باشتراكى عضـوا فى رابطة الأدب العربى ، التى كان الفقيد من مؤسسيها الأعلام .

وقد أتحفنى — رحمه الله — ببعض ما أخرجه من كتب قيمة .

وقـد رددت على هذا الإتحاف بتحية شعرية عنوانها « الأديب الكامل » نشرت فى ديوانى الثانى « ألحان الأصيل » .

* * *

ومع أن زيارتى لندوته كانت قليلة لكثرة شواغلى ؛ فقـد كان الود متصلا ، وكلانا بالآخر حفيا .

ولا أزال أذكر له كلمة ـ نضّر الله ثراه ـ كـانت شديدة الوقع على نفسى . . « ياأخى . أرجو ألا تحرمنا لقاءك ؛ فقد كـاد جيلنا ينقرض ، ولم يبق من الأوفياء إلا القليل » .

* * *

وكـان ـ أثابه الله ـ على قلة مايعجبه من الشعر ، معجبا بشعرى ؛ حتى إنه صرّح فى جمعية الشبان المسلمين ، عقب سماعه لمرثية الشاعر « الأسمر » التى بلغت مائة وخمسين بيتا ، بأنها تسامى قصيدة المعرى : « غير مجد فى ملتى واعتقادى . . . »

* * *

وكـانت آخر مقابلة له قبل أن يمرض بشهور قليلة ؛ قابلته مصادفة فى حىّ « المنيرة » ؛ فأهدانى دعاء للحفظ والصـــيانة ، أشرت إليه فى صحيفة « المنبر » .

* * *

وكان حديثه معى أشبه شىء بنعى نفسه . . . فرجوت له طول العمر ، رعاية للأدب والقصص الرفيع ؛ ولكنه أصرّ على أن الآجل قريب . . والنفوس المؤمنة الصافية ، تحسّ نهايتها ، مطمئنة إليها « يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعى إلى ربك ، راضية مرضية » .

ولم ينسنى حتى قبيل النزع ؛ فقد حمل صديق الطرفين الأستاذ « سيد إبراهيم » سلامه إلىّ .

ويؤلمنى أننى لم أعلم بمرضه . . حتى بغتنى نعيه ؛ فكدت أصعق . ولم أقل فى حياتى قصيدة كانت تسيل على لسانى سيلا ، كالقصيدة التى رثيته بها . .

وهى فى الحقيقة نفحة منه ، ومستملاة من شمائله ومناقبه . . أنزله الله منازل الصديقين ، وجمعنا به فى عليين !

مَنْ عَذِيرِى مِنْ رَيْبِ دَهْرٍ دَهانِى
فِى الشَّفِيقِ الرَّقِيقِ مِنْ إِخْوانِى
فِى الصَّدِيقِ الصَّدُوقِ : وُدًّا وَعَقْدًا وَلِسانًا ، والصَّاحِبِ الْمِعْوانِ
فِى الصَّفِىِّ الْوافِى عَلَى زَمَنٍ با تَ بِهِ الْغَدْرُ حِلْيَةَ الْإِنْسانِ
فِى الْحَبِيبِ الْقَرِيبِ : مَنْ كانَ إِنْ رُحْتُ
لَهُ ناسِيًا ، فَلا يَنْسانِى
فِى اللَّطِيفِ الظَّرِيفِ ، مَنْ كانَ يَهْتَزُّ
كَغُصْنِ النَّقا ، إِذا ما رَآنِى
وَمَشَى باسِمًا فَطَوَّقَ جِيدِى بِعِناقٍ يُنْسِى عِناقَ الْحِسانِ
طابِعًا ـ فَوْقَ جَبْهَتِى ـ قُبُلاتٍ قَدْ تَأَلَّفْنَ مِنْ فُنُونِ الْحَنانِ
وَدَعا لِى بِالْخَيْرِ ، والْخَيْرُ يُرْجَى مِنْ دُعاءٍ يَدْعُو بِهِ « الْكِيلانِى » !

* * *

سَكَّ سَمْعِى الضُّحا بِمَنْعاهُ ، فارْتَدَّ إِلَىَّ الظَّلامُ مُلْقِى الْجِرانِ
وَتَوَلَّى الذُّهُولُ عَقْلِى ، فَما ارْتَبْتُ بِأَنَّ النَّاعِى لَهُ قَدْ نَعانِى
نَبَأٌ باغِتٌ ، وَأَهْوَلُ مَكْرُو هٍ مُصابٌ ما كانَ فِى الْحِسْبانِ
كُلُّ رُزْءٍ أَقْرِيهِ صَبْرًا جَمِيلًا غَيْرَ رُزْءٍ يُنْحِى عَلَى خُلْصانِى
لَيْسَ هَيْنًا أَنْ يَفْقِدَ الْمَرْءُ خِلًّا فِى زَمانٍ خالٍ مِنَ الْخُلَّانِ

* * *

« كامِلٌ » كاسْمِهِ ، وَبَعْضُ الْأَسامِى
لِلْمُسَمَّى بِهِنَّ كالْعُنْوانِ

حامِلٌ هَمَّ صَحْبِهِ كالأَبِ الْمُشْفِقِ   والْوالِدِ الْمَطُوفِ الْحانِي
وَنَقِيُّ الضَّمِيرِ مِنْ حَمْأَةِ الْحِقْدِ   بَرِيءٌ مِنْ لَوْثَةِ الأَضْغانِ
مُنْصِفٌ لا يَغُضُّ مِنْ قِيمَةِ الْخَصْمِ   وَلا جائِرٌ عَلَى الأَقْرانِ
وَهْوَ بَيْنَ النُّقّادِ ـ إِنْ قَسَطُوا يَوْ   مًا ، وَمالوا فِي الْحُكْمِ ـ كالْمِيزانِ
عاشَ لِلْعِلْمِ عِيشَةَ النّاسِكِ الصُّو   فِيِّ أَصْباهُ جَوْهَرُ الإِيمانِ
وَأَجَلُّ الأَعْمارِ عُمْرٌ قَضاهُ   ذُو يَراعٍ فِي طاعَةِ الرَّحْمٰنِ

* * *

إِنَّ هٰذا الضَّعِيفَ قَدْ كانَ أَقْوَى   فِي عِراكِ الْخُطُوبِ مِنْ « ثَهْلانِ »
إِنَّ هٰذا الْقَصِيرَ قَدْ كانَ أَعْلَى   قِمَّةً فِي الْعَلاءِ مِنْ « كِيوانِ »
إِنَّ هٰذا الضَّئِيلَ قَدْ كانَ مِلْءَ   الْعَقْلِ ، مِلْءَ السَّماعِ ، مِلْءَ الْعِيانِ
إِنَّ هٰذا الْقَلِيلَ قَدْ كانَ مِنْهُ   لِمُرَجِّي انْتِصارِهِ ضَيْغَمانِ
إِنَّ هٰذا الْهَزِيلَ قَدْ كانَ ضَخْمًا   فِي الْحِجا والذَّكاءِ والْعِرْفانِ
إِنَّ هٰذا النَّحِيلَ قَدْ كانَ أَمْضَى   عَزَماتٍ مِنَ الْحُسامِ الْيَمانِي

* * *

عَطِلَتْ أَنْدِياتُنا مِنْ مِفَنٍّ   كانَ يُدْعَى « بِالأَصْمَعِيِّ » الثّانِي
كاتِبٌ شاعِرٌ أَدِيبٌ خَطِيبٌ   أَلْمَعِيُّ الْحِجا ، رَطِيبُ اللِّسانِ
كانَ كَنْزًا مِنَ الْمَعارِفِ يَحْوِى   كُلَّ غالٍ : مِنْ لُؤْلُؤٍ وَجُمانِ
كانَ فِي نادِيَيْهِ مائِدَةً عُظْمَى   عَلَيْها أَطايِبُ الأَلْوانِ
كانَ يَرْوِي لَنا أَحادِيثَ « قَيْسٍ »   فَيُعِيدُ الشَّبابَ لِلشِّيخانِ

كانَ يَحْكِي لنا عَنِ « ابنِ جُرَيْجٍ » فَكَأنّا لَدَيْهِ فِي « بَغْدانِ »
وَيُرِينا « أَبا الْعَلاءِ » جِهارًا ثاوِيًا فِي « مَعَرَّةِ النُّعْمانِ »
مُسْتَهِلَّ الْجَبِينِ بِشْرًا ، وَإِنْ أَخْنَى عَلَيْــــهِ بِالظُّلْمَةِ الْمَحْبِسانِ

* * *

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى « الرَّشِيدِ » تَوَلَّى لَمْ يُشافِهْ مُشَنِّفَ الآذانِ
بِالأَفاكِيهِ والنَّوادِرِ والأَسْمارِ تَبْهَى كَطاقَةِ الرَّيْحانِ
وَتُسَرِّى عَنِ الْحَزِينِ أَساهُ وَتُنِيءُ السَّلْوَى عَلَى الثَّكْلانِ
لَوْ تَقَدَّمْتَ فِي الزَّمانِ لَقَدْ كُنْتَ بِنادِيهِ صَفْوَةَ النُّدْمانِ

* * *

يا بَدِيعَ الزَّمانِ فِي صَنْعَةِ الأَفْوافِ والْوَشْيِ ، يا بَدِيعَ الزَّمانِ
يا عَقِيدًا لِـ « جَعْفَرٍ » فِي الْمَبانِي يا أَخَا لِـ « ابْنِ يُوسُفٍ » فِي الْمَعانِي
يا رَسِيلَ « الصَّابِي » تَرَسَّلَ ، فانْحازَتْ إِلَى فَنِّهِ فُنُونُ الْبَيانِ
يا مُحِيلَ الطُّرُوسِ رَوْضًا أَرِيضًا ضاحِكَ الزَّهْرِ ، راقِصَ الأَفْنانِ
يا شُجاعَ الآراءِ ، ما ضَرَّ لَوْ عِشْتَ وَغالَ الْحِمامُ كُلَّ جَبانِ !

* * *

الْيَراعُ الَّذِي بِكَفِّكَ قَدْ كانَ مِثالًا لِلْحُسْنِ والإِحْسانِ
ما جَرَى عاثِرًا ، وَلا كانَ إِلَّا حائِزَ الْخَصْلِ فِي مَجالِ الرِّهانِ
فَوْقَ أَوْراقِهِ تَقاصِيرُ دُرٍّ تَفْضَحُ الدُّرَّ فِي نُحُورِ الْغَوانِي
رِيقُهُ ـ إِنْ تَشَأْ ـ مُجاجَةُ نَحْلٍ وَهْوَ ـ إِنْ شِئْتَ ـ نَفْثَةُ الأُفْعُوانِ
لَمْ يُسَوِّدْ بِيضَ الْمَهارِقِ بِالْفُحْشِ وَلا بِالْبَذاءِ والْهَذَيانِ

لمْ تَبِعْهُ كَقَوْمِ سَوْءٍ رَأَيْنا هُمْ يَبِيعُونَهُ بِسُوقِ الْهَوانِ
قَدْ رَضُوا صَفْقَةَ الْغَبِينِ وَباءُوا بِالْخَزايا ، وَأَبْخَسِ الْأَثْمانِ
قَلَمُ الطَّاهِرِ الشَّرِيفِ ، شَرِيفٌ طاهِرٌ مِثْلُهُ رَفِيعُ الْمَكانِ
وَيَراعُ الْأَدِيبِ حُرْمَتُهُ تُحْمَى وَتُرْعَى كَحُرْمَةِ الْأَدْيانِ

* * *

يا لَقَوْمِي مِنْ دَهْرِ غَدْرٍ وَشَرٍّ ناكِثِ الْعَهْدِ لا يَفِي بِضَمانِ
سادَ فِيهِ الطَّغامُ مِنْ كاتِبٍ فَسْلٍ
وَمِنْ ناقِدٍ قَصِيرِ الْعِنانِ
لَيْسَ يَدْرِي غَيْرَ السَّفاهَةِ والسَّبِّ
وَرَمْيِ الْكِرامِ بِالْبُهْتانِ
لَيْسَ فِي الْعِيرِ مِنْ « مَعَدٍّ » إِذا عُدَّ
تْ ، وَلا فِي النَّفِيرِ مِنْ « قَحْطانِ »
راحَ أَعْمَى الْوِجْدانِ مِنْ حِقْدِهِ الذَّا
كِي ، وَشَرُّ الْعَمَى عَمَى الْوِجْدانِ
مُشْرِعٌ فِي بَنانِهِ قَلَماً يَهْذِي أَلَا تَبَّ مِنْهُ أَصْلُ الْبَنانِ
هادِمٌ ما بَناهُ أَسْلافُنا الْغُرُّ وَلَيْسَ الْهَدَّامُ مِثْلَ الْبانِي

* * *

لَسْتُ أَنْساهُ فِي عَشِيَّةِ يَوْمٍ باتَ يَشْكُو إِلَيَّ مِمَّا يُعانِي
قالَ لِي : يا أَخِي ، لَقَدْ كَبِرَتْ مِنِّي
وَدَبَّ السَّقامُ فِي جُسْمانِي

وَتَداعَتْ قُواىَ ، واشْتَعَلَ الرَّأْ سُ مَشِيبًا ، وَغامَتِ الْعَيْنانِ
أَيْنَ مِنِّى صِباىَ أَيَّامَ أَخْتا لُ نَضِيرَ الأَوْراقِ كالأَغْصانِ
كانَ طَيْفًا سَرَى ، وكانَتْ سِنُوهُ
- فِى حِسابِ الزَّمانِ - بِضْعَ ثَوانِى
أَتُراهُ يَعُودُ ؟ هَلْ عادَ مَنْ با تَ رَهِينًا فِى قَبْضَةِ الْحَدَثانِ ؟
لَيْتَ شِعْرِى : ماذا جَنَيْتُ بِعِلْمِى
غَيْرَ عِلْمِى بِأَنَّهُ أَشْقــانِى ؟ !
فَتَعَطَّفْ ، وَزُرْ أَخاكَ فَما أَدْرِى لَعَـلَّ الْحِمـامَ مِنِّىَ دانِى
نَحْنُ بِالْخُلْقِ تَوْءَمانِ ، وَبِالأُلْفَةِ - يا صاحِبِى - رَضِيعا لِبـانِ
وَهَوَتْ دَمْعَةٌ - عَلَى الْخَدِّ - مِنْهُ أَسْعَدَتْها - مِنْ مُقْلَتِى - دَمْعَتانِ
مَنْ لإِلْفَيْنِ راجَعا ماضِىَ الْعُمْرِ فَظَـلَّا عَلَيْـهِ يَنْتَحِبـانِ
قَدْ شَجانِى بُـكاءُ أَلْوَى جَلِيدٍ لا بِزُمَّيْلَةٍ ، وَلا هَيَّبانِ
وَوَقُورٍ عَلَى صُرُوفِ اللَّيالِى وَمُبِينٍ ، فِى الْخَطْبِ ، غَيْرِ مُعانِ
وَأَبِىِّ الدُّمُوعِ إِنْ يُذْرِ دَمْعًا فَهْوَ ذَوْبُ الْحَشا وَفَيْضُ الْجَنانِ
قُلْتُ : خَفِّضْ عَلَيْكَ يا صاحِبِى الْبَرّ وَرَوِّحْ عَنِ الْفُؤَادِ الْعانِى
إِنَّنِى أَنْتَ - لا عَدِمْتُكَ - أَلْقَى ما تُلاقِى ، وَإِنَّ شانَكَ شانِى
إِنْ تَـكُنْ شِبْتَ ، فَالْفُؤادُ صَبِىٌّ لَمْ يُفارِقْ غَضارَةَ الرَّيْعانِ
أَوْ تَـكُنْ قَدْ وَهَنْتَ جِسْمًا ، فَما عَقْـلُكَ بِالْواهِنِ الضَّعِيفِ الْوانِى
أَوْ تَـكُنْ قَدْ نَحُفْتَ فَالأَسَلُ السُّمْـرُ نِحافٌ نَحِيلَةُ الأَبْدانِ

أَوْ تَـكُنْ قَدْ سَقِمْتَ ؛ فالسُّقْمُ لا يَأْ لَفُ غَيْرَ الْمُفَـكِّرِ الْفَنَّانِ
أَوْ تَـكُنْ قَدْ تَخَوَّنَ الدَّهْرُ بَعْضًا مِنْ ضِياءٍ زَهَتْ بِهِ الْمُقْلَتانِ
فَمِنَ الْعَقْلِ والْبَصِـيرَةِ يَهْدِيكَ - عَلَى فَحْمَةِ الدُّجَى - كَوْكَبانِ
أَنْتَ كالنَّيِّرَيْنِ ؛ لَيْسَ بِعارٍ وَشَنارٍ أَنْ يُـكْسَفَ النَّيِّرانِ
أَنْتَ كالْغَيْثِ يَتْرُكُ الْقَفْرَ جَنَّا تٍ وَيَفْنَى ، وَحَلْيُهُ غَيْرُ فانِي
أَنْتَ كالسَّيْفِ يَثْلِمُ الضَّرْبُ حَدَّيْهِ وَفَخْرٌ أَنْ يُثْلَمَ الْهُنْدُوانِي
لَيْسَ سَيْفٌ خاضَ الْحُرُوبَ فَأَبْلَى مِثْلَ سَيْفٍ قَدْ قَرَّ فِي الْأَجْفانِ
هَيِّنٌ أَنْ يَنالَ أَجْسامَنا النَّقْصُ وتُمْسِي الْعُقُولُ فِي رُجْحانِ
عِشْتَ فِينا نَضْرًا ، تَقِيًّا نَقِيًّا صافِيَ السِّرِّ ، صافِيَ الْإِعْلانِ
وَبَنَيْتَ الْعُـلا بِناءَ مُجِـدٍّ مُخْلِصٍ - فِي بِنائِهِ - مُتَفانِي
فَشَأَوْتَ النُّجُومَ قَدْرًا ، وَأَزْرَيْتَ سُمُوًّا بِبَـدْرِها الْأَضْحِيانِ
لَكَ ذِكْرٌ - فِي الْخافِقَيْنِ - مُدَوٍّ مُسْمِعٌ كُلَّ مَنْ لَهُ أُذُنانِ
رُبَّ حَيٍّ يَعِيشُ مَيْتًا عَلَى الْأَرْ ضِ بِداءِ الْخُمُولِ والنِّسْيانِ !

* * *

سُؤْدُدٌ شامِـخٌ أَقاصِيصُكَ النَّفَّا حَةُ آياتُها بِعِطْرِ « الْمَثانِي »
تَسْكُبُ الْخَيْرَ فِي السَّرائِرِ ، والْحُبَّ وَتُضْفِي السَّنـا عَلَى الْأَذْهانِ
وَتُقِيمُ الصُّوَى لِسارِي الدَّياجِي وَتُنِيرُ الطَّرِيقَ لِلْحَيْرانِ

كُلُّ أُقْصُوصَةٍ كَأَنَّ عَلَيْها رَوْنَقًا مِنْ طَلاقَةِ الْبُسْتانِ
قَدْ وَشَى بُرْدَها لَبِيقٌ صَناعٌ هاتِكُ السِّتْرِ عَنْ كُنُوزِ « عُمان »
كُنْتَ فِيها مُعَلِّمًا قَبَسَ الفِطْنَةَ مِنْـــهُ مُعَـــلِّمُ الصِّبْيانِ
كُنْتَ فِيها أَبًا كَثِيرَ الْمَبَرَّا تِ ، وَأُمًّا فَيَّاضَةَ التَّحْنانِ
فَتَلَقَّى الْأَبْناءُ صُنْعَكَ بِالشُّكْرِ وَأَطْرَى جَمِيلَكَ الْأَبَوان
كُنْتَ فِيها « لُقْمانَ » حُكْماً ، بَلَى ، كُنْتَ
حَـكِيمًا أَرْبَى عَلَى « لُقْمانِ »
كُنْتَ فِيها مُرَبِّيَ الْجِيلِ تَمْشِي مُطْمَئِنًّا عَلَى هُـدَى الْقُرْآنِ
وَكَثِيرٌ سِواكَ صاغُوا الدَّعارا تِ وَباءً ، طَمَى عَلَى الْأَوْطانِ
والْـكِتابُ الْخَلِيعُ أَفْتَكُ مِنْ سُلٍّ
- بِقُرَّائِهِ - وَمِنْ سَرَطانِ

* * *

لَيْتَ شِعْرِى ما لِلْمَنايا عَلَى سَرْ حِى لَهُنَّ غارَةُ السِّرْحانِ
الرُّذالُ الْخَشاشُ مِنْها بِمَنْجا ةٍ ، وَأَخْيارُنا جَناها الدّانِى
وَيْحَ نَفْسِي : يَزِيدُ هَمِّى عَلَى الدَّهْرِ
وَبِشْرِى فِى ذِمَّةِ النُّقْصانِ
كُلَّ يَوْمٍ لِمُقْلَتِى عَبْرَةٌ حَرَّى عَلَى راحِـلٍ أَغَرَّ هِجانِ
وَسَدُوهُ الثَّرَى ، وَقَدْ كانَ مِنّا فِى سَوادِ الْقُلُوبِ والْأَعْيانِ

طاحَ فِقْدانُه بِرَوْحِي ، وَرَيْحانِي وَبِيضِ الْمُنَى ، وَخُضْرِ الْمَجانِي
ذَهَبَ الْجِيلُ كُلُّهُ غَيْرَ أَفْرا دٍ قَلِيلٍ مَرْهُونَةٍ لِأَوانِ
أَنا ـ مِنْ بَعْدِهِمْ ـ أَعِيشُ غَرِيبًا مُسْتَكِينًا فَرِيسَةَ الْأَحْزانِ

* * *

يا « أَبا مُصْطَفَى » : مُصابُكَ أَضْنَى وَقْعُهُ مُهْجَتِي ، وَهَدَّ كِيانِي !
أَتَرانِي ـ والْحُزْنُ يَسْفَعُ قَلْبِي بِشُواظٍ مِنْ نارِهِ ـ أَتَرانِي ؟ !
قَدْ دَعاكَ الرَّدَى فَأَعْنَقْتَ سَيْرًا لَيْتَهُ يَوْمَ أَنْ دَعاكَ دَعانِي !
قُمْتُ أَرْثِي فَلَمْ أَجِدْ لِي مُعِينًا غَيْرَ دَمْعٍ يَلَجُّ فِي الْهَمَلانِ
كُنْتُ أَرْثِي راثٍ فَما لِيَ أَصْفَيْتُ وَحُلِّئْتُ عَنْ رُقَى شَيْطانِي
هٰكَذا الرُّزْءُ يَعْقِلُ الْعَقْلَ ، حَتَّى يَشْتَكِي الْعِيَّ صاغَةُ التِّبْيانِ
فانْزِلِ الْخُلْدَ ـ يا صَدِيقِيَ ـ وامْرَحْ فِي ظِلالِ الرِّضا لَدَى « رِضْوانِ »
كُلُّنا وارِدٌ حِياضَ الْمَنايا :
مِنْ مَجُولِ الْخُطا ، وَمِنْ مُتَوانِي
وَعَلَيْكَ السَّلامُ حَيًّا وَمَيْتًا
أَنْتَ حَيٌّ عَلَى مَدَى الْأَزْمانِ !

علي الجندي

حياة كاملة فى قصيدة

للشاعر الكاتب الخطيب : طاهر الطناحى

عرف الأستاذ « طاهر الطناحى » فقيدَ الأدب الكبير معرفة روحية ، قبل أن يعرفه معرفة شخصية ، بنحو عشر سنوات .

وكان أول ما عرفه وقدّره حين ظهر ديوان « لزوم ما لا يلزم » ، مصدراً بمقدمة تحليلية قيمة للفقيد ، وقد أشرف على طبعه وتصحيح غريبه ، ومقابلته بالنسختين : الهندية والمصرية .

وكان اللقاء الشخصى الأول بينهما سنة ١٩٣٤ حين أهدى إليه الفقيد ديوان « ابن زيدون » . . وكان وقتئذ يعنى بمكتبة شباب الأدب الحديث ، التى أسماها « المكتبة العلائية » .

ثم امتدت الصداقة بينهما خمساً وعشرين سنة .

وقد رسم ناظم هذا الرثاء المؤثر صورة كاملة لحياة صديقه ، كما عرفها من جهوده وجهاده فى خدمة العروبة والأدب العربى .

عَوَّضَ اللهُ مِنْكَ أَهْلَ الْبيانِ وَحُماةَ الْفُنُونِ والْعِرْفانِ
راعَهُمْ خَطْبُكَ الْجَسِيمُ ، فَباتُوا لا يُلَبُّونَ داعِىَ السُّلْوان
كُنْتَ نِعْمَ الْأَدِيبُ فِى لُغَةِ الضَّا دِ ، وَنِعْمَ الْمُنِيرُ لِلْأَذْهانِ
كُنْتَ تُرْوِى الْعُقُولَ والْأَنْفُسَ الظَّمْـ ـأَى بِصافٍ مِنَ اللِّطافِ الْحِسان
فَبَعَثْتَ الدَّفِينَ فِى الْأَدَبِ الْعا لِى ، وَهَذَّبْتَ ناشِئَ الْفِتْيانِ
وَخَدَمْتَ الْجِيلَيْنِ خِـدْمَةَ مَنْ أَوْ فَى ، وَأَعْلَى مَنارَةَ الْبُنْيان

لَمْ يَمُتْ مَنْ لَهُ عَلَى النَّشْءِ فَضْلٌ
فِي جَمِيعِ الأَجْيَالِ وَالْبُلْدَانِ
لَمْ يَمُتْ باعِثُ «الْمَعَرِّيِّ» فِي النَّا
سِ ، وَمُحْيِي «رِسالَةِ الْغُفْرانِ»
كُلُّ حَفْلٍ شَهِدْتَهُ كُنْتَ تُزْجِي
فِيهِ شِعْرًا مِنْ مُعْجِزاتِ الزَّمانِ
لا يُجارِيكَ - فِي الرِّوايَةِ - راوٍ
لِطَرِيفٍ وَتالِدٍ فِي الْمَعانِي
كُنْتَ كَـ «الأَصْمَعِيِّ» فِي سَعَةِ الْحِفْـ
ـظِ ، وَتَصْرِيفِهِ بِخَيْرِ لِسانِ
أَوْ كَمِثْلِ «الزَّمَخْشَرِيِّ» فِي دِقَّةِ اللَّفْـ
ـظِ ، وَتَفْسِيرِهِ مِنَ الْقُرْآنِ
كَمْ رَوَيْتَ الْجَمِيلَ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ
وَأَثَرْتَ الْجَمالَ فِي الْوِجْدانِ
عَجِبَ النَّاسُ كَيْفَ يَهْدَأُ هٰذا الْـبَحْرُ مِنْ ثَوْرَةٍ وَمِنْ غَلَيانِ !

* * *

قَدْ قَضَيْتَ الْحَياةَ فِي السَّعْيِ وَالدَّأْ
بِ لِأُمِّ اللُّغاتِ وَالتِّبْيانِ
وَطَوَيْتَ السِّنِينَ طَيَّ كِفاحٍ وَغَرامٍ بِالنَّفْعِ وَالإِحْسانِ
وَعُكُوفٍ عَلَى الْكِتابَةِ وَالتَّأْ لِيفِ تُنْشِي قَلائِدَ الْعِقْيانِ
مُسْتَمِدًّا مِنَ الشَّقاءِ نَعِيمًا مُسْتَعِينًا بِالْعَزْمِ وَالإِيمانِ

فَهَصَرْتَ الشَّبابَ وهْوَ نَضِيرٌ وَلَحِقْتَ الشُّيُوخَ قَبْلَ الأَوانِ
وَتَمادَى بِكَ السَّقامُ طَوِيلًا غَيْرَ شاكٍ - مِنْ بَأْسِهِ - ما تُعانِي
لا تُبالِي إِذا سَطا الْمَوْتُ ما دُمْ تَ تُنِيرُ الْحَياةَ لِلشُّبَّانِ
لَسْتَ تُعْنَى بِما يُخَبِّئُهُ الْمِقْ دارُ مِنْ لَوْعَةٍ وَمِنْ أَحْزانِ
ما رَحِمْتَ الضَّئِيلَ مِنْ جِسْمِكَ الْعا نِى ، إِلَى أَنْ شَكَتْ بِكَ الْعَيْنانِ
فَتَخَيَّرْتَ - لِلْعِلاجِ - سُهادًا دائِبَ الْجُهْدِ فِي الدُّجَى غَيْرَ وانِ
وَأَبَيْتَ الْهُدُوءَ أَوْ تَخْدُمَ النَّشْ ءَ ، وَتُهْدِي لَهُمْ رَطِيبَ الْمَجانِي
فَسَبَقْتَ الْجَمِيعَ فِي خِدْمَةِ الأَطْ فالِ مِمَّا رَفَعْتَ مِنْ أَرْكانِ
وَبَدَتْ لِلعُيُونِ « مَكْتَبَةُ الْكِيـ لانِي » تَزْهَى بِما حَوَتْ مِنْ جُمانِ
كَمْ قَصَصْتَ الطَّرِيفَ فِيها فَأَبْدَعْ تَ ، وَجَلَّيْتَ حِكْمَةَ الْحَيَوانِ
وَجَمَعْتَ اللُّغاتِ فِيها ، فَكانَتْ مَدْرَساتٍ لِكُلِّ قاصٍ وَدانِ
يَتَلَقَّى الصَّغِيرُ فِيها لُغاتِ الشَّـ رْقِ والْغَرْبِ فِي سَلِيمِ الْمَبانِي
هِيَ لِلنَّشْءِ مُتْعَةٌ وَرَشادٌ وَرَسُولٌ لِخِدْمَةِ الأَوْطانِ
عَمَلٌ نافِعٌ شَأَوْتَ إِلَيْهِ سَوْفَ يَبْقَى عَلَى مَدَى الأَزْمانِ
لا مُعِينٌ سِوَى قَلِيلٍ مِنَ الْما لِ ، وَذُخْرٍ مِنَ النُّهَى والْبَيانِ
واحْتَمَلْتَ الأَنْواءَ كالْبَحْرِ ، حَتَّى دَبَّ فِي الْبَحْرِ حافِرُ السَّرَطانِ
طَلَبُ الْمَجْدِ يُورِثُ الْمَرْءَ هَمًّا وَشَقاءً يُضْنِي قُوَى الْكِيانِ

* * *

كُنتَ تشكو التقديرَ في هذه الدُّنـ ـيا ، فهل قد مضى به النَّيِّرانِ ؟
وهُما دائبانِ في السَّعي دوْمًا بِقضاءٍ لخِدمةِ الأَكوانِ
هكذا العِلمُ والفُنونُ وأهلُ الـ ـعِلمِ والفَنِّ في جميعِ الزَّمانِ
غُرَباءُ كما يقولُ « المعرِّي » قُرَناءُ للبَذلِ والحِرْمانِ
فاغتَبِطْ بالخُلودِ ، واهنَأْ بما نِلـ
ـتَ – منَ الأجْرِ – في نعيمِ الجِنانِ
وَاستَرِحْ منْ متاعِبِ العَيشِ واسلَمْ
– في أمانٍ – مِنْ عالَمِ الإنسانِ
قدْ شفى الموْتُ ما لَقيتَ منَ الدَّا
ءِ ، وما قدْ لَقيتَ مِنْ عُدْوانِ
« تعبٌ كُلُّها الحياةُ فما أعْـ ـجبُ إلَّا مِنْ راغِبٍ » مُتَفانِ !

* * *

كُنتَ تُصغي لِما أَصُوغُ منَ الشِّعـ
ـرِ ، وَناشَدْتَني رِثاءَ « الكِلانى »
فَأنا اليَوْمَ رَغمَ شَجْوى أُبَكِّيـ ـكَ ، فَياوَيْحَ لي وَوَيْحَ بَياني
لَسْتُ أَرْثيكَ ، لِلرِّثاءِ ، وَلٰكِنْ مِنْ لَهِيبِ الأَسى أُذِيبُ جَناني
لَسْتُ أَرْثي ، وَإنَّما أُشرِكُ النَّوْ حَ بَناتِ الرِّياضِ والأَفْنانِ
أَسعِدِي يا هَواتِفَ الأَيْكِ عَيْني وَفُؤَادي ، وَمُهْجَتي ، وَلِساني
ماتَ بَعْضي ، وَماتَ خِلٌّ وَفيٌّ كانَ رَمْزَ الوَفاءِ في الخُلّانِ

كانَ يُهْدِى إِلَيْكَ أَطْيَبَ قَوْلٍ   هُوَ أَحْلَى مِنْ أَعْذَبِ الْأَلْحانِ
وَيُوَفِّى الصَّدِيقَ أَصْفَى وِدادٍ   هُوَ - فِى صَفْوِهِ - كَبِنْتِ الْحانِ

* * *

قَدْ مَرَرْنا بِدارِهِ ، فَبَكَيْنا   ذلِكَ الْمُنْتَدَى الْعَلِىَّ الشَّانِ
وَدَعَوْناهُ لِلْحَدِيثِ ، فَلَبَّى   هاتِفٌ : « كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانِ » !
صَوَّحَتْ نَدْوَةُ الأَدِيبِ وَأَقْوَتْ   مِنْ « مَعَرِّى » الزَّمانِ « والْهَمَذانِى »
وَمِنَ « الْبُحْتُرِىِّ » ، و « ابْنِ زَيْدُو   نَ » وَ « عَبْدِ الْحَمِيدِ » و « الْأَصْفَهانِى »
قَدْ مَضَى ، بَعْدَ ما تَرَنَّمَ حِينًا   بِالأَصِيلِ السَّرِىِّ فِى الْأَوْزانِ
بِالنَّفِيسِ الَّذِى يَذِلُّ لَهُ كُلُّ   جَدِيدٍ مِنْ أَعْجَمِىِّ الْمَبانِى
كُلَّما أَنْشَدَ الْبَلِيغَ مِنَ الشِّعْـ   ـرِ ، تَوارَى الدَّعِىُّ بِالْخِذْلانِ

* * *

حَطِّمِ الْعُودَ ، يا خَلِيلِى ، فَإِنَّا   لَمْ نَجِدْ بَيْنَنا سِوَى الْأَشْجانِ !
لَمْ نَجِدْ غَيْرَ نائِحٍ وَكَئِيبٍ   وَمُعِينٍ عَلَى الْأَسَى وَمُعانِ !
حَطِّمِ الْعُودَ ؛ لَيْسَ فِينا مَغانِ   يهِ ، وَما يَبْعَثُ الْهَوَى والْأَمانِى !
لَيْسَ فِينا مَنْ كانَ يَهْتِفُ بِالسَّجْـ   ـعِ ، وَيُشْجِى سَواجِعَ الْأَغْصانِ !
حَطِّمِ الْعُودَ ؛ إِنَّنا قَدْ سَئِمْنا الْـ   ـعَيْشَ فِى فُرْقَةٍ مِنَ الْإِخْوانِ !
وَكَفانا مِنَ الْحَياةِ أَنِينٌ ،   والْتِياعٌ ، فِى السِّرِّ والْإِعْلانِ !

طاهر الطناحى

نداء إلى الروح الطاهرة

كلمة القائد العربي « الأستاذ الكبير عبد الله التل »

حينما هاجر القائد العربي « عبد الله التل » إلى مصر في أكتوبر ١٩٤٩ ، كان أول عمل قام به هو زيارة أستاذه « كامل كيلاني » الذي أحبه قبل أن يرى وجهه .

وطول السنوات العشر الماضية لم ينقطع «عبد الله التل» عن « ندوة الكيلاني » التي كان يعتبرها مدرسة تغذي ميله الفطري للأدب والشعر .

وكان «عبد الله التل» يعجب بأستاذه ومقدرته التي تفرد بها في حفظ الشعر ، وتطبيقه على جميع ما يمر بأمتنا العربية من أحداث صغيرة وكبيرة ، مبرزاً ما لهذه الأمة من مكانة خارقة في الأدب والشعر ، فاقت بها جميع أمم الأرض .

وحينما رحل « كامل كيلاني » عن هذه الدنيا ، فجع « عبد الله التل » ، وأحس بفراغ كبير في قلبه ، لم يكن يملؤه إلا شيخه الراحل .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

أَيَّتُها الرُّوح الطَّاهِرَة الَّتى تُطِلِّينَ عَلَيْنا السَّاعَة ، انْظُرِى الْأَهْل والْأَصدِقاء والْمُحِبِّين . . جاءوا الْيَوْم يذْكرونكِ بِكلام جَمِيل ، وحنِينٍ صادِق أَصِيل ، ويسأَلونك صَفحًا وغُفْرانًا لِأُمَّةٍ تَتنَكَّر لعُلَمائها فى حياتهمْ ، ثم تكرِّمُهمْ بَعْد مَماتِهم . . . .

وَأَنْتِ نَفسٌ زَكِيَّةٌ رَضِيَّةٌ كانَ صاحِبُكَ عربِيًّا أَصِيلًا يَعْتزُّ بِعُروبَتِهِ ، يَوْمَ لَمْ يَكُنْ يُؤْمِن بالْعُروبةِ ويجرُؤُ عَلَى تَرْدِيدِ اسْمِها إِلَّا قِلَّةٌ مِنَ الْمُناضِلين الْبعِيدِى النَّظر ، الْمُؤْمِنِين بِوَطَنِهم العَرَبِيِّ الْأَكبر .

كانَ يُؤَلِّفُ فِي صَوْمَعَتِه جامعةً عربيةً شعْبية صادِقَةً . .

كان يُؤْمِن مُنْـذُ ثَلاثِين عامًا بِوَحْدَةِ الْوَطَنِ الْعَرَبى ، وَيَعْمَل لِتَحْقِيق هٰـذه الْغاية بِصَمْت وَهدُوء ، مُسْتَخْدِمًا الْمُقوِّمَ الأَوَّل لـكلِّ قَوْمِيَّةٍ : اللُّغَةَ .

فيارُوح شَيْخى وَأُستاذى : هَلْ لَقِيتِ رِفاقًا رَحَلُوا عَنِ الدُّنْيا الَّتِى عاشُوا فِيها غُرباءَ فِي أَوْطانِهِمْ ، كَما كُنْتِ تَعِيشين ؟ أَلَقِيتِ رُوحَ « شَـكِيب أَرْسِلان » الَّذِى قالَ فيكِ ، قَبْلَ عِشْرين عامًا :

« أَلْفَيْتُ فِيما أَلْفَيْتُ مِنْ كُنوزِها (ويقصد مصر) خَبيئةً مكْنونة يُقال لَها : « السَّيِّدُ كامِل الْـكيلانى » ؛ إِذْ لَيْسَ مِنْ ذوى الْمناصب الرَّسْمية الْعالية ، وَلٰـكنَّه من ذوى الْمناصب النفسية الغالية ؛ أَقامه أَدَبُه بِالْمُقام الَّذِى قَعَدَ عنْه منْصِبه . . وما زالَتْ رُتْبةُ الْعِلْم أَعْلَى الرُّتَب !

فَمَنْ عَرفَ هٰذا الْجِهْبِذ الفَذَّ حقَّ الْمَعْرِفَة ، رَأَى فِيه بَحْرًا زَخَّارًا يُغْرِق مُنافسيه بِكُلِّ لُجَّة ، وَعثر عَلَى خِزانَة أَدَبٍ مُـكْتَظَّة ، صاحِبها حُجَّةَ اللُّغَةِ لا « ابْن حِجَّة » . نادِرةُ زمانه فى الْحِفْظ ، وَأُعْجُوبة عَصْرِه فى النَّقْد ، وَآيَـةً مِن آياتِ اللهِ فِي سلامَةِ الذَّوق ، والمثلُ البعيدُ فِي الْبَديهة ، والْمُسْتَولِى عَلَى الأَمَدِ فِي حَرارَة النُّـكْتَةِ ، والقِياسُ الأَتَمُّ فى حُسْنِ الْمُحاضَرة . هٰذا إِلَى أَخْلاقٍ رَضِيَّةٍ ، وَمَنازِعَ أَبِيَّة وَصَفاء سريرة وَوَفاءِ شِيمَة . . وَلا خَـيْرَ فى عِلْمٍ لَمْ يُزَيِّنْه خُلُق ، وَلا جَداءَ فِي دَرْس لَيْسَ وَراءَهُ نَفْس ! »

وَصَدَقَ أميرُ الْبَيان أَيَّتُها الرُّوحُ الطَّاهِرَة ؛ فَقَد كان شيْخنا أَعْلى مِنَ الأَلْقابِ وَأَكْبرَ مِن المناصب . وانْطَبَقَ عَلَيْه قول الشَّاعر الأرْدُنِى « عرار » :

فالنَّاسُ «إِنسانانِ» : مَنْ هَمُّه   أَنْ يرْتَوِى ذُلًّا وَأَنْ يَلْعَبا
وَآخَرٌ يَأْبَى عَلَيْهِ الْحِجى   إِلَّا بِأَنْ يَشْقَى وَأَنْ يَتْعَبا
ما قِيمَةُ الأَلْقابِ مَنْصُوبَةً   والظَّهْرُ بِالْخِزْى قَدِ احْدَوْدَبا
كَمْ مُطْلَقِ الْعُنْوانِ أَلْقابُه   ما حَقَّقَتْ سُؤْلًا وَلا مَطْلَبا
يَسْتَنْسِبُ النَّفْعَ بِصَفْعِ الْقَفا   يابِئْسَ ما اخْتارَ وما اسْتَنْسَبا !

و « الإِبراهيمىُّ » أَعلَم عُلماء العرب الأَحْياء ، مدَّ اللهُ فِى عُمْره : أَتَذْكرِين أَيَّتُها الرُّوحُ الطَّاهِرَة قَوْلَه الَّذِى كُنتِ تَعْتَزِّينَ بِهِ ، والَّذِى جاءَ فِيهِ :

« كانَ هٰـذا النَّمطُ الْعالِى مِنْ كُتُبِ التَّرْبيَةِ دَيْنًا واجِبَ الوَفاء مِنْ ذِمَمِ عُلَمـائِنا ؛ فَقَضاه عَنْهم هٰـذا الْمُرَبِّى الصَّامِتُ الصَّابِرُ الَّذى اقْتَحَمَ الْمَيْدانَ وَحْـدَه ؛ وَنَصَبَ حَيْث لا مُعِينَ ، وَظَمِئَ حَيْثُ لا مَعِينَ . فإِذا جَحَدَتْه الأَجْيالُ الَّتى بَنَى فيها ، فَحسْبُه سَلْوى أَنْ سَتَحْمَدُهُ الأَجْيالُ الَّتى بَنَى لَها !...

وَلِلأُسْتاذ « كامِل كِيلانِى » مَنْزِلَته الرَّفِيعة فِى الأَدَب ، وَلَه وَزْنُه الرَّاجِـحُ فِى الْعِلْم . وَهُوَ فِى ذٰلِك كُلِّه رجل كالرِّجالِ ، يصْطَرِع حوْله النَّقد ، وَيَتَطاير عليْه شَررُ الْحَسَد والحِقْد .

وَلٰـكنَّه بِما جوَّد وَأَتْقن وابْتَـكَر مِنْ هٰذِهِ الْـكُتُب ـ بَل مِنْ

هٰذِهِ الطَّرائفِ فِي التَّرْبِيَةِ ـ أَصْبَحَ مَبْدَأً لا رَجُلا . والْمَبادِئُ الصَّالِحةُ حظُّها الخُلودُ ، وَمِنْ شَأْنِها أَنْ تَسْتَمِدَّ مَعانِيَ الْخُلُودِ مِنْ جَحْدِ الْجاحِدِين ، وَحَمْدِ الحامِدِين عَلَى السَّواءِ . »

والصَّوْمعةُ أَيَّتُها النَّفس الزَّكِية ، هل استَبْدَلْتِ بِها صَوْمعة فِي الْجَنَّةِ تَعْقدِينَ فِيها نَدْوَةً وَتَجْمَعِين فِيها أَرْواحَ « شَكِيب أَرْسلان » و « أَحْمد زَكى » و « مُطْران » و « صادِق عَنْبَر » و « مُحمد عَلِي علُّوبة » و « إِبْراهيم دُسوقى أَباظة » . . ؟

وَلا تَنْسى أَن تَشركى فى النَّدْوَة أَرْواحَ أُدَباءِ « الْقُدْس » وَ « يافا » الَّذِين كَتَبْتِ عَنْهم قَبْل سِتٍّ وَعِشْرين سنَة ، بَعْدَ رِحْلَة لِتِلْكَ الدِّيار الْمُقَدَّسَةِ ؛ فَقُلْتِ يَوْمَها فيما قُلْتِ :

« وَلَقَد كُنْتُ كُلَّما قابَلْتُ أَدِيبًا مِن أُدَبائِها الْمُمْتازِين ، شَعَرْتُ بِفرحٍ يغمُر قَلْبِي . لَقَدْ وَحَّدَتِ اللُّغَة بَين آمالنا وآلامِنا وَرَغباتِنا ، وَجَعَلَتْنا أُسْرَةً واحِدةً ، لنا هَوًى واحد وغايَةٌ واحدةٌ وَأُمْنِية واحدةٌ . وَأَصْبَحْنا كَما يقُول « ابْن الرُّومى » :

وَخِلّيْنِ تمَّا ـ بِى ـ ثَلاثَةَ إِخْوَةٍ   جُسُومُهُمْ شَتَّى وَأَرْواحُهُمْ مَعَا
مُوافِيْنَ أَهْواءٍ تَوافَتْ عَلَى هَوًى   فَلَوْ أُرْسِلَتْ كالنَّبْلِ لَمْ تَعْدُ مَوْقِعا
إِذا ما دَعا مِنَّا خَلِيلٌ خَلِيلَهُ   بِأَفْدِيكَ . . ! لَبَّاهُ مُجِيبًا فَأَسْمَعا

ولشدَّ ما كانت تبتهج نفسى كلما تمثلتْ لِي هذه الإمبراطورِية الفِكرِية الشاسِعة التى تسُودُها اللُّغَة العربيَّة ، وتمَثَّلَتْ لِي هٰذه الْقُوَى

الدَّائبة المُسخَّرة لِخدمتها وَرِفعَةِ شَأنِها . فَقَدْ كُنت أَرَى فِي كُلِّ عقلٍ أَلْقاهُ فِي هٰذه البلادِ ، قوَّة لمجْدى وَإعزازِى وَرفعِ شَأْنى .

أَلَيْسَت كُلُّها تعمل لِخِدْمة اللّغة العربيَّةِ وَرِفعَة الفِكْر العَربىّ وَنَشْر الثّقافة العَربيَّة . . ؟

أَلَيسَ فِي ذٰلك رِفعةٌ وَإعزازٌ ومجد لِكُلِّ شَرْقِيٍّ بِلا اسْتِثناء .

أَلَيْسَتْ رَفاهِيةُ أَهْل هٰذه البْلادِ ورخاؤُهُم رَفاهية ونعمة لَنا . . ؟

أَلَيْست سَعادَتُهُم وَقوَّتُهم ، قوَّة لنا ولأَدَبِنا وَثقافَتِنا ؟ أَلَيْست جامِعَة دِمَشْق وَكُلِّيَة بَيْروت والكُلِّية العربيَّةُ بالقُدْسِ ومدارِسُ العِراق وشرْق الأُرْدن وَتُونس والحِجاز واليَمَن وحضْرَمَوْت وَغَيْرها مُتَكاتِفة مَعَ الجامعةِ المِصْرِيَّةِ والأَزْهَرِ ودارِ العُلُوم عَلَى تَثْبيت مَجْدِنا الأَدَبِى ، وَتغْذِية نَهْضَتِنا العِلْمِيَّة ، وَإعْزازِ لُغَتِنا المَجيدَةِ . . . ؟ »

فَبَشِّرِى أَيَّتُها الرُّوحُ الطَّاهِرة إِخوانَكِ مِنْ شُهداء الحُرِّية والوَحْدَة ، أَنَّ أَهْدافَهُم الَّتِي ضَحَّوْا مِنْ أَجْلِها ، والّتى دَعَوْتِ لَها قَبْلَ رُبْعِ قَرْنٍ ، قَدْ بَدَأَتْ تَتَحقق . وأن العِنايَةَ الإلٰهِية قَدْ هَيَّأَتْ لِلأُمَّة العَرَبيَّة قِيادَةً وَطَنِيَّةً مُخْلِصَة شُجاعة تَقْدُرُ أَوَّلَ ما تَقْدُرُ العِلْمَ والعُلماء .

وَنَدْوَتُنا الَّتِي تَعْهَدِينَ ، انفَرَطَ عِقْدُها مُنْذُ رَحَلْتِ عَنَّا . . أَتَذْكُرِينَ أَعْضاءها . . « الخَطَّابى » و « الحُسَيْنى » و « أَحمد حِلْمى » و « الإِبْراهِيمى » و « رَشيد عالِى » و « عزِيز المِصْرى » و « فَهْمى هاشِم » و « عَلى عبْد الْكَرِيم » و « صالِح بن يُوسف »

و « مظهر سعيد » و « سامِي العَظْم » و « حَبِيب جاماتِي » و « الْماحِي » و « سيِّد إبراهيم » و « الطَّناحِي » و « حَمام » . .

إنَّهمْ جميعًا عَجَزُوا عَنْ تَحْقِيق الصُّورَةِ السَّاخِرَة الَّتِي كُنْتِ تُرَدِّدِينَها فِي قَوْل « حاتم الطَّائِي » :

أَماوِيَّ ما يُغْنِي الثَّراء عَنِ الْفَتَى ... إذا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضاقَ بِها الصَّدْرُ
إذا أَنا دَلَّانِي الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ ... بِمَلْحُودَةٍ زَلْحٍ جَوانِبُها غُبْرُ
وَراحُوا سِراعًا يَنْفُضُونَ أَكُفَّهُمْ ... يَقولُونَ : قَدْ دَمَّى أَنامِلَنا الْحَفْرُ

نَعَمْ ! لَقَدْ عَجَزُوا عنْ تَشْيِيعِك إِلى اللَّحْد والتَّبَرُّكِ بِلَمْس تُرابه ؛ لأنَّ وداعَ الصَّدِيقِ الرَّاحِلِ ينْتَهى فِي أَيَّامِنا هٰذه بَعْد الصَّلاةِ ، ولا يُكَلِّفُ الْمُشَيِّعُونَ أَنْفُسَهُمْ عَناءَ الانْتِقالِ إِلى الْمَقْبَرَة .

* * *

فسلامٌ عليك أَيَّتُها النَّفْسُ الزَّكِيَّة ، وَهَنِيئًا لَكِ عالَمُكِ الْجَدِيد الْخالِد ، وَصَوْمَعَتُك الجَدِيدة المُطَهَّرة مِن دَنَسِ الْحياة وأَدْرانِها ، بَعْد أَنْ هَجَرْتِ الدُّنْيا وَزَحْمَتَها ، وَفَسَحْتِ الطَّرِيق لعُشَّاق الزِّحام مِن الطَّغام :

عَرَفْتُكِ يا نَفْسُ رَمْزَ الإِباء ... مِثالَ الطَّهارَةِ والعِفَّةِ
وَحِينَ طَغَى غَثُّهُمْ سافِرًا ... وعاثُوا بِآدابِنا الْحُرَّةِ
تَخَلَّيْتِ راضِيَةً لِلصِّغارِ ... يَتِيهُونَ فِي لُجَّةِ الزَّحْمَةِ
تَبَسَّمْتِ ساخِرَةً مِنْهُمُ ... وَطِرْتِ سَرِيعًا إِلَى الْجَنَّةِ !

عبد الله التل

قضَى اللهُ فِي الْخِلِّ الْوَفِيِّ قضاءَهُ

للشاعر محمد مصطفى حمام

كان صاحب هذه القصيدة ، طالباً فى المدرسة الخديوية الثانوية ، وكان الفقيد فى شباب سنه ، وفى شباب عبقريته ، ملء الأسماع من الصغار والكبار ، يعرفون قدره ، ويتعقبون مجالسه ومحاضراته ، ويستفيدون منه ما استطاعوا .

وكان منهم « محمد مصطفى حمام » ، وظلت الصلة بينه وبين الفقيد تنمو وتسمو ، حتى صار « حمام » من الذوات العزيزة عليه رحمه الله ، بينهما ما يشبه التلازم ، وللشاعر كثير من المقالات والقصائد فى الفقيد خلال الأعوام الثلاثين الماضية ;

حَزِنْتُ عَلَيْهِ مُذْ تَغَلْغَلَ فِي قَلْبِي وأُوثِرَ عِنْـدِي بِالتَّجِلَّةِ والْحُبِّ

حَزِنْتُ عَلَيْـهِ ، والصِّبا فِي بَهائِهِ
وَنَحْنُ - مِنَ السَّرَّاءِ - فِي مَرْتَعٍ خِصْبِ

حَزِنْتُ عَلَيْهِ ، والْمَنايا بَعِيدَةٌ عَلَى مِثْلِنا ، والْعُمْرُ فِي عالَمِ الْغَيْبِ

حَزِنْتُ لِعِلْمِي أَنَّ أُنْسِي سَيَنْقَضِي وَأَنَّ الْفِـراقَ الْمُرَّ آتٍ بِلا رَيْبِ

أَسَأْتُ لِأَمْسِي حِينَما عِشْتُ فِي غَدِي وَفِيما طَواهُ مِنْ مَآسٍ ، وَمِنْ كَرْبِ

دَعُوا الْغَدَ آمالًا لَـكُمْ لا مَخاوِفا وَلا تَدْأَبُوا بِاللهِ ما كانَ مِنْ دَأْبِي

لَقَدْ كانَ خَوْفِي عِنْدَ مُرِّ وَعِيدِهِ لَعَلَّ مُناكُمْ عِنْدَ مَوْعِدِها الْعَذْبِ

* * *

قَضَى اللهُ فِي الْخِلِّ الْوَفِيِّ قَضاءَهُ وَإِنِّي لَذُو صَبْرٍ وَإِنْ آدَنِي خَطْبِي

وَسِيَّانِ سَبْقِي لِلتُّرابِ وَسَبْقُهُ كِلانا شَكا الْحِرْمانَ مِنْ نِعْمَةِ الْقُرْبِ

رَأَيْتُ بِعَيْنِ الْقَلْبِ لَهْفَةَ «كامِلٍ» إِلَيَّ وَعَيْنُ الْقَلْبِ كَشَّافَةُ الْحُجْبِ
سَأَبْكِيهِ لا أَرْثِيهِ ، إِنَّ رِثاءَهُ لَأَصْعَبُ ما كُلِّفْتُ مِنْ مَرْكَبٍ صَعْبِ
سَأُطْرِيهِ لا أُحْصِيهِ . ما أَنا بِالَّذِى يُحاوِلُ إِحْصاءَ الْكَواكِبِ والشُّهْبِ
سَماواتُهُ كُثْرٌ فِساحٌ مَواطِرٌ وَفِى أَيِّها قَدْ كانَ فِى مَسْبَحِ الْقُطْبِ
أَحادِيثُهُ كانَتْ دُرُوسًا ، فَإِنْ تُرِدْ مَزِيدًا فَقَدْ أَهْدَى كُنُوزًا مِنَ الْكُتْبِ
فَلِلنَّشْءِ مِنْها رائِضٌ وَمُدَرِّجٌ مِنَ الْعَقْلِ مَحْدُودٌ إِلَى عَقْلِهِ الرَّحْبِ
وَكَمْ مِنْ كَبِيرٍ فازَ مِنْها بِنَهْلَةٍ فَما زالَ عَكَّافًا عَلَى النَّهْلِ والْعَبِّ
وَكانَ عِنانُ الْقَوْلِ طَوْعَ يَمِينِهِ فَفِى نَثْرِهِ يَسْبِى ، وَفِى شِعْرِهِ يُصْبِى
وَقَصَّ عَنِ الشَّرْقِ الْمَجِيدِ رَوائِعًا
وَكَمْ جاءَ بِالْآياتِ مِنْ «قِصَصِ الْغَرْبِ»
وَكانَ الْهُدَى والْحُبَّ والْحِلْمَ والتُّقَى
وَكانَ الْغِياثَ السَّمْحَ لِلْآلِ والصَّحْبِ

هٰذِهِ قَصِيدَةُ الْأُسْتاذ «حَمام» .. وقَدْ قدَّم لها بمقدِّمَةٍ نَثْرِيَّةٍ ، تحدثَ فيها عن الشاعر «كامل كِيلانِى» ، وَأَوْرَدَ مُقْتَطَفات من روائع شِعْره . مِنها هٰذا البيت ، الَّذى اسْتَفْتح به قصيدةً رائعةً مِنْ قصائده الَّتى مَزَجَ فِيها الْحِكْمَة البالغة بالسخرية اللَّاذعة :

قَلِيلٌ مِنَ التَّهْرِيجِ يَحْمِى كِفايَتِى وَيَرْفَعُ مِنِّى بَعْضَ ما خَفَضَ الْعِلْمُ !

ومنها هٰذانِ البيتانِ من تَقْرِيظه لديوانِ الشَّاعِرِ الكبير «محمود عِماد» :

أَبْدَعْتَ فانْتَظِرِ الشَّقاءَ مَثُوبَةً إِنَّ الشَّقاءَ الْحَقَّ أَجْرُ الْمُبْدِعِ !

إنَّ الزَّمانَ ـ وَقَدْ رَضِيتُ قَضاءهُ ـ
خَصَّ النَّذالَةَ بِالْمَكانِ الأَرْفَعِ !

وَمِنْها هٰذه الأَبيات ، مِنْ مَلْحَمَتِهِ الضَّخْمَةِ « الْفاجِر فى المرآة » :

عُدْ كَما كُنْتَ كُومَةً مِنْ تُرابِ وانزَوِ الْيَوْمَ فِي جُحُورِ الضِّبابِ
قَدْ عَرَفْناكَ بَعْدَ طُولِ اخْتِبارٍ وَكَشَفْناكَ بَعْدَ طُولِ ارْتِيابِ
وَهَتَكْنا قِناعَ إِفْكٍ وَزُورٍ عَنْ وُجُوهٍ مُعارَةٍ وَثِيابِ
قُلْ لِإِبْلِيسَ : أَنْتَ إِبْلِيسُ ، مَهْما تَبْدُ فِي ثَوْبِ ناسِكٍ أَوَّابِ

إِلَى قَوْلِهِ :

لَكَ أَنْ تَدَّعِي الْبَراعَةَ فِي الشِّعْـ ـرِ ، وَإِنْ كُنْتَ أَخْيَبَ الْخُيَّابِ
لَكَ أَنْ تَدَّعِي الْبَراعَةَ فِي النَّثْـ ـرِ ، وَحَمْلَ اللِّواءِ فِي الْكُتَّابِ
لَكَ أَنْ تَدَّعِي الْبَراعَةَ فِي الطِّبِّ (م)
وَفَنِّ الرُّقَى وَفَنِّ الْحِجابِ
كُلُّ هٰذا مُصَدَّقٌ مِنْكَ إِلَّا أَنْ تَغَنَّى بِالْخُلْقِ بَيْنَ الصِّحابِ
دَعْ حَدِيثَ الأَخْلاقِ والطُّهْرِ والنُّبْـ ـلِ ، فَإِنَّ الْقُشُورَ غَيْرُ اللُّبابِ
عَدِّ عَنْ ذِكْرِهِ وخُذْ فِي حَدِيثٍ عَنْ سَجايا الْمُنافِقِ الْكَذَّابِ
صِفْ لَنا كَيْفَ تَخْدَعُ الْفَطِنَ الْكَيِّسَ (م)
حَتَّى يَضِلَّ فِي كُلِّ بابِ
وَتُرِيهِ الْماءَ النَّمِيرَ ، فَإِنْ دا ناهُ أَلْفاهُ خادِعًا مِنْ سَرابِ
وَتُرِيهِ الْغِنَى قَرِيبًا ، فَإِنْ ما شاكَ لَمْ يَنْتَفِعْ بِغَيْرِ الْخَرابِ

صِفْ لَنا كَيْفَ تَضمِدُ الجُرْحَ بِالجُرْ ـحِ ، وَتَشفِي الأَوْصابَ بِالأَوْصابِ

صِفْ لَنا كَيْفَ تَسْتَثِيرُ الأَفاعِي خارِجاتٍ مِنَ الغُصُونِ الرِّطابِ

حَدِّثِينا يا بُومَةَ الشَّرِّ والتَّفْـ ـرِيقِ ماذا ادَّخَرْتِ لِلأَحْبابِ ؟

ثُمَّ حَدِّثْ عَنْ مَصْرَعِ الخادِعِ الخا تِلِ ، بَيْنَ التَّصفِيقِ والإِعْجابِ

* * *

وتَكَلَّم الأستاذ « حمام » عَن قُوَّة عارِضَةِ « كامل كيلانى » ، وحضور بديهته ، وازدحام ذاكِرته بِما لَمْ تَتَّسِعْ له صفحةُ ذهنٍ آدميَّةٌ ، مُنْذُ عَرف النَّاسُ الأَدَبَ والرِّواية والنَّقْد .

ثم تَحدَّث عَن تَمكُّنِه من علوم الفُصْحى ؛ حَتَّى لقد كان الأَجِلَّاءِ مِن أَساتِذَة اللُّغة العربيَّة يتهيَّبون الإِفتاءَ فى مجلسه ، وكانت فَتْواهُ فَصْلَ الخِطابِ إِذا تَناقَشَ المُتناقِشون .

ثُمَّ وَعَدَ الأُستاذ « حَمام » بِدراسَةٍ وافِيَةٍ عَنِ الفَقِيدِ ، بَعْدَ أَنْ قَرَّرَ أَنَّ « كامِل كيلانى » كِيانٌ كَبِيرٌ ، ودُنْيا فَسِيحَة مِن العِلْم والأَدَب ، تَحْتاجُ إِلَى عَددٍ عَظِيمٍ مِنَ الدَّارِسِينَ والشَّارِحِينَ .

* * *

وَمِمَّا قالَهُ : إِنَّ مِنْ حُسْنِ العَزاء ، أَنْ يُهْرَعَ إِلَى حَفل تَأْبِينِ « كامل » جُمْهورٌ كَهٰذا الجُمْهُورِ العَظِيمِ ، مُؤَلَّفٌ مِنْ أَفاضِلِ أَهْلِ الأَدَبِ والعِلْمِ ، وَبَيْنَهُمْ عَدَدٌ مِنْ كِرامِ ساداتِ الأَقْطارِ العَرَبِيَّةِ .

* * *

وَمِنْ حُسْنِ الْعَزاء كَذٰلِكَ أَنَّ « كامِلًا » تَرَكَ عَلَى الدُّنيا ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ، وَأَنَّ رِسالَتَهُ ـ إِنْ شاءَ اللهُ ـ قائمةٌ دائمةٌ ، وَأَنَّ وَلَدَهُ النَّابِغَةَ الأُسْتاذ « رَشاد » يَعْمَلُ فِي جِدٍّ وَدَأْبٍ ، لإِخْراجِ الْآثارِ « الْكيلانِيَّةِ » النَّفِيسَةِ .

* * *

وَفِي خِلالِ حَدِيثِ الأُسْتاذ « حَمام » عَنِ الْهَيْئاتِ الْأَدَبِيَّةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي كانَ الْفَقِيدُ قُطْبَها وَحَرَكَتَها وَحَياتَها ، وعَنِ النَّدَواتِ الَّتِي عَمَرَتْ بِهِ واسْتَفادَ جُلَّاسُها مِنْ عِلْمِهِ وَأَدَبِهِ ، ذَكَرَ « رابِطَةَ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ » ، و « جامِعَةَ أُدَباءِ الْعُرُوبَةِ » ، وَصَوْمَعَتَهُ هُوَ ، وَنَدْوَتَهُ ، وَمَجالِسَ الْمَغْفُورِ لَهُ الأَدِيبِ الْعَمِيدِ الأُسْتاذِ « إِبْراهِيم دُسُوقى أَباظَة » ، ومَجالِسَ الْوَزِيرِ العَرَبِيِّ الْعَظِيمِ ، راعِي الْأَدَبِ والْأُدَباء ، الشَّيْخِ : « مُحَمَّد سُرُور الصَّبَّان » .

واسْتَشْهَدَ الْأُستاذ « حمام » بِأَبْياتِ « شَوْقِي » :

نُجَدِّدُ ذِكْرَى عَهْدِكُمْ وَنُعِيدُ وَنُدْنِي خَيالَ الْأَمْسِ وَهْوَ بَعِيدُ
وَلِلنَّاسِ فِي الْماضِي بَصائِرُ يَهْتَدِي عَلَيْهِنَّ غاوٍ ، أَوْ يَسِيرُ رَشِيدُ
إِذا الْمَيْتُ لَمْ يُكْرَمْ « بِأَرْضٍ » ثَواؤُهُ
تَحَيَّرَ فِيها الْحَيُّ : كَيْفَ يَسُودُ ؟ !

« كامل كيلانى »

للشَّاعر : خالد الْجَرنوسى

جمعت بين « خالد الجرنوسى » والفقيد الكريم زمالتان : زمالة جامعية ، وزمالة أدبية . كانا فيها أخوين متلازمين ، يتلاقيان فى رحاب الجامعة المصرية القديمة ، ويسهمان فى إلقاء محاضرات ، كان الأساتذة : « ضيف » و « منصور » و « طه » ، يتخيرون الأستاذ « كامل الكيلانى » وزميله « خالدا » من بين الطلاب لإعدادها وإلقائها ، وكانت محاضرات الفقيد موضع إعجاب الأساتذة والطلاب جميعا ، ومنها « نظرات فى الأدب الأندلسى » .

ثم امتدت الصحبة بين الفقيد وزميله الشاعر ، وظلا يتلاقيان فى أندية الأدب على وفاء ، وصدق إخاء ؛ حتى قامت ندوة « كامل » الأدبية التى تربى فيها جيل من الأدباء ، وقامت ندوة « خالد » التى لاتزال عامرة بشباب الشعراء .

يا صاحِبِي والْأَمانِي الْبِيضُ تَحْدُونا
وَنَحْنُ لِلْعِلْمِ . . طُلَّابٌ مُجِدُّونا

لَمْ أَنْسَ عَهْدَكَ فِي أَفْياءِ جامِعَةٍ
كالرَّوْضَةِ الْبِكْرِ . . تُغرِينا وَتَدْعُونا

طُيُورُها الْخُضْرُ ، أَحْياناً تُصَبِّحُنا
وَوَرْدُها الْبِكْرُ . . رَيّاناً يُمَسِّينا

نَلُوذُ مِنْ عَصْرِنا الصَّادِي بِساحَتِها
نَعُبُّ مِنْ فَيْضِها عِلْماً أَفانِينا

وَكانَ أَشْياخُها فِينا فَلاسِفَةً
كَأَهْلِ « يُونانَ » عِلْماً ، أَوْ يَزِيدُونا

* * *

ذَكَرْتُ « ضَيْفاً » و « مَنْصُوراً » وَصاحِبَهُمْ :
« طٰهَ » الَّذِى كانَ بِالْإِغْرِيقِ مَفْتُونا
لَقَدْ أَظَلُّوا صِبانا تَحْتَ أَجْنِحَةٍ
رَفَّتْ عَلَى عَهْدِنا الْماضِى رَياحِينا
عَهْدٌ ، لَعَمْرُكَ لا أَنْفَكُّ أَذْكُرُهُ
هَيْهاتَ . هَيْهاتَ أَنْ شَيْئًا يُنَسِّينا
وَأَنْتَ تَضْرِبُ فِى طُلَّابِها مَثَلًا لِطالِبِ الْعِلْمِ ، إِذْ يَهْدِى الْمُرَبِّينا
وَإِذْ تُعارِضُ « ضَيْفًا » رَأْيَهُ وَتَرَى
ما لا يَراهُ ! وَتَعْلُو فَوْقَهُ حِينا ! !
شَجاعَةُ الرَّأْىِ لَمْ تَنْقُصْكَ فِى صِغَرٍ
وَلَمْ تَخُنْكَ ، وَقَدْ جاوَزْتَ خَمْسِينا
وَإِذْ تُتَرْجِمُ « نِيكِلْسُونَ » مُبْتَدِئًا
فَلا يَفُوتُكَ شَىْءٌ مِنْ « نِكِلْسُونا »
حَضارَةُ الْعُرْبِ والْإِسْلامِ صَوَّرَها
وَزِدْتَها أَنْتَ تَظْلِيلًا وَتَلْوِينا

* * *

عَرَفْتَ نَهْجَ « الْمَعَرِّى » فِى تَهَكُّمِهِ
وَأَنْتَ جَلَّيْتَهُ شَرْحًا وَتَبْيِينا

كَشَفْتَ سِرًّا رَهِيبًا فِي رِسالَتِهِ
أَمْسَكْتَهُ : مُؤْمِنًا حِينًا ، وَظِنِّينا
أَظْهَرْتَهُ هازِئًا بِالنَّاسِ قاطِبَةً
وَناقِمًا ساخِطًا ، لَمْ يَتَّخِذْ دِينا
هٰذا الَّذِى صَوَّرَ الْفِرْدَوْسَ مَهْزَلَةً
أَقامَ فِيها لِمَنْ ماتُوا . . الْمَوازِينا !
فَما الْجَحِيمُ ، وَلا الْغُفْرانُ ، وِجْهَتُهُ
لٰكِنَّهُ شاءَ مَلْهاةً تُلَهِّينا . . !
عَبَرْتَ بَحْرًا إِلَيْهِ هائِجًا خَطِرًا
وَمِزْتَ فِيهِ الْحَصَى . . والدُّرَّ والطِّينا
قَضَيْتَ عُمْرَكَ تَقْفُوهُ وَتَتْبَعُهُ
حَتَّى أَحَطْتَ بِهِ عِلْمًا . . وَتَدْوِينا !
الرَّاهِبُ النَّاسِكُ الشَّكَّاكُ غُصْتَ بِهِ
وَكانَ كالْفُلْكِ بِالْأَسْرارِ مَشْحُونا

* * *

وَإِذْ لَوَيْتَ عِنانَ الْفِكْرِ فِي دَعَةٍ
وَزُرْتَ فِي ظُلْمَةِ السِّجْنِ « ابْنَ زَيْدُونا »
بَعَثْتَهُ شادِيًا . . فِي سَمْتِ رَوْعَتِهِ
وَضاحِكًا . . فِي قَوافِيهِ . . وَمَحْزُونا !

ونائحًا فِي مآسيهِ . . وَمِحْنَتِهِ . .

وقائلًا . . وَهوَ فِي « أغماتَ » مَسْجُونا !

« أَضْحَى التَّنائِي بَدِيلًا مِنْ تَدانِينا وناب عَنْ طِيبِ لُقْيانا تَجافِينا »

« بِنْتُمْ وَبِنَّا ، فَما ابْتَلَّتْ جَوانِحُنا

شَوْقًا إِلَيْكُمْ ، وَلا جَفَّتْ مَآقِينا »

وكانَ شَتَّى قُصاصاتٍ مُوَزَّعَةٍ جَمَعْتَ أَنْتَ لَهُ مِنْها دَواوِينا !

وَقَدْ نَفَحْتَ بِها « شَوْقِي » فَأَمْهَرَها فَرِيدَةً مِنْ بَناتِ الشِّعْرِ تُشْجِينا !

* * *

وَإِذْ سَمَوْتَ إِلى « دُوزِي » تُتَرْجِمُهُ

جَبَرْتَ عَظْمًا لَهُ قَدْ كانَ مَوْهُونا

أَدْرَكْتَ ما فاتَهُ مِنْ أَمْرِ « أَنْدَلُسٍ »

وَزِدْتَ ما زِدْتَ تَعْلِيمًا وَتَبْيِينا

* * *

وُهِبْتَ لِلْبَحْثِ عَزْمًا لا مَثِيلَ لَهُ

وَعِشْتَ ما عِشْتَ فِي دُنْياكَ مَغْبُونا

وَعُمْرُكَ الضَّخْمُ . . ما أَزْرَى بِهِ قِصَرٌ

وَقَدْ جَمَعْتَ عَلَى الْعِلْمِ الْمَلايِينا

فِي الشَّرْقِ والْغَرْبِ أَسْفارٌ مُخَلَّدَةٌ

وَفِي خُطاها . . طَوَيْتَ « الْهِنْدَ » و « الصِّينا »

يَرْوُونَها كُتُبًا فِي الْعِلْمِ أَوْ قِصَصًا
وَيُعْجَبُونَ بِهـا شَدْوًا . . فَيَشْدُونا
غَزَوْتَ بِالْفِـكْرِ أَقْطارًا . . وَنِلْتَ بِها
ما لَمْ يَنَلْهُ بِحَدِّ السَّيْفِ غازُونا
فِيمَ ٱزْدِراؤُكَ لِلدُّنْيا ، وَقَدْ مُلِئَتْ
بِذِكْرِكَ الْأَرْضُ تَغْرِيدًا وَتَلْحِينا !

* * *

يا راهِبَ الْعِلْمِ : يَسَّرْتَ السَّبِيلَ لَهُ
وَزِدْتَنا مِنْـهُ تَوْكِيـدًا وَتَمْـكِينا
ما جاءَ قَبْلَكَ قَصَّاصٌ عَلَى ثِقَةٍ
صاغَ الْأَساطِيرَ فَنًّـا والْأَساطِينا
لِـكُلِّ قَوْمٍ لِسانٌ أَنْتَ تَعْرِفُهُ
كَمِثْلِ أَهْلِيهِ أَحْيانًا وَأَهْلِينا !
صَبَبْتَ عِلْمَـكَ فِيما شِئْتَ مِنْ لُغَةٍ
وَصُغْتَ مِنْ لُغَةِ الْقَوْمِ الْمَواعِينا

* * *

ما ضِقْتَ صَدْرًا بِنُقادٍ ذَوِي عَدَدٍ
لَـكِنْ حَمَلْتَ لَهُمْ فِي صَدْرِكَ اللِّينا !
وَلِلْخُصُومَةِ إِنْسانٌ يُرَوِّضُهـا كَما يُرَوِّضُ إِنْسانٌ ثَعابِينا

أَدَرْتَ سامِرَهُمْ بِالْأَمْسِ أُغْنِيَةً
وَهُمْ أَدارُوا لَكَ الدُّنْيا طَواحِينا !
أَرْهَقْتَهُمْ ـ كُلَّهُمْ ـ عُسْرًا ، وَقَدْ شَرَعُوا
لَكَ الأَسِنَّةَ . . تَجْرِيحًا وَتَهْوِينا !
عَلَوْتَ عَنْهُمْ . . كَقُطْبِ الْغَوْثِ مُنْطَلِقًا
لَهُ مَقامٌ وَأَتْباعٌ . . مُرِيدُونا

* * *

تُعَلِّمُ الْوَحْشَ ـ فِي الْغاباتِ ـ مَسْلَكَهُ
وَتُلْهِمُ الطَّيْرَ ـ فِي الْجَوِّ ـ التَّلاحِينا
وَتَلْمِسُ الْحِكْمَةَ الْخَرْساءَ فِي دَعَةٍ
تُعَلِّمُ النَّاسَ مِنْها ما يَشاؤونا
وَمَنْطِقُ الطَّيْرِ لَمْ يَظْفَرْ بِهِ أَحَدٌ
إِلَّا « سُلَيْمانَ » مِنْ عَهْدِ النَّبِيِّينا
وَأَنْتَ أَوَّلُ قَصَّاصٍ ـ وَإِنْ جَحَدُوا ـ
أَشاعَ فِي الْقِصَّةِ الْمُثْلَى الْمَضامِينا
أَقَمْتَ مِنْ قِصَّةٍ . . فَنًّا . . لَهُ هَدَفٌ
وَكانَ ـ قَبْلُ ـ حِكاياتٍ وَحاكِينا !
جَعَلْتَ مِنْها وُحُوشَ الْغابِ مُجْتَمَعًا
وَحِكْمَةً . . وَحُكُوماتٍ تُحاكِينا

وَحِكْمَةُ « الْفُرْسِ » . . إذ جَلَّيْتَها سُوَرًا
أَفَدْتَ مِنْها شَبابَ « الْعُرْبِ » تَلْقِينا
مَلَأْتَ فِتْيانَنا عِلْمًا بِما جَهِلُوا
فِي مَنْهَجٍ كانَ فِي التَّهْذِيبِ مَأْمُونا
عُنِيتَ بِالطِّفْلِ تَرْعاهُ وَتَمْنَحُهُ
مَهْدًا . . يُهَيِّئُ لِلْعَلْيا ذَرارِينا
أَرْضَعْتَهُ الْخُلُقَ الْمَصْقُولَ فِي قَصَصٍ
سَهْلِ الْقِراءَةِ . . مَنْثُورًا وَمَوْزُونا
وَقَدْ بَلَغْتَ بِهِ الْإِتْقانَ تَجْرِبَةً
أَفادَ مِنْها ابْنُ سَبْعٍ . . وابْنُ سَبْعِينا !

* * *

وَمِهْرَجانٍ أَقَمْناهُ لِمَوْعِدِهِ
وَكانَ يُعْرَفُ ـ قَبْلَ الْآنَ ـ تَابِينا !
نَحُّوا الرِّثاءَ . . وَلا تَبْكُوا عَلَى رَجُلٍ
ما كانَ يَعْرِفُ فِي الْأَهْوالِ باكِينا
ثُمَّ اذْكُرُوهُ بِما أَدَّى لِأُمَّتِهِ فَحَسْبُهُ الذِّكْرُ تَخْلِيدًا وَتَأْبِينا
إِنَّ الْفَجِيعَةَ فِيهِ لا يُخَفِّفُها دَمْعٌ إِذا لَمْ نَكُنْ بِالْعَهْدِ وافِينا

خالد الجرنو .

الصديق كامل كيلانى

لا أذكر متى عرفته ؛ فمنذ وعت عيني الحيـاة وأنا لا أرى نفسى بغير «كامل كيلانى» . كان — رحمه الله — يردّد دائماً فى أحاديثه وفى ندوته :

(إننا ولدنا فى شهرين متعاقبين ، وفى منزلين متجاورين ، وظللنا معا حتى اليوم) . وقد قلت فى كلام لى قديم بمناسبة تكريمه :

ياصديقى المرتجى فى الأصدقاء   وصفيّ المجتبى فى الأصفياء
وأخى منــذ ولدنا ونشأنا   وشببنا ودرجنـا للنماء

نعم : نشأنا معا نلهو ونلعب ونحن أطفال ، وذهبنا فى عصر الشباب إلى دور العلم معا ، ننتقل من المعاهد إلى المدارس إلى الجامعة المصرية ، واشتغلنا بالتدريس فى مدرسة واحدة . لا نـكاد نفترق لحظة ، وقلّ أن أعرف صديقا لى لم يكن صديقا له ، ولا أستاذاً له لم يكن أستاذاً لى .

حضرنا على الشيخ «المرصفى» ، وغيره من أعلام الأدب ، واتخذنا من «أبى العلاء» أستاذاً لنا — فى الأدب العربى — وإماما .

وطالما أسرع أحدنا إلى الآخر ، ليتلو عليه ما أعجبه من روائع الأدب العربى ؛ وكنا لا نطمئن على نثر ، أو شعر ننظمه ، إلا إذا سمعه كل منا .

وقد بلغ من توارد خواطرنا ، أننا ربما ننطق بالبيت الواحد ـ أثناء سيرنا ـ فى وقت واحد . وقد بلونا الحياة معا : خيرها وشرّها ، وما كان يخطر لى ـ على بال ـ أن أجله قريب .

نعم : لا أذكر يوما مرّ دون أن نلتقى ، ودون أن نجلس ومعنا ثالث لا يكاد يفارقنا ، هو «أبو العلاء المعرى» .

ثم أصبحت أتلفت حولى ؛ فإذا بى وحيد ، وإذا بهما معا فى العالم الثانى.

نعم : ذهب «كامل» إلى العالم الثانى ، وتركنى أتمثل دائما بقول «أبى العلاء» :

تخلفتَ بعد الظاعنين كأنهم   رأوك أخا ضعف فما حملوكا !

و«قد كنت أوثر ان يقول رثائى» ، كما يقول شوقى ؛ لا أن أقف فى حفل راثيا له .

سيد إبراهيم

قصيدة الأُستاذ : سيد إِبراهيم

«أَكامِلُ» فِيكَ النَّفسُ تَفْتَقِدُ الصَّبْرا
عَزِيزٌ عَلَيْها الْيَوْمَ أَنْ تَسْكُنَ الْقَبْرا
بَراعَةُ الِاسْتِهْلالِ فِيكَ سَجِيَّةٌ
وَمِنْكَ اقْتَبَسْناها ، فَكانَتْ لَنا فَخْرا
تَخَصَّصْتَ فِي شِعْرِ «الْمَعَرِّى» دِراسَةً
فَأَكْرِمْ بِرُبَّانٍ يَخوضُ بِها بَحْرا !
لِمُسْتَغْلِقِ الْأَفْهامِ تَفْتَحُ شارِحًا رَسائِلَهُ الْفُصْحَى ، فَأَعْلَيْتَها قَدْرا
فَإِنْ يَسْتَطِعْ «شَيْخُ الْمَعَرَّةِ» زَوْرَةً
لِقَبْرِكَ ، لَأَجْتازَ الْمَهامِهَ والْقَفْرا
وفِي أَدَبِ الْأَطْفالِ أَلَّفْتَ مُبْدِعًا
لَهُمْ قِصَصًا تَجْلُو مَفاهِيمُها الْفِكْرا

* * *

أَخِي «كامِلٌ» والْمَرْءُ لا بُدَّ بائِنٌ
وَما هٰذِهِ الدُّنْيا سِوَى الْجِسْرِ لِلْأُخْرَى
نَشَأْنا بِها إِلْفَيْنِ فِي مَيْعَةِ الصِّبا
بَلَوْنا مَعًا ما ساءَ ـ فِي الدَّهْرِ ـ أَوْ سَرَّا
وَسِرْنا مَعَ الْأَيَّامِ يَحْدُو رِكابَنا
مِنَ الْفَنِّ قَوْلٌ مُشْرِقٌ يُرْخِصُ الدُّرَّا

وَما كُنْتُ أَدْرِى أَنَّ حَيْنَكَ حائِنٌ
وَلا أَنَّ هٰذا الدَّهْرَ مُسْتَحْدِثٌ أَمْرا
وَلٰكِنَّها الأَيّامُ والْمَرْءُ سائِرٌ
إِلَى حَتْفِهِ ، مَهْما أَقامَ بِها دَهْرا

* * *

أَلَحَّتْ عَلَيْهِ عِلَّةٌ عَصَفَتْ بِهِ
فَما أَوْهَنَتْ عَزْمًا ، وَلا أَذْهَبَتْ صَبْرا
إِلَى أَنْ تَلَقَّتْهُ الْمَنُونُ وَأُطْفِئَتْ
مَنارَةُ رُشْدٍ بَعْدَ ما أَشْرَقَتْ عَصْرا
فَوا عَجَبا لِلْمَرْءِ يَقْضِى حَياتَهُ
وَيَمْضِى ، كَأَنْ لَمْ يَلْقَ خَيْرًا وَلا شَرًّا !
كَأَنْ لَمْ يَقِفْ فِى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ساعَةً
وَلَمْ يَنْظُرِ الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ والْبَدْرا
وَلَمْ يَسْعَ فِى الدُّنْيا لِنَيْلِ مَرامِهِ
وَلا سارَ فِى بَرٍّ ، وَلا قَطَعَ الْبَحْرا
خَيالٌ سَرَى فِى الْكائِناتِ مُعَذَّبًا
وَمَرَّ عَلَى الدُّنْيا كَأَنْ لَمْ يَكُنْ مَرّا
فَيا جَسَدًا قَدْ هالَهُ أَلَمُ الرَّدَى
تَذَكَّرْتُهُ لَيْلًا ، وَقَدْ تُؤْلِمُ الذِّكْرَى

أَتُصْبِحُ فِي قَبْرٍ ، وَقَدْ كُنْتَ مُطْلَقًا
وَتُمْسِي رُفاتًا ، لا نُحِيطُ بِهِ خُبْــرا ؟ !
فَيا لَيْتَ شِعْرِي : ما يُرادُ بِنا مَعًا
لَقَدْ جَهِلَ الْأَقْوامُ ذٰلِكُمُ السِّرَّا !
أَلِفْنا الْأَسَى مِنْ دَهْرِنا ، وَلَوَ انَّهُ
أَرادَ بِنـا بِشْرًا لَما وَجَـدَ الْبِشْرا
أَبٌ عَوَّدَ الْأَبْنـاءَ حُزْنًا وَلَوْعَةً
وَما الْعَهْـدُ بِالْآباءِ أَنْ يُؤْثِرُوا الْغَدْرا

* * *

ثَوَى الْبُلْبُلُ الصَّدَّاحُ فِي كُلِّ نَدْوَةٍ
وَأَلْقَى عَلَيْهِ الْمَوْتُ فِي جَدَثٍ سِتْرا
كَأَنْ لَمْ يَعِشْ لِلْكُتْبِ يَجْمَعُ شَمْلَها
وَلا خَــطَّ يَوْمًا فِي صَحائِفِها سَطْرا
وَلَمْ يَسْمَعِ الْقَوْلَ الْجَمِيلَ ، وَلَمْ يَقُلْ
إِذا اجْتَمَعَ الْأَقْوامُ : نَظْمًا وَلا نَثْرا

* * *

أَ « كامِلُ » : قَضَيْتَ الْحَياةَ مُكافِحًا
فَلِلَّهِ ما أَنْفَقْتَ فِي الْأَدَبِ الْعُمْـرا
فَنَمْ فِي جِوارِ اللهِ ، واهْنَأْ بِقُرْبِهِ فَقَدْ ظَفِرَتْ عُقْباكَ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى

سيد إبراهيم

« كامل كيلانى » كما عَرفته

للأستاذ الشاعر : محمد مصطفى الماحى

ربطت بين الشاعر والفقيد أواصر عديدة منذ سنة ١٩٢٥ كان أوّلها وأهمها الصداقة الخالصة التى دعمها الأدب والود من مساجلات أدبية وصلات اجتماعية ، زادها وثاقة اتصالها برابطة الأدب العربى ، فرابطة الأدب الجديد التى كان الفقيد قطبها وعمادها ، ثم أيدت هذه الصلات زمالة قوية فى العمل بوزارة الأوقاف دامت سنوات عديدة كأحسن ما تكون عليه الزمالة من إخلاص وحسن إخاء ، ومن تعاون وصدق وفاء .

أَكَذا يَصُولُ الْمَوْتُ فِى لَمَحاتِ ؟ أَكَذا يُدَكُّ الطَّوْدُ فِى لَحَظات ؟
أَكَذا يَمُرُّ الْمَرْءُ غَيْرَ مُخَيَّرٍ كالطَّيْفِ أَوْ كالْحُلْمِ فِى الْغَفَواتِ ؟

* * *

يا « كامِلًا » فِى كُلِّ ما يَسْمُو بِهِ ذُو الْفَضْلِ مِنْ خُلق وَحُسْنِ صِفاتِ
يا راوِيًا غُرَرَ الْكَلامِ : قَدِيمَها وَحَدِيثَها كالدُّرِّ مُتَّسِقاتِ
يا باعِثَ اللُّغَةِ الصُّراحِ وَمُوقِظًا أَبْناءَها مِنْ رَقْدَةٍ وَسُباتِ
وَمُحَدِّثًا لَبِقَ الْحَدِيثِ تَسُوقُهُ فِى رِقَّةٍ وَسَجاحَةٍ وَأَناةِ

* * *

لَمْ أَنْسَ يَوْمَ لَقِيتَنِى مُتَوَجِّعًا مُتَدَرِّعًا بِالصَّبْرِ فِى الْأَزَماتِ
تَشْكُو أَذاةً رَوَّعَتْكَ بِخَطْبِها يا مَنْ رَأَى جَبَلًا هَوَى بِحَصاةٍ !!
نَزَلَتْ فَنَغَّصَتِ الْحَياةَ وَلَمْ تَزَلْ تُضْوِيكَ حَتَّى آذَنَتْ بِمَماتِ

وَكَأَنَّما كُشِفَ الْغِطاءُ فَلَمْ تَعُدْ
تُرْضِيكَ دارُ مَآثِمٍ وَتِراتِ
فَرَحَلْتَ عَنْها مُعْرِضًا وَنَبَذْتَها نَبْذَ الْكَرِيمِ مَواطِنَ الشُّبُهاتِ
ما أَنْتَ أَوَّلُ عالِمٍ عَصَفَتْ بِهِ رِيحٌ مِنَ الْأَحْقادِ والشَّهَواتِ
الْأَرْضُ وَهْىَ الْأُمُّ فِي سَطَواتِها أَكَلَتْ بَنِيها فَانْتَهَوْا لِرُفاتِ !!
أَعَرَفْتَ زامِرَ أُمَّةٍ طَرِبَتْ لَهُ فَإِذا قَضَى ذاقَتْ لَهُ حَسَراتٍ ؟ !
كَمْ مُصْلِحٍ لاقَى الَّذِى لاقَيْتَهُ مِنْ كَيْدِ حُسَّادٍ وَحَرْبِ عُداةِ
لِلّٰهِ أَنْتَ لَكَمْ صَبَرْتَ عَلَى الأَذَى وَصَمَدْتَ لِلْأَرْزاءِ والْغَمَراتِ
هِيَ مِحْنَةُ الْأَدَبِ الَّتِي خاضَتْ بِها نَفْسُ الْأَدِيبِ حَوالِكَ الظُّلُماتِ

* * *

يا مَنْ حَفِظْتُ وِدادَهُ وَرَعَيْتُهُ رَعْىَ التُّقاةِ مَواضِعَ الْحُرُماتِ (١)
أَهْلًا بِعَتْبِكَ فِي الْمَنامِ تَصُوغُهُ
مُتَلَطِّفًا فِي أَعْذَبِ الْبَسَماتِ
بَسَماتِ راضٍ فارَقَ الدُّنْيا وَما تَحْوِى مِنَ اللَّمَزاتِ والْغَمَزاتِ

---

(١) صحب الشاعر الفقيد ثلاثين عاما أو تزيد ، جمعت بينهما طوال هذه المدة أخوة صادقة ، وود متين متبادل ، وزمالة كريمة .

فلما اختاره الله إلى جواره شغلت الشاعر شواغل عن السبق فى الدعوة إلى إحياء ذكراه .

وبعد ليال قليلة العدد من الوفاة ، زاره فى المنام معاتبا ؛ فصحا الشاعر دهشا من هذه الرؤيا ، مفكرا فى المبادرة للقيام بهذا الواجب الأدبى .

وبعد ساعتين اثنتين ، تلقى دعوة من القائمين بالحفل للاشتراك فى إعداده والمساهمة بنصيب من القول فيه ؛ فكانت هذه القصيدة من وحى ذلك العتاب .

وَتقولُ : كيفَ نَسيتَني ، وَمَوَدَّتي لَكَ في الْحَياةِ رَحيبَةُ الْجَنَباتِ ؟
قَسَمًا بِوُدِّكَ : ما نَسيتُكَ لَحْظَةً هَيْهاتَ أَنْسَى الدَّهْرَ صِنْوَ حَياتي
أَنا في الْوَفاءِ كَما عَهِدْتَ وَلَنْ تَرَى
مِثْلي وَفِيًّا ذاكِرًا لِلذاتِ
لٰكِنْ هِيَ الدُّنْيا وَأَنْتَ مُجَرِّبٌ تَدْرى بِما تُلْقى مِنَ التَّبِعاتِ
حَتَّى عَتَبْتَ ، فَكانَ عَتْبُكَ مُلْهِمًا لِرِثائِيَ الْمَمْزوجِ بِاللَّهَفاتِ
عُمُرٌ قَضَيْناهُ بِأَكْرَمِ صُحْبَةٍ والْعَيْشُ صَفْوٌ وَالزَّمانُ مُواتِ
نُصْفِي الْوِدادَ وَلا نَمَلُّ حَديثَهُ في صَفْوَةٍ مِنْ مُخْلَصينَ أُباةِ
حَتَّى إِذا حُمَّ الْقَضاءُ وَجَدْتُني فَرْدًا أُوَدِّعُ رُفْقَتي وَثِقاتي
فَشَرِقْتُ بِالدَّمْعِ الْغَزيرِ لِأَنَّني لَمْ أَلْفِ مِنْ عَوْنٍ سِوَى عَبَراتي
إِنَّ الْحَياةَ هِيَ الصَّداقَةُ مَحْضَةً فَإِذا انْطَوَتْ عادَتْ أَشَقَّ حَياةِ

* * *

قُمْ يا صَديقي لِلْمَنابِرِ فاعْلُها واجْهَرْ بِقَوْلِكَ في النَّدِيِّ وَهاتِ
هٰذا أَوانُ بَيانِكَ السَّمْحِ الَّذي مَلَكَ الْقُلوبَ ، وفازَ في الْحَلَباتِ
خَلِّدْ بِهِ مَجْدَ الْمُروءَةِ واكْتَسِبْ بِجَميلِ سَعْيِكَ أَشْرَفَ الْقُرُباتِ
قَدْ كُنْتَ في الرُّوَّادِ أَمْثَلَ رائِدٍ
جازَ الْمَحَجَّةَ صادِقَ الْعَزَماتِ
صَعْبَ الشَّكيمَةِ لَمْ تُحاذِرْ لَوْمَةً
في الْحَقِّ ، أَوْ يَعْطِفْكَ لِينُ قَناةِ

وَلَكِنْ سَهِرْتَ ، وَنامَ غَيْرُكَ هانِئًا
وَجَهِدْتَ دُونَ تَبَرُّمٍ وَشَكاةِ
فَجَمَعْتَ لِلأَطْفالِ أَجْمَلَ طاقَةٍ فَوَّاحَةٍ الرَّيْحانِ والزَّهَراتِ
ضَمَّنْتَها قِصَصًا تَفِيضُ عُذُوبَةً وَسَلاسَةً فِي أَفْصَحِ الكَلِماتِ
وَجَلَوْتَها لِعُيُونِهِمْ صُوَرًا بَدَتْ بِرَوائِعِ الأَلْوانِ مُصْطَبِغاتِ
عَلِقَتْ بِها أَبْصارُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ واسْتَمْسَكُوا مِنْها بِخَيْرِ حَصاةِ
وَأَرَيْتَهُمْ أَنَّ القِراءَةَ مُتْعَةٌ تَنْأَى بِهِمْ عَنْ مَسْلَكِ العَثَراتِ
عَرَفُوا بِها اللُّغَةَ القَوِيمَةَ مَنْهَجًا يُنْجِيهِمُ مِنْ حَيْرَةٍ وَشَتاتِ
فَإِذا انْقَضَى عَهْدُ الطُّفُولَةِ والصِّبا وَجَدُوا الشَّبابَ مُمَهَّدَ الخُطُواتِ
تَغْذُوهُمُ فِيهِ غِذاءً نافِعًا مِنْ تَجْرِباتٍ جَمَّةٍ وَعِظاتِ

* * *

هَدَفانِ ؛ بَلْ أَدَبانِ كانا غايَةً
تَسْعَى لَها فِي قُوَّةٍ وَثَباتِ
أَدَبُ الطُّفُولَةِ وَهْوَ كَنْزٌ زاخِرٌ
تُعْلِي بِهِ صَرْحًا مِنَ اللَّبِناتِ
يَتْلُوهُ مِنْ أَدَبِ الرُّجُولَةِ هادِفٌ لِلْمَكْرُماتِ وَصالِحِ الدَّعَواتِ
حَقَّقْتَ مُعْجِزَةً بِما أَبْدَعْتَهُ مِنْ باهِرِ اللَّفَتاتِ والنَّفَحاتِ
فِي كُلِّ دارٍ مِنْ صَنِيعِكَ شاهِدٌ يُومِي لِما أَبْدَعْتَ مِنْ ثَمَراتِ
وَبِكُلِّ قُطْرٍ كانَ فَضْلُكَ داعِيًا لِلْعُرْبِ يَحْدُوهُمْ إِلَى النَّهَضاتِ

فَشَهِدْتُ فِي « بَغْدادَ » حِينَ وَرَدْتُها
أَثَرًا لِعِلْمِكَ مُشْرِقَ الْقَسَماتِ
وَرَأَيْتُ فِي « بَيْرُوتَ » رَوْضًا ناضِرًا
مِنْ نَفْحِ طِيبِكَ عاطِرَ النَّسَماتِ
أَمَّا « دِمَشْقُ » وَ « الْحِجازُ » فَفِيهِما مِنْ وَحْيِ فَنِّكَ رائِعُ النَّفَثاتِ
تاللهِ ما بالْغَثِّ فِيما قُلْتُهُ أَوْ شُبْتُهُ بِالْمَيْنِ فِي كَلِماتِي(١)
بَلْ صُغْتُهُ لِلْحَقِّ حِينَ جَلَوْتُه وَنَفَثْتُ فِي تِبْيانِهِ زَفَراتِي

* * *

يا ثاقِبَ الْآراءِ والنَّظَراتِ يا طَيِّبَ الْأَرْدانِ والْخَطَراتِ
إِنْ كانَ فاتَكَ دَرْكُ ما أَمَّلْتَهُ فَلَقَدْ ظَفِرْتَ بِأَطْيَبِ الْحَسَناتِ
وَتَرَكْتَ آثارًا كَلَأْلاءِ السَّنَى مَسْطُورَةً فِي أَرْوَعِ الصَّفَحاتِ
فاهْنَأْ بِما قَدَّمْتَهُ مِنْ صالِحٍ وانْعَمْ بِما لُقِّيتَ مِنْ رَحَماتِ

محمد مصطفى الماحى

---

(١) أتيحت للشاعر زيارة العراق وسورية ولبنان والبلاد السعودية ، فكان يرى — فى كل بلد زاره — آثار فقيد الأدب معروضة ، مقروءة ، مقدورة .

الإنسان الخالد

للشاعرة السيدة : جليلة رضا

سمعت الشاعرة عن « كامل كيلانى » كثيراً إبان حياته ؛ غير أنه لم يتح لها أن تلتقى به .

فلما عبر إلى الشاطئ الآخر ، هزتها المشاعر فيما قرأت عنه منشوراً فى الصحف ، أو سمعت من حديث معارفها .

ولذلك حرصت على أن تشارك فى رثاء الفقيد ، بعد أن طالعت عدداً من آثاره ، وشاهدت منازل وحيه ومكتبته ، وتحدثت إلى أبنائه وتلاميذه .

خَجْلَى أَنا مِنِّى وَمِنْ أَلْحانِى ... إِذْ كَيْفَ أَرْثِى الْخُلْدَ فِى الْإِنْسانِ
لٰكِنَّنِى بَشَرٌ أُحِسُّ تَأَلُّمِى ... وَأَرَى الْفَجِيعَةَ فَوْقَ كُلِّ بَيانِ
أَرْثِيكَ ؟! كَيْفَ ؟! إِلَى مَتَى نَرْثِى الْأُلَى ... كانُوا مَنارَ الْفَخْرِ لِلْأَوْطانِ ؟
عَفُّوا ، وَكَمْ بَسَطُوا كُنُوزَ خَيالِهِمْ ... وَتَوَهَّجُوا لِإِنارَةِ الْأَذْهانِ !
حَتَّى إِذا بَدَءُوا حَصادَ جِهادِهِمْ ... خَطِفَتْهُمُ كَفُّ الرَّدَى الْخَوَّانِ !
ما الْمَوْتُ ؟ ما هٰذا الضَّنِينُ بِعُمْرِهِمْ ... لِمَ يُغْرِقِ الْآمالَ فِى الْحِرْمانِ ؟
يا رَبِّ : عَفْوَكَ ، إِنَّما هِىَ صَرْخَةٌ ... تُفْضِى بِما قاسَيْتُ مِنْ أَشْجانِ
الْكامِلُ الْوَهَّابُ أَنْتَ ، وَإِنَّما ... هُوَ « كامِلٌ » فِى الْخُلْقِ وَالْإِيمانِ

* * *

إِنِّى أَتَيْتُ قَصِيدَتِى مَأْخُوذَةً ... أَرْنُو إِلَى عِمْلاقِ الْفَنَّانِ
وَأَرَى الْمُحِيطَ أَمامَ عَيْنِى هائِلًا ... مُتَدَفِّقًا مُتَفَــرِّعَ الشُّطْآنِ
وَأَراهُ جاوَزَ أَرْضَهُ ، وَحُـدُودَهُ ... وَعَلا الزَّمانَ ، وَمَوْكِبَ الْأَزْمانِ
فَجَرَيْتُ أَلْهَثُ فِي انْتِشاءِ ظامِئٍ ... وَأَعُبُّ لا أَرْوَى مِنَ الْفَيَضانِ
وَأَتَيْتُ شَطًّا شاعِرِيًّا صافِيًا ... مُتَرَنِّمَ الْإِحْساسِ والْوِجْـدانِ
وَشَرِبْتُ مِنْ « فَنِّ الْـكِتابَةِ » تارَةً ... وَ « مَصارِعِ الْخُلَفاءِ » وَ « الْأَعْيانِ »
وَخَفَضْتُ رَأْسِى أَسْتَقِى مِنْ مَنْبَعٍ ... سَجَدَتْ عَلَيْهِ « رِسالَةُ الْغُفْرانِ »
وَهَتَفْتُ : عَفْوَكَ يا إِلٰهِى ، إِنَّنِى ... أَصِفُ الْفَقِيدَ عَلَى مَدَى إِمْكانِى
الْـكامِلُ الْوَهَّابُ أَنْتَ ، وَإِنَّما
هُوَ « كامِلٌ » فِى الْعِـلْمِ والْعِرْفانِ

* * *

وَطَرَقْتُ شَطًّا قَدْ تَناثَرَ ماسُهُ ... لِأَضُمَّ شَـطَّ الدُّرِّ والْمَرْجانِ
لَجَأَتْ إِلَيْـهِ الطَّيْرُ عَبْرَ شُرُودِها ... ضَحَّاكَةَ الْأَنْظارِ فِى اطْمِئْنانِ
وَعَلَى « بِساطِ الرِّيحِ » ضَمَّتْ أُفْقَهُ ... وَطَوَتْ مَعَ الْأَحْلامِ كُلَّ مَـكانِ
وَتَوَغَّلَتْ فِى أَرْضِهِ مَسْحُورَةً ... بِعَوالِمٍ مَسْحُـورَةٍ وَجِنَـانِ
شَرِبَتْ دَواءَ الْعِلْمِ وَهْوَ مُغَلَّفٌ ... بِكُئُوسِهِ ، وَرْدِيَّةَ الْأَلْوانِ
وَاسْتَوْعَبَتْ حِكَمًا بِغَيْرِ سَآمَةٍ ... وَمَواعِظًا تَنْسابُ فِى كِتْمانِ

فهَتَفْتُ عفْوَكَ يا إلٰهى ، إنَّما أَصِفُ الْفَقِيدَ عَلَى مَدَى إمْكانِى
الْكامِلُ الْوَهَّابُ أَنْتَ ، وَإنَّما
هُوَ « كامِلٌ » فِى الْعطْفِ والتَّحْنانِ

* * *

أَمُعَلِّمَ الْجيلِ الْجَديدِ وَناهِضًا بِالنَّشْءِ فِى حِذْقٍ وَفِى إتْقانِ
أَمُذَلِّلَ الْعَقَباتِ مُنْتَقِلَ الْخُطا مِنْ نَبْتَةٍ تَحْبُو إلَى أَغْصانِ
يا فَيْلَسُوفًا فِى غِلالَةِ شاعِرٍ وَمُتَرْجِمَ النَّجْوَى بِكُلِّ لِسانِ
يا عَبْقَرِىَّ الْفِكْرِ وَضَّاءَ النُّهَى يا مُعْجِزاتِ طَبِيعَةٍ وَزَمانِ
نَمْ فِى حِمَى الرَّحْمٰنِ نَوْمَ مُكَرَّمٍ لا تَخْشَ طَيْفَ الْحِقْدِ والنِّسْيانِ
إنِّى أَرَى التَّارِيخَ يَحْنِى رَأْسَهُ لِتَمُرَّ طَوْدًا شامِخَ الْبُنْيانِ
الثَّوْرَةُ الْكُبْرَى ضَمِيرٌ ساهِرٌ سَتَفِيكَ حَقَّ الْكاتِبِ الْمُتَفانِى
فَإلَيْكَ مِنْ كُلِّ الْقُلُوبِ تَحِيَّةٌ
والرَّحْمَةُ الْكُبْرَى عَلَى « الْكيلانِى »

جليلة رضا

فى زمرة الخالدين

قصيدة الدكتور : عبد الله عبد العزيز

.. وكان من حظى أن أتصل بالأوساط الأدبية ، التى ازدهرت فى القاهرة القديمة المتطوّرة ؛ فعرفت أن « كامل كيلانى » كان واحدا من ثلاثة ، يحبون الأدب ، ويشغفون بالمعرفة .

كان أحدهم خطاطا مشهوراً ، لا تجد عبارة طبعت أو نقشت بالخط الجميل ، إلا وجدت توقيعه عليها ، وهو الأستاذ « سيد إبراهيم » .

وترك الآخر ـ وهو « الدكتور عبد الله عبد العزيز » ـ الأدب والثقافة ، ورحل يتعلم الطب فى « فرنسا » . . وإن ظل يقرض الشعر بينه وبين نفسه ، وبينه بين زميليه .

واندفع الثالث . . وهو « كامل كيلانى » فى تثقيف نفسه وتثقيف الآخرين . . .

عبد الحميد يونس

« أَبا مُصْطَفَى » جُزْتَ دارَ الْفَناء ... وَأَصْبَحْتَ فِي زُمْرَةِ الْخالِدِينْ

لَحِقْتَ « الْمَعَرِّى » عَلَى نَأْيِهِ ... وَ « نُوحًا » وَ « آدَمَ » فِي الْأَسْبَقِينْ

لَحِقْتَ « الْمَعَرِّى » ، وَيا طالَما ... تَتَبَّعْتَهُ عاكِفًا لا تَلِينْ

تُحَقِّقُ تَفْسِيرَهُ لِلْحَياةِ ... وَآراءَهُ بَيْنَ دُنْيا وَدِينْ

وَأَوْمَضْتَ كَالْبَرْقِ بَيْنَ السَّماء ... وَفِي لَحْظَةٍ كُنْتَ فِي الذَّاهِبِينْ

كَأَنْ لَمْ تَكُنْ مِلْءَ سَمْعِ الزَّمانِ ... يُدَوِّى بِهِ اسْمُكَ فِي الْعالَمِينْ

كَأَنْ لَمْ تَكُنْ حُجَّةً لِلثِّقاتِ ... وَلا قُدْوَةَ الْبَحْثِ لِلْباحِثِينْ

كَأَنْ لَمْ تَكُنْ عَلَمًا لِلرُّواةِ أَثِيرًا لَدَى النَّشْءِ والنَّاشِئِينْ
كَأَنْ لَمْ تَكُنْ أَصْدَقَ الصَّادِقِينَ . كَأَنْ لَمْ تَكُنْ أَخْلَصَ الْمُخْلَصِينْ

* * *

وَما الْمَوْتُ إِلَّا خِتامُ الْكِفاحِ وَفَصْلُ النِّهايَةِ لِلْكادِحِينْ
يَزُولُ بِهِ مَوْكِبُ الرَّاحِلِينَ لِيُخْلِي مَكانًا إِلَى الْقادِمِينْ
وَما هُوَ مَوْتٌ ؛ وَلٰكِنَّهُ مَصِيرُ التَّطَوُّرِ عَبْرَ السِّنِينْ
وَصُورَتُهُ صُورَةٌ لِلْحَياةِ تُحَقِّقُها بَعْدَ حِينٍ وَحِينْ
وَما هُوَ بَيْنٌ ؛ وَلٰكِنَّهُ فَناءُ الْمُحِبِّينَ والْكارِهِينْ
فَناءٌ يُخَفِّفُ دَمْعَ الْحَزِينِ وَيَمْحُو الْمَناحَةَ والنَّائِحِينْ
وَيَمْحُو الرَّجاءَ ، وَيَمْحُو الشَّقاءَ وَيَمْحُو الشَّماتَةَ والشَّامِتِينْ
وَيَمْحُو الثَّوابَ ، وَيَمْحُو الْعِقابَ وَيَمْحُو الْمُثِيبِينَ والْخاطِئِينْ
وَيَمْحُو الصَّباحَ ، وَيَمْحُو الظَّلامَ وَيَمْحُو الظُّلامَةَ والظَّالِمِينْ
نَزُولُ جَمِيعًا ، وَتَمْضِي الْحَياةُ وَئِيدًا إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينْ
وَما نَحْنُ إِلَّا الْوُرَيْقاتُ تَذْوِي وَما الْعُمْرُ إِلَّا الْخَرِيفُ الْحَزِينْ

دكتور عبد الله عبد العزيز
مدير عام منطقة الإسكندرية الطبية

مالىْ الدنيا

للشاعر محمد التهامى

التقى الشاعر بالفقيد الكريم فى كتبه ومقالاته ، قبل أن يلقاه فى ندواته الأدبية واجتماعاته ، ثم لمس الشاعر وأحس عظمة الفقيد عن قرب ، ورأى فيه إنسانية صعد بها إلى مدارج يعسر معها الهبوط إلى أحقاد الناس واضطراباتهم ، تلك هى مدارج العلم والأدب .

هذا ما حاول الشاعر أن يوضحه فى أبياته ، فى وداع الفقيد ، حسب ما استطاع .

مَلأَ الدُّنْيا كِفاحًا ثُمَّ أَغْفَى واسْتَراحَا
لَمْ يُثِرْ فِيها ضَجِيجًا لا ، وَلَمْ يُكْثِرْ صِياحَا
كَمْ بَنَى لِلْمَجْدِ فِي صَمْـ ـتٍ ، وَكَمْ عِلْمٍ أَتاحَا
لَيْسَ يَعْنِيهِ إِذا ما النَّـاسُ أَوْلَوْهُ امْتِداحَا
أَوْ إِذا ما الْحاسِدُ الْمَوْ تُورُ عَنْهُ قَدْ أَشاحَا
هُوَ فِي دُنْياهُ فَوْقَ الْـ ـكُلِّ قَدْ مَدَّ الْجَناحَا
وَمَضَى يَعْبُرُ لِلْمَجْـ ـدِ سَماواتٍ فِساحَا

* * *

وَغَدًا حِينَ نَرُودُ الأُفْـ ـقَ أَنْظارًا صِحاحَا
سَنَراهُ فِي ذُرا الْمَجْـ ـدِ عَلَى الأَفْلاكِ لاحَا
وَنَرَى فِي « كامِلٍ » نُو رًا ، نَرَى فِيهِ الصَّباحَا

عاشَ فِينـا كَنَسِيمٍ بِالشَّذَى والْعِطْرِ فاحَا
لَمْ يُرَوِّعْنا ، وَلٰـكِنْ عِطرُهُ بِالسِّرِّ باحَا
وَتَهادَى كَشُعاعِ الْـ فَجْرِ قَدْ سادَ الْبِطاحَا
فِي هُـدُوءٍ واتِّزانٍ جاءَ فِي رِفْقٍ وَراحَا

* * *

كانَ فِي الْحُبِّ مَلاكًا يَنْشدُ الْحُبَّ الصُّراحَا
وَيَرُدُّ الْوُدَّ وُدًّا صافِيًا سَهْلًا مُتاحَا
وَإِذا شامَ جُحُودًا وَافْتِئاتًا واطِّـراحَا
لَمْ يَرُدَّ الشَّرَّ شَرًّا لا ، وَلَمْ يَشْهَرْ سِلاحَا
وانْطَوَى يَنْشُدُ فِي الْعُزْ لَةِ ما يَأْسُو الْجِراحَا
وَمَضَى يَحْـكِي عُقُوقَ النَّـاسِ جِدًّا وَمِزاحَا
أَوْسَـعَ النَّـاسَ رِضـاءً واتِّقـاءً وَسَمـاحَا

* * *

عَلَّمَ الطِّفْـلَ لِـتَرْقَى أُمَّـةٌ تَبْغِي الْفَلاحَا
يَسَّرَ الْفُصْحَى ، فَصارَتْ فِي فَمِ الطِّفْلِ صِياحَا
وَإِذا الطِّفْـلُ لَدَيْهِ يَسْبِقُ الْأُلْسُنَ الْفِصاحَا
أَيْقَظَ الْفُصْحَى ، وَأَحْيا مِنْ مَعانِيها الْمِلاحَا
وَتَحَدَّى أَدَبَ الْغَرْ بِ وَأَوْلاهُ اكْتِساحَا

قَــدَّرُوهُ وَرَأَوْهُ عَبقَرِيًّا لَنْ يُتاحَا
وَجَهِلْناهُ ، وَكُنَّا فِي تَقَصِّيهِ شِحاحَا
لَيْتَنا نُدْرِكُ ما فا تَ،وَيَكْفِينا افْتِضاحَا !

* * *

كَمْ دَعِيٍّ مَلَأَ الأُفْـ ـقَ حَوالَيْنا نُباحَا
صابَحَ النَّاسَ ، وَماسا هُمْ بِما يَبْدُو نَجاحَا
فانْخَدَعْنا وَذَكَرْنا هُ مَساءً وَصَباحَا
وَتَغَنَّيْنا بِما يَنْـ ـذِي غُدُوًّا وَرَواحَا
فاسْتَلانَ الْمَجْدَ ظُلْماً وَتَعَدَّى ، واسْتَباحَا
لَيْتَ رَبِّي كَشَفَ التَّـ ـضْلِيلَ عَنَّا وَأَزاحَا
وَأَقالَ النَّاسَ مِنْ زَيْـ ـفٍ بَغِيضٍ وَأَراحَا
وَهَدانا فاسْتَقَرَّ الْحَـ ـقُّ فِينا واسْتَراحَا

محمد التهامي

« الـكيلانيُّ » أَديبُ الْجِيلِ

للشاعر : محمود جبر

منذ ربع قرن : زار الشاعر أعلام من « تونس » .. فكان أول طلبوا إليه الالتقاء بأديب العربية : « كامل كيلانى » .

لم تكن صلته به تتعدى التحية فى اللقاء ، ثم لم يلبث أن ضمهما العمل بوزارة الأوقاف ، فتوطدت الصلات ، حتى ما كان الشاعر يفارق « الكيلانى » إلا قليلا . وكان ضيف ندواته طوال حياته .

يقول الشاعر : كان له تعبير لا ينساه : «أنت وحمام أصفى من بعض» .

لَهُ فِي أَعْيُنِي صُوَرُ   وَمِلْءُ جَوانِحِي عِبَرُ
وَكَمْ يَبْنِي أَخُو أَمَلٍ   فَيَهْدِمُ - ما بَنَى - الْقَدَرُ
سَلُوا أَرْماسَ مَنْ سَبَقُوا   فَعِنْدَ « جُهَيْنَةَ » الْخَبَرُ
لَكَمْ ضَمَّتْ جَوانِبُها   مُحيطاتٍ بِها الْغُرَرُ
وَ « كامِلُ » كانَ عَنْ ثِقَةٍ   مُحِيطًا مِلْؤُهُ الدُّرَرُ
ضَئِيلٌ : حِينَ تُبْصِرُهُ   جَلِيلٌ : حِينَ تَخْتَبِرُ
قَلِيلٌ : حِينَ تَحْصُرُهُ   وَفَضْلٌ : لَيْسَ يَنْحَصِرُ

* * *

شَبِيهٌ لِـ « ابْنِ مَسْعُودٍ »   وَأَرْبابُ الْحِجا نَدَرُوا
فَمِنْ عِلْمٍ وَمِنْ أَدَبٍ   إِلَيْهِ الْعَصْرُ يَفْتَقِرُ
إِذا شارَفْتَ مَجْلِسَهُ   وَفِيهِ الْأَنْجُمُ الزُّهُرُ

حَـــواريهِ وَصُحبتُهُ ورُوّادٌ لَهُ كَثُرُوا
يَرُوعُكَ مَنْ بِهِ كَلِفُوا وَفِي حاناتِهِ سَكِرُوا
مُعَتَّقَ دَنِّهِ شَرِبُوا وَبِالْأَسْرارِ قَدْ جَهَرُوا
كَأَنَّ سُلافَها لَعِبَتْ بِأَرْؤُسِهِمْ فَما شَعَرُوا

* * *

وَ « كامِلُ » كانَ عِمْلاقًا تُشِيدُ بِعُمْقِهِ السِّيَرُ
« مَعَرِّى » الشِّعْرِ يَنْهَمُو تَضَوَّعَ شِعْرُهُ الْعَطِرُ
وَمِنْ « ذُبْيانَ » نابغَةٌ بِرائِعِ وَشْيِهِ سُحِرُوا
وَلِـ « الرُّومِيِّ » غَضْبَتُهُ فَلا تُبْقِى وَلا تَذَرُ
بِسِحْرِ اللَّفْظِ مُقْتَدِرٌ وَبِالْإِعْجازِ مُشْتَهِرُ
بَنَى « الرُّومِيُّ » كَعْبَتَهُ فَكَبَّرَ حَوْلَها الْبَشَرُ
سَعَتْ لِمَدِيحِهِ زُمَرٌ وَخافَتْ هَجْوَهُ زُمَرُ
وَمَنْ خافُوا وَمَنْ أَمِنُوا بِحُسْنِ خَيالِهِ بُهِرُوا
فَسُقْ لِلنَّشْءِ أَنْماطًا مِنَ الْفُصْحَى لِيَعْتَبِرُوا
وَقُلْ لِلشِّعْرِ مَمْسُوخًا لَدَى الْأَغْرارِ يَسْتَتِرُ

* * *

« عُكاظُ » بِـ« كامِلٍ » بُعِثَتْ تُحَيِّى رَكْبَها الْعُصُرُ
أَتَيْنا ـ الْيَوْمَ ـ نَذْكُرُهُ فَهَلْ وَفّاهُ مَنْ ذَكَرُوا ؟!

أَديبُ الجِيلِ نَشْأَةُ وَكُلُّ صِغارِهِ كَبِرُوا
أَديبٌ لا يُعادِلُهُ أَديبٌ بَيْنَ مَنْ ذُكِرُوا
عِصامِيٌّ مَضَى حَذِرًا وَيُرْدِي خَصْمَهُ الحَذَرُ
تَكِيدُ لِـ « كاملٍ » فِئَةٌ فَيَبْغَتُها . . فَتَنْدَحِرُ
وَقَدْ تَرْتَدُّ ثانِيَةً فَيُرْدِيها وَيَنْتَصِرُ

* * *

لَهُ مِنْ نَقْدِهِ حُمَمٌ وَمِنْ لَذَعاتِهِ إِبَرُ
وَكُلُّ فُكاهَةِ الوادِي حَدِيثٌ مِنْهُ مُبْتَكَرُ
تُضاحِكُ مِنْهُ أَطْفالًا وَمِلْءُ طَرِيفِهِ الفِكَرُ

* * *

أَماسِ كُنْتَ سامِرَها وَكَمْ يَحْلُو بِكَ السَّمَرُ
وَهٰذِي النَّدْوَةُ الكُبْرَى وَمَنْ أَحْبَبْتَهُمْ حَضَرُوا
فَهاتِ العَذْبَ « كِيلانِي » فَمُشَّاقُ المُنَى كَثُرُوا
أَنا لا زِلْتُ فِي أَمَلٍ وَهٰذا الجَمْعُ مُنْتَظِرُ
مِنَ الجَنَّاتِ ما تَسْقِي وَحَيَّا قَبْرَكَ المَطَرُ

شاعر آل البيت

محمود جبر

كلمة وفاء إلى روح الأديب الكبير

صديق الأستاذ « كامل كيلانى »

بقلم الأستاذ : سامى العظم

أيها السادة :

من أشق المواقف على النفس الوفية ، مواقف الرثاء للعظماء الذين خلدتهم آثارهم ، ولقد تلفتّ باحثاً فى طول هذا الشرق العربى وعرضه ولا سيما فى أبناء هـذا الجيل ، فلم أرَ رجلا واحداً لم يستفد من أدب الراحل الكريم ، وعلمه ونفعه بين الناس قاطبة .

فقد تفرّد فقيدنا « الكيلانى » بخلال نادرات ، أرجو أن أعرض قليلا لها قبل أن أتحدث عن نواحى أدبه وفنه ، وإجماع الأدباء فى الأقطار العربية على الإعجاب بذلك البحر الزاخر من الأدب الرفيع .

كان صديق الراحل « كامل كيلانى » — طيب الله ثراه — إنساناً قبل كل شىء. كان إنساناً كاملا لا يتجه بعلمه وأدبه إلا لنفع الإنسانية وخدمة أبنائها .

وإذا أسعدك الحظ وجلستَ إليـــه فى ندوته أو صومعته : فإنك لتشعر أن الرجل الكبير قد امتلأت جوانحه وجوارحه بحب الجمال والكمال المطلقين والخير العام ، والابتعاد عن أى نوع من أنواع الأمراض النفسية التى كثيراً ما يُبتلى بها الرجال .

وفلسفة الراحل الكريم هى أن الخير لا يُنبت إلا خيراً ، وأن زارع الشر حاصده لا محالة ! .. من أجل ذلك كان « السيد الكيلانى » ، يسير بفلسفته على حب الخير والنفع العام ، فإذا حدّثكَ عن نفسه ، ودخلت معه فى ذلك البحر الطامى من العلم والأدب ، يحاول إقناعكَ بأنه ومعلوماته لا شىء ؛ وأن الشىء العظيم — الذى يُعجبُ به كل الإعجاب — ما تقوله أنتَ ، ويقوله العلماء والأدباء من أصدقائه الذين ينسب إليهم الفضل الكبير . والواقع أنهم وأنتَ معهم بعض تلامذته المعجبين برفيع أدبه ، وزاخر علمه ، وفصيح بيانه ، وعظيم تجاربه .

كان رحمه الله لا يذكر عند الناس إلا أكرم أعمالهم وأجد صحائفهم ، ويعمل على رفع أقدارهم . وما سمعته قط — على كثرة اجتماعاتنا — يَلغُ فى أعراض الناس أو يكشف مستورهم ، بل لا يحب أن يسمع عن الناس إلا خيراً ؛ فهو حافظ لكرامة أصدقائه، غيور على مكانتهم، وتلك خلال لا تمنحها العناية الإلهية إلا للنفوس الكبيرة التى ترتفع بالرجال إلى أعلى مراتب الإنسانية .

قد يطول بى الموقف إذا حاولتُ أن أعددَ جوانب الخير فى الراحل الكريم ؛ ولكن العظماء والقواد والأدباء الذين كانوا يغشون ندوته زمناً طويلا يعترفون معى بفضائله التى أشرتُ إلى بعضها .

لذلكَ فإن الفراغ الذى حدثَ بانتقال أديبنا الكبير إلى الدار الآخرة من الصعب جداً أن يَملأهُ أديب أو عالم فى الأدب العربى ، وتلكَ خسارة جسيمة تعانيها الأمة العربية اليوم .

فمن المعلوم أن الأمم الراقية إذا فقدت عظيما من عظمائها فى يوم من الأيام ؛ قالت فى اليوم التالى : إن العظيم فلاناً سيخلف الراحل فيما كان يقوم به من خير الأمة ونفعها : سواء أكانت النواحى السياسية أو العلمية أم الأدبيـة ، أم ما شاكل ذلكَ من ألوان النفع العام .

أما نحن فى هذا الشرق العربى ، إذا عاجلت المنية رجلا من رجالنا النافعين ، فيصعب علينا أن نجد من يَملأ فراغه فى يوم من الأيام .

لذلك : كانت خسارتنا بفقد الأديب « الكيلانى » خسارة جزعت لها أعماق القلوب ، واهتزّت لها أوتار الأفئدة والضمائر .

فمن يعزى الأمة العربيـة اليوم — نساء ورجالا ، وشيباً وشباناً — بأديبنا الراحل الكبير « كامل كيلانى » ، رحمه الله وطيب ثراهُ ، وأمطر جسدهُ شآبيبَ الرحمة والرضوان . .

هذه ناحية عظيمة من نواحى صديق « الكيلانى » حرصتُ على أن أكشف طرفا منها ، وهو الجانب الإنسانى الذى يندر وجودُه بين الناس .

أما نواحى أدبهِ الجم وعلمه الغزير ، فقد تولاها الأدباء والعلماء من إخوانه وأصفيائه ، وإنما أقول فيه ما سبق لىَ القول من أن أديبنا الكبير صرف همه لخلق دائرة معارف موسوعة فى فنون التربية والأدب والثقافة يهذب بها الجيل ؛ وهو عمل لم يسبقه إليه — فى طريقته الجذابة الساحرة ، وأسلوبه الممتع الممتنع — أديب من قبل .

لقد كانت « مكتبة الأطفال » وحدها التى أبدعها فى القرن العشرين — وقد أربت على المائة والخمسين كتاباً — من أجمل ما عرف من نوعه فى هذا القرن ، حتى تناول الإعجاب بها الأمم الغربية فترجمتها إلى عدة لغات لتستفيد من نوعها فى عالم الأطفال ، وهى مفخرة للأمة العربية جمعاء .

وقد وضعها أديبنا وهو فى غمرة من العمل الرسمى فى وزارة الأوقاف ؛ فهذب بها وثقف كثيراً من أبناء الأمة العربية — من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى — ثم جاهد وجالد بعد تلك الموسوعة التى أعدّها للأطفال ، فأمد الأمة العربية بمؤلفاته الأدبية والاجتماعية والتاريخية.

رحمك الله يا صديقى ؛ فقد كان موقفك من حسادك وخصومك — وكل ذى نعمة محسود — موقف العفو والصفح ، وسلامة الطوية وخلوص النية .

أما الدعابة أو النكتة التى يمتاز بها الشعب المصرى ، فقد كان رحمه الله فى الذروة منها ؛ فكان يفحم بها جلساءه ، ويعلوهم جميعاً فى حلاوة منطق وطهارة لفظ وسحر بيان . لذلك تفرد رحمه الله بهذا الضرب من خفة الروح ؛ فكان إجماع الأدباء على تقديره والإعجاب به والتحدث عنه ، وهو اعتراف له بالقدرة الفائقة والمواهب الممتازة .

* * *

لقد دعوت الأمة العربية (منذ ربع قرن) أن تعمل على نشر مؤلفات « السيد الكيلانى » ، وأن تبثها فى كل بيت ، وتهديها إلى كل طفل وشاب .

واليوم أعيد الرجاء نفسه إلى جميع الحريصين على نشر اللغة العربية أن لا يغفلوا عن نشر كتب « الأستاذ الكيلانى » ؛ فهى ضالة العرب المنشودة . وأنا أحد الذين نالهم شرف الاستفادة من تلك الكتب القيمة بمختلف أنواعها .

يرحمك الله ، يا صديقى الراحل ... ما أعظم وفاءك وأطيب قلبك ! وما أكثر مروءتك وإخلاصك ! فقد جئتنى والموت يزحف إليك ، لتتفقدنى وتذكرنى بالحكمة البالغة وهى : (إن الوفاء مفخرة الرجال) !

ولما عدتك فى المستشفى — وأنت على سرير الموت — كانت زيارتى لك درساً وموعظة لى ؛ فقد حدثتنى بأدبك الرائع ، وأهديتنى كتاباً من بنات أفكارك الحديثة ، ورويت لى — وأنت مشغول بتصحيح مؤلفك الأخير — ما جعلنى أشعـــر أنا وصديق صباك وصديقى : الأديب الكريم الأستاذ « سيد إبراهيم » أنك تعودنا وتسرى عنا ، ولسنا نحن الذين نعودك ، وأنت على وشك أن تغادر الحياة .

إنى أنحنى إلى روحك الخالدة ، وأحيّ أدبك الرائع ، ووفاءك العظيم ، ونفعك الخالد للإنسانية .

رحمك الله ، وعزّى الأمة العربية بفقدك ، وهيأ لها من يستطيع أن يملأ فراغك الوطنى العربى الكبير .

سامى العظم

إنسانية الكيلانى وشاعريته[1]

للشاعر كامل أمين

عِبادَتُنا يا رَبِّ فِي الْمِحْنَةِ الشُّكْرُ
وَإِيمانُنا بِاللهِ أَنْ يَجْمُلَ الصَّبْرُ

أَأَشْكُو لَكَ الدُّنيا ، وَأَنْتَ الَّذِي يَرَى
وَأَنْقُدُ ما يَجْرِي ، وَأَنْتَ لَكَ الأَمْرُ

لَمَحْتُ اللَّيالِي فاشْتَبَكْنا كَأَنَّنا
خُلِقْنا عَلَى الدُّنْيا وَمِنْ بَيْنِنا ثَأْرُ

دَهَتْنِي بِجُرْحٍ لا أَراقَتْ بِهِ دَمًا
وَلا شَبَكَنِي نابٌ ، وَلا مَسَّنِي ظُفْرُ

فَلَوْ كانَ جُرْحِي جُرْحَ جِسْمٍ لَهانَ بِي
وَلَكِنَّهُ جُرْحٌ بَلانِي بِهِ الدَّهْرُ

حَدا اللَّيْلُ نُزَّاحَ الْحَياة عَشِيَّةً
فَلَمَّا أَضاءَ الصُّبْحُ دُنْياهُمُ اغْتَرُّوا

خَلِيلَيَّ : ماذا الآنَ لِي تَبْكِيانِهِ
مَضَى الأَمْسُ عَنَّا وانْتَهَى ، وَغَدًا سِرُّ

---

(١) ألقيت فى حفل تأبين الفقيد بنادى القصة .

فَلا تحْسَبا أَنَّ الْحَياةَ حَرِيصَةٌ
عَلَيْنا ، وَلا أَنَّ الْحَياةَ لَنا فَخْرُ
فَيا رُبَّ حَيٍّ ضَجَّ فِيها وَفاتَها
وَقَدْ كانَ أَجْدَى مِنْهُ أَنْ يَنْطِقَ الصَّخْرُ
وَيا رُبَّ رُوحٍ فارَقَتْها وَخَلْفَها
تُرابٌ تَمَنَّاها لِكَيْ يَرْجِعَ الْخَيْرُ
وَيا رُبَّ عَيْنٍ أَبْصَرَتْها دُمُوعُها
عَلَى مَنْ يَراها ؛ وَهْوَ فِي عَيْنِهِ الْغَدْرُ
تَدُوسُ تُرابَ الأَنْبِياءِ كِلابُها
فَلَوْ كانَ فِيها الْعَدْلُ لَمْ يُهْدَرِ الطُّهْرُ
وَلا نالَ مِنْها اللَّيْلُ ما عافَهُ الضُّحَى
وَلا ذاقَ مِنْها الْبُومُ ما ذاقَهُ النَّسْرُ
وَإِذْ كانَتِ الدُّنْيا عِراكاً وَشِقْوَةً
وَلا أَجْرَ غَيْرَ الْمَوْتِ ؛ فَالأَفْضَلُ الْقَبْرُ

* * *

شَرِبْتُ الأَسَى مِنْ كُلِّ كَأْسٍ فَلَمْ يَعُدْ
لَدَى الدَّهْرِ لِي مُرٌّ ، فَكُلُّ فَمِي مُرُّ
وَرَوَّضْتُ أَيَّامِي كَحالِي وَحالِها
فَلَمْ يَغْلُ بِي وَفْرٌ ، وَلَمْ يُزْرِ بِي فَقْرُ

يَقُولُونَ لِي : عَزَّ السَّما فِي سُهَيْلِها
فَبَعْضُ الْقَوافِي مِثْلُهُ أَنْجُمٌ زُهْرُ
وَمَهْما يَكُنْ بَعْدَ النُّجُومِ رِثاؤُها
وَلَوْ كانَ دُرًّا ، لَنْ يُعَوِّضَها الدُّرُّ
لَقَدْ ساءَ حَظَّانا ، فَلا فِي يَدِي قُوًى
تُؤَدِّي لَهُ حَقًّا ، وَلا الْمَيْتُ مُضْطَرُّ
فَأَبْكِيهِ فِي وَقْتٍ بِهِ غاضَ مَدْمَعِي
وَأَرْثِيهِ فِي عَصْرٍ بِهِ حُورِبَ الشِّعْرُ
وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُبْقِي لِيَوْمِكَ دَمْعَةً
لَما فاتَها لِيَ الضَّنْكُ وَالْقَدَرُ الْغِرُّ
فَقَدْ كُنْتَ إِنْسانًا كَما كُنْتَ شاعِرًا
وَهٰذانِ أَعْدَى مَنْ يُعادِيهُمُ الدَّهْرُ
خَرَجْتَ مِنَ الدُّنْيا ـ كَما جِئْتَ ـ عارِيًا
وَحَسْبُ الْحُسامِ الْمُرْىِ إِنْ جاءهُ الشَّرُّ

* * *

بَكَى نَفْسَهُ لَمَّا رَثاها ؛ كَما بَكَى
عَلَى نَفْسِهِ لَمَّا أَراقَ النَّدَى الْفَجْرُ
طَوَى سَرَطانًا ؛ كَمْ طَوَى قَبْلَهُ ضُحًى
وَسارَ وَدُنْياهُ الْيَراعَةُ وَالْفِكْرُ

إذا ما رَمَى مِنْ قَلْبِهِ قِطْعَةً ، رَمَى
عَلَى الطِّرْسِ أَغْلَى مِنْهُما الْقَلَمُ الْحُرُّ
عَلَى كُلِّ سَطْرٍ أَلْفُ رُوحٍ تُمِدُّهُ
مِنَ الْعَرَقِ الدَّامِي وَلَمْ يَنْضَبِ (الْحِبْرُ)
فَلَمَّا انْتَهَى بِاللَّيْلِ وانْداحَ فَجْرُهُ
رَأَى جُثَّةً والدَّمْعُ مِنْ حَوْلِها بَحْرُ
تَنادَوْا . فَلَمَّا قِيلَ لِي : أَيْنَ قَبْرُهُ ؟
أَشَرْتُ إِلَى صَدْرِى ، وَقُلْتُ : هُنا الْقَبْرُ !
هُنا الآنَ مَثْوَى « كامِلٍ » نَفْسُ « كامِلٍ »
وَمَثْوَى الْعَظِيمِ الْحَقِّ مَنْ ضَمَّهُ الشِّعْرُ
وَمَنْ ضَمَّهُ التَّارِيخُ لَنْ تَنْتَهِي لَهُ
حَياةٌ ؛ فَمِيلادُ الْحَياةِ هُوَ الذِّكْرُ
أَجَلْ ، عادَ جِسْمُ الْعَبْقَرِيِّ مِنَ اللَّظَى
رَمادًا ، وَعاشَ النُّورُ فابْتَدَأَ الْعُمْرُ
فَيا مَنْ طَوَيْتَ الْعُمْرَ لَيْلًا وَقَفْرَةً :
لِمَنْ كُلُّ هٰذا النُّورِ ، يا أَيُّها الْبَدْرُ
وَيا مَنْ عَبَرْتَ الأَرْضَ بَيْداءَ نَضَّرَتْ
حَنايَاكَ دُنْياها ، وَأَظْمَتْكَ يا نَهْرُ

سَلامٌ عَلَى الأَطْلالِ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها
وَسُقْيًا لِهٰذا الدَّرْبِ مِنْ بَعْدِ ما مَرُّوا
فَهٰذا طَرِيقُ الْخالِدِينَ ، وَهٰذِهِ
أَسِنَّةُ أَقْلامِ الَّذِينَ بِهِ خَرُّوا
مَشارِقُ مَنْ شَبُّوا ، وَآثارُ مَنْ بَنَوْا
وَآفاقُ مَنْ جَدُّوا ، وَآمالُ مَنْ بَرُّوا

كامل أمين

أبى . . . كما عرفتموه !

دُعى الأستاذ « رشاد الكيلانى » نجل الفقيد « كامل كيلانى » ليلقى كلمة الأسرة فى حفل التأبين الذى أقيم فى نقابة الصحفيين مساء الجمعة ١٥ من يناير سنة ١٩٦٠ . فاستجاب للدعوة ، وألقى الكلمة التالية :

أَيُّها السَّادَةُ :

اِغفِرُوا لِي أَنْ أُصارِحَكُمْ بِما جاشَتْ بِهِ نَفْسِي .

لَقَدْ تَلَقَّيْتُ الدَّعْوَةَ الْكَرِيمَةَ إِلَى هٰذا الْحَفْلِ الْكَرِيمِ ، لا لِمُجَرَّدِ أَنْ أُلْقِيَ إِلَيْكُمُ السَّمْعَ ، بَلْ لِكَيْ أُسْهِمَ مَعَكُمْ فِي الْقَوْلِ . . عَلَى أَنْ تَكُونَ كَلِمَتِي هِيَ كَلِمَةَ أُسْرَةِ الْفَقِيدِ .

لَبِثْتُ مَلِيًّا أَتَساءَلُ : أَيَّةُ أُسْرَةٍ يَعْنِيها الدَّاعُونَ الْكِرامُ ؟

لا شَكَّ أَنَّهُمْ يَعْنُونَ بِأُسْرَةِ « كامل كِيلانِى » أَهْلَهُ وَذَوِى قُرْباهُ ، وَإِلَّا لَما اخْتارُونِي ـ وَأَنا أَحَدُ أَنْجالِهِ ـ لِإِلْقاءِ كَلِمَةِ أُسْرَتِهِ .

وَما أَظُنُّ أَبِي كانَ يَرْضَى عَنْ هٰذا الصَّنِيعِ ، لَوْ أَنَّ لَهُ فِي الْأَمْرِ مِنْ خِيارٍ . كانَ « كامل كيلانى » يَعُدُّ أَصْفِياءَهُ فِي الْفِكْرِ والْأَدَبِ هُمْ أُسْرَتَهُ : لَهُمُ الْمَقامُ الْأَوَّلُ فِي نَفْسِهِ ، وَلَهُمُ النَّصِيبُ الْأَوْفَرُ مِنْ وَقْتِهِ وَسَعْيِهِ ، يَأْنَسُ مِنْهُمْ بِمَنْ حَضَرَ ، وَيَتَفَقَّدُ مَنْ تَخَلَّفَ ، وَلا يَفْتَأُ يَذْكُرُ مَنْ سَبَقَهُ مِنْهُمْ إِلَى دارِ الْخُلُودِ .

لَقَدْ شَيَّعْتُ مَعَ الْمُشَيِّعِينَ « كامل كيلانى » يَوْمَ وَدَّعَ ، وَلَقَدْ كُنْتُ حاضِرَ مَأْتَمِهِ فِيمَنْ حَضَرَ .

وَيمينُ اللهِ ما دَرَيْتُ يَوْمَئِذٍ : مَنِ الْمُعَزِّى فِينا وَمَنِ الْمُعَزَّى ، وَأَيُّنا الشَّاكِرُ عَلَى السَّعْيِ وَأَيُّنا الْمَشْكُورُ ؟

كُنَّا جَمِيعًا أُسْرَةً واحِدَةً لِلفَقِيدِ ، نَتَبادَلُ الْمُواساةَ فِي يَوْمِهِ الْمَشْهُودِ .

وَلَسْتُ أَتَمَثَّلُ حَفْلَ اللَّيْلَةِ إِلَّا نَدْوَةً مِنْ نَدَواتِ «كامل كيلانى» ، تِلْكَ النَّدَواتِ الَّتِي كانَ يَحْرِصُ عَلَى عَقْدِها لِلأَصْفِياءِ ، يَتَطارَحُونَ فِيها حَدِيثَ الْفِكْرِ والأَدَبِ .

وَلَكَأَنِّى أَراهُ - كَما كُنْتُ أَراهُ فِي نَدَواتِهِ - مَشْبُوبَ الْحَيَوِيَّةِ ، مَرِحَ الْأَعْطافِ ، يَصِلُ بَيْنَ حاضِرِيهِ حَبْلَ التَّعارُفِ ، وَيُوَثِّقُ بَيْنَهُمْ أَواصِرَ الْإِخاءِ ؛ مُؤْمِنًا بِوَحْدَةِ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ ، مُعَزِّزًا وَحْدَةَ الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ ، وَلَكَأَنِّى أَسْمَعُهُ يُنْشِدُ تِلْكَ الأَبْياتِ التِي كانَتْ حَبِيبَةً إِلَى قَلْبِهِ :

إِنْ يُكْدِ مُطَّرِفُ الإِخاءِ فَإِنَّنا نَغْدُو وَنَسْرِى فِي إِخاءٍ تالِدِ
أَوْ يَخْتَلِفْ ماءُ الْوِصالِ فَماؤُنا عَذْبٌ تَحَدَّرَ مِنْ غَمامٍ واحِدِ
أَوْ يَفْتَرِقْ نَسَبٌ يُؤَلِّفْ بَيْنَنا أَدَبٌ ، أَقَمْناهُ مُقامَ الْوالِدِ

أَيُّها السَّادَةُ : أُفِيضَتْ فِي هٰذا الْحَفْلِ الْكَرِيمِ عُطُورٌ مِنَ الثَّناءِ والْإِطْراءِ حَوْلَ اسْمِ «كامل كيلانى» ، وَهُوَ عَنِ الْحَفْلِ غائِبٌ .. وَلَوْ جازَ لِي أَنْ أَتَمَثَّلَهُ شاهِدًا ، لَعَرَفْتُ ما يَكُونُ مَوْقِفُهُ مِمَّا يُفاضُ عَلَى اسْمِهِ مِنْ هٰذا الثَّناءِ والْإِطْراءِ .

لَقَدْ شاءَ نُخْبَةٌ مِنَ الأَصْفِياءِ ـ مُنْذُ رُبْعِ قَرْنٍ ـ أَنْ يُقِيمُوا لَهُ حَفْلَ تَكْرِيمٍ ؛ فَكانَ تَعْقِيبُهُ عَلَى ما نَثَرَهُ الأَصْفِياءُ بَيْنَ يَدَيْهِ ـ مِنْ زُهُورِ التَّقْدِيرِ ـ أَنَّهُ قالَ :

« سِيَّانِ عِنْدَ الإِنْسانِ أَنْ يَخْتَنِقَ بِالفَحْمِ ، أَوْ يَخْتَنِقَ بِالوُرُودِ والرَّياحِينِ . لَقَدْ غالَى المُكَرِّمُونَ ، وَنَحَلُونِي مِنْ مَزاياهُمْ . . وَإِنِّي واللهِ ما أَعْرِفُ لِنَفْسِي مَحْمَدَةً غَيْرَ أَنِّي طالِبٌ مُجِدٌّ ، دائِبُ التَّحْصِيلِ ، يَسْأَلُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ : ماذا أَفَدْتُ ؟

وَلَقَدْ نَجَحَتْ تِلْكَ المُؤامَرَةُ الكَرِيمَةُ الَّتِي دَبَّرَها الأَصْدِقاءُ الأَطْهارُ ، وَلَنْ أَنْسَى لَهُمْ ذٰلِكَ الكَيْدَ النَّبِيلَ ما حَيِيتُ . . عَلَى أَنَّ نَجاحَ تِلْكَ المُؤامَرَةِ أَكْبَرُ انْتِصارٍ لِلْوَفاءِ والإِخْلاصِ . . . »

ذٰلِكُمْ رَأْيُ « كامِلِ كِيلانِي » فِي نَفْسِهِ وَفِي الإِشادَةِ بِهِ ، وَما أَرَى رُوحَهُ إِلَّا مُرَفْرِفًا فِي أُفُقِ هٰذا الحَفْلِ اليَوْمَ ، كَما كانَ شَخْصُهُ مُجَلِّيًا فِي حَفْلِ الأَمْسِ ، يَرُدُّ إِلَى فَضائِلِ الخُطَباءِ ، ما أَفاضُوا فِيهِ مِنْ ثَناءٍ ، وَيُحَيِّي فِيكُمْ جَمِيعًا فَضِيلَةَ الوَفاءِ !

وَلَعَلَّ رُوحَهُ فِي المَلَإِ الأَعْلَى تَطِيبُ الآنَ بِما تُقَدِّرُونَ بِهِ جُهْدَهُ ، وَما تُكَرِّمُونَ بِهِ عَمَلَهُ ، وَقَدِ انْقَطَعَتْ أَسْبابُ دُنْياهُ مِنْ أَسْبابِ دُنْيانا ؛ فَلا شُبْهَةَ فِي مُجامَلَةٍ تَقْضِي بِها دَواعِي الصُّحْبَةِ ، وَلا ظِنَّةَ فِي مُداهَنَةٍ يَسُوقُ إِلَيْها عَرَضٌ مِنْ أَعْراضِ الحَياةِ ؛ وَإِنَّما هُوَ التَّقْدِيرُ الخالِصُ لِلْجُهْدِ ، والتَّكْرِيمُ الصّادِقُ لِلْعَمَلِ ، والشَّهادَةُ الحَقُّ لِوَجْهِ اللهِ !

سادَتِى :

كانَ « كامل كيلانى » يَستَهْدِى فِى مَنْهَجِ حَياتِهِ بِأُسْطُورَةٍ رَواها : تِلْكَ هِىَ أَنَّ فَتًى خَرَجَ فِى طَرِيقِهِ إِلَى كَنْزٍ سَحِيقٍ ، لِيَظْفَرَ بماء الْخُلودِ .. وَزَعَمُوا أَنَّ ماردًا قابَلَهُ ، وَأُعْجِبَ بِأَدَبِهِ وَمَوْفُورِ فَضْلِهِ ، وَدَفَعَهُ إِعْجابُهُ إِلَى شَرْحِ الطَّرِيقِ الَّتِى تُوَصِّلُهُ إِلَى الْـكَنْزِ ، فَقالَ لَهُ :

« سَتَظَلُّ يا وَلَدِى فِى طَرِيقِكَ شُهُورًا وَأَسابِيعَ وَأَيَّامًا بَيْنَ صَحْراواتٍ قاحِلَةٍ ، وَتِلالٍ وآكامٍ ، حَتَّى تَقْتَرِبَ مِنَ الْـكَنْزِ .

وَمَتَى دانَيْتَهُ سَمِعْتَ دَوِيًّا وَجَلْجَلَةً وَرُعُودًا وَأَصْواتًا تَتَعالَى بِالزِّرايَةِ والتَّحْذِيرِ ، وَأُخْرَى تَتَعالَى بِالثَّناء والتَّصْفِيقِ ، وَكُلُّها تُنادِيكَ . .

فَحاذِرْ أَنْ تَلْتَفِتَ إِلَيْها ـ كَما الْتَفَتَ إِلَيْها غَيْرُكَ ـ وَإِلَّا مُسِخْتَ كَما مُسِخَ غَيْرُكَ مِنْ طُلَّابِ الْـكَنْزِ . . »

* * *

وَقَدْ كَتَبَ « كامِل كِيلانى » فِى التَّعْلِيقِ عَلَى هٰذِهِ الْأُسْطُورَةِ :

« كانَ لِهٰذِهِ الْأُسْطُورَةِ أَبْلَغُ الْأَثَرِ فِى حَياتِى ، فَأَصْبَحْتُ أَهْرُبُ مِنْ سَماعِ الثَّناء ، وَلا أَلْتَفِتُ إِلَى سَماعِ الذَّمِّ . وَكانَ هٰذا وَحْدَهُ سِرَّ هٰذا الْقانُونِ الصَّارِمِ الَّذِى أَخَذْتُ نَفْسِى بِهِ ، فَلَمْ أَرُدَّ عَلَى شاتِمٍ أَوْ حاقِدٍ ، حَتَّى لا أُمْسَخَ صَخْرًا ! »

لِذٰلِكَ عاشَ « كامِل كِيلانى » ما عاشَ لا يُؤْمِنُ إِلَّا بِالْجِدِّ فِى الْعَمَلِ ، والصَّبْرِ عَلَى الدَّأْبِ ، حَرِيصًا كُلَّ الْحِرْصِ عَلَى أَلَّا يَصْرِفَهُ عَنْ ذٰلِكَ

صارِفُ الْعُجْبِ بِالثّناء ، وَأَلّا يَشْغَلَهُ شاغِلُ الإشفاقِ مِنْ أَشْواكِ الْمُناوَشاتِ .

بَلْ لَقَدْ كانَ يَنْظُرُ إِلَى الْخُصُوماتِ بَيْنَ الْعُلَماءِ والأُدَباءِ نِظْرَةَ إِصْغارٍ وَإِزْراءٍ . وَلَعَلَّ ذٰلِكَ هُوَ السِّرُّ الَّذِى يَسْتَخْلِصُهُ الْقارِئُ الْمُتَمَعِّنُ مِنْ كِتابِهِ الَّذِى أَلَّفَهُ قَبْلَ ثَلاثِينَ عامًا ، وَأَسْماهُ « صُوَرٌ جَدِيدَةٌ مِنَ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ » ؛ فَإِنَّ جُلَّ هٰذِهِ الصُّوَرِ حَمَلاتٌ عَنِيفَةٌ عَلَى أُولٰئِكَ الَّذِينَ يَتَصَدَّوْنَ لِجَبابِرَةِ الْفِكْرِ وَعَباقِرَةِ الْأَدَبِ ، فَيُثِيرُونَ حَوْلَهُمْ زَوابِعَ هَوْجاءَ ، وَيَعْمَلُونَ عَلَى هَدْمِهِمْ بِما وَسِعَهُمْ مِنْ حِيلَةٍ وَوَسِيلَةٍ ، وَبِذٰلِكَ يَجْنُونَ عَلَى الْفِكْرِ والْأَدَبِ جِنايَةً لا تُغْتَفَرُ .

إِنَّنا لَنَرَى « كامل كيلانى » فِى هٰذا الْكِتابِ يَنْتَصِرُ لِـ « لْخوارزمِيِّ » عَلَى ناقِدِهِ « الْهَمَذانِيِّ » ولِـ « سِيبَوَيْهِ » عَلَى ناقِدِهِ « الْكِسائِيِّ » و لِـ « لْمُتَنَبِّى » عَلَى ناقِدِهِ « الْحاتِمِيِّ » ، و لِـ « لْمَعَرِّى » عَلَى ناقِدِهِ « داعِى الدُّعاةِ » .. إِذْ لَمَحَ فِى أُولٰئِكَ النَّقَدَةِ وُجُوهَ الْحَقَدَةِ ، وَتَبَيَّنَ فِيما زَيَّفُوهُ مِنْ نَقْدٍ ، وَما زَيَّنُوهُ مِنْ كَيْدٍ ، عَقَباتٍ تَعْتَرِضُ طَرِيقَ النّابِغِينَ النّابِهِينَ ، أُولٰئِكَ الَّذِينَ لا يَجُودُ بِهِمُ الزَّمانُ إِلّا فِى الْحِينِ بَعْدَ الْحِينِ .

سادتى :

إِنَّ سِيرَةَ « كامل كيلانى » ، وَفَلْسَفَةَ حَياتِهِ تَتَمَثَّلُ فِيما تَرَكَ مِنْ ذَخِيرَةٍ نَفِيسَةٍ ، أَلْفَيْتُها عَلَى مَكْتَبِهِ ، وَقَدْ سَمَوْتُ إِلَيْهِ ،

أطيفُ بهِ ، بعدَ أنْ ودَّعهُ الوداعَ الأخيرَ . . تلكَ الذخيرةُ النفيسةُ هيَ : قلمٌ ناصحٌ ، وساعةٌ خفَّاقةٌ !

نعمْ ! لقدْ كانَ « كامل كيلانى » يؤمنُ برسالةِ الفكرِ ، فاتَّخذ لأداءِ رسالتِهِ ذلكَ القلمَ الذى لمْ يجفَّ مدادُهُ يومًا طولَ حياتِهِ ، وكانَ يقدِّسُ شرفَ الوقتِ ، فاتَّخذَ لحسابِهِ تلكَ السَّاعةَ الَّتى كانتْ تحصى عليْهِ أنفاسَهُ فى سبيلِ أداءِ الرِّسالةِ .

إنَّهُ استخلصَ نفسَهُ لقلمِهِ ، وأسلمَ وقتَهُ لساعتِهِ ؛ فمضى عنْ مئينَ منْ أوراقٍ خرجتْ للنَّاسِ كتُبًا ورسائلَ ، وما برحتْ مئونَ منَ الأوراقِ فى إضماماتِها ، لا تقوى عليْها جهودُ الطَّبعِ والنَّشرِ ، إلَّا بعونٍ منَ اللهِ وتوفيقٍ .

أيُّها السَّادةُ :

أمَّا قرابةُ « كامل كيلانى » لأسرتِهِ : فقرابةُ رحمٍ ونسبٍ ، وأمَّا قرابتُهُ لكُمْ : فقرابةُ فكرٍ وروحٍ . .

لقدْ كانَ لكُمْ ، وكانَ منكُمْ ، وكانَ بكُمْ ؛ فإذا كنتُمُ اليومَ ، قدْ شاءَ لكُمْ وفاؤكُمْ أنْ تكرِّموا ذكراهُ هذا التَّكريمَ النَّبيلَ ؛ فالفضلُ فضلُكُمْ موردًا ومصدرًا ، والشُّكرُ منكُمْ وإليكُمْ أوَّلًا وآخرًا .

وعندَ اللهِ جزاءُ الأوفياءِ . . . وعندَ اللهِ جزاءُ العاملينَ ؟

رشاد كامل كيلانى

مؤلفات

كامل كيلانى

١ ــ مكتبة الكيلانى للشباب

٢ ــ المكتبة العلائية

٣ ــ مكتبة الكيلانى للأطفال

ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الإسلام

للعلامة « دوزى »

روائع من قصص الغرب

(صياد الخيال وقصص أخرى)

صور جديدة من الأدب العربى

ديوان ابن زيدون

شرح الكيلانى وعبد الرحمن خليفة

عشر أغان مختارة مع تدوينها الموسيقى

نظم الكيلانى ومشرفة (باشا)

مصارع الخلفاء

مختار القصص

فن الكتابة : كيف ندرس فن الإنشاء

أساطير ألف يوم

ديوان ابن الرومى

نظرات فى تاريخ الأدب الأندلسى

مجموعة محاضرات ألقاها الكيلانى فى الجامعة المصرية

مصارع الأعيان

ذكريات الأقطار الشقيقة

مختارات كامل كيلانى

موازين لنقد الأدبى

المكتبة العلائية

رسالة الغفران

الطبعة الثالثة (نفدت)

الطبعة الرابعة (النص الكامل)

تظهر قريبـــا

رسالة الغفران

ترجمة إنجليزية أخرجها :

« الكيلانى » و « براكنبرى »

حديقة أبى العلاء

الجزء الأول : مصرع الفنان

على هامش الغفران :

١ ــ دواعى الرسالة

٢ ــ قصة الحاطة

رسالة الهنــاء

الجزء الأول : نصوص ودراسات

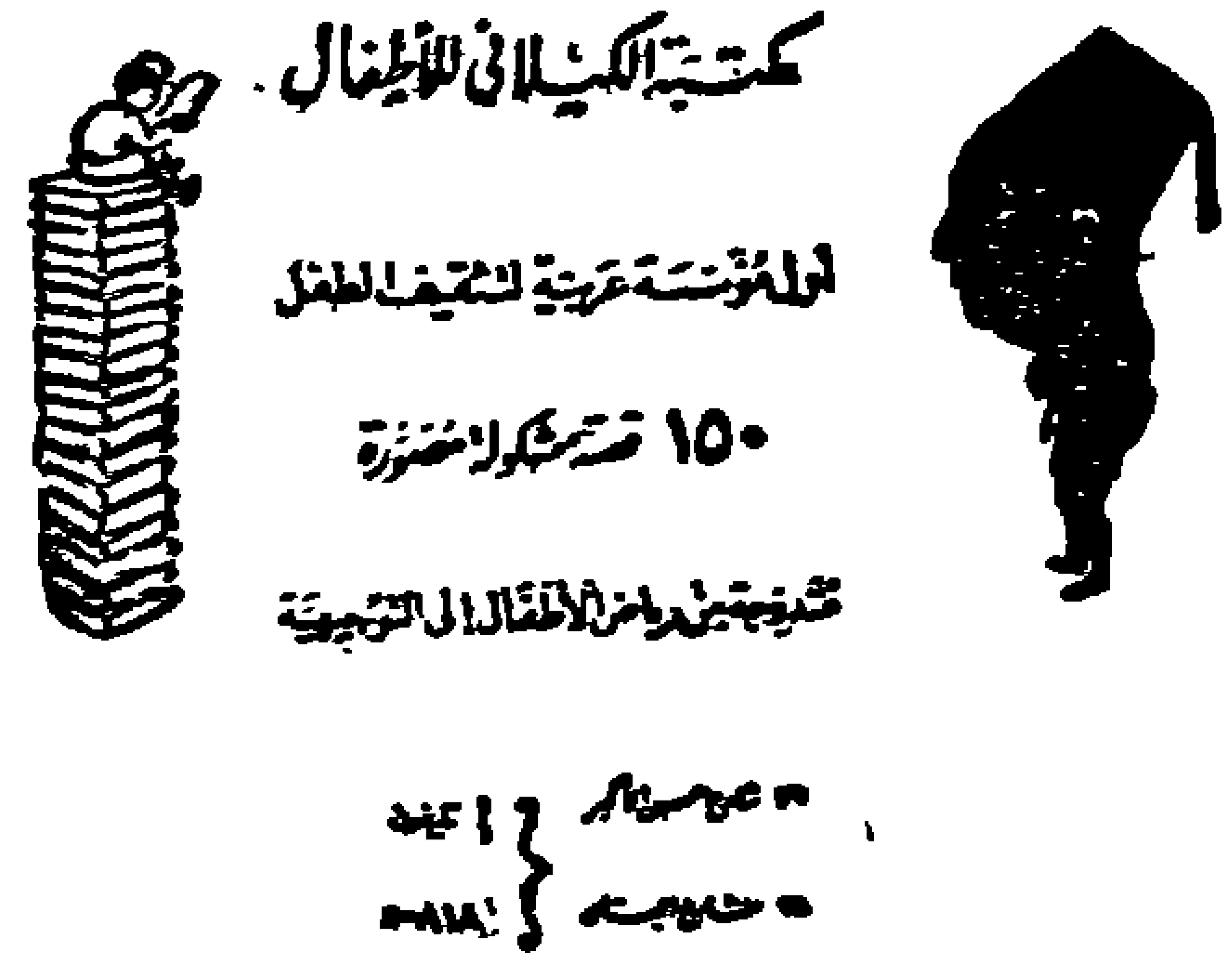
الجزء الثانى : النص الكامل

Al-Kilany's Arabic Library for children

The first Arabic institution for the cultural development of children.

150 graduated vocalised and illustrated stories, designed for classes from the kindergarten to the end of the secondary course.

Headquarters : 32, Hassan Ul-Akbar St.
Branch : 28, Al - Boustan St.
Telephone : 50818



The library's collection of some 150 stories and fairy tales, beautifully produced and elegantly illustrated, accompanies the child from the kindergarten to the final year of the secondary education, whence it leads him to Al-Kilany's library for youth.

Its subject-matter : promotes character, develops the intellect, and teaches literature.

Its technique : intensifies the reader's desire and interest and stimulates his love for reading.

Its language : enriches the faculty of self-expression and rhetoric.

In fact, it is a rational literary revolution which has won the support of most ministers of education, leaders of public opinion in the East, and well-known orientalists.

The library was the first of its kind to follow the most modern methods of education, in the Arabic - speaking countries. The successive editions of its books have contributed a great deal towards the culture of the youth in the Arab East and have had access to every Arab home. In addition, they have been translated into several Oriental, and some Occidental, languages.

In fact, they are in themselves a free institution which attracts the pupil without persuasion or intimidation.

Kilany's Library was once the aspiration of every parent. Today it is the children's most delightful food for thought.

It is published by the largest publishing houses in the East.

مجموعتها : سائر القصة في نحو مائة وخمسين قصة ، رائعة الصور ، بديعة الإخراج ، متدرجة به من رياض الأطفال إلى ختام التعليم الثانوي ثم تسلمه إلى مكتبة الكيلاني للشباب

مادتها : تقوم الخلق ، وتربي الذهن ، وتعلم الأدب

فنها : يشوق القارئ وينميه ، ويحبب الكتاب إليه

لغتها : تنمي ملكة التعبير ، وتطبع اللسان على فصيح البيان .

ثورة رشيدة ، أجمع على تأييدها وزراء التربية وزعماء التعليم وقادة الرأي في الشرق ، وكبار المستشرقين وأعلام التربية في الغرب

أول مكتبة عربية عنيت بتنشئة الطفل على أحدث أسس التربية الصحيحة توالت طبعاتها العربية ؛ فحفلت بها الجيل الجديد في بلاد العروبة ، ولم يخل منها بيت عربي .

ترجمت إلى أكثر اللغات الشرقية وبعض اللغات الغربية .

مدرسة حرة ، إذا عرفها التلميذ ، سعى إليها بلا ترغيب ولا ترهيب

كانت أكبر أمنية للآباء ، وهي اليوم أشهى غذاء عقلي للأبناء

تصدرها أكبر دور النشر في الشرق .

مجموعة من حياة الرسول

تمهيد

أضواء من المولد السعيد

القسم الأول

عصر الظلام – مطلـــع الفجر
هجرة الصحابة – إسلام عمر
شــدائد وأزمات
دواعى الهجرة
هجرة الرسول

القسم الثانى

من المــــولد إلى الهجرة
من ميدان إلى ميدان
مقدمات الحـــرب
السهم الأول
رؤيا عاتـــكة
بين السلم والحرب
نقطة التحول
على هامش بدر
قلوب موتورة

القسم الثالث

أحقاد ثائرة
درس لا ينسى
ملتقى الأهوال
خاتمة أحـــد
ذكريات أحد
بعد عام

القسم الرابع

غـــزوتان
صخرة الخندق
مناوشات يائسة
سفير الغـــدر
بارقة الأمل
حارس النـــار
عابد الذهب
الباحث عن الحق

قصص رياض الاطفال

أبو خربوش
دندش العجيب
سفروت الحطاب
أحلام بسبسة
شمشون الجبار
عدوّ المعيز
الأرنب والصياد
دمنة المكار
الأمير مشمش
ريحان الكذاب
شنطح
التاجر مرمر
الأميرة لولبة



الشاطر كاك
نارادا

تستقبل هذه المجموعة المبدعة أطفال الرياض فى مطلع تعليمهم ؛ فتفتنهم ألوانها الجذابة ، وتعينهم صورها المعبرة على فهم خلاصة القصص : فيغريهم ذلك بالإسراع فى تعلم القراءة ، ليتعرفوا من الألفاظ تفصيل ما فهموه من التصاوير ؛ فهى خير ما تزدان به رياض الأطفال من زهرات ، وهى أسلوب مبتكر فى تحبيب القراءة لأطفال الروضة ، يقوم على أساس تربوى ناجح فى تعليم الأطفال القراءة وتكوين الجمل ، مستعينة على تفهيم المعانى بالتصاوير المعبرة الفاتنة ، التى تسترعى الانتباه ، وتثير التطلع .

وتحوى هذه المجموعة قصصا خفيفة ظريفة ، مفصلة على نحو يتيح لهم إدراكها فى سهولة ويسر ، ويحبب إليهم متابعتها فى شوق وإقبال .

حكايات الأطفال

الدجاجة الصغيرة الحمراء
فاطمة الصغيرة
ليـــلى والذئب
البيت الجـديد
أم الشعر الذهبي
سندريلا أو اليتيمة
كوكو وكيكى
الولد القـــاسى

بدر البدور
الجوزة الصغيرة
بهـــلول
عنقـود العنب
الأرنب العاصى
العلبة المسحورة
قصة لا تنتهـى
الأميرة وردة البحر



... ولئن أدرك الأطفال برياض الأطفال مرادا بعيـــدا ، لقد فتحت لهم – بمكتبة الأطفال – فتحا جديدا .

أدركتَ أرب نفوسهم ، وأبدلتهم أنســاً من عبوسهم ، وهجت – للمعالى – أشواقهم ، وحسنتَ لغتهم وأخلاقهم ..

أحمد نجيب الهلالى



قصص الجيب

اللحية الزرقاء

السعيد حسن

أرنب فى القمر

انتقام سوسنة

حارسة النهر

سفيرة القمر

هـذه كتيبات صغيرة ، يحملها الناشىء فى جيبه ؛ لكى تكون متعته فى خلوته ، وفى فسحة وقته .. يمدّ إليها يده فتكون له صديقا ، يسامره ويفاكهه ، ويملأ نفسه أنسا وبهجة .



حكايات جحا

ليلة المهرجان

الحظ السعيد

حمار السلطان

عودة بغبغ

ديك النهار

... وهكذا نجحت ـ ياأستاذ ـ فى أن تحبب إلى الأطفال مكتبتهم ، وتغريهم بالمطالعة ..

أحمد لطفى السيد

قالت شهرزاد

الأكذوبة
بنت الوزير
أمير العفاريت
قاهر الجبابرة
حصان الجو
الأمير الحادى والخمسون
الشمعدان الحديدى
كنز الشمردل
شجرة الحياة
غزلان الغابة
الأميرة وردة
السنجاب الصغير
صانع الأعاجيب
شهرزاد وشهريار
بساط الريح
نعجة الجبل



عجيبة وعجيبة
عجائب الدنيا الثلاث
الأمير المسحور

« سيد الأحرار طرا كاتب .·. يبتنى من كل طفل رجلا ! »
حسن القاياتى

ليس فى الشرق ولا فى الغرب من ينافس « شهرزاد » فى ميزاتها النادرة : فقد سجل لها التاريخ — فيما سجله من مزاياها الباهرة — أنها أقدر محدثة وأبرع راوية للقصص ، بعد أن استطاعت — بفضل عبقريتها فى هذا المضمار — أن تنجى رأسها من السيف ألف مرة ومرة ، فى « ألف ليلة وليلة » !

وقد بعثت شهرزاد فى هذه المجموعة من القصص ، لتسامر الناشئة الحديثة بفنون من القصص ، تسحر القــارئ الصغير بطلاوتها ، وتبسط له أمثــلة طيبة من مكارم الأخــلاق ؛ فيشب قارئها ، وقد انطبعت نفسه على حب الفضيلة ، وإيثار الخير .

قصص جحا



الحمار القارئ
سوق الشطار
جحا وأصحابه
وزّة السلطان
معلم النباح
كيس الدنانير
الغراب الطائر
سارق الحمار
برميل العسل
ثمرة الخلاف
جحا فى بلاد الجن

« ســـل الصغار هل لهم غير « جحا » من شاغل ؟ »

« غنـــيم »

نحن جميعا نتناقل حكايات « جحا » الظريفة ، ونحرص على تلقف ما يروى له من نكات ، معجبين بتلك الشـــخصية الفكهة التى تحسن تصوير حقائق الحياة ، فى معرض باسم ظريف من التنادر .

وفى هذه المجموعة يقصّ « جحا » — على أصدقائه من الصغار — طائفة من طرائفه الطلية التى تطوى فى تضاعيفها حكمة الزمن ، وتجربة الحياة .

عجائب القصص



الساحر الأحمر
الجواد الطيار
غول النساء
جعبة الشوك
سمسمة
حبيب الشعب
مدينة الزجاج
الكوميديا الإلهية
مغامرات نونو

... إننى أشهد الله وأشهد أمام خلقه بأن الرجل الذى انتهت إليه حكمة التربية من طريق كتب التعليم هو « الأستاذ كامل كيلانى ». وستشهد هذه النهضة بهذا يوم يَمدّ مدّها ويجدّ جِدّها ..

البشير الإبراهيمى

قصص جغرافية وأساطير إفريقية

لفنجستون | لفنجستون وستانلى

... أهنئكم بهذا العمل المبدع الفريد الذى قمتم به بإعدادكم هذه المجموعة من الكتب ..

دكتور ماكلانهن

« يا كامل الفضل: قد أنشأت مكتبة .·. يسير - فى هديها - شيب وأطفال.
جمـــال طبعك حلاها وزينها .·. فأصبحت - بجميل الطبع - تختال »

« شوقى »

قصص من ألف ليلة

بابا عبد الله والدرويش	خسرو شاه
عبد الله البرى والبحرى	تاجر بغداد
الملك عجيب	مدينة النحاس
على بابا	السندباد البحرى
أبو صير وأبو قير	علاء الدين



ألمع جوهرة فى عقد القصص العربية ، تنقل القارئ بين أجواء الشرق وأحلامه وأخيلته العامرة بأسباب البهجة . شغفت أمم الناطقين بالضاد ، فأقبلوا عليها ، وفتنت الأمم الغربية فترجمتها إلى لغاتها .

وها هى ذى تتجلى فى أسلوب « الكيلانى » ، السهل الممتنع : بديعة الإخراج ، مهذبة الحواشى ، رفيعة الأهداف ، ناطقة الشخصيات .. تخيل لقارئها أنه يعيش مع أبطالها ، ويشاركهم فى آمالهم وأحلامهم ؛ فيمضى فى مطالعتها ، مشتاقا إلى المزيد دائما !

قصص فكاهية

عمارة

الأرنب الذكى

عفاريت اللصوص

نعمان

العرندس

أبو الحسن

حذاء الطنبورى

بنت الصباغ



طرائف من القصص، بارعة الفكاهة، جميلة الحوادث. ترسم كل فقرة من فقراتها على ثغر القارئ ابتسامة، وتهدى إلى نفسه أنسا وبهجة؛ فيستشعر نشاطا للمطالعة، وشغفا بها.. ويتعرف مما يطالعه فنوناً مشرقة من الحياة، وألواناً باسمة من جوانبها الفاتنة، تحبب إليه الكتاب، وتدفع عنه السأم والاكتئاب؛ وتجمع بين سهولة التعبير، وبراعة التصوير.

قصص مختارة



وادى الذهب

صارع الأسد

... وإنى لأرجو أن يأتى اليوم الذى تصير فيه اللغة العربية سليقة عند متعلمينا . فإذا قيض لها ذلك كان الفضل راجعا ـ فى معظمه ـ إلى كتب الأستاذ الكيلانى ..

على مصطفى مشرفة

قصص تمثيلية



الملك النجار

لأن الذين يقتفونه لا ينسجون إلا على منواله ، ولا يغترفون إلا من مورده : ومع ذلك لا يمكن أن يقاربوه ..

الأب أنستاس مارى الكرملى

قصص هندية

الشيخ الهندى
الوزير السجين
الأميرة القاسية
خاتم الذكرى

شبكة الموت
فى غابة الشياطين
صراع الأخوين



الهنـــد : مجال الغرائب والأعاجيب ، ومورد الخيال الخصيب . فى أقاصيصها الفاتنة ما شئت من حكمة أصيلة ، وعبرة صادقة جليلة ، تتجلى فى هـذه الطاقة النـاضرة التى تخيرها « الـكيلانى » من ذلك الفردوس القصصى الجميـل ، تحوى ألواناً من الأزاهير والرياحين ، يخرج بها القارئ ، وقد فتنته قصص الهند الساحرة الخالدة .

قصص شكسبير

العاصفة

تاجر البندقية

يوليوس قيصر

الملك لير



... وقد ترى كلامه السهل الممتنع ، فلا تتبين — على الفور — قد مابذله من الجهد فيه ؛ ولكنك إذا انتقلت — مثلا — إلى ما عرّبه ولخصه وقرّبه من أضخم مسرحيات «شكسبير» ، وبدا لك — من تجديده تلك القصص على نحو خاص — ماجمع فيه : من الفصاحة فى المبانى ، إلى البلاغة فى المعانى ، ومن الجزالة فى الشعر ، إلى السهولة فى النثر : بدا لك — بجملته وتفصيله — صنيع هذا الرجل فى أروع صورة تجلو فطنه المبدعة ، وكفاياته المتنوعة .

« خليل مطران »

كيف يتاح للقارئ الصغير أن يطالع روائع « شكسبير » ؟ ! تلك هى المعجزة ؛ تكفلت بتحقيقها هذه المجموعة البديعة ، التى تقرب إلى الناشئة عبقرية « شكسبير » ، وتجلو لهم زبدتها ، فى معرض من البيان ، أنيق دقيق ؛ فيشبون ، وقد نمت فى أنفسهم غراس الرغبة فى التزود من الفن العالى ، والإقبال على الأدب الرفيع .

أشهر القصص



روبنسن كروزو

جلفر فى بلاد الأقزام

جلفر فى بلاد العمالقة

جلفر فى الجزيرة الطيارة

جلفر فى جزيرة الجياد الناطقة

ظهرت من هذه المجموعة العالمية قصتان ، طبقت شهرتهما العالم كله ، هما : « روبنسن كروزو » و « رحلات جلفر » .

وللناشئ العربى - اليوم - أن يفاخر بأنهما على مقربة منه ، تتيحان له التمتع بما اشتملتا عليه من غذاء شهىّ للفكر والوجدان .

وقد وصف الفيلسوف « روسو » أولاهما : بأنها أثمن ذخر فى التربية الاستقلالية الطبيعية ، وقال إنها ستكون أول كتاب يقرؤه طفله . . وستصبح وحدها كل مكتبته . . وسيرى فيها على الدوام من المزايا الباهرة ما يدفعه لإحلالها أسمى مكان ، وسيظل كل ما عداها من كتب العلوم الطبيعية ، حواشى وتعليقات عليها . وستظل متجددة الروعة والأثر ، فى كل وقت نقرؤها ، ما دام لنا ذوق لم يتطرق إليه الفساد .

أما قصة « جلفر » ، فقد أجمع النقاد على أنها خلقت منذ ظهورها ثورة فكرية ، لا تقلّ عن الثورة التى خلقتها قصة : « روبنسن » ، وأصبحت شغل القراء الشاغل ، فلم تكد تخلو منها مكتبة ولا بيت .

أساطير العالم

فى بلاد العجائب	القصر الهندى
الملك ميداس	بطل أتينا
قصاص الأثر	الفيل الأبيض



كانت الأساطير — ومازالت — مبعث الإلهام ، يحلق القارئ فى أجوائها بخياله ، مرتفعاً عن الواقع بجفافه وإجدابه .

وقد حفلت هذه المجموعة التى تخيرها « الكيلانى » ، بطاقة من تلك الأساطير ، يعيش فيها القارئ فى دنيا طيعة ، مشرقة بالآمال ، أبهج من دنياه ، وينعم فيها ، بألوان من المتع الفكرية العالية ، وتتيح له ضروبا من التصوّرات ، تغمر نفسه بالأفراح ، وتملؤها بالرضا والانشراح .

قصص علمية

الصديقتان	أسرة السناجيب
أصدقاء الربيع	أم سند وأم هند
النحلة العاملة	زهرة البرسيم
العنكب الحزين	مخاطرات أم مازن
جبارة الغابة	فى الإصطبل



الحقائق العلمية لا بد لاكتسابها من جهد وإعنات فكر ، ومن أناة وصبر . ولكن هذه المجموعة من القصص العلمية تفتح بابا جديدا من الفن التربوى ، فى تزويد الناشئة بالمعلومات ، من أبهج طريق ؛ فقد وفق « الكيلانى » أيما توفيق فى تبسيط حقائق العلم ، وتقريبها للناشئة ، فى أسلوب قصصى أخاذ ، وجوّ تصويرى بهيج ؛ يستهوى الأنفس ، ويثبت المعلومات فى الأذهان ، دون مشقة ولا عنت .

قصص عربية

حيّ بن يقظان | ابن جبير فى مصر والحجاز



كان دارس الفلسفة وحده هو الذى يعرف « ابن طفيل » مؤلف « حى ابن يقظان » . وكان المؤرخ وحده هو الذى يعرف الرحالة : « ابن جبير » : مؤلف تلك الرحلة البارعة . ولكن الناشئة اليوم فى مقدورهم أن يعرفوا الفيلسوف العظيم ، ويتابعوا الرحالة الكبير ؛ بعد أن احتشدت لتحقيق هذه الغاية الجليلة براعة التعبير ، وجمال التصوير .

وأصبح الناشئة يقرءون قصة : « حى بن يقظان » ؛ فتبهجهم حياة ذلك الطفل الذى تعلم الحياة بسليقته وطبعه ، وعرف كيف يعلم نفسه بنفسه ، حتى أصبح حكيما فيلسوفا .

ثم يقرءون «قصة ابن جبير» فى مصر والحجاز ؛ فيطوفون معه فى مختلف البقاع ، ويعرفون شكولا من تجارب الحياة وطبائع الناس ، وخصائص البلدان ، فى أسلوب فاتن ، يجمع بين المتعة والفائدة .

قصص الكيلانى وترجمتها

١ — بالعربية والإنجليزية | **٢ — بالعربية والفرنسية**

٣ — بالعربية والألمانية | **٤ — بالعربية والإسبانية**

٥ — بالعربية والإيطالية | **٦ — بالعربية والروسية**



أبو خربوش (سلطان القرود)
الأمين سفروت
رحلة شنطح
دمنة وشتربة
مرمر والحزام الأزرق
شمشون ودليلة

أكذوبة ريحان
دندش وأصحاب العصفورة
لولبة أميرة الغزلان
الديك الظريف
شهرزاد بنت الوزير

ترجمة أمينة سهلة تواجه الأصل العربى . يسرت درس اللغات الأجنبية على قراء العربية ، كما يسرت درس اللسان العربى على قراء الأجنبية .

الطريقة المثلى لدرس اللغات ، وتثبيت معانى الكلمات .

فهرس الكتاب

الباب الأول

نقد الكتب

الباب الثانى

دراسات أدبية

الباب الثالث

آراء وأحاديث

صفحة

الباب الرابع

مكتبة الأطفال

صفحة

الباب الخامس

ندوة الكيلانى

الباب السادس

من رسائل أقطاب الفكر

الباب السابع
فى ميدان الشعر

بعد الوفاة :

حفلة التأبين :

مطبعة الكيلانى
المدير المسئول : رشاد كامل كيلانى
٢٢ شارع غيط العدة - باب الخلق

ت ٣٩١٨٥٩٨



